

شرح

العلامة الشيخ أحمد بن محمد الصاوي المصري الخلوتي المالكي

١١٧٥ - ١٢٤١ هـ

ضبطه وصححه

محمد عبد السلام شاهين

الجزء الأول

المحتوى:

أول سورة البقرة - آخر سورة الأعراف



منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية بيروت لبنان

الطبعة الرابعة
٢٠٠٦ م. ١٤٢٧ هـ

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

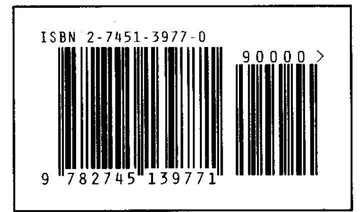
Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة: رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
هاتف: ١٢/ ١١/ ٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١+ ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+ رياض الصلح - بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧

http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun-ilmiyah.com

الكتاب: حاشية الصاوي على تفسير الجلالين
المؤلف: الشيخ أحمد بن محمد الصاوي
المحقق: محمد عبد السلام شاهين
الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت
عدد الصفحات: 2070
سنة الطباعة: 2006 م
بلد الطباعة: لبنان
الطبعة: الرابعة


ISBN 2-7451-3977-0

بسم اللّٰه الرحمٰن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل الفرقان مصدقاً لما بين يديه هدى وبشرى للمتقين، قرآناً عربياً غير ذي عوج موعظة وذكرى للمؤمنين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ندخل بها الفردوس آمنين وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين، المنزل عليه الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين أوتو العلم درجات. وبعد:

فيقول العبد الفقير الذليل أحمد بن محمد الصاوي المالكي الخلوتي: لما علم التفسير أعظم العلوم مقداراً وأرفعها شرفاً ومناراً، إذ هو رئيس العلوم الدينية ورأسها، ومبنى قواعد الشرع وأساسها، وكان كتاب الجلالين من أجل كتب التفسير، وأجمع على الإعتناء به الجم الغفير من أهل البصائر والتنوير، وجاءني الداعي الإلهي بقراءته فاشتغلت به على حسب عجزي، ووضعت عليه كتابة ملخصة من حاشية شيخنا العلامة المحقق المدقق الورع: الشيخ سليمان الجمل، مع زوائد وفوائد، فتح بها مولانا من نور كتابه، وإنما اقتصرت على تلخيص تلك الحاشية، لكوني وجدتها ملخصة من جميع كتب التفسير التي بأيدينا، تُنسب لنحو عشرين كتاباً منها البيضاوي وحواشيه وحواشي هذا الكتاب. ومنها الخازن والخطيب والسمين وأبو السعود، والكواشي، والبحر والنهر والساقية، والقرطبي، والكشاف، وابن عطية، والتحبير، والإتقان، ولم أنسب العبارات لأصحابها غالباً اكتفاء بنسبة الأصل والله على ما أقول وكيل، وهو حسبي وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى.

وقد تلقيت هذا الكتاب من أوله إلى آخره مرتين: عن العلامة الصوفي سيدي الشيخ سليمان الجمل وعن الإمام أبي البركات العارف بالله تعالى استاذنا الشيخ أحمد الدردير، وعن استاذنا العلامة الشيخ الأمير، وكل من هؤلاء الأئمة تلقاه عن تاج العارفين شمس الدين سيدي محمد بن سالم الحفناوي، وعن الإمام أبي الحسن سيدي الشيخ علي الصعيدي العدوي، والشيخ الحفناوي، تلقاه عن العلامة سيدي محمد بن محمد البديري الدمياطي الشهير بابن الميت، وهو عن نور الدين سيدي على الشبراملسي، وهو عن الشيخ الحلبي صاحب السيرة، وهو عن خاتمة المحققين، سيدي علي الأجهوري، وهو عن البرهان العلقمي، وهو عن أخيه، شمس الدين

محمد العلقمي، عن الجلال عبد الرحمن السيوطي، وأما سندنا للجلال المحلي، فهو بعينه إلى الإمام الحلبي، وهو عن الإمام الزيادي، عن الشيخ الرملي، وهو عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، عن الجلال محمد بن أحمد المحلي رضي الله عنهم ونفعنا بهم، وولد السيوطي سنة ثمانمائة وتسع وأربعين، وتوفي سنة تسعمائة وثلاث عشرة فعاش أربعاً وستين.

مقدمة: ينبغي لكل شارع في فن أن يعرف مباديه العشرة ليكون على بصيرة فيه وهي: حده، وموضوعه، وواضعه، واستمداده، واسمه، وحكمه، ومسائله، ونسبته، وفائدته، وغايته. فحد هذا الفن: علم بأصول يعرف بها معاني كلام الله على حسب الطاقة البشرية، وأما معناه: لغة فمأخوذ من الفسر وهو الكشف، **وموضوعه**: آيات القرآن من حيث فهم معانيها، **وواضعه**: الراسخون في العلم من عهد النبي ﷺ إلى هنا على التحقيق كما شهد الله بذلك، **واستمداده**: من الكتاب والسنة والآثار والفصحاء من العرب العرباء، واسمه: علم التفسير، **وحكمه**: الوجوب الكفائي، **ومسائله**: قضاياه من حيث الأمر والنهي والموعظة إلى غير ذلك، **ونسبته**: أنه أفضل العلوم الشرعية وأصلها، **وفائدته**: المعرفة بمعاني كلام الله على الوجه الأكمل، **وغايته**: الفوز بسعادة الدارين، أما الدنيا فبامتثال الأوامر واجتناب النواهي، وأما الآخرة فبالجنة ونعيمها ولذلك يقال له اقرأ وارق.

واعلم: أن القرآن نزل ليلة القدر جملة واحدة إلى سماء الدنيا في مكان يقال له بيت العزة على هذا الترتيب الذي نقرؤه فإنه توقيفي. ثم نزل على النبي ﷺ في ثلاث وعشرين سنة على حسب الوقائع لقوله تعالى: ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً﴾ [٣٣: الفرقان] لكن لا على هذا الترتيب، فإنه نزل عليه ثلاث وثمانون سورة بمكة أي قبل الهجرة، وبالمدينة إحدى وثلاثون على التحقيق، فأول ما نزل بمكة اقرأ وآخر ما نزل بها قيل **العنكبوت** وقيل **المؤمنون** وقيل **ويل للمطففين**. وأول سورة نزلت بالمدينة، **البقرة**، وآخر سورة نزلت بها، **المائدة**. وهناك بعض سور اختلف فيها، منها الفاتحة، ويمكن تكرار نزولها، وأما أول آية نزلت على الإطلاق فـ﴿اقرأ باسم ربك﴾ وآخر آية على الإطلاق ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾ [٢٨٢: البقرة] واعلم أيضاً أن القرآن ينقسم أربعة أقسام: **قسم فيه الناسخ والمنسوخ**، وهو خمسة وعشرون سرة، **وقسم فيه المنسوخ**، فقط وهو أربعون سورة، وقسم فيه الناسخ فقط، وهو ست سور، **وقسم لا ناسخ فيه ولا منسوخ** وهو ثلاث وأربعون سورة، وأغلبها من الربع الأخير. وعدة حروف القرآن ألف ألف وخمسة وعشرون ألفاً، ودرج الجنة على قدر ذلك، وبين الدرجتين خمسمائة عام، وعدة آياته ستة آلاف ستمائة ستة وستون ونصفه بحسب الآيات قوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون﴾ [٤٥: الشعراء] ونصفه بحسب الحروف قوله تعالى: ﴿لقد جئت شيئاً نكراً﴾ [٧٤: الكهف] فالنون من النصف الأول والكاف

من الثاني ونصفه بحسب السور الحديد المجادلة من النصف الثاني. عدة كلماته سبعة وسبعون ألفاً وأربعمائة وخمسن كلمة، كل كلمة لها أربعة علموم: علم بحسب ظاهرها، علم بحسب باطنها، وعلم بحسب حدها، وعلم بحسب مقطعها، وإن نظرت إلى تناسبها مع ما قبلها وما بعدها زادت كثيراً. وترتيب السور هكذا، توقيفي. وأما وضع أسمائها في المصاحف، وتقسيمها إلى أعشار، وأرباع، وأثلاث، وأجزاء، وأحزاب، فمن الحجاج الثقفي، بأخذ عن الصحـابة في وضع أسماء السور، وباجتهاد منه في تقسيمه إلى ما ذكر. ولذلك تجد ابتداء الربع وسط قصة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً موافياً لنعمه، مكافئاً لمزيده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وجنوده. هذا ما اشتدت إليه حاجة الراغبين في تكملة تفسير القرآن الكريم الذي ألفه

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (الحمد لله إلخ) افتتح رحمه الله كتابه بهذه الصيغة لأنها أفضل المحامد كما ورد وهي مقتبسة من قوله ﷺ: «الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافىء مزيده». وقد غير المصنف الحديث ببعض تغيير وهو مغتفر في الإقتباس. قوله: (موافياً لنعمه) أي مقابلاً لها بحيث يكون بقدرها فلا تقع نعمة إلا مقابلة بهذا الحمد، وهذا على سبيل المبالغة بحيث ما ترجاه، وإلا فكل نعمة تحتاج لحمد مستقل. قوله: (مكافئاً لمزيده) أي مماثلاً ومساوياً له، والمزيد مصدر ميمي من زاده الله النعم، والزيادة النمو وبابه باع ويستعمل متعدياً ولازماً يقال: زاده الله خيراً وزاد الشيء، والمعنى أنه ترجى أن يكون الحمد الذي أتى به موفياً بحق النعم الحاصلة بالفعل وما يزيد منها في المستقبل قوله: (على محمد) في نسخة على سيدنا محمد وعليها فعطف وآله وما بعده على سيدنا لا على محمد لما يلزم عليه من ابدال محمد وما عطف عليه من السيد وهو في نفس الأمر محمد فقط. قوله: (وجنوده) جمع جند اسم جنس جمعي يفرق بينه وبين واحد بالياء على خلاف الغالب فالياء في المفرد. والمراد بجنده كل من يعين على الدين بالقتال في سبيل الله أو بتقرير العلم وضبطه أو بتعمير المساجد أو بغير ذلك من عصره ﷺ إلى آخر الزمان.

قوله: (هذا) هي بمنزلة أما بعد وبمنزلة أيضاً في أن كلا منهما اقتضاب مشوب بتخلص لأن الكلام الثاني وهو المقصود مقتطع عن الكلام الأول الذي هو الخطبة لكن فيه نوع مناسبة من حيث سبب التأليف، والمقصود أمر ذو بال وقد ندب الشارع للإبتداء فيه بالبسملة والحمدلة والصلاة على النبي، فحصلت المناسبة، ولكنها ليست كلمة وآثرها على أما بعد. وإن كانت الواردة لإختصارها، واسم الإشارة عائد: إما على المعاني أو الألفاظ أو النقوش أو المعاني والألفاظ، أو النقوش والمعاني أو النقوش والألفاظ أو الثلاثة احتمالات، سبعة المختار منها عوده على المعاني المستحضرة ذهناً سواء قلنا إن الخطبة متقدمة على التأليف أو متأخرة وفي الكلام استعارة تصريحية أصلية حيث شبه المعقول بالمحسوس واستعار اسم المشبه به وهو اسم الإشارة للمشبه.

قوله: (ما اشتدت) ما واقعة على المعاني الذهنية كما هو المختار من الإحتمالات المتقدمة وعبر باشتدت دون دعت اشارة إلى أن حاجتهم بلغت حد الضرورة لمزيد احتياجهم إلى هذه التكملة، وذلك

الإمام العلامة المحقق جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي رحمه الله، وتتميم ما فاته وهو من أول سورة البقرة إلى آخر الإسراء بتتمة على نمطه من ذكر ما يفهم به كلام الله تعالى والاعتماد

أن تفسير النصف الثاني قد احتوى على المعنى العزيز، وانطوى على اللفظ الوجيز، فلم ينسج أحد على منواله. قوله: **(الراغبين)** أي: المحبين والمريدين لتكميل هذا الكتاب بالتأليف، وتستعمل الرغبة متعدية بنفسها، وبفي في المحبة والميل، ومتعدية بعن للزهد في الشيء والكراهية له. قوله: **(تفسير القرآن)** المراد منه ما يعم التأويل، والفرق بينهما أن التفسير هو التوضيح لكلام الله أو رسوله أو الآثار أو القواعد الأدبية العقلية، وأما التأويل فهو أن يكون الكلام محتملاً لمعان فتقصره على بعضها كما في **﴿ويبقى وجه ربك﴾** والقرآن في اللغة مأخوذ من القرء وهو الجمع، وفي الإصطلاح اللفظ المنزل على النبي ﷺ المتعبد بتلاوته ووصفه بالكريم، لأن نفعه ليس قاصراً بل عم الخلق جميعاً في الدنيا والآخرة. واعلم أن المدرسين وإن تباينت مراتبهم في العلم، ثلاثة أصناف، **الأول**: من إذا درس آية اقتصر على ما فيها من المنقول، وأقوال المفسرين، وأسباب النزول، والمناسبة، وأوجه الإعراب، ومعاني الحروف. **والثاني**: من يأخذ في وجوه الإستنباط منها، ويستعمل فكره بمقدار ما آتاه الله من الفهم، ولا يشتغل بأقوال السابقين اعتماداً على كونها موجودة في بطون الأوراق لا معنى لذكرها. **والثالث**: من يرى الجمع بين الأمرين والتحلي بالوصفين، ولا يخفى أنه أرفع الأصناف، ومن هذا الصنف الجلال المحلي والجلال السيوطي رضي الله عنهما وعنا بهما.

قوله: **(الذي ألفه)** صفة للتفسير مخصصة له. قوله: **(الإمام)** هو لغة المقدم واصطلاحاً من بلغ رتبة أهل الفضل. قوله: **(العلامة)** مبالغة في العلم، ومعناه الجامع بين المعقول والمنقول بأبلغ وجه. قوله: **(المحقق)** أي الآتي بأدلة على الوجه الحق. قوله: **(جلال الدين)** لقب له ومعناه ذو جلالة في الدين أو مجل ومعظم له لأنه شيده وأظهر قواعده. قوله: **(محمد)** هو اسمه، و قوله: **(ابن أحمد)** هو اسم أبيه. قوله: **(المحلي)** بفتح الحاء نسبة للمحلة الكبرى مدينة من مدن مصر مشهورة ولد سنة سبعمائة وإحدى وتسعين وتوفي سنة ثمانمائة وأربع وستين، فعمره ثلاث وسبعون، وقبر قبالة باب النصر مشهور. قوله: **(الشافعي)** نسبة للإمام أبي عبد الله محمد بن ادريس.

قوله: **(وتتميم)** بالرفع عطف على ما في قوله ما اشتدت إليه حاجة الراغبين، أو بالجر عطف عى قوله في تكملة تفسير القرآن وذكره، وإن علم مما قبله توطئة للأوصاف التي ذكرها بقوله على نمطه الخ، وفي التعبير بالتتميم تسمح من حيث إن ما أتى به السيوطي تتميم لما أتى به المحلي لا لما فاته، إذ الذي فاته هو نفس ما أتى به السيوطي. وقوله: **(وهو من أول الخ)** الضمير راجع لما فاته أو للتتميم، لما علمت أن ما فاته والتتميم مصدوقهما واحد وهو تفسير السيوطي. وقوله: **(من أول سورة البقرة إلخ)** أي وأما الفاتحة ففسرها المحلي، فجعلها السيوطي في آخر تفسير المحلي لتكون منضمة لتفسيره، وابتداء هو من أول البقرة. قوله: **(بتتمة)** متعلق بتتميم والباء بمعنى مع، أي هذا التتميم الذي أتى به السيوطي تفسيراً للنصف الأول مصاحب لتتمة، والمراد بها ما ذكره بعد فراغه من سورة الإسراء بقوله هذا آخر ما كملت به تفسير القرآن الكريم إلخ. قوله: **(على نمطه)** حال من التتميم، أي حال كون هذا التتميم كائناً على نمط تفسير المحلي أي طريقته وأسلوبه. قوله: **(من ذكر ما يفهم إلخ)** بيان للنمط.

على أرجح الأقوال وإعراب ما يحتاج إليه وتنبيه على القراءات المختلفة على وجه لطيف وتعبير وجيز وترك التطويل بذكر أقوال غير مرضية وأعاريب محلها كتب العربية، والله أسأل النفع به في الدنيا وأحسن الجزاء عليه في العقبى بمنه وكرمه.

قوله: **(والاعتماد)** بالجر عطف على ذكر أي والإقتصار على أرجح الأقوال، وكذا قوله وإعراب وتنبيه إلخ. قوله: **(وتنبيه إلخ)** نكر هذا المصدر دون ما قبله، إشارة إلى قلة التنبيه المذكور وإنه لم ينبه على جميع القراءات المختلفة. قوله: **(المختلفة)** أي المتنوعة وتنوعها من سبعة أوجه، لأنه إما من حيث الشكل فقط كالبخل والبخل قرىء بهما والمعنى واحد، وإما من حيث المعنى فقط نحو: (فتلقى آدم من ربه كلمات)، برفع آدم ونصب كلمات وعكسه قرىء بهما أيضاً، وإما من حيث اللفظ والمعنى وصورة الحرف واحدة نحو (تبلو كل نفس) وتتلو قرىء بهما وصورة الباء والتاء واحدة بقطع النظر عن النقط، وإما أن يكون الاختلاف في صورة الحرف لا في المعنى كسراط وصراط، وإما من حيث اللفظ والمعنى وصورة الحرف نحو فاسعوا وامضوا قرىء بهما، وإما من حيث الزيادة والنقص كأوصى ووصى، وإما من حيث التقديم والتأخير كيقتلون ويقتلون بتقديم المبني للفاعل على المبني للمفعول وبالعكس. قوله: **(على وجه لطيف)** متعلق بالمصادر الأربعة قبله والمراد باللطيف هنا القصير فعطف قوله وتعبير وجيز للتفسير.

قوله: **(وترك التطويل)** معطوف على وجه لطيف وهو تصريح بما علم من قوله، وتعبير وجيز إذ يلزم من كونه وجيزاً أن لا يكون طويلاً. قوله: **(بذكر أقوال)** متعلق بتطويل وقوله: **(غير مرضية)** أي عند المفسرين. قوله: **(وأعاريب)** معطوف على أقوال. قوله: **(والله أسأل النفع به)** أي بالتتميم المذكور. قوله: **(بمنه وكرمه)** الباء فيه للتوسل أي أتوسل إليه بصفتيه العظيمتين، وهما منه الذي هو تفضله على عباده بالعطايا، وكرمه الذي هو إيصال فضله للبار والفاجر.





مدنية وآياتها سِتّ وثمانون ومَائتَان

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
سورة البقرة مدنية
مائتان وست أو سبع وثمانون آية

قوله: **(سورة البقرة إلخ)** مبتدأ و**(مدنية)** خبر أول و**(مائتان)** الخ خبر ثان، ويؤخذ من هذا أن تسميتها بما ذكر غير مكروه، خلافاً لمن قال بذلك وادعى أنه إنما يقال السورة التي تذكر فيها البقرة، وأسماء السور توقيفية وكذا ترتيبها على التحقيق كما تقدم، والسورة مأخوذة من سور البلد، لارتفاع رتبتها وإحاطتها وهي طائفة من القرآن لها أول وآخر وترجمة باسم خاص بها بتوقيف كما سبق، والراجح أن المكي ما نزل قبل الهجرة ولو في مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة ولو في غير المدينة، قوله: **(وثمانون آية)** قيل: أصلها أبية قلبت عينها ألفاً على غير قياس، وهي في العرف طائفة من كلمات القرآن متميزة بفصل وقد تكون كلمة مثل: والفجر والضحى والعصر وكذا: الم وطه ويس ونحوهما عند الكوفيين وغيرهم لا يسميها آيات بل يقول هي فواتح السور وعن أبي عمرو الداني لا أعلم كلمة هي وحدها آية إلا قوله تعالى: (مدهامتان).

فائدة: ـ قال ابن العربي: سورة البقرة فيها ألف أمر وألف نهي وألف حكم وألف خبر أخذها بركة وتركها حسرة لا تستطيعها البطلة وهم السحرة إذا قرئت في بيت لم تدخله مردة الشياطين ثلاثة أيام ـ. وروى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر وإن الشياطين يفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة» وعنه في رواية: «لكل شيء سنام وسنام القرآن سورة البقرة» وفي رواية: «سيدة أي القرآن، آية الكرسي».

فائدة أخرى: في الكلام على الاستعاذة ولفظها المختار أعوذ بالله من الشيطان الرجيم عند مالك وأبي حنيفة والشافعي لقوله تعالى: (فأذا قرأت القرآن فاستعذ بالله الشيطان الرجيم) وقال أحمد: الأولى أن يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم جمعاً بين هذه الآية وآية فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم. وقال الثوري والأوزاعي: الأولى أن يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم، فاتفق الجمهور على أنه يستحب لقارىء القرآن خارج الصلاة أن يتعوذ، وحكي عن عطاء

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿ الٓمٓ ﴾ ⟨١⟩ الله أعلم بمراده بذلك، ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي هذا

وجوبها. وقال ابن سيرين: إذا تعوذ الرجل في عمره مرة واحدة كفى في إسقاط الوجوب. ووقت الإستعاذة قبل القراءة عند الجمهور. وحكي عن النخعي أنه بعد القراءة، وهو قول داود وأحد الروايتين عن ابن سيرين، ومعنى أعوذ بالله ألتجىء اليه وأتحصن به مما اخشاه، والشيطان أصله من شطن أي بعد عن الرحمة وقيل من شاط بمعنى احترق وهو اسم لكل عات من الأنس والجن، والرجيم فعيل بمعنى فاعل أي راجم بالوسوسة والشر، وقيل بمعنى مفعول أي مرجوم بالشهب عند استراق السمع أو بالعذاب أو مطرود عن الرحمة والخيرات، فحكمة الاستعاذة تطهير القلب من كل شيء يشغل عن الله تعالى، فإن في تعوذ العبد بالله إقراراً بالعجز والضعف واعترافاً بقدرة الباري وأنه الغنى القادر على دفع المضرات وإن الشيطان عدو مبين وقد دخل منه في الحصن الحصين.

قوله: (**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ**) اختلف الأئمة في كون البسملة من الفاتحة وغيرها من السور سوى سورة براءة، فذهب الشافعي وجماعة من العلماء إلى أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة ذكرت في أولها سوى سورة براءة، وقال به جماعة من الصحابة، وذهب الأوزاعي ومالك وأبو حنيفة إلى أن البسملة ليست آية من الفاتحة، وزاد أبو داود ولا من غيرها من السور وإنما هي بعض آية في سورة النمل وإنما كتبت للفصل والتبرك، قال مالك ويكره استفتاح صلاة الفرض بها، واختلفت الرواية عن أحمد في كونها في الفاتحة أو لا والأحسن أن يقدر متعلق الجار هنا قولوا، لأن هذا المقام مقام تعليم صادر عن حضرة الرب تعالى.

قوله: (**الم**): اعلم أن مجموع الأحرف المنزلة في أوائل السور أربعة عشر حرفاً وهي نصف حروف الهجاء، وقد تفرّقت في تسع وعشرين سورة: المبدوء بالألف واللام منها ثلاث عشرة، وبالحاء والميم سبعة، وبالطاء أربعة، وبالكاف واحدة، وبالباء واحدة، وبالصاد واحدة، وبالقاف واحدة، وبالنون واحدة، وبعض هذه الحروف المبدوء بها أحادي وبعضها ثنائي وبعضها ثلاثي وبعضها رباعي وبعضها خماسي ولا تزيد. قوله: (**الله أعلم بمراده بذلك**) أشار بهذا إلى أرجح الأقوال في هذه الأحرف التي ابتدأ بها تلك السور، وهو أنها من المتشابه جرياً على مذهب السلف القائلين باختصاص الله تعالى بعلم المراد منه، وعلى هذا فلا محل لها من الإعراب، لأنه فرع إدراك المعنى فلا يحكم عليها بإعراب ولا بناء ولا بتركيب مع عامل، ومقابل هذا أقوال: قيل إنها اسماء للسور التي ابتدئت بها، وقيل اسماء للقرآن، وقيل لله تعالى، وقيل كل حرف منها مفتاح اسم من اسمائه تعالى، أي جزء من اسم، فالألف مفتاح لفظ الجلالة، واللام مفتاح اسم لطيف، والميم مفتاح اسم مجيد، وهكذا، وقيل كل حرف منها يشير إلى نعمة من نعم الله، وقيل إلى ملك، وقيل إلى نبي، وقيل الألف تشير إلى آلاء الله، واللام إلى لطف الله، والميم إلى ملك الله، وعلى هذه الأقوال فلها محل من الإعراب، فقيل الرفع، وقيل النصب، وقيل الجر، فالرفع على أحد وجهين، إما بكونها مبتدأ، وإما بكونها خبراً، والنصب على أحد وجهين أيضاً: إما باضمار فعل لائق تقديره اقرؤوا مثلاً وإما باسقاط حرف القسم كقول الشاعر:

إذا ما الخبز تأدمه بلحم ... فذاك أمانة الله الثريد

يريد وأمانة الله والجر بوجه واحد وهو أنها مقسم بها حذف حرف القسم وبقي عمله، أجاز ذلك الزمخشري وإن كان ضعيفاً لأن ذلك من خصائص الجلالة المعظمة لا يشاركها فيه غيرها.

﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ الذي يقرؤه محمد ﴿لَارَيْبَۛ﴾ لا شك ﴿فِيهِۛ﴾ أنه من عند الله وجملة النفي خبر مبتدؤه ذلك والإشارة به للتعظيم ﴿هُدًى﴾ خبر ثان أي هاد ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٢﴾ الصائرين إلى التقوى بامتثال

قوله: (ذَلِكَ) اسم الإشارة مبتدأ واللام للبعد والكاف حرف خطاب والكتاب نعت لاسم الإشارة أو عطف بيان وجملة لا ريب فيه خبر كما قال المفسر. قوله: (أي هذا) أشار بذلك إلى أن حق الإشارة أن يؤتى بها للقريب وسيأتي الجواب عنه. قوله: (الْكِتَابُ) بمعنى المكتوب وهو القرآن، إن قلت إن القرآن قريب فلا يشار له بإشارة البعيد، أجاب المفسر بقوله والإشارة به للتعظيم، أي والقرآن وإن كان قريباً منا إلا أنه مرفوع الرتبة وعظيم القدر من حيث إنه منزه عن كلام الحوادث، وذلك كمناداة المولى سبحانه وتعالى بيا التي ينادي بها البعيد مع كونه أقرب إلينا من حبل الوريد، لكونه سبحانه منزها عن صفات الحوادث، فنزل تنزهه عن الحوادث منزلة بعدنا عنه، والكتاب في الأصل مصدر يطلق بمعنى الجمع. قوله: (الذي يقرؤه محمد) أي وهو القرآن احترز بذلك عن باقي الكتب السماوية. قوله: (لا شك) هذا أحد معان ثلاثة والثاني النهمة والثالث القلق والإضطراب وكلها منزه عنها القرآن لخروجه عن طاقة البشر، قال تعالى: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) الآية. إن قلت إن قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ خبر وهو لا يتخلف، مع أن بعض الكفار ارتاب فيه حيث قالوا: سحر وكهانة وأساطير الأولين إلى غير ذلك، أجيب بأجوبة أحسنها أن قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي لمن أذعن وأقام البرهان وتأمل، فلا ريب فيه للعارفين المنصفين، وأما من عاند فلا يعتد به، (إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل) ومنها أن معنى قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي لا ينبغي أن يرتاب فيه لقيام الأدلة الواضحة على كونه من عند الله. ومنها أن المعنى ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي للمؤمنين، وأما الكافرون فلا يعتد بهم، فالجواب الأول عام، فمن تأمل لا يحصل له ريب مسلماً أو كافراً أو جحده بعد ذلك عناداً، والجواب الثاني أنه نفي بمعنى النهي، والثالث خاص بالمسلم. قوله: (أنه من عند الله) بفتح الهمزة بدل من الضمير في قوله: ﴿فِيهِ﴾ ويدل على قوله تعالى في الآية الأخرى ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ من ﴿رب العالمين﴾. قوله: (والإشارة به للتعظيم) تقدم أن هذا الجواب عن سؤال مقدر، إن قلت إنه لا يشار إلا المحسوس أو الإشارة لما في المصاحف أو اللوح المحفوظ.

قوله: (هُدى) أي رشاد وبيان، وهو مصدر إما بمعنى اسم الفاعل وهو الذي اقتصر عليه المفسر أي مرشد ومبين، والإسناد له مجاز عقلي من الإسناد للسبب أو ذو هدى أو بولغ فيه حتى جعل نفس الهدى على حد: زيد عدل. قوله: (للمتقين) إن قلت إن القرآن هدى بمعنى مبين طريق الحق من الباطل للناس مؤمنهم وكافرهم فلم خص المتقين؟ أجيب بأنه خصهم بالذكر لكونهم انتفعوا بثمرته عاجلاً وآجلاً وهذا إن أريد به البيان حصل وصول للمقصود أم لا، وأما إن أريد به الوصول للمقصود فالتخصيص ظاهر، وأصل متقين متقيين استثقلت الكسرة على الياء الأولى فحذفت الياء فالتقى ساكنان حذفت الياء لإلتقاء الساكنين. قوله: (الصائرين إلى التقوى) اشار بذلك إلى أن في الكلام مجاز الأول أي المتقين في علم الله أو من يؤول إلى كونهم متقين، فهو جواب عن سؤال مقدر حاصله أنهم إذا كانوا متقين فهم مهتدون فلا حاجة له. قوله: (بامتثال الأوامر) يصح أن تكون سببية أو للتصوير. وقوله: (واجتناب النواهي) عطف عليه، والمعنى أن امتثال الأوامر على حسب الطاقة واجتناب النواهي جميعها سبب للتقوى أو هي مصورة بذلك. قوله: (لاتقائهم) علة لتسميتهم متقين. قوله: (بذلك) أي المذكور وهو امتثال الأوامر واجتناب

الأوامر واجتناب النواهي لاتقائهم بذلك النار ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ ﴾ يصدقون ﴿ بِٱلْغَيْبِ ﴾ بما غاب عنهم من البعث والجنة والنار ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي يأتون بها بحقوقها ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ﴾ أعطيناهم ﴿ يُنفِقُونَ ﴾ ٣ في طاعة الله ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ أي القرآن ﴿ وَمَآ أُنزِلَ مِن

النواهي، وهذا إشارة إلى تقوى الخواص وتحتها تقوى العوام وهي تقوى الشرك وفوقها تقوى خواص الخواص وهي تقوى ما يشغل عن الله. قال العارف:

ولو خطرت لي في سواك إرادة   على خاطري يوماً حكمت بردتي

والآية في حد ذاتها شاملة للمراتب الثلاث.

قوله: ﴿الذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ هذا تفصيل لبعض صفات المتقين وخصها لأنها أعلى الأوصاف، وهو في محل جر صفة للمتقين، أو رفع خبر لمحذوف، أو نصب مفعول لمحذوف، ويصح أن يكون مستأنفاً مبتدأ خبره قوله: ﴿أولئكَ على هُدىً﴾، وعلى هذا فالوقف على المتقين تام لعدم ارتباطه بما بعده، وعلى الإعراب الأول فهو حسن لأنه رأس آية وإن كان له ارتباط بما بعده. قوله: (بما غاب) أشار بذلك إلى إطلاق المصدر وإرادة اسم الفاعل، وما غاب عنا قسمان ما دل عليه عقلي أو سمعي، كالجنة والنار والملائكة والعرش والكرسي واللوح والقلم والمولى سبحانه وتعالى وصفاته، وما لم يدل عليه كالساعة ووقت نزول المطر، وما في الأرحام وباقي الخمسة المذكورة في الآية. وأما الشهادة فهي ما ظهر لنا حساً أو عقلاً ببداهة العقل كالواحد نصف الأثنين وأن الجرم متحيز. قوله: (من البعث إلخ) بيان لما. و قوله: (والجنة والنار) عطف عليه، أي ونحو ذلك مما قام لنا الدليل عليه، ويحتمل أن يبقى الغيب على مصدريته والباء متعلقة بمحذوف حال أي إيماناً ملتبساً بحالة الغيبة، ففيها بيان لحال المؤمنين الخالصين وتعريض لحال المنافقين، فإنهم كانوا يؤمنون ظاهراً فقط، فمدح الله من يؤمن في حال غيبته عن كل أحد كما يؤمن ظاهراً، ويحتمل أن المراد بالغيب القلب سمي بذلك لخفائه أي يؤمنون بحالة السر وهو الإيمان القلبي، فالمصدر باق على حاله وفيه رد على المنافقين أيضاً حيث قالوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم.

قوله: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ﴾ إما مأخوذة من الصلاة اللغوية بمعنى الدعاء لأنها مشتملة عليه في الركوع والسجود وعليه فأصلها صلوة تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، وقيل من الوصلة لأنها وصلة بين العبد وبين ربه، وعليه فأصلها وصلة قلبت ألفاً مكانياً فصار صلوة تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً. وقوله: ﴿يُقِيمُونَ﴾ من قومت العود عدلته. قوله: (أي يأتون بها بحقوقها) أي الظاهرية كالشروط والآداب والأركان، والباطنية كالخشوع والخضوع والإخلاص. قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ فيه حذف نون من التبعيضية لفظاً وخطاً لإدغامها في ما الموصولة، ورزقنا صلة الموصول ونا فاعل والهاء مفعول أول وحذف المفعول الثاني فيصح تقديره متصلاً أي رزقناهموه، أو منفصلاً أي رزقناهم إياه على حد قول ابن مالك وصل أو افصل هاء سلنيه. قوله: (أعطيناكم) أشار بذلك إلى أن الرزق معناه الملك، وليس المراد به الرزق الحقيقي، إذ لا يتأتى تعديه لغيره وقدم الجار والمجرور للإهتمام. قوله: ﴿يُنْفِقُونَ﴾ إي إنفاقاً واجباً كالزكاة والنفقة على الوالدين والعيال، أو مندوباً كالتوسعة على العيال ومواساة الأقارب والفقراء. قوله: (في طاعة الله) في تعليله أي من أجل طاعة الله لا رياء ولا سمعة، قال الله تعالى: (إنما نطعمكم لوجه الله).

﴿قَبۡلِكَ﴾ أي التوارة والإنجيل وغيرهما ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ يعلمون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ الفائزون بالجنة الناجون من النار ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ كأبي جهل وأبي لهب ونحوهما ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً

قوله: (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ) معطوف على الموصول الأول وهو نوع آخر للمتقين، فإنها أنزلت فيمن كان آمن بعيسى وأدرك النبي ﷺ كعبد الله بن سلام وعمار بن ياسر وسلمان والنجاشي وغيرهم. وأما النوع الأول فهم مشركو العرب الذين لم يرسل لهم غيره ﷺ فنزلت فيهم الآية الأولى. قوله: ﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ نزل المستقبل منزلة الماضي لتحقق الوقوع لأنه لم يكن تم نزوله. قوله: ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي فلم يفرقوا بين الأنبياء بحيث يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض. قوله: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ قدم الجار والمجرور لإفادة الحصر وأتى بالجملة الأسمية لأنه أعلى من الإنفاق. قوله: (يعلمون) أي علماً لا شك فيه ولا ريب، ولذا اتصف مولانا بالعلم ولم يتصف باليقين، وفيه رد على من أنكر الآخرة ممن لم يؤمن بمحمد.

قوله: ﴿أُوْلَئِكَ﴾ (الموصوفون بما ذكر) إنا قلنا إن قوله الذين يؤمنون الخ وصف للمتقين كان ماهنا مبتدأ وخبراً بيان لعاقبة المتقين وإن قلنا إنه مستأنف مبتدأ كان ماهنا خبره. قوله: ﴿عَلَى هُدًى﴾ عبر بعلى إشارة إلى تمكنهم من الهدى كتمكن الراكب من المركوب. قوله: (الناجون من النار) أي ابتداء وانتهاء، وعطف الجملتين إشارة إلى تغايرهما وأن كلا غاية في الشرف، وأن الثانية مسببة على الأولى.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جرت عادة الله سبحانه وتعالى في كتابه أنه إذا ذكر بشرى المؤمنين يذكر بلصقها وعيد الكافرين، فذكر حال الكافرين ظاهراً وباطناً، وثم ذكر حال الكافرين باطناً وهم المنافقون، وأنهم أسوأ حالاً من الكافرين ظاهراً وباطناً، وإن حرف توكيد ونصب والذين كفروا اسمها وجملة لا يؤمنون خبرها، وجملة سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم معترضة بين اسم إن وخبرها، وإعرابها أن تقول على المشهور سواء اسم مصدر مبتدأ بمعنى مستو، وسوغ الإبتداء به تعلق الجار والمجرور به، وأأنذرتهم أم لم تنذرهم مؤول بمفرد خبر تقديره مستو عليهم إنذارك وعدمه، وهو فعل مسبوك بلا سابك، إن قلت إن خبر المبتدأ إذا وقع جملة لا بدله من رابط. اجيب بأن الخبر عن المبتدأ في المعنى وهو يكفي في الربط، وأجيب ايضاً بأن محل الإحتياج للرابط ما لم يؤول الخبر بمفرد وإلا فلا يحتاج للرابط، وقولهم لا بد للفعل من سابك اغلبي ويصح العكس، وهو أن الجملة مبتدأ مؤخر وسواء خبر مقدم. قوله: (ونحوهما) أي من كفار مكة الذين سبق علم الله بعدم ايمانهم، والحكمة في إخبار الله نبيه بذلك ليريح قلبه من تعلقه بإيمانهم فلا يشغل بهدايتهم ولا تأليفهم، ويحتمل أن ذلك إعلام من الله لنبيه بمن كفر من أول الزمان إلى آخره لأنه أطلعه على النار وعلى أعد لها من الكفار، والحكمة في عدم الدعاء منه عليهم مع علمه بأنه يستحيل إيمانهم أنه يرجو الإيمان من ذريتهم. قوله: (بتحقيق الهمزتين) أي مع مدة بينهما مداً طبيعياً وتركه فهما قراءتان. قوله: (وإبدال الثانية ألفاً) أي مداً لازماً وقدره ست حركات. وقوله: (وتسهيلها) أي بأن تكون بين الهمزة والهاء. وقوله: (وادخال الف) الواء بمعنى مع، فحاصله أن القراءات خمس: قراءتان مع التحقيق وقراءتان مع التسهيل وقراءة مع الإبدال، وكلها سبعية على التحقيق، خلافاً للبيضاوي حيث قال إن قراءة الإبدال لحن لوجهين: الأول أن الهمزة المتحركة لا تبدل

وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ لعلم الله منهم ذلك فلا تطمع في إيمانهم، والإنذار إعلام مع تخويف ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ طبع عليها واستوثق فلا يدخلها خير ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ أي مواضعه فلا ينتفعون بما يسمعونه من الحق ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ غطاء فلا يبصرون الحق ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾ قوي دائم .ونزل في المنافقين ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ أي يوم القيامة لأنه آخر الأيام ﴿وَمَا هُم

الفاً، والثاني أن فيه التقاء الساكنين على غير حده، رد عليه ملا علي قاري بأن القراءة متواترة عن رسول الله، ومن أنكرها كفر، فيستدل بها لا لها، وأما قوله أن الهمزة المتحركة لا تبدل الفاً محله في القياسي، وأما السماعي فلا لحن فيه لأنه يقتصر فيه على السماع، وقوله فيه التقاء الساكنين على غيره حده تقول سهله طول المد والسماح، وأما قولهم كل ما وافق وجه النحو الخ، محله في قراءة الآحاد لا في المتواترة، وإلا فالتواتر نفسه حجة على غيره لا يحتج له. قوله: **(إعلام مع تخويف)** أي في وقت يسع التحرز من الأمر المخوف، وإلا فيسمى إخباراً بالعذاب.

قوله: **﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾** هذا وما بعده كالعلة والدليل لما قبله، والمراد بالقلوب العقول وهي اللطيفة الربانية القائمة بالشكل الصنوبري قيام العرض بالجوهر أو قيام حرارة النار بالفحم. قوله: **(طبع عليها)** هذا إشارة إلى المعنى الأصلي فأطلقه وأراد لازمه وهو عدم تغيير ما في قلوبهم بدليل قوله فلا يدخلها خير، وفي القلوب استعارة بالكناية، حيث شبه قلوب الكفار بمحل فيه شيء مختوم عليه وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو الختم فإثباته تخييل. قوله: **(أي مواضعه)** إنما قدر ذلك المضاف لأن السمع معنى من المعاني لا يصح اسناد الختم لها. وإفراده، إما لأنه مصدر لا يثنى ولا يجمع، أو لكون المسموع واحداً، وتم الوقف على قوله: **﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾** وقوله: **﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ﴾** خبر مقدم و: **﴿غِشَاوَةٌ﴾** مبتدأ مؤخر جملة مستأنفة نظير قوله تعالى: **﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾** الآية، والمراد من الغشاوة عدم وصول النور المعنوى لهم. فأطلق اللازم وأراد الملزوم وخص الثلاثة لأنها طرق العلم بالله. قوله: **﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾** العذاب هو إيصال الآلام للحيوان على وجه الهوان. قوله: **(قوي دائم)** إنما فسره بذلك لأن الأصل في العظم أن يكون وصفاً للأجسام فلذلك حول العبارة. قوله: **(ونزل في المنافقين)** أي في أحوالهم وهوانهم واستهزاء الله بهم وضرب الأمثال فيهم وعاقبة أمرهم، وجملة ذلك ثلاث عشرة آية آخرها (إن الله على كل شيء قدير) وأخرهم عن المؤمنين والكافرين ظاهراً أو باطناً إشارة إلى أنهم أسوأ حالاً من الكفار.

قوله: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ﴾** يحتمل أن الجار والمجرور خبر مقدم، ومن اسم موصول أو نكرة موصوفة مبتدأ مؤخرة، وجملة يقول إما صلة أو صفة، والمعنى الذي يقول أو فريق يقول ما ذكر كائن من الناس ورد ذلك بأنه لا فائدة في ذلك الأخبار، والحق أن يقال إن من اسم بمعنى بعض مبتدأ أو جربها لأنها صورة الحرف أو صفة لمحذوف بمبتدأ تقديره فريق من الناس، وخبره قوله: (من يقول) الخ وعهده جعل الظرف مبتدأ حيث كان تمام الفائدة بما بعده كقوله تعالى: (ومنا دون ذلك) وقوله تعالى: (ومنهم يؤذون النبي)، وأصل ناس إناس أتى بأل بدل الهمزة مشتق من التأنس لتأنس بعضهم ببعض، وتسمية الأنس به حقيقة، والجن مجاز وقيل مشتق من ناس إذا تحرك، وعليه فتسمية الجن به حقيقة أيضاً والحق الأول، ولذا

بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٨﴾ روعي فيه معنى من وفي ضمير يقول لفظها ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ باظهار خلاف ما أبطنوه من الكفر ليدفعوا عنهم أحكامه الدنيوية ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ لأن وبال خداعهم راجع إليهم فيفتضحون في الدنيا بإطلاع الله نبيه على ما أبطنوه ويعاقبون في الآخرة ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٩﴾ يعلمون أن خداعهم لأنفسهم والمخادعة هنا من واحد كعاقبت اللص وذكر الله فيها

قيل لم يوجد منافق أو مشرك إلا في بني آدم فقط وكفر الجن بغير الإشراك والنفاق وهو جمع إنسان أو إنسي، والمراد من المنافقين هنا بعض سكان البوادي بعض أهل المدينة في زمنه ﷺ وخير ما فسرته بالوارد، قال تعالى: (وممن حولكم من الإعراب منافقون ومن أهل المدينة) الآية.

قوله: ﴿وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ أعاد الجار لإفادة تأكد دعواهم الإيمان بكل ما جاء به رسول الله، فرد عليهم المولى بأبلغ رد بقوله: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينْ﴾ حيث أتى بالجملة الإسمية وزاد الجار في الخبر. قوله: **(لأنه آخر الأيام)** علة لتسميته اليوم الآخر، والمراد بالأيام الأوقات، وهل المراد الأوقات المحدودة وهو بناء على أن أوله النفخة وآخره الإستقرار في الدارين أو الأوقات الغير المحدودة بناء على أنه لا نهاية له. قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينْ﴾ جملة اسمية تفيد الدوام والإستمرار، أي لم يتصفوا بالإيمان في حال من الأحوال، لا في الماضي ولا في الحال ولا في الإستقبال.

قوله: ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ﴾ هذا جواب عن سؤال مقدر تقديره ما الحامل لهم عن إظهار الإيمان وإخفاء الكفر، وحقيقة المخادعة أن يظهر لصاحبه أنه موافق ومساعد له على مراده، والواقع أنه ساع في إبطال مراده، فاظهار خلاف ما يبطن إن كان في الدين سمي نفاقاً وخديعة ومكراً، وإن كان في الدنيا بأن يصانع أهل الدنيا لأجل حماية الدين ووقايته تسمى مداراة وهي ممدوحة. قوله: (من **الكفر**) بيان لما أبطنوه. قوله: **(ليدفعوا)** علة للإظهار. قوله: **(أحكامه)** أي الكفر. و قوله: **(الدنيوية)** أي الكائنة في الدنيا وذلك كالقتل والسبي والجزية والذل، ولو قصدوا دفع أحكامه الأخروية من الخلود في النار وغضب الجبار لأخلصوا في إيمانهم. قوله: **(لأن وبال خداعهم)** أي عذابه وعاقبة أمره. قوله: **(راجع إليهم)** قال تعالى: (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله). قوله: **(فيفتضحون)** تفريع على قوله: **(لأن وبال خداعهم إلخ)** قوله: **(بإطلاع الله نبيه)** أي وأمره بإخراجهم من المسجد ونزل فيهم: (ولا تصل على أحد منهم) الآيات. قوله: **(ويعاقبون في الآخرة)** أي العذاب الدائم المؤبد في الدرك الأسفل. قوله: **(يعلمون)** سمى العلم شعوراً لأنه يكون بأحد المشاعر الخمس وهي: الشم والذوق واللمس والسمع والبصر. قوله: **(والمخادعة هنا من واحد)** أي فليست على بابها وهو جواب عن سؤال تقديره إن المفاعلة تكون من الجانبين، وفعل الله لا يقال فيه مخادعة، فأجاب بما ذكر، وقد ورد سؤال آخر حاصله أن الخداع لا يكون إلا لمن تخفى عليه الأمور، فما معنى إسناد المخادعة إلى الله أجيب بأن في الكلام استعارة تمثيلية، حيث شبه حالهم مع ربهم في إيمانهم ظاهراً لا باطناً بحال رعية تخادع سلطانها واستعير اسم المشبه به للمشبه، أو مجاز عقلي، أي يخادعون رسول الله من اسناد الشيء إلى غير من هو له أو مجاز بالحذف، أو في الكلام تورية وهي أن يكون للكلام معنى قريب وبعيد، فيطلق القريب ويراد البعيد وهو مطلق الخروج عن الطاعة باطناً، وإن كان العامل لا تخفى عليه خافية، وأشار المفسر لذلك كله بقوله: **(وذكر الله فيها تحسين)** أي

تحسين وفي قراءة وما يخدعون ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ شك ونفاق فهو يمرض قلوبهم أي يضعفها ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ بما أنزله من القرآن لكفرهم بـه ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ مؤلم ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ ﴿١٠﴾ بالتشديد أي نبي الله وبالتخفيف أي في قولهم آمنا ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي لهؤلاء ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالكفر والتعويق عن الإيمان ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ ﴿١١﴾ وليس ما نحن فيه بفساد قال الله تعالى رداً عليهم ﴿أَلَا﴾ للتنبيه ﴿إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿١٢﴾ بذلك

بذكر المجاز لأنه أبلغ من الحقيقة. قوله: ﴿في قلوبهم مرض﴾ يطلق على الحسي وهو الحرقة، وعلى المعنوي وهو الشك والنفاق، ولا شك أن في قلوبهم المرضين والمعنوي سبب في الحسي، فقوله: (شك ونفاق) إشارة للمرض المعنوي، وقوله: (فهو يمرض قلوبهم) بيان لما يتسبب عنه، وهو إشارة للحسي، وهي في محل التعليل لما قبلها قوله: (بما أنزله من القرآن) أشار بذلك إلى أن نزول القرآن يزيد الكافر والمنافق مرضاً بمعنى كفراً وشكاً فينشأ عنه المرض الحسي، كما يزيد المؤمن إيماناً فينشأ عنه البهجة والسرور، قال تعالى: (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً) الآيات. ويحتمل أن المراد بما أنزله أي في حقهم من فضيحتهم خصوصاً بسورة التوبة فإنها تسمى الفاضحة. قوله: (مؤلم) يقرأ اسم مفعول أي العذاب يتألم من شدته فكأنه لشدته كأن الألم قائم به وهو أبلغ، ويصح قراءته اسم فاعل ولا بلاغة فيه. قوله: (أي نبي الله) إشارة إلى المفعول، وقوله: (أي في قولهم) إشارة إلى المتعلق على القراءة الثانية.

قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ شروع في ذكر قبائحهم وأحوالهم الشنيعة، وفي الحقيقة هو تفصيل للمخادعة الحاصلة منهم، وهذه الجملة يحتمل أنها استئنافية، ويحتمل أنها معطوفة على يكذبون أو على صلة من وهي يقول التقدير من صفاتهم أنهم يقولون آمناً إلخ، ومن صفاتهم أنهم ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ إلخ، وأصل قيل قول استثقلت الكسرة على الواو فنقلت إلى ما قبلها بعد سلب حركتها ثم وقعت الواو ساكنة بعد كسرة قلبت ياء، وفاعل القول قيل الله سبحانه وتعالى وقيل النبي والصحابة ومقول القول جملة (لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ) في محل نصب وهي نائب الفاعل باعتبار لفظها. قوله: (بالكفر) الباء سببية بيان لسبب الإفساد، وقوله: (والتعويق عن الإيمان) معطوف عليه أي تعويق الغير عن الإيمان وصدهم عنه. قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ أي ليس شأننا الإفساد أبداً، بل نحن محصورون للإصلاح ولا نخرج عنه إلى غيره فهو في حصر المبتدأ في الخبر، وأكدوا ذلك بإنما المفيدة الحصر، وبالجملة الإسمية المفيدة الدوام والإستمرار، فرد عليهم سبحانه وتعالى بجملة مؤكدة بأربع تأكيدات إلا التي للتنبيه وإن وضمير الفصل وتعريف الخبر. قوله: (للتنبيه) وتأتي أيضاً للإستفتاح وللعرض والتحضيض، وفي الحقيقة الإستفتاح والتنبيه شيء واحد، وتدخل إذا كانت لهما على الجملة الإسمية والفعلية، وأما إذا كانت للعرض والتحضيض، فإنها تختص بالأفعال وهي بسيطة على التحقيق لا مركبة من همزة الإستفهام ولا النافية. قوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ (بذلك) أي ليس عندهم شعور بالإفساد لطمس بصيرتهم، وعبر بالشعور دون العلم، إشارة إلى أنهم لم يصلوا إلى رتبة البهائم تمتنع من المضار فلا تقربها لشعورها بخلاف هؤلاء.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ﴾ أصحاب النبي ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ﴾ الجهال أي لا نفعل كفعلهم. قال تعالى رداً عليهم ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ۝١٣﴾ ذلك ﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ أصله لقيوا حذفت الضمة للإستثقال ثم الياء لإلتقائها ساكنة مع الواو ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا﴾ منهم رجعوا ﴿إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾ رؤسائهم ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ في الدين ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝١٤﴾ بهم بإظهار الإيمان ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ يجازيهم باستهزائهم ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ يمهلهم ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ يتجاوزهم الحد بالكفر ﴿يَعْمَهُونَ ۝١٥﴾ يترددون تحيراً. حال ﴿أُولَٰئِكَ

قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ مقول القول قوله: ﴿آمِنُوا﴾ وهو نائب الفاعل وفاعل القول قيل الله وقيل النبي وأصحابه كما تقدم. قوله: (أصحاب النبي) أشار بذلك إلى أن أل في الناس للعهد العلمي الخارجي ويحتمل أن تكون أل للكمال أي الناس الكاملون. قوله: ﴿قَالُوا﴾ أي فيما بينهم وإلا فلو قالوا ذلك جهاراً لظهر كفرهم وقتلوا. قوله: (الجهال) أي بناء على أن السفه ما قابل العلم، ويصح أن المراد به نقص العقل بناء على أنه ما قابل الحلم، فإن الصحابة أنفقوا أموالهم في سبيل الله حتى افتقروا وتحملوا المشاق فسموهم سفهاء لذلك. قوله: (ردا عليهم) أي بجملة مؤكدة بأربع تأكيدات كالأولى. قوله: ﴿وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (ذلك) أي السفه أو علم النبي بسفههم، وعبر هنا بالعلم إشارة إلى أن السفه معقول بخلاف الفساد فإنه مشاهد، فلذلك عبر هنا بالعلم وهناك بالشعور.

قوله: ﴿وإِذَا لَقُوا﴾ سبب نزول الآية، أن أبا بكر وعمر وعلياً توجهوا لعبد الله بن أبي بن سلول لعنه الله فقال له أبو بكر هلم أنت وأصحابك وأخلص معنا، فقال له مرحباً بالشيخ والصديق ولعمر مرحباً بالفاروق القوي في دينه، ولعلي مرحباً بابن عم النبي، فقال له علي: أتق الله ولا تنافق، فقال ما قلت ذلك إلا لكون إيماني كإيمانكم، فلما توجهوا قال لجماعته: إذا لقوكم فقولوا مثل ما قلت فقالوا: لم نزل بخير ما عشت فينا، وإذا ظرف منصوب بقالوا. قوله: (أصله لقيوا) أي على وزن شربوا. قوله: (حذفت الضمة) لم يكمل التصريف وتمامه ثم ضمت القاف للمناسبة. قوله: (منهم) أشار بذلك إلى أن متعلق خلا محذوف، وقوله: ﴿إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾ متعلق بمحذوف أيضاً قدره المفسر بقوله: (ورجعوا) ويحتمل كما قال البيضاوي إن خلا بمعنى الفرد، وإلى بمعنى مع، أي انفردوا مع شياطينهم ولا حذف فيه، وأصل خلوا خلووا بواوين الأولى لام الكلمة والثانية علامة الإعراب قلبت لام الكلمة ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها فبقيت ساكنة، وبعدها واو الضمير ساكنة فحذفت لالتقاء الساكنين وبقيت الفتحة دالة عليها. قوله: (رؤسائهم) إنما سموا شياطين لأن كل رئيس منهم معه شيطان يوسوس له ويعلمه المكر، وقيل لأنهم كالشياطين في الإغواء ورؤساؤهم في ذلك الوقت خمسة: كعب بن الأشرف في المدينة، وعبد الدار في جهينة، وأبو بردة في بني أسلم وعوف بن عامر في بني أسد، وعبد الله بن الأسود في الشام، قوله: (يجازيهم باستهزائهم) إنما سمى المجازاة استهزاء من باب المشاكلة، والإستهزاء الإستخفاف بالشيء. قوله: (يمهلهم) أتى بذلك دفعاً لما يتوهم من أن المجازاة واقعة حالاً، وحكمة الإمهال مذكورة في قوله تعالى: (إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً) إلى غير ذلك من الآيات. قوله: (بالكفر) الباء سببية أي تجاوزهم الغاية بسبب الكفر. قوله: (حال) أي جملة يعمهون وهي إما حال من الهاء في يمدهم أو من الهاء في طغيانهم،

﴿ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ أي استبدلوها به ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾ أي ما ربحوا فيها بل خسروا لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦﴾ فيما فعلوا ﴿مَثَلُهُمۡ﴾ صفتهم في نفاقهم ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ﴾ أوقد ﴿نَارٗا﴾ في ظلمة ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ﴾ أنارت ﴿مَا حَوۡلَهُۥ﴾ فأبصر واستدفأ وأمن مما يخافه ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ﴾ أطفأه وجمع الضمير مراعاة لمعنى الذي

والمراد بالعمه عدم معرفة الحق من الباطل، فمنهم من يظهر له وجه الحق ويكفر عناداً، ومنهم من يشك في الحق ويقال له عمى أيضاً، فبين العمه والعمى عموم وخصوص مطلق يجمعان في طمس القلب وينفرد العمى بفقد البصر. قوله: (تحيراً) إما مفعول لأجله أو تمييز. قوله: (استبدلوها به) أشار بذلك إلى أن المراد بالشراء مطلق الإستبدال، والباء داخلة على الثمن، والمراد بالضلالة الكفر وبالهدى الإيمان وكلامه يقتضي أن الهدى كان موجوداً عندهم ثم دفعوه وأخذوا الضلالة، وهو كذلك لقوله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة حتى يهودانه أبواه» الحديث، ولأنهم في العهد يوم (ألست بربكم) أجابوا بالإيمان جميعاً. قوله: **(أي ما ربحوا فيها)** أشار بذلك إلى أن إسناد الربح للتجارة مجاز عقلي وحقه أن يسند للتجر. قوله: **(بل خسروا)** أي الربح ورأس المال جميعاً خسراناً دائماً فقوله: (لمصيرهم) علة له. فمثلهم كمثل من عنده كنز عظم ينفع في الدنيا والآخرة استبدله بالنار لأن الضلالة سبب للنار.

قوله: ﴿مَثَلُهُمْ﴾ لما بين قبائحهم وعاقبة أمرهم شرع يضرب أمثالهم ويبين فيه وصفهم وما هم عليه. قوله: **(صفتهم)** أشار بذلك إلى أن المثل بالتحريك هنا معناه الصفة، وليس المراد به المثل السائر وهو كلام شبه مضربه بمورده لغرابته كقولهم الصيف ضيعت اللبن. وقوله تعالى: (ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً) الآية، وإنما فسره بالصفة ولم يفسره بالمثل بمعنى الشبه، لئلا يلزم عليه زيادة الكاف، والأصل عدم الزيادة، والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر مثل التقدير صفتهم كائنة مثل صفة (الذي استوقد ناراً)، ويصح في هذه الكاف أن تكون اسماً وهي نفسها هي الخبر، وإنما جربها لأنها على صورة الحرف وأن تكون حرفاً متعلقة بمحذوف وعلى كل معناها مثل. قوله: ﴿اسْتَوْقَدَ﴾ راعى في الإفراد لفظ الذي. وفي قوله: ﴿ذَهَبَ الله بِنُورِهِمْ﴾ معناه. قوله: **(أوقد)** أشار بذلك إلى أن السين والتاء زائدتان لا للطلب، لأنه لا يلزم من الطلب الإيقاد بالفعل. قوله: **(في ظلمة)** أي شديدة وهي ظلمة الليل والسحاب والريح مع المطر.

قوله: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ الإضاءة النور القوي. قال تعالى: (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً) فقوله: **(أنارت)** أي نوراً قوياً والفاء للترتيب والتعقيب لأن الإضاءة تعقب الإيقاد. قوله: ﴿مَا حَوْلَهُ﴾ يحتمل أن ما نكرة موصوفة وحوله صفة والضمير عائد على الموقد للنار، وفاعل أضاءت ضمير يعود على النار، ويحتمل أن ما اسم موصول وحوله صلة وهو صفة لموصوف محذوف تقديره المكان الذي حوله. قوله: **(واستدفأ)** أي امتنع عنه ألم البرد. قوله: **(وأمن مما يخافه)** أي من عدو وسباع وحيات وغير ذلك مما يضر، وحينئذ فقد تم له النفع بالنار. قوله: ﴿بِنُورِهِمْ﴾ الضمير عائد على ما تقدم ضمناً في قوله: (فلما أضاءت) إذ المعنى أنارت على حد (اعدلوا هو أقرب للتقوى) ولم يقل بضوئهم إشارة إلى انعدام النور بالكلية، بخلاف ما لو عبر بالضوء لأنه لا يلزم من نفي الأخص نفي الأعم، والباء للتعدية كالهمزة فلذلك دخلت على المفعول، ولا تستلزم الباء المصاحبة كالهمزة فذهبت بزيد مثل أذهبت زيداً خلافاً للمبرد حيث

﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ۝١٧﴾ ما حولهم متحيرين عن الطريق خائفين فكذلك هؤلاء أمنوا بإظهار كلمة الإيمان فإذا ماتوا جاءهم الخوف والعذاب هم ﴿صُمٌّ﴾ عن الحق فلا يسمعونه سماع قبول ﴿بُكْمٌ﴾ خرس عن الخير فلا يقولونه ﴿عُمْيٌ﴾ عن طريق الهدى فلا يرونه ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝١٨﴾ عن الضلالة ﴿أَوْ﴾ مثلهم ﴿كَصَيِّبٍ﴾ أي كأصحاب مطر وأصله صيوب من صاب يصوب أي ينزل ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ السحاب ﴿فِيهِ﴾ أي السحاب ﴿ظُلُمَٰتٌ﴾ متكاثفة ﴿وَرَعْدٌ﴾ هو الملك الموكل به وقيل صوته ﴿وَبَرْقٌ﴾ لمعان سوطه الذي يزجره به ﴿يَجْعَلُونَ﴾ أي أصحاب الصيب ﴿أَصَٰبِعَهُمْ﴾ أي أناملهم ﴿فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ﴾ أجل ﴿ٱلصَّوَٰعِقِ﴾ شدة صوت الرعد لئلا يسمعوها ﴿حَذَرَ﴾ خوف ﴿ٱلْمَوْتِ﴾ من سماعها، كذلك هؤلاء إذا نزل القرآن وفيه ذكر الكفر المشبه بالظلمات والوعيد عليه المشبه بالرعد والحجج البينة المشبهة بالبرق يسدون آذانهم لئلا

جعلها تفيد المصاحبة، ورد بهذه الآية لإستحالة المصاحبة فيها.

قوله: ﴿وَتَرَكَهُمْ﴾ عطف على ذهب. قوله: ﴿فِي ظُلُمَاتٍ﴾ أي ثلاث: ظلمة الليل والسحاب والريح مع المطر. قوله: **(ما حولهم)** هذا هو مفعول يبصرون. وقوله: **(متحيرين)** حال من الضمير في تركهم. قوله: **(فكذلك)** أشار بذلك إلى حال المشبه وهم المنافقون. وقوله: **(أمنوا)** بالقصر ضد الخوف، أي حيث أسلموا بألسنتهم، ولم تؤمن قلوبهم، فقد أمنوا من القتل والسبي وانتفعوا بأخذ الغنائم والزكاة، فإذا ماتوا فقد ذهب الله بنورهم فلم يأمنوا من النار ولم ينتفعوا بالجنة، وتركهم في ظلمات ثلاث: ظلمة الكفر، والنفاق والقبر، والجامع بينهما أن الإنتفاع ودفع المضار في كل شيء قليل ثم يذهب.

قوله: ﴿صُمٌّ﴾ خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هم. قوله: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ أي لفقد هذه الإدراكات الثلاثة من قلوبهم. قوله: ﴿أَوْ﴾ **(مثلهم)** يصح أن تكون أو للتنويع أو للإبهام أو الشك أو الإباحة أو التخيير أو الإضراب أو بمعنى الواو وأحسنها الأول. قوله: **(أي كأصحاب مطر)** أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، والمثل هنا بمعنى الصفة كما تقدم. قوله: **(وأصله صيوب)** أي اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء. قوله: **(السحاب)** أشار بذلك إلى أن المراد بالسماء السماء اللغوية وهي كل ما ارتفع، وأصل سماء سماو وقعت الواو متطرفة فقلبت همزة. قوله: **(أي السحاب)** المناسب عود الضمير على الصيب. قوله: ﴿ظُلُمَاتٌ﴾ أي ظلمة الريح والسحاب والليل. قوله: **(هو الملك)** أي وعليه قوله تعالى: (ويسبح الرعد بحمده). قوله: **(وقيل صوته)** أي فقوله تعالى يسبح الرعد أي ذو الرعد. قوله: **(لمعان صوته)** أي الآلة التي يسوق بها وهي من نار. قوله: **(أي أصحاب الصيب)** أي فهو بيان للواو في يجعلون. قوله: **(أي أناملها** أشار بذلك إلى أن في الأصابع مجازاً من باب تسمية الجزء باسم الكل مبالغة في شدة الحرص في إدخال رأس الأصبع فكأنه مدخل لها كلها. قوله: **(شدة صوت الرعد)** الإضافة بيانية إن كان المراد بالرعد صوت الملك، وحقيقته إن كان المراد به ذاته. قوله: **(كذلك هؤلاء)** أي المنافقون. قوله: **(علماً وقدرة)** تمييزان محولان عن الفاعل، والإحاطة الإحتواء على الشيء كاحتواء الظرف على المظروف، وهي محالة في حقه تعالى، فأشار المفسر إلى دفع ذلك بقوله: علماً وقدرة أي فالمراد الإحاطة المعنوية، وهي كونهم مقهورين، فلا يتأتى منهم فوات ولا

يسمعوه فيميلوا إلى الإيمان وترك دينهم وهو عندهم موت ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ﴿١٩﴾ علماً وقدرة فلا يفوتونه ﴿يَكَادُ﴾ يقرب ﴿ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ يأخذها بسرعة ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ﴾ أي في ضوئه ﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ﴾ وقفوا تمثيل لإزعاج ما في القرآن من الحجب قلوبهم وتصديقهم لما سمعوا فيه مما يحبون ووقوفهم عما يكرهون ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ بمعنى أسماعهم ﴿وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾ الظاهرة كما ذهب بالباطنة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ شاءه ﴿قَدِيرٌ﴾ ﴿٢٠﴾ ومنه

إفلات، قال تعالى: (وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً).

قوله: ﴿يَكَادُ البَرْقُ﴾ هذا من تمام المثل، وأما قوله: ﴿والله مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ فجملة معترضة بين أجزاء المشبه به جيء بها تسلية للنبي ﷺ، وأصل يكاد يكود بفتح الواو نقلت فتحة الواو إلى الساكن قبلها فتحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، وأصل ماضيها كود بكسر الواو تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، وهذا التصريف في الناقصة، وأما التامة ففعلها يائي وهي بمعنى المكر، قال تعالى: (إنهم يكيدون كيداً) وأصل مضارعها يكيد بسكون الكاف وكسر الياء نقلت كسرة الياء إلى الكاف فصحت الياء. قوله: ﴿يَخْطَفُ﴾ بفتح الطاء مضارع خطف بفتح الطاء وكسرها. قوله: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ﴾ كل بحسب ما تضاف إليه وما نكرة بمعنى وقت، فكل ظرفية والعامل فيها مشوا وفاعل أضاء يعود على البرق، وأضاء يحتمل أن يكون متعدياً، والمفعول محذوف التقدير كل وقت أضاء لهم البرق طريقاً ﴿مَشَوْا فِيهِ﴾ فالضمير في فيه عائد على الطريق، ويحتمل أن يكون لازماً، والضمير عائد على الضوء. قوله: (تمثيل) أي من باب تمثيل الجزئيات بالجزئيات فقوله من الحجج أي المشبهة بالرعد والبرق الخاطف، وقوله: (وتصديقهم لما سمعوا فيه ما يحبون) أي من الآيات الموافقة لطبعهم كالقسم لهم من الغنائم وعدم التعرض لهم وأموالهم، وأشار بذلك بقوله: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾، فكذلك هؤلاء، وقوله: (ووقوفهم عما يكرهون) أي من التكاليف كالصلاة والصوم والحج والحكم عليهم، قالت تعالى: (وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون، وإن لم يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين) وأشار إلى ذلك بقوله: ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾. قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ الله لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ يحتمل أن هذا من تعليقات المشبه به الذي هو أصحاب الصيب، التقدير لولا مشيئة الله سبقت لخطف البرق أبصارهم ولأذهب الرعد أسماعهم، فإن ماذكر سبب عادي لإذهاب السمع والبصر، ولكن قد يوجد السبب ولا يوجد المسبب لتخلف المشيئة، والمقصود من ذلك زيادة القوة في المشبه به ويلزم منه القوة في المشبه، وهذا ما عليه أبو حيان والبيضاوي، ويحتمل أنه من تعلقات المشبه وهم المنافقون، وعليه المفسر حيث أشار لذلك بقوله كما ذهب بالباطنة. قوله: (بمعنى أسماعهم) أشار بذلك إلى أن السمع بمعنى الإسماع. قوله: ﴿إِنَّ الله عَلَى كُلِّ شيْءٍ﴾ هذا دليل لما قبله. قوله: (شاءه) دفع بذلك ما يقال إن الشيء هو الموجود ومن ذلك ذات الله وصفاته وكل للإستغراق، فيقتضي أن القدرة تتعلق بالواجبات فدفع ذلك بقوله شاءه أي أراده، والإرادة لا تتعلق إلا بالممكن، فكذا القدرة فخرجت ذات الله وصفاته فلا تتعلق بها القدرة إلا لزم، إما تحصيل الحاصل أو قلب الحقائق. قوله: ﴿قَدِيرٌ﴾ من القدر وهو صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالممكنات إيجاداً أو إعداماً على وفق الإرادة والعلم. قوله: (ومنه إذهاب ما ذكره) أي من جملة الشيء الذي شاءه، وقوله ما ذكره أي السمع والبصر.

إذهاب ما ذكر ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿ٱعْبُدُوا۟﴾ وحدوا ﴿رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ أنشأكم ولم تكونوا شيئاً ﴿وَ﴾ خلق ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ بعبادته عقابه، ولعل في الأصل للترجي وفي كلامه تعالى للتحقيق ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ﴾ خلق ﴿لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ حال، بساطاً يفترش لا غاية في الصلابة أو الليونة فلا يمكن الإستقرار عليها ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ سقفاً ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ﴾ من أنواع ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ تأكلونه وتعلفون به دوابكم ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟

قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**﴾ لم يناد في القرآن إلا بيا سواء كان النداء من الله لعباده أو منهم لله وهي لنداء البعيد، ولما كان الله لا يشبه شيئاً من الحوادث وهو منزه عنهم ذاتاً وصفات وأفعالاً نودي بيا تنزيلاً للبعد المعنوي منزلة البعد الحسي، ولما كان البعد قائماً بالحوادث للحجب الموجودة بينهم وبين الله سبحانه وتعالى ناداهم بيا أيضاً، ويا حرف نداء وأي منادي مبنى على الضم، والناس نعت لأي باعتبار اللفظ وهو مرفوع بضمة ظاهرة، واستشكل ذلك بأن العامل إنما طلب النصب لا البناء على الضم وإنما هو اصطلاح للنحاة، فما وجه رفع الناس مع أن القاعدة أن النعت تابع للمنعوت في الإعراب، وهذا إشكال قديم لا جواب له، واعلم أن النداء على سبعة أقسام: نداء تنبيه مع مدح كيا أيها النبي أو مع ذم كيا أيها الذين هادوا، أو تنبيه كيا أيها الإنسان، أو إضافة كيا عبادي، أو نسبة كيا نساء النبي، أو تسمية كيا داود، أو تخصيص كيا أهل الكتاب. قوله: (**أي أهل مكة**) يصح رفع أهل نظراً للفظ الناس، ونصبه نظراً لمحل أي، لأن لما بعد أي في الإعراب حكم ما فسرته. قوله: (**وحدوا**) هذا تفسير للعبادة، والمفسر قد تبع في تفسير الناس بأهل مكة والعبادة بالتوحيد ابن عباس، وقال جمهور المفسرين إن المراد بالناس جمع المكلفين، وبالعبادة جميع أنواعها أصولاً وفروعاً وهو أشمل، واستدل المفسر بقاعدة أن ما قيل في القرآن بيا أيها الناس كان خطاباً لأهل مكة، ويا أيها الذين آمنوا كان خطاباً لأهل المدينة، وهي قاعدة أغلبية فإن السورة مدنية.

قوله: ﴿**الَّذِي خَلَقَكُمْ**﴾ صفة لرب وتعليق الحكم بمشتق يؤذن بالعلية أي اعبدوه لخلقه إياكم فإنه هو الذي يعبد لا غيره. قوله: (**عقابه**) إشارة إلى مفعول تتقون. قوله: (**ولعل في الأصل للترجي**) أي أصل اللغة والترجي هو توقع الأمر المحبوب على سبيل الظن. قوله: (**وفي كلامه تعالى للتحقيق**) أي ومثلها عسى كما قال سيبويه، ودفع بذلك ما يتوهم من معنى كون المولى سبحانه وتعالى جاهلاً بالأمور المستقبلة، وأتى به على صورة الترجي بالنسبة لحال المخاطبين لا لخبر الله فإنه من قبيل الوعد وهو لا يتخلف. قوله: (**خلق**) أي فتنصب مفعولاً واحداً وهو الأرض، وقوله: ﴿**فِرَاشاً**﴾ حال كما قال المفسر ويحتمل أنها على بابها بمعنى صير فيكون فراشاً مفعولاً ثانياً، والمراد على الثاني التصيير من عدم. قوله: (**فلا يمكن الإستقرار عليها**) مفرع على المنفي بشقيه. قوله: (**سقفاً**) أي وقد صرح به في آية (وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً). قوله: ﴿**مِنَ السَّماءِ**﴾ أي اللغوية وهي ما علا وارتفع، والمراد بالسحاب. قوله: ﴿**مَاءً**﴾ هو من الجنة فينزل بمقدار على السحاب وهو كالغربال ثم يساق حيث شاء الله على مختار أهل السنة، وقالت المعتزلة: إن السحاب له خراطيم كالإبل فينزل يشرب من البحر المالح بمقدار ويرتفع في الجو فتنسفه الرياح فيحلو ثم يساق حيث شاء الله. قوله: ﴿**الثَّمَرَاتِ**﴾ أي المأكولات لجميع الحيوانات بدليل قول المفسر وتعلفون به دوابكم، والمراد بها على وجه الأرض غير الآدمي.

﴿لِلَّهِ أَندَادًا﴾ شركاء في العبادة ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ أنه الخالق ولايخلقون ولايكون إلهاً إلامن يخلق ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ شك ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمد من القرآن أنه من عند الله ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ أي المنزل ومن للبيان أي هي مثله في البلاغة وحسن النظم والأخبار عن الغيب

قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً﴾ لا ناهية والفعل مجزوم بحذف النون والواو فاعل، وأنداداً مفعول أول مؤخر، ولله جار ومجرور متعلق بمحذوف مفعول ثاني مقدم واجب التقديم لأن المفعول الأول في الأصل نكرة ولم يوجد له مسوغ إلا تقديم الجار والمجرور، ومعنى تجعلوا تصيروا أو تسموا، وعلى كل فهي متعدية لمفعولين والفاء سببية، والأنداد جمع ند معناه المقاوم المضاهي سواء كان مثلاً أو ضداً أو خلافاً. قوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ جملة من مبتدأ وخبر في محل نصب على الحال، و قوله: (**أنه الخالق**) بفتح الهمزة في تأويل مصدر سدت مسد مفعولي تعلمون أن تعلمونه خالقاً. قوله: (**ولا يكون إلهاً إلا من يخلق**) هذا هو تمام الدليل، قال تعالى: (أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون). قوله: ﴿وإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ استشكلت هذه الآية بوجوه ثلاثة، الأول: أن إن تقلب المضي إلى الإستقبال ولو كان الفعل كان خلافاً للمبرد القائل بأنها لا تقلبه إذا كان الفعل كان واحتج بهذه الآية فيقتضي أن الريب مستقبل وليس حاصلاً الآن مع أنه حاصل أجيب عنه بأن الإستقبال بالنسبة للدوام والمعنى إن دمتم على الريب. الوجه الثاني: أن إن للشك فيفيد أن ريبهم مشكوك فيه مع أنه محقق أجيب بأنه أتى بأن إشارة للائق أي اللائق والمناسب أن لا يكون عندكم ريب. الوجه الثالث: أن قوله وإن كنتم في ريب أي شك في أنه من عند الله أو من عند محمد فليس عندهم جزم بأنه من عند محمد، وقوله: ﴿إِنْ كِنْتُمْ صادِقِينَ﴾ يفيد أن عندهم جزماً بأنه من عند محمد فبين أول الآية وآخرها تناف أجيب بأنه أشار في أول الآية إلى عقيدتهم الباطنة وفي آخرها إلى عنادهم لإظهار الإغاظة له ﷺ، فلا يخلو حالهم الباطني، إما أن يكون عندهم شك في أنه من عند الله أو تحقيق بأنه من عند الله، وإنما إظهارهم الجزم بأنه ليس من عند الله عناد. قوله: (**شك**) جعل الشك ظرفاً لهم إلى أنه تمكن منهم تمكن الظرف من المظروف.

قوله: ﴿مِمَّا نَزَّلْنَا﴾ من حرف جر واسم موصول أو نكرة موصوفة، والعائد محذوف، والجملة صلة أو صفة، والجار والمجرور صلة لريب التقدير في ريب كائن من الذي نزلناه أو في ريب كائن من كلام نزلناه. قوله: ﴿عَلى عَبْدِنَا﴾ الإضافة للتشريف وقرىء على عبادنا فعلى هذه القراءة المراد بالجمع محمد وأمته لأن المكذب لمحمد مكذب لأمته. (**من القرآن**) بيان لما. قوله: (**أنه من عند الله**) الكلام على حذف الجار أي بأنه.

قوله: ﴿فَأْتُوا﴾ أصله ائتيوا بهمزتين الأولى للوصل والثانية فاء الكلمة وقعت الثانية ساكنة بعد كسرة قلبت ياء واستثقلت الضمة على الياء التي هي لام الكلمة فحذفت الياء لالتقاء الساكنين وضمت التاء للتجانس، وفي الدرج تحذف همزة الوصل وتعود الهمزة التي قلبت ياء كما هنا، فأتوا على وزن فافعوا. قوله: (**أي المنزل**) أي وهو القرآن ويشهد لهذا التفسير ما في سورة يونس (قل فأتوا بسورة مثله)، ويحتمل أن الضمير عائد على عبدنا الذي هو محمد أي فائتوا بسورة من رجل مثل محمد في كونه أمياً بشراً عربياً فإنكم مثله وحيث كان كذلك فلا بعد في مناظرته. قوله: (**ومن للبيان**) ويحتمل أن تكون للتبعيض

والسورة قطعة لها أول وآخر أقلها ثلاث آيات ﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ آلهتكم التي تعبدونها ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره لتعينكم ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٣﴾ في أن محمداً قاله من عند نفسه فافعلوا ذلك فإنكم عربيون فصحاء مثله ولما عجزوا عن ذلك قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ﴾ ما ذكر لعجزكم ﴿وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ ذلك أبداً لظهور إعجازه اعتراض ﴿فَٱتَّقُواْ﴾ بالإيمان بالله وأنه ليس من كلام البشر ﴿ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ﴾ الكفار ﴿وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ كأصنامهم منها يعني أنها مفرطة الحرارة تتقد بما ذكر لا كنار الدنيا تتقد بالحطب ونحوه ﴿أُعِدَّتۡ﴾ هيئت ﴿لِلۡكَٰفِرِينَ ٢٤﴾ يعذبون بها جملة

والأول أقرب. قوله: (**في البلاغة**) هذا بيان لوجه المماثلة. قوله: (**أقلها ثلاث آيات**) ليس من تمام التعريف بل هو بيان للواقع فإن أقصر سورة ثلاث آيات ولو فرض أنها آيتان لعجزوا أيضاً. قوله: (**آلهتكم**) إنما سموا شهداء لزعمهم أنه يشهدون لهم يوم القيامة. قوله: (**أي غيره**) أشار بذلك إلى أن دون بمعنى غيره، والمعنى ادعوا شهداءكم الذين اتخذتموهم من دون الله أولياء أو آلهة وزعمتم أنها تشهد لكم يوم القيامة، فقوله من دون الله وصف لشهداء أو حال منه وهو على زيادة من إذ تقديره شهداءكم التي هي غير الله أو حال كونها مغايرة لله، وقوله لتعينكم علة لقوله ادعوا. قوله: (**فافعلوا**) إشارة إلى جواب الشرط الثاني، وأما جواب الأول فهو مذكور بقوله فأتوا هكذا، قال المفسر ولكن سيأتي له في قوله تعالى: (قل إن كانت لكم الدار الآخرة) الآية، وللمحلي في تفسير قوله تعالى: (قل يا أيها الذين هادوا) الآية أنه إذا اجتمع شرطان وتوسط بينهما جواب كان للأخير والأول قيد فيه ولا يحتاج لجواب ثان، والتقدير في الآية إن كنتم صادقين في دعواكم أنه من عند محمد ودمتم على الريب فائتوا بسورة من مثله وهو أولى لعدم التقدير. قوله: (**فإنكم عربيون**) علة لقوله فافعلوا.

قوله: **﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾** إن حرف شرط ولم حرف نفي وجزم وقلب وتفعلوا مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف النون، والجملة من الجازم والمجزوم في محل جزم فعل الشرط، وقوله فاتقوا جواب الشرط وقرن بالفاء لأنه فعل طلبي. قوله: (**أبداً**) أخذ التأبيد من قرينة خارجية لا من لن خلافاً للزمخشري. قوله: (**اعتراض**) أي جملة معترضة بين فعل الشرط وجوابه قصد بها تأكيد العجز وليس معطوفاً على جملة (لم تفعلوا). قوله: (**وأنه**) بفتح الهمزة على حذف الجار أي وبأنه. قوله: **﴿التي وَقُودُهَا﴾** بفتح الواو ما توقد به، وأما بالضم فهو الفعل وقيل بالعكس على حد ما قيل في الوضوء والطهوز والسحور. قوله: (**كأصنامهم منها**) إنما خص الأصنام بكونها من الحجارة مسايرة للآية وإلا فالأصنام مطلقاً تدخل النار، قال تعالى: (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) ويستثنى من ذلك عيسى والعزيز وكل معبود من الصالحين، وإنما دخلت الأصنام النار وإن كانت غير مكلفة إهانة لعبادها وليعذبوا بها لا لتعذيبها. قوله: (**بما ذكر**) أي بالناس الكفار والحجارة. قوله: (**لا كنار الدنيا**) أي كما ورد أن نار الدنيا قطعة من جهنم غمست في البحر سبع مرات ثم بعد أخذها أوقد على جهنم ثلاثة آلاف سنة، ألف حتى ابيضت وألف حتى احمرت، وألف حتى اسودت، فهي الآن سوداء مظلمة. قوله: (**جملة مستأنفة إلخ**) أشار بذلك إلى أن هذه الجملة لا ارتباط لها بما قبلها، وقعت في جواب سؤال مقدر تقديره هذه النار التي وقودها الناس والحجارة لمن. قوله: (**أو حال لازمة**) أي والتقدير فاتقوا النار حال كونها معدة ومهيأة للكافرين، ودفع بقوله لازمة ما قيل إنها معدة للكافرين اتقوا أو لم يتقوا.

مستأنفة أو حال لازمة ﴿وَبَشِّرِ﴾ أخبر ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ صدقوا بالله ﴿وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من الفروض والنوافل ﴿أَنَّ﴾ أي بأن ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾ حدائق ذات أشجار ومساكن ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا﴾ أي تحت أشجارها وقصورها ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي المياه فيها والنهر الموضع الذي يجري فيه الماء لأن الماء ينهره أي يحفره وإسناد الجري إليه مجاز ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا﴾ أطعموا من تلك الجنات ﴿مِن ثَمَرَةٍ

قوله: ﴿وَبَشِّرِ﴾ جرت عادة الله في كتابه أنه إذا ذكر ما يتعلق بالكافرين وأحوالهم وعاقبة أمرهم يذكر بلصقه ما يتعلق بالمؤمنين وأحوالهم وعاقبة أمرهم، فإن القرآن نزل لهذين الفريقين، والبشارة هي الخبر السار سمي الخبر بذلك لطلاقة البشرة والسرور عنده، والأمر لرسول الله ﷺ وهو للوجوب لأن البشارة من جملة ما أمر بتبليغه، ويحتمل أن الأمر عام له ولكل من تحمل شرعه كالعلماء. قوله: **(أخبر)** مشى المفسر على أن معنى البشارة الخبر مطلقاً لكن غلب في الخبر وضده على النذارة، وأما قوله تعالى: (فبشرهم بعذاب أليم) فمن باب التشبيه بجامع أن كلاً صادر من المولى وهو لا يتخلف. قوله: **(صدقوا بالله)** إنما على ذلك لأنه يلزم من التصديق بالله التصديق بما أخبر به على لسان رسله.

قوله: ﴿**الصَّالِحَاتِ**﴾ وصف جرى مجرى الأسماء فلذلك صح إسناد العوامل له، فلا يقال إنه صفة لموصوف محذوف أي الأعمال الصالحات. قوله: **(من الفروض)** أي كالصلوات الخمس وصيام رمضان والحج في العمرة مرة وزكاة الأموال والجهاد إذا فجأ العدو، وقوله والنوافل أي كصلاة التطوع وصومه ومواساة الفقراء وغير ذلك من أنواع البر، والمراد عملوا الصالحات على حسب الطاقة قال تعالى: (فاتقوا الله ماستطعتم). قوله: **(أي بأن)** أشار بذلك إلى حذف الجار وهو مطرد مع أن قال ابن مالك:

نقلاً وفي أن وأن يطرد مع امن لبس كعجبت أن يدوا

قوله: ﴿**لَهُمْ جَنَّاتٍ**﴾ جمع جنة واختلف في عددها فقيل أربع وهو ما يؤخذ من سورة الرحمن، وقيل سبع وعليه ابن عباس جنة عدن وجنة المأوى والفردوس ودار السلام ودار الجلال وجنة النعيم وجنة الخلد. قوله: **(حدائق)** جمع حديقة وهي الروضة الحسنة. قوله: **(ذات أشجار ومساكن)** أي موجودات فيها الآن ومع ذلك تقبل الزيادة، فالجنة تامة فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، ومع ذلك أرضها واسعة طيبة تقبل الزيادة. قوله: **(أي تحت أشجارها)** أي على وجه الأرض بقدرة الله فلا تبلي فرشاً ولا تهدم بناء ولا تقطع شجراً. قوله: ﴿**الأنهار**﴾ يحتمل أن تكون ال للعهد والمراد بها ما ذكر في سورة القتال بقوله تعالى: (فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من عسل مصفى). قوله: **(أي المياه فيها)** أي الأنهار وأشار بذلك إلى أن في الجنة حفراً كأنهار الدنيا، وقيل لم يوجد في الجنة حفر تجري فيها المياه بل تجري على وجه الأرض. قوله: **(والنهر الموضع)** أي بحسب الأصل اللغوي. قوله: **(وإسناد الجري إليه مجاز)** أي عقلي أو الإسناد حقيقي، وإنما التجوز في الكلمة من إطلاق المحل وإرادة الحال فيه.

قوله: ﴿**كُلَّمَا رُزِقُوا**﴾ ظرف لقوله قالوا: قوله: ﴿**مِنْ ثَمَرَةٍ**﴾ أي نوعها. قوله: **(أي مثل ما)** الأولى حذف وما تقديم مثل على الذي وأتى بمثل دفعاً لما يتوهم من قولهم (هذا الذي رزقنا من قبل) إنه عينه وذلك مستحيل لأنه قد أكل والمعنى أن الله قادر على صنع طعام متحد اللون مختلف الطعام واللذة. فإذا

رِّزْقًاۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى﴾ أي مثل ما﴿رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾أي قبله في الجنة لتشابه ثماره بقرينة ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ﴾ أي جيئوا بالرزق ﴿مُتَشَٰبِهًاۖ﴾ يشبه بعضه بعضاً لوناً ويختلف طعماً﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ﴾ من الحور وغيرها﴿مُّطَهَّرَةٌۖ﴾من الحيض وكل قذر﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ ﴿٢٥﴾ ماكثون أبداً لا يفنون ولا يخرجون. ونزل رداً لقول اليهود لما ضرب الله المثل بالذباب في قوله: (وإن يسلبهم الذباب شيئاً) والعنكبوت في قوله: (كمثل العنكبوت) ما أراد الله بذكر هذه الأشياء الخسيسة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ﴾ يجعل ﴿مَثَلًا﴾ مفعول أول ﴿مَّا﴾ نكرة موصوفة بما بعدها مفعول ثان أي أي مثل كان أو زائدة لتأكيد الخسة فما بعدها المفعول الثاني ﴿بَعُوضَةً﴾مفرد البعوض وهو صغار

رأوه قالوا: (هذا الذي رزقنا من قبل بحسب ما رأوا من اتحاد اللون، فإذا أكلوه علموا عدم الإتحاد. قوله: (أي قبله في الجنة) أشار بذلك إلى رد ما قيل إن المراد بقوله من قبل في الدينا وقوله: ﴿وأُتوا به متشابهاً﴾ أي يشبه ثمر الدنيا في الصورة. قوله: (جيئوا بالرزق) أي يأتي به الولدان والملائكة والمراد بالرزق المرزوق أي المأكول. قوله: (وغيرها) أي نساء الدنيا فقد ورد أن نساء الدنيا يكن أجمل من الحور العين، وقد ورد أن كل رجل يزوج بأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف أيم ومائة حوراء. قوله: (وكل قذر) أي كالنفاس والبصاق والمخاط وليس في الجنة إنزال ولا حمل ولا ولادة وليس الأكل والشرب عن جوع وظمأ. قوله: (لا يفنون) أي ولا يمرضون ولا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم. قوله: (ولا يخرجون) أي لقوله تعالى: (وما هم منها بمخرجين). قوله: (ونزل رداً) فاعل نزل جملة (إن الله لا يستحي) قصد لفظها ورداً بمعنى جواباً مفعول لأجله أو حال من فاعل نزل، وقوله لما: (ضرب الله المثل) ظرف للقول ومقول القول قوله: ماذا أراد الله إلخ وقوله: (بالذباب) الباء للتصوير وهو متعلق بضرب وجواب استفهامهم قوله تعالى:﴿يضل به كثيراًويهدي كثيراً﴾ قوله: (في قوله) أي تعالى وحذفها للاختصار وكذا بقية المثلين قوله: (بذكر هذه الأشياء الخسيسة) أي مع أنه عظيم وقالوا أيضاً إن الواحد منا يستحي أن يضرب المثل بالشيء الخسيس فالله أولى وجعلوا ذلك ذريعة لإنكار كونه من الله.

قوله: ﴿إنَّ الله لَا يَسْتَحْيي أَنْ يَضْرِبَ﴾ مضارع استحيا ومصدره استحياء وقرىء بحذف إحدى الياءين فاختلف هل المحذوف اللام أو العين، فعلى الأول وزنه يستفع وعلى الثاني وزنه يستفل، وعلى كل نقلت حركة ما بعد الساكن إليه فحذفت إما اللام أو العين، والحياء في حق الحوادث تغيير وانكسار يعتري الإنسان من فعل ما يعاب ولازمه الترك فأطلق في حق الله وأريد لازمه وهو الترك، وإنما أتى به مشاكلة لقولهم: الله عظيم يستحي أن يضرب المثل بالشيء الحقير. قوله: ﴿أَنْ يَضْرِبَ﴾ فيه حذف الجار أي من أن يضرب وقوله: (يجعل) أي فينصب مفعولين. قوله: (أو زائدة) أي وهو الأقرب والمعنى على الأول إن الله لا يستحيي أن يجعل مثلاً شيئاً موصوفاً بكونه بعوضة فما فوقها وعلى الثاني إن الله لا يستحي أن يجعل مثلاً بعوضة فما فوقها. قوله: (لتأكيد الخسة) أي فليست زيادة محضة وهكذا كل زائدة في القرآن. قوله: (وهو صغار البق) يطلق البق على الناموس وعلى الأحمر المنتن الرائحة والأقرب الأول لأنه عجيب في الخلقة فله ستة أرجل وأربعة أجنحة وخرطوم طويل وذنب ومع ضعفه وصغره يقتل الجمل العظيم بمنقاره وهو القاتل للنمروذ. قوله: (أي أكبر منها) أي في الجسم كالجمل مثلاً ويحتمل أن المراد

البق ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ أي أكبر منها أي لا يترك بيانه لما فيه من الحكم ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ أي المثل ﴿الْحَقُّ﴾ الثابت الواقع موقعه ﴿مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ تمييز أي بهذا المثل، وما استفهام إنكار مبتدأ وذا بمعنى الذي بصلته خبره أي أي فائدة فيه قال تعالى في جوابهم ﴿يُضِلُّ بِهِ﴾ أي بهذا المثل ﴿كَثِيرًا﴾ عن الحق لكفرهم به ﴿وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ من المؤمنين لتصديقهم به ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٢٦﴾ الخارجين عن طاعته ﴿الَّذِينَ﴾ نعت ﴿يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ ما عهده إليهم في الكتب من الإيمان بمحمد ﷺ ﴿مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ توكيده عليهم ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ من الإيمان بالنبي والرحم وغير ذلك، وأن بدل من

بقوله: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ أي في الخسة كالذرة. قوله: **(أي لا يترك بيانه)** هذا هو معنى الإستحياء في حق الله وتقدم أنه مجاز من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم. قوله: **(لما فيه من الحكم)** علة لعدم الترك.

قوله: ﴿**فَأَمَّا الذِينَ آمَنُوا**﴾ شروع في بيان الحكمة المترتبة على ضرب المثل. قوله: **(الواقع موقعه)** صادق بالأفعال الصائبة والذات الثابتة والأقوال الصادقة. قوله: **(تمييز)** أي محول عن المفعول على حد (وفجرنا الأرض عيوناً). قوله: **(استفهام إنكار)** أي بمعنى النفي. قوله: **(بمعنى الذي)** أي والعائد محذوف أي أراده. قوله: **(أي أي فائدة)** هذا زبدة معنى التركيب وقصدهم بهذا الإستفهام نفي الفائدة فيتوصلون بذلك إلى إنكار كونه من عند الله قوله: **(به)** الباء سببية وقوله: **(لكفرهم به)** علة لضلالهم. وقوله: **(لتصديقهم به)** علة لهدايتهم.

قوله: ﴿**إِلَّا الفَاسِقِينَ**﴾ يطلق لفظ الفاسقين على من فعل الكبائر في بعض الأحيان وعلى من فعلها في كل الأحيان غير مستحل لها وعلى من استحلها وهو المراد هنا فقول المفسر الخارجين عن طاعته أي بالكلية وهم الكفار. قوله: **(نعت)** أي للفاسقين. قوله: **(ما عهده إليهم)** إنما فسر المصدر باسم المفعول لأن العهد الذي هو أمر الله بالإيمان بالنبي قد حصل فلا ينقض، وإنما الذي ينقض المأمور به، والمراد جملة العهد الواقع على ألسنة أنبيائهم في كتبهم، فإن الله عاهد كل نبي مع أمته من آدم إلى عيسى أنه إذا ظهر محمد ليؤمنن به ولينصرنه قال تعالى: (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمن به ولتنصرنه) الآية. ومن العهد أوصافه المذكورة في كتبهم فنقضوا ذلك بتبديلهم إياها وإنكارها وعدم الإيمان بها وفي قوله تعالى: (ينقضون عهد الله) استعار بالكناية حيث شبه العهد بالحبل وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو ينقضون فاثباته تخييل، والنقض في الأصل فك طاقات الحبل والمراد منه هنا الإبطال ففيه استعارة تصريحية تبعية حيث شبه الأبطال بالنقض واستعير النقض للإبطال واشتق من النقض ينقضون بمعنى يبطلون والعهود ثلاثة عهد عام وهو عهد الله في الأزل لجميع الخلق على التوحيد وابتاع الرسل وعهد خاص بالإنبياء وهو تبليغ الشرائع والأحكام وعهد خاص بالعلماء وهو تبليغ ما تلقوه عن الأنبياء والكفار قد نقضوها. قوله: **(من الإيمان)** بيان لما. وقوله: **(بالنبي)** أي من توقيره ونصره والإيمان به ومتابعته. وقوله: **(والرحم)** أي ومن وصل ذي الرحم أي القرابة من الإحسان إليهم ومواساتهم والبر بهم. قوله: **(وأن بدل من ضمير به)** أي فإن والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر على البدلية للضمير في به، التقدير ما أمر الله بوصله ويصح أن يكون أن يوصل بدل من ما فهو في محل نصب والأول أقرب. قوله: **(والتعويق عن الإيمان)** عطف

ضمير به ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بالمعاصي والتعويق عن الإيمان ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ يا أهل مكة ﴿بِٱللَّهِ وَ﴾ قد ﴿كُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ نطفاً في الأصلاب ﴿فَأَحْيَٰكُمْ﴾ في الأرحام والدنيا بنفخ الروح فيكم، والإستفهام للتعجب من كفرهم مع قيام البرهان أو للتوبيخ ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انتهاء آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بالبعث ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ تردون بعد البعث فيجازيكم بأعمالكم. وقال دليلاً على البعث لما أنكروه ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي الأرض وما فيها ﴿جَمِيعًا﴾ لتنتفعوا به وتعتبروا ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾ بعد خلق الأرض أي قصد ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ الضمير يرجع إلى السماء لأنها

ويحتمل خاص على عام فإن التعويق من أكبر المعاصي. قوله: ﴿أولئك﴾ مبتدأ أول وهم مبتدأ ثان والخاسرون خبر الثاني والثاني وخبره خبر الأول، ويحتمل أن هم ضمير فصل لا محل لـه من الإعراب والخاسرون خبر أولئك، قوله: (**لمصيرهم**) علة لكونهم خاسرين. قوله: (**يا أهل مكة**) الأحسن العموم سواء كان للمخاطب جناً أو إنساً من أهل مكة أو غيرها. قوله: ﴿وَ﴾ (**قد**) ﴿كُنْتُمْ﴾ قدر المفسر لفظ قد إشارة إلى أن الجملة حالية مع كونها ماضوية والجملة الماضوية إذا وقعت حالاً وجب اقترانها بقد إما لفظاً أو تقديراً. قوله: (**في الأصلاب**) إنما قدره لأجل اقتصاره على النطق وإلا ففي حالة كونهم في الرحم علقة ومضغة أموات أيضاً. قوله: ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ مرتب على محذوف تقديره وكنتم علقة فمضغة فأحياكم وإنما قلنا ذلك لأن الإحياء لا يكون عقب كونهم نطفاً بسرعة بل بعد مضي زمن كونهم علقة وكونهم مضغة ولو قال المفسر وقد كنتم أمواتاً نطفاً أو علقاً أو مضغاً فأحياكم لحسن الترتيب. قوله: (**بنفخ الروح**) الباء سببية. قوله: (**والإستفهام للتعجب**) التعجب استعظام أمر خفي سببه، وهو بالنسبة للخلق لا للخالق فهو مستحيل، والأحسن أن يكون الإستفهام للتعجب والتوبيخ معاً، وهو الرعد والزجر.

قوله: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ الترتيب في هذا وما بعده ظاهر، فإن بين نفخ الروح والموت زمناً طويلاً وبين الموت والإحياء بالبعث زمن طويل، وبين الإحياء والمجازاة على الأعمال كذلك. قوله: (**لما أنكروه**) أي استغراباً واستبعاداً، قال تعالى: (أئذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد). قوله: (**أي الأرض وما فيها**) أي فمراده العالم السفلي بجميع أجزائه، وأل في الأرض للجنس، فيشمل الأرضين السبع. قوله: (**وتعتبروا**) أي إذا تأملتم الأرض وتغير الأحوال فيها وما حوته، علمتم أن ذلك صنع حكيم قادر فينشأ عن ذلك الإعتبار كمال التوحيد، وقوله: (لتنتفوا به)، أي ظاهراً وباطناً، وهو جميع المخلوقات ما عدا المؤذيات، وأما المؤذيات كالحيات والعقارب والسباع وغير ذلك فنفعها من حيث العبرة بها، فما من شيء مخلوق إلا وفي خلقه حكمة تبهر العقول، سبحانك ما خلقت هذا عبثاً، ولما سئل الإمام الشافعي رضي الله عنه عن حكمة خلق الذباب أجاب بقوله: مذلة للملوك.

قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى﴾ الإستواء في الأصل الإعتدال والإستقامة، وهذا المعنى مستحيل على الله تعالى، فالمراد منه هنا في حق الله القصد والإرادة، فقوله قصد أي تعلقت إرادته التعلق التنجيزي الحادث بخلق السموات، وثم للترتيب مع الإنفصال، لأنه خلق الأرض في يومين، وخلق الجبال والأقوات وما في الأرض في يومين، فتكون الجملة أربعة أيام، فالترتيب الرتبي ظاهر ويشهد لذلك قوله تعالى: (قل أئنكم

في معنى الجمع الآيلة إليه أي صيرها كما في آية أخرى فقضاهن ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٩﴾ مجملاً ومفصلاً أفلا تعتبرون أن القادر على خلق ذلك ابتداء وهو أعظم منكم قادر على إعادتكم ﴿وَ﴾ اذكر يا محمد ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يخلفني في

لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين) الآيات، وعلى ذلك درج المفسر حيث قال أي الأرض وما فيها، ويحتمل أن ثم للترتيب الذكري بناء على أن الأرض خلقت مكورة، فبعد ذلك خلقت السماء ثم بعد خلق السماء دحا الأرض وخلق جميع ما فيها، ويشهد لذلك قوله تعالى: (أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها) ثم قال: (والأرض بعد ذلك دحاها) وعلى ذلك درج القرطبي وغيره وهو الحق. قوله: ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي جهة العلو وأل للجنس. قوله: (**فقضاهن**) بدل من آية فسوى وصير وقضى بمعنى واحد وكل واحد ينصب مفعولين.

قوله: ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ أي طباقاً بالإجماع للآية وبين كل سماء خمسمائة عام وسمكها كذلك، والأولى من موج مكفوف، والثانية من مرمرة بيضاء، والثالثة من حديد، والرابعة من نحاس، والخامسة من فضة والسادسة من ذهب، والسابعة زمردة خضراء. قوله: (**مجملاً ومفصلاً**) هذا هو مذهب أهل السنة خلافاً لمن ينكر علم الله بالأشياء تفصيلاً فإنه كافر. قوله: (**على خلق ذلك**) أي الأرض وما فيها والسموات وما فيها، وقوله: (**وهو**) الضمير عائد على اسم الإشارة، قوله: (**وهو أعظم منكم**) أي لقوله تعالى: ﴿لخلق السموات والأرض﴾ أكبر من خلق الناس، قوله: (**قادر على إعادتكم**) هذا هو روح الدليل.

قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ إذ ظرف في محل نصب معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر أي اذكر يا محمد قصة قول ربك إلخ، والأحسن أنه معمول لقوله بعد (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها) وقت قول ربك للملائكة إلخ، لأن إذ إذا وقعت ظرفاً لا تكون إلا للزمان، قوله: ﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾ جمع ملك مخفف ملأك وأصله مألك على وزن مفعل مشتق من الألوكة وهي الإرسال دخله القلب المكاني فأخرت الهمزة عن اللام فنقلت حركت الهمزة للساكن قبلها وهو اللام فسقطت الهمزة، قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾ يصح أن يكون بمعنى مصير فخليفة مفعول أول وفي الأرض مفعول ثاني قدم لأنه المسوغ للإبتداء بالنكرة في الأصل، ويصح أن يكون بمعنى خالق فخليفة مفعول وفي الأرض متعلق به، قوله: ﴿خَلِيفَةً﴾ فعليه بمعنى مفعول أي مخلوف أو بمعنى فاعل أي خالف بمعنى أنه قائم بالخلافة، وحكمة جعله خليفة الرحمة بالعباد لا لإفتقار الله له، وذلك أن العباد لا طاقة لهم على تلقي الأوامر والنواهي من الله بلا واسطة، بل ولا بواسطة ملك، فمن رحمته ولطفه وإحسانه إرسال الرسل من البشر، قوله: (**وهو آدم**) أي فهو البشر والخليفة الأول باعتبار عالم الأجساد، وأما باعتبار عالم الأرواح فهو سيدنا محمد ﷺ قال العارف:

فإني وإن كنت ابن آدم صورة ... فلي فيه معنى شاهد بأبوتي

وهو مأخوذ من أديم الأرض لخلقه من جميع أجزائها وكانت ستين جزءاً، ولذلك كان طباع نبيه ستين طبعاً. وكفارة الظهار والصوم ستين، وعاش من العمر تسعمائة وستين وما مات حتى رأى من أولاده مائة الف عمروا الأرض بأنواع الصنائع، والملائكة المخاطبون يحتمل أنهم من النوع المسمى بالجان،

تنفيذ أحكامي فيها وهو آدم ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾ بالمعاصي ﴿وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ يرفعها بالقتل كما فعل بنو الجان وكانوا فيها فلما أفسدوا أرسل الله عليهم الملائكة فطردوهم إلى الجزائر والجبال ﴿وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ﴾ متلبسين ﴿بِحَمۡدِكَ﴾ أي نقول سبحان الله وبحمده ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ ننزهك عما لا يليق بك، فاللام زائدة والجملة حال أي فنحن أحق بالإستخلاف ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٣٠﴾ من المصلحة في استخلاف آدم وأن ذريته فيهم المطيع والعاصي فيظهر العدل بينهم، فقالوا لن يخلق ربنا خلقاً أكرم عليه منا ولا أعلم لسبقنا له ورؤيتنا ما لم يره، فخلق تعالى آدم من أديم الأرض أي وجهها بأن قبض منها قبضة من جميع ألوانها وعجنت بالمياه المختلفة وسواه ونفخ فيه الروح فصار حيواناً حساساً بعد أن كان جماداً ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ﴾ أي

ورئيسهم إبليس، فإن الله خلق خلقاً وأسكنهم الأرض يسمون بني الجان فأفسدوا في الأرض، فسلط الله عليهم هؤلاء الملائكة فطردوهم وسكنوا موضعهم، ويحتمل أن الخطاب لعموم الملائكة، قوله: **﴿مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾** أي بمقتضى القوة الشهوية، وقوله: **﴿وَيُسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾** أي بمقتضى القوة الغضبية، فإن في الإنسان ثلاثة اشياء: قوة شهوية، وقوة غضبية، وقوة عقلية فبالأولين يحصل النقص، وبالأخيرة يحصل الكمال والفضل، وقد نظر الملائكة للأولين ولم ينظروا للثالثة. قوله: **(كما فعل بنو الجان)** قيل الجان ابليس، وقيل مخلوق آخر، وإبليس أبو الشياطين، قوله: **(أرسل الله عليهم الملائكة)** أي المسمين بالجان ورئيسهم إبليس، وفي هذه الآية امور منها: مشاورة العظيم للحقير، ولا بأس بها لتأليف الحقير، قال تعالى: (وشاورهم في الأمر)، ومنها إظهار عجز الملائكة عن علم الغيب، ومنها اظهار فضل آدم للملائكة، ومنها أنه لا ينبغي ترك الخير الكثير من أجل شر قليل، فإن بني آدم خيرهم غالب سرهم، فإن منهم الأنبياء والرسل والأولياء، وإن لم يكن منهم إلا سيدنا محمد لكفى، قوله: **(متلبسين)** أشار بذلك إلى أن الباء للملابسة، والجملة من قبيل الحال المتداخلة، قوله: **﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾** التقديس في اللغة يرجع لمعنى التسبيح وهو التنزيه عما لا يليق، وأما هنا فالتسبيح يرجع للعبادة الظاهرية، والتقديس يرجع للإعتقادات الباطنية، قوله: **(فاللام زائدة)** أي لتأكيد التخصيص، ويحتمل أنها للتعدية والتعليل أي ننزهك لك لا طمعاً في عاجل ولا آجل، ولا خوفاً من عاجل ولا آجل فتنزيهنا لذاتك فقط، قوله: **(أي فنحن أحق بالإستخلاف)** ليس المقصود من ذلك الإعتراض على الله ولا احتقار آدم، وإنما ذلك لطلب جواب يريحهم من العناء، حيث وقعت المشورة من الله لهم، قوله: **(فيظهر العدل بينهم)** أي فالطائع المؤمن له الجنة، والعاصي الكافر له النار، قوله: **(فقالوا)** أي سراً في أنفسهم، قوله: **(لسبقنا له)** أي للخلق وهو راجع لقوله أكرم، وقوله: **(ورؤيتنا)** راجع لقوله ولا أعلم فهو لف ونشر مرتب، قوله: **(جميع ألوانها)** تقدم أنها ستون، وورد أن الله لما أراد خلق آدم أوحى إلى الأرض إني خالق منك خلقاً من أطاعني ادخلته الجنة، ومن عصاني أدخلته النار، فقالت يا ربنا أتخلق مني خلقاً يدخل النار؟ فقال نعم فبكت فنبعت العيون من بكائها فهي تجري إلى يوم القيامة، قوله: **(بالمياة المختلفة)** أي على حسب الألوان.

قوله: **﴿وَعَلَّمَ آدَمَ﴾** الحق أن آدم ممنوع من الصرف للعلمية والعجمية وليس منصرفاً ولا مشتقاً على التحقيق، قوله: **(أي اسماء المسميات)** أشار بذلك إلى أن أل عوض عن المضاف اليه، والمراد

أسماء المسميات ﴿كُلَّهَا﴾ حتى القصعة والقصيعة والفسوة والفسية والمغرفة بأن ألقى في قلبه علمها ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ أي المسميات وفيه تغليب العقلاء ﴿عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ﴾ لهم تبكيتاً ﴿أَنۢبِـُٔونِى﴾ أخبروني ﴿بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المسميات ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ﴿٣١﴾ في أني لا أخلق أعلم منكم أو أنكم أحق بالخلافة، وجواب الشرط دل عليه ما قبله ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيها لك عن الإعتراض عليك ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ إياه ﴿إِنَّكَ أَنتَ﴾ تأكيد للكاف ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ﴿٣٢﴾ الذي لا يخرج شيء عن علمه وحكمته ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم﴾ أي الملائكة ﴿بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ أي المسميات

بالمسميات مدلولات الأسماء، سواء كانت جواهر أو أعراضاً أو معاني أو معنوية فالحاصل أن الله أطلع آدم على المسميات جميعها وعلمه أسماءها، وأطلع الملائكة على المسميات ولم يعلمهم أسماءها فاشترك آدم مع الملائكة في معرفة المسميات، واختص آدم بمعرفة الأسماء بجميع اللغات وتلك اللغات تفرقت في أولاده قوله: **(حتى القصعة)** غاية في الخسة، إشارة إلى كونه تعلم جميع الأسماء شريفة أو خسيسة وحكمتها أيضاً كما يأتي، والقصعة هي الإناء الكبير من الخشب، **والقصعية** الإناء الصغير منه أيضاً المسمى بالزويلي. قوله: **(والفسوة)** من باب عتا والمصدر فسوا والاسم الفساء بالمد واوي هو الريح الخارج من الدبر بلا صوت، فإن كان شديداً سمي فسوة، وإن كان خفيفاً سمي فسية، وإن كان بصوت سمي ضراطاً، وهو من باب تعب وضرب، والمصدر ضرطاً بفتح الراء وسكونها فالمكبر للشديد والمصغر للخفيف. قوله: **(بأن ألقى في قلبه علمها)** أي الأسماء وحكمتها حين صور الله المسميات كالذر وذلك قبل دخوله الجنة وهو ظاهر في الأشياء المحسوسة، وأما المعقولة كالحياة والقدرة والفرح وغير ذلك فبإلقاء الله الدال والمدلول في قلبه. قوله: **(وفيه تغليب العقلاء)** أي في الإتيان بميم الجمع التي للعقلاء المذكور، وإلا فلو لم يغلب لقال عرضها أو عرضهن وبهما قرىء شاذاً. قوله: **﴿عَلَى ٱلْمَلَائِكَةِ﴾** يحتمل عموم الملائكة ويحتمل خصوص الملائكة المسمين بالجان الذين كانوا في الأرض. قوله: **﴿أَنْبِئُونِي﴾** الأنباء هو الإخبار بالشيء العظيم فهو أخص من الخبر. قوله: **(أخبروني)** أي أجيبوني ليظهر علمكم، وذلك تعجيز لهم لأنهم ليسوا بعالمين ذلك لا لاستفادته العلم منهم. قوله: **(في أني لا أخلق أعلم منكم)** معلق بصادقين. قوله: **(دل على ما قبله)** أي قوله أنبئوني، فهو دليل الجواب والجواب محذوف تقديره إن كنتم صادقين فأنبئوني. قوله: **﴿سُبْحَانَكَ﴾** مصدر وقيل اسم مصدر منصوب بعامل محذوف وجوباً أي أسبح، وهي كلمة تقال مقدمة للأمر العظيم، كان توبة واستغفاراً أم لا، والمقصود منها توبتهم واستغفارهم، كقول موسى عليه السلام (سبحانك تبت إليك)، وقول يونس (سبحانك إني كنت من الظالمين)، والغالب عليه الإضافة وأما سبحان من علقمة الفاخر، فمؤول أو شاذ، ومن غير الغالب. قوله: **(إياه)** أشار بذلك إلى أن المفعول الثاني محذوف. قوله: **﴿إِنَّكَ﴾** كالدليل لما قبله. قوله: **(تأكيد للكاف)** أي فهو ضمير فصل لا محل له من الإعراب، أو في محل نصب كالمؤكد والعليم الحكيم خبران لأن الحكيم صفة للعليم، ويحتمل أن أنت مبتدأ والعليم خبره والجملة خبر أن. قوله: **﴿الْعَلِيمُ﴾** قدم العلم على الحكمة لمناسبة علم آدم ولا علم لنا، ولأن الحكمة تنشأ عن العلم، والعلم في حق الله صفة أزلية تتعلق بجميع أقسام الحكم العقلي الواجب والمستحيل والجائز تعلق إحاطة وانكشاف. قوله: **﴿الْحَكِيمُ﴾** أي ذو الحكمة أي الإتقان فهو صفة فعل أو العلم فيكون صفة ذات. قوله: **(فسمى)** أي آدم. قوله: **(توبيخاً)** أي تقريعاً ولوماً لهم على ما مضى منهم فالهمزة في ألم أقل

فسمى كل شيء باسمه وذكر حكمته التي خلق لها ﴿ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ ﴾ تعالى لهم توبيخاً ﴿ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ ما غاب فيهما ﴿ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ ﴾ تظهرون من قولكم أتجعل فيها الخ ﴿ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴾ ﴿٣٣﴾ تسرون من قولكم لن يخلق الله أكرم عليه منا ولا أعلم ﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿ إِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ ﴾ سجود تحية بالإنحناء ﴿ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ﴾

للاستفهام التوبيخي، والقصد منه توبيخهم على ما مضى منهم وليست الإنكار ولا للتقرير. قوله: (ما غاب فيهما) أي عنا. قوله: (أتجعل فيها إلخ) أي من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك. بقي شيء آخر وهو أن مقتضى الآية أن آدم علم الأسماء والمسميات، ومقتضى قول البوصيري في الهمزية:

لك ذات العلوم من عالم الغيـ ـب ومنها لآدم الأسماء

أن آدم علم الأسماء دون المسميات، فيكون بينه وبين الآية مخالفة، والحق أنه لا مخالفة لأنه يلزم من علم الأسماء علم المسميات لعرض المسميات عليه أولاً، فمعنى قول البوصيري لك ذات العلوم أي أصلها، فعلم آدم مأخوذ من نبينا، لأن رسول الله أعطي أصل العلوم بل وأصل كل كمال، ويشهد لذلك قول ابن مشيش وتنزلت علوم آدم أي صل على من منه تنزلت علوم آدم، فعلوم آدم كائنة منه فأعجز بها الملائكة خاصة، وأما علوم رسول الله فاعجز بها الخلائق جميعاً، هذا هو الحق ولا تغتر بما قيل إن آدم علم الأسماء فقط، ومحمد علم الأسماء والمسميات. قوله: ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا﴾ أشار المفسر بذلك إلى أن إذ ظرف عاملها محذوف والتقدير واذكر وقت قولنا إلخ إن قلت إن المقصود ذكر القصة لا ذكر الوقت، أجيب بأن التقدير ذكر القصة الواقعة في ذلك الوقت، ومحصل ذلك أنه بعد خلق آدم ونفخ الروح فيه، وعرض المسميات على الملائكة، وإنباء آدم لهم بالأسماء أمرهم الله بالسجود له لأنه صار شيخهم، ومن حق الشيخ التعظيم والتوقير، وكان ذلك كله خاوٍ.

قوله: (بالإنحناء) أشار بذلك إلى أن المراد السجود اللغوي وهو الإنحناء كسجود إخوة يوسف وأبويه له وهو تحية الأمم الماضية، وأما تحيتنا فهي السلام، وعليه فلا إشكال، وقال بعض المفسرين إن السجود شرعي بوضع الجبهة على الأرض، وآدم قبلة كالكعبة، فالسجود لله وإنما آدم قبلة، والآية محتملة للمعنيين ولا نص يعين أحدهما، وعلى الثاني فاللام بمعنى إلى أي اسجدوا جهة آدم فاجعلوه قبلتكم. قوله: ﴿فَسَجَدُوا﴾ أي الملائكة كلهم أجمعون بدليل الآية الأخرى، فالخطاب بالسجود لجميع الملائة على التحقيق لا الملائكة الذين طردوا بني الجان. قوله: ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾ قيل مشتق من أبلس إبلاساً بمعنى يئس وهذا هو اسمه في اللوح المحفوظ.

فائدة: قال كعب الإحبار: إن إبليس اللعين كان خازن الجنة أربعين الف سنة، ومع الملائكة ثمانين الف سنة، ووعظ الملائكة عشرين الف سنة، وسيد الكروبيين ثلاثين الف سنة، وسيد الروحانيين الف سنة، وطاف حول العرش أربعة عشر الف سنة، وكان اسمه في سماء الدنيا العابد، وفي الثانية الزاهد، وفي الثالثة العارف، وفي الرابعة الولي، وفي الخامسة التقي، وفي السادسة الخازن، وفي السابعة عزازيل، وفي اللوح المحفوظ إبليس وهو غافل عن عاقبة أمره. قوله: (هو أبو الجن) هذا أحد قولين والثاني هو أبو الشياطين فرقة من الجن لم يؤمن منهم أحد. قوله: (كان بين الملائكة) أشار بذلك إلى أن الإستثناء منقطع

هو أبو الجن كان بين الملائكة ﴿أَبَىٰ﴾ امتنع من السجود ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾ تكبر وقال أنا خير منه ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ﴿٣٤﴾ في علم الله ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ﴾ تأكيد للضمير المستتر ليعطف عليه ﴿وَزَوْجُكَ﴾ حواء بالمد وكان خلقها من ضلعه الأيسر ﴿ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا﴾ أكلاً ﴿رَغَدًا﴾ واسعاً لا

وأنه ليس من الملائكة، قال في الكشاف لما اتصف بصفات الملائكة جمع معهم في الآية واحتيج إلى استثنائه، ويدل على ذلك قوله تعالى: (إلا إبليس كان من الجن) وكررت قصة إبليس في سبعة مواضع: في البقرة والأعراف والحجر والإسراء والكهف وطه وص تسلية له ﷺ، وعبرة لبني آدم، فلا يغتر العابد ولا يقنط العاصي، ويحتمل أن الإستثناء متصل وقوله تعالى: (كان من الجن) أي في الفعل والأقرب الأول.

قوله: ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ من عطف العلة على المعلول أي أبى وامتنع لكبره والسين للتأكيد. قوله: **(وقال أنا خير منه)** هذا وجه تكبره وبين وجه الخيرية في الآية الأخرى، قوله تعالى: **﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾** قال بعض المفسرين: وذلك مردود بأمور، منها أن آدم مركب من العناصر الأربع بخلاف إبليس فلا وجه للخيرية، ومنها أن الله هو الخالق لكل شيء ولا يعلم الفضل إلا هو، فله أن يفضل من شاء على من يشاء، ومنها غير ذلك. قوله: **(في علم الله)** دفع بذلك ما قيل إنه لم يكن كافراً بل كان عابداً وإنما كفر الآن، ويجاب أيضاً بأن كان بمعنى صار.

قوله: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ﴾ هذه الجملة معطوفة على جملة (وإذا قلنا للملائكة) من عطف قصة على قصة وإنما عطفت عليها لوقوعها بعدها، فإنه بعد أمر الملائكة بالسجود لآدم، وامتناع إبليس منه، أمر آدم بسكنى الجنة. قوله: **(ليعطف عليه)** ﴿وَزَوْجُكَ﴾ إن قلت إن فعل الأمر يعمل في الظاهر والمعطوف على الفاعل فاعل فيقتضي عمله في الظاهر، أجيب بأنه يغتفر في التابع ما لا يغتفر في المتبوع، وفصل بالضمير المنفصل لقول ابن مالك:

وإن على ضمير رفع متصل عطفت فافصل بالضمير المنفصل

قوله: **(وكان خلقها)** أي الله وقوله: **(من ضلعه)** أي آدم فلذلك كان كل ذكر ناقصاً ضلعاً من الجانب الأيسر، فجهة اليمين ثمانية عشر، واليسار سبعة عشر، وقد خلقت بعد دخوله الجنة نام فلما استيقظ وجدها فأراد أن يمد يده إليها فقالت له الملائكة مه يا آدم حتى تؤدي مهرها، فقال وما مهرها فقالوا ثلاث صلوات أو عشرون صلاة على سيدنا محمد ﷺ، ولا يقال إن شرط الصداق عود منفعته للزوجة، لأننا نقول ليس المقصود منه حقيقة المهر، وإنما هو ليظهر قدر محمد لآدم من أول قدم، إذ لولاه ما تمتع بزوجه، فهو الواسطة لكل واسطة حتى آدم، وقوله من ضلعه الأيسر أي وهو القصير، ووضع الله مكانة لحماً من غير أن يحس آدم بذلك، ولم يجد له ألماً، ولو وجده لما عطف رجل على امرأة، والنون في قلنا للعظمة، وقوله: ﴿وَاسْكُنْ﴾ أي دم على السكنى، فإنه كان ساكناً فيها قبل خلق حواء، واستشكل شيخ الإسلام هذه الآية بأنه أتى في هذه الآية بالواو في قوله: ﴿وَكُلَا﴾ وفي آية الأعراف بالفاء، هل لذلك من حكمة أجاب بأن الأمر هنا في هذه الآية كان داخل الجنة، فلا ترتيب بين السكنى والأكل، وفي آية الأعراف كان خارجها، فحسن الترتيب بين السكنى والأكل ا. هـ. والحق أن يقال: إن ذلك ظاهر إن دل

حجر فيه ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ بالأكل منها وهي الحنطة أو الكرم أو غيرهما ﴿فَتَكُونَا﴾ فتصيرا ﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿٣٥﴾ العاصين ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ إبليس أذهبهما وفي قراءة فأزالهما نحاهما ﴿عَنْهَا﴾ أي الجنة بأن قال لهما هل أدلكما على شجرة الخلد وقاسمهما بالله إنه لهما لمن الناصحين فأكلا منها ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من النعيم ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟﴾ إلى الأرض أي أنتما بما اشتملتما عليه من ذريتكما ﴿بَعْضُكُمْ﴾ بعض الذرية ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ من ظلم بعضهم بعضاً ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ موضع قرار ﴿وَمَتَٰعٌ﴾ ما تتمتعون به من نباتها ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ ﴿٣٦﴾ وقت

دليل على اختلاف القصة ولم يوجد فالقصة واحدة، والأمر في الموضعين يحتمل أن يكون داخل الجنة أو خارجها، فعلى الأول معنى اسكن دم على السكنى، والفاء في آية الأعراف بمعنى الواو، وعلى الثاني معناه ادخل على سبيل السكنى، فتكون الواو بمعنى الفاء.

قوله: ﴿رَغَداً﴾ يقال رغد بالضم رغادة من باب ظرف، ورغد رغداً من باب تعب اتسع عيشه. قوله: ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ أي في أي مكان أردتماه. قوله: (أو غيرهما) قيل شجر التين أو البلح أو الأرتج، والأقرب أنها الحنطة، وفي الحقيقة لا يعلمها إلا الله. قوله: ﴿فَتَكُونَا﴾ مسبب عن قوله ولا تقربا وتعبيره بعدم القرب منها كناية عن عدم الأكل، كقوله تعالى: (ولا تقربوا الزنا) فالنهي عن القرب يستلزم النهي عن الفعل بالأولى. قوله: (العاصين) أي الذين تعدوا حدود الله. قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشيْطَانُ﴾ أتى بالفاء إشارة إلى أن ذلك عقب السكنى، والشيطان مأخوذ من شاط بمعنى احترق لأنه محروق بالنار، أو من شطن بمعنى بعد لأنه بعيد عن رحمة الله، والزلل الزلق وهو العثرة في الطين مثلاً فأطلق وأريد لازمه وهو الإذهاب. قوله: (وفي قراءة) أي سبعية لحمزة. قوله: (أي الجنة) ويحتمل أن الضمير عائد على الشجرة، وعن بمعنى الباء أي أوقعهما في الزلة بسبب أكل الشجرة. قوله: (بأن قال لهما) أي وهو خارج الجنة وهما داخلها لكن أتوا على بابها فقال لهما ذلك، ويحتمل أنه دخل الجنة على صورة دابة من دوابها وخزنتها غفلوا عنه، ويحتمل أنه دخلها في فم الحية، ويحتمل أنه وسوس في الأرض فوصلت وسوسته لهما، إن قلت إن ذلك ظاهر في حواء لعدم عصمتها وما الحكم في آدم، أجيب بأنه اجتهد فأخطأ فسمى الله خطأه معصية، فلم يقع منه صغيرة ولا كبيرة، وإنما هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين فلم يتعمد المخالفة، ومن نسب التعمد والعصيان له بمعنى فعل الكبيرة أو الصغيرة فقد كفر، كما أن من نفى اسم العصيان عنه فقد كفر أيضاً لنص الآية.

قوله: ﴿مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ يحتمل أن ما اسم موصول، وما بعده صلته، أو نكرة موصوفة، وما بعدها صفة، وقوله من النعيم بيان لما. قوله: (أي أنتما الخ) أشار بذلك إلى حكمة الإتيان بالواو في اهبطوا أي الجمع باعتبار ما اشتملا عليه من الذرية، ويحتمل أن الأمر لآدم وحواء وإبليس والحية، فهبط آدم بالهند بمكان يقال له سرنديب، وحواء بجدة، وإبليس بالأبلة، والحية بأصبهان. قوله: (بعض الذرية) أشار بذلك إلى أن العداوة في الذرية لا في الأصول، ويحتمل أن يكون ذلك في بعض الأصول كالحية وإبليس، وأفرد عدواً إما مراعاة للفظ بعض أو لأنه يستعمل بلفظ واحد للمثنى والجمع. بقي شيء آخر وهو أنه تقدم لنا أن حواء خلقت داخل الجنة حين القى على آدم النوم، كيف ذلك مع أن الجنة لا نوم فيها، ولا

انقضاء آجالكم ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ ألهمه إياها وفي قراءة بنصب آدم ورفع كلمات أي جاءه وهي (ربنا ظلمنا أنفسنا) الآية فدعا بها ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ قبل توبته ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ على عباده

يخرج أهلها منها ولا تكليف فيها، والثلاثة قد حصلت. أجيب بأن ذلك في الدخول يوم القيامة، وأما الدخول الأولى فلا يمتنع فيه شيء من ذلك. قوله: **(ألهمه إياها)** أي فهم آدم من ربه تلك الكلمات. قوله: **(وفي قراءة)** أي سبعية لابن كثير. قوله: **(بنصب آدم)** أي على المفعولية، وقوله: **(ورفع كلمات)** أي على الفاعلية فتحصل أن التلقي نسبة تصلح للجانبين، يقال تلقيت زيداً وتلقاني زيد فالمعنى على القراءة الأولى، تعلم آدم الكلمات فحفظ بسببها من المهالك، وعلى الثانية الكلمات تلقت آدم من السقوط في المهاوي إذ لولاها لسقط فهي الدواء له، وأما إبليس فلم يجعل الله له دواء فالكلمات جاءته بالإسعاف وهو جاءها بالقبول والتسليم، ومن هنا أن الذاكر لا ينتفع بالذكر ولا ينور باطنه إلا إذا كان الشيخ عارفاً وأذنه في ذلك، والذاكر مشتاقاً كتلقي آدم الكلمات. قوله: **(وهي ربنا ظلمنا أنفسنا إلخ)** مشى المفسر على أن المراد بالكلمات المذكورة في سورة الأعراف وهو أحد أقوال، ولا يقال إن التلقي كان لآدم فقط والدعاء بها صدر منهما، لأنه يقال إن الخطاب لآدم والمراد هو معها، وكم من خطاب في القرآن يقصد به الرجال، والمراد ما يشمل الرجال والنساء، وقيل إن المراد بالكلمات سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، وتقدم أن معصية آدم ليست كالمعاصي بل من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين، والحق أن يقال إن ذلك من سر القدر، فهو منهي عنه ظاهراً لا باطناً، فإنه في الباطن مأمور بالأولى من قصة الخضر مع موسى وإخوة يوسف معه على أنهم أنبياء، فإن الله حين قال للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة كان قبل خلقه، وهذا الأمر مبرم يستحيل تخلفه، فلما خلقه وأسكنه الجنة أعلمه بالنهي عن الشجرة صورة فهذا النهي صوري، وأكله من الشجرة جبري لعلمه أن المصلحة مترتبة على أكله، وإنما سمي معصية نظراً للنهي الظاهري، فمن حيث الحقيقة لم يقع منه عصيان، ومن حيث الشريعة وقعت منه المخالفة، ومن ذلك قول ابن العربي: لو كنت مكان آدم لأكلت الشجرة بتمامها لما ترتب على أكله من الخير العظيم، وإن لم يكن من ذلك إلا وجود سيدنا محمد ﷺ لكفى. ومن هذا المقام قول الجبلي:

ولي نكتة غرا هنا سأقولها	وحق لها أن ترعويها المسامع
هي الفرق ما بين الولي وفاسق	تنبه لها فالأمر فيه بدائع
وما هو إلا أنه قبل وقعه	يخبر قلبي بالذي هو واقع
فأجني الذي يقضيه في مرادها	وعيني لها قبل الفعال تطالع
فكنت أرى منها الإرادة قبل ما	أرى الفعل مني والأسير مطاوع
إذا كنت في أمر الشريعة عاصياً	فإني في حكم الحقيقة طائع

قوله: ﴿التَّوَّابُ﴾ أي كثير التوبة، بمعنى أن العبد كلما أذنب وتاب قبله فهو كثير القبول لتوبة من تاب، ويسمى العبد تواباً بمعنى أنه كلما أذنب ندم واستغفر ولا يصر، وشرط توبة العبد الندم والإقلاع والعزم على أن لا يعود، فإن كانت المعصية متعلقة بمخلوق اشترط إما رد المظالم لأهلها أو مسامحتهم له، فكل من العبد والرب يسمى تواباً بالوجه المتقدم، لكن لا يقال في الرب تائب لأن أسماءه توقيفية، وقد

﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ﴿٣٧﴾ بهم ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا﴾ من الجنة ﴿ جَمِيعًا﴾ كرره ليعطف عليه ﴿ فَإِمَّا ﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة ﴿يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ كتاب ورسول ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ ﴾ فآمن بي وعمل بطاعتي ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ في الآخرة بأن يدخلوا الجنة ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ كتبنا ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ ﴿٣٩﴾ ماكثون أبداً لا يفنون ولا يخرجون ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ أولاد يعقوب ﴿ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ أي على

قيل إن آدم لما نزل الأرض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع رأسه إلى السماء حياء من الله تعالى، وقد قيل لو أن دموع أهل الأرض جمعت لكانت دموع داود أكثر، ولو أن دموع داود مع أهل الأرض جمعت لكانت دموع آدم أكثر. قوله: ﴿قُلْنَا﴾ أتى بنون العظمة لأنها له حقيقة ومن ادعاها غير مولانا قصم. قوله: ﴿اهْبِطُوا﴾ جمع باعتبار الذرية التي في صلب آدم. قوله: ﴿جَمِيعاً﴾ حال من فاعل اهبطوا أي مجتمعين إما في زمان واحد أو في أزمنة متفرقة، لأن المراد الإشتراك في أصل الفعل، فإن جاؤوا جميعاً لا تستلزم الصحبة بخلاف جاؤوا معاً. قوله: (ليعطف عليه) أي فهذا حكمة التكرار، فالأول أفاد الأمر بالهبوط مع ثبوت العداوة، والثاني أفاد الأمر بالهبوط والتكاليف، وترتب السعادة والشقاوة على الإمتثال وعدمه، فالشيء مع غيره، غيره في نفسه. قوله: (كتاب ورسول) أي أو رسول فقط، فالمراد بالهدى مطلق دال على الله، والمراد أي رسول وأي كتاب من آدم إلى محمد، والرسول صادق بكونه من الملك أو البشر فيشمل الأمم والأنبياء فتأمل. قوله: (إن الشرطية) أي وفعلها يأتينكم مبني على الفتح لإتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وجوابه جملة فمن اتبع هداي وجملة والذين كفروا الآية إذا التقدير ومن لم يتبع هداي وجملة والذين كفروا الآية إذ التقدير ومن لم يتبع هداي فأولئك أصحاب النار.

قوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ذكر سبحانه وتعالى خطاب المكلفين عموماً في أول السورة، ثم ثنى بمبدأ خلق آدم وقصته مع إبليس، وثلث بذكر بني إسرائيل سواء كانوا في زمنه ﷺ أو قبله، وما يتعلق بهم من هنا إلى (سيقول السفهاء)، فعدد عليهم نعماً عشرة وقبائح عشرة وانتقامات عشرة، والحكمة في ذكر بني إسرائيل الذين تقدموا قبل رسول الله مع أنهم لم يخاطبوا بالإيمان برسول الله أن من كان في زمنه ﷺ يدعى أنه على قدمهم وأنه متبع لهم وأن أصولهم كانوا على شيء فلذلك تبعوهم، فبين سبحانه وتعالى النعم التي أنعم الله بها على أصولهم وبين لهم انهم قابلوا تلك النعم بالقبائح وبين أنه أنزل عليهم العفاف ليعتبر من يأتي بعدهم وحكمة تخصيصهم بالخطاب أن السورة أو ما نزل بالمدينة وأهل المدينة كان غالبهم يهود أو هم أصحاب كتاب وشوكة فإذا أسلموا وانقادوا انقاد جميع أتباعهم فلذلك توجه الخطاب لهم وبني منادى مضاف منصوب بالياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم لكونه ليس علماً ولا صفة لمذكر عاقل، وبني مضاف وإسرائيل مضاف إليه مجرور بالفتحة لأنه اسم لا ينصرف، والمانع له من الصرف العلمية والعجمة، وبني جمع ابن وأصله قيل بنو فهو واوي وقيل بني فهو يائي، فعلى الأول هو من البنوة كالأبوة وعلى الثاني هو من البناء، وإسرائيل قيل معنا عبد الله وقيل القوي بالله لأن إسراقيل معناه عبد أو القوي وإيل معناه الله، وقيل مأخوذ من الإسراء لأنه أسرى بالليل مهاجراً إلى الله تعالى، وإسرائيل فيه لغات سبع الأولى بالألف ثم همزة ثم ياء ثم لام وبها جاءت القراءات السبع، الثانية بقلب الهمزة ياء بعد الألف، الثالثة بإسقاط الياء مع بقاء الهمزة والألف، الرابعة والخامسة بإسقاط الألف والياء مع بقاء الهمزة مفتوحة ومكسورة،

آبائكم من الإنجاء من فرعون، وفلق البحر، وتظليل الغمام، وغير ذلك بأن تشكروها بطاعتي ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ﴾ الذي عهدته إليكم من الإيمان بمحمد ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ الذي عهدت إليكم من الثواب عليه بدخول الجنة ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾ ﴿٤٠﴾ خافون في ترك الوفاء به دون غيري ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ﴾ من القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ من التوراة بموافقته له في التوحيد والنبوة ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ

السادسة بإسقاط الهمزة والياء مع بقاء الألف، السابعة إبدال اللام الأخيرة بالنون مع بقاء الألف والهمزة والياء وجمعه أساريل وأسارلة وأسارل، قوله: **(أولاد يعقوب)** أي ابن اسحق ابن ابراهيم الخليل.

قوله: ﴿**اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ**﴾ الذكر بكسر الدال وضمها بمعنى واحد، وهو ما كان باللسان أو بالجنان وقال الكسائي ما كان باللسان فهو بالكسر وما كان بالقلب فهو بالضم وضد الأول صمت والثاني نسيان والنعمة اسم لما ينعم به وهي شبيهة بفعل بمعنى مفعول، والمراد بها الجمع لأنها اسم جنس، قال تعالى: (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) وقوله: ﴿**التي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ**﴾ جملة الصلة والموصول صفة للنعمة والعائد محذوف تقديره أنعمتها بالنصب على نزع الخافض ولا يقدر أنعمت بها لئلا يلزم حذف العائد من غير وجود شرطه لقول ابن مالك: كذا الذي جر بما الموصول جر. وليس الموصول مجروراً، فتأمل، قوله: **(وغير ذلك)** أي من بقية العشرة وهي العفو عنهم وغفران خطاياهم، وإتيان موسى الكتاب والحجر الذي تفجرت منه اثنتا عشرة عيناً والبعث بعد الموت وإنزال المن والسلوى عليهم.

تنبيه: بقي ذكر قبائحهم العشرة وهي: قولهم سمعنا وعصينا، واتخاذهم العجل، وقولهم أرنا الله جهرة وتبديل القول الذي أمروا به، وقولهم لن نصبر على طعام واحد، وتحريف الكلم وتوليهم عن الحق بعد ظهوره وقسوة قلوبهم، وكفرهم بآيات الله، وقتلهم الأنبياء بغير حق. وأما عقوباتهم العشرة فهي ضرب الذلة والمسكنة عليهم، والغضب من الله، وإعطاء الجزية، وأمرهم بقتل أنفسهم، ومسخهم قردة وخنازير، وإنزال الرجز عليهم من السماء، وأخذ الصاعقة لهم، وتحريم طيبات أحلت لهم، وهذ العشرات في أصولهم، وقد وبخ الله المعاصرين لمحمد ﷺ بعشرة أخرى: كتمانهم أمر محمد، وتحريف الكلم، وقولهم هذا من عند الله، وقتلهم أنفسهم، وإخراجهم فريقاً من ديارهم، وحرصهم على الحياة، وعداوتهم لجبريل، واتباعهم السحر، وقولهم نحن ابناء الله، وقولهم يد الله مغلولة، قوله تعالى: (غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا). قوله: **(بأن تشكروها)** أي تصرفوها فيما يرضي ربكم.

وقوله: ﴿**وَأَوْفُوا**﴾ يقال أوفى ووفى مشدداً ومخففاً. قوله: **(من الإيمان بمحمد)** أي في قوله تعالى: (ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً) الآيات. قوله: **(بدخول الجنة)** أي في قوله تعالى: (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي) الآيات وقوله تعالى: (لأكفرن عنهم سيئاتهم) الآيات. قوله: **(دون غيري)** أخذ الحصر من تقديم المعمول، وإياي مفعول المحذوف يفسره قوله فارهبون، وهذا في الحصر أبلغ من (إياك نعبد) لأن اياك معمول لنعبد، وأما هنا فهو معمول لمحذوف لإستيفاء الفعل المذكور معموله وهو الياء المذكورة أو المحذوفة تخفيفاً فهو في قوة تكرار الفعل مرتين. قوله: ﴿**وَآمِنُوا**﴾ من عطف المسبب على السبب. قوله: **(من القرآن)** بيان لما قوله: ﴿**مُصَدِّقاً**﴾ حال من الضمير المحذوف في أنزلت أو من ما. قوله: **(بموافقته)** الباء سببية ولا يلزم من موافقته للتوراة أنه لم يزد عليها بل القرآن جمع الكتب

أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦۖ﴾ من أهل الكتاب لأن خلفكم تبع لكم فإثمهم عليكم ﴿وَلَا تَشْتَرُوا﴾ تستبدلوا ﴿بِـَٔايَٰتِى﴾ التي في كتابكم من نعت محمد ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ عوضاً يسيراً من الدنيا أي لا تكتموها خوف فوات ما تأخذونه من سفلتكم ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾ ﴿٤١﴾ خافون في ذلك دون غيري ﴿وَلَا تَلْبِسُوا﴾ تخلطوا ﴿ٱلْحَقَّ﴾ الذي أنزل عليكم ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾ الذي تفترونه ﴿وَ﴾ لا ﴿تَكْتُمُوا ٱلْحَقَّ﴾ نعت محمد ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤٢﴾ أنه حق ﴿وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ ﴿٤٣﴾ صلوا مع المصلين محمد وأصحابه. ونزل في علمائهم وكانوا يقولون لأقربائهم المسلمين اثبتوا على دين محمد فإنه حق ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾ بالإيمان بمحمد ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ تتركونها فلا تأمرونها به

السماوية وزاد عليها. قوله: (من أهل الكتاب) هذا جواب عن سؤال مقدر تقديره إن أول بعثة النبي في مكة وأول كافر أهلها ولم يأت للمدينة إلا بعد ثلاث عشرة سنة فليس كفار أهل الكتاب بأول كافر أجاب المفسر بأن المراد الذي في أيديهم الكتب بالنسبة لمن يأتي بعدهم إلى يوم القيامة. فليس المراد الأولية الحقيقية بل النسبية. قوله: (فإثمهم عليكم) أي لأن من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عملها إلى يوم القيامة. قوله: (تستبدلوا) حول المفسر العبارة لأن الشراء ليس حقيقياً بل هو مطلق استبدال ومعاوضة. قوله: (من نعت محمد) أي أوصافه واخلاقه التي ذكرت في التوراة والإنجيل. قوله: (من سفلتكم) أي عامتكم. قوله: ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ يقال فيه ما قيل في (وإياي فارهبون).

قوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا﴾ من لبس بالفتح من باب ضرب وأما اللبس وهو سلك الثوب في العنق فمن باب تعب قوله: (الذي تفترونه) أي من تغيير صفات محمد. قوله: (صلوا مع المصلين) أشار بذلك إلى أنه من باب تسمية الكل باسم جزئه، وآثر الركوع على غيره لأنه لم يكن في شريعتهم، فكأنه قال: صلوا الصلاة ذات الركوع جماعة. قوله: (ونزل في علمائهم) فاعل نزل جملة أتأمرون الناس والضمير في علمائهم عائد على اليهود، ومثل ذلك يقال في علماء المسلمين لأن كل آية وردت في الكفار تجر ذيلها على عصاة المؤمنين، فالحاصل أن العالم إن كان كافراً فهو معذب من قبل عباد الوثن لأن وزر من كفر في عنقه، وأما إن كان مسلماً ولكنه فرط في العمل بالعلم فهو أقبح العصاة عذاباً، هذا هو الحق. فقوله:

وعالم بعلمه لن يعملن ... معذب من قبل عباد الوثن

محمول على العالم الكافر كعلماء اليهود والنصارى. قوله: (لأقربائهم المسلمين) إنما فضحوا معهم ليأسهم من دنياهم. قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ﴾ سيأتي للمفسر أن الهمزة للإستفهام الإنكاري، ومحط الإستفهام قوله وتنسون أنفسكم، أي لا يليق منكم الأمر بالمعروف والبر لغيركم مع كونكم ناسين أنفسكم قال الشاعر:

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم

إلى أن قال:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال الشاعر أيضاً:

أتنهى الناس ولا تنتهي ... متى تلحق القوم يا لكع

ويا حجر السن ما تستحي ... تسن الحديد ولا تقطع

﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة وفيها الوعيد على مخالفة القول العمل ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ سوء فعلكم فترجعون، فجملة النسيان محل الإستفهام الإنكاري ﴿وَٱسْتَعِينُواْ﴾ اطلبوا المعونة على أموركم ﴿بِٱلصَّبْرِ﴾ الحبس للنفس على ما تكره ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ أفردها بالذكر تعظيماً لشأنها وفي الحديث كان ﷺ إذا حزبه أمر بادر إلى الصلاة وقيل الخطاب لليهود لما عاقهم عن الإيمان الشره وحب الرياسة فأمروا بالصبر وهو الصوم لأنه يكسر الشهوة والصلاة لأنها تورث الخشوع وتنفي الكبر ﴿وَإِنَّهَا﴾ أي الصلاة ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ ثقيلة ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ الساكنين إلى الطاعة ﴿ٱلَّذِينَ

قوله: (يالإيمان بمحمد) الأخصر حذف بالإيمان، فالبر اسم جامع لكل خير كما أن الإثم اسم جامع لكل شر. ولما كان الإيمان بمحمد يستلزم كل خير فسره به. وسيأتي تفسيره في قوله تعالى: (ولكن البر من آمن بالله) الآية. قوله: (تتركونها) أشار بذلك إلى أنه من باب استعمال اللازم في الملزوم، أو السبب في المسبب، لأنه يلزم من نسيان الشيء تركه، وسبب الترك النسيان، والحكمة في ارتكاب المجاز الإشارة إلى أن الشأن أن العالم لايقع منه ذلك إلا نسياناً. قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ قال بعض المفسرين إن الفاء في مثل هذا الموضع مؤخرة من تقديم، وجملة تعقلون معطوفة على جملة تتلون، والمستفهم عنه ما بعد الفاء، التقدير فأي شيء لا تعقلونه، وقال الزمخشري إن الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، التقدير أتفعلون ذلك فلا تعقلون.

قوله: ﴿وَاسْتَعِينُوا﴾ قيل إن هذا الخطاب للمسلمين، وقيل لليهود فعلى الأول تكون الجملة معترضة بين أجزاء القصة، وعلى الثاني لا اعتراض. قوله: (الحبس للنفس على ما تكره) أي من المصائب والطاعات وترك المعاصي، فأقسام الصبر ثلاثة: صبر على المصيبة، وصبر على دوام الطاعة، وصبر عن المعاصي فلا يفعلها، والكامل من تحقق بجميعها. قوله: (أفردها بالذكر) أي مع أنها داخلة في الصبر فذكر الخاص بعد العام لا بد له من نكتة، أجاب عن ذلك بقوله تعظيماً لشأنها. قوله: (تعظيماً لشأنها) أي من حيث إن الصلاة جامعة لأنواع للعبادة من تسبيح وتهليل وتكبير وذكر وصلاة على النبي ﷺ وركوع وسجود، وفي الحديث لما أسرى به ورأى الملائكة منهم القائم لا غير، والراكع لا غير، وهكذا تمنى عبادة تجمع عبادات الملائكة فأعطي الصلاة. قوله: (إذا حزبه) بالباء والنون ومعناها همه وشق عليه، وهذا يؤيد أن الخطاب لمحمد وأصحابه. قوله: (الشره) أي الشهوة فالمانع لهم من الإيمان بمحمد الشهوات والكبر، ولكن قد يقال إن الكافر لا يصح منه صوم ولا صلاة حتى يدخل في الإسلام، فما معنى أمرهم بذلك، أجيب بأن المراد أمرهم بعد الإسلام. قوله: (لأنه يكسر الشهوة) أي يضعفها. قوله: (تورث الخشوع) هو خضوع النفس وسكونها تحت المقادير قوله: (ثقيلة) قوله تعالى: (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى) الآية.

قوله: ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ استثناء مفرغ مضمن معنى النفي، أي لا تسهل إلا على الخاشعين.
قوله: (الساكنين) أي المائلين المحبين للطاعة الذين اطمأنت قلوبهم لها، وفي الحديث أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، وفي الحديث وجعلت قرة عيني في الصلاة، هكذا مشى المفسر على أن الضمير عائد على الصلاة، ويحتمل عوده على الإستعانة بالصبر والصلاة، ويحتمل عوده على ما تقدم من قوله:

يَظُنُّونَ﴾ يوقنون ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ ﴿٤٦﴾ في الآخرة فيجازيهم ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ بالشكر عليها بطاعتي ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾ أي آباءكم ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ عالمي زمانهم ﴿وَٱتَّقُواْ﴾ خافوا ﴿يَوْمًا لَّا تَجْزِي﴾ فيه ﴿نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ هو يوم القيامة ﴿وَلَا يُقْبَلُ﴾ بالتاء والياء ﴿مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ أي ليس لها شفاعة فتقبل فما لنا من

(اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم)، أي وإن ما أمر به بنو إسرائيل لكبيرة. قوله: (يوقنون) أشار بذلك إلى أن الظن يستعمل بمعنى اليقين، وقد يستعمل اليقين بمعنى الظن، قال تعالى: (فإن علمتموهن مؤمنات) أي ظننتموهن. قوله: ﴿أَنهُمْ مُلاَقُوا رَبِّهِمْ﴾ أي يعتقدون أنهم يبعثون ويرون ربهم، فقوله بالبعث الباء سببية. قوله: ﴿وأَنهُمْ إلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ أي صائرون فيحاسبهم على أعمالهم فيدخلهم إما الجنة أو النار، وبهذا التفسير فلا تكرار بين قوله: (أنهم ملاقوا ربهم)، وبين قوله: (وأنهم إليه راجعون).

قوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ كرر هذا النداء لطول الفصل، بناء على أن الخطاب في (واستعينوا بالصبر والصلاة) لغير بني إسرائيل ولتعداد النعم عليهم وللتأكيد لبلادتهم، فإن الذكي يفهم بالمثال الواحد ما لا يفهمه الغبي بألف شاهد. قوله: (بالشكر عليها) أي باتباع محمد والدخول في دينه، ولا ينفعهم الإنتساب لغيره مع وجوده. قوله: ﴿وأَنّي فَضَّلْتُكُمْ﴾ في تأويل مصدر معطوف على نعمتي أي اذكروا نعمتي وتفضيلي إياكم. قوله: (أي آباؤكم) اشارة إلى أنه على حذف مضاف، فالفضل ثابت لآبائهم المتقدمين لا لمن وجد في زمنه ﷺ، فإن المصر منهم على الكفر من همج الهمج. قوله: (عالمي زمانهم) دفع بذلك ما يقال إن المراد بالعالمين ما سوى الله، فيقتضي أن بني إسرائيل أفضل مما سواهم من الأولين والآخرين، فأجاب بأن المراد بالعالمين عالمو زمانهم وهذا هو المرتضى، وهناك أجوبة أخر منها أن المراد بآبائهم الأنبياء وهو مخدوش بأن ابراهيم أفضل من أنبياء بني إسرائيل، ومحمداً أفضل الخلق جميعاً، ومنها أن المراد تفضيل أمم بني إسرائل على جميع الأمم وهو مخدوش أيضاً بأن أمة محمد أفضل الأمم جميعاً باتفاق لقوله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس)، ولذلك طلب موسى أن يكون منهم فلم يتم إلا الأول.

قوله: ﴿واتَّقُوا﴾ أصله أوتقوا قلبت الواو تاء وأدغمت في التاء، وقوله يوماً مفعول به وليس ظرفاً لأن الخوف واقع على اليوم لا في اليوم. قوله: ﴿لَا تَجْزِي﴾ (فيه) صفة ليوماً وقدر المفسر قوله فيه إشارة للرابط، وحذف لأنه يتوسع في الظروف ما لا يتوسع في غيرها. قوله: ﴿عَنْ نَفْسٍ﴾ متعلق بتجزي ونفس فاعل تجزي وهو بمعنى تغني أي لا تغني نفس مؤمنة عن نفس كافرة شيئاً من عذاب الله، وأما قوله يحشر المرء مع من أحب أي إذا كان المحب مؤمناً، والأصول لا تنفع الفروع إلا إذا كان مع الفروع إيمان، قال تعالى: (بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم). قوله: (بالتاء الياء) قراءتان سبعيتان فعلى التاء الأمر ظاهر، وعلى الياء لأنه مجازي التأنيث، فيصح تذكير الفعل وتأنيثه. قوله: ﴿مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ أي النفس المؤمنة لا تقبل شفاعتها في النفس الكافرة. قوله: (وليس لها شفاعة فتقبل) أي لم يؤذن لها في أصل الشفاعة حتى يتسبب عنها القبول، وليس المراد أنها تشفع ولكن لا يقبل منها تلك الشفاعة لقوله تعالى: (فما لنا من شافعين)

شافعين ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ فداء ﴿وَلَاهُمْ يُنصَرُونَ ۝٤٨﴾ يمنعون من عذاب الله ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ نَجَّيْنَاكُم﴾ أي آباءكم والخطاب به وبما بعده للموجودين في زمن نبينا بما أنعم على آبائهم تذكيراً لهم بنعمة الله تعالى ليؤمنوا ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ يذيقونكم ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أشده، والجملة حال من ضمير أنجيناكم ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ بيان لما قبله ﴿أَبْنَآءَكُمْ﴾ المولودين ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾ يستبقون ﴿نِسَآءَكُمْ﴾ لقول بعض الكهنة له إن مولوداً يولد في بني إسرائيل يكون سبباً

وخير ما فسرته بالوارد كما أشار لذلك المفسر. قوله: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ الضمير عائد على النفس الكافرة، والعدل بالفتح الفداء، ويطلق على المماثل في القدر لا في الجنس، وأما المماثل في الجنس فبالكسر. قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ جمع باعتبار أفراد النفس، لأن المراد بها جنس الأنفس، وأتى بالجملة اسمية للتأكيد، والمعنى ليس لهم مانع يمنعهم من عذاب الله.

قوله: ﴿إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ﴾ معطوف على نعمتي مسلط عليه اذكروا الأول أي اذكروا نعمتي وتفضيلي إياكم ووقت إنجائي لكم، والمقصود ذكر الإنجاء أو معطوف على جملة اذكروا، فقول المفسر اذكروا ليس تقديراً للعامل الأول بل هو عامل مماثلة، وهكذا يقال فيما يأتي ما فيه إذ من جميع ما يتعلق ببني إسرائيل. قوله: (أي آبائكم) ويصح أن النجاة لهم إذ لو غرقت أصولهم ما وجدوا، والنجاة مأخوذة من النجوة وهي الأرض المرتفعة، والوضع عليها ليسلم من الآفات يسمى إنجاء لهم ثم أطلق على كل خلوص من ضيق إلى سعة، فالمعنى خلصناهم من الهلكات. قوله: (بما أنعم على آبائهم) أي وعدد عليهم نعماً عشرة نهايتها (وإذا استسقى).

قوله: ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ لا يرد أن الآل لا يضاف إلا لذي شرف لأن فرعون ذو شرف دنيوي، والمراد أعوانه وكانوا يوم الغرق ألف ألف وسبعمائة ألف غير المتخلفين بمصر، وكانت الخيل الدهم سبعين ألفاً، وبنو إسرائيل كانوا ستمائة ألف وعشرين ألفاً وعند دخول يعقوب مصر كانوا سبعين نفساً ذكوراً وإناثاً، وبين موسى ويعقوب أربعمائة سنة، فكمل فيها ذلك العدد مع كثرة قتل الأطفال وموت الشيوخ، فسبحان الخلاق العظيم، وفرعون اسمه الوليد بن مصعب بن الريان، وفرعون لقب له من الفرعنة وهي العتو والتمرد، ومدة ادعائه الألوهية أربعمائة سنة، وكان يأكل كل يوم فصيلاً، وكان لا يتغوط إلا كل أربعين يوماً مرة، وفرعون اسم لكل من ملك العمالقة، كما أن قيصر اسم لمن ملك الروم، وكسرى لمن ملك الفرس، والنجاشي لمن ملك الحبشة، وتبع لمن ملك اليمن، وخاقان لمن ملك الترك. قوله: (يذيقونكم) أي على سبيل الدوام. قوله: ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ اسم جامع لكل ما يعم النفس كالشر وهو ضد الخير، إن قلت إن العذاب شيء أجاب المفسر بأن المراد أشده. قوله: (بيان لما قبله) أي لبعض ما قبله فإنهم يعذبون بأنواع العذاب، فكانوا يخدمون أقوياء بني إسرائيل في قطع الحجر والحديد والبناء وضرب الطوب والنجارة وغير ذلك وكان نساؤهم يغزلن الكتان لهم وينسجنه، وضعفاؤهم يضربون عليهم الجزية، وإنما قلنا لبعض ما قبله لأن ذبح الأولاد وما ذكر معه ليس هو عين أشد العذاب بل بعضه بدليل سورة إبراهيم فإنها بالعطف وهو يقتضي المغايرة.

قوله: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾ أصله يستحييون بياءين الأولى عين الكلمة والثانية لامها استثقلت الكسرة

لذهاب ملكك ﴿وَفِي ذَٰلِكُم﴾ العذاب أو الإنجاء ﴿بَلَآءٌ﴾ ابتلاء أو إنعام ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ ﴿٤٩﴾ اذكروا ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا﴾ فلقنا ﴿بِكُمُ﴾ بسببكم ﴿ٱلْبَحْرَ﴾ حتى دخلتموه هاربين من عدوكم ﴿فَأَنجَيْنَٰكُمْ﴾ من الغرق ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ قومه معه ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ إلى انطباق البحر عليهم ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا﴾ بألف ودونها ﴿مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ نعطيه عند انقضائها

على الياء الأولى فحذفت فالتقى ساكنان حذفت الياء لالتقاء الساكنين، وقيل حذفت الياء الثانية تخفيفاً، وضمت الأولى لمناسبة الواو، فعلى الأولى وزنه يستفلون وعلى الثاني وزنه يستفعون. قوله: **(لقول بعض الكهنة)** أي حين دعاهم ليقص عليهم ما رآه في النوم، وهو أن ناراً أقبلت من بين المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقت القبط وتركت بني إسرائيل، فشق عليه ذلك ودعا الكهنة وسألهم عن ذلك فقالوا له ما ذكر. قوله: **(أو الإنجاء)** أي من حيث عدم الشكر عليه فصار الإنجاء بلاء، فالبلاء يطلق عليه الخير والشر، قال تعالى: (ونبلوكم بالشر والخير فتنة). قوله: **(ابتلاء)** راجع للعذاب، وقوله أو إنعام راجع للإنجاء فهو لف ونشر مرتب.

قوله: **﴿وَ﴾ (اذكروا) ﴿إِذْ فَرَقْنَا﴾** هذا من جملة المعطوف على نعمتي أو على اذكروا، فالمقصود تعداد النعم عليهم وفرق من باب قتل ميز الشيء من الشيء، قال تعالى: (وقرآناً فرقناه) أي ميزنا به الحق من الباطل. قوله: **(فلقنا)** الفلق والفرق بمعنى واحد، قال تعالى: (فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم). قوله: **﴿ٱلْبَحْرَ﴾** هو الماء الكثير عذباً أو ملحاً، لكن المراد هنا الملح، والمراد به بحر القلزم. قوله: **﴿آلَ فِرْعَوْنَ﴾** يطلق آل الرجل عليه وعلى آله. قال تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) والمراد محمد وآله (ولقد كرمنا بني آدم) المراد آدم وبنوه. قوله: **(إلى انطباق البحر)** إشارة إلى أن المتعلق محذوف. قوله: **(بألف ودونها)** أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى الألف المواعدة من الله بإعطاء التوراة، ومن موسى برياضته الأربعين يوماً وإتيانه جبل الطور لأخذ التوراة وعلى عدمها فالأمر ظاهر.

قوله: **﴿مُوسَىٰ﴾** هو اسم عجمي غير منصرف وهو في الأصل مركب والأصل موشى بالشين لأن الماء بالعبرانية يقال له مو. والشجر يقال له شيء، فغيرته العرب وقالوه بالسين سمي بذلك، لأن فرعون أخذه من بين الماء والشجر حين وضعته أمه في الصندوق وألقته في اليم كما سيأتي في سورة القصص، وهذا بخلاف موسى الحديد فإنه عربي مشتق من أوسيت رأسه إذا حلقته، وعاش موسى مائة وعشرين سنة. قوله: **﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾** إشارة إلى غاية المدة، وأما في سورة الأعراف فبين المبدأ والمنتهى، قال تعالى: (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة) وهي ذو العقدة وعشر ذي الحجة، واقتصر على ذكر الليالي مع أن النهار تبع لها لأن الليل محل الصفا والأنس والعطايا الربانية. قوله: **(عند انقضائها)** أي فراغها فبعد تمام الخدمة من العبد العطايا من الرب، قال عليه الصلاة والسلام: «تمام الرباط أربعون يوماً». قوله: **(التوراة)** أي في ألواح من زبرجد فيها الأحكام التكليفية من خرج عنها فهو ضال مضل لقوله تعالى: (أنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور) الآية، وأعطاه أيضاً ألواحاً أخر فيها مواعظ وأسرار ومعارف، قال تعالى: (وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء) يخص بها من شاء فلما رجع بها ووجدهم قد عبدوا العجل ألقى الألواح فتكسر ما عدا التوراة، كذا قالوا هنا، وسيأتي تحقيق

التوراة لتعلموا بها ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ الذي صاغه لكم السامري إلهاً ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي بعد ذهابه إلى ميعادنا ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ ﴿٥١﴾ باتخاذه لوضعكم العبادة في غير محلها ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم﴾ محونا ذنوبكم ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ الإتخاذ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ نعمتنا عليكم ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿وَٱلْفُرْقَانَ﴾ عطف تفسير أي الفارق بين الحق والباطل والحلال والحرام ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ به من الضلال ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ الذين عبدوا العجل ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ إلهاً ﴿فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ خالقكم من عبادته ﴿فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ أي ليقتل البريء منكم المجرم ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ القتل ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ فوفّقكم لفعل ذلك وأرسل عليكم سحابة سوداء لئلا يبصر بعضكم بعضاً فيرحمه حتى قتل منكم نحو سبعين ألفاً ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قبل توبتكم ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾ وقدخرجتم مع موسى لتعتذروا إلى الله من عبادة العجل وسمعتم كلامه ﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ عياناً ﴿فَأَخَذَتْكُمُ

ذلك في الأعراف. قوله: (السامري) واسمه موسى وكان ابن زنا ولدته أمه في الجبل وتركته لخوفها من قومها، فرباه جبريل وكان يسقيه من أصبعه لبناً فصار يعرف جبريل، ويعرف أن أثر حافر فرس جبريل إذا وضع على ميت يحيا، فاستعار حلياً منهم وصاغة عجلاً ووضع التراب في أنفه وفمه فصار له خوار، وكان السامري منافقاً من بني إسرائيل فعكفوا على عبادته جميعاً إلا اثني عشر ألفاً قال بعضهم:

إذا المـرء لم يخلق سعيـداً من الأزل ... قـد خـاب من ربى وخـاب المؤمـل
فموسى الـذي ربـاه جـبريـل كـافـر ... ومـوسى الذي ربـاه فـرعـون مـرسـل

قوله: (إلهاً) قدره إشارة للمفعول الثاني لاتخذ هذا إذا كانت بمعنى جعل، وأما إن كانت بمعنى عمل نصبت مفعولاً واحداً. قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي تتدبرون في معانيه فتعلموا الحق من الباطل قوله: ﴿بِٱتِّخَاذِكُمْ﴾ من إضافة المصدر لفاعله، والعجل مفعول أول وإلهاً مفعول ثان. قوله: ﴿إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ البارىء هو الخالق للشيء على غير مثال سابق. قوله: ﴿فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ هذا بيان لتوبتهم. قوله: (أي ليقتل البريء إلخ) ورد أنهم أمروا جميعاً بالإحتباء، فصار الواحد منهم يقتل أخاه أو ابنه فشق عليهم ذلك، فشكوا لموسى ذلك فتضرع موسى لربه فأرسل عليهم سحابة سوداء مظلمة كما قال المفسر.

قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ أي لما تضرع موسى وهارون وبكيا، فأرسل الله جبريل يأمرهم بالكف عن الباقي وأخبرهم أن الله قبل توبة من قتل ومن لم يقتل، وقوله فتاب عليكم الفاء سببية مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله: فوفقكم لفعل ذلك إلخ، وقوله حتى قتل منكم نحو سبعين ألفاً أي في يوم واحد. قوله: ﴿ٱلتَّوَّابُ﴾ أي الذي يقبل التوبة كثيراً. قوله: ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ أي المنعم المحسن. قوله: (وقد خرجتم إلخ) بيان للسبب، وحاصل ذلك أنه بعد قبول توبتهم، أوحى الله إلى موسى أن خذ من قومك سبعين رجلاً ممن لم يعبدوا العجل ومرهم بطهارة الثياب والأبدان والذهاب معك إلى جبل الطور ليعتذروا عمن عبدوا العجل ويستغفروا ويتوبوا، فاختارهم وذهبوا معه إلى جبل الطور فسمعوا كلام الله ورد أن الله قال لهم إني أنا الله لا إله إلا أنا أخرجتكم من أرض مصر بيد شديدة فاعبدون ولا تعبدوا غيري، فقالوا: (يا موسى لن نؤمن لك الآية). قوله: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ أي لن نصدقك في أن المخاطب لنا

﴿ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ الصيحة فمتم ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٥﴾ ما حل بكم ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم﴾ أحييناكم ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٥٦﴾ نعمتنا بذلك ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ ستركناكم بالسحاب الرقيق من حر الشمس في التيه ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ﴾ فيه ﴿ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ هما الترنجبين والطير السماني بتخفيف الميم والقصر وقلنا ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ ولا تدخروا فكفروا النعمة وادخروا فقطع عنهم ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ بذلك ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٥٧﴾ لأن وباله عليهم

ربنا. قوله: (**الصيحة**) قيل صاح عليهم ملك، وقيل نزلت عليهم نار فأحرقتهم، وجمع بأنه أصابهم كل منهما. قوله: ﴿**وأنتم تنظرون**﴾ أي فماتوا مترتبين واحداً بعد واحد ومكثوا ميتين يوماً وليلة والحي ينظر للميت. قوله: (**ما حل بكم**) إشارة إلى مفعول تنظرون.

قوله: ﴿**ثم بعثناكم**﴾ أي واحداً بعد واحد لتعتبروا وهذا الموت حقيقي وإنما أحيوا بشفاعة موسى ليستوفوا آجالهم المقدرة لهم، وما ذكره المفسر من أن السائل لرؤية الله جهرة هم السبعون المختارون للمناجاة أحد طريقتين والثانية أن السائل غيرهم، وأما المختارون فصعقوا من هيبة الله ولم يسألوا رؤية ولم يكن منهم انكار، فتضرع موسى لربه وقال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا، فأحياهم الله بعد ذلك، ويشهد لذلك ما في آية النساء فإن ما فيها يدل على أن طلب الرؤية كان قبل عبادة العجل. وأما السبعون المختارون للمناجاة فكانوا بعد عبادة العجل قالت تعالى في سورة النساء: (فقالوا أرنا الله جهرة) الآية، وأما ما هنا فالواو لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً فإن ما هنا بصدد تعداد ما قالوا، ويشهد لذلك أيضاً أنه عبر في جانب من طلب الرؤية بالصاعقة وهي أخذة غضب، وفي جانب من يسمع الكلام بالرجفة وهي أخذة هيبة، ولا تقتضي الغضب إذ علمت ذلك، فما مشى عليه المفسر مشكل من وجوه والأقرب الطريقة الثانية. قوله: (**ستركناكم بالسحاب**) حاصله أن الله أوحى إلى موسى أن في أريحا قوماً جبارين فتجهز لقتالهم، فخرج في ستمائة ألف فلما وصل التيه واد بين الشام ومصر وقدره تسعة فراسخ مكثوا فيه أربعين سنة متحيرين، وكانوا يبتدئون السير من أول النهار فإذا جاء الليل وجدوا أنفسهم في المبتدأ وهكذا، وسيأتي بسطه في المائدة، ومات هارون قبل موسى بسنة وكانت بالتية، ولما توفي هارون وذهب موسى لدفنه أشاعوا أنه قتل أخاه فذهب إلى قبره ودعاهم وسأله عن سبب موته فبرأه، ولما حضرت موسى الوفاة تمنى أن يدفن بمحل قريب من الأرض المقدسة قدر رمية الحجر فأجابه الله، ثم لما مات ومات كبارهم نبىء يوشع بن نون عليهم فوقفوا بعد تمام الأربعين سنة لقتال الجبارين، فتوجه مع من بقي من بني اسرائيل فكان النصر على يديه. قوله: (**الترنجين**) شيء يشبه العسل الأبيض وقيل هو هو. قوله: (**والطير السماني**) أي بإرسال ريح الجنوب به، قيل كان يأتيهم مطبوخاً، وقيل كانوا يطبخونه بأيديهم، قيل هو الطير المعروف وقيل طير يشبهه. قوله: ﴿**كلوا من طيبات ما رزقناكم**﴾ أي مستلذات الذي رزقناكموه، فما اسم موصول وما بعده صلة والعائد محذوف، ويصح أن تكون نكرة والجملة بعدها صفة، وأن تكون مصدرية والجملة صلتها ولم تحتج إلى عائد ويكون المصدر واقعاً موقع المفعول أي من طيبات مرزوقنا. قوله: (**فقطع عنهم**) هذا أحد تفسيرين أن القطع بسبب الإدخار، وقيل إن القطع بسبب تمني غيره كما يأتي في قوله تعالى: (وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد). قوله: ﴿**ولكن كانوا**﴾ جمع في هذه الآية وآية الأعراف بين لكن وكانوا واقتصر على لكن، ولم يذكر كانوا في آل عمران، لأن ما هنا

﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ لهم بعد خروجهم من التية ﴿ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس أو أريحا ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ واسعاً لا حجر فيه ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ﴾ أي بابها ﴿سُجَّدًا﴾ منحنين ﴿وَقُولُواْ﴾ مسألتنا ﴿حِطَّةٌ﴾ أي أن تحط عنا خطايانا ﴿نَّغْفِرْ﴾ وفي براءة بالياء والتاء مبنياً للمفعول فيهما ﴿لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٨﴾ بالطاعة ثواباً ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ منهم

والأعراف حكاية عن بين إسرائيل، وأما آل عمران فمثل ضربه الله فهو مستمر إلى الآن فناسب عدم التعبير بكان.

قوله: ﴿قُلْنَا﴾ (لهم) القائل الله سبحانه وتعالى على لسان موسى وهم في التية بطريق الكشف والمعنى إذا خرجتم من التيه بعد مضي الأربعين سنة فادخلوا إلخ، وأما إن كان بعد الخروج من التيه فيكون ذلك على لسان يوشع وهو المعتمد. قوله: ﴿هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ هذه منصوبة عند سيبويه على الظرف، وعند الأخفش على المفعولية، والقرية نعت لهذه أو عطف بيان وهي مشتقة من قريت أي جمعت لجمعها لأهلها، وهي في الأصل اسم للمكان الذي يجتمع فيه القوم، وقد تطلق عليهم مجازاً، وقوله تعالى: (واسأل القرية) يحتمل الوجهين. قوله: **(بيت المقدس)** هو قول مجاهد، وقوله أو أريحا هو قول ابن عباس المقدس وهي بفتح الهمزة وكسر الراء والحاء المهملة قرية بالغور بغين معجمة مكان منخفض بين بيت المقدس وحوران، وعبارة الخازن قال ابن عباس القرية هي أريحا قرية الجبارين، قيل كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة ورأسهم عوج بن عنق.

قوله: ﴿فَكُلُوا﴾ أتى بالفاء لأن الأكل منها إنما يكون بعد الدخول فحسن الترتيب، ولم يأت بالفاء في الأعراف بل أتى بالواو لتعبيره هناك اسكنوا وهوبجامع الأكل، فلم يحصل بينهما ترتيب فلذا أتى بالواو بخلاف الدخول فيعقبه الأكل عادة فلذلك أتى بالفاء. قوله: **(أي بابها)** أي أريحا وهو المعتمد والمراد أي باب من أبوابها وكان لها سبعة أبواب أو بيت المقدس، ومن قال بذلك فالمراد باب من أبواب المسجد يسمى الآن بباب حطة. قوله: **(منحنين)** أي على صورة الراكع، وقيل إن السجود حقيقة وهو وضع الجبهة على الأرض، وقيل المراد بالسجود التواضع والذل لله والأمر بالسجود قيل لصغر الباب وقيل تعبدي. قوله: **(مسألتنا)** إشارة إلى أن حطة خبر لمحذوف قدره المفسر، والجملة في محل نصب مقول القول، وحطة بوزن قعدة أو جلسة ومعناها حطيطة الذنوب عنا. قوله: **(خطايانا)** جمع خطيئة وهي الذنوب التي ارتكبوها من عبادة العجل، وقولهم أرنا الله جهرة إلى غير ذلك، وفي قراءة شاذة بنصب حطة إما مفعول مطلق أي حط عنا الذنوب حطة أو مفعول لمحذوف أي نسألك حطة ومعنى حطها إزالتها ومحوها.

قوله: ﴿نَغْفِرَ﴾ هذه القراءة تناسب ما قبلها وما بعدها لأنه تكلم. قوله: **(وفي قراءة بالياء والتاء)** أي وهما مناسبان لمعنى الخطايا والخطايا مجازي التأنيث، فلذلك جاز تذكير الفعل وتأنيثه. قوله: ﴿خَطَايَاكُمْ﴾ جمع خطيئة وأصله خطائي بياء قبل الهمزة فقلبت تلك الياء همزة مكسورة فاجتمع همزتان فقلبت الثانية ياء وقلبت كسرة الهمزة الأولى فتحة، ثم يقال تحركت الياء التي بعد الهمزة وانفتح ما قبلها فقلبت الفاً فصار خطاءاً بألفين بينهما همزة فاستثقل ذلك لأن الهمزة تشبه الألف، فكأنه اجتمع ثلاث

﴿قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ فقالوا حبة في شعرة ودخلوا يزحفون على أستاههم ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر مبالغة في تقبيح شأنهم ﴿رِجْزًا﴾ عذاباً طاعوناً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ بسبب فسقهم أي خروجهم عن الطاعة فهلك منهم في

الفات متواليات فقلبت الهمزة ياء للخفة هنا، ففيه خمس إعلالات قلب الياء التي قبل الهمزة همزة ثم قلب الهمزة الثانية ياء ثم قلب كسرة الأولى فتحة ثم قلب الثانية الفاً ثم قلب الأولى ياء تأمل، وخطايا هنا باتفاق القراء، وأما في الإعراف فيقرأ خطيئات، وحكمة ذلك أنه هنا أسند القول لنفسه فهو يغفر الذنوب وإن عظمت فناسب التعبير بخطايا الذي هو جمع كثرة، وفي الأعراف بنى الفعل للمجهول فعبر بجمع القلة، وقوله نغفر مجزوم في جواب قوله ادخلوا المقيد بالسجود وبالقول. قوله: ﴿وَسَنَزِيدُ﴾ عبر بالسين والمضارع إشارة إلى أن المحسن لا ينقطع ثوابه بل دائماً يتجدد شيئاً فشيئاً.

قوله: ﴿الَّذِين ظَلَمُوا﴾ حكمة الإتيان بذلك الزيادة في التقبيح عليهم. قوله: (منهم) قدرها هنا لأنه ذكرها في الأعراف، والقصة واحدة فما تركه هنا قدره هناك وبالعكس. قوله: ﴿قَوْلاً﴾ أي وفعلاً ففيه اكتفاء على حد سرابيل تقيكم الحر أي والبرد، أو المراد بالقول الأمر الإلهي وهو يشمل القول والفعل كأنه قال فبدل الذين ظلموا أمراً غير الذي أمروا به. قوله: (فقالوا حبة في شعرة إلخ) لف ونشر مشوش لأن هذا راجع إلى حطة، وقوله: (ودخلوا إلخ) راجع لقوله سجداً، وما فسر به المفسر هو الصحيح لأنه حديث البخاري، وقيل قالوا حنطة في شعرة أو شعيرة أو حنطة حمراء في شعرة سوداء أو حنطة بيضاء في شعرة سوداء، ومعنى حبة في شعرة جنس الحب وجنس الشعر أي نسألك حباً في زكائب من شعر. قوله: (ودخلوا يزحفون) وقيل إنهم مستلقين على ظهورهم. قوله: (على أستاههم) جمع سته وهو الدبر أي أدبارهم. قوله: ﴿رِجْزاً﴾ هو في الأصل فناء ينزل بالإبل أطلق وأريد منه مطلق الفناء. قوله: (بسبب فسقهم) أشار بذلك إلى أن الباء سببية وما مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر، ومشى المفسر على أن كان تتصرف فسبكه من الخبر، وقيل إن كان متصرفة يأتي منها المصدر لقول الشاعر:

ببذل وحلم ساد في قومه الفتى ... وكونك إياه عليك يسير

فعليه أن ما تسبك بها بمصدر أي بكونهم فاسقين وهو المعتمد. قوله: (فهلك منهم إلخ) أي فالطاعون عذاب لهم بخلاف الأمة المحمدية فإنه رحمة لهم من مات به أو في زمنه كان شهيداً، وقد ذكروا أن في الآية سؤالات، الأول: قوله هنا وإذ قلنا، وفي الأعراف وإذ قيل، وأجيب بأنه صرح هنا بالفاعل لإزالته الإبهام وحذفه في الأعراف للعلم به مما هنا. الثاني: قال هنا ادخلوا وهناك اسكنوا، وأجيب بأن الدخول مقدم على السكنى فذكر الدخول في السورة المتقدمة، والسكنى في المتأخرة على حسب الترتيب الطبيعي. الثالث: قال خطاياكم باتفاق السبعة وهناك خطيئاتكم في بعضها وتقدم جوابه. الرابع: ذكر هنا رغداً وحذفه من هناك، والجواب أن القصة ذكرت هنا مبسوطة وهناك مختصرة. الخامس: قدم هنا دخول الباب على قولوا حطة وعكس هناك، وأجيب بأن ما هنا هو الأصل في الترتيب وعكس فيما يأتي اعتناء بحط الذنوب. السادس: إثبات الواو في وسنزيد هنا وحذفها هناك، وأجيب بأنه لما تقدم أمران كان المجيء بالواو مؤذناً بأن مجموع الغفران والزيادة جزء واحد لمجموع الأمرين، وحيث تركت الواو أفاد

ساعة سبعون ألفاً أو أقل ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ﴾ أي طلب السقيا ﴿لِقَوْمِهِۦ﴾ وقد عطشوا في التية ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ وهو الذي فر بثوبه خفيف مربع كرأس الرجل رخام أو كذان فضربه ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾ انشقت وسالت ﴿مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بعدد الأسباط

توزيع كل واحد على كل واحد من الأمرين، فالغفران في مقابلة القول، والزيادة في مقابلة ادخلوا. السابع: لم يذكر هنا منهم وذكرها هناك، واجيب بأن أول القصة في الأعراف مبني على التخصيص بلفظ من حيث قال ومن قوم موسى أمة فذكر لفظ منهم آخراً ليطابق الآخر الأول. الثامن: ذكر هنا انزلنا وهناك أرسلنا وأجيب بأن الإنزال يفيد حدوثه في أول الأمر، والإرسال يفيد تسلطه عليهم واستئصالهم بالكلية، وهذا إنما يحدث في آخر الأمر. التاسع: هنا يفسقون وهناك يظلمون، وأجيب بأنه لما بين هنا كون ذلك الظلم فسقاً، اكتفى بذكر الظلم هناك لأجل ما تقدم من البيان هنا. العاشر: قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً﴾ فيه إخبار بالمجازاة عن المخالفة في القول دون الفعل، وجوابه ما تقدم فلتحفظ.

قوله: ﴿وَ﴾ (اذكر) أي يا محمد، والمناسب لما تقدم وما يأتي أن يقدر اذكروا ويكون خطاباً لبني إسرائيل بتعداد النعم عليهم، والأول وإن كان صحيحاً إلا أنه خلاف النسق. قوله: **(أي طلب السقيا)** أشار بذلك إلى أن السين والتاء للطلب، والفعل إما رباعي أو ثلاثي، يقال سقى وأسقى قال تعالى: (وسقاهم ربهم شراباً طهوراً) (وأسقيناكم ماء فراتاً) والمصدر سقياً والإسم السقيا. قوله: **(وقد عطشوا في التية)** أشار بذلك إلى أن المراد بقومه من كان معه في التية لا جميعهم، وتقدم أنهم ستمائة الف غير دوابهم، وقدر مسافة الأرض التي تكفيهم اثنا عشر ميلاً، وعطش من باب ضرب وعلم. قوله: ﴿فَقُلْنَا﴾ القائل الله على لسان جبريل أو غيره. قوله: ﴿بِعَصَاكَ﴾ كانت من آس الجنة طولها عشرة اذرع وطول موسى كذلك، وكان لها شعبتان تضيئان له في الظلام وتظلانه في الحر، وكانت تسوق له الغنم وتطرد عنها الذئاب. قوله: **(وهو الذي فر بثوبه)** أي حين رموه بالإدرة وهي انتفاخ الخصية، وكان بنو اسرائيل لا يبالون بكشف العورة، فأراد موسى الغسل فوضع ثوبه على ذلك الحجر ففر بذلك الثوب فخرج موسى من الماء وقال ثوبي حجر ثوبي حجر، فنظر بنو إسرائيل لعورته فلم يروه كما ظنوا. قال تعالى: (فبرأه الله مما قالوا) وهذا الحجر قيل أخذه هو والعصا من شعيب، وقيل إن الحجر أخذه من وقت فراره بثوبه وكان طوله ذراعاً وعرضه كذلك وله جهات أربع في كل جهة ثلاثة أعين، فكان يضربه بالعصا عند طلب السقيا فتخرج منه اثنتا عشرة عيناً بعدد فرق بني إسرائيل، وتلك العصا كانت من الجنة خرجت مع آدم مع عدة اشياء نظمها سيدي على الأجهوري بقوله:

وآدم معه أنزل العود والعصا ... لموسى من الآس النبات المكرم
وأوراق تين واليمين بمكة ... وختم سليمان النبي المعظم

قوله: **(أو كذان)** بفتح الكاف وتشديد الذال المعجمة الحجر اللين. قوله: **(فضربه)** أشار بذلك إلى أن الفاء في قوله فانفجرت عاطفة على محذوف.

قوله: ﴿فَانْفَجَرَتْ﴾ عبر هنا بالإنفجار، وفي الأعراف بالإنبجاس إشارة إلى أن ما هنا بيان للغاية، وما في الأعراف بيان للمبدأ فإن مبدأ خروج الماء الرشح الذي هو الإنبجاس، ثم إذا قوي سمي انفجاراً

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ سبط منهم ﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾ موضع شربهم فلا يشركهم فيه غيرهم وقلنا لهم ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ⟨٦٠⟩ حال مؤكدة لعاملها من عثى بكسر المثلثة أفسد ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ﴾ أي نوع منه ﴿وَاحِدٍ﴾ وهو المن والسلوى ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا﴾ شيئاً ﴿مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن﴾ للبيان ﴿بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا﴾ حنطتها ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ﴾ لهم موسى ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ﴾ أخس ﴿بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ أشرف أي أتأخذونه بدله والهمزة للإنكار فأبوا أن يرجعوا فدعا الله تعالى فقال تعالى ﴿اهْبِطُوا﴾ انزلوا ﴿مِصْرًا﴾ من الأمصار ﴿فَإِنَّ لَكُم﴾ فيه ﴿مَّا سَأَلْتُمْ﴾ من النبات ﴿وَضُرِبَتْ﴾ جعلت ﴿عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ الذل والهوان ﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾ أي أثر الفقر من السكون والخزي فهي لازمة لهم وإن كانوا أغنياء لزوم الدرهم المضروب لسكته ﴿وَبَاءُو﴾ رجعوا

وقيل معناهما واحد. قوله: ﴿اثْنَتَا﴾ فاعل انفجرت مرفوع بالألف لأنه ملحق بالمثنى وعشرة بمنزلة النون في المثنى. قوله: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ أي فكانت كل عين تأتي لقبيلة واعظم من هذه المعجزة نبع الماء من اصابع رسول الله ﷺ. قوله: ﴿مِنْ رِزْقِ اللهِ﴾ تنازعه كل من كلوا واشربوا، فأعمل الأخير، وأضمر في الأول، وحذف، والمراد بالرزق المرزوق، وهو بالنسبة للأكل المن والسلوى. قوله: (مؤكدة لعاملها) وحكمة ذلك عظم بلادتهم، فنزلوا منزلة الساهي والغافل. قوله: (من عثى) أي والمصدر عثياً بضم العين وكسرها.

قوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾ أي واذكروا إذ قالت أصولكم. قوله: (أي نوع منه) جواب عن سؤال كيف يقولون واحد مع أنها اثنان، فأجاب المراد وحدة النوع الذي هو الطعام المستلذ. قوله: (شيئاً) قدره إشارة إلى أن مفعول يخرج محذوف. قوله: ﴿مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ﴾ بيان لذلك الشيء. قوله: (للبيان) أي بيان ما تنبته الأرض. قوله: ﴿بَقْلِهَا﴾ هو ما لا ساق له، كالكراث والفجل والملوخية وشبهها. قوله: ﴿وَقِثَّائِهَا﴾ هي الخضراوات، كالبطيخ والخيار وغير ذلك. قوله: (حنطتها) قيل هو الثوم، لأن الثاء تقلب فاء في اللغة، والأقرب ما قاله المفسر. قوله: (قال لهم موسى) وقيل القائل الله على لسان موسى. قوله: ﴿بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ الباء داخلة على المتروك. قوله: (للإنكار) أي التوبيخي. قوله: (فدعا الله) أشار بذلك إلى أن قوله اهبطوا مرتب على محذوف. قوله: ﴿اهْبِطُوا﴾ يطلق الهبوط على النزول من أعلى لأسفل، وعلى الإنتقال من مكان لمكان، وهو المراد. إن قلت: ظاهر الآية أنهم متمكنون من الإنتقال، مع أن الأمر ليس كذلك ـ أجيب: بأن ذلك على سبيل التوبيخ واللوم عليهم في ذلك تقدير الكلام، أن مطلوبكم يكون في الأمصار، فإن كنتم متمكنين منها فلكم ما سألتم، وإلا فاصبروا على حكم الله. قوله: ﴿مِصْراً﴾ بالتنوين لجمهور القراء، ولم يقرأ بعدمه إلا الحسن وأبي للعلمية والتأنيث، ونظيرها يجوز فيه الصرف وعدمه، لأنه اسم ثلاثي ساكن الوسط. قوله: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي على ذرياتهم إلى يوم القيامة وكل من نحا نحوهم. قوله: (أي أثر الفقر) أي القلبي ولو كثرت أمواله، قال عليه الصلاة والسلام: «الفقر سواد الوجه في الدارين». قوله: (لزوم الدرهم إلخ) الكلام على القلب أي لزوم السكة للدرهم، والمراد بالسكة أثرها، لأن السكة اسم للحديدة المنقوشة يضرب عليها الدراهم، فكذلك لا يخلو يهودي من آثار

﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ﴾ أي الضرب والغضب ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أنهم ﴿كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ كزكريا ويحيى ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۗ﴾ أي ظلماً ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ ﴿٦١﴾ يتجاوزون الحد في المعاصي وكرره للتأكيد ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالأنبياء من قبل ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ هم اليهود ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ طائفة من اليهود أو النصارى ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ منهم ﴿بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ في زمن نبينا ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ بشريعته ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾

الفقر، قال المفسرون: مبدأ زيادة الذلة والغضب من وقت إشاعتهم قتل عيسى. قوله: ﴿بِآيَاتِ اللهِ﴾ أي المعجزات التي أتى بها موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم. قوله: (كزكريا) أي بالنشر حين أوى إلى شجرة الأثل فانفتحت له فدخلها فنشروها معه. قوله: (ويحيى) أي قتلوه على كلمة الحق، ورد أنهم قتلوا في يوم واحد سبعين نبياً وأقاموا سوقهم. قوله: ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ من المعلوم أن قتل الأنبياء لا يكون إلا بغير الحق، وإنما ذكره إشارة إلى أن اعتقادهم موافق للواقع، فهم يعتقدون أنه بغير الحق كما هو الواقع. قوله: (بما عصوا) أصله عصيوا تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً ثم حذفت لإلتقاء الساكنين وبقيت الفتحة لتدل عليها. قوله: (وكرره) أي اسم اشارة وهو لفظ ذلك، قال بعضهم: وفي تكرير الإشارة قولان أحدهما أنه مشار به إلى ما أشير إليه بالأول على سبيل التأكيد، والثاني أنه مشار به إلى الكفر وقتل الأنبياء على معنى أن ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لأنهم انهمكوا فيها، وما مصدرية والباء للسببية، وأصل يعتدون يعتديون استثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان، حذفت الياء لإلتقائهما وضمت الدال لمناسبة الواو.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هذه الآية معترضة بين قصص بني إسرائيل. قوله: (من قبل) أي قبل بعثة النبي محمد ﷺ، كبحيرا الراهب وأبي ذر الغفاري وورقة بن نوفل وسلمان الفارسي وقس بن ساعدة وغيرهم ممن آمن بعيسى ولم يغير ولم يبدل حتى أدرك محمداً وآمن به، وأما من آمن بعيسى وأدرك محمداً ولم يؤمن به فذلك مخلد في النار، لقوله تعالى: (ومن يتبع غير الإسلام ديناًفلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)، والذين اسم إن وآمنوا صلته والذين معطوف عليه وهادوا صلته. قوله: (هم اليهود) من هاد إذا رجع سموا بذلك لرجوعهم من عبادة العجل على أنه عربي، وأما على أنه عبراني فعرب فاصله يهوذا اسم أكبر أولاد يعقوب فأبدلت المعجمة مهملة.

قوله: ﴿وَالنَّصَارَى﴾ جمع نصران والياء للمبالغة كأحمري، سموا بذلك لأنهم نصروا عيسى على كلمة الحق، كما سمي الأنصار أنصاراً لنصرته ﷺ، وقيل نسبة لناصرة قرية بالشام. قوله: ﴿والصَّابِئِينَ﴾ أي المائلين عن دينهم. قوله: (أو النصارى) إشارة إلى تنويع الخلاف أي صبؤوا عن دينهم وعبدوا النجوم والملائكة، وقيل فرقة ادعوا أنهم على دين صابىء بن شيث بن آدم. والأرجح ما قاله المفسر. قوله: (من) اسم موصول مبتدأ وآمن صلته والعائد محذوف، قدره المفسر بقوله منهم وبالله متعلق بآمن، وقوله: فلهم أجرهم خبر المبتدأ وقرن بالفاء لما في المبتدأ من العموم، ويصح أن يكون من اسم شرط مبتدأ وآمن فعل الشرط، وقوله فلهم أجرهم جواب الشرط وخبر المبتدأ فيه خلاف، قيل فعل الشرط رقيل جوابه وقيل هما والجملة خبر إن، ويصح أن يكون من بدل من اسم إن وجملة فلهم أجرهم خبر إن. قوله: ﴿أَجْرُهُمْ﴾ في الأصل مصدر بمعنى الإيجار، والمراد به هنا الثواب وهو مقدار من الجزاء أعده

أي ثواب أعمالهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾ روعي في ضمير آمن وعمل لفظ من وفيما بعده معناها ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ عهدكم بالعمل بما في التوراة ﴿وَ﴾ قد ﴿رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ الجبل اقتعلناه من أصله عليكم لما أبيتم قبولها وقلنا ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ بالعمل به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ النار أو المعاصي ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم﴾ أعرضتم ﴿مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ الميثاق عن الطاعة ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ لكم بالتوبة أو تأخير العذاب ﴿لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ۝٦٤﴾ الهالكين ﴿وَلَقَدْ﴾ لام قسم ﴿عَلِمْتُمُ﴾ عرفتم ﴿الَّذِينَ اعْتَدَوْا﴾ تجاوزوا الحد ﴿مِنكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ بصيد السمك وقد نهيناهم عنه وهم

الله لعباده في نظير أعمالهم الحسنة بمحض الفضل. قوله: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي في الآخرة.

قوله: ﴿مِيثَاقَكُمْ﴾ الخطاب لبني إسرائيل. قوله: ﴿وَ﴾ (قد) ﴿رَفَعْنَا﴾ قدر المفسر لفظ قد إشارة إلى أن الجملة حالية. قوله: ﴿الطُّورَ﴾ في الأصل اسم لكل جبل، لكن المراد به هنا جبل معروف بفلسطين. قوله: (وقلنا) ﴿خُذُوا﴾ قدره المفسر إشارة إلى أن خذوا مقول لقول محذوف، وحاصل ذلك أن الله لما آتى موسى التوراة وأمرهم بالسجود شكراً لله أبوا من قبول التوراة ومن السجود، فرفع الله جبل الصور فوق رؤوسهم كأنه سحابة قدر قامتهم وكان على قدرهم، فسجدوا على نصف الجبهة الأيسر فصار ذلك فيهم إلى الآن ثم لما رفع عنهم أبوا. قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الترجي بالنسبة للمخاطبين. قوله: (الميثاق) أشار بذلك إلى مرجع اسم الإشارة، وقال البيضاوي: إنه راجع لرفع الجبل وإيتاء التوراة.

قوله: (فلولا فضل الله) لو حرف امتناع لوجود أي امتنع خسرانكم لوجود فضل الله ورحمته، وجوابها يقترن باللام غالباً إن كان مثبتاً فإن كان منفياً بما فالغالب الحذف أو بغيرها فالجواب الحذف وتختص بالجمل الإسمية ومدخولها المتبدأ يجب حذف خبره لإغناء جوابها عنه، قال ابن مالك: وبعد لولا غالباً حذف الخبر حتم. قوله: (بالتوبة) هذا في حق المؤمنين أو قوله وتأخير العذاب في حق الكافرين. قوله: (الهالكين) أي في الدنيا والآخرة. قوله: (عرفتم) أي فتنصب مفعولاً واحداً والعلم والمعرفة قيل مترادفان، ولكن يقال في الله عالم لا عارف لأن السماء توقيفية، وقيل العلم أوسع دائرة من المعرفة لتعلقه بالجزئيات والكليات والبسائط والمركبات بخلاف المعرفة، فلذلك يقال في الله عالم لعموم ما تعلق به علمه لا عارف لأنه يوهم القصور والمعتمد الأول، وقوله لام قسم أي محذوف تقديره والله لقد عرفتم.

قوله: ﴿الَّذِينَ﴾ مفعول علمتم واعتدوا صلته وأصله اعتديوا تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً ثم حذفت لالتقاء الساكنين. قوله: ﴿مِنكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من فاعل اعتدوا. قوله: ﴿فِي السَّبْتِ﴾ هو لغة القطع وهو أصل وضعه لأنه ورد أن الدنيا ابتدئت بالأحد وختمت بالجمعة فكان يوم السبت يوم انقطاع عمل خصت اليهود به لقطعهم عن رحمة الله، أو مأخوذ من السبوت وهو السكون لأن بانقطاع العمل السكون. قوله: (وهو أهل أيلة) حاصله أن سبعين ألفاً من قوم داود كانوا بقرية تسمى أيلة عند العقبة في أرغد عيش، فامتحنهم الله بأن حرم عليهم اصطياد السمك يوم السبت وأحل لهم باقي الجمعة، فإذا كان يوم السبت وجدوا السمك بكثرة على وجه الماء وفي باقيها لم يجدوا شيئاً، ثم إن إبليس علمهم حيلة يصطادون بها فقال لهم اصنعوا جداول حول البحر فإذا جاء السمك ونزل في

أهل أيلة ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ مبعدين فكانوها وهلكوا بعد ثلاثة أيام ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ أي تلك العقوبة ﴿نَكَالًا﴾ عبرة مانعة من ارتكاب مثل ما عملوا ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ أي للأمم التي في زمانها وبعدها ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٦٦﴾ الله خصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها بخلاف غيرهم ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ وقد قتل لهم قتيل لا يدري قاتله وسألوه أن يدعو الله أن يبينه لهم فدعاه ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۖ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ مهزوءاً بنا حيث تجيبنا بمثل ذلك ﴿قَالَ أَعُوذُ﴾ امتنع ﴿بِاللَّهِ﴾ من ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿٦٧﴾ المستهزئين فلما علموا أنه عزم ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ أي ماسنها ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿إِنَّهُ﴾ أي الله ﴿يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ﴾ مسنة ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾ صغيرة ﴿عَوَانٌ﴾ نصف ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ المذكور من السنين ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ به من ذبحها ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ شديدة الصفرة ﴿تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ ﴿٦٩﴾ إليها بحسنها أي تعجبهم ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ أسائمة أم عاملة ﴿إِنَّ الْبَقَرَ﴾ أي جنسه المنعوت

الجداول فسدوا عليه وخذوه في غير يوم السبت، فافترقوا ثلاث فرق، فاثنا عشر ألفاً فعلوا ذلك واصطادوا وأكلوا فمسخوا قردة، ومكثوا ثلاثة أيام لم يأكلوا ولم يشربوا ثم ماتوا، وأما ما وجد من القردة الآن فلم يكونوا من ذريتهم بل خلق آخر، وقيل مسخت شبابهم قردة وشيوخهم خنازير، وقيل الذين مسخوا خنازير أهل المائدة، وفرقة نهوهم وجعلوا بينهم سداً، وفرقة أنكروا بقلوبهم ولم يتعرضوا لهم، فمن نهى نجاى وكذا من لم ينه على المعتمد.

قوله: ﴿فَقُلْنَا﴾ المراد بالقول تعلق الإرادة. قوله: (مبعدين) أي عن رحمة الله. قوله: ﴿نَكَالًا﴾ هو في الأصل القيد الحديد أطلق وأريد لازمه وهو المنع، لأن المقيد ممنوع فكذا تلك العقوبة مانعة. قوله: (مثل ما عملوا) المماثلة في مطلق المخالفة. قوله: (واذكروا) أي يا بني إسرائيل قوله: (قتيل) اسمه عاميل. قوله: ﴿بَقَرَةً﴾ واحدة البقر يفرق بين مذكره ومؤنثه بالوصف، تقول بقرة أنثى وبقرة ذكر، فالتاء للوحدة وقيل للتأنيث فالأنثى بقرة والذكر ثور، وسمي البقر بقراً لأنه يبقر الأرض بحافره أي يشقها. وأول القصة قوله فيما يأتي (وإذ قتلتم نفساً) الآية: قوله: (مهزوءاً بنا) أشار بذلك إلى أنه مصدر بمعنى اسم المفعول، ويصح أن يبقى على مصدريته مبالغة أو على حذف مضاف أي ذوي هزء، على حد ما قيل في زيد عدل والهزؤ هو الكلام الساقط الذي لا معنى له. قوله: ﴿مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أي المبلغين عن الله الكذب. قوله: (إنه عزم) أي مفروض وحق لا هزل فيه. قوله: (أي ما سنها) أي فيما واقعة على الأوصاف، وقولهم إن ما يسأل بها عن الماهية والحقيقة أغلبي. قوله: ﴿لَا فَارِضٌ﴾ من الفرض وهو القطع سميت بذلك لقطعها عمرها. قوله: (نصف) بالتحريك يقال للمرأة والبقرة، قال الشاعر:

وإن أتوك وقالوا إنها نصف   فل إن أحسن نصفيها الذي ذهبا

وكرر لا لوقوع النعت بعدها، وكذا إذا وقع بعدها الحال والخبر. قوله: (به) هو عائد الموصول وقوله من ذبحها بيان لما قوله: ﴿قَالَ﴾ أي موسى و قوله: ﴿إِنَّهُ﴾ أي الله. قوله: (فاقع) صفة لصفراء وهو مبالغة في الصفرة، يقال أحمر قانىء وأسود حالك وأبيض ناصع وأصفر فاقع. قوله: (بحسنها) أي

بما ذكر ﴿تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا﴾ لكثرته فلم نهتد إلى المقصودة ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ۝٧٠﴾ إليها في الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ﴾ غير مذللة بالعمل ﴿تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ تقلبها للزراعة والجملة صفة ذلول داخلة في النفي ﴿وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ﴾ الأرض المهيأة للزراعة ﴿مُسَلَّمَةٞ﴾ من العيوب وآثار العمل ﴿لَّا شِيَةَ﴾ لون ﴿فِيهَاۚ﴾ غير لونها ﴿قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ نطقت بالبيان التام فطلبوها فوجدوها عند الفتى البار بأمه فاشتروها بملء مسكها ذهباً ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ ۝٧١﴾ لغلاء ثمنها، وفي الحديث «لو ذبحوا أي بقرة

لجهال خلقتها وحيث شددوا شدد عليهم، إذ لو أتوا أولاً بأي بقرة لكفت، ثم لو أتوا بما في السؤال الثاني. لكفت، ثم ما في الثالث لكفت، ولكن شددوا فشدد عليهم. قوله: **(أسائمة)** أي متروكة في الجبال ترعى من كلئها. قوله: **(أم عاملة)** أي يعلفها ربها ويشغلها.

قوله: **﴿إنَّ الْبَقَرَ﴾** تعليل للإسئلة الثلاثة. قوله: **(لو لم يستثنوا)** أي بالمشيئة. قوله: **(آخر الأبد)** أي إلى انقضاء الدنيا. قوله: **﴿لَا ذَلُولٌ﴾** من الذلة وهي السهولة بل فيها الصعوبة. قوله: **(داخلة في النفي)** أي فالمعنى ليست مذللة لعمل ولا مثيرة للأرض. قوله: **(الأرض المهيأة إلخ)** المناسب أن يقول الحرث أي الزرع لأن الحرث يطلق على الزرع. قوله: **﴿الْآنَ﴾** ظرف زمان للوقت الحاضر. قوله: **﴿جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾** أي بصفات البقر التي لا تخفى ولا تلتبس، فلا تنافي بين الآية وقول المفسر فطلبوها. قوله: **(نطقت بالبيان التام)** جواب عن سؤال ورد على الآية، وهو أن ظاهر مفهوم الآية يقتضي أنهم كفار، فأجاب المفسر بأن فيه حذف النعت مع بقاء المنعوت وهو جائز لقول ابن مالك:

وما من المنعوت والنعت عقل ... يجوز حذفه وفي النعت يقل

قوله: **(فطلبوها)** أي بحثوا عنها. قوله: **(عند الفتى البار بأمه)** وحاصل ذلك أن أبا الفتى المذكور كان رجلاً صالحاً من بني إسرائيل قد حضرته الوفاة، وكان عنده بقرة قد ولدت انثى، فأخذ تلك الأنثى ووضعها في غيضة واوصى أم الغلام أن تعطيه تلك البقرة حين يكبر ومات، ثم إن الولد صار يحتطب ويبيع الحطب ويقسم اثلاثا: يصرف ثلثه على نفسه والثلث الآخر على أمه والثلث الآخر يتصدق به، ويقسم ليله أثلاثاً: ينام ثلثه ويخدم أمه ثلثه ويقوم لطاعة الله ثلثه، فلما كبر الغلام قالت له أمه اذهب إلى الغيضة الفلانية فإن فيها بقرة تركها لك أبوك، واوصاني إذا كبرت أن اعطيها لك، واقسم عليها بابراهيم الخليل وإسحاق ويعقوب فإنها تأتي لك طائعة، ففعل كما أمرته فجاءت له طائعة وقالت له اركب على ظهري، فقال لها إن أمي لم تأمرني بالركوب، فقالت له لو ركبت على ظهري ما قدرتني إلى الأبد، فأخذها وذهب إلى أمه فقالت له اذهب إلى السوق فبعها بثلاثة دنانير على مشورة، فذهب فأتاه ملك على صورة رجل وقال له بكم تبيعها فقال له بثلاثة دنانير على مشورة أمي، فقال له بعها بستة دنانير من غير مشورة فقال لا ثم ذهب إلى أمه واخبرها بذلك فقالت له بعها بستة على مشورتي، فذهب فأتاه ثانياً واعطاه فيها اثني عشر على غير مشورة فأبى، فذهب إلى أمه واخبرها فقالت له إن هذا ملك من عند الله فاذهب إليه واقرئه السلام وقل له أنبيع البقرة أم لا، فذهب إليه وأخبره بذلك فقال له إن بني إسرائيل يقتل لهم قتيل ويتوقف بيان قاتله على تلك البقرة فلا تبعها إلا بملء مسكها ذهباً ففعل ما أمر به، والفتى هو الشاب السخي ولا شك أنه كان كذلك. قوله: **(مسكها)** بفتح الميم الجلد.

قوله: **﴿فَذَبَحُوهَا﴾** مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله فطلبوها إلخ. قوله: **﴿وَمَا كَادُوا**

كانت لأجزأتهم ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم» ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الدال أي تخاصمتم وتدافعتم ﴿فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ﴾ مظهر ﴿مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾﴾ من أمرها وهذا اعتراض وهو أول القصة ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ﴾ أي القتيل ﴿بِبَعْضِهَا﴾ فضرب بلسانها أو عجب ذنبها فحيي وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ومات فحرما الميراث وقتلا. قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الإحياء ﴿يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ دلائل قدرته ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ تتدبرون فتعلمون أن القادر على إحياء نفس واحدة قادر على إحياء نفوس كثيرة فتؤمنون ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ أيها اليهود صلبت عن قبول الحق ﴿مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ المذكور من إحياء القتيل وما قبله من الآيات ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾ في القسوة ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ منها ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الشين ﴿فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ﴾ ينزل من علو إلى أسفل ﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ وقلوبكم لا تتأثر ولا

﴿يَفْعَلُونَ﴾ أي ما قاربوا الفعل (قوله لغلاء ثمنها) أي أو للتعنت في أوصافها. قوله: **(فيه إدغام التاء في الأصل إلخ)** أي اصله تدار أتم قلبت التاء دالاً وأدغمت فيها وأتى بهمزة الوصل توصلاً للنطق بالساكن.

قوله: **(أي تخاصمتم)** أي اتهم بعضكم بعضاً. قوله: **(وهذا اعتراض)** أي جملة معترضة بين المعطوف وهو فقلنا اضربوه إلخ والمعطوف عليه وهو فذبحوها. قوله: **(وهو أول القصة** وإنما أخره ليواصل قبائح بني إسرائيل بعضها ببعض. قوله: **﴿فَقُلْنَا﴾** معطوف على فذبحوها والقائل الله على لسان موسى. قوله: **(بلسانها)** أي لأنه محل الكلام. قوله: **(أو عجب ذنبها)** إشارة لتنويع الخلاف، والحكمة في ذلك أنه محل حياة ابن آدم، وقيل ضربوه بفخذها اليمنى وقيل بقطعة لحم منها. قوله: **(فحيي)** ورد أنه قام واوداجه تشخب دماً. قوله: **(ومات)** أي سريعاً بلا مهلة. قوله: **(فحرما الميراث)** أي لأن القاتل لا يرث من تركة المقتول شيئاً حتى في شرع موسى، وسبب قتله إياه أن المقتول كان غنياً والقاتل كان فقيراً فلما طال عمر المقتول قتله ليرثه، وقيل غير ذلك. قوله: **﴿كَذَٰلِكَ﴾** هذه الجملة معترضة بين قصص بني أسرائيل رداً على منكري البعث، فإن بني إسرائيل لم يكونوا منكرين له، فالخطاب لمشركي العرب المنكرين للبعث.

قوله: **﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾** نزل استبعاد قسوة قلوبهم لظهور الخوارق للعادات العظيمة منزلة التراخي، فأتى بثم وأكده بالظرف بعده. قوله: **(أيها اليهود)** دفع بذلك ما يقال إنه خطاب لغير بني إسرائيل كالذي قبله. قوله: **(صلبت عن قبول الحق)** أشار بذلك إلى أن في قست استعارة تصريحية تبعية حيث شبه عدم الإذعان بالقسوة بجامع عدم قبول التأثير في كل، واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من القساوة قست بمعنى لم تذعن فلم تقبل المواعظ ولم تؤثر فيها. قوله: **﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾** لم يشبههم بالحديد لوجود اللين فيه في الجملة. قوله: **﴿أَوْ أَشَدُّ﴾** هذ ترق في ذكر قسوتهم فأو بمعنى بل. قوله: **(فيه إدغام التاء إلخ)** أي فأصله يتشقق فأبدلت التاء شيناً ثم أدغمت فيها. قوله: **﴿فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾** أي أنهاراً أو غيرها كالعيون فهو من عطف العام على الخاص. قوله: **(ينزل من علو إلى أسفل)** أي كجبل الطور، وورد ما من حجر يسقط من علو إلى أسفل إلا من خشية الله. قوله: **﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾** أخذ أهل السنة من ذلك ومن قوله تعالى: (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) ومن قوله تعالى: (ألم تر أن الله يسبح له

تلين ولا تخشع ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٧٤﴾ وإنما يؤخركم لوقتكم وفي قراءة بالتحتانية وفيه التفات عن الخطاب ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَن يُؤْمِنُوا﴾ أي اليهود ﴿لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ﴾ طائفة ﴿مِّنْهُمْ﴾ أحبارهم ﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ في التوراة ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ يغيرونه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ فهموه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ أنهم مفترون والهمزة للإنكار أي لا تطمعوا فلهم سابقة في الكفر ﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ أي منافقو اليهود ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا﴾ بأن محمداً نبي وهو المبشر به في كتابنا ﴿وَإِذَا خَلَا﴾ رجع ﴿بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا﴾ أي رؤساؤهم الذين لم ينافقوا لمن نافق ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم﴾ أي المؤمنين ﴿بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي عرفكم في التوراة من

من في السموات والأرض) الآية، أن كل شيء يعرف الله ويسبحه ويخشاه إلا الكافر من الإنس والجن.

قوله: ﴿وَمَا الله بِغَافِلٍ﴾ ما نافية ولفظ الجلالة اسمها وبغافل خبرها، وقوله عما تعملون يحتمل أن ما اسم موصول وتعملون صلته والعائد محذوف أي عن الذي تعملونه، ويحتمل أنها مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر أي عن عملكم.

قوله: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ سيأتي للمفسر أن الهمزة للإنكار، فيحتمل أنها مقدمة من تأخير والأصل فاتطمعون قدمت لأن لها الصدارة وهو مذهب الجمهور، وقال الزمخشري إن الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، التقدير اتسمعون كلامهم وتعرفون احوالهم فتطمعون إلخ أي لا يكون منكم ذلك، واعلم أن الهمزة لا تدخل إلا على ثلاثة من حروف العطف الواو والفاء وثم. قوله: ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ أي يستبعد ذلك منهم لافتراقهم أربع فرق في كل فرقة صفة مانعة له من الإيمان، الأول كونهم يحرفون كلام الله، الثاني النفاق، الثالث التوبيخ من غير المنافق المنافق على ملاطفة المسلمين، الرابع كونهم أميين لا يعلمون الكتاب إلا أماني، فهذه يستبعد معها الإيمان لرسوخ الكفر في قلوبهم.

قوله: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ﴾ الجملة حالية وقد قربت الماضي من حال، والمراد من كان النسبة لأن هذا الكلام فيمن كان موجوداً زمن النبي لا فيمن كان قبلهم. قوله: (أحبارهم) علماؤهم جمع حبر بالكسر ويقال بالفتح وجمعه حبور كفلس وفلوس. قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ أي من بعد تعقلهم إياه وتحريفهم في الكلام كأوصاف النبي من كونه اكحل العينين جعد الشعر، فغيروه إلى أزرق العينين سبط الشعر، وآية الرجم غيروها إلى الجلد وغير ذلك. قوله: (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) الجملة حالية من فاعل يحرفون. قوله: (أنهم مفترون) أشار بذلك إلى أن مفعول يعلمون محذوف، والإفتراء هو الكذب الذي لا شك فيه. قوله: (للإنكار) أي الإستبعادي. قوله: (أي لا تطمعوا) عبر بالطمع دون الرجاء، إشارة إلى فقد أسباب الإيمان منهم وعدم قابليتهم له. قوله: (فلهم سابقة في الكفر) أي كفر سابق قبل دعوة النبي ﷺ اياهم للإيمان، وهذ الجملة علة لقوله لا تطمعوا.

قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ شروع في ذكر الفرقة الثانية وهم المنافقون ورئيسهم عبد الله بن سلول. قوله: ﴿وَإِذَا خَلَا﴾ شروع في الفرقة الثالثة وهم الموبخون للمنافقين. قوله: ﴿بِمَا فَتَحَ الله عَلَيْكُمْ﴾ ما اسم موصول وجملة فتح صلته والعائد محذوف، التقدير بالذي فتح الله عليكم به وما واقعة على أوصاف محمد ﷺ. قوله: (من نعت محمد) بيان لما. قوله: (واللام للصيرورة) أي عاقبة أمرهم أنهم يحاجونكم

نعت محمد ﴿لِيُحَآجُّوكُم﴾ ليخاصموكم واللام للصيرورة ﴿بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ في الآخرة ويقيموا عليكم الحجة في ترك اتباعه مع علمكم بصدقه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ أنهم يحاجونكم إذا حدثتموهم فتنتهوا قال تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾ الإستفهام للتقرير والواو الداخل عليها للعطف ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾ ما يخفون وما يظهرون من ذلك وغيره فيرعووا عن ذلك ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أي اليهود ﴿أُمِّيُّونَ﴾ عوام ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿إِلَّآ﴾ لكن ﴿أَمَانِيَّ﴾ أكاذيب تلقوها من رؤسائهم فاعتمدوها ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿هُمْ﴾ في جحد نبوة النبي وغيره مما يختلقونه ﴿إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾ ظناً ولا علم لهم ﴿فَوَيْلٌ﴾ شدة عذاب ﴿لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أي مختلقاً من عندهم ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا

عند ربكم، والفعل منصوب بأن مضمرة بعدها. قوله: **(في الآخرة)** إشارة إلى معنى العندية وهو متعلق بيحاجوكم. قوله: **(أنهم يحاجونكم)** أشار بذلك إلى مفعول تعقلون وأنه من كلام الرؤساء الذين لم ينافقوا. قوله: **(الإستفهام للتقرير)** أي على سبيل التوبيخ، حيث اعتقدوا أن المنافق يؤاخذ والكافر الأصلي لا حجة عليه وله عذر قائم عند ربه وهذه الجملة حالية. قوله: **(الداخل)** نعت سببي للواو فكان عليه أن يظهر فاعله ويقول، والواو الداخل الإستفهام عليها للعطف لوجود اللبس. قوله: **(للعطف)** أي على محذوف تقديره أيلومونهم ولا يعلمون، وتقدم أن هذا مذهب الزمخشري.

قوله: ﴿**أَنَّ الله يَعْلَمُ**﴾ هذه الجملة سدت مسد مفعولي يعلمون إن كانت على بابها أو مفعولها إن كانت بمعنى يعرفون قوله: **(فيرعووا)** أي فينكفوا وينزجروا وهو مرتب على قوله: ﴿**أَوَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ كما أن قوله فتنتهوا مرتب على قوله: ﴿**أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾. قوله: ﴿**وَمِنْهُمْ**﴾ شروع في ذكر الفرقة الرابعة. قوله: ﴿**أُمِّيُّون**﴾ أي منسوبون للأم لعدم انتقالهم عن حقيقتهم الأصلية التي ولدتهم عليها، قال تعالى: (والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئاً) والأمي هو من لا يقرأ ولا يكتب. قوله: ﴿**إلَّا**﴾ **(لكن)** ﴿**أَمَانِيَّ**﴾ اشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع والأماني جمع امنية وهو ما يتمناه الشخص، ويطلق على القراءة وعلى الأكاذيب وهو المراد هنا. قوله: **(فاعتمدوها)** أي ثبتوا عليها ورسخت في قلوبهم. قوله: **(ما)** ﴿**هُمْ**﴾ اشار بذلك إلى أن إن نافية بمعنى ما، والغالب وقوعها بعد إلا التي بمعنى لكن، وهل تعمل عمل ما الحجازية فتنصب الاسم وترفع الخبر، أو لا عمل لها فما بعدها مبتدأ وخبر خلاف بين الجمهور وسيبويه فاختار سيبويه الأول مستدلاً بقول الشاعر:

إن هـو مـسـتـولـيـاً عـلى أحـد ... إلا عـلى اضـعـف المـجـانـين

واختار الجمهور الثاني. قوله: **(ولا علم لهم)** أي ليس عندهم جزم مطابق الواقع، وإنما أخر الأميون لأنهم اقرب للإيمان بخلاف من قبلهم فإنهم وأضلوا افرأيت من اتخذ إلهه هواه واضله الله على علم. قوله: ﴿**فَوَيْلٌ**﴾ شروع في ذكر ما يستحقونه. قوله: **(شدة عذاب)** وقيل واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لانماعت من حره. قوله: ﴿**الْكِتَاب**﴾ أي المكتوب. قوله: ﴿**بِأَيْدِيهِمْ**﴾ دفع بذلك ما يتوهم أن المراد املوه لغيرهم. قوله: ﴿**لِيَشْتَرُوا**﴾ علة لقوله يكتبون قوله: **(غيروا صفة النبي)** أي من كونه ربعة جعد الشعر اكحل العينين، فغيروها وقالوا طويل سبط الشعر ازرق العينين. قوله: **(وآية الرجم)** أي

وهم اليهود غيروا صفة النبي في التوراة وآية الرجم وغيرهما وكتبوها على خلاف ما أنزل ﴿فَوَيْلٌ لَهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من المختلق ﴿وَوَيْلٌ لَهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٧٩﴾ من الرشا ﴿وَقَالُوا﴾ لما وعدهم النبي النار ﴿لَن تَمَسَّنَا﴾ تصيبنا ﴿النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ قليلة أربعين يوماً مدة عبادة آبائهم العجل ثم تزول ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾ حذفت منه همزة الوصل استغناء بهمزة الإستفهام ﴿عِندَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ ميثاقاً منه بذلك ﴿فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ به لا ﴿أَمْ﴾ بل ﴿تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿بَلَىٰ﴾ تمسكم وتخلدون فيها ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ شركاً ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ بالأفراد والجمع أي استولت عليه وأحدقت به من كل جانب بأن مات مشركاً ﴿فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٨١﴾ روعي فيه معنى من ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ و﴾ اذكر ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ

فغيروها إلى الجلد. قوله: (وغيرهما) أي كقولهم: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً﴾ وكدعواهم أنهم من أهل الجنة. قوله: (من الرشا) بكسر الراء وبضمها جمع رشوة بتثليث الراء، وهو من باب تقديم السبب على المسبب لأن أخذ الرشوة سبب للتبديل. وقوله: ﴿مما كتبت﴾ يحتمل أن ما اسم موصول وكتبت صلتها والعائد محذوف أي كتبته، ويحتمل أن ما مصدرية، التقدير من كتبهم وكذا قوله: ﴿مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ قوله: (اربعين يوماً) وقيل سبعة أيام، وقوله قليلة تفسير باللازم لمعدودة لأن معنى المعدودة التي يسهل عدها، وشأن القليلة سهولة عدها. قوله: (استغناء بهمزة الاستفهام) أي لأنه يحصل بها التوصل للنطق بالساكن مع إفادة المراد من الإستفهام، وفي اتخذتم قراءتان سبعيتان الأولى بالفك والثانية بالإدغام، وطريقته أن تقلب الذال دالاً ثم تاء وتدغمها في التاء، وهذا الاستفهام يحتمل أن يكون تقريرياً فتكون الجملة انشائية وأم متصلة معادلة للهمزة التي لطلب التعيين، التقدير اتخذتم عند الله عهداً أم لم تتخذوا، ويحتمل أن يكون انكارياً بمعنى النفي فتكون الجملة خبرية وأم منقطعة بمعنى بل، التقدير لم تتخذوا عند الله عهداً بل تقولون على الله ما لا تعلمون وهذا هو الأقرب ولذا اختاره المفسر. قوله: ﴿فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ﴾ هذه الجملة في محل جزم جواب الإستفهام، وقيل إنها جواب شرط مقدر تقديره أن اتخذتم فلن يخلف الله عهده وقرن بالفاء لوجود لن في حيزه. قوله: (بل) ﴿تَقُولُونَ﴾ أشار بذلك إلى أنها منقطعة والإضراب انتقالي.

قوله: ﴿بَلَى﴾ هو حرف جواب للنفي لكنه يصير اثباتاً، وأما نعم وجير وأجل وأي فلتقرير ما قبلها اثباتاً أو نفياً. قوله: (تمسكم) رد لقولهم لن تمسنا وقوله وتخلدون فيها رد لقولهم إلا اياماً معدودة. قوله: ﴿مَنْ كَسَبَ﴾ يحتمل أن تكون من شرطية وكسب فعل الشرط، وجوابه فأولئك اصحاب النار وأن تكون موصولة وكسب صلتها وقرن خبرها بالفاء لما في الموصل من معنى العموم، ولم يقرن خبر التي بعدها بالفاء إشارة إلى أن خلود النار مسبب عن الكفر بخلاف خلود الجنة فلا يتسبب عن الإيمان بل بمحض فضل الله، كذا قاله بعض الأشياخ. قوله: ﴿سَيِّئَةٌ﴾ اصلها سيوئة اجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون، قلبت الواو ياء وادغمت في الياء على حد ما قيل في سيد وميت. قوله: (بالإفراد) أي باعتبار ذات الشرك، وقوله: (والجمع) أي باعتبار انواعه. قوله: (واحدقت به من كل جانب) أي فلم يجد ملجأ لكفره. قوله: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي وأما من آمن ولم يعمل صالحاً غير الإيمان فمخلد في الجنة

بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ في التوراة وقلنا ﴿لَا تَعۡبُدُونَ﴾ بالتاء والياء ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ خبر بمعنى النهي وقرىء لا تعبدوا ﴿وَ﴾ أحسنوا ﴿بِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا﴾ براً ﴿وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ القرابة عطف على الوالدين ﴿وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ﴾ قولاً ﴿حُسۡنٗا﴾ من الأمر بالمعروف و لنهي عن المنكر والصدق في شأن محمد والرفق بهم وفي قراءة بضم الحاء وسكون السين مصدر وصف به مبالغة ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فقبلتهم ذلك ﴿ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ أعرضتم عن الوفاء به فيه

أيضاً وتحت المشيئة في الإبتداء، وقد جرت عادة الله في كتابه أنه إذا ذكر آية الكفار وعاقبة امرهم يتبعها بذكر آية المؤمنين وعاقبة امرهم.

قوله: **﴿وَ﴾ (اذكر)** أي يا محمد والمناسب للسياق اذكروا ويكون خطاباً لبني إسرائيل، الفروع تذكيراً لهم بقبائح أصولهم. قوله: **(وقلنا) ﴿لَاتَعْبُدُونَ﴾** قدر ذلك إشارة إلى أن جملة لا تعبدون في محل نصب مقول لقول محذوف، وذلك القول في محل نصب على الحال من فاعل أخذنا، التقدير، وأذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل حال كوننا قائلين لا تعبدون إلخ، ويحتمل أن جملة لا تعبدون إلا الله مفسرة للميثاق لا محل لها من الإعراب ولا حذف وهو الأقرب. قوله: **(بالتاء والياء)** أي فيها قراءتان سبعيتان ولا التفات في ذلك على ما قرره المفسر من تقدير القول، وعلى الإحتمال الثاني ففيه التفات على قراءة التاء من الغيبة إلى الخطاب فإن الإسم الظاهر من قبيل الغيبة. قوله: **(خبر بمعنى النهي)** أي فهي جملة خبرية لفظاً لعدم جزم الفعل إنشائية معنى لأن القصد النهي عن عبادة غير الله! لا الإخبار عنهم بأنهم لا يعبدون غير الله، والحكمة في التعبير عن الإنشاء بالخبر استبعاد ذلك منهم وتقوية للإنشاء، كأنه قيل لا ينبغي أن تعبدوا غير الله حتى ننهاكم عنه، بل أخبر عنهم بأنهم لا يعبدون إلا الله كأنه لم يقع منهم عبادة لغيره أبداً. قوله: **(وقرىء)** أي قراءة شاذة لأن قاعدة المفسر يشير للشاذة بقرىء وللسبعية بأي قراءة غالباً. قوله: **(وأحسنوا)** قدر ذلك إشارة إلى أنه من عطف الجمل على جملة لا تعبدون، وأتى بحق الوالدين عقب حق الله، إشار إلى أنه آكد الحقوق بعد عبادة الله. قال تعالى: (أن اشكر لي ولوالديك) فإنهما السبب في وجود الشخص ويجب برهما ولو كافرين، وبالجملة فلم يشدد الله على أمر كتشديده على برهما. قوله: **(عطف على الوالدين)** أي من عطف المفردات، وأحسنوا مسلط عليه التقدير، واحسنوا بذي القربى لأن حق القرابة تابع لحق الوالدين والإحسان اليهم إنما هو بواسطتهما.

قوله: **﴿وَالْيَتَامَى﴾** جمع يتيم وهو من الآدميين من فقد أباه، ومن غيرهم من فقد أمه. قوله: (**﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾** المراد ما يشمل الفقراء فإن الفقير والمسكين متى اجتمعا افترقا ومتى افترقا اجتمعا قوله: **﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ﴾** أي عموماً ومنه الحديث «وخالق الناس بخلق حسن». قوله: **(قولاً) ﴿حَسَناً﴾** أشار بذلك إلى أن حسناً بفتحتين صفة مشبهة لموصوف محذوف. قوله: **(والنهي عن المنكر)** أي على حسب مراتبه من النهي باليد ثم اللسان ثم القلب. قوله: **(والرفق بهم)** أي بالناس بأن يوقر كبيرهم ويرحم صغيرهم. قوله: **(وفي قراءة)** أي سبعية. قوله: **(مصدر)** أي على غير قياس إن كان فعله أحسن وهو المتبادر، وقياسي إن كان فعله حسن كظرف وكرم. قوله: **(وصف به مبالغة)** أي أو على حذف مضاف على حد ما قيل في زيد عدل.

قوله: **﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾** أي المفروضات عليهم في مثلهم، وما نزل بقارون من

التفات عن الغيبة والمراد آباؤهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ ﴿٨٣﴾ عنه كآبائكم ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ وقلنا ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ تريقونها بقتل بعضكم بعضاً ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾ لا يخرج بعضكم بعضاً من داره ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ قبلتم ذلك الميثاق ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ ﴿٨٤﴾ على أنفسكم ﴿ثُمَّ أَنتُمْ﴾ يا ﴿هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ بقتل بعضكم بعضاً ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في

الخسف به وبداره سببه منع الزكاة. قوله: (فقبلتم ذلك) قدر ذلك لأجل العطف بثم عليه. قوله: (فيه التفات) وحكمته الإستلذاذ للسامع وعدم الملل منه، فإن الإلتفات من المحسنات للكلام. قوله: ﴿إلاَّ قَلِيلاً مِنْكُمْ﴾ أي من أجدادكم وهو من أقام اليهود على وجهها قبل النسخ، أي ومنكم أيضاً وهو من آمن منهم كعبد الله بن سلام وأضرابه. قوله: ﴿وأَنْتُمْ مُعْرِضُون﴾ خطاب للفروع ويلاحظ قوله: ﴿إلاَّ قَلِيلاً﴾ هنا كما علمت فتغاير معنى الجملتين فلا تكرار.

قوله: ﴿وإذ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ المقدر اذكروا فهو خطاب لبني إسرائيل وهو معطوف على الجملة الأولى المتعلقة بحقوق الله، وهذه الجملة متعلقة بحقوق العباد، فخانوا كلا من العهدين. وهي متضمنة لأربعة عهود: الأول لا يسفك بعضهم دماء بعض، الثاني لا يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم، الثالث لا يتظاهر بعضهم على بعض بالإثم والعدوان، الرابع أن وجد بعضهم بعضاً أسيراً فداه ولو بجميع ما يملك. قوله: ﴿مِيثَاقَكُمْ﴾ أي ميثاق آبائكم في التوراة، فإن هذا خطاب لقريظة وبني النضير الكائنين في زمن رسول الله ﷺ قوله: (وقلنا) ﴿لَا تَسْفِكُونَ﴾ قدر القول إشارة إلى أن الجملة في محل نصب مقول لقول محذوف، والجملة حالية من فاعل أخذنا، التقدير أخذنا ميثاقكم حال كوننا قائلين، ويحتمل أن الجملة لا محل لها من الإعراب تفسير للميثاق وتقدم ذلك في نظيره.

قوله: ﴿لَا تَسْفِكُونَ﴾ مضارع سفك من باب ضرب وقتل أراق الدم أو الدمع. قوله: (بقتل بعضكم بعضاً) أشار بذلك إلى أنه من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم، لأنه يلزم من القتل إراقة الدم غالباً والإضافة في دمائكم لأدنى ملابسة، فإن دم الأخ كدم النفس أو باعتبار أن من قتل يقتل، أي فلا تتسببوا في قتل أنفسكم بقتلكم غيركم، وهنا حذف يعلم بما يأتي أي ظلماً وعدواناً. قوله: ﴿مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ أصله دوار وقعت الواو إثر كسرة قلبت ياء، وأسند الإخراج لأنفسهم مع أنهم يخرجون غيرهم، لأن المكر السيء لا يحيق إلا بأهله. قوله: ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ لم يذكر هنا بقية العهود لأن عهد عدم التظاهر بالإثم والعدوان ملاحظ في العهدين الأولين، أما الرابع فقد وفوا به فلم يعاتبهم الرب عليه. قوله: (على أنفسكم) أشار بذلك إلى أن الجملة مؤكدة لجملة ثم أقررتم لأن الشهادة على النفس هي الإقرار بعينه، ويحتمل أن قوله ثم أقررتم خطاب لبني إسرائيل الأصول، وقوله وأنتم تشهدون خطاب للفروع، فتغاير معنى الجملتين ولا تأكيد.

قوله: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ أنتم مبتدأ وجملة تقتلون خبره، وهؤلاء منادى وحرف النداء محذوف والجملة معترضة بين المبتدأ والخبر، قوله: ﴿تَظَاهَرُونَ﴾ في محل نصب على الحال من فاعل تخرجون وهو من باب الحذف من الأوائل لدلالة الأواخر، التقدير تقتلون أنفسكم متظاهرين وتخرجون فريقاً كذلك

الظاء وفي قراءة بالتخفيف على حذفها تتعاونون ﴿عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ﴾ بالمعصية ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ الظلم ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ﴾ وفي قراءة أسرى ﴿تُفَٰدُوهُمْ﴾ وفي قراءة تفادوهم تنقدوهم من الأسر بالمال أو غيره وهو مما عهد إليهم ﴿وَهُوَ﴾ أي الشأن ﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ متصل بقوله وتخرجون والجملة بينهما اعتراض أي كما حرم ترك الفداء وكانت قريظة حالفوا الأوس والنضير الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه ويخرب ديارهم ويخرجهم فإذا أسروا فدوهم وكانوا إذا سئلوا لم تقاتلونهم وتفدونهم قالوا أمرنا بالفداء فيقال فلم تقاتلونهم فيقولون حياء أن تستذل حلفاؤنا، قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وهو الفداء ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ وهو ترك القتل والإخراج والمظاهرة ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ﴾ هوان وذل ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وقد خزوا بقتل قريظة ونفي النضير إلى الشام وضرب الجزية ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٨٥﴾ بالياء والتاء ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ

قوله: **(في الأصل)** أي بعد قلبها ظاء، قوله: **(بالتخفيف)** أي بحذف التاء الثانية التي ليست للمضارعة، ولم تحذف التي للمضارعة لأنه أتى بها المعنى. قوله: **﴿بِالْإِثْمِ﴾** يجمع على آثام قوله: **(وفي قراءة اسرى)** أي بالإمالة وهي لحمزة وكل منها جمع لأسير، قوله: **(وفي قراءة تفادوهم)** الحاصل أن القراءات خمس أسرى بالإمالة مع تفدوهم فقط أسارى بالإمالة وعدمها مع تفدوهم وتفادوهم. وقوله: **(أي الشأن)** ويقال ضمير القصة يفسره ما بعده، قال ابن هشام ويختص بخمسة اشياء كونه مفرداً ولو كان مرجعه مثنى أو مجموعاً، وتأخير مرجعه وكونه جملة ولا يعمل فيه إلا الابتداء أو الناسخ ولا يتبع.

قوله: **﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾** مبتدأ وخبر والجملة خبر ضمير الشأن ولم تحتج لرابط لأنها عين المتبدأ في المعنى. قوله: **(والنضير)** معطوف على قريظة والعامل فيه كانت، وقوله الخزرج معطوف على الأوس والعامل فيه حالفوا ففيه العطف على معمولي عاملين مختلفين قصداً للإختصار، ويحتمل أن الخزرج معمول لمحذوف التقدير حالفوا والحاصل أن الأوس والخزرج فرقتان في المدينة وهم الأنصار وكان بينهما عداوة ولم يرسل لهم نبي غير رسول الله، وأما قريظة وبنو النضير فكانوا مكلفين بشريعة موسى وكانوا اذلاء، فاستعز قريظة بالأوس وبنو النضير بالخزرج، فكان إذا اقتتل الأوس مع الخزرج قاتل مع كل حلفاؤه، فإذا أسر حلفاء قريظة أسيراً من بني النضير افتداه قريظة وبالعكس فإذا سئلوا عن القتال أجابوا بأنهم قاتلوا خشية أن يستذل من استعزوا به، وعن الفداء أجابوا بأننا أمرنا به. قوله: **﴿أَفَتُؤْمِنُونَ﴾** أي تصدقون بالعمل به قوله: **(وقد خزوا)** أصله خزيوا استثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان الياء والواو حذفت الياء لالتقاء الساكنين وقلبت كسرة الزاي ضمة لمناسبة الواو. قوله: **(بقتل قريظة)** أي حين دخل النبي المدينة وأسلم الأوس والخزرج، فغزاهم النبي وأصحابه إلى أن نزلوا على حكم سعد بن معاذ فحكم فيهم بقتل شجعانهم وسبي ذراريهم ونسائهم فقتل منهم سبعمائة، وكان ذلك في السنة الرابعة من الهجرة. قوله: **(ونفي النضير إلى الشام)** أي مع كل واحد حمل بعير من طعام لا غير. قوله: **(وضرب الجزية)** أي على من بقي من قريظة وسكن خيبر، وعلى بني النضير بعد ذهابهم إلى الشام. قوله: **﴿يُرَدُّونَ﴾** وقرىء شاذ بالتاء. قوله: **(بالياء والتاء)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (بأن

﴿ٱلدُّنْيَا بِٱلْأَخِرَةِ﴾ بأن آثروها عليها ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ﴿٨٦﴾ يمنعون منه ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾ أي أتبعناهم رسولاً في أثر رسول ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات كإحياء الموتى وإبراء الأكمة والأبرص ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ﴾ قويناه ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ من إضافة الموصوف إلى الصفة أي الروح المقدسة جبريل لطهارته يسير معه حيث سار فلم تستقيموا ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ﴾ تحب ﴿أَنفُسُكُمُ﴾ من الحق ﴿ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ تكبرتم عن اتباعه جواب كلما وهو محل الإستفهام والمراد به التوبيخ ﴿فَفَرِيقًا﴾ منهم

آثروها) بالمد بمعنى قدموها.

قوله: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ**﴾ شروع في ذكر نعم أخرى لبني إسرائيل قابلوها بقبائح عظيمة، وصدر الجملة بالقسم زيادة في الرد عليهم. قوله: ﴿**وَقَفَّيْنَا**﴾ من التقفية وهي المشي خلف القفا أطلق، وأريد به مطلق الإتباع. قوله: ﴿**مِنْ بَعْدِهِ**﴾ يحتمل أن الضمير عائد على موسى أو الكتاب. قوله: **(أي أتبعناهم رسولاً في أثر رسول)** ظاهره أنه لا يجتمع رسولان في زمن واحد، وليس كذلك، فإن زكريا ويحيى كانا في زمن واحد، وكذا دواد وسليمان، وورد أنهم قتلوا سبعين نبياً في يوم واحد واقاموا سوقهم، وأجيب بأن مراد التبع في العمل بالتوراة، فكل الأنبياء الذين بين موسى وعيسى يعملون بالتوراة بوحي من الله لا تقليداً لموسى. إذا علمت ذلك، فالمناسب للمفسر أن يقول أي اتبعنا بعضهم بعضاً في العمل بالتوراة كانوا في زمن واحد أو لا، وقوله بالرسل مراده ما يشمل الأنبياء وعدة الأنبياء والرسل الذين بين موسى وعيسى سبعون ألفاً وقيل أربعة آلاف.

قوله: ﴿**وَآتَيْنَا عِيسَى**﴾ معطوف على آتينا موسى وخصه بالذكر، وإن كان داخلاً في قوله: (وقفينا من بعده بالرسل) لعظم شرفه ومزيته، ولكون رسولاً مستقلاً بشرع يخصه لأنه نسخ بعض ما في التوراة، وللرد على اليهود حيث ادعوا أنهم قتلوه، وعيسى لغة عبرانية معناه السبوح. قوله: ﴿**ابْنَ مَرْيَمَ**﴾ معنى مريم خادمة لله، وفي اصطلاح العرب المرأة التي تكره مخالطة الرجال. قوله: ﴿**الْبَيِّنَاتِ**﴾ أل للعهد أي المعجزات المعهودة له. قوله: **(وإبراء الأكمة)** هو من ولد أعمى. قوله: **(أي الروح القدس)** أي المطهرة. قوله: **(جبريل)** وجه تسميته روحاً أن الروح جسم نوراني به حياة الأبدان، وجبريل جسم نوراني به حياة القلوب. قوله: **(لطهارته)** أي من المعاصي والمخالفات والأقذار، وقد مدحه الله بقوله تعالى: (إنه لقول رسول كريم) الآية. قوله: **(يسير معه حيث سار)** أي ولم يزل معه حتى رفعه إلى السماء. قوله: **(فلم تستقيموا)** قدره المفسر لعطف قوله أفكلما جاءكم رسول عليه. قوله: ﴿**بِمَا لَا تَهْوَى**﴾ ماضيه هوى من باب تعب وضرب، سمي بذلك لأنه يهوي بصاحبه إلى النار، وهو تذكير للفروع بقبائح أصولهم.

قوله: ﴿**اسْتَكْبَرْتُمْ**﴾ السين زائدة والتقدير تكبرتم كلما جاءكم رسول بالذي لا تحبه أنفسكم. قوله: **(والمراد به التوبيخ)** أي اللوم والتقريع عليهم. قوله: ﴿**فَفَرِيقاً**﴾ معمول لكذبتم وقدم مراعاة للفواصل، وقدم التكذيب على القتل مع أن القتل أشنع لأن التكذيب مبدأ القتل. قوله: **(كعيسى)** أي كذبوه ولم يتمكنوا من قتله بل رفعه الله إلى السماء. قوله: **(المضارع لحكاية الحال الماضية)** أي فنزل وقوعه

﴿كَذَّبْتُمْ﴾ كعيسى ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية أي قتلتم كزكريا ويحيى ﴿وَقَالُواْ﴾ للنبي استهزاء ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ جمع أغلف أي مغشاة بأغطية فلا تعي ما تقول قال تعالى ﴿بَل﴾ للإضراب ﴿لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أبعدهم عن رحمته وخذلهم عن القبول ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ وليس عدم قبولهم لخلل في قلوبهم ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ ما زائدة لتأكيد القلة أي إيمانهم قليل جداً ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ من التوراة هو القرآن ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ﴾ قبل مجيئه ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ يستنصرون ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يقولون اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث آخر الزمان ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ﴾ من الحق وهو بعثة النبي ﴿كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ حسداً وخوفاً على الرياسة وجواب لما الأولى دل عليه جواب الثانية ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ﴾ باعوا ﴿بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ أي حظها من الثواب وما نكرة بمعنى شيئاً تمييز لفاعل بئس والمخصوص بالذم ﴿أَن يَكْفُرُواْ﴾ أي كفرهم ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من القرآن ﴿بَغْيًا﴾ مفعول له

منهم فيما مضى منزلة وقوعه الآن استعظاماً له. قوله: (كزكريا) أي حيث نشروه حين هرب منهم وأوى إلى شجرة أثل فانفتحت له ودخلها. قوله: (ويحيى) أي قتلوه من أجل امرأة فاجرة، أردا محرمها التزوج بها فمنعه من ذلك.

قوله: ﴿وَقَالُوا﴾ أي الموجودون في زمن النبي ﷺ. قوله: (أي مغشاة بأغطية) أي حسية. قوله: ﴿فَقِلِيلاً مَا يؤْمِنُونَ﴾ المراد بالقلة الإستبعاد أي فايمانهم مستبعد لطرد الله إياهم عن رحمته وسبق شقاوتهم، ويحتمل أن تبقى القلة على بابها، أي فمن آمن منهم قليل كعبد الله بن سلام وأضرابه، ويحتمل أن القلة باعتبار الزمن أي أن الزمن الذي يؤمنون فيه قليل جداً، قال تعالى: (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره)

قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ﴾ هذه الجملة من تعلقات الجملة التي قبلها، وكل منها حكاية عن اليهود الذين كانوا في زمنه ﷺ، وقوله من عند الله صفة أولى لكتاب، وقوله مصدق صفة ثانية له وجملة وكانوا من قبل حال من الضمير في جاءهم. قوله: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ مبني على الضم لحذف المضاف إليه ونية معناه. قوله: (يستنصرون) السين والتاء للطلب. قوله: (وهو بعثة النبي) في الحقيقة بعثة النبي والكتاب. قوله: (دل عليه جواب الثانية) أي والأصل ولما جاءكم كتاب من عند الله مصدق لما معهم كفروا بذلك الكتاب وكانوا يستفتحون على الذين كفروا، فلما جاءهم ما عرفوا وهو النبي الكريم كفروا به، فبين الجملتين تغاير لفظاً وإن كان بينهما تلازم معنى. قوله: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا﴾ الخ، بئس فعل ماض لإنشاء الذم وفاعلها مستتر فيه وجوباً تقديره هو يعود على الشيء، يفسره قوله ما اشتروا فما تمييز لذلك الفاعل وما بعدها صفة لها، وإن يكفروا في تأويل مصدر المخصوص بالذم وهو يعرب مبتدأ والجملة التي قبله خبر عنه أو خبر لمبتدأ محذوف، قال ابن مالك:

ويعرب المخصوص بعد مبتدأ أو خبر اسم ليس يبدو أبدا

قوله: (من القرآن) بيان لما. قوله: (مفعول له ليكفروا) أي مفعول لأجله والعامل فيه يكفروا.

ليكفروا أي حسداً على ﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ الوحي ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ للرسالة ﴿مِنْ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو﴾ رجعوا ﴿بِغَضَبٍ﴾ من الله بكفرهم بما أنزل والتنكير للتعظيم ﴿عَلَىٰ غَضَبٍۚ﴾ استحقوه من قبل بتضييع التوراة والكفر بعيسى ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٩٠﴾ ذو إهانة ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ القرآن وغيره ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ أي التوراة، قال تعالى ﴿وَيَكْفُرُونَ﴾ الواو للحال ﴿بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ سواه أو بعده من القرآن ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ حال ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال ثانية مؤكدة ﴿لِّمَا مَعَهُمْۗ قُلْ﴾ لهم ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾ أي قتلتم ﴿أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٩١﴾ بالتوراة وقد نهيتم فيها عن قتلهم، والخطاب للموجودين في زمن نبينا بما فعل آباؤهم لرضاهم به ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات كالعصا واليد وفلق

قوله: على أن ﴿**يُنَزِّلَ اللهُ**﴾ المعنى كفرهم بما أنزل الله حسداً على إنزال الله من فضله، وذلك بمعنى قوله تعالى: (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله). قوله: (**الوحي**) قدره إشارة إلى أن مفعول ينزل محذوف. قوله: ﴿**عَلَى مَنْ يَشَاءُ**﴾ مفعول يشاء محذوف التقدير يشاؤه. قوله: (**بكفرهم**) الباء يصح أن تكون للتعدية وللسببية والتنكير للتعظيم. أي في قوله غضب على حد شراً هر ذا ناب. قوله: (**والكفر بعيسى**) أي ثم الكفر بمحمد وما جاء به، فقد آمنوا بموسى ثم كفروا به وضيعوا التوراة، فلما جاءهم عيسى آمنوا به ثم كفروا به، فلما جاءهم محمد كفروا به، وازدادوا كفراً. قوله: ﴿**عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾ أصله مهون نقلت كسرة الواو إلى الهاء فوقعت الووا ساكنة بعد كسرة قلبت ياء. قوله: (**ذو إهانة**) أي هوان وذل ولا يوصف بذلك إلا عذاب الكافرين، وأما ما يقع للعصاة في الدنيا من المصائب وفي الآخرة من دخول النار فهو تطهير لهم. قوله: ﴿**بِما وَرَاءَهُ**﴾ يطلق بمعنى سوى وبمعنى بعد وبمعنى أمام اقتصر المفسر على الأولين. قوله: (**من القرآن**) أي والأنجيل.

قوله: ﴿**وَهُوَ الْحَقُّ**﴾ حال من ما. قوله: (**مؤكدة**) أي لمضمون الجملة قبلها على حد زيد أبوك عطوفاً وقوله: (**ثانية**) أي في التأكيد وإلا فهي ثالثة. قوله: ﴿**فَلِمَ تَقْتُلُونَ**﴾ ما اسم استفهام حذفت ألفها لجرها باللام، والفاء واقعة في جواب شرط مقدر تقديره إن كنتم صادقين في دعواكم الإيمان بالتوراة فلأي شيء تقتلون أنبياء الله. قوله: (**أي قتلتم**) أشار بذلك إلى أن المضارع بمعنى الماضي، وإنما عبر بالمضارع لحكاية الحال الماضية. قوله: ﴿**إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ جواب إن محذوف دل عليه المذكور، فقد حذف من الجملة الأولى أداة الشرط وفعلها ومن الثانية الجواب فهو احتباك، وقيل إن نافية بمعنى ما نتيجة الشرط المقدر. قوله: (**بما فعل آباؤهم**) الحاصل أنه أقيمت الحجة عليهم مرتين، الأولى دعواكم الإيمان بالتوراة، كذب لكفرهم بالقرآن، فإن الكافر بأي كتاب كافر بالجميع، وعلى تسليم هذه الدعوى فهي كذب من جهة أخرى وهي قتل الأنبياء، فلو كنتم مؤمنين بالتوراة لانتهيتم عما نهاكم الله عنه، فإنه نهاكم فيها عن قتل الأنبياء. قوله: (**لرضاهم به**) جواب عما يقال إن ذلك فيمن قتل الأنبياء، وأما هؤلاء فلم يقع منهم ذلك، فأجاب بأن الرضا بالكفر كفر، وقد يقال إنهم مصرون على قتل رسول الله ﷺ، وقد تسببوا في ذلك مراراً.

قوله: ﴿**وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى**﴾ هذا أيضاً من جملة قبائح بني إسرائيل. قوله: (**كالعصا**) دخل تحت

البحر ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ إلهاً ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ من بعد ذهابه إلى الميقات ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ ﴿٩٢﴾ باتخاذه ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ على العمل بما في التوراة ﴿وَ﴾ قد ﴿رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ الجبل حين امتنعتم من قولها ليسقط عليكم وقلنا ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد ﴿وَاسْمَعُوا﴾ ما تؤمرون به سماع قبول ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ أي خالط حبه قلوبهم كما يخالط الشراب ﴿بِكُفْرِهِمْ قُلْ﴾ لهم ﴿بِئْسَمَا﴾ شيئاً ﴿يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾ بالتوراة عبادة العجل ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٩٣﴾ بها كما زعمتم. المعنى لستم بمؤمنين لأن الإيمان لا يأمر بعبادة العجل والمراد آباؤهم أي فكذلك أنتم لستم بمؤمنين بالتوراة وقد كذبتم محمداً والإيمان بها لا يأمركم بتكذيبه ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ أي الجنة ﴿عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً﴾ خاصة ﴿مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ كما زعمتم ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٩٤﴾ تعلق بتمنيه الشرطان على أن الأول قيد في الثاني أي إن صدقتم في زعمكم أنها

الكاف باقي التسع وهي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنين والطمس. قوله: (إلهاً) قدره إشارة إلى مفعول اتخذتم. قوله: ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ أي كافرون. قوله: (ليسقط عليكم) علة لقوله رفعنا أي رفعناه لأجل السقوط عليكم إن لم تتمثلوا. قوله: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ الجملة حالية على حذف مضافين أي حب عبادة العجل، وفي الكلام استعارة بالكناية وتقريرها أن تقول شبه حب عبادة العجل بمشروب لذيذ سائغ بجامع الإمتزاج في كل وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو الإشراب فاثباته تخييل ولم يعبر بالأكل لأنه ليس فيه شدة مخالطة. قوله: (كما يخالط الشراب) أي خلال القلوب والأبدان فمفعول يخالط محذوف. قوله: (شيئاً) أشار بذلك إلى أن ما نكرة بمعنى شيء مفسرة لفاعل بئس، وقوله: ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ صفة لما و ﴿إِيمَانُكُمْ﴾ فاعل يأمر، وقوله: (عبادة العجل) هو المخصوص بالذم قدره المفسر وهذا من جملة التشنيع عليهم، أي أنتم ادعيتم الإيمان بالتوراة ثم رأيناكم قد عبدتم العجل، فإن كان إيمانكم بها أمركم وحملكم على عبادته فبئس إيمانكم وما يأمركم به فإنه كفر لا إيمان، وقوله بالتوراة إن قلت إن عبادة العجل متقدمة على التوراة، أجيب بأن موسى كان يأمرهم بالتوحيد وهو موافق لما في التوراة.

قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يحتمل أن إن شرطية وكنتم فعل الشرط وجوابه محذوف دل عليه قوله: (بئسما يأمركم به إيمانكم) ويحتمل أنها نافية نتيجة قوله: (بئسما يأمركم به إيمانكم) وكلام المفسر يحتملها. قوله: (المعنى إلخ) إشارة إلى قياس حملي من الشكل الأول، وتقريره أن تقول اعتقادكم يأمركم بعبادة العجل، وكل اعتقاد يأمر بعبادة العجل فهو كفر ينتج اعتقادكم كفر. قوله: (أي فكذلك أنتم إلخ) أشار بذلك إلى قياس آخر تقريره أن تقول اعتقادكم يأمركم بتكذيب محمد، وكل اعتقاد يأمر بذلك فهو كفر ينتج اعتقادكم كفر.

قوله: ﴿إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ إلخ﴾ في هذه الآية أعاريب منها أن الدار اسم كانت ولكم جار ومجرور خبرها وعند الله ظرف وخالصة حال، ومنها أن الخبر قوله خالصة وعند الله ظرف على كل حال، ومنها أن الخبر هو الظرف وخالصة حال. قوله: (تعلق بتمنيه الشرطان) في العبارة قلب والأصل

لكم ومن كانت له يؤثرها والموصل إليها الموت فتمنوه ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من كفرهم بالنبي المستلزم لكذبهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾ الكافرين فيجازيهم ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾ لام قسم ﴿أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَ﴾ أحرص ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ المنكرين للبعث عليها لعلمهم بأن مصيرهم النار دون المشركين لأنكارهم له ﴿يَوَدُّ﴾ يتمنى ﴿أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ لو مصدرية بمعنى أن وهي بصلتها في تأويل مصدر مفعول يود ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي أحدهم ﴿بِمُزَحْزِحِهِۦ﴾ مبعده ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ النار ﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ فاعل مزحزحه أي تعميره ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ بالياء والتاء فيجازيهم وسأل ابن صوريا النبي أو عمر عمن يأتي بالوحي من الملائكة فقال جبريل فقال هو عدونا يأتي بالعذاب ولو كان ميكائيل لآمنا لأنه يأتي بالخصب

تعلق تمنيه بالشرطين لأن تمنوا هو الجواب وهو متعلق بالشرطين. قوله: (قيد في الثاني) حاصله أنه إذا اجتمع شرطان وتوسط بينهما جواب كان الأول قيداً في الثاني بمعنى أنه من تمام معناه ويكون الجواب لذلك الثاني، فتقدير الآية إن كنتم صادقين في زعمكم أن الدار الآخرة لكم خاصة فتمنوا الموت، وقيل إن الجواب للأول وجواب الثاني محذوف دل عليه جواب الأول. قوله: (أي إن صدقتم) إشارة إلى الشرط الثاني، وقوله إنها لكم إشارة للأول. قوله: (يؤثرها) أي يقدمها ويختارها. قوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ﴾ الباء سببية وما يحتمل أنها اسم موصول وقدمت صلته والعائد محذوف أي قدمته، ويحتمل أنها نكرة موصوفة والعائد محذوف على كل حال، والحكمة في الإتيان هنا بلن وفي الجمعة بلا، أن ادعاءهم هنا أعظم من ادعائهم هناك، فانهم ادعوا هنا اختصاصهم بالجنة وهناك كونهم أولياء لله من دون الناس، فلا تفيد اختصاصهم بالجنة، فناسب هنا التوكيد بلن وهناك بلا.

قوله: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾ عطف على قوله ولن يتمنوه من عطف اللازم على الملزوم. قوله: ﴿أَحْرَصَ﴾ مفعول ثان لتجدنهم حيث كانت بمعنى علم، وأما إن كانت بمعنى أصاب أو صادف نصبت مفعولاً واحداً فيكون أحرص حالاً. قوله: ﴿وَأَحْرَصَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ من عطف الخاص على العام زيادة في التقبيح عليهم ودفعاً لتوهم أن المشركين أحرص منهم. قوله: (لو مصدرية) أي ولا تنصب الفعل فهي سابكة فقط. قوله: ﴿وَمَا هُوَ﴾ يحتمل أن ما حجازية وهو اسمها وبمزحزحه خبرها، وإن يعمر فاعل مزحزحه وإن ما تميمة وهو مبتدأ وبمزحزحه خبره وإن يعمر فاعله على كل حال. قوله: (أي أحدهم الخ) وقيل إن هو ضمير شأن ورد بأن ضمير الشأن يفسر بجملة وهنا ليس كذلك قوله: (بالياء والتاء) ظاهره أنهما سبعيتان وليس كذلك بل التاء عشرية، واختلف فيما زاد على السبعة هل يلحق بها فتجوز القراءة والصلاة بها أم بالشواذ فيمتنعان والمعتمد الأول.

قوله: (وسأل ابن صوريا إلخ) أشار بذلك إلى سبب نزول الآية، وابن صوريا اسمه عبد الله وكان من أحبار اليهود. قوله: (أو عمر) أشار بذلك إلى تنويع الخلاف، فإن عمر كان له أرض بالعوالي وكان يمر على مدارسهم ليختبر صفات محمد من كتبهم، فقالوا يا عمر لقد أحببناك فقال والله ما أحبكم وإنما أدخل عليكم لأزداد بصيرة في أمر محمد، فسأله بأن صوريا عمن يأتي بالوحي لمحمد فقال هو جبريل، فقال: هو عدونا إلخ، فأخبر النبي بذلك فنزلت الآية. قوله: (فقال) أي المسؤول وهو النبي أو عمر.

قوله: (يأتي بالعذاب) أي كالصواعق والخسف والمسخ. قوله: (بالخصب) بكسر الخاء أي الرخاء. قوله:

والسلم فنزل ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ فليمت غيظاً ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ﴾ أي القرآن ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ﴾ بأمر ﴿ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَبُشْرَىٰ﴾ بالجنة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ﴾ بكسر الجيم وفتحها بلا همز وبه بياء ودونها ﴿وَمِيكَىٰلَ﴾ عطف على الملائكة من عطف الخاص على العام وفي قراءة ميكائيل بهمز وياء وفي أخرى بلا ياء ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ أوقعه موقع لهم

(والسلم) أي الصلح . قوله : (فليمت غيظاً) جواب لاسم الشرط الذي هو من وهو مبتدأ خبره قيل فعل الشرط وقيل جوابه وقيل هما، وأما قوله تعالى : ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ﴾ فلا يصح أن يكون جواباً للشرط لمانعين الأول عدم الرابط والثاني عدم تسبب الجواب عن الشرط، وقوله لجبريل الصحيح أنه اسم أعجمي علم على رئيس الملائكة فلا اشتقاق فيه ولا تصرف، وقيل مشتق من الجبروت وهو عالم الأسرار، وقيل مركب إضافي وقيل مزجي والصحيح الأول، وورد عن ابن عباس أن جبر معناه عبد وإيل معناه الله، وميكا معنها عبد إيل معناه الله. قوله : ﴿فَإِنَّهُ﴾ أي جبريل. قوله : (أي القرآن) وقيل الوحي أعم من يكون قرآنا أو غيره. قوله : ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ عبر بعلى إشارة لتمكنه وانصبابه ورسوخه، فإن الشيء إذا صب من أعلى لأسفل رسخ وثبت. قوله : ﴿بأمر الله﴾ أشار بذلك إلى أن المراد بالإذن الأمر لا العلم. قوله : ﴿مُصَدِّقاً﴾ حال من الضمير في نزله وكذلك قوله : ﴿هُدًى وَبُشْرَى﴾. قوله : (بالجنة) أي وما فيها من النعيم ورؤية وجه الله الكريم قوله : ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي ونذير للكافرين بالنار، وهذا رد أول لكلام ابن صوريا، حاصله أن جبريل لا اختيار له في إنزال العذاب ولا في إنزال القرآن.

قوله : ﴿مَنْ كَانَ عدُواً لله﴾ قدم لأنه المنشىء للأشياء جميعها، وثنى بالملائكة لأنهم المرسلون من حضرته، وثلث بالرسل لنزول الملائكة عليهم. قوله : ﴿وَجِبْرِيلَ﴾ خص وهو وميكائيل زيادة في التشنيع عليهم ولأن حياة الأرواح والأشباح بواسطتها وتنبيهاً على أن عداوتها خسران وضلال. قوله : (بكسر الجيم) أي على وزن قنديل. قوله : (وفتحها) أي على وزن شمويل. قوله : (وبه بياء ودونها) هذا في المفتوح وهو على وزن سلسبيل وجحمرش، فجملة القراءات السبعية أربعة وهي من جملة لغات أنهاها بعضهم لثلاث عشرة، خامسها فتح الجيم مع الهمزة واللام مشددة على أنها اسم من اسماء الله، وفي بعض التفاسير لا يرقبون في مؤمن إلا أي الله، سادسها فتح الجيم والف بعد الراء وهمزة مكسورة بعدها، سابعها مثلها إلا أنها بياء بعد الهمزة، ثامنها فتح الجيم وياءان بعد الألف من غير همزة، تاسعها فتح الجيم وألف بعد الراء ولام، عاشرها فتح الجيم وياء بعد الراء مكسورة ولام، حادي عشرها فتح الجيم وياء بعد الراء ونون ، ثاني عشرها كذلك إلا أنها بكسر الجيم، ثالث عشرها فتح الجيم والف بعد الراء وهمزة وياء ونون وأكثرها قرىء به شاذاً. قوله : (من عطف الخاص على العام) والنكتة شرفهما وعظمهما وكون النزاع فيهما. قوله : (وفي أخرى بلا ياء فتكون القراءات السبعية ثلاثاً بالهمزة والياء معاً وبإسقاط الياء فقط وبإسقاطهما وهي من جملة لغاته السبع، رابعها مثل بيكعيل، خامسها كذلك إلا أنه لا ياء بعد الهمزة مثل بيكعل، سادسها بياءين بعد الألف سابعها بهمزة مفتوحة بعد الألف وقرىء بالجميع شاذاً.

قوله : ﴿فَإِنَّ الله عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ هذا هو جواب الشرط، والرابط موجود وهو الإسم الظاهر لقيامه

بياناً لحالهم ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ أي واضحات حال رد لقول ابن صوريا للنبي ما جئتنا بشيء ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ ﴿٩٩﴾ كفروا بها ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟﴾ الله ﴿عَهْدًا﴾ على الإيمان بالنبي إن خرج أو النبي أن لا يعاونوا عليه المشركين ﴿نَّبَذَهُۥ﴾ طرحه ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ بنقضه جواب كلما وهو محل الإستفهام الإنكاري ﴿بَلْ﴾ للإنتقال ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٠٠﴾ ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ محمد ﷺ ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ أي التوراة ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ أي لم يعملوا بما فيها من الإيمان بالرسول وغيره ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٠١﴾ ما فيها من أنه نبي حق أو أنها كتاب الله ﴿وَٱتَّبَعُوا۟﴾ عطف على نبذ ﴿مَا تَتْلُوا۟﴾ أي تلت ﴿ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ﴾ عهد ﴿مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ من

مقام الضمير وقيل الرابط العموم. قوله: (بياناً لحالهم) أي ولزيادة التقبيح عليهم، والمراد بعدواتهم لله خروجهم عن طاعته وعدم امتثالهم أمره. قوله: (حال) المناسب أن يقول صفة لأن الحال لا يكون من النكرة إلا إذا وجد لها مسوغ. قوله: ﴿إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ أي الكافرون. قوله: ﴿أَ﴾ (كفروا بها) أشار بذلك إلى أن الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف وهو أحد احتمالين تقدماً.

قوله: ﴿عَاهَدُوا﴾ (الله) قدر المفسر لفظ الجلالة إشارة إلى أن عاهدوا بمعنى أعطوا، فالله مفعول أول وعهداً مفعول ثان. قوله: (على الإيمان بالنبي) أي فالعهد مأخوذ عليهم قديماً في كتبهم وعلى أنبيائهم. قوله: (أو النبي) إشار إلى تفسير ثان فقد كانوا يأتون النبي ويقولون له إن كنت نبياً فائت لنا بكذا، فيقيم عليهم الحجة فيعاهدونه أن لا يعاونوا عليه المشركين ثم ينقضونه. قوله: (بنقضه) الباء سببية. قوله: ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ دفع بذلك ما يتوهم من قوله فريق أن الفريق يصدق بالقليل والكثير، فيتوهم أن المراد القليل فدفع ذلك بقوله بل أكثرهم إلخ، وهو إما من عطف الجمل أو المفردات، فعلى الأول جملة أكثرهم لا يؤمنون معطوفة على جملة نبذه فريق منهم، وعلى الثاني أكثرهم معطوف على طريق الإشارة إلى أن النابذ للعهد أكثرهم، وقوله لا يؤمنون إخبار عنهم بعدم الإيمان لرسوخ الشرك في قلوبهم.

قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾ هذا من جملة التشنيع على بني إسرائيل. قوله: ﴿لِمَا مَعَهُمْ﴾ أي التوراة والمعنى أن رسول الله ﷺ جاء بإثبات التوراة وأنها من عند الله، فكان مقتضي ذلك اتباعه والعمل بشريعته، ولكن الله طمس على قلوبهم وسمعهم وابصارهم. قوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ صفة لفريق وأوتوا ينصب مفعولين نائب الفاعل الذي هو الواو مفعول أول والكتاب مفعول ثان، وقوله: ﴿كِتَابَ اللهِ﴾ مفعول لنبذ وهو بمعنى طرح. قوله: (أي لم يعملوا بما فيها) أشار بذلك إلى أن قوله وراء ظهورهم ليس على حقيقته بل هو كناية عن عدم العمل بما في التوراة، وإلا فهم يعظمونها إلى الآن. قوله: (من أنه نبي حقاً) إشارة إلى مفعول يعلمون، والمعنى أنهم أنكروا صفة رسول الله وبدلوها ولم يذعنوا للأحكام التي في التوراة كأنهم جاهلون بها مع أنهم عالمون بها.

قوله: (عطف على نبذ) استشكل بأن المعطوف على الجواب جواب، وقوله: ﴿اتَّبَعُوا﴾ لا يصلح أن يكون جواباً لعدم ترتبه على الشرط لأنه سابق على بعثة رسول الله، فالأحسن عطفه على جملة ولما

السحر وكانت دفنته تحت كرسيه لما نزع ملكه أو كانت تسترق السمع وتضم إليه أكاذيب وتلقيه إلى الكهنة فيدونونه وفشا ذلك وشاع أن الجن تعلم الغيب فجمع سليمان الكتب ودفنها فلما مات دلت الشياطين عليها الناس فاستخرجوها فوجدوا فيها السحر فقالوا إنما ملككم بهذا فتعلموه ورفضوا كتب أنبيائهم، قال تعالى تبرئة لسليمان ورداً على اليهود في قولهم انظروا إلى محمد يذكر سليمان في الأنبياء وما كان إلا ساحراً ﴿وَمَاكَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ أي لم يعمل السحر لأنه كفر ﴿وَلَٰكِنَّ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ الجملة حال من ضمير كفروا ﴿وَ﴾ يعلمونهم ﴿مَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ أي ألهماه من السحر،

جاءهم رسول بيان لسوء حالهم. قوله: **(أي تلت)** أشار بذلك إلى أن المضارع بمعنى الماضي، لأن السماء محفوظة من استراقهم السمع من بعثة رسول الله وتلت بمعنى قرأت أو كذبت. قوله: **(على عهد)** على بمعنى في وعهد بمعنى زمن التقدير، واتبعوا ما تلت الشياطين في زمن ملك سليمان، ويحتمل أن تتلو بمعنى تتقول وعلى على بابها ومتعلقها محذوف تقديره على الله، فيصير المعنى واتبعوا ما تتقوله الشياطين على الله زمن ملك سليمان، وقوله: **(من السحر)** بيان لما وعائد الموصول محذوف تقديره تتلوه. قوله: **(أو كانت تسترق السمع)** أو لتنويع الخلاف لأنه اختلف في الذي اتبعته اليهود، فقيل هو السحر الذي وضعته الشياطين تحت كرسيه لما نزع ملكه، وسبب ذلك أن امرأة من نساء سليمان سجدت لصنم أربعين يوماً فعاتبه الله بنزع ملكه تلك المدة، وسبب عزله أنه كان خاتمه الذي نزل به آدم من الجنة يضعه إذا دخل الخلاء عند امرأة من نسائه تسمى الأمينة، وكان كل من لبسه يملك الدنيا بما فيها، فوضعه عندها مرة فجاءها شيطان يسمى صخر المارد، وتشكل بشكل سليمان وطلب الخاتم فأعطته له، ثم أتى الكرسي وجلس عليه أربعين يوماً فجمعت الشياطين كتب السحر ودفنتها تحت كرسيه، ثم لما انقضت المدة وجاء الأمر بتولية سليمان ثانياً طار الشيطان فوقع الخاتم في البحر فحملته دابة من دواب الماء وأتته به، فأمر سليمان الشياطين أن يأتوا بصخر المارد فأتوه به، فأمرهم أن يفتحوا صخرة ففعلوا ثم أمرهم أن يضعوه فيها ويسدوا عليه بالرصاص والنحاس ويرموه في قعر البحر الملح ففعلوا فلما مات سليمان دلت الشياطين على تلك الكتب المدفونة الناس، وقيل إنه ما استرقته الشياطين من السماء، فكان الشيطان يسمع الكلمة الصدق ويضع عليها تسعة وتسعين كذبة ويلقيها إلى الكهنة، إلى آخر ما قال المفسر. قوله: **(دلت الشياطين)** المراد الجنس لأن الذي دل شيطان منهم. قوله: **(لأنه كفر)** أي في شرعه وأما في شرعنا ففيه تفصيل، فإن اعتقد صحته وأنه يؤثر بنفسه فهو كفر، وأما إن تعلمه ليسحر به الناس فهو حرام، وإن كان لا لشيء فمكروه، وإن كان ليبطل به السحر فجائز، وعرفه ابن العربي بأنه كلام مؤلف يعظم به غير الله وتنسب له المقادير، فعليه هو كفر حتى في شرعنا، وعبارة الغزالي تفيد ما قاله ابن العربي. قوله: **﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ﴾** إما بدل من كفروا بدل فعل من فعل على حد إن تصل تسجد لله يرحمك، أو خبر بعد خبر أو جملة مستأنفة أو حال من الشياطين أو حال من الواو في كفروا، فهذه خمس احتمالات اختار المفسر آخرها. قوله: **(ويعلمونهم) ﴿مَا أُنْزِلَ﴾** أشار بذلك إلى أن ما اسم موصول معطوف على السحر من عطف الخاص على العام، والنكتة قوة ما أنزل على الملكين وصعوبته ويحتمل أنه مغاير، وأن ما أنزل على الملكين وإن كان سحراً إلا أنه نوع آخر منه غير متعارف بين الناس. قوله: **(وقرىء)** أي قراءة شاذة وفيها دليل لمن يقول إنهما ليسا

وقرىء بكسر اللام الكائنين ﴿بِبَابِلَ﴾ بلد في سواد العراق ﴿هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾ بدل أو عطف بيان للملكين قال ابن عباس هما ساحران كانا يعلمان السحر وقيل ملكان أنزلا لتعليمه ابتلاء من الله للناس ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ﴾ زائدة ﴿أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ﴾ له نصحاً ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ بلية من الله للناس ليمتحنهم بتعليمه فمن تعلمه كفر ومن تركه فهو مؤمن ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ بتعلمه، فإن أبى إلا التعليم علماه ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ بأن يبغض كلاً إلى الآخر ﴿وَمَا هُم﴾ أي السحرة ﴿بِضَآرِّينَ بِهِۦ﴾ بالسحر ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بإرادتـه ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ

ملكين حقيقيين وإنما هما رجلان صالحان، وسميا بذلك لحسنهما وصلاحهما على حد ما قيل في يوسف (ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم). قوله: **(الكائنين)** قدره إشارة إلى أن ببابل جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة للملكين.

قوله: **﴿بِبَابِلَ﴾** ممنوع من الصرف للعلمية، أو العجمة مأخوذ من البلبلة لأن أهلها يتكلمون بثمانين لغة، وأول من اختطها نوح وسماها ثمانين. قوله: **﴿هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾** هما ممنوعان من الصرف للعلمية والعجمة، ويجمعان على هواريت ومواريت، أو على هوارية وموارية مأخوذان من الهرت والمرت وهو الكسر، ولكن حيث قلنا إنهما أعجميان فلا يتصرف فيهما أحد ولا يعلم لهما اشتقاق. قوله: **(هما ساحران)** قدم هذا القول إشار لقوته وأنهما رجلان ساحران وليسا بملكين. قوله: **(ابتلاء من الله)** أي اختباراً وامتحاناً، وقصة هاروت وماروت على القول بثبوتها، أن الملائكة لما رأوا أعمال بني آدم الخبيثة تصعد إلى السماء قالوا سبحانك يا ربنا خلقت خلقاً وأكرمتهم وهم يعصونك، فقال الله تعالى لهم لو ركبت فيكم ما ركبت فيهم لفعلتم فعلهم، فقالوا سبحانك لا نعصيك أبداً، فقال: اختاروا لكم ملكين فاختاروا هاروت وماروت وكانا من أصلحهم، فركب الله فيهما الشهـوة وأمرهمـا بالهبـوط إلى الأرض والحكم بين الناس بالحق، ونهاهما عن الشرك والقتل والزنا وشرب الخمر، وعلمهما الله الإسم الأعظم، فكان إذا أمسى الوقت صعدا به إلى السماء، ثم إنه جاءت إليهما امرأة تسمى الزهرة وكانت جميلة جداً، فلما وقع نظرهما عليها أخذت بقلوبهما فراوداها فأبت إلا أن يقتلا ففعلا، ثم راوداها فأبت إلا أن يشربا الخمر ففعلا، ثم راوداها فأبت إلا أن يسجدا للصنم ففعلا، ثم راوداها فأبت إلا أن يعلماها الاسم الذي يصعدان به إلى السماء ففعلا، فتلته فصعدت به إلى السماء فمسخها الله كوكباً فهي الزهرة المعروفة، فلما علما ذلك أرادا تلاوة الاسم الأعظم فلم تطاوعهما أجنحتهما، فذهبا إلى إدريس وسألاه أن يشفع لهما عند الله ففعل ذلك، فخيرهما الله بين عذاب الدنيا والآخرة، فاختارا عذاب الدنيا لعلمهما بانقطاعه، فهما ببابل معلقان بشعورهما يضربان بسياط من حديد إلى يوم القيامة، مزرقة أعينهما مسودة جلودهما، وما زالا يعلمان الناس السحر، وقد اختلف في صحة هذه القصة وعدمها، فاختار الحافظ ابن حجر الأول لورودها من عدة طرق عن الإمام أحمد بن حنبل، واختار البيضاوي ومن تبعه الثاني لأنه لم تثبت روايتها إلا عن اليهود. قوله: **(فمن تعلمه كفر)** أي إن اعتقد صحته وتأثيره.

قوله: **﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾** معطوف على وما يعلمان من أحد إن قلت إن الأول منفي والثاني مثبت وكيف يصح عطف المثبت على المنفي، أجيب بأنه في المعنى مثبت التقدير ويعلمون الناس السحر قائلين لهم إنما نحن فتنة فلا تكفر. قوله: **﴿وَمَا هُمْ إلخ﴾** يحتمل أن ما حجازية وهم اسمها وبضارين خبرها

﴿مَا يَضُرُّهُمْ﴾ في الآخرة ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ وهو السحر ﴿وَلَقَدْ﴾ لام قسم ﴿عَلِمُوا﴾ أي اليهود ﴿لَمَنِ﴾ لام ابتداء معلقة لما قبلها ومن موصولة ﴿اشْتَرَاهُ﴾ اختاره أو استبدله بكتاب الله ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ نصيب في الجنة ﴿وَلَبِئْسَ مَا﴾ شيئاً ﴿شَرَوْا﴾ باعوا ﴿بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾ أي الشارين أي حظها من الآخرة إن تعلموه حيث أوجب لهم النار ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٠٢﴾ حقيقة ما يصيرون إليه من العذاب ما تعلموه ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ أي اليهود ﴿آمَنُوا﴾ بالنبي والقرآن ﴿وَاتَّقَوْا﴾ عقاب الله بترك معاصيه كالسحر وجواب لو محذوف أي لأثيبوا دل عليه ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ ثوبا وهو مبتدأ واللام فيه للقسم ﴿مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ خبره مما شروا به أنفسهم ﴿لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٠٣﴾ أنه خير لما آثروه عليه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا﴾ للنبي ﴿رَاعِنَا﴾ أمر من المراعاة وكانوا يقولون له ذلك وهي بلغة اليهود سب من الرعونة فسروا بذلك وخاطبوا بها النبي فنهي المؤمنون عنها ﴿وَقُولُوا﴾ بدلها ﴿انظُرْنَا﴾ أي انظر إلينا ﴿وَاسْمَعُوا﴾ ما تؤمرون به سماع قبول ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١٠٤﴾ مؤلم وهو النار ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ﴾ من العرب عطف على أهل الكتاب ومن للبيان

والباء زائدة في خبرها، ويحتمل أنها تميمية وما بعدها مبتدأ وخبر والباء زائدة في خبر المبتدأ. قوله: **(أي اليهود)** أي جميعهم لأنهم علموا ذلك في التوراة. قوله: **(ومن موصولة)** أي وهي مبتدأ واشتراه صلتها وجملة ما له في الآخرة إلخ خبرها والجملة منها ومن خبرها سادة مسد مفعولي علم. قوله: **(باعوا)** أشار بذلك إلى أنه يطلق الشراء على البيع. قال تعالى: (وشروه بثمن بخس). قوله: **(أن تعلموه)** أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر هو المخصوص بالذم وقوله حيث أوجب لهم النار حيث تعليلية. قوله: **﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾** لا منافاة بينه وبين قوله ولقد علموا إلخ لأنهم علموا أنهم ليس لهم نصيب في الآخرة، ولكن لم يعلموا أنهم لا يفلتون من العذاب الدائم.

قوله: **﴿مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾** صفة لمثوبة وأصلها مثوبة بوزن مفعلة نقلت ضمة الواو إلى الثاء. قوله: **(لما آثروه عليه)** أي لما قدموا السحر على ما عند الله، وهو إشارة إلى جواب لو. قوله: **﴿رَاعِنَا﴾** أي اشملنا بنظرك ليفتح الله علينا، لأنهم كانوا يقولونها عند سماعهم الوحي منه. قوله: **(أمر من المراعاة)** أي وهي المبالغة في الرعي وحفظ الغير. قوله: **(سب من الرعونة)** أي الحمق والجهل وقلة العقل أو معناها اسمع لا سمعت وعليه فهي عبرانية أو سريانية وعلى ما قاله المفسر فهي عربية، روي أن سعد بن معاذ رضي الله عنه سمع اليهود يقولونها لرسول الله، فقال يا أعداء الله عليكم لعنة الله لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله لأضربن عنقه، قالوا أو لستم تقولونها، فنزلت الآية ونهى فيها المؤمنون عن ذلك قطعاً لألسنة اليهود عن التدليس وأمروا بما في معناها ولا يقبل التدليس الذي هو انظرنا. قوله: **(أي انظر إلينا)** أشار بذلك إلى أنه من باب الحذف والإيصال، حذف الجار فاتصل الضمير. قوله: **(سماع قبول)** أي بحضور قلب عند تلقي الأحكام، فإنه إذا وجدت القابلية من الطالب مع نظر المعلم حصل الفتح العظيم.

قوله: **﴿مَا يَوَدُّ﴾** من المودة وهي المحبة أي ما يحب، و قوله: **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** فاعل يود و **﴿مِنْ﴾**

﴿ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ ﴾ زائدة ﴿ خَيْرٍ ﴾ وحي ﴿ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ حسداً لكم ﴿ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ ﴾ نبوته ﴿ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ ﴿١٠٥﴾ ولما طعن الكفار في النسخ وقالوا إن محمداً يأمر وينهي عنه غداً نزل: ﴿ مَا ﴾ شرطية ﴿ نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ ﴾ أي نزل حكمها إما مع لفظها أو لا وفي قراءة بضم النون من أنسخ أي نأمرك أو جبريل بنسخها ﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾ نؤخرها فلا نزل حكمها ونرفع تلاوتها أو نؤخرها في اللوح المحفوظ وفي قراءة بلا همز من النسيان أي ننسكها أي نمحها من قلبك وجواب الشرط ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا ﴾ أنفع للعباد في السهولة أو كثرة الأجر

﴿ أَهْلِ الكِتَابِ ﴾ إلخ بيان للذين كفروا. قوله: ﴿ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ معطوف على أهل الكتاب ولا زائدة لتوكيد النفي. قوله: ﴿ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾ في تأويل مصدر مفعول يود ومن زائدة وخير نائب فاعل ينزل، والتقدير ما يحب الذين كفروا وهم أهل الكتاب والمشركون إنزال خير من ربكم عليكم. قوله: **(حسداً لكم)** تعليل للنفي وحسد اليهود بسبب زعمهم أن النبوة لا تليق إلا بهم لكونهم أبناء الأنبياء، وحسد مشركي العرب بسبب ما عندهم من الرياسة والفخر فقالوا لا تليق النوبة إلا بنا. قوله: ﴿ **والله يَخْتَصُّ** ﴾ يتسعمل متعدياً ولازماً فعلى الأولى فاعله ضمير مستتر فيه الموصول بصلته في محل نصب على المفعولية والمعنى والله يخص إلخ، وعلى الثاني الفاعل هو الموصول بصلته والمعنى والله يميز برحمته من يشاؤه.

قوله: ﴿ **الْعَظِيمِ** ﴾ أي الواسع. قوله: **(ولما طعن الكفار إلخ)** أشار بذلك إلى سبب نزول الآية، والمقصود من ذلك بيان حكمة النسخ والرد على الكفار حيث قالوا إن القرآن افتراء من محمد فلو كان من عند الله لما بدل فيه وغير. ورد عليهم أيضاً بقوله تعالى: (وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل) الآية وقوله تعالى: (قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي) قوله: **(شرطية)** أي وهي نكرة بمعنى شيء معمولة لننسخ وقوله من آية بيان لما. قوله: ﴿ **نَنْسَخْ** ﴾ من النسخ وهو لغة الإزالة والنقل، يقال نسخت الشمس الظل أزالته، ونسخت الكتاب نقلت ما فيه، واصطلاحاً بيان انتهاء حكم التعبد إما باللفظ أو الحكم أو بهما، فنسخ اللفظ والحكم كعشر رضعات معلومات يحرمن. ونسخ اللفظ دون الحكم: الشيخ والشيخة إذازنيا فارجموهما البتة. ونسخ الحكم دون اللفظ كقوله تعالى: (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين) الآية نسخت بآية المواريث وبقوله ﷺ لا وصية لوارث، وقوله تعالى: (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول) الآية، فنسخت بقوله تعالى: (ويتربصن بأنفسن أربعة أشهر وعشراً) إلى غير ذلك. قوله: **(إما مع لفظها)** أي كعشر رضعات إلخ. قوله: **(أو لا)** أي بأن نزيل حكمها فقط، قوله: **(أو جبريل)** في الحقيقة بينهما تلازم. قوله: **(فلا نزل حكمها)** أي لا ننسخه بل نبقيه وقوله: **(ونرفع تلاوتها)** أي ننسخه، فعلى هذا التفسير دخل تحت قوله ما ننسخ من آية حكمان من أحكام النسخ، وهما نسخ الحكم واللفظ أو الحكم فقط وتحت قوله أو ننسأها الحكم الثالث وهو نسخ اللفظ دون الحكم. قوله: **(أو نؤخرها في اللوح المحفوظ)** أي لا نطلعكم عليها ولا نعلمكم بها، وعلى هذا التفسير فقد دخل تحت قوله ما ننسخ الأحكام الثلاثة. قوله: **(في قراءة بلا همز)** المناسب أن يقول وفي قراءة بضم النون من غير همز. قوله: **(من النسيان)** الأولى أن يقول من الإنساء لأنه مصدر الرباعي. قوله: **(أي نمحها من قلبك)** أي وقلب أمتك بأن يبقى الحكم دون اللفظ أو يمحيان. قوله: **(في السهولة)** أي كقوله تعالى: (الآن خفف الله عنكم) الآية. قوله: **(أو كثرة الأجر)** أي

﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾ في التكليف والثواب ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٠٦﴾ ومنه النسخ والتبديل والإستفهام للتقرير ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يفعل فيهما ما يشاء ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِن﴾ زائدة ﴿وَلِيٍّ﴾ يحفظكم ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿١٠٧﴾ يمنع عذابه عنكم إن أتاكم ونزل لما سأله أهل مكة أن يوسعها ويجعل الصفا ذهباً ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ﴾ أي سأله قومه ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قولهم أرنا الله جهرة وغير ذلك ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ أي يأخذه بدله بترك النظر في الآيات البينات واقترح غيرها ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ ﴿١٠٨﴾ أخطأ الطريق الحق والسواء في الأصل الوسط ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ

كقوله تعالى: (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) بعد قوله: (وعلى الذين يطيقونه فدية) فليس ثواب من خير بين الأمرين كثواب من تحتم عليه الصوم.

قوله: ﴿أَوْ مِثْلِهَا﴾ أي كنسخ استقبال بيت المقدس باستقبال الكعبة، فإنه لا مشقة في كل، وليس أحدهما أكثر ثواباً من الآخر. قوله: (**والإستفهام للتقرير**) أي أقر واعترف بكون الله قديراً على كل شيء. قوله: ﴿**وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ**﴾ ما حجازية ولكم خبرها مقدم، ومن دون الله حال من ولي ومن زائدة وولي اسمها مؤخر، ولا نصير معطوف على ولي ولا زائدة لتأكيد النفي، ويحتمل أنها تميمية، وما بعد مبتدأ وخبر ويحتمل أن من في قوله من دون الله زائدة أو أصلية متعلق بما تعلق به الخبر. قوله: ﴿**مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**﴾ الفرق بين الولي والنصير أن الولي قد يضعف عن النصرة، والنصير قد يكون أجنبياً من المنصور، فبينهما عموم وخصوص من وجه. قوله: (**أن يوسعها**) أي بإزالة الجبلين المحيطين بها. قوله: (**ويجعل الصفا ذهبا**) أي وغير ذلك مما ذكره الله في سورة الإسراء في قوله تعالى: (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً) الآية، هكذا ذكر المفسر، واستشكل ذلك بأن هذه السورة مدنية، والسؤال من أهل مكة كان قبل المهاجرة، فالحق أن يقال إن سبب نزولها سؤال يهود المدينة إنزال كتاب من السماء، بدليل أن السورة مدنية وأن السياق في خطاب اليهود، ووجود أم التي بمعنى بل التي للإضراب الإنتقالي، المفيد أن له تعلقاً بما قبله. قوله: ﴿**رَسُولَكُمْ**﴾ أي محمداً ﷺ لأنه رسول الخلق أجمعين.

قوله: ﴿**كَمَا سُئِلَ مُوسَى**﴾ بني الفعل للمجهول للعلم بالفاعل. قوله: (**وغير ذلك**) أي من قولهم (ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض) ومن قولهم: (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة) ونحو ذلك قوله: ﴿**وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ**﴾ استئناف لبيان حال من تعنت على نبيه. قوله: ﴿**سَوَاءَ السَّبِيلِ**﴾ من إضاف الصفة للموصوف أي السبيل السواء بمعنى المستوي. قوله: (**أخطأ طريق الحق**) أي فقد شبه الدين الحق بالطريق المستوي بجامع أن كلا يوصل للمقصود.

قوله: ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ**﴾ سبب نزولها أن عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان لما رجعا مع رسول الله ﷺ من غزوة أحد، اجتمعا برهط من اليهود فقالوا لهما ألم نقل لكما إن دين اليهود هو الحق وغيره باطل، فلو كان ما عليه محمد حقاً ما قتلت أصحابه مع دعواه أنه يقاتل والله معه، فقال عمار بن ياسر ما حكم نقض العهد عندكم، فقالوا فظيع جداً، فقال إني عاهدت محمداً على اتباعه إلى أن أموت فلا أنقضه أبداً، فقالوا قد صبأ، فقال حذيفة رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، والكعبة قبلة، والقرآن إماماً، والمؤمنين

﴿ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ﴾ مصدرية ﴿يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدًا﴾ مفعول له كائناً ﴿مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ أي حملتهم عليه أنفسهم الخبيثة ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ﴾ في التوراة ﴿ٱلۡحَقُّ﴾ في شأن النبي ﴿فَٱعۡفُواْ﴾ عنهم أي اتركوهم ﴿وَٱصۡفَحُواْ﴾ أعرضوا فلا تجازوهم ﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾ فيهم من القتال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ ﴿١٠٩﴾ ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ﴾ طاعة كصلة وصدقة ﴿تَجِدُوهُ﴾ أي ثوابه ﴿عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ ﴿١١٠﴾ فيجازيكم به ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾ جمع هائد ﴿أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ﴾ قال ذلك يهود المدينة ونصارى نجران لما تناظروا بين يدي النبي ﷺ أي قال اليهود لن يدخلها إلا اليهود وقال النصارى لن يدخلها إلا النصارى ﴿تِلۡكَ﴾ القولة ﴿أَمَانِيُّهُمۡۗ﴾ شهواتهم الباطلة ﴿قُلۡ﴾ لهم ﴿هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾ حجتكم على ذلك ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ ﴿١١١﴾ فيه

إخواناً فلما رجعا أخبرا رسول الله بذلك فقال أصبتما الخير وأفلحتما فنزلت قوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ﴾ من المودة وهي المحبة. قوله: ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي وهم اليهود. قوله: ﴿لَوْ﴾ (مصدرية) فتسبك مع ما بعدها بمصدر مفعول ود، التقدير ود كثير ردكم إلخ، ورد تنصب مفعولين لأنها بمعنى صير مفعولها الأول الكاف والثاني كفاراً ويصح أن تكون لو شرطية وجوابها محذوف تقديره فيسرون ويفرحون بذلك. قوله: (كائناً) أشار بذلك إلى أن قوله من عند أنفسهم متعلق بمحذوف صفة لحسداً ومن ابتدائية.

قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ﴾ متعلق بود وما مصدرية أي من بعد تبين الحق لهم، وهذا أبلغ قبيح منهم لأنهم عرفوا الحق فلم يهتدوا، ومع ذلك وقعت المراودة لغيرهم على الضلال فقد ضلوا وأضلوا. قوله: ﴿فَاعْفُوا﴾ أي لا تؤاخذهم بهذه المقالة، وقوله: ﴿وَاصْفَحُوا﴾ أي لا تلوموهم فبينهما مغايرة وقيل متحدان، وعليه مشى المفسر ومعناهما عدم المؤخذة، ولم يؤمر النبي وأصحابه بقتالهم مع أنهم ناقضون للعهد بتلك المقالة لأن الواقعة كانت بعد غزوة أحد فكان الأذن في القتال حاصلاً، فالجواب أن القتال المأذون فيه كان للمشركين، وأما أهل الكتاب فلم يؤمروا إبقتالهم إلا في غزوة أحد فكان الإذن في القتال حاصلاً، فالجواب أن القتال المؤذون فيه كان للمشركين، وأما أهل الكتاب فلم يؤمروا بقتالهم إلا في غزوة الأحزاب، قيل قبلها وقيل بعدها، فقتل قريظة وأجلى بني النضير وغزا خيبر. قوله: (من القتال) أي الخاص بهم. قوله: ﴿عِنْدَ اللهِ﴾ العندية معنوية على حد لي عند زيد يد أي مصون ومحفوظ مدخر. قوله: (قال ذلك يهود المدينة إلخ) لف ونشر مرتب. قوله: (لما تناظروا) لما حينية ظرف لقالوا قوله: (لن يدخلها إلا اليهود) سميت اليهود بذلك لأنهم هادوا بمعنى رجعوا عن عبادة العجل، وسميت النصارى بذلك لأنهم نصروا عيسى وهو جمع نصران أو نصرى.

قوله: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ مبتدأ وخبر وجمع الخبر مع كون المبتدأ مفرداً لأنه جمع في المعنى لأنه عائد على القول وهي بمعنى المقالات. قوله: ﴿هَاتُوا﴾ قيل هو اسم أمر وقيل فعل أمر وقيل اسم صوت، والحق الوسط للحوق العلامة لها والمعنى أحضروا. قوله: ﴿بُرْهَانَكُمْ﴾ قيل مأخوذ من البرهة أي القطعة لأن به قطع حجة الخصم وقيل من البرهن أي البيان، فعلى الأول ممنوع من الصرف وعلى الثاني

﴿ بَلَىٰ ﴾ يدخل الجنة غيرهم ﴿ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ أي انقاد لأمره وخص الوجه لأنه أشرف الأعضاء فغيره أولى ﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ موحد ﴿ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ أي ثواب عمله الجنة ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ﴿١١٢﴾ في الآخرة ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ معتد به وكفرت بعيسى ﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ معتد به وكفرت بموسى ﴿ وَهُمْ ﴾ أي الفريقان ﴿ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ المنزل عليهم وفي كتاب اليهود تصديق عيسى وفي كتاب النصارى تصديق موسى والجملة حال ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ كما قال هؤلاء ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي المشركون من العرب وغيرهم ﴿ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ بيان لمعنى ذلك أي قالوا لكل ذي دين ليسوا على شيء ﴿ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ ﴿١١٣﴾ من أمر الدين فيدخل المحق الجنة والمبطل النار ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ ﴾ أي لا أحد أظلم ﴿ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ بالصلاة والتسبيح ﴿ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ﴾ بالهدم أو التعطيل. نزلت إخباراً عن الروم الذين خربوا بيت المقدس أو في المشركين

مصروف. قوله: ﴿بلى﴾ أي لا يدخلها أحد منكم. قوله: ﴿من أسلم وجهه﴾ أي دخل الإسلام بوجهه أي بذاته ومعناه انقاد بظاهره، وقوله موحد أي بباطنه لا منافق بل منقاد بظاهره مؤمن موحد بباطنه. قوله: (معتد به) أي بل هم على باطل وقدره المفسر إشارة إلى أن صفة شيء محذوفة، وهذه أصدق مقالة قالتها اليهود والنصارى. قوله: (وكفرت بعيسى) أي وزعمت أنها قتلته. قوله: ﴿يتلون الكتاب﴾ المراد به بالنسبة لليهود التوراة، والنسبة للنصارى الأنجيل. قوله: (المشركون من العرب) أي فالمراد من ذلك تسلية رسول الله على ما وقع من المشركين، فإن اليهود والنصارى كفروا وضلوا مع علمهم بالحق فكيف بمن لا علم عنده فلا يستغرب ذلك منهم. قوله: ﴿فالله يحكم بينهم﴾ أي الفرق المذكورة: اليهود والنصارى ومشركي العرب ومن أسلم وجهه لله وهو محسن.

قوله: ﴿ومن أظلم﴾ من اسم استفهام مبتدأ وأظلم خبره. قوله: (أي لا أحد أظلم) استشكل بأنه يقتضي أن من منع مساجد الله من ذكر اسمه فيها لم يساوه أحد في الظلم، فكيف ذلك مع قوله تعالى: (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً) (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه) (فمن أظلم ممن كذب على الله) الآية، المقتضى كل آية منها أنه لا أحد أظلم ممن ذكر فيها، وأجيب بأن هؤلاء الموجودين في الآيات ظلمهم زائد عن غيرهم، وكون الظلم الواقع من بعضهم مساوياً للبعض الآخر أم لا شيء آخر تأمل، وأشار المفسر بقوله أي لا أحد أظلم إلى الإستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: ﴿ممن منع﴾ يتعدى لمفعولين الأول بنفسه وهو مساجد، والثاني قوله أن يذكر فهو في تأويل مصدر مجرور بمن، التقدير لا أحد أظلم ممن منع مساجد الله من ذكر اسمه فيها، والمنع إما بغلقها أو تعطيل الناس عنها أو تخريبها أو أكل ريعها أو التفريط في حقوقها، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

قوله: ﴿مساجد الله﴾ جمع مسجد سمي باسم السجود لأنه أشرف أركان الصلاة، لقوله ﷺ أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ولأنه محل غاية الذل والخضوع لله عز وجل وإن كان القياس فتح عينه في المفرد لكنه لم يسمع إلا الكسر فالقراءة سنة متبعة. قوله: (بالصلاة والتسبيح) أشار بذلك إلى أن المراد بذكر اسم الله فيها ما يعم الصلاة وغيرها. قوله: (نزلت إلخ) هذا إشارة إلى بيان سبب نزولها. قوله:

لما صدوا النبي ﷺ عام الحديبية عن البيت ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾ خبر بمعنى الأمر أي أخيفوهم بالجهاد فلا يدخلها أحد آمناً ﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ هوان بالقتل والسبي والجزية ﴿وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١١٤﴾ هو النار، ونزل لما طعن اليهود في نسخ القبلة أو في صلاة النافلة على الراحلة في السفر حيثما توجهت ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ أي الأرض

(إخبار عن الروم) أي قبل بعثة الرسول حين توجهت جيوش بختنصر مع نصارى الروم لتخريب بيت المقدس، وكان بختنصر مجوسياً من أهل بابل وذلك حين قتل بنو إسرائيل يحيى بن زكريا، ولم يزل كذلك حتى بناه المسلمون في خلافه عمر بن الخطاب. قوله: (عام الحديبية) أي وهو عام ست من الهجرة حين خرج رسول الله ﷺ في ألف وأربعمائة بقصد العمرة، قصده المشركون وهو بالحديبية فتحلل ورجع.

قوله: ﴿أَنْ يَدْخُلُوها إِلَّا خَائِفِينَ﴾ المعنى ليس لهم دخولها يعني البيت أو بيت المقدس في حال من الأحوال إلا في حال كونهم خائفين. قوله: (خبر بمعنى الأمر) أي فالجملة خبرية لفظاً إنشائية معنى وقوله أي أخيفوهم بالجهاد أي فالمراد من الآية أن الله كلفنا بقتالهم ومنعهم عن المسجد الحرام وبيت المقدس، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) فأرسل رسول الله ﷺ علياً بعد الفتح ينادي في الناس أن لا يطوف بالبيت عريان، وأن لا يحج بعد هذا العام مشرك، وفي خلافة عمر فتح الشام ومدينة بيت المقدس ومنع المشركين من دخول بيت المقدس، ويحتمل أنه خبر لفظاً ومعنى فهو إخبار من الله بما وقع من النبي ﷺ ومن عمر وهو الأقرب كما قال المفسرون، ويصح أن يكون المعنى ما كان ينبغي لهم أن يدخلوها إلا بخشية وخضوع فضلاً عن أن يجترئوا على تخريبها وقيل غير ذلك. قوله: (فلا يدخلها أحد آمناً) من ذلك اختلفت المذاهب في دخول الكافر المسجد فمنعه المالكية إلا لحاجة، وفصل الشافعية فقالوا إن أذن له مسلم في غير المساجد الثلاثة جاز وإلا فلا، وجوزه الحنفية مطلقاً.

قوله: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ هذا عام لكل من منع مساجد الله من ذكر اسم الله فيها كان مسلماً أو كافراً، فخزي المسلم في الدنيا بالمصائب والفقر والعمى والموت على غير حالة مرضية وذكر المفسر خزي الكافر. قوله: (هو النار) أي على سبيل الخلود إن مات كافراً، أو على سبيل التطهير إن مات مسلماً، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وكل آية وردت في الكفار فإنها تجر ذيلها على عصاة المؤمنين. قوله: (لما طعن اليهود في نسخ القبلة) أي التي هي بين المقدس. فإن النبي ﷺ حين قدم المدينة أمر بالصلاة لجهة بيت المقدس تأليفاً لليهود، فأشاعوا أن محمداً تابع لهم في دينهم وشريعتهم، ثم بعد مدة أمره الله بالإنتقال إلى الكعبة فقالوا إن محمداً يفعل على مقتضى هواه وليس مأموراً بشرع، فنزلت الآية. قوله: (أو في صلاة النافلة) أي نزلت في شأن اعتراض اليهود على النبي حين شرعت صلاة النافلة على الدابة في السفر حيثما توجهت.

قوله: ﴿ولله الْمَشْرِقُ والْمَغْرِبُ﴾ أي مكان الشروق والغروب وهذا ظاهر، وأما آية: (رب المشرقين ورب المغربين) فباعتبار مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما، وأما آية: (فلا أقسم برب المشارق والمغارب) فباعتبار مشرق كل يوم ومغربه، لأن للشمس طرقاً في الشروق والغروب على قدر أيام السنة. قوله: (أي الأرض كلها) جواب عن سؤال مقدر كأنه قيل ما وجه الإقتصار على المشرق والمغرب، ويحتمل

كلها لأنهما ناحيتاها ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾ وجوهكم في الصلاة بأمره ﴿فَثَمَّ﴾ هناك ﴿وَجْهُ اللَّهِ﴾ قبلته التي رضيها ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ﴾ يسع فضله كل شيء ﴿عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ بتدبير خلقه ﴿وَقَالُوا﴾ بواو ودونها أي اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ قال تعالى ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهاً له عنه ﴿بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً والملكية تنافي الولادة وعبر بما تغليباً لما لا يعقل ﴿كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾ مطيعون كل بما يراد منه وفيه تغليب العاقل ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ موجدهما لاعلى مثال سبق ﴿وَإِذَا قَضَىٰ﴾ أراد ﴿أَمْرًا﴾ أي إيجاده ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ أي فهو يكون وفي قراءة بالنصب جواباً للأمر ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا

أن فيه حذف الواو مع ما عطفت أي وما بينهما. قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾ أينما اسم شرط جازم ظرف مكان وتولوا فعل الشرط، وقوله: (فثم وجه الله) جواب الشرط وثم إشارة للمكان خبر مقدم، ووجه الله مبتدأ مؤخر. قوله: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ أي جهته يعني جهة رضاه وليس المراد بوجهه ذاته بل المراد (أينما تولوا وجوهكم) في جهة أمركم الله بها تجدون جهة رضاه والصوفية يريدون بالوجه الذات وهم دليل على تنزه الله عن التخصيص بالجهة، ومن هنا قال ابن العربي: مقتضى التوحيد أن الصلاة لأي جهة تصح وإنما أمرنا بجهة مخصوصة تعبداً ولم نعقل له معنى. قوله: (يسع فضله كل شيء) أي فصحة الصلاة ليست متوقفة على جهة بيت المقدس فقط كما زعمت اليهود، بل خصنا الله بمزايا على حسب مزيد فضله لم تكن فيهم، فمنها أمر القبلة ومنها جعل الأرض كلها مسجداً وتربتها طهوراً وغير ذلك.

قوله: ﴿وَقَالُوا﴾ هذا من جملة قبائح اليهود ومشركي العرب حيث قالت اليهود عزيز ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله، وقال مشركو العرب الملائكة بنات الله. قوله: (بواو ودونها) أي فهما قراءتان سبعيتان فعلى الواو هو معطوف على منع مساجد الله التقدير (ومن أظلم ممن قال اتخذ الله ولداً) وعلى عدمها هو مستأنف لبيان حال الكفرة، وأما آية يونس فبترك الواو لا غير لعدم ما يناسب العطف. قوله: ﴿سُبْحَانَهُ﴾ أي تنزه عنه لأن الولدية تقتضي النوعية والجنسية والإفتقار والتشبيه والحدوث، وهو سبحانه منزه عن كل ذلك كله. قوله: (لما لا يعقل) أي غير العاقل لكثرته وإنما غلبه لأن في سياق القهر، وهو مناسب لغير العاقل بخلاف قانتون فإنه في سياق الطاعة. قوله: (مطيعون) أي نافذ فيهم مراده فالمراد بالطاعة هنا الإنقياد ونفوذ المراد. قوله: (وفيه تغليب العاقل) أي حيث جمعه بالواو والنون وإنما غلب العاقل هنا لشرفه، ولأن شأن الطاعة أن تكون للعاقل، وفيه مراعاة معنى كل ولو راعى لفظها لأفرد.

قوله: ﴿بَدِيعُ﴾ خبر لمبتدأ محذوف أي هو وقرىء بالجر بدل من الضمير في له وبالنصب على المدح أي أمدح بديع. قوله: (لا على مثال سبق) أي فهما في غاية الإتقان، قال تعالى: (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها) الآيات. قوله: ﴿وَإِذَا قَضَى﴾ يطلق القضاء على الوفاء يقال قضى دينه بمعنى وفاه، ويطلق على الإرادة وهو المراد هنا. قوله: (أراد) أي تعلقت إرادته به وفسر القضاء بالإرادة للآية الأخرى وهي قوله تعالى: (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون)، وخير ما فسرته بالوارد. قوله: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ليس المراد أنه إذا تعلقت إرادته بإيجاد أمر أتى بالكاف والنون، بل ذلك كناية عن سرعة الإيجاد، فمراده نافذ ولا يتخلف بل ما علمه أزلاً تعلقت به الإرادة تعلقاً تنجيزياً حادثاً وأبرزه

يعلمون﴾ أي كفار مكة النبي ﷺ ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ بأنك رسوله ﴿أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ مما اقترحناه على صدقك ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما قال هؤلاء ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾ من كفار الأمم الماضية لأنبيائهم ﴿مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ من التعنت وطلب الآيات ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ في الكفر والعناد فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ﴿١١٨﴾ يعلمون أنها آيات فيؤمنون فاقتراح آية معها تعنت ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ يا محمد ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالهدى ﴿بَشِيرًا﴾ من أجاب إليه بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ من لم يجب إليه بالنار ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ ﴿١١٩﴾ النار أي الكفار ما هم لم يؤمنوا إنما عليك البلاغ وفي قراءة بجزم تسأل نهيا ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ دينهم ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ أي الإسلام ﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ وما عداه ضلال ﴿وَلَئِنِ﴾ لام

بالقدرة سريعاً. قوله: **(أي فهو يكون)** أشار بذلك إلى أنه مستأنف مرفوع خبر لمبتدأ محذوف. قوله: **(بالنصب)** أي بأن مضمرة بعد فاء السببية أي يحصل ويوجد في الخارج.

قوله: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾** أي الجاهلون الذين هم كالبهائم أو أضل. قوله: **(أي كفار مكة)** تقدم الأشكال بأن السورة مدنية وأن السائل له يهود المدينة، ويمكن أن يجاب هنا بأن هذه الآية بخصوصها مكية وهو بعيد، وأجاب أستاذنا الشيخ الدردير بأنه لا مانع أن كفار مكة أرسلوا ذلك السؤال له وهو بالمدينة. قوله: **(هلا)** أشار بذلك إلى أنها تحضيضية وهي بذلك المعنى في غالب القرآن. قوله: **﴿يُكَلِّمُنَا اللهُ﴾** أي مشافهة أو على لسان جبريل فينزل علينا كما ينزل عليك. قوله: **(مما اقترحناه)** أي طلبناه والمقترح هو الشيء الذي لم يسبق إليه. قوله: **(من التعنت إلخ)** هذا هو وجه المماثلة لأن ما وقع من الأمم الماضية ليس عين ما وقع من كفار مكة. قوله: **(فيه تسلية للنبي)** أي من قوله كذلك. قوله: **﴿قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾** أي فلا تحزن على من كفر فإنا قد وضحنا آياتنا لقوم يؤمنون بك ولا يتعنتون عليك قال تعالى تسلية له: (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين). قوله: **(تعنت)** أي ممن كفر وعاند فلا تحزن عليه ويكفيك من آمن.

قوله: **﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾** الخطاب له ﷺ أي أرسلناك للناس كافة. قوله: **﴿بِالْحَقِّ﴾** الباء للملابسة أو المصاحبة أو السببية والأقرب الأولان. قوله: **(بالهدى)** أي دين الإسلام أو القرآن. قوله: **﴿بَشِيراً﴾** هو ونذيراً حالان إما من الكاف في أرسلناك أو من الحق. قوله: **(من)** اسم موصول معمول لبشيراً، وقوله أجاب إليه صلتها والمعنى انقاد له، وقوله من لم يجب إليه أي من لم ينقد إليه ولم يختر ديناً. قوله: **(النار)** سميت النار جحيماً لجحمها أي اضطرابها بأهلها من شدة لهيبها كاضطراب موج البحر. قوله: **(ما هم لم يؤمنوا)** هذا هو صورة السؤال، أي حيث بلغت الرسالة ونصحت الأمة وكشفت الغمة وجليت الظلمة، فلاتخف من كفرهم ولا يسألك الله عنه. قوله: **(إنما عليك البلاغ)** علة للنفي. قوله: **(بجزم تسأل)** أي مع فتح التاء مبنياً للفاعل وهما قراءتان سبعيتان، والمعنى على هذه القراءة لا تسألنا يا محمد عن صفاتهم وأحوالهم فإنها شنيعة فظيعة لا يسعك السؤال عنها لهولها، أو المعنى لا تسألنا الشفاعة فيهم لأن كلمة العذاب حقت عليهم.

قوله: **﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى﴾** هذه مقالة قالها الله له حين قالت اليهود لا نرضى عنك حتى تتبع ما نحن عليه، وكذلك قالت النصارى. قوله: **(وما عداه ضلال)** أخذ ذلك من الجملة

قسم ﴿ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ التي يدعونك إليها فرضا ﴿بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ الوحي من الله ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ﴾ يحفظك ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿١٢٠﴾ يمنعك منه ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ مبتدأ ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ أي يقرؤونه كما أنزل والجملة حال وحق نصب على المصدر والخبر ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ نزلت في جماعة قدموا من الحبشة وأسلموا ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾ أي بالكتاب المؤتى بأن يحرفه ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ ﴿١٢١﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿١٢٢﴾ تقدم مثله ﴿وَٱتَّقُوا۟﴾ خافوا ﴿يَوْمًا لَّا تَجْزِى﴾ تغني ﴿نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ﴾ فيه ﴿شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ فداء ﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ﴿١٢٣﴾

المعرفة الطرفين فإنها تفيد الحصر. قوله: (لام قسم) أي محذوف تقديره وعزتي أو والله وعلامة كونها لام قسم وقوعها قبل إن الشرطية. قوله: (فرضاً) أي على فرض وقوعه أو ذلك تخويف لأمته على حد ما قيل في لئن أشركت ليحبطن عملك. قوله: ﴿مَالَكَ مِنَ اللهِ مِنَ وَليٍّ﴾ هذا جواب القسم وجواب الشرط محذوف دل عليه المذكور لتأخر الشرط عن القسم لقول ابن مالك:

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت فهو ملتزم

ولو كان جواباً للشرط لاقترن بالفاء لكونه منفياً بما. قوله: ﴿مِنْ وَليٍّ﴾ من زائدة لتأكيد النفي. قوله: ﴿الْذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابِ﴾ أي القرآن وآتينا صلة الذين والهاء مفعول أول والكتاب مفعول ثان. قوله: (والجملة حال) أي إما مؤولة باسم الفاعل أو المفعول، فعلى الأول هي حال من مفعول آتينا الأول الذي هو الضمير، وعلى الثاني هي حال من الكتاب. قوله: (نصب على المصدر) في الحقيقة صفة لمصدر محذوف تقديره تلاوة حق التلاوة، والمعنى يقرؤونه مجوداً مرتلاً بخشوع وخضوع، كما نزل من جبريل لا ينقصون عما ورد ولا يزيدون عليه، يأتمرون بأمره وينتهون بنهيه ويصدقون وعده ووعيده ويتدبرون معانيه يعملون بمحكمه ويفوضون علم متشابهه إلى الله. قوله: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ﴾ مبتدأ وخبر والجملة خبر المتبدأ. قوله: (نزلت في جماعة) أي أربعين اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا الراهب، مقدمهم جعفر بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ. قوله: (وأسلموا) أي وصاروا يتلون القرآن حق التلاوة، هكذا ذكر المفسر سبب نزولها، وقيل نزلت في كل من اتصف بهذا الوصف، وقيل في عبد الله بن سلام وأضرابه. قوله: (بأن يحرفه) أي متعمداً بأن يتلاعب بمعانيه والفاظه ويأخذ بظاهره، والضمير عائد على القرآن، وذلك كالخوارج الذين يأخذون بظاهره ولا يعرفون معانيه فضلوا واضلوا، فإن من جملة أبواب الكفر الأخذ بظواهر الكتاب والسنة.

قوله: ﴿يَا بني إِسْرَائِيلَ﴾ تقدمت هذه الآية وكررها لمزيد التقبيح عليهم. قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ أي بالشكر عليها والمراد بها الجنس. قوله: (تقدم مثله) أي من أن المراد عالمي زمانهم، أو أن المراد آباؤهم الأنبياء، أو المراد بالتفضيل المزايا ففيهم مزايا لم توجد في غيرهم كفلق البحر وتفجير الماء من الحجر والمن والسلوى.

قوله: ﴿يَوْماً﴾ أي عذاب يوم. قوله: (تغني) ﴿نَفْسٍ﴾ أي مؤمنة وقوله: ﴿عَنْ نَفْسٍ﴾ أي كافرة، وهذه الجملة صفة ليوماً وهو نكرة والجملة إذا وقعت صفة لنكرة فلا بد لها من رابط، وقد قدره

يمنعون من عذاب الله ﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿ إِذِ ٱبْتَلَىٰٓ ﴾ اختبر ﴿ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ وفي قراءة إبراهام ﴿ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ ﴾ بأوامر ونواه كلفه بها قيل هي مناسك الحج وقيل المضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وفرق الرأس وقلم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة والختان والاستنجاء ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أداهن تامات ﴿قَالَ﴾ تعالى له ﴿ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ قدوة في الدين ﴿ قَالَ وَمِن

المفسر بقوله فيه قوله: ﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَـٰعَةٌ﴾ أي لا شفاعة لها حتى يترتب عليها النفع، قال تعالى: (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم) واتفقت القراءات السبع على الياء في يقبل ولم يقرأ أحد بالتاء، والقراءة سنة متبعة.

قوله: ﴿وَ﴾ (اذكر) ﴿إِذَ ابْتَلَى﴾ أشار بذلك إلى أن إذ ظرف لمحذوف قدره بقوله اذكر، والخطاب لمحمد، أي اذكر يامحمد لقومك وقت ابتلاء ابراهيم، ويصح تقدير اذكروا، ويكون خطاباً لبني إسرائيل، والمقصود من ذكر قصة إبراهيم إقامة الحجة على المخالف من اليهود والنصارى ومشركي العرب، لأن الفرق جميعها يعترفون بفضل إبراهيم، كان النبي ﷺ يقول: انظروا التكاليف التي كلف بها ابراهيم هل هي موافقة لما جئت به أو مخالفة. قوله: (وفي قراءة إبراهام) هما قراءتان سبعيتان وهاتان لغتان من سبع، والثالثة والرابعة والخامسة بغير ياء والهاء مثلثة، والسادسة بغير ياء والف مع فتح الهاء، والسابعة إبراهوم وهو اسم أعجمي وتعريبه أب رحيم وهو ابن تارخ بن آزر بن شاروخ بن أرغو بن فالغ بن عامر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، وإبراهيم مفعول مقدم وربه فاعل مؤخر وتقديم المفعول هنا واجب لإتصال الفاعل بضمير يعود على المفعول، فلو قدم الفاعل لزم عليه عود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة، قال ابن مالك:

وشاع نحو خاف ربه عمر وشذ نحو زان نوره الشجر

والإختبار في الأصل الإمتحان بالشيء، ليعلم صدق ذلك الشخص أو كذبه، وهو مستحيل على الله لأنه علم بذلك قبل الإختبار، وإنما المراد عامله معاملة المختبر ليظهر ذلك للخلق، فاختبر ابراهيم صدقه، وإبليس فظهر كذبه. قوله: ﴿بِكَلِمَاتٍ﴾ قيل ثلاثون من شريعتنا: عشرة في براءة وهي التائبون العابدون إلى وبشر المؤمنين، وعشرة في الأحزاب وهي إن المسلمين والمسلمات إلى قوله أعد الله لهم مغفرة الآية، وتسعة في المؤمنون من أولها إلى أولئك هم الوارثون، وواحدة في سأل وهي والذين هم بشهاداتهم قائمون، وقيل هي التكاليف بخدمة البيت، وقيل ذبح ولده والرمي في النار، وهجرته من الشام إلى مكة، وانظر في الشمس والقمر والكواكب لإقامة الحجة على قومه، وبضميمة ما ذكره المفسر تكون أقوالاً خمسة ولا مانع من إرادة جميعها. قوله: (مناسك الحج) أي واجباته وسننه. قوله: (وقيل المضمضة إلخ) هذه عشرة أشياء الخمسة الأول في الوجه والرأس وما عداها في باقي الجسد. قوله: (والختان) ورد أنه أول من اختتن، وأول من قص الشارب، وأول من قلم الأظفار، وأول من رأى الشيب، فلما رآه قال يا رب ما هذا قال الوقار قال يا رب زدني وقاراً، وقوله: (والإستنجاء) أي بالماء، وأما بالحجر فهو من خصائص هذه الأمة. قوله: ﴿فَأَتَمهُنَّ﴾ أي لم يفرط في شيء منها.

قوله: ﴿قَالَ﴾ (تعالى) هذا كلام مستأنف واقع في جواب سؤال كأنه قيل ما فعل الله به بعد ذلك،

ذُرِّيَّتِيۖ﴾ أولادي اجعل أئمة ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي﴾ بالامامة ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿١٢٤﴾ الكافرين منهم دل على أنه ينال غير الظالم ﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ﴾ الكعبة ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ مرجعاً يثوبون إليه من كل جانب ﴿وَأَمۡنًا﴾ مأمناً لهم من الظلم والإغارات الواقعة في غيره كان الرجل يلقى قاتل أبيه فيه فلا يهيجه ﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾ أيها الناس ﴿مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾ هو الحجر الذي قام عليه عند بناء البيت

أجاب بقوله قال له إني جاعلك للناس إماماً، ومن ذلك أن العطايا الربانية تكون بعد التخلي عن الأغيار بالإختبار. قوله: ﴿للنَّاسِ﴾ يحتمل أن يكون ظرفاً لغواً متعلقاً بجاعلك، ويحتمل أنه حال من إماماً لأنه نعت نكرة تقدم عليها وجاعل بمعنى مصير، فينصب مفعولين الكاف مفعول أول وإماماً مفعول ثان قوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ هذا كعطف التلقين كما يقال لك سأمرك فتقول وزيداً ومن للتبعيض وتخصيص البعض بذلك لبداهة استحالة إمامة الكل وإن كانوا على الحق. قوله: **(اجعل أئمة)** أنبياء وملوكاً عدولاً أو علماء، وقداجتمع ذلك في ذريته. قوله: ﴿عَهْدِي﴾ فاعل ينال فهو مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة لالتقاء الساكنين منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة والظالمين مفعوله، والمعنى أن عهدي لا يدرك الظالمين وقرىء بالعكس شذوذاً، لأنه إذا دار الأمر بين الإسناد للمعنى والذات فالإسناد للمعنى الأولى.

قوله: ﴿وإذْ جَعَلْنَا﴾ معطوف على وإذ ابتلى وما قدر هناك يقدر هنا، وجعل إن كانت بمعنى خلق نصبت مفعولاً واحداً وهو البيت ومثابة حال منه وإن كانت بمعنى صير نصبت مفعولين البيت أول ومثابة مفعول ثان، وللناس جار ومجرور متعلق بجعلنا أو بمحذوف صفة لمثابة. قوله: **(الكعبة)** أشار بذلك إلى أن أل في البيت للعهد. قوله: ﴿مَثَابَةً﴾ يحتمل أن يكون مصدراً ميمياً وهو الذي درج عليه المفسر بقوله مرجعاً ويحتمل أن يكون ظرف مكان أي محل رجوع يرجع إليه المرة بعد المرة، أو المراد محل ثواب أي إن من لاذ به حصل له من الثواب ما لا يحصل له في غيره لما ورد ينزل من السماء مائة وعشرون رحمة على البيت ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين وأصل مثابة مثوبة تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً. قوله: ﴿وَأَمْناً﴾ إما مصدر باق على مصدريته أو بمعنى اسم الفاعل أو ظرف مكان أي محل أمن وعليه درج المفسر، وعلى كونه اسم فاعل فالإسناد مجاز أي آمنا من دخله. وخير ما فسرته بالوارد. قال تعالى: (ومن دخله كان آمناً) قوله: **(فلا يهيجه)** أي لا يزعجه ولا يؤاخذه بما فعل وكان البيت معظماً في الجاهلية ففي الإسلام أولى ولذا قال ابن العباس: إن معصيته تضاعف لأنه يشدد على من في الحضرة ما لا يشدد على غيره، قال بعضهم:

لقد أسرك من يرضيك ظاهره ولقد أبرك من يعصيك مستتراً

قوله: ﴿واتَّخِذُوا﴾ أمر إما معطوف على ما تضمنه قوله مثابة تقديره فتوبوا واتخذوا أو مستأنف مقول لقول محذوف تقديره وقال الله لهم اتخذوا قوله: **(أيها الناس)** فيه حذف حرف النداء وهذا على قراءة الأمر. قوله: ﴿مِنْ مَقَامِ إبْرَاهِيمَ﴾ يحتمل أن من تبعيضية أو زائدة في الإثبات على مذهب الأخفش أو بمعنى في كل بعيد والأقرب أنها بمعنى عند، والسنة سنت أن الصلاة خلفه بأن يكون الحجر بين المصلي والكعبة. قوله: **(هو الحجر)** ورد أن طوله ذراع وعرضه كذلك، وقد نزل هو والحجر الأسود مع آدم من الجنة وهما ياقوتتان من يواقيتها، ولولا مس الكفار لهما لأضاءا ما بين المشرق والمغرب. قوله: **(عند بناء**

﴿مُصَلًّى﴾ مكان صلاة بأن تصلوا خلفه ركعتي الطواف وفي قراءة بفتح الخاء خبر ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ أمرناهما ﴿أَن﴾ أي بأن ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ من الأوثان ﴿لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ المقيمين فيه ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ جمع راكع وساجد المصلين ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا﴾ المكان ﴿بَلَدًا ءَامِنًا﴾ ذا أمن وقد أجاب الله دعاءه فجعله حرماً لا يسفك فيه دم إنسان ولا يظلم فيه أحد ولا يصاد صيده ولا يختلى خلاه ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ وقد فعل بنقل الطائف من الشام إليه وكان أقفر لا زرع فيه ولا ماء ﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ بدل

البيت) أي بناؤه كان متأخراً عن بناء مكة فجرهم بنوا مكة أولاً وإبراهيم بنى البيت ثانياً، وذلك أن إبراهيم لما جاء بأم اسماعيل وابنها وهي ترضعه وضعها عند مكان البيت وليس هناك يومئذ بناء ولا أحد، فعطشت واشتد عليها الأمر، فجاءها جبريل فبحث بعقبه أو بجناحه موضع زمزم حتى ظهر الماء فصارت تشرب منه، فاستمرت كذلك هي وولدها حتى مرت بهم طائفة من جرهم فقالوا لها أتأذنين أن ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم في الماء قالوا نعم فنزلوا عندها وبنوا مكة، فلما شب إسماعيل وأعجبهم زوجوه امرأة منهم. قوله: **(بأن تصلوا خلفه)** هذا تخصيص لكون الصلاة عنده ومعنى كون الصلاة خلفه باعتبار مقصورته وإلا فهو مربع لا خلف له ولا إمام، وهذا بحسب ما سبق من الزمان فإنه كان الحجر مقصورة بابها لجهة البيت، وأما الآن فقد حول الباب فالمصلي الآن يصلي لجهة الباب فهو قبالته ولا خلفه. قوله: **(وفي قراءة)** هما سبعيتان. قوله: **(خبر)** أي جملة خبرية معطوفة على جعلنا مسلط عليها إذ أي اذكر جعلنا واذكر إذ اتخذ الناس من مقام إبراهيم مصلى. قوله: **﴿واسماعيل﴾** فيه لغتان باللام والنون ويجمع على سماعل وسماعلة وأسامع، قيل سمي بذلك لأن ابراهيم لما دعا الله أن يرزقه ولداً صار يقول اسمع إيل أي استجب يا الله.

قوله: **﴿أنْ﴾** يحتمل أنها تفسيرية وهو الأقرب لوجود ضابطها، وهو أن تتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه وصحة حلول أي محلها، ويحتمل أنها مصدرية وكلام المفسر يحتملها. قوله: **(من الأوثان)** إن قلت إنه لم يكن حين بناء البيت أوثان، قلت أجيب بأن المراد طهره فيما يستقبل من الزمان لعلم الله أن المشركين ستتخذ أوثاناً، وليس المراد أن الأوثان كانت موجودة حينئذ وأمر بطهارته منها. قوله: **﴿لِلطَّائِفِينَ﴾** جمع طائف وهو الذي يطوف حوله الأشواط. قوله: **﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾** جمع عاكف وهو عرفاً الملازم للمسجد للعبادة على وجه مخصوص، ولكن المراد به هنا المقيم فيه يفسره قوله في الآية الأخرى، (والقائمين) فالعاكفون والقائمون والمقيمون بمعنى واحد. قوله: **(المصلين)** أخذ ذلك من عدم عطف السجود على الركوع، فالمراد جمعها في عبادة، لا أن الركوع قسم والسجود قسم آخر.

قوله: **﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾** معطوف على وإذ ابتلى. قوله: **﴿بَلَداً﴾** نكره هنا وعرفه بأل في سورة إبراهيم لأنه قيل إن ما هنا كان قبل بنائها وما هناك بعد. قوله: **﴿آمِناً﴾** إن قلت إن الله قد امتن به من غير سؤال إبراهيم، أجيب بأن المراد بالذي امتن الله به الأمن من إغارات الأعداء وبالذي طلبه إبراهيم الأمن من القحط والجوع. قوله: **(خلاه)** بالقصر أي حشيشه. قوله: **﴿مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾** أي بعضها. قوله: **(إليه)** أي إلى قربه بنحو مرحلتين، وقد نقل الموضع الذي كان بالحجاز موضع ما نقل من الشام

من أهله وخصهم بالدعاء لهم موافقة لقوله (لا ينال عهدي الظالمين) ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿وَ﴾ أرزق ﴿مَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ﴾ بالتشديد والتخفيف في الدناي بالرزق ﴿قَلِيلًا﴾ مدة حياته ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ﴾ ألجئه في الآخرة ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾ فلا يجد عنها محيصاً ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ ﴿١٢٦﴾ المرجع هي ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ﴾ الأسس أو الجدر ﴿مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ يبنيه متعلق بيرفع ﴿وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ عطف على إبراهيم يقولان ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ بناءنا ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للقول

بمكان يسمى الحرة أقفر مشهور بالشام كذا قيل. قوله: ﴿وَ﴾ (أرزق) ﴿مَنْ كَفَرَ﴾ هذا يسمى عطفاً تلقينياً. قوله: ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ جملة استئنافية لإنشاء الذم، وليست معطوفة على ثم أضطره. قوله: (هي) هذا هو المخصوص بالذم، والحاصل أن إبراهيم لما قال الله له إني جاعلك للناس إماماً طلب أن يكون من ذريته من هو كذلك، فأجابه الله بأنه لا ينال عهده الظالمين، فلما بنى البيت ودعا لأهله بالرزق من الثمرات، خصص دعوته بالمؤمن منهم قياساً منه الرزق على الإمامة وخوفاً من رد دعوته إذا عم فلقنه الله قوله: (ومن كفر) أي فالمؤمن والكافر سواء في الرزق الدنيوي، وأما في الإمامة فليسوا سواء.

قوله: ﴿وَ﴾ (اذكر) أي يا محمد وقت رفع إبراهيم القواعد. قوله: ﴿الْقَوَاعِدَ﴾ جمع قاعدة وهي حجارة كبار كل حجر قدر البعير، والمراد برفع القواعد بناء البيت ورفعه عليها. قوله: (الأسس) جمع أساس وهي القواعد و قوله: (والجدر) جمع جدار وهي الأسس فالعطف مرادف. وقصة بناء البيت أن الله لما خلق الماء قبل الأرض بألفي عام، كان ذلك البيت زبدة بيضاء على وجه الماء، فدحيت الأرض وبسطت وامتدت من تلك الزبدة، فلما أهبط آدم إلى الأرض استوحش إلى ذكر الله، فأنزل الله البيت المعمور وهو من ياقوتة حمراء له بابان من زمردة خضراء، باب بالمشرق وباب بالمغرب، ووضع موضع الزبدة فكان يأتيه ماشياً من الهند، ورد أنه حجه ماشياً أربعين عاماً فلما فرغ قالت الملائكة: لقد بر حجك يا آدم، فلما جاء الطوفان أمر برفعه إلى السماء السابعة فكان موضع البيت خالياً إلى زمن إبراهيم، وبعث الله جبريل حين رفعه فخبأ الحجر الأسود في جبل أبي قبيس صيانة له من الغرق هكذا قيل، والمشهور أن أول من بناه الملائكة ثم آدم ثم شيث، واستمر حتى جاء طوفان نوح فأذهب رسومه الظاهرية لا قواعده لأنها ثابتة متصلة بالأرض السابعة، ثم أتى جبريل بالحجر الأسود وألقمه جبل أبي قيس، فلما أتى إبراهيم وأراد بناءه جاءه جبريل وحدده له وأعلمه بالحجر فبناه على طبق ما رأى من القواعد، ثم بناه بعده العمالقة ثم جرهم ثم قصي ثم قريش، وكان الواضع للحجر الأسود في محله النبي ﷺ، وقصر بهم النفقة فلم يتموا بناءه على قواعد إبراهيم بل نقضوه وأخرجوا الحجر منه، ثم ابن الزبير وقد رده لقواعد إبراهيم مستدلاً بحديث عن عائشة: لولا قومك حديثو عهد بكفر لبنيت البيت على قواعد إبراهيم، ثم لما تولى الحجاج عامله الله بعد له حارب ابن الزبير وقتله وهدم البيت بالمنجنيق وبناه كما بنته قريش وهو الآن على بنائه، ونظمهم بعضهم فقال:

بنى بيت رب العرش عشر فخذهم ... ملائكة الله الكرام وآدم
فشيث فإبراهيم ثم عمالق ... قصي قريش قبل هذين جرهم
وعبد الإله بن الزبير بنى كذا ... بناء لحجاج وهذا متمم

﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ ﴿١٢٧﴾ بالفعل ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ ﴾ منقادين ﴿ لَكَ وَ ﴾ اجعل ﴿ مِن ذُرِّيَّتِنَآ ﴾ أولادنا ﴿أُمَّةً﴾ جماعة ﴿مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ ومن للتبعيض وأتى به لتقدم قوله (لاينال عهدي الظالمين) ﴿وَأَرِنَا﴾ علمنا ﴿مَنَاسِكَنَا﴾ شرائع عبادتنا أو حجنا ﴿ وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ﴿١٢٨﴾ سألاه التوبة مع عصمتهما تواضعاً وتعليما لذريتهما ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ ﴾ أي أهل البيت ﴿ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ من أنفسهم وقد أجاب الله دعاءه بمحمد ﷺ ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾ القرآن ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ أي ما فيه من الأحكام ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من الشرك ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ الغالب ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ ﴿١٢٩﴾ في صنعه ﴿وَمَن﴾ أي ﴿يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ فيتركها ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ جهل أنها مخلوقة الله يجب عليها عبادته أو استخف بها وامتهنها ﴿وَلَقَدِ

قوله: (يقولان) قدره المفسر ليصح جعل الجملة حالاً من إبراهيم وإسماعيل، لأن الجملة الإنشائية لا تقع حالاً إلا بتقدير، وعبر بالمضارع في يرفع استحضاراً للحال الماضية لعظم شأنه كأنه حصل الآن وهو يحدث عنه. قوله: (للقول) أي دعائنا. قوله: (بالفعل) أي بنائنا. قوله: (منقادين) أي كاملين في الأنقياد لأن الكامل يقبل الكمال، وليس المراد طلب أصل الإسلام لأن الأنبياء معصومون عن كل معصية سيما الكفر. قوله: (جماعة) أي وهو الأصل الكثير وتطلق على المقتدى به كقوله تعالى: (إن إبراهيم كان أمة) وتطلق على الملة، قال تعالى: (إنا وجدنا آباءنا على أمة) قوله: ﴿وَأَرِنَا﴾ رأى عرفانية تنصب مفعولاً واحداً ودخلت عليها الهمزة فتعدت لاثنين، فنا مفعول أول ومناسكنا مفعول ثان. قوله: ﴿التَّوَّابُ﴾ أي كثير القبول لتوبة من تاب، ويوصف العبد بذلك الوصف بمعنى كثير التوبة والرجوع عن القبائح والرذائل. قوله: ﴿الرَّحِيمُ﴾ أي عظيم الرحمة وهي الإنعام أو إرادته. قوله: (تواضعاً) أي أو طلباً للإرتقاء من مقام أعلى مما هما فيه. قوله: (أهل البيت) أي بيت إبراهيم وهم ذريته، ولم يأت نبي من ذرية إبراهيم وإسماعيل إلا نبينا ﷺ وأما الغالب فمن ذرية إسحق. قوله: ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ هي العلم النافع. قوله: (الغالب) أي الذي أمره نافذ. قوله: ﴿الْحَكِيمُ﴾ هو الذي يضع الشيء في محله.

قوله: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ سبب نزولها أن عبدالله بن سلام أسلم وكان له ابن أخ أحدهما اسمه مهاجر والثاني اسمه سلمة، فدعاهما إلى الإسلام وقال لهما قد علمتما أن الله قال في التوراة: إني باعث من ولد إسماعيل نبياً اسمه أحمد من آمن به فقد اهتدى ومن لم يؤمن به فهو ملعون، فأسلم سلمة وأبى مهاجر فنزلت الآية، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. قوله: (أي لا) ﴿يَرْغَبُ﴾ أشار بذلك إلى أن الإستفهام إنكاري بمعنى النفي، والإستثناء المفرغ لا يكون إلا بعد النفي، وما في معناه الرغبة، عن الشيء الزهد فيه. قوله: ﴿عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي دينه وشريعته فالملة والدين والشريعة بمعنى واحد، وهو الأحكام التي جعلها الله للتعبد بها، فمن حيث إملاؤها يقال لها ملة، ومن حيث شرعها يقال لها شريعة، ومن حيث التدين بها يقال لها دين. قوله: ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ يحتمل أن من اسم موصول والجملة بعدها صلة أو نكرة والجملة بعدها صفة، وعلى كل فهو بدل من فاعل يرغب، التقدير ولا يرغب عن ملة إبراهيم أحد إلا الذي أو شخص سفه نفسه قوله: (جهل أنها مخلوقة) هذا بناء على أنه لا يتعدى بنفسه إلا بتضمينه معنى جهل ومعنى جهله نفسه لم يتأمل ولم ينظر فيها، فيستدل على أن لها صانعاً

﴿ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ﴾ اخترناه ﴿فِي ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ بالرسالة والخلة ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ الذين لهم الدرجات العلى واذكر ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ﴾ انقد الله وأخلص له دينك ﴿قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ ﴿وَوَصَّىٰ﴾ وفي قراءة وأوصى ﴿بِهَآ﴾ بالملة ﴿إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ﴾ بنيه قال ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ دين الإسلام ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ نهى عن ترك الإسلام وأمر بالثبات عليه إلى مصادفة الموت. ولما قال اليهود للنبي ألست تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية نزل ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ﴾ حضوراً ﴿إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ﴾ بدل من إذ قبله ﴿قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ﴾ بعد موتي ﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ﴾ عد أسماعيل من الآباء تغليب ولأن العم بمنزلة الأب ﴿إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا﴾ بدل من إلهك ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ وأم بمعنى همزة الانكار أي لم تحضروه وقت موته فكيف تنسبون

أتقن صنعها فيؤمن به. قوله: **(أو استخف بها)** هذا بناء على أنه يتعدى بنفسه كالمشدد، ومعنى استخفافه بها تركه العبادة لله التي بها العز الأبدي.

قوله: **﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ﴾** هذا حجة لقوله ومن يرغب، وأكدت هذه الجملة باللام فقط وما بعدها بأن واللام لأن هذه الجملة متعلقة بأمر الدنيا وهو فيها ظاهر الحال، بخلاف الجملة الثانية فإنها متعلقة بالآخرة وهو أمر مغيب لا يؤمن به إلا من نور الله بصيرته فاحتاجت لزيادة التأكيد. قوله: **(وفي قراءة وأوصى)** أي فيها قراءتان سبعيتان فالهمز والتضعيف أخوان. قوله: **﴿إِبْرَاهِيمُ وبَنِيهِ﴾** أي وهم اسماعيل وهو من هاجر وإسحق وهو من سارة، وكان له ستة أولاد من امرأة تسمى قنطور الكنعانية تزوجها بعد وفاة سارة، فجملة أولاده ثمانية وقيل أربعة عشر. قوله: **﴿وَيَعْقُوبُ﴾** **(بنيه)** أشار بذلك إلى أن يعقوب بالرفع معطوف على إبراهيم، والمفعول محذوف قدره المفسر بقوله بنيه وهم اثنا عشر: روبيل بضم الراء وشمعون ولاوي ويهوذا ويشبخون وزبولون ودون وبقيون وكودا وأوشيز وبنيامين ويوسف، كذا في البيضاوي.

قوله: **﴿يَا بَنِيَّ﴾** هذا هو صورة الوصية. قوله: **﴿فَلَا تَمُوتُنَّ﴾** أصله تموتون أكد بالنون فصار تموتن حذف نون الرفع لتوالي الأمثال فالتقى ساكنان الواو والنون حذفت الواو لالتقائهما. قوله: **(نهى عن ترك الإسلام إلخ)** دفع بذلك ما يقال إن الموت على الإسلام ليس في طاقة العبد فما معنى التكليف، فأجاب بأن المراد التكليف بالإسلام والنهي عن تركه، كقولك لشخص لا تصل إلا وأنت خاشع، فهو نهي عن ترك الخشوع فيها. قوله: **(بدل من إذ قبله)** أي بدل اشتمال. قوله: **﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾** أتى بما دون من امتحاناً لهم لأنه في زمنه كثرت عبادة غير الله، وإنما امتحنهم لتظهر سرائرهم. قوله: **(إبراهيم إلخ)** بدل من آبائك وكرر إله لأنه الفصيح مطلقاً اسماً كما هنا أو حرفاً كمررت بك وبزيد، قال ابن مالك:

وعود خافض لدى عطف على ضمير لازماً قد جعلا

قوله: **﴿وَإِسْمٰعِيلَ﴾** قدمه على إسحق وإن كان أبا يعقوب لمزيتين، كونه أسن منه وكونه أبا النبي عليه الصلاة والسلام. قوله: **(ولأن العم بمنزلة الأب)** أي لما في الحديث «عمك صنو أبيك». قوله: **﴿إِلٰهاً واحِداً﴾** كرره لدفع توهم التعدد من تعدد المضاف. قوله: **(بمعنى همزة الإنكار)** أي فتارة تفسر بها

إليه ما لا يليق به ﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ والإشارة إلى إبراهيم ويعقوب وبنيهما وأنث لتأنيث خيره ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ سلفت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من العمل أي جزاؤه استئناف ﴿وَلَكُم﴾ الخطاب لليهود ﴿مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ كما لا يسألون عن عملكم والجملة تأكيد لما قبلها ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟﴾ أو للتفصيل وقائل الأول يهود المدينة والثاني نصارى نجران ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿بَلْ﴾ نتبع ﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾ حال من إبراهيم مائلا عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ ﴿قُولُوٓا۟﴾ خطاب للمؤمنين ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ من القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ من الصحف العشر ﴿وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ

وحدها كما هنا وتارة تفسر وببل وتارة تفسر ببل وحدها. قوله: ﴿**أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ**﴾ هذا رد على اليهود من حيث افتخارهم بآبائهم. قوله: (**من العمل**) أي فلا ينفع أحداً كسب غيره، بل كل امرىء بما كسب رهين خيراً كان أو شراً. قوله: (**استئناف**) أي فلها خبر مقدم وما مبتدأ مؤخر وكسبت صلتها والعائد محذوف أي كسبته. قوله: (**والجملة تأكيد لما قبلها**) أي لأنه إذا كان لها ما كسبت فلا يسألون عن عملكم وإذا كان لكم ما كسبتم فلا تسألون عما كانوا يعملون، وقوله كما لا يسألون عن عملكم إشارة إلى أن في الكلام اكتفاء. قوله: ﴿**وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى**﴾ هذا في المعنى معطوف على قوله ما ننسخ، وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى. قوله: ﴿**تَهْتَدُوا**﴾ أي تصلوا للخير وتبلغوا السعادة. قوله: (**أو للتفصيل**) أي لا للجمع فإن مقالة يهود المدينة كونوا هوداً تهتدوا لأنه لا يدخل الجنة إلا من كان هوداً، ومقالة نصارى نجران كونوا نصارى تهتدوا لأنه لا يدخل الجنة إلا من كان نصارى. قوله: (**نتبع**) قدره إشارة إلى أن ملة معمول لمحذوف، والجملة مقول القول في محل نصب. قوله: (**حال من إبراهيم**) أي والشرط موجود وهو كون المضاف كالجزء من المضاف إليه. قوله: ﴿**وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ تعريض لهم بأنهم هم المشركون. قوله: (**خطاب للمؤمنين**) أي ويصح أن يكون خطاباً لليهود والنصارى، أي إذا أردتم النجاة فلا تشركوا وقولوا آمنا. قوله: ﴿**وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا**﴾ معطوف على لفظ الجلالة وقوله: (**من القرآن**) بيان لما. قوله: (**من الصحف العشر**) قال تعالى: (إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى).

قوله: ﴿**وَإِسْمَعِيلَ إلخ**﴾ إن قلت إن إسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط لم ينزل عليهم كتاب، أجيب بأنه أوحى إليهم بصحف إبراهيم فلم يكن مغايراً لما نزل الله على إبراهيم. قوله: (**أولاده**) أي أولاد يعقوب وهم أسباط بالنسبة لإسحق وإبراهيم. وأولادهم أسباط للجميع. ويؤخذ من الآية أن الأسباط أنبياء وهو المعتمد كما ذكره ابن حجر في شرحه على الهمزية. إن قلت حيث كانوا أنبياء فهم معصومون من الصغائر والكبائر قبل النبوة وبعدها فكيف ذلك مع ما يأتي في سورة يوسف من رميه في الجب وإتيانهم على قميصه بدم كذب وغير ذلك من الأمور المنافية للنبوة. فأجيب بأنهم غير مشرعين بل هم أنبياء فقط، فلا يلزمهم إجراء فعلهم على مقتضى الظاهر بل على سر القدر، فالمدار على خلوصهم في الباطن على حد ما قيل في أفعال الخضر مع موسى، وقد شهد الله له بأنه ما فعله عن أمره فيكون ما جرى من الأسباط في حق يوسف كما جرى من الخضر أو أولى، وسيأتي بسط ذلك في سورة يوسف إن شاء الله تعالى.

﴿وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾ أولاده ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾ من التوراة ﴿وَعِيسَىٰ﴾ من الانجيل ﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ﴾ من الكتب والآيات ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كاليهود والنصارى ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ ﴿١٣٦﴾ ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ﴾ أي اليهود والنصارى ﴿بِمِثۡلِ﴾ مثل زائدة ﴿مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ عن الإيمان به ﴿فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ﴾ خلاف معكم ﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾ يا محمد شقاقهم ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ ﴿١٣٧﴾ بأحوالهم وقد كفاه إياهم بقتل قريظة ونفي النضير وضرب الجزية عليهم ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ﴾ مصدر مؤكد لآمنا ونصبه بفعل مقدر أي صبغنا الله والمراد بها دينه الذي فطر الناس عليه لظهور أثره على صاحبه كالصبغ في الثوب ﴿وَمَنۡ﴾ أي لا أحد ﴿أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ﴾ تمييز ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ ﴿١٣٨﴾ قال اليهود للمسلمين نحن أهل الكتاب الأول وقبلتنا أقدم ولم تكن الأنبياء من

قوله: ﴿وَمَا أُوتِيَ مِوسَى﴾ عبر أولاً بأنزل وثانياً بأوتي تفنناً ودفعاً للثقل. قوله: ﴿وَعِيسَى﴾ لم يكرر ما أوتي لأن مؤدى الإنجيل والتوراة واحد، وإنما التغاير في شيء يسير وهو تحليل بعض ما حرم. قوله: ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ﴾ هذا من عطف العام على الخاص، إشارة إلى أنه يجب علينا الإيمان بجميع أنبياء الله وما أنزل عليهم. قوله: **(كاليهود)** أي فإنهم آمنوا بموسى وكفروا بمن عداه، وقوله والنصارى أي فإنهم آمنوا بعيسى وكفروا بمن عداه. قوله: **(مثل زائدة)** أي لأن المعنى على أصالتها فاسد لأنه يوهم أنهم مأمورون بالإيمان بمثل الله ومثل ما أنزل على محمد إلخ وهذا باطل. قوله: **(خلاف)** أي مخالفة الدين الحق ويطلق على الضلال وعلى العداوة، ويصح إرادة كل منهما لأن تولى عن الإيمان فهو في ضلال ومعاداة الله. قوله: **(شقاقهم)** أي ضرر ضلالهم ومخالفتهم ومعاداتهم. قوله: **(بقتل قريظة)** أي فقد قتل منهم في يوم واحد سبعمائة من صناديدهم ورموا في الخندق. قوله: **(وضرب الجزية عليهم)** أي اليهود والنصارى.

قوله: ﴿صِبْغَةَ اللهِ﴾ الصبغ بالكسر أثر الصبغ بالفتح الذي هو المصدر. وسبب نزول الآية أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمى ماء المعمودية، ويقولون حينئذ: قد صار نصرانياً حقاً، فنزلت رداً عليهم كأن الله يقول لهم: صبغتي لعبيدي لا أحسن منها صبغة. قوله: **(أي صبغنا)** من باب نفع وضرب ونصر. قوله: **(كالصبغ في الثوب)** أشار بذلك إلى أن في الكلام استعارة تصريحية أصلية، حيث شبه آثار الإيمان القائم بالشخص بالصبغ القائم بالثوب بجامع المكث والظهور في كل، واستعير اسم المشبه به للمشبه، وفي هذه الآية بشرى للمؤمنين عظيمة، وهي أن الإيمان في القلب كالصبغ المتقن في الثوب، فكما لا يزول الصبغ من الثوب كذلك الإيمان لا يزول من القلب لأن صبغة الله لا أحسن منها، ولذا قيل إن موت المؤمن على غير الإيمان نادر كالكبريت الأحمر، والمراد من الصبغة الأنوار الكائنة في القلب والأعضاء لأن الإيمان لا يكمل إلا إذا صبغ به كصبغة الثوب، قال تعالى: (سيماهم في وجوههم من أثر السجود). وقال تعالى: (نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم) في الحديث: «لو كشف عن نور المؤمن العاصي لأضاء ما بين المشرق والمغرب وإنما انحجب عنه ليتم وعد الله ووعيده». قوله: **(قال اليهود)** شروع في ذكر سبب نزول الآية. قوله: **(الأول)** أي السابق على الأنجيل والقرآن. قوله: **(من العرب)** أي بل كانت من بني إسرائيل.

العرب ولو كان محمد نبياً لكان منا فنزل ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾ تخاصموننا ﴿فِي ٱللَّهِ﴾ أن اصطفى نبياً من العرب ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ فله أن يصطفي من عباده من يشاء ﴿وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا﴾ نجازى بها ﴿وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ تجازون بها فلا يبعد أن يكون في أعمالنا ما نستحق به الاكرام ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾ ﴿١٣٩﴾ الدين والعمل دونكم فنحن أولى بالاصطفاء والهمزة للانكار والجمل الثلاث أحوال ﴿أَمْ﴾ بل ﴿تَقُولُونَ﴾ بالياء والتاء ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ﴾ لهم ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ﴾ أي الله أعلم وقد برأ منهما إبراهيم بقوله (ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً) والمذكورون معه تبع له ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ﴾ أخفى الناس ﴿شَهَٰدَةً عِندَهُۥ﴾ كائنة ﴿مِنَ ٱللَّهِ ۗ﴾ أي لا أحد أظلم وهم اليهود كتموا شهادة الله في التوراة لابراهيم بالحنيفية ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٤٠﴾ تهديد لهم ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ

قوله: ﴿قُلْ﴾ أي يا محمد والخطاب لكل عاقل يريد إقامة الحجة عليهم. قوله: **(فله أن يصطفي من عباده من يشاء)** أي فلا حرج عليه في أفعاله. قوله: **﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا﴾** أي فإن كانت النبوة من جهة اصطفاء الله واختياره، فربكم هو ربنا فيختص برحمته من يشاء، وإن كان من جهة العمل فكما لكم أعمال تجازون عليها لنا أعمال نجازى عليها، فنحن مشتركون معكم في العبودية والأعمال. قوله: **﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾** أي لم نشرك به أحداً بخلافكم أنتم فقد زدنا عليكم وصفاً وهو الإخلاص، فكان الأولى بذلك نحن لا أنتم. قوله: **(أحوال)** أي إما من الواو أو نا، لكن الأظهر في الأخيرة أنها حال من نا، وعامل الحال على كل هو الفعل الذي هو أتحاجوننا. قوله: **(بالياء والتاء)** فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **﴿أَوْ نَصَارَى﴾** أو للتقسيم والتوزيع فاليهود نسبوا لهم اليهودية، والنصارى نسبوا لهم النصرانية.

قوله: **﴿أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ﴾** الهمزة للإستفهام وما بعدها مبتدأ وخبر، والمستفهم عنه يجوز توسطه بين الهمزة وأم كما هنا هو الأحسن، ويجوز في غير القرآن أن تقول أأعلم أنتم أم الله أو أأنتم أم الله أعلم. قوله: **﴿أَمِ اللهُ﴾** أم معادلة للهمزة التي هي لطلب التعيين، واسم التفضيل ليس على بابه بل للتهكم والإستهزاء. قوله: **(أي الله أعلم)** أشار بذلك إلى أنه جواب الإستفهام وإن خبر المبتدأ محذوف دل عليه المذكور. قوله: **(تبع له)** جواب عن سؤال مقدر تقديره إن الله قد برأ إبراهيم ولم يذكر معه أولاده. ومن جملة ما رد عليهم به قوله تعالى: (يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون). قوله: **(كائنة) ﴿مِنَ اللهِ﴾** أشار بذلك إلى أن قوله عنده صفة أولى لشهادة، وقوله من الله متعلق بمحذوف صفة ثانية لها. قوله: **(لإبراهيم بالحنيفية)** أي ولمحمد بالرسالة حيث ذكر الله أوصافه وأخلاقه في كتبهم فغيروها وبدلوها. قوله: **﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾** الغفلة هي ترك الشيء مع التمكن من العلم به وذلك مستحيل على الله تعالى، فالمراد بها الإمهال ليوم القيامة، وما يفسر تلك الآية قوله تعالى: (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار). وقوله: (وما الله بغافل عما تعملون) أبلغ في التهديد من قوله: (والله عليم بما تعملون) مثلاً لأن عدم الغفلة يستلزم العلم فلا يستلزم عدم الغفلة.

قوله: **﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾** أي أنبياء بني إسرائيل. قوله: **﴿قَدْ خَلَتْ﴾** أي سبقت. قوله: **﴿لَهَا مَا**

وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٤١﴾ تقدم مثله ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ الجهال ﴿ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ اليهود والمشركين ﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ ﴾ أي شيء صرف النبي ﷺ والمؤمنين ﴿ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ على استقبالها في الصلاة وهي بيت المقدس والإتيان بالسين الدالة على الاستقبال من الاخبار بالغيب ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ﴾ أي الجهات كلها فيأمر بالتوجه إلى أي جهة شاء لا اعتراض عليه ﴿ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ هدايته ﴿ إِلَىٰ صِرَٰطٍ ﴾ طريق ﴿ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ﴿١٤٢﴾ دين الإسلام أي ومنهم أنتم دل على هذا ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ كما هديناكم إليه ﴿ جَعَلْنَٰكُمْ ﴾ يا أمة محمد ﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ خياراً عدولاً ﴿ لِّتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ يوم القيامة أن رسلهم بلغتهم ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ

كَسَبَتْ﴾ أي من خير أو شر. قوله: **﴿وَلاَ تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** أي ولا يسألون عن عملكم. قوله: **(تقدم مثله)** أي وإنما كرره الله لمزيد بلادتهم فإن السامع إذا كان بليداً فالأبلغ تكرار الكلام له لإقامة الحجة عليه. قوله: **﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾** سيأتي للمفسر أن الآية من الإخبار بالغيب وحاصل ذلك أن النبي كان يستقبل الكعبة في صلاته وهو بمكة، فلما هاجر إلى المدينة أمر باستقبال بيت المقدس، فأنزل الله هذه الآية ليعلمه بأنه سيحوله للكعبة فيعترض عليه وليكون معجزة له من حيث إخباره بالمغيبات، ثم نزل آية تحويل القبلة، فمقتضاه أن هذه الآية متقدمة في النزول والتلاوة، ودرج على ذلك جماعة من المفسرين، والذي ورد عن ابن عباس وغيره أنها متقدمة في التلاوة متأخرة في النزول عن آية التحويل، وحكمة الإتيان بالسين إفادة الإستمرار على هذه المقالة منهم ومن يأتي بعدهم، والسفهاء جمع سفيه وهو من يتجنب المنافع ويتعلق بالمضار دنيوية أو دينية، ولا شك أن الكافر تعلق بالمضار الدينية فكل كافر سفيه. قوله: **﴿مِنَ النَّاسِ﴾** بيان للسفهاء احترازاً عن البهائم فإنها تسمى سفهاء أيضاً. قوله: **(اليهود)** أي فإنهم اعترضوا على النبي وأصحابه في تحولهم عن جهة بيت المقدس إلى جهة الكعبة، وقوله: **(والمشركين)** أي فإنهم اعترضوا عليهم في تحولهم أولاً ورجوعهم ثانياً. قوله: **﴿مَا وَلاَّهُمْ﴾** ما استفهامية والجملة بعدها خبر عنها. قوله: **(إلى أي جهة شاء)** أي فالأمر باستقبال جهة مخصوصة تعبدي لا نعقل له معنى. قوله: **(هدايته)** مفعول يشاء قوله: **(ومنهم أنتم)** أي من المهتدين أمة محمد ﷺ.

قوله: **﴿وَكَذٰلِكَ﴾** اسم الإشارة عائد على الهداية. قوله: **(أي كما هديناكم) ﴿جَعَلْنَاكُمْ﴾** أي فمن الله عليهم بمنتين الأولى الهداية والثانية جعلهم خياراً عدولاً، وجعل بمعنى صير فالكاف مفعول أول وأمة مفعول ثان. **﴿وَسَطاً﴾** هو في الأصل المكان الذي استوت إليه الجهات ثم أطلق وأريد منه الخصال الحميدة، فالمعنى أصحاب خصال حميدة ولا شك أن من كان كذلك فهم خيار عدول. قوله: **(خياراً وعدولاً)** أي أصحاب علم وعمل ولا يخلو زمان منهم لما في الحديث: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك وما دام القرآن موجوداً فهم موجودون» لقوله تعالى: (والله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) فلولا أن أناساً موجودون بهذه المثابة ما بقي القرآن، ونزول البلاء ليس دليلاً على عدم وجود الخيار، فإن الأنبياء كانوا موجودين مع حصول الخسف والمسخ بأممهم فليسوا أعظم من الأنبياء، ولما في الحديث: «أنهلك وفينا الصالحون؟ قال نعم إذا كثر الخبث».

عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ أنه بلغكم ﴿وَمَا جَعَلۡنَا﴾ صيرنا ﴿ٱلۡقِبۡلَةَ﴾ لك الآن الجهة ﴿ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ﴾ أولاً وهي الكعبة وكان ﷺ يصلي اليها فلما هاجر أمر ياستقبال بيت المقدس تألفاً لليهود فصلى اليه ستة أو سبعة عشر شهراً ثم حول ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ﴾ علم ظهور ﴿مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ فيصدقه ﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ﴾ أي يرجع إلى الكفر شكاً في الدين وظناً أن النبي ﷺ في حيرة من أمره وقد ارتد لذلك جماعة ﴿وَإِن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي وإنها ﴿كَانَتۡ﴾ أي التولية اليها ﴿لَكَبِيرَةً﴾ شاقة على الناس ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ﴾ منهم ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾ أي

قوله: ﴿لِتَكُونُوا﴾ اللام للتعليل وقيل للصيرورة وعلى كل فالفعل منصوب بأن مضمرة بعدها جوازاً وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل. قوله: (أن رسلهم بلغتهم) هذا بيان للمشهود به قوله: (أنه بلغكم) هذا بيان لشهادة الرسول، وحاصل ذلك أنه يوم القيامة توقف كفار الأمم السابقة في صعيد واحد، ويقول الله لهم لم لم تؤمنوا بي ألم يأتكم نذير؟ فيقولون يا ربنا ما جاءنا نذير، فيؤتى بأنبيائهم فيقول الله لهم وهو أعلم بهم لإقامة الحجة عليهم، ومن يشهد لكم فيقولون أمة محمد فيؤتى بهم فيقول الله: أتشهدون أن الرسل بلغت الرسالة لأممهم فكفروا بهم، فيقولون نعم نشهد بذلك، فتقول الأمم كيف يشهدون علينا مع كونهم متأخرين عنا؟ فيقولون يا ربنا أخبرنا رسولنا بذلك في كتابنا عنك وهو صادق في خبره، فيقول الله لهم ومن يزكيكم؟ فيقولون نبينا فيؤتى به فيقول أشهد أن أمتي عدول، وقوله على الناس إن كان المراد بهم أمم الأنبياء السابقة فعلى على بابها، وإن كان المراد بهم الأنبياء فعلى بمعنى اللام فهي مستعملة في حقيقتها ومجازها، وقوله: ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ أي على كفاركم وسميت شهادة وإن كانت في الواقع دعوى لعدم ردها، ويحتمل أن على بمعنى اللام والضمير عائد على العدول الشاهدين على الأمم السابقة من حيث تزكيته لهم.

قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا﴾ اختلف في إعراب هذه الآية فدرج المفسر على أن قوله: ﴿الْقِبْلَةَ﴾ مفعول ثان لجعلنا مقدم، وقوله: ﴿الَّتِي﴾ صفة لموصوف محذوف مفعول أول، ودرج غيره على العكس وهو أن القبلة مفعول أول والتي صفة لموصوف محذوف مفعول ثان والأقرب الأول، وحاصل ذلك أن رسول الله وهو بمكة كان يصلي للكعبة، فلما هاجر إلى المدينة أمر باستقبال بيت المقدس تأليفاً لليهود فصلى لها سبعة عشر أو ستة عشر شهراً، فكان رسول الله ﷺ يشم منهم الكبر فكانوا يقولون إن محمداً يفارق ديننا ويصلي لقبلتنا، وكان رسول الله يحب أن يصلي للكعبة حتى نزل عليه جبريل يوماً فقال له يا جبريل أود أن الله يحولني لقبلة أبي إبراهيم فسل ربك ذلك، فقال له أنت أكرم عليه مني، ثم صعد إلى السماء فصار رسول الله ﷺ ينظر لجهتها منتظراً للإذن في ذلك، فنزل عليه جبريل بعد ركعتين من صلاة الظهر في رجب بالأمر بالتحويل للكعبة فتحول وتحولت الناس معه. وكان يوماً مشهوداً فافتتن اليهود وأهل النفاق. قوله: (علم ظهور) جواب عما يقال إن علم الله قديم فلا يتجدد، والمعنى ليظهر لكم متعلق علمنا بتمييز المؤمن من الكافر. قوله: (فيصدقه) أي يدوم على صدقه. قوله: (أي يرجع للكفر) أشار بذلك إلى أن قوله ممن ينقلب على عقبيه ليس على حقيقته، لأن الانقلاب على العقب معناه الرجوع لخلف وليس مراداً بل هو كناية عن الرجوع للكفر، نظير (إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى). قوله: (وقد ارتد ذلك) أي التحويل والمعنى ظهر كفرهم، وإلا فمتى صبغ القلب بالإيمان فلا يزول لأن الكريم إذا مَنَّ تمم. قوله: ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ﴾ أي فكان عيداً لهم حتى صار

صلاتكم إلى بيت المقدس بل يثيبكم عليه لأن سبب نزولها السؤال عمن مات قبل التحويل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ﴾ المؤمنين ﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١٤٣﴾ في عدم إضاعة أعمالهم والرأفة شدة الرحمة وقدم الأبلغ للفاصلة ﴿قَدْ﴾ للتحقيق ﴿نَرَىٰ تَقَلُّبَ﴾ تصرف ﴿وَجْهِكَ فِي﴾ جهة ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ متطلعاً إلى الوحي ومتشوقاً للأمر باستقبال الكعبة وكان يود ذلك لأنه قبلة إبراهيم ولأنها أدعى إلى الإسلام العرب ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾ نحولنك ﴿قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ تحبها ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ استقبل في الصلاة ﴿شَطْرَ﴾ نحو ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي الكعبة ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾ خطاب للأمة ﴿فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ﴾ في الصلاة ﴿شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ أي التولي إلى الكعبة ﴿ٱلْحَقُّ﴾ الثابت

فضل من صلى مع النبي للقبلتين أعظم ممن أتى بعد ذلك، قال صاحب الجوهرة: والسابقون فضلهم نصاً عرف. قوله: (**أي صلاتكم**) عبر بالإيمان عن الصلاة لأنها أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين. قوله: (**لأن سبب نزولها إلخ**) وسبب ذلك شبهة ألقاها حيي بن أخطب للمسلمين، وهي أن استقبالكم لبيت المقدس لا يخلو إما أن يكون هدى فقد انتقلتم الآن إلى ضلال، وإما أن يكون ضلالاً فلم أقركم عليه، وأيضاً من مات قبل التحويل مات على الضلال وضاعت أعماله، فشق ذلك على أقارب من مات قبل التحويل فشكوا ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت الآية، وتحويل القبلة أول نسخ ورد في الشرع. قوله: ﴿**إنَّ الله بِالنَّاسِ**﴾ هذا كالدليل لما قبله أي لم يضيع صلاتكم لكونه رؤوفاً رحيماً. قوله: (**للفاصلة**) أي التي هي قوله إلى صراط مستقيم فهي على الميم فيهما.

قوله: ﴿**قَدْ نَرَى**﴾ تقدم سبب نزول هذه الآية. قوله: (**للتحقيق**) وقيل للتكثير وهو بالنظر لفعل النبي لا لرؤية الله وهو خطاب تودد. قوله: (**متطلعاً**) أي متطلباً ومتشوفاً وهو إشارة لحال محذوفة. قوله: (**لأنها قبلة إبراهيم**) أي وقبلته من قبل. قوله: (**ولأنه أدعى إلى إسلام العرب**) أي فإنهم قالوا حين استقبل بيت المقدس حيث عدل عن قبلة أبيه إبراهيم: لا نتبعه أبداً. قوله: (**نحولنك**) متقضى هذا التفسير أن قبلة منصوب بنزع الخافض ولو أبقى نولي على حالها لفسرها بنعطي لأنها تنصب مفعولين، فالكاف مفعول أول وقبله مفعول ثان. قوله: (**تحبها**) أي بحسب الطبع وإلا فهو يحب أوامر الله مطلقاً. لكن إذا كانت موافقة للطبع كانت أحب، وهذا وعد من الله له بما يحبه وفي قوله فول إنجاز له. قوله: ﴿**شَطْرَ**﴾ يطلق على الجهة وهو المراد هنا ويطلق على النصف ويطلق على البعد يقال شطر فلان بمعنى بعد. قوله: (**أي الكعبة**) أشار بذلك إلى أن المراد بالمسجد الحرام خصوص الكعبة، ولما نزلت هذه الآية تحول لجهة الميزاب وهكذا قبلتنا بمصر فإنها لجهته.

قوله: ﴿**وَحَيْثُمَا**﴾ شرطية لاقترانها بما وكنتم فعل الشرط، وقوله فولوا إلخ جوابه وقرن بالفاء لأنه فعل طلبي، وفي هذه الآية إشارة أخرى لحكمة النسخ وهي تطلعه لجهة السماء ومحبته للكعبة، وتقدمت الحكمة الأولى كونها فتنة للناس ليتميز المؤمن من غيره. قوله: (**خطاب للأمة**) ودفع بذلك ما يتوهم أنه من خصائصه عليه الصلاة والسلام. قوله: ﴿**فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ**﴾ أي في أي مكان وفي أي زمان. قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ**﴾ قيل المراد بهم اليهود لأنهم هم المعارضون له في ذلك الوقت والكتاب هو التوراة، وقيل اليهود والنصارى والكتاب هو التوراة والإنجيل. قوله: (**أي التولي إلى الكعبة**) ويصح أنه

﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾ لما في كتبهم من نعت النبي ﷺ من أنه يتحول إليها ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٤٤﴾ بالتاء أيها المؤمنون من امتثال أمره وبالياء أي اليهود من إنكار أمر القبلة ﴿وَلَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ﴾ على صدقك في أمر القبلة ﴿مَّا تَبِعُوا۟﴾ أي يتبعون ﴿قِبْلَتَكَ﴾ عناداً ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ قطع لطمعه في إسلامهم وطمعهم في عوده إليها ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ أي اليهود قبلة النصارى وبالعكس ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ التي يدعونك إليها ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ الوحي ﴿إِنَّكَ إِذًا﴾ إن اتبعتهم فرضاً ﴿لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿١٤٥﴾ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ﴾ أي محمداً ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ بنعته في كتبهم، قال ابن سلام لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني ومعرفتي لمحمد أشد ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ نعته ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٤٦﴾ هذا الذي أنت عليه ﴿ٱلْحَقُّ﴾ كائن ﴿مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ ﴿١٤٧﴾ الشاكين فيه أي من هذا النوع فهو أبلغ من لا تمتر

عائد على النبي أو النسخ، لأن كلًا مذكور في الآية والمآل واحد قوله: (**أيها المؤمنون**) أي وفيه وعيد وزجر وتهديد وهما قراءتان سبعيتان. قوله: (**ولئن أتيت**) هذا أيضاً تسلية للنبي وتيؤس من إيمانهم، لأنهم ضلوا على علم فلا تنفع فيهم موعظة:

وإذا ضلت العقول على علم فماذا تقوله النصحاء

قوله: (**لام قسم**) أي وإن حرف شرط وقوله أتيت فعل الشرط وقوله ما تبعوا جواب القسم، وأما جواب الشرط فهو محذوف للقاعدة النحوية أنه إذا اجتمع شرط وقسم فإنه يحذف جواب المتأخر منهما، وأيضاً قوله ما تبعوا لا يصلح أن يكون جواباً للشرط لأنه فعل منفي بما فحقه دخول الفاء فيه. قوله: (**قطع لطمعه في إسلامهم**) راجع لقوله ما تبعوا قبلتك، و قوله: (**وطمعهم إلخ**) راجع لقوله وما أنت بتابع قبلتهم، فهو لف ونشر مرتب. إن قلت كيف يطمعون في عوده لبيت المقدس مع أنه مذكور في كتبهم أنه لا يرجع عن الكعبة بعد أن تحول إليها، قلت إن ذلك الطمع واقع من جهلتهم الذين لا يعرفون في التوراة شيئاً. قوله: (**أي اليهود قبلة النصارى**﴾ هذا مما يؤيد أن المراد بالذين أوتوا الكتاب اليهود والنصارى، وقبلة اليهود بيت المقدس، وقبلة النصارى مطلع الشمس. وكانت باختراع منهم لزعم بولس القسيس أنه بعد رفع عيسى قال لقيت عيسى عليه السلام فقال لي إن الشمس كوكب أحبه يبلغ سلامي في كل يوم فمر قومي ليتوجهوا إليها في صلاتهم ففعلوا ذلك. قوله: (**إن اتبعتهم فرضاً**) أي على سبيل الفرض والتقدير على حد لئن أشركت ليحبطن عملك، وقيل الخطاب له والمراد غيره لمزيد الزجر.

قوله: ﴿**كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ**﴾ ما مصدرية تسبح مع ما بعدها بمصدر أي كمعرفتهم ابنائهم، والمشبه أقوى من المشبه به، قوله: (**ومعرفتي لمحمد أشد**) سئل عن ذلك فقال لأن معرفتي بابني ظنية لأنه يحتمل أن يكون من غيره، وأما معرفتي بمحمد فهي عن الله، وأي خبر أصدق خبر الله؟ قوله: (**كائناً**) أشار بذلك إلى أن قوله من ربك متعلق بمحذوف حال من الحق وهو خير لمتبدأ محذوف، والأظهر أن مبتدأ خبره والجار والمجرور بعده أو مبتدأ والخبر محذوف تقديره يعرفونه وأل يحتمل أنها للعهد الذكري أو الجنس أو الاستغراق، قوله: (**الشاكين فيه**) أي في كونهم يعرفون نعتك أو في الحق، قوله: (**فهو أبلغ من لا تمتر**)

﴿وَلِكُلٍّ﴾ من الأمم ﴿وِجْهَةٌ﴾ قبلة ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ وجهه في صلاته وفي قراءة مولاها ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ بادروا إلى الطاعات وقبولها ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ يجمعكم يوم القيامة فيجازيكم بأعمالكم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٤٨﴾ ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ لسفر ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٤٩﴾ بالتاء والياء تقدم مثله وكرره لبيان تساوى حكم السفر وغيره ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ كرره للتأكيد ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ اليهود أو

أي لكون النهي عاماً فيفيد أن الشك يضر كل من قام به، ولكونه مؤكداً بالنون ولأن الكناية أبلغ من الحقيقة بخلاف لا تمتر، فربما يتوهم أن الشك يضر إلا هو فقط ولم يكن مؤكداً.

قوله: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾ هذا كالنتيجة لما قبله كأنه قال فلما تفرقوا صار لكل وجهة. قوله: **(قبلة)** أشار بذلك إلى أن وجهة اسم للمكان فثبوت الواو قياسي، وأما إن أريد بها المعنى المصدري فثبوت الواو غير قياسي على حد عدة ورقة، وإنما ثبتت الواو تنبيهاً على الأصل، قوله: ﴿هُوَ﴾ أي الفريق المفهوم من الأمم، لأن المراد بهم الفرق، ولو عبر به لكان أوضح، قوله: ﴿مُوَلِّيهَا﴾ اسم فاعل فاعله ضمير يعود على الفريق، والهاء مفعول أول وقول المفسر وجهه مفعول ثان قوله: **(وفي قراءة مولاها)** أي بصيغة اسم المفعول، فنائب الفاعل مفعول أول والهاء مفعول ثاني والمعنى موجه إليها. قوله: ﴿الْخَيْرَاتِ﴾ جمع خير بالتخفيف والتشديد جمع خيرة ومعناه الطاعة على كل، قوله: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا﴾ أين اسم شرط جازم يجزم فعلين، تكونوا فعل الشرط مجزوم بحذف النون والواو فاعل، ويأت جواب الشرط مجزوم بحذف الياء والكسرة دليل عليها، وبكم متعلق بيأت والله فاعل يأت وجميعاً حال من الكاف في بكم، وقوله: **(فيجازيكم)** فيصح فيه الجزم والرفع والنصب ولكن الرسم يأبى الأول، وإنما جازت الأوجه الثلاثة فيه لقول ابن مالك:

والفعل من بعد الجزا إن يقترن بالفاء أو الواو بتثليث قمن

والمعنى في أي مكان تكونون فيه يجمعكم الله لحساب فيترتب عليه الجزاء. قوله: ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ هذا كالدليل لما قبله أي إنما كان ذلك لأنه قدير على كل شيء. قال تعالى: (وهو على جمعهم إذا يشاء قدير)، قوله: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ إلخ حيث هنا ظرف مكان ومن للإبتداء، وجملة خرجت في محل جر بإضافة حيث إليها وليست شرطية لأنها لا تكون كذلك إلا إذا اقترنت بما. قوله: **(لسفر)** ظاهره فرضاً ونفلاً ولكن السنة خصصت ذلك بالفريضة، وأما النافلة فتجوز في السفر لغير القبلة بشروط مذكورة في الفقه، قوله: ﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي جهة الكعبة. قوله: ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي النسخ أو التولي للكعبة أو النبي، قوله: ﴿لَلْحَقُّ﴾ أي جنسه أو المعهود وهو نعت النبي أو كل فرد من أفراده، قوله: **(بالتاء والياء)** أي فهما قراءتان سبعيتان، قوله: **(لبيان تساوي حكم السفر إلخ)** أشار بذلك لدفع ما يتوهم أنه تكرار محض، قوله: **(كرره للتأكيد)** أي للتثبيت في عقولهم لقرابة الحكم حينئذ لأنه أول ما ورد من النسخ.

قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ﴾ هذا هو حكمة التولية أي فما أمرناكم بالتوبة لأجل انتفاء حجة

المشركين ﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ أي مجادلة في التولي إلى غيره أي لتنتفي مجادلتهم لكم من قول اليهود يجحد ديننا ويتبع قبلتنا وقول المشركين يدعي ملة ابراهيم ويخالف قبلته ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ بالعناد فإنهم يقولون ما تحول إليها إلا ميلا إلى دين آبائه والاستثناء متصل والمعنى لا يكون لأحد عليكم كلام إلا كلام هؤلاء ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ تخافوا جدالهم في التولي إليها ﴿وَاخْشَوْنِي﴾ بامتثال أمري ﴿وَلِأُتِمَّ﴾ عطف على لئلا يكون ﴿نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ بالهداية إلى معالم دينكم ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ﴿١٥٠﴾ إلى الحق ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾ متعلق بأتم أي إتماماً كإتمامها بإرسالنا ﴿فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ﴾ محمداً ﷺ ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يطهركم من الشرك ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ ما فيه الأحكام ﴿وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٥١﴾

الناس عليكم، واللام هذه لام كي وإن مصدرية ولا نافية ويكون منصوب بأن، وللناس خبرها مقدم وحجة اسمها مؤخر وعليكم حال من حجة لأنه نعت نكرة تقدم عليها، قوله: **(أي لتنتفي إلخ)** هذا حل معنى لا حل إعراب، ولو حله حل إعراب لقال لعدم كون حجة ثابتة للناس عليكم قوله: **(أي مجادلة)** أي جدال في الباطل واعتراض وليس المراد بها المجادلة في الحق وإظهار حجته قوله: **(من قول اليهود)** هذا بيان للمجادلة، قوله: **(وقول المشركين)** أي فقد زال ذلك وأما قولهم ما زال محمد في حيرة فباقية لم تزل، قوله: **(فإنهم يقولون)** أي اليهود، والحاصل أن الحجج أربع: لليهود حجتان وللمشركين كذلك، أما حجة اليهود فهي ما له يصلي لقبلتنا ولا يتبع ديننا وأما حجة المشركين فهي يدعي ملة إبراهيم ويخالف قبلته، وهاتان الحجتان قد انقطعتا وبقيت حجة لكل، أما حجة اليهود فقولهم ما تحول إليها إلا ميلاً لدين الجاهلية، وأما حجة المشركين فقولهم لم يزل محمد في حيرة، قوله: **(والإستثناء متصل)** أي لأن ما قبله ظالمون أيضاً، قوله: **(تخافوا جدالهم)** أي لا يقدرون على إيصال نفع ولا دفع ضرر، قوله: **(عطف على لئلا يكون)** أي فتحويل القبلة لحكم عظيمة الأولى تمييز المؤمن من غيره، الثانية انقطاع الحجج، الثالثة إتمام النعمة، الرابعة الإهتداء إن قلت إن مقتضى هذه الآية إن النعمة تمت الآن ومقتضى ما يأتي في سورة المائدة في قوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي) أنها لم تتم إلا حين نزولها وهو يوم عرفة في حجة الوداع. أجيب بأن النعمة مقولة بالتشكيك، فالمراد بها هنا استقبال الأشرف الذي هو الكعبة والمراد بها هنا الدين، قوله: ﴿مِنْكُمْ﴾ هذه نعمة اخرى فوق أصل الإرسال لأنه لو كان ملكاً لما استطاعوه لأن علة الإنضمام المجانسة، قوله: **(القرآن)** خصه من دون المعجزات لأنه باق إلى الآن. قوله: **(يطهركم من الشرك)** أي حتى صرتم عدولاً تشهدون على الناس يوم القيامة، ويصح أن يقال معنى ﴿يُزَكِّيكُمْ﴾ يشهد لكم بالعدالة يوم القيامة.

قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ﴾ أي حتى حفظتم لفظه عن ظهر قلب لقوله في الحديث: «وجعلت من أمتك أقواماً قلوبهم أناجيلهم» قوله: **(ما فيه من الأحكام)** أي المعاني التي لا تحصى، قال علي بن أبي طالب: لو أردت أن أوقر من الفاتحة حمل سبعين بعيراً لفعلت، ومن معناه ما قال الخواص مما منَّ الله به علي أن أعطاني مائة ألف علم وتسعة وتسعين الفاً من علوم الفاتحة، قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾

﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ ﴾ بالصلاة والتسبيح ونحوه ﴿ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ قيل معناه أجازكم، وفي الحديث عن الله «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملئه» ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي﴾ نعمتي بالطاعة ﴿وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ ﴿١٥٢﴾ بالمعصية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ ﴾

عطف عام على خاص، قوله: **(ونحوه)** أي كالتهليل والتحميد، وإنما قال بالصلاة لأن الذكر إما باللسان أو الجوارح أو بالجنان، ولا شك أن الصلاة جامعة لكل ذكر، فالقراءة والتكبير والتسبيح والدعاء ذكر لساني، والركوع والسجود ذكر بالجوارح والخشوع والخضوع والمراقبة ذكر قلبي، قوله: أي خالياً وبعيداً عن الخلق، قوله: **(ذكرته في نفسي)** أي أعطيه عطايا لا يعلمها غيري، قوله: **(ومن ذكرني في ملأ)** أي بين الناس، قوله: **(ذكرته في ملأ)** أي أعطيته عطايا ظاهرة لعبادي وأظهر فضله لهم، إن قلت إن الإنسان قد يذكر الله بحضرة النبي ﷺ كالصحابة فأي ملأ خير من النبي، قلت أجيب بأن الشيء يشرف بما نسب إليه، فإن المجلس ينسب لكبيره وفرق بين حضرة الله وملائكته، وبين حضرة النبي وأصحابه، وأيضاً كون النبي في حضرة الله اشرف من نفسه في حضرة أصحابه، فمعنى قوله خير من ملئه ذكرته في حضرة النبي والملائكة المقربين في الملأ الأعلى، ولا شك أن تلك الحضرة لا يعدلها شيء أبداً، والملأ بالقصر الجماعة الأشراف قوله: (خير) بالجر صفة الملأ وقيل معنى اذكروني تذللوا لجلالي، أذكركم أكشف الحجب عنكم وأفيض عليكم رحمتي وإحساني وأحبكم وأرفع ذكركم في الملأ الأعلى لما في الحديث: «ومن تقرب إلي شبراً تقربت منه ذراعاً» وفي الحديث أيضاً «إن الله إذا أحب عبداً نادى جبريل: إني أحب فلاناً فأحبه» فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض» وهذا من جملة الثمرات المعجلة، وأما المؤجلة فرؤية وجهه الكريم ورفع الدرجات وغير ذلك وينبغي للإنسان أن يذكر الله كثيراً لقوله تعالى: (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً) ولا يلتفت لواش ولا رقيب، لقول السيد الحفني خطاباً للعارف بالله تعالى إستاذنا الشيخ الدردير:

يا مبتغي طرق أهل الله والتسليك ... دع عنك أهل الهوى تسلم من التشكيك
إن اذكروني لرد المعترض يكفيك ... فاجعل سلافاً الجلالة دائماً في فيك

ولا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه، فربما ذكر مع غفلة يجر لذكر مع حضور، لأنهم شبهوا الذكر بقدح الزناد، فلا يترك الإنسان القدح لعدم إيقاده من أول مرة مثلاً بل يكرر حتى يوقد، فإذا ولع القلب نارت الأعضاء فلا يقدر الشيطان على وسوسته، لقوله تعالى: (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا) وخفت العبادة على الأعضاء فلا يكون على الشخص كلفة فيها، قال العارف:

إذا رفع الحجاب فلا ملالة ... بتكليف الإله ولا مشقة

ويكفي الذاكر من الشرف قول الله تعالى في الحديث القدسي «أنا جليس من ذكرني» وقوله تعالى: (واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) وهل الأفضل الذكر مع الناس أو الذكر في خلوة، والحق التفصيل، وهو إن كان الإنسان ينشط وحده ولم يكن مدعواً من الله لهداية الناس فالخلوة في حقه أفضل، وإلا فذكره مع الناس أفضل إما لينشط أو ليقتدي الناس به، نسأل الله أن يجعلنا من أهل ذكره. قوله: **﴿واشكُرُوا**

على الآخرة ﴿بِٱلصَّبۡرِ﴾ على الطاعة والبلاء ﴿وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ خصها بالذكر لتكررها وعظمها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ﴿١٥٣﴾ بالعون ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هم ﴿أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ﴾ هم ﴿أَحۡيَآءٞ﴾ أرواحهم في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت لحديث بذلك ﴿وَلَٰكِن لَّا

لِي﴾ الحق أنه يتعدى بنفسه وباللام والمعنى واحد وهو من عطف الخاص على العام، والنكتة في ذلك بيان أعلى المقاصد في الذكر، فإن المقاصد في الذكر مختلفة، فمن قصد بذكره الدنيا فقط فهو دنيء، ومن قصد بذكره دخول الجنة والنجاة من النار فهو أعلى من الأول، ومن قصد بذكره شكر الله على خلقه إياه وإنعامه عليه ولم يقصد غيره فهو من المقربين لما في الحديث «أفلا أكون عبداً شكوراً».

قوله: ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ أي لأن حقيقة الشكر أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر، فمعنى لا تكفرون لا تصرفوا نعمي في غير ما خلقتها له. قوله: **(على الطاعة)** أي على دوامها سواء كانت الطاعة فعلاً أو تركاً. قوله: **(والبلاء)** أي المصائب بأقسام الصبر ثلاثة: صبر على الطاعة بدوام فعلها، وصبر عن المعصية بدوام تركها، وصبر على البلاء بحمد الله وشكره عليها فيكون شاكراً على السراء والضراء، وأعظمها الصبر عن المعاصي، وأقل منه الصبر على الطاعة، وأقل منهما الصبر على البلاء لأنه ورد أن الصابر على البلاء يرفعه الله ثلثمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض مرة والصابر على دوام الطاعة يرفعه يرفع الله ستمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض امرة والصابر عن المعصية يرفعه الله تسعمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ثلاث مرات. قوله: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ خصهم وإن كان الله مع كل أحد لأن المراد معية مخصوصة وهي العون والإغاثة، وأما المعية مع كل أحد فمعية علم وقدرة يتصرف فيهم كيف شاء، وأما الصابرون فهم المحبوبون لله لقوله في الحديث: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه» حديث.

قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ هذه الآية نزلت في قتلى بدر وكان المقتول من المسلمين أربعة عشر: ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار، لما قال المشركون والمنافقون هؤلاء قد ماتوا وضيعوا على أنفسهم الحياة ولذاتها وقد ادعوا أنهم ماتوا في مرضاة محمد فنزلت هذه الآية. قوله: **(هم)** ﴿أَمْوَاتٌ﴾ اشار بذلك إلى أن أموات خبر لمبتدأ محذوف والجملة في محل نصب مقول القول، والمعنى يحرم قول ذلك للشهيد لأنه ليس بموت حقيقة، وإنما هو انتقال من دار الكدر إلى دار الصفا ومن دار الحزن إلى دار السرور. قوله: ﴿لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ أي وهم الشهداء وسموا بذلك لأن أرواحهم شهدت دار السلام عند خروجها من البدن، أو لأن الملائكة تشهد له بنصره لدين الإسلام.

قوله: ﴿بَلْ﴾ **(هم)** ﴿أَحْيَاءٌ﴾ أي حياة أخروية بالجسم والروح ليس كحياة أهل الدنيا، لا يشاهدها إلا أهل الآخرة ومن خصه الله بالإطلاع عليها وهذا هو التحقيق خلافاً لمن قال إنهم أحياء بالروح فقط لأنه يرد بأن كل انسان حي الروح مسلماً كان أو كافراً لعدم فناء الروح ولا مزية للشهيد على غيره وهذه الحياة حقيقة، وإنما خروج روحه انتقال من دار إلى أخرى وهي مزية من مزايا الأنبياء فلا يقال إنهم ساووهم، وحكمة عدم تغسيل الشهداء بقاء دمهم ليشهد لهم يوم القيامة، لما في الحديث «زملوهم بثيابهم اللون لون الدم والريح ريح المسك»، وأما تغسيل الأنبياء فتعبدي أو للتشريع ولا تأكل الأرض

تَشْعُرُونَ ﴾ ﴿١٥٤﴾ تعلمون ما هم فيه ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ ﴾ للعدو ﴿ وَالْجُوعِ ﴾ القحط ﴿ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ ﴾ بالهلاك ﴿ وَالْأَنفُسِ ﴾ بالقتل والموت والأمراض ﴿ وَالثَّمَرَاتِ ﴾ بالجوائح أي لنختبرنكم فننظر أتصبرون أو لا ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ ﴿١٥٥﴾ على البلاء بالجنة هم ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ ﴾ بلاء ﴿ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ ﴾ ملكاً وعبيداً يفعل بنا ما يشاء ﴿ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ﴿١٥٦﴾ في الآخرة فيجازينا، في الحديث «من استرجع عند المصيبة آجره الله فيها وأخلف عليه خيراً» وفيه «أن مصباح النبي ﷺ طفىء فاسترجع فقالت عائشة إنما هذا مصباح فقال: كل ما ساء المؤمن فهو مصيبة» رواه أبو داود في مراسيله ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ ﴾ مغفرة ﴿ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ نعمة

أجساد الشهداء. قوله: (**أرواحهم في حواصل الطيور إلخ**) أي فهو كالهودج لها، وأما أرواح المؤمنين المطيعين الغير الشهداء فتتنعم خارج الجنة بريحها ومأواها البرزخ، وأما أرواح العصاة والكفار فهي مسجونة لا تصرف لها، وأما أرواح الأنبياء فورد أنها تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش في الجنة، وأما أرواح صغار المؤمنين ففي الجنة في كفالة إبراهيم وسارة.

قوله: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ**﴾ اللام موطئة لقسم محذوف أي والله لنبلونكم ونبلون جوابه، واقترن باللام والنون لكونه مضارعاً مثبتاً مستقبلاً، والمعنى لنختبركم أيها المؤمنون لما في الحديث «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» أو ولو كان المؤمن في غاية نعيمها والكافر في أشد ضيقها. قوله: (**القحط**) هو في الأصل تخلف المطر وهو سبب في الجوع، فقد فسر الشيء بسببه. قوله: (**بالجوائح**) أي الآفات المتلفة للزرع ونحوه. قوله: (**أي لنختبركم**) أي لنظهر ذلك للملائكة ولبعضكم فمن صبر فله الرضا، ومن جزع فله السخط. قوله: (**بالجنة**) متعلق ببشر، والمعنى بشرهم بالجنة من غير سابقة عذاب. قوله: (**هم**) ﴿**الَّذِينَ**﴾ أشار بذلك إلى أن الذين خبر لمتبدأ محذوف واقع في جواب سؤال مقدر قيل نعت مقطوع، وقيل إن الذين نعت للصابرين وهو أحسنها، وقيل منصوب على المدح بفعل محذوف تقديره أمدح، وقيل مبتدأ خبره قوله أولئك. قوله: ﴿**مُّصِيبَةٌ**﴾ أي مصيبة كانت سواء كانت فقد مال أو نفس أو جوعاً أو خوفاً أو غير ذلك.

قوله: ﴿**إِنَّا لِلَّهِ**﴾ أي مملوكون ومخلوقون له يتصرف فينا على ما أراد، وهذه المقالة من خصائص هذه الأمة، ولو كانت لغيرهم لكانت ليعقوب حين فقد يوسف فقال يا أسفا. قوله: ﴿**وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾ أي صائرون. قوله: (**من استرجع**) أي قال إن لله وإنا إليه راجعون. قوله: (**آجره الله فيها**) أي بسببها وفي المصباح أجره الله أجراً من بابي ضرب وقتل وآجره بالمد لغة ثالثة إذا أثابه. قوله: (**وأخلف عليه خيراً**) أي منها إما في الآخرة فقط أو فيها وفي الدنيا، فمن رضي بأحكام الله وصبر على ما أصابه فله الرضا من الله، ولكل مصيبة دواء إلا الموت على الكفر والعياذ بالله تعالى، قال بعضهم:

لكل شيء إذا فارقته عوض ... وليس لله إن فارقت من عوض

قوله: (**إنما هذا مصباح**) أي شيء قليل. قوله: ﴿**صَلَوَاتٌ**﴾ جمع صلاة وهي المغفرة كما فسر بذلك المفسر، وجمعها إشارة إلى أنه لا يبقى عليهم ذنوب أبداً بل عليهم مغفرة متكررة، قوله: (**نعمة**) دفع بذلك ما يقال إن الصلاة هي الرحمة، فعطف الرحمة عليها مرادف فيما حكمة التكرار، فأجاب المفسر بمنع

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ ﴿١٥٧﴾ إلى الصواب ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ﴾ جبلان بمكة ﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ أعلام دينه جمع شعيرة ﴿فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ﴾ أي تلبس بالحج أوالعمرة وأصلهما القصد والزيارة ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ إثم ﴿عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ﴾ فيه ادغام التاء في الأصل في الطاء ﴿بِهِمَاۚ﴾ بأن يسعى بينهما سبعاً نزلت لما كره المسلمون ذلك لأن أهل الجاهلية كانوا يطوفون بهما وعليهما صنمان يمسحونهما وعن ابن عباس أن السعي غير فرض لما أفاده رفع الاثم من التخيير وقال الشافعي وغيره ركن وبين ﷺ فرضيته بقوله: «إن الله كتب عليكم السعي» رواه البيهقي وغيره، وقال: «ابدأوا بما بدأ الله به» يعني الصفا رواه مسلم ﴿وَمَن تَطَوَّعَ﴾ وفي قراءة بالتحتية وتشديد الطاء مجزوما وفيه إدغام التاء فيها ﴿خَيۡرٗا﴾ أي بخير أي عمل ما لم يجب عليه من طواف وغيره ﴿فَإِنَّ

ذلك، وأن العطف مغاير، فالصلاة محو الذنوب والرحمة العطايا فهو من باب التحلية بعد التخلية، وقد ورد إطلاق الصلاة على المغفرة، ففي الحديث «اللهم صل على آل أبي أوفى» أي اغفر لهم، وفي الحديث أيضاً «إن الملائكة لتصلي على أحدكم ما دام في صلاة تقول اللهم اغفر له اللهم اغفر له» وقيل إن الصلاة بمعنى الرحمة والعطف مرادف وحكمة التكرار الإشارة لتوالي الرحمات والنعم والرضا عليه، حيث رضي بأحكام سيده وحبس نفسه على ما تكره. قوله: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ أي الكاملون في الهدى، فإن الرضا عن الله في كل حال من علامات الهدى الكامل. قوله: ﴿إِنَّ الصَّفَا﴾ جمع صفاة اسم للحجر الأملس، والمراد هنا الجبل المعروف الذي يبتدأ السعي منه. قوله: ﴿وَالْمَرْوَةَ﴾ في الأصل اسم للمكان الرخو، والمراد هنا الجبل الذي ينتهي السعي إليه. قوله: (جبلان بمكة) أي بجوار المسجد الحرام. قوله: ﴿مِنْ شَعَائِرِ اللهِ﴾ أي من أمور دين الله التي تعبدنا بها فمن أنكر كون السعي من أمور الدين فقد كفر. قوله: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ﴾ الحج في اللغة القصد واصطلاحاً عبادة، يلزمها طواف بالبيت سبعاً وسعي بين الصفا والمروة كذلك، ووقوف بعرفة ليلة عاشر ذي الحجة على وجه مخصوص.

قوله: ﴿وَ اعْتَمَرَ﴾ العمرة في اللغة الزيارة واصطلاحاً عبادة، يلزمها طواف وسعي على وجه مخصوص. قوله: (وأصلهما القصد إلخ) لف ونشر مرتب. قوله: (فيه إدغام التاء في الأصل) أي فأصله يتطوف قلبت التاء طاء ثم أدغمت في الطاء. قوله: (لما كره المسلمون) أي حين كرهوا ذلك. قوله: (وعليهما صنمان) أحدهما يسمى أسافاً والثاني يسمى نائلة، قيل كانا على صورة رجل وامرأة، وذلك أن رجلاً اسمه أساف وامرأة اسمها نائلة زنيا في الكعبة فمسخهما الله حجرين على صورتهما الأصلية، فلما تقادم الزمان عبدتها الجاهلية، فلما جاء الإسلام أبطل ذلك ونسخه. قوله: (غير فرض) أي ووافقه على ذلك ابن حنبل. قوله: (من التخيير) ليس المراد أنه مباح بل هو مطلوب بدليل ضم أول الآية لأخرها. قوله: (وغيره) أي وهو مالك. قوله: (إن الله كتب عليكم السعي) تمامه «فاسعوا» وأصل الحديث «اسعوا فإن كتب عليكم السعي» فتحصل أن الآية ليست صريحة في الفرضي ولا في الوجوب وإنما أخذ ذلك من السنة. قوله: (وفيه إدغام التاء) أي بعد قلبها طاء. قوله: (أي بخير) أشار بذلك إلى أن خيراً منصوب بنزع الخافض. قوله: (من طواف وغيره) أي كسعي في حج أو عمرة أو طواف مطلقاً، لأن عبادة الطواف لا تقيد بالنسك بخلاف السعي.

﴿ٱللَّهَ شَاكِرٌ﴾ لعمله بالإثابة عليه ﴿عَلِيمٌ﴾ ﴿١٥٨﴾ به. ونزل في اليهود ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ﴾ الناس ﴿مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ﴾ كآية الرجم ونعت محمد ﷺ ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ التوراة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾ يبعدهم من رحمته ﴿وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ ﴿١٥٩﴾ الملائكة والمؤمنون أو كل شيء بالدعاء عليهم باللعنة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ رجعوا عن ذلك ﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾ عملهم ﴿وَبَيَّنُواْ﴾ ما كتموا ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ﴾ أقبل توبتهم ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ﴿١٦٠﴾ بالمؤمنين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ﴾ حال ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ ﴿١٦١﴾ أي هم مستحقون ذلك في الدنيا والآخرة، والناس قيل عام وقيل المؤمنون

قوله: ﴿فَإِنَّ الله شَاكِرٌ﴾ هذا دليل الجواب وليس هو الجواب بل هو محذوف تقديره شكره الله لأن الله شاكر عليم، والشكر في الأصل مجازاة أصحاب الحقوق عليها، وليس ذلك مراداً في حق مولانا، وإنما المراد عاملناه معاملة الشاكر بأنه ألزم نفسه الجزاء من فضله لأنه كريم واسع العطاء. قوله: (ونزل في اليهود) أي في أحبارهم ككعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وعبد الله بن صوريا قوله: (الناس) قدره المفسر إشارة إلى أنه مفعول يكتمون الثاني، والمعنى يكتمون الحق عن الناس بحيث يظهرون الباطل ويخفون الحق من نعت محمد وغيره. قوله: ﴿مَا أَنْزَلْنَا﴾ أي الشيء أو الذي أنزلناه، وقوله من البينات بيان لما، والمراد بالبينات الآيات الواضحات التي من أذعن لها فقد اهتدى، وعطف الهدى عليها للتفسير. قوله: (كآية الرجم) أي الكائنة في التوراة، وهي أن من زنى يرجم فمحوها وقالوا لم يكن ذلك عندنا فحصل منهم التكذيب لنبيهم. قوله: (ونعت محمد) أي صفاته وأخلاقه من مولده إلى إنتهاء أجله، وهذان مثالان للبينات والهدى معاً لأن بالآيات يحصل الهدى.

قوله: ﴿لِلنَّاسِ﴾ أي عموماً. قوله: ﴿أُولَئِكَ﴾ مبتدأ وجملة يلعنهم الله خبره وأتى بإشارة البعيد إشارة لبعدهم عن رحمة الله. قوله: (والمؤمنون) أي من غيرهم كالإنس والجن. قوله: (أو كل شيء) أي حتى الجمادات والحيتان في البحر، ويشهد له الحديث «العاصي يلعنه كل شيء حتى الحيتان في البحر». وأو لتنويع الخلاف، ثم إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهذا الوعيد وإن كان وارداً في كل شيء خاص إلا أنه لكل من كتم علماً، ومنه شاهد الزور والمفتي بغير الحق.

قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ﴾ استثناء متصل أفاد به أن اللعنة معلقة. قوله: (رجعوا عن ذلك) أي الكتمان بأن أنصفوا من أنفسهم وأسلموا فهذا الوعيد خاص بمن مات كافراً، وأما من مات مؤمناً ولو عاصياً فليس له هذا الوعيد، ولا يجوز الدعاء باللعنة على المعين ولو كافراً إلا أن يثبت موته على الكفر، وأما غير المعين فيجوز على الكافر والعاصي. قوله: ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ (عملهم) أي في المستقبل كعبد الله بن سلام وأضرابه. قوله: (ما كتموا) أي من البينات والهدى، ويحتمل أن قوله تعالى وبينوا أي التوبة. قوله: ﴿فَأُولَئِكَ﴾ أتى بإشارة البعيد إشارة لرفعة رتبتهم على رتبة غيرهم على حد (ذلك الكتاب). قوله: ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ﴾ أي الكثير القبول لتوبة من تاب، والجملة حالية من فاعل أتوب. قوله: (بالمؤمنين) أي ولو عصاة والمراد من مات مسلماً.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي أحباراً أو غيرهم، وقوله: ﴿وَمَاتُوا وَهُم كُفَّارٌ﴾ أي استمروا على

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي اللعنة أو النار المدلول بها عليها ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ طرفة عين ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ ﴿١٦٢﴾ يمهلون لتوبة أو معذرة. ونزل لما قالوا صف لنا ربك ﴿وَإِلَٰهُكُمْ﴾ المستحق للعبادة منكم ﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ لا نظير له في ذاته ولا في صفاته ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ هو ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ﴿١٦٣﴾ وطلبوا آية على ذلك فنزل ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وما فيهما من

الكفر حتى ماتوا عليه. قوله: (أي هم مستحقون ذلك) أشار بذلك لدفع التكرار، كأنه قال: المراد باللعنة الأولى حصولها بالفعل وبالثانية استحقاقها، وفي الحقيقة لا تكرار لأن ما تقدم في الكفار من أحبار اليهود وهذا في الكفار عموماً. قوله: (قيل عام) أي حتى الكفار لأنه يلعن بعضهم بعضاً. قوله: (وقيل المؤمنون) أي من الإنس والجن والملائكة. قوله: (أي اللعنة) أي ويلزم من خلوده في اللعنة خلوده في النار. قوله: (المدلول بها) أي اللعنة وقوله أي عليها أي النار. قوله: (طرفة) أي مقدار تغميض العين وفتحها العادي. قوله: (يمهلون) أشار بذلك إلى أنه من الإنظار بمعنى الإمهال والتأخير، قال تعالى: (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب) أجارنا الله والمسلمين من النار. قوله: (ونزل) أي بمكة لأن هذه الآية وما بعدها مكية وإن كانت السورة مدنية. قوله: (لما قالوا) أي مشركو العرب وكانوا إذ ذاك يعبدون ثلاثمائة وستين صنماً حول الكعبة، نزلت سورة الإخلاص أيضاً رداً عليهم.

قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ﴾ مبتدأ وإله خبره وواحد صفته وهو محط الفائدة على حد: مررت بزيد رجلاً صالحاً، فهي كالحال الموطئة، وقوله لا إله إلا هو خبر ثان مؤكد لما قبله لقصد الإيضاح. قوله: (لا نظير له إلخ) فيه نفي الكموم الخمسة وتوضيحه أن قوله لا نظير له في ذاته، أي إن ذاته ليست مركبة من أجزاء وليس لأحد ذات كذاته ولا في صفاته، أي ليست صفاته متعددة من جنس واحد، بمعنى أنه ليس له علمان ولا سمعان إلى آخرها، وليس لأحد صفة كصفات مولانا، فهذه أربعة كموم متصلان في الذات والصفات ومنفصلان فيهما، والخامس المنفصل في الأفعال بمعنى أنه ليس لأحد فعل مع الله وأما المتصل فيها فهو ثابت لا ينفى لأن أفعاله على حسب شؤونه في خلقه.

قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي لا معبود بحق موجود إلا هو أي إلهكم، وفي الكلام تغليظ لهم، وإعرابه لا نافيه للجنس تعمل عمل إن. إله اسمها مبني على الفتح في محل نصب، والخبر محذوف تقديره موجود، وإلا أداة حصر وهو ضمير منفصل بدل من الضمير المستتر في الخبر، والتقدير: لا إله موجود هو إلا هو، وقوله الرحمن الرحيم خبر ثالث، والمقصود من تعدد الأخبار أيضاً أمر الإله لهم وتبكيت لهم لالزامهم الحجة وهذه طريقة، ومشى المفسر على أن الرحمن الرحيم خبر لمتبدأ محذوف، وكل صحيح. قوله: (وطلبوا آية) أي دليلاً على ما تقدم من الدعاوى، فإن قوله وإلهكم إله واحد دعوى أولى، وقوله لا إله هو دعوى ثانية، وقوله الرحمن الرحيم دعوى ثالثة. قوله: (فنزل) ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي إلى قوله لآيات وهي ثمانية أشياء في كل شيء منها آيات فهو إجابة بالمطلوب وزيادة:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

وإن حرف نصب وتوكيد وفي خلق السموات جار ومجرور خبر مقدم ولآيات اسمها مؤخر وحذفه من الأول لدلالة الأخير عليه كأنه قال واختلاف الليل والنهار لآيات والفلك التي تجري في البحر لآيات

العجائب ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بالذهاب والمجيء والزيادة والنقصان ﴿وَٱلۡفُلۡكِ﴾ السفن ﴿ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ ولا ترسب موقرة ﴿بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ من التجارات والحمل ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ﴾ مطر ﴿فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ بالنبات ﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾ يبسها ﴿وَبَثَّ﴾ فرق ونشر به ﴿فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ لأنهم ينمون بالخصب الكائن عنه ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ تقليبها جنوباً وشمالاً حارة وباردة ﴿وَٱلسَّحَابِ﴾ الغيم ﴿ٱلۡمُسَخَّرِ﴾ المذلل بأمر الله تعالى يسير إلى

وهكذا، وقوله في خلق اطلق المصدر وأراد اسم المفعول أي مخلوق هو السموات والأرض، وقد جعل الخازن السماء مع الأرض شيئاً واحداً من ثمانية أشياء، وقوله بما ينفع الناس شيء مستقل. قوله: **(وما فيها من العجائب)** أي فعجائب السموات رفعها بلا عمد، وكو الشمس في السماء الرابعة مع إضاءتها لأهل الأرض ونفعها لهم النفع التام، وإضاءة النجوم لأهل الأرض واهتدائهم بها مع كونها ثوابت في العرش وهكذا، وعجائب الأرض مدها وبسطها وتثبيتها بالجبال الرواسي وهكذا قال تعالى: (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) وأفرد الأرض ولم يجمعها كالسموات لإتحاد جنسها وهو الماء والتراب واختلاف جنس السموات. قوله: **(بالذهاب والمجيء)** أشار بذلك إلى وجه اختلافهما. ومن جملة عجائب الليل كونه مقمراً أو مظلماً وكونه طويلاً على أناس دون غيرهم، ومن جملة عجائب النهار طوله على أناس دون غيرهم، فقد يكون الفجر عند قوم هو العصر عند آخرين وغير ذلك، وقدم الليل على النهار لأنه سابقه على الأصح لأن الظلمة سابقة على النور وقيل يسبق النهار وينبني على هذا الخلاف فائدة وهي أن الليلة تابعة لليوم قبلها أو لليوم بعدها فعلى الصحيح تكون الليلة تابعة لليوم بعدها، وعلى مقابله تكون تابعة لليوم قبلها، فيوم عرفة مستثنى على القول الأول لأنه تابع لليلة بعده، ولا يرد قوله تعالى: (ولا الليل سابق النهار) لأن المعنى ليس الليل يسبق النهار بحيث يأتي قبل انقضاء النهار بل كل يلزم الحد الذي حده الله له.

قوله: **﴿والْفُلْكِ﴾** يستعمل مفرداً وجمعاً بوزن واحد والتغاير بالوصف، يقال فلك مشحونة وفلك مشحونات. قوله: **﴿الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾** أي يسيرها الله بالريح مقبلة ومدبرة، قال تعالى: (ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام). قوله: **(ولا ترسب)** أي لا تسقط لأسفل. قوله: **(موقرة)** أي حاملة للإثقال. اشار به إلى أن قوله بما ينفع الناس متعلق بمحذوف هو الشيء الرابع قوله: **﴿بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾** أي ومن جملة منافعهم اتصال الأقطار بعضها ببعض من حيث انتفاعهم بما في القطر الآخر من الزروع وغيرها، فلولا تسخير السفن لاستقل كل قطر بما فيه وضاق على الناس معاشهم. قوله: **﴿مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ﴾** من الأولى ابتدائية والثانية يصح أن تكون بيانية أو للتبعيض.

قوله: **﴿فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ﴾** أي أظهر ما فيها من النضارة والبهجة. قال تعالى: (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير). قوله: **(لأنهم ينمون بالخصب)** أي فإذا كثرت المراعي شبعت البهائم فيأتي منها النسل، وإذا كثرت الأقوات شبعت الناس فتأتي منهم الذرية. قوله: **(وشمالاً)** هي ما جاءت من جهة القطب والجنوب ما قابلتها، والصبا ما جاءت من مطلع الشمس والدبور ما قابلتها. قوله: **(حارة وباردة)** أي

حيث شاء ﴿بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بلا علاقة ﴿لَآيَـٰتٍ﴾ دالات على وحدانيته تعالى ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٦٤﴾ يتدبرون ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿أَندَادًا﴾ أصناماً ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ بالتعظيم والخضوع ﴿كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ أي كحبهم له ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ من

وتأتي بالخير والشر ففي الحديث «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور»، والحاصل أن الريح تنقسم إلى قسمين رحمة وعذاب، ثم إن كل قسم ينقسم إلى أربعة أقسام ولكل قسم اسم، فأسماء أقسام الرحمة المبشرات والنشر والمرسلات والرخاء، وأسماء أقسام العذاب العاصف والقاصف وهما في البحر والعقيم والصرصر وهما في البر، وقد جاء في القرآن بكل هذه الأسماء، وقد نزل الأطباء كل ريح على طبيعة من الطبائع الأربع، فطبع الصبا الحرارة واليبس وتسميها أهل مصر الشرقية لأن مهبها من الشرق وتسمى قبولاً لاستقبالها وجهة الكعبة. وطبع الدبور البرد والرطوبة وتسميها أهل مصر الغربية لأن مهبها من الغرب وهي تأتي من دبر الكعبة، وطبع الشمال البرد واليبس وتسمى البحرية لأنه يسار بها في البحر على كل حال وقلما تهب ليلاً، وطبع الجنوب الحرارة وتسمى القبلية لأن مهبها من مقابلة القطب وهي عن يمين مستقبل المشرق وتسميها أهل مصر المريسية وهي من عيوب مصر المعدودة فإنها إذا هبت عليهم سبع ليال استعدوا للأكفان.

قوله: ﴿والسحَابِ﴾ أصله طرح شجرة في الجنة جعله الله محمولاً للريح يسير حيث شاء الله، فسيره أعجب من سير المراكب على ظهر البحر. قوله: **(بلا علاقة)** أي بلا شيء يتعلق به ويحفظه من السقوط. قوله: **(يتدبرون)** أي يتفكرون ويتأملون في عجائب قدرته فيعلمون أنه قادر على كل شيء، فهذا الدليل من تمسك به وأتقنه كفاه في عقائد إيمانه، وأما المقلد فهو من لم يحضر العلماء ولم يجلس بين أيديهم ولا يعرف الأرض من السماء كالبهائم.

قوله: ﴿وَمِنَ الناسِ﴾ هذه الآية وردت لاستعظام ما وقع من بعض بني آدم من الكفر بعد ثبوت البراهين القطعية، كأن الله يقول: أعجبوا لكفر بعض العبيد مع ثبوت الأدلة على وحدانيته تعالى، والجار والمجرور خبر مقدم، ومن يتخذ مبتدأ مؤخر، وهو اسم موصول وما بعد صلته أو نكرة موصوفة وما بعده صفة. قوله: ﴿مِنْ دوْنِ الله﴾ هي في الأصل ظرف مكان للمكان الأدنى، يقال: جلس فلان في مكان دون مكان زيد يعني أدنى منه، ثم أطلق الدون، وأريد الغيرية من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم لكن صار حقيقة عرفية في الغير.

قوله: ﴿أنْداداً﴾ مفعول يتخذ وقوله يحبونهم صفة لأنداداً، وفاعل يحبونهم عائد على من باعتبار المعنى وأفرد في يتخذ مراعاة للفظ. قوله: **(أي كحبهم له)** أي كحب المشركين فقد سووا في المحبة بين الله والأنداد، ويحتمل أن المعنى كحب المؤمنين لله فمحبة المشركين للأصنام كمحبة المؤمنين لله وهو الأقرب، واستشكل الأول بأنه لا يتأتى من عاقل التسوية في المحبة بين من يخلق ومن لا يخلق، أجاب المفسر بأن المراد بالحب التعظيم والخضوع وليس المراد الحب الحقيقي، فإن كل إنسان جبل على محبة خالقه. قوله: ﴿أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ﴾ أي فقد انفرد المؤمنون بمحبة الله، وأما محبة مثل الأنبياء والأولياء فمن المحبة لله، إن قلت إن الكفار كذلك يحبون الأنداد ليقربوهم إلى الله زلفى فيتقضي أنها أيضاً من المحبة لله. أجيب بأنهم

حبهم للأنداد لأنهم لا يعدلون عنه بحال ما والكفار يعدلون في الشدة إلى الله ﴿وَلَوْ يَرَى﴾ تبصر يا محمد ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ باتخاذ الأنداد ﴿إِذْ يَرَوْنَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول يبصرون ﴿ٱلْعَذَابَ﴾ لرأيت أمراً عظيماً وإذ بمعنى إذا ﴿أَنَّ﴾ أي لأن ﴿ٱلْقُوَّةَ﴾ القدرة والغلبة ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ حال ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ ﴿١٦٥﴾ وفي قراءة يرى بالتحتانية والفاعل ضمير السامع وقيل الذين ظلموا فهي بمعنى يعلم وأن وما بعدها سدت مسد المفعولين وجواب لو محذوف والمعنى لو علموا في الدنيا شدة عذاب الله وأن القدرة لله وحده وقت معاينتهم له وهو يوم القيامة لما اتخذوا من دونه أنداداً

كفروا بعبادتهم لهم لا بمجرد المحبة ففرق بين المحبة والعبادة، فلا يعبد إلا الله لا غيره، بخلاف المحبة من أجل كون ذلك المحبوب مقرباً مثلاً من الله كالأنبياء والأولياء ولذلك من عبدهم فقد كفر. قوله: **(لأنهم لا يعدلون عنه بحال)** أي فهذا وجه الأشدية. وحاصل ما قرره المفسر أن المشركين سووا الأنداد في المحبة بالله، والمؤمنين انفردوا بمحبة الله، ومع ذلك فهي أشد من محبة المشركين للأنداد، وقرر غيره أن قوله تعالى: (أشد حباً لله) أي من جهة أن المحبة من الطرفين، فالمؤمنون يحبون الله ويحبهم الله، وأما المشركون فلا يخلو إما أن يكون معبودهم عاقلاً أم لا فالأول يلعنهم ولا يحبهم، والثاني لا يوصف بحب ولا بغض على أنه يصير حصباً لهم في نار جهنم يعذبون به، فمحبة الله للعبد سابقة على محبة العبد لله، لأن الله هو الخالق للخير والهدى في القلوب، فحيث خلق الله في قلب الشخص النور والهدى والمحبة وفق العبد للرضا عنه ومحبته له وامتثاله أمره ونهيه، ولذا قال بعض العارفين:

أيها المعرض عنا ... إن إعراضك منا
لو أردناك جعلنا ... كل ما فيك يردنا

وإنما قال أشد حباً ولم يقل أحب، لأن اسم التفضيل لا يصاغ من الفعل المبني للمجهول، وحيث اختل منه شرط توصل له بأشد أو أشدد. قوله: **﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾** أظهر في محل الإضمار زيادة في التشنيع عليهم، والمراد بالظلم الكفر. قوله: **(باتخاذ الأنداد)** الباء للسببية ومفعول ظلموا محذوف تقديره أنفسهم. قوله: **(يبصرون)** على القراءة الأولى هو بضم الياء مع سكون الباء وكسر الصاد، وعلى الثانية بضم الياء وفتح الباء مع تشديد الصاد. قوله: **﴿الْعَذَابِ﴾** مفعول لقوله يرون. قوله: **(لرأيت أمراً عظيماً)** هذا هو جواب لو الشرطية. قوله: **(إذ بمعنى إذا)** جواب عن سؤال وهو أن إذ ظرف للماضي ورؤية العذاب مستقبل فالمحل لإذا فأجاب بذلك أو أنه نزل المستقبل منزلة الماضي لتحقق الحصول. قوله: **(أي لأن)** أشار بذلك إلى أنه علة لجواب لو أي رأيت أمراً عظيماً لكون القوة جميعها لله، فلا تخش من إمهالهم الفوات والهروب.

قوله: **﴿وَأن الله شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾** هذا لدفع توهم الكافر أنه وإن كانت له القوة جميعاً يمكن أن يسامح في ذلك فقال إن الله شديد العذاب. قوله: **(قيل ضمير السامع)** أي والذين ظلموا مفعوله والجواب محذوف تقديره لرأى أمراً فظيعاً. قوله: **(فهي بمعنى يعلم)** أي فتنصب مفعولين. قوله: **(وأن)** أي الأولى. قوله: **(سدت مسد المفعولين)** أي فهذا موجب فتحها، ويوجب فتحها أيضاً تأويلها بمصدر. قوله: **(والمعنى)** أي على هذا الوجه الأخير. قوله: **(وقت معاينتهم)** هذا تفسير لإذ. قوله: **(لما اتخذوا)**

﴿إِذْ﴾ بدل من إذ قبله ﴿تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾ أي الرؤساء ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ أي أنكروا إضلالهم ﴿وَ﴾ قد ﴿رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ﴾ عطف على تبرأ ﴿بِهِمُ﴾ عنهم ﴿ٱلْأَسْبَابُ﴾ ﴿١٦٦﴾ الوصل التي كانت بينهم في الدنيا من الارحام والمودة ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ أي المتبوعين ﴿كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا﴾ اليوم، ولو للتمني ونتبرأ جوابه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي كما أراهم شدة عذابه وتبرأ بعضهم من بعض ﴿يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ السيئة ﴿حَسَرَٰتٍ﴾ حال ندامات ﴿عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ ﴿١٦٧﴾ بعد دخولها. ونزل فيمن حرم السوائب ونحوها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا﴾ حال ﴿طَيِّبًا﴾ صفة موكدة أي مستلذاً ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ﴾ طرق ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي تزيينه ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ﴿١٦٨﴾ بين العداوة ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم

هذا هو جواب الشرط. قوله: **(إي الرؤساء)** أي كفرعون والنمروذ وعبد الله بن سلول وحيي بن أخطب وغيرهم. قوله: **(أي أنكروا إضلالهم)** أي قالوا يا ربنا لم نضل هؤلاء بل ضلوا في أنفسهم وكفروا بإرادتهم. قوله: **(عنهم)** أشار بذلك إلى أن الباء بمعنى عن على حد (فاسأل به خبيراً). قوله: **(من الأرحام)** قال تعالى: (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه). قوله: **(ونتبرأ جوابه)** أي فهو منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية.

قوله: **﴿كَذٰلِكَ﴾** أي يتحاجون ولا تنفعهم المحاججة. قوله: **(وتبرأ بعضهم)** معطوف على أراهم أي مثل ما أراهم شدة العذاب ومثل ما تبرأ بعضهم يريهم. قوله: **﴿أعمَالَهُمْ﴾** أي جزاءها. قوله: **(حال) أي من أعمالهم**. قوله: **(ندامات)** جمع ندامة. قوله: **(ونزل فيمن حرم السوائب)** أي وهم قبائل العرب حرموا أموراً لم يرد تحريمها من الشرع، والسوائب جمع سائبة والمراد بها في عرف الجاهلية الناقة أو البعير المنذورة للصنم، كان يقول الواحد منهم: إن قدمت من سفري فناقتي أو بعيري سائبة للأصنام، فتصير لا ملك لأحد عليها ولا تؤكل وإن ذكيت. قوله: **(ونحوها)** أي كالبحيرة والوصيلة والحام. فالبحيرة هي المنذورة اللبن للأصنام، والوصيلة التي تبكر بالأنثى ثم تتبعها بالأنثى فإن الأم صارت عتيقة الأصنام لا يحمل عليها ولا يؤكل لبنها ولا لحمها، والحام فحل الإبل يضرب مدة في الإبل معلومة فإذا استوفاها صار عتيقاً للأصنام، وسيأتي إيضاح ذلك.

قوله: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾** هذا خطاب لأهل مكة ولا ينافيه كون السورة مدنية فإن ذلك من حيث النزول. قوله: **﴿مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾** من للتبعيض لأن بعض ما في الأرض لا يجوز أكله، كالحجارة والخنزير وما ورد تحريمه. قوله: **(صفة مؤكدة)** أي فمعنى الطيب الحلال، وقوله: **(أي مستلذاً)** أي لنفس المؤمن وهو ما عدا الحرام، هكذا في نسخة، وفي نسخة أخرى أو مستلذاً وهي أولى فعليها هو صفة مخصصة، فإن الحلال بعضه غير مستلذ كالصبر والمر، وبعضه مستلذ كالسمن والعسل، والحاصل أنه إن أريد بالمستلذ الشرعي وهو ما عدا الحرام فالصفة مؤكدة ويناسبها نسخة أي مستلذاً، وإن أريد به المستلذ الطبعي أي الذي لا يمجه الطبع فالصفة مخصصة ويناسبها نسخة أو مستلذاً. قوله: **﴿خُطُوَاتِ﴾** بسكون الطاء وضمها قراءتان سبعيتان، وقرأ أبو السماك بفتح الخاء والطاء. قوله: **(أي تزيينه)** أي فأطلق الخطوات التي هي ما بين القدمين وأراد التزيين، والجامع بينهما الإتباع في كل. قوله: **﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾**

﴿بِٱلسُّوٓءِ﴾ الإثم ﴿وَٱلْفَحْشَآءِ﴾ القبيح شرعاً ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٦٩﴾ من تحريم ما لم يحرم وغيره ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ أي الكفار ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من التوحيد وتحليل الصيبات ﴿قَالُواْ﴾ لا ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا﴾ وجدنا ﴿عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ من عبادة الأصنام وتحريم السوائب والبحائر، قال تعالى ﴿أَ﴾ يتبعونهم ﴿وَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا﴾ من أمر الدين ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ ﴿١٧٠﴾ إلى حق والهمزة للإنكار ﴿وَمَثَلُ﴾ صفة ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ومن يدعوهم

هذا علة للنهي عن ابتاع تزيينه. قوله: **(بين العداوة)** أي للصالحين، وأما غيرهم فلا يظهر عداوته لمصاحبتهم له، ويقرب ذلك البيت الذي فيه النور فإنه يبين فيه كل مؤذ بخلاف غيره.

قوله: **﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ﴾** هذا كالعلة لقوله إنه لكم عدو مبين، والسوء اسم جامع لما يغضب الله كان فيه حد أو لا سمي بذلك لأنه بسوء صاحبه، فعطف الفحشاء عليه من عطف الخاص على العام لأن المراد بها الكبائر، وكلام المفسر يريد أن السوء والفحشاء مترادفان وكل صحيح. قوله: **﴿وَأَنْ تَقُولُوا﴾** معطوف على السوء أي وقولهم على الله. قوله: **(من تحريم ما لم يحرم)** أي كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وقوله: **(وغيره)** أي كاتخاذ أنداد غير الله. قوله: **(من التوحيد)** أي فلا تعبدوا إلا الله ولا تشركوا به شيئاً. قوله: **(وتحليل الطيبات)** أي كالبحائر والسوائب والوصيلة والحام وهو لف ونشر مرتب، فإن قوله من التوحيد راجع لقوله ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً، وقوله وتحليل الطيبات راجع لقوله يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً.

قوله: **﴿قَالُوا﴾ (لا)** أي لا نتبع ما أنزل الله، وقوله بل نتبع بل للإضراب الإبطالي وهو معطوف على جملة محذوفة، أشار لها المفسر بتقدير لا قيل كل اضراب في القرآن انتقالي أي يفيد الإنتقال من قصة إلى قصة إلا هذه، وإلا بل في قوله تعالى: أم يقولون افتراء بل هو افتراء بل هو الحق من ربك، فمحتمل للأمرين، فإن اعتبرت قوله أم يقولون افتراء كان انتقالياً، وإن اعتبرت افتراء وحده كان ابطالياً. قوله: **(وجدنا)** إن كانت وجد بمعنى أصاب نصبت مفعولاً واحداً وهو آباؤنا وقوله عليه ظرف لغو متعلق بألفينا، وإن كانت بمعنى علم نصبت مفعولين عليه وآباؤنا. قوله: **(من عبادة الأصنام)** راجع للفريق الأول، وقوله تحريم السوائب إلخ راجع للفريق الثاني، فهو لف ونشر مرتب. قوله: **﴿أَ﴾ (يتبعونهم)** أشار بذلك إلى أن الهمزة للإنكار داخلة على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف، والجملة حالية فالواو للحال أيضاً. قوله: **﴿وَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً﴾** أي فهم تابعون لهم سواء ظهر لهم عقل آبائهم وهداهم أو شكوا في ذلك، بل ولو ظهر لهم عدم عقلهم وعدم هداهم. قوله: **(والهمزة للإنكار)** أي والتوبيخ والتعجب، والمعنى لا يليق منك بذلك.

قوله: **﴿وَمَثَلُ الذِينَ كَفَرُوا﴾** أي المدعوين وقوله: **(ومن يدعوهم)** أي كالأنبياء فقد حذف الداعي من هنا وذكر ما يدل عليه بقوله كمثل الذي ينعق، والمعنى أن مثل الكفار في عدم سماع المواعظ والآيات والبراهين القطيعة ومثل داعيهم وهو النبي في تكرار المواعظ والآيات، كمثل راع يرشد البهائم الوحشية بصوته إلى مصالحها، فكما أن البهائم الوحشية لا ينفع فيها الصوت ولا تفهمه ولا تعقل معناه، بل لا يرشدها إلا الضرب مثلاً، كذلك الكفار لا تنفع فيهم المواعظ والآيات، بل جزاؤهم في الدنيا

إلى الهدى ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنْعِقُ﴾ يصوت ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ أي صوتاً ولا يفهم معناه أي هم في سماع الموعظة وعدم تدبرها كالبهائم تسمع صوت راعيها ولا تفهمه هم ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝١٧١﴾ الموعظة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ﴾ حلالات ﴿مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ﴾ على ما أحل لكم ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝١٧٢﴾ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾ أي أكلها إذ الكلام فيه وكذا ما بعدها وهي ما لم يذكَّ شرعاً وألحق بها بالسنة ما أبين من حي وخص

السيف وفي الآخرة النار وعذابها. قوله: ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾ الباء بمعنى على. قوله: ﴿وَنِدَاءً﴾ عطف مرادف. قوله: **(كالبهائم)** أي الوحشية وإلا فالإنسية ربما تسمع صوت راعيها وتنزجر به. قوله: **(هم)** ﴿صُمٌّ﴾ أشار بذلك إلى أن صم وما عطف عليه خبر لمبتدأ محذوف، وقوله صم أي لا يسمعون المواعظ ولا ينزجرون بها، وقوله: ﴿بُكْمٌ﴾ أي لا ينطقون بالحق، وقوله عمي أي لا ينظرون الهدى ولا يتبعونه وإن كانت صورة الحواس موجودة. قوله: ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ نتيجة ما قبله.

تنبيه: ما حل به المفسر هذه الآية هو أظهر التفاسير لأنهم اختلفوا في ذلك فمنهم من قال مثل ما قال المفسر، ومنهم من قال إن المثل مضروب لتشبيه الكافر في دعائه للأصنام بالناعق على البهائم، ومنهم من قال غير ذلك.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا﴾ جرت عادة الله في كتابه غالباً ومناداة أهل مكة بيا أيها الناس، ومناداة أهل المدينة بيا أيها الذين آمنوا. قوله: **(حلالات)** أي مستلذة كانت أو لا أو المراد المستلذات وتقدم ذلك، ويطلق الطيب في المأكولات على الطاهر، قال تعالى: (فتيمموا صعيداً طيباً) وقوله من طيبات من تبعيضية في موضع المفعول، والأمر للوجوب بالنسبة لإقامة البنية، وللندب بالنسبة للإستعانة على أمور مندوبة، وللإباحة إن كان تفكهاً أو تبسطاً. قوله: ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ يصح أن تكون ما مصدرية أي من طيبات رزقنا إياكم أو اسم وصول. والجملة صلة أو نكرة موصوفة والجملة صفة أي من طيبات الشيء الذي رزقناكموه، أو شيء رزقناكموه ويؤخذ من ذلك أن ذلك الرزق بعضه حلال وبعضه غير حلال وهو مذهب أهل السنة، قال في الجوهرة:

فيرزق الله الحلال فاعلما ويرزق المكروه والمحرما

قوله: ﴿واشْكُرُوا لله﴾ أي اعتقدوا أن النعم صادرة لكم من الله، وهو بذلك المعنى واجب وإنكاره كفر، أو المعنى راقبوا في كل لحظة أن كل نعمة من الله وهو بهذا المعنى مندوب لأن هذا مقام الخواص. قوله: ﴿إنْ كُنْتُمْ إيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ إن شرطية وكنتم فعل الشرط، والتاء اسمها وجملة تعبدون خبرها وإياه مفعول تعبدون قدم رعاية للفواصل وللحصر، وجواب الشرط محذوف دل عليه الأمر أي فكلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله.

قوله: ﴿إنَّمَا حَرَمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ المقصود من هذا الحصر الرد على من حرم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وعلى من أحل بعض المحرمات فالحصر إضافي. قوله: **(وهو ما لم يذك شرعاً)** أي إما لكونها لا تعمل فيه أصلاً كالبغال والحمير أو تعمل فيه ولكن لم يذك كالأنعام إجماعاً والخيل على مذهب الشافعي. قوله: **(ما أبين من حي)** أي فهو ميتة. قوله: **(وخص منها السمك والجراد)** أي لما في الحديث

منها السمك والجراد ﴿وَٱلدَّمَ﴾ أي المسفوح كما في الأنعام ﴿وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾ خص اللحم لأنه معظم المقصود وغيره تبع له ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ أي ذبح على اسم غيره والاهلال رفع الصوت وكانوا يرفعونه عند الذبح لآلهتهم ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ أي ألجأته الضرورة إلى أكل شيء مما ذكر فأكله ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ خارج على المسلمين ﴿وَلَا عَادٍ﴾ متعد عليهم بقطع الطريق ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في أكله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لأوليائه ﴿رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ بأهل طاعته حيث وسع لهم في ذلك وخرج الباغي والعادي ويلحق بهما كل عاص بسفره كالآبق والمكاس فلا يحل لهم أكل شيء من ذلك ما لم يتوبوا، وعليه الشافعي ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ المشتمل على نعت محمد

«أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال» وإنما أحل الكبد والطحال المنفصلان من الحيوان بعد ذكاته شرعاً لكونهما ليسا من الدم المسفوح. قوله: (أي المسفوح) أي ولو من سمك خلافاً لأبي حنيفة، ومن هنا اختلف في الفسيخ فقال الأئمة الثلاثة: محرمة أكله وبيعه لشرب بعضه من دم بعض حين تكديسه، وقال أبو حنيفة بطهارته لأنه لا دم له أصلاً، وإنما الذي ينزل منه دهن لا دم بدليل أنه لو نشف لصار أبيض لا أحمر، وقال أستاذنا العارف بالله تعالى شيخنا الشيخ الدردير الذي أدين الله به أن الفسيخ بجميع أجزائه طاهر يجوز أكله، وأما لو نشف بحيث لم يسل منه دم كالسمك المالح فهو طاهر حلال بإجماع. قوله: (كما في الأنعام) أي في سورة الأنعام في قوله تعالى: (قل لا أجد فيما أوحي إلي محرماً) الآية، فما هنا يقيد بما هناك.

قوله: ﴿وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾ أي البر إنسياً أو وحشياً، وأما البحري فهو حلال وكلبه كذلك. قوله: (وغيره تبع له) ظاهره حتى الشعر ولكن مذهب مالك حل لبسه والانتفاع. قوله: (والإهلال رفع الصوت) أي قد سمي الشيء باسم صاحبه، ولذلك يقال استهل المولود بمعنى صاح عند الولادة وسمي الهلال بذلك لرفع الصوت عند رؤيته. قوله: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ هذا كالإستدراك على عموم قوله: (إنما حرم عليكم الميتة). قوله: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ حال من الضمير في اضطر. قوله: (لأوليائه) أي الذين أكلوا عن اضطرار. قوله: (حيث وسع لهم في ذلك) أي فأباح لهم أكلها والشبع منها حيث كانت المخمصة دائمة، وأجمعت الأئمة على ذلك، واختلفوا إذا لم تدم المخمصة فرجح مالك الشبع والتزود وذكره غيره قولين، وعلى كل فإذا استغنى عنها طرحها ويقدم الميتة وما أهل لغير الله في الأكل على لحم الخنزير. قوله: (وعليه الشافعي) أي فمذهب الشافعي أن العاصي بسفره لا يأكل من الميتة إلا إن تاب، وأما مذهب مالك وأبي حنيفة أن العاصي بسفره له الأكل من الميتة وإن لم يتب، وفسر قوله غير باغ أي غير طالب الميتة وما معها وهو يجد غيرها وغير عاد أي متعد ما أحل الله وقيل غير مستحل لها.

قوله: ﴿إِنَّ الذينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ الله مِنَ الكِتَابِ﴾ نزلت هذه الآية في حق علماء اليهود، وقد كانوا يأخذون من سفلتهم مالاً، وكانوا يودون أن نبي آخر الزمان يكون منهم، فلما بعث رسول الله من غيرهم خافوا أن رئاستهم تذهب بسبب ظهوره واتباع سفلتهم له، فينقطع ما كان يصلهم من سفلتهم فغيروا صفته وصفة أصحابه وبلده حرصاً على الرياسة وعلى ما كانوا يأخذونه من سفلتهم، قال تعالى: (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون). قوله: (المشتمل على

وهم اليهود ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا يأخذونه بدله من سفلتهم فلا يظهرونه خوف فوته عليهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ لأنها مآله ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ غضباً عليهم ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من دنس الذنوب ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾﴾ مؤلم، هو النار ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ أخذوها بدله في الدنيا ﴿وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ﴾ المعدة لهم في الآخرة لو لم يكتموا ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾﴾ أي ما أشد صبرهم وهو تعجيب للمؤمنين من ارتكابهم موجباتها من غير مبالاة وإلا فأي صبر لهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكر من أكلهم النار وما بعدها ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أن ﴿ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بنزل فاختلفوا فيه حيث آمنوا ببعضه وكفروا

نعت محمد) أي فالكتاب مشتمل على أمور كثيرة، منها نعت محمد ومنها غيره، فالمغير إنما هو المشتمل على نعت محمد لا جميع ما في الكتاب. قوله: **(يأخذونه بدله)** أي يأخذون الثمن بدل الكتمان، بمعنى أن الحامل لهم على الكتمان إنما هو العرض الفاني الذي يأخذونه من سفلتهم، وليس المراد أنهم قالوا لهم خذوا هذا المال واكتموا وصف محمد. قوله: **(خوف فوته)** أي الأمر الدنيوي عليهم. قوله: **﴿إلَّا النارَ﴾** أي سببها كما يشير له قول المفسر لأنها مآله أي مأواه وعاقبة أمره ففيه مجاز الأول.

قوله: **﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمْ الله﴾** أي كلام رضا بل يكلمهم كلام غضب. قوله: **(غضباً عليهم)** أي من أجل غضبه عليهم أي طرده لهم وإبعادهم عن رضاه. قوله: **(يطهرهم من دنس الذنوب)** أو المعنى لا يشهد لهم بالطهارة يوم القيامة قوله: **﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم﴾** هذا بيان حالهم في الآخرة وهو عدم كلام الله لهم المترتب على كتمانهم، وعدم طهارة الله لهم المترتب على اشترائهم ثمناً قليلاً، والعذاب الأليم المترتب على أكلهم سبب النار.

قوله: **﴿أُولَئِكَ الذينَ اشْتَرَوُا﴾** هذا بيان لحالهم في الدنيا. قوله: **﴿بِالْهُدَىٰ﴾** الباء داخلة على المتروك أي فقد تركوا الهدى وأخذوا الضلالة بدله. قوله: **(لو لم يكتموا)** لو شرطية وجوابها محذوف تقديره ما اشتروا العذاب بالمغفرة. قوله: **﴿فَمَا اصْبَرَهُمْ عَلى النارِ﴾** الأحسن أن ما نكرة تامة مبتدأ والجملة بعدها في محل رفع خبر، والمعنى أي شيء أصبرهم على النار فأصبر فعل تعجب والفاعل مستتر وجوباً والهاء مفعول وقيل استفهامية فيها معنى التعجب والإعراب واحد، وقيل اسم موصول وما بعدها صلتها والخبر محذوف، وقيل نكرة موصوفة وما بعدها صفتها والخبر محذوف. قوله: **(أي ما أشد صبرهم)** هذا حل معنى لا إعراب. قوله: **(وهو تعجيب للمؤمنين)** جواب عن سؤال مقدر، حاصله أن التعجب هو استعظام شيء خفي سببه وذلك مستحيل على الله تعالى لأنه لا يخفى عليه خافية، فأجاب بأن التعجب واقع من المؤمنين، فالمعنى تعجبوا أيها المؤمنون من صبر هؤلاء على موجبات النار التي من جملتها الكتمان وأخذهم الثمن القليل وغير ذلك من غير مبالاة قوله: **(وإلا فأي صبر لهم)** أي وإلا نقدر موجبات بل لو أبقينا الكلام على ظاهره فلا يصح ذلك لأنه ليس لأحد صبر على ذات النار. قوله: **(الذي ذكر)** أي وهو أمور ستة: أكلهم سبب النار وعدم كلام الله وعدم تزكيته لهم والعذاب الأليم واشتراؤهم الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة.

قوله: **﴿نَزَّلَ الكِتابَ﴾** المراد به التوراة باتفاق المفسرين، وإنما الخلاف في الكتاب الثاني. قوله:

ببعضه بكتمه ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ بذلك وهم اليهود وقيل المشركون في القرآن حيث قال بعضهم شعر وبعضهم سحر وبعضهم كهانة ﴿لَفِي شِقَاقٍ﴾ خلاف ﴿بَعِيدٍ﴾ ﴿١٧٦﴾ عن الحق ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ في الصلاة ﴿قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾ نزل رداً على اليهود والنصارى حيث زعموا ذلك ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ﴾ أي ذا البر وقرىء بفتح الباء أي البار ﴿مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ﴾ أي الكتب ﴿وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ﴾ مع ﴿حُبِّهِۦ﴾ له ﴿ذَوِي

(**فاختلفوا فيه**) قدره المفسر لتمام الفائدة وإلا فالسبب ليس نزول الكتاب بالحق فقط. قوله: (**وكفروا ببعضه**) أي فما وافق هواهم آمنوا به وما خالفه كتموه وقالوا لم ينزله ربنا. قوله: (**وهم اليهود**) أي فالمراد بالكتاب التوراة والآية من تمام ما قبلها. قوله: (**وقيل المشركون**) أي فهو كلام مستأنف والكتاب هو القرآن. قوله: (**حيث قال بعضهم شعر**) هذا هو وجه الإختلاف. قوله: **﴿بَعِيدٍ﴾ ﴿عن الحق﴾** أي فمن آمن بالبعض وكفر بالبعض لم يصادف الحق بل هو بعيد عنه، ومن قال من المشركين إنه شعر أو سحر أو كهانة أو غير ذلك لم يصادف الحق بل هو بعيد عنه، وبهذه الآية تم الرد على جميع من كفر كان من اليهود أو المشركين.

قوله: **﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾** هذا ابتداء نصف السورة الثاني وهو متعلق بتبيين غالب أحكام الدين، وأما النصف الأول فهو متعلق بأصول الدين وقبائح اليهود، والبر بالنصب والرفع قراءتان سبعيتان، فمن نصب جعله خبراً لليس مقدماً وأن تولوا في تأويل مصدر اسمها مؤخر، ومن رفع جعله اسمها وأن تولوا خبرها، والبراسم جامع لكل خير، كما أن الإثم اسم جامع لكل شر. قوله: (**نزل رداً على اليهود والنصارى**) أي فقد زعم النصارى أن البر في استقبال جهة طلوع الشمس، وزعم اليهود أن البر في استقبال بيت المقدس، فالمراد بالمغرب ما عدا المشرق فيشمل جهة الشمال وقيل بكسر القاف وفتح الباء ظرف مكان معناه جهة، وقيل نزلت رداً على المسلمين وكانوا في صدر الإسلام أمروا بالإيمان بالله والصلاة فقط لأي جهة كانت، فالمعنى ليس البر كما تعتقدون أنه مقصور على الإيمان والصلاة فقط بل هو من جميع هذه الخصال والأظهر الأول. قوله: (**أي ذا البر**) قدر ذا إشارة إلى أن من اتصف بهذه الخصال يسمى باراً لا براً، وبالجملة يقال فيه ما قيل في زيد عدل وقيل إن براً اسم فاعل أصله برر نقلت كسرة الراء إلى الباء ثم أدغمت إحدى الراءين في الأخرى.

قوله: **﴿مَنْ آمَنَ بالله﴾** أي صدق بقلبه ونطق بلسانه أن الله يجب له كل كمال ويستحيل عليه كل نقص. قوله: **﴿وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾** أي ما يتعلق به من الحشر والنشر والصراط والميزان والجنة والنار وما فيهما من الثواب والعقاب. قوله: **﴿وَالْمَلائِكَةِ﴾** أي بأنهم عباد مكرمون، أجسام نوارنية لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون. قوله: (**أي الكتب**) أي المنزلة من عند الله على أنبيائه. قوله: **﴿والنبِيِّينَ﴾** أي إجمالاً في الإجمالي وتفصيلاً في التفصيلي، فيجب الإيمان بخمسة وعشرين منهم وهم المذكورون في القرآن. قوله: (**مع**) **﴿حُبِّهِ﴾** (**له**) أي المال بأن يعطيه مع كونه يحبه لنفسه، ويحتمل أن المعنى مع حبه لله أي يعطي المال مع كونه يحب الله، وكل صحيح. قوله: (**القرابة**) أي فإعطاء الأقارب مقدم لأن فيه قربتين الصدقة وصلة الرحم.

﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾ القرابة ﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ المسافر ﴿وَٱلسَّآئِلِينَ﴾ الطالبين ﴿وَفِى﴾ فك ﴿ٱلرِّقَابِ﴾ المكاتبين والأسرى ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ المفروضة وما قبله في التطوع ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟﴾ الله أو الناس ﴿وَٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ نصب على المدح ﴿فِى ٱلْبَأْسَآءِ﴾ شدة الفقر ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ المرض ﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ وقت شدة القتال في سبيل الله ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾ في إيمانهم أو ادعاء البر ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ ﴿١٧٧﴾ الله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾ المماثلة ﴿فِى ٱلْقَتْلَى﴾ وصفاً وفعلاً ﴿ٱلْحُرُّ﴾ يقتل ﴿بِٱلْحُرِّ﴾ ولا يقتل بالعبد ﴿وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ وبينت السنة أن الذكر يقتل بها وأنه

قوله: **﴿وَالْيَتَامَى﴾** أي الفقراء منهم وهم من مات أبوهم قبل بلوغهم. قوله: **﴿وَالمَسَاكِينَ﴾** المراد ما يشمل الفقراء وهم المحتاجون. قوله: **(المسافر)** أي الغريب ولو مليئاً ببلده. قوله: **(الطالبين)** أي مطلقاً لما في الحديث: «أعطوا السائل ولو جاء على فرس». قوله: **(المكاتبين)** أي ليستعينوا على فك رقابهم من الرق. قوله: **(والأسرى)** أي ليستعينوا على خلاص أنفسهم من الكفرة. قوله: **(المفروضة)** أي ومن المعلوم أن لها أصنافاً مذكورة في الفقه تصرف لها.

قوله: **﴿وَالْمُوْفُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾** أي وهم من إذا وعدوا أنجزوا، وإذا نذروا أوفوا، وإذا حلفوا لم يحنثوا في أيمانهم، وإذا قالوا صدقوا في أقوالهم، وإذا ائتمنوا لم يخونوا، والموفون معطوف على من آمن، التقدير ولكن البر المؤمنون والموفون. قوله: **(نصب على المدح)** أي بفعل محذوف تقديره وأمدح الصابرين وخصهم بالذكر، لأن الصبر يزين العبادة وتركه يشينها. قوله: **(شدة الفقر)** أي فلا يشكون لأحد غير الله لأنه يحب الملحين في الدعاء. قوله: **(وقت شدة القتال)** أي فلا يفر من الأعداء. قوله: **(الموصوفون بما ذكر)** أي بجميع هذه الخصال، قال بعضهم: لا تكون هذه الخصال جميعها إلا في الأنبياء، وقال بعضهم لا مانع أن تكون في غيرهم. قوله: **(أو دعاء البر)** أي فمعنى الصدق هنا الصدق في الأقوال، فإذا أخبروا بشيء فهم صادقون فيه.

قوله: **﴿وَأُولَئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ﴾** **(الله)** أي الكاملون في التقوى. قوله: **(فرض)** **﴿عَلَيْكُمْ﴾** إن قلت إن مقتضى الفرض أنه متحتم لا يجوز العدول عنه وهو مخالف لما يأتي. أجيب بأن الفرض بالنسبة لولاة الأمور إذا شح الولي وأبى إلا القتل، فالمعنى يجب عليهم فعل القتل إن شح المولى ولم يعف. وسبب نزول الآية أن رسول الله لما دخل المدينة وجد الأوس والخزرج يتفاخران على بعضهم فصاروا يقتلون الأثنين بالواحد والحر بالعبد منهم، فنزلت هذه الآية فآمنوا وأسلموا. قوله: **﴿الْقِصَاصُ﴾** نائب فاعل كتب وقوله في القتلى أي بسببها ففي للسببية على حد «دخلت امرأة النار في هرة حبستها» والقتلى جمع قتيل. قوله: **(المماثلة)** أي التماثل في الوصف والفعل وهذا هو المراد به هنا، وإلا فالقصاص في الأصل القود وهو قتل القاتل. قوله: **(وصفا)** أي يشترط التماثل في الوصف بأن يكون مماثلاً له في وصفه من حرية وإسلام، وبالجملة فالمدار في القصاص من كون القاتل مثل المقتول أو أدنى، فإن كان أعلى منه إما بالدين أو الحرية فلا قود. قوله: **(وفعلاً)** أي فلو قتل بسيف فإنه يقتل به أو بغيره فبغيره. قوله: **(ولا يقتل بالعبد)** أي بل يلزمه قيمته ويضرب مائة ويحبس سنة كما بينته السنة.

تعتبر المماثلة في الدين فلا يقتل مسلم ولو عبداً بكافر ولو حراً ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ﴾ من القاتلين ﴿مِنْ﴾ دم ﴿أَخِيهِ﴾ المقتول ﴿شَىْءٌ﴾ بأن ترك القصاص منه وتنكير شيء يفيد سقوط القصاص بالعفو عن بعضه ومن بعض الورثة وفي ذكر أخيه تعطف داعٍ إلى العفو وإيذان بأن القتل لا يقطع أخوة الإيمان ومن مبتدأ شرطية أو موصولة والخبر ﴿فَٱتِّبَاعٌۢ﴾ أي فعلى العافي اتباع للقاتل ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بأن يطالبه بالدية بلا عنف، وترتيب الاتباع على العفو يفيد أن الواجب أحدهما وهو أحد قولي الشافعي والثاني الواجب القصاص والدية بدل عنه فلو عفا ولم يسمها فلا شيء ورجح ﴿وَ﴾ على القاتل ﴿أَدَآءٌ﴾ للدية ﴿إِلَيْهِ﴾ أي العافي وهو الوارث ﴿بِإِحْسَٰنٍ﴾ بلا مطل ولا بخس ﴿ذَٰلِكَ﴾ الحكم المذكور من جواز القصاص والعفو عنه على الدية ﴿تَخْفِيفٌ﴾ تسهيل ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ عليكم ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ بكم حيث وسع في ذلك ولم يحتم واحداً منهما كما حتم على اليهود القصاص وعلى النصارى الدية ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ﴾ ظلم القاتل بأن قتله ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي العفو ﴿فَلَهُۥ

قوله: ﴿وَٱلْعَبْدِ بِٱلْعَبْدِ﴾ أي إن طلب سيد المقتول القصاص وإلا فله إما قيمة القاتل أو المقتول أو ذات القاتل، والخيار في ذلك لسيد القاتل. قوله: **(وأن الذكر يقتل بالأنثى)** أي وبالعكس. قوله: **(وأنه تعتبر المماثلة)** معطوف على أن الذكر مسلط عليه قوله وبينت السنة. قوله: **(فلا يقتل مسلم إلخ)** أي فالإسلام أعلى من الحرية وعكسه يقتل به. قوله: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ﴾ هذا تقييد لما قبله، وسيأتي للمفسر أن من يصح أن تكون شرطية أو موصولة فالمعنى على الثاني، فالشخص الذي ترك له شيء من دم أخيه فاتباع بالدية بالمعروف، وقرن بالفاء لما في المبتدأ من معنى الشرط وعلى الأول فأي شخص ترك له الخ فقد بطل القتل فلا مطالبة به. قوله: **(من القاتلين)** بيان لمن.

قوله: ﴿مِنْ﴾ (دم) ﴿أخيه﴾ أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: **(المقتول)** وصف للأخ. قوله: **(عن بعضه)** أي القصاص ولو شيئاً يسيراً كعشرة وذلك كما إذا كان الولي واحداً وعفا عن بعض القصاص. قوله: **(ومن بعض الورثة)** أي ولو كان العافي واحداً من ألف مثلاً ولمن بقي نصيبه من الدية. قوله: **(تعطف)** أي من الله. قوله: **(لا يقطع أخوة الإيمان)** أي خلافاً للخوارج القائلين بقطع الإيمان بالمعاصي. قوله: (والخبر) ﴿فاتِّبَاعٌ﴾ أي جملته من المبتدأ والخبر الذي قدره المفسر بقوله فعلى العافي اتباع.

قوله: ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لاتباع أي اتباع ملتبس بالمعروف. قوله: **(وترتيب الإتباع على العفو)** أي بعد ذكر وجوب القصاص. قوله: **(أن الواجب أحدهما)** أي القصاص أو الدية، فالدية واجب مستقل مقابل للقصاص. قوله: **(وهو أحد قولي الشافعي)** أي ومالك أي فأحد قوليهما أن الواجب أحدهما، فإذا كان عفا على الدية وامتنع من إعطائها فله جبره على الدية ولا يقتل. قوله: **(والثاني الواجب القصاص إلخ)** أي فالخيار للأولياء في ثلاثة، إما القصاص أو العفو على الدية أو مجاناً، فلو عفوا على الدية وامتنع القاتل من دفعها فللأولياء إما قتله أو العفو مجاناً، وهذا هو المرتضى في المذهبين. قوله: **(فلا شيء)** أي على هذا القول وأما على الأول فيلزمه الدية. قوله: **(والعفو عنه لا على الدية)** أي أو مجاناً كما بينته السنة. قوله: **(بأن قتله)** ﴿بَعْدَ ذٰلِكَ﴾ أي فحيث ترك حقه لا حق له.

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١٧٨﴾ مؤلم في الآخرة بالنار أو في الدنيا بالقتل ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ أي بقاء عظيم ﴿يَٰٓأُوْلِي الْأَلْبَٰبِ﴾ ذوي العقول لأن القاتل إذا علم أنه يقتل ارتدع فأحيا نفسه ومن أراد قتله فشرع ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿١٧٩﴾ القتل مخافة القود ﴿كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي أسبابه ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ مالاً ﴿الْوَصِيَّةُ﴾ مرفوع بكتب، ومتعلق إذا إن كانت ظرفية ودال على جوابها إن كانت شرطية وجواب إن أي فليوص ﴿لِلْوَٰلِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالعدل بأن لا يزيد على الثلث ولا يفضل الغنى ﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٨٠﴾ الله وهذا منسوخ بآية الميراث وبحديث «لا وصية لوارث» رواه الترمذي ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ﴾ أي الإيصاء من شاهد ووصي ﴿بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ﴾ علمه ﴿فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ﴾ أي الإيصاء المبدل ﴿عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمر ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لقول الموصي ﴿عَلِيمٌ﴾ ﴿١٨١﴾

قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ﴾ هذا هو حكمة القصاص. قوله: **(بقاء عظيم)** أي للقاتل والمقتول. قوله: ﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ جمع لب وهو العقل الكامل. قوله: **(فشرع)** تفريع على بيان الحكمة وأخره لتعلق لعلكم تتقون به. قوله: **(مخافة القود)** أي مخافة أن يقتص منكم. قوله: **(أي أسبابه)** أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، والمراد بأسبابه علاماته كالأمراض الشديدة والجراحات التي يظن منها الموت عادة. قوله: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْراً﴾ شرط في الشرط الذي هو إذا. قوله: **(مالاً)** سماه خيراً إشارة إلى أنه ينبغي أن يكون حلالاً طيباً. قوله: **(مرفوع بكتب)** أي على أنه نائب الفاعل ولو لم توجد في الفعل علامة التأنيث لوجود الفاصل سيما مع كونه مجازي التأنيث كقولهم طلع في النهار الشمس. قوله: **(إن كانت ظرفية)** أي محضة لم يكن فيها معنى الشرط بل المراد منها الوقت والزمن. إن قلت الوصية إما مصدر أو اسم مصدر والمصدر أو اسمه لا يتقدم معموله عليه. أجيب بأنه يتوسع في الظرف ما لا يتوسع في غيرها. قوله: **(وجواب إن)** بالجر معطوف على جوابها أي ودالة على جواب إن وقوله أي فليوص هذا هو جواب إذا وإن.

قوله: ﴿لِلْوَالِدَيْنِ﴾ متعلق بالوصية، وقوله: ﴿والأَقْرَبِينَ﴾ عطف عام على خاص. قوله: **(مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله)** أي حيث صدر بقوله كتب على حد: زيد أبوك عطوفاً، واستشكل بأن المصدر المؤكد لا يعمل مع أنه عامل في قوله على المتقين، فالأحسن أن يجعل مصدراً مبيناً للنوع إلا أن يقال يتوسع في الظرف والمجرورات ما لا يتوسع في غيرها لأنه يكتفي فيها بأي عامل ولو ضعيفاً قوله: **(وهذا منسوخ)** أي الحكم لا التلاوة فحكمها حكم القرآن. قوله: **(بآية الميراث)** أي قوله تعالى: **(يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين)** الآيات. قوله: **(لا وصية لوارث)** صدره إن الله أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية إلخ. قوله: **(أي الإيصاء)** أي أو المعروف أو الوصية. قوله: **(من شاهد ووصي)** بيان لمن. قوله: **(علمه)** أي ولو لم يسمعه من الموصي. قوله: **(أي الإيصال المبدل)** أو المعروف. قوله: **(فيه إقامة الظاهر إلخ)** أي مع مراعاة معنى من، ولو راعى لفظها لقال على الذي بدله، ولو أضمر لقال عليه.

بفعل الوصي فمجاز عليه ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ﴾ مخففاً ومثقلاً ﴿جَنَفًا﴾ ميلاً عن الحق خطأ ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ بأن تعمد ذلك بالزيادة على الثلث أو تخصيص غنى مثلاً ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ بين الموصي والموصى له بالعدل ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في ذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٨٢﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ من الأمم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٨٣﴾ المعاصي فإنه يكسر الشهوة التي هي مبدؤها ﴿أَيَّامًا﴾ نصب بالصيام أو بصوموا مقدراً ﴿مَّعْدُودَٰتٍ﴾ أي قلائل أو مؤقتات بعدد معلوم وهي رمضان كما سيأتي وقلله تسهيلاً على المكلفين ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم﴾ حين شهوده ﴿مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي مسافراً سفر القصر وأجهده الصوم في الحالين فأنظر ﴿فَعِدَّةٌ﴾ فعليه عدة ما أفطر ﴿مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ يصومها بدله ﴿وَعَلَى

قوله: ﴿فَمَنْ خَافَ﴾ الأحسن أن هذا الحكم عام فهو غير منسوخ، ويؤخذ هذا من تقديم المفسر قوله وهذا منسوخ عليه. قوله: **(مخففاً ومثقلاً)** أي فيها قراءتان سبعيتان والمعنى واحد. قوله: **(خطأ)** حمله على ذلك عطف قوله أو إثماً عليه وإلا فالجنف في الأصل الميل عن الحق مطلقاً. قوله: **(بين الموصي والموصى له)** أي إن أدرك وهو حي وحصل إصلاح فالإثم مرتفع وإلا فعليه الإثم ويبطل مما زاد على الثلث.

قوله: ﴿يَا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ خطاب للمؤمنين من أهل المدينة لكن المراد العموم قوله: ﴿الصِّيَامُ﴾ هو لغة الإمساك ومنه (إني نذرت للرحمن صوماً) أي إمساكاً عن الكلام ومنه أيضاً: خيل صيام وخيل غير صائمة. أي ممسكة عن الجري وغير ممسكة عنه، واصطلاحاً الإمساك عن شهوتي البطن والفرج يوماً كاملاً من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية التقرب إلى الله تعالى. قوله: **(من الأمم)** أي وأنبيائهم من آدم إلى نبينا لكن لا كصومنا من كل جهة فالتشبه في الفرضية لا الكيفية والثواب وحكمة ذكر التشبيه التأكيد في الأمر والتسلي بمن قبلنا لأن في الصوم نوع صعوبة. قوله: **(فإنه يكسر الشهوة)** أي لما في الحديث «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحفظ للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» أي قاطع لشهوته كما تنقطع بالخصى. قوله: **(نصب بالصوم)** أي على أنه ظرف له أي الصيام في أيام، وقوله أو بصوموا مقدراً أي دل عليه قوله الصيام وهو الأحسن.

قوله: ﴿مَعْدُودَاتٍ﴾ أي أقل من أربعين إذ العادة في لغة العرب متى ذكر لفظ العدد يكون المراد به ذلك. قوله: **(أو مؤقتات)** هذا هو الأولى ليعلم منه تعيينها، وقيل معنى معدودات معدات للعطايا الربانية، فالصالحون يتهيؤون لها لما في الحديث «إن لله في أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها» وأيضاً فيه ليلة خير من الف شهر وغير ذلك من فضائله المشهورة. قوله: **(تسهيلاً على المكلفين)** أي ليقدموا عليها. قال تعالى: (يريد الله بكم اليسر) الآية. قوله: ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ أي ملتبساً به قوله: **(في الحالين)** أي المرض والسفر وهذا ظاهر بالنسبة للمرض لا للسفر، فإن المسافر يباح له الفطر وإن لم يجهده بالصوم، لكن الصوم أفضل له في هذه الحالة، ولا فرق في السفر بين كونه براً أو بحراً.

قوله: ﴿أُخَرَ﴾ بالجمع صفة لأيام ممنوع من الصرف للوصفية والعدل، ولم يقل أخرى مع

﴿ٱلَّذِينَ﴾ لا ﴿يُطِيقُونَهُۥ﴾ لكبر أو مرض لا يرجى برؤه ﴿فِدْيَةٌ﴾ هي ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ أي قدر ما يأكله في يومه وهو مد من غالب قوت البلد لكل يوم وفي قراءة بإضافة فدية وهي للبيان وقيل لا غير مقدرة وكانوا مخيرين في صدر الإسلام بين الصوم والفدية ثم نسخ بتعيين الصوم بقوله (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) قال ابن عباس: إلا الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفاً على الولد فإنها باقية بلا نسخ في حقهما ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ بالزيادة على القدر المذكور في الفدية ﴿فَهُوَ﴾ أي التطوع ﴿خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟﴾ مبتدأ خبره ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الافطار والفدية ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٨٤﴾ أنه خير لكم فافعلوه تلك الأيام ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر منه ﴿هُدًى﴾ حال، هادياً من الضلالة ﴿لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ﴾

صحته لتوهم كونه صفة لعدة مع أنه ليس مراداً. قوله: **(لا يرجى برؤه)** أي كمرض القصبة والجذام. قوله: **(هي) ﴿طَعَامُ﴾** أشار بذلك إلى أن فدية بالتنوين وطعام خبر لمبتدأ محذوف بيان لفدية. قوله: **(وفي قراءة بإضافة فدية)** أي مع جمع مسكين، وأما الأولى ففيها وجهان الإفراد والجمع. قوله: **(وقيل لا غير مقدرة)** هذا مقابل ما حل به المفسرد، فعلى الأول الآية محكمة، وعلى الثاني منسوخة. قوله: **(بتعيين الصوم)** أي ولا يقبل منه فدية بعد ذلك والتارك له جحداً كافر أو كسلاً يؤخر لمقدار النية قبل الفجر فإن لم ينو قتل حداً. قوله: **(خوفاً على الولد)** أي فإنهما يقضيان ويفتديان. وأما على أنفسهما فقط أو للولد فإن عليهما القضاء لا غير. قوله: **(بالزيادة على القدر المذكور)** أي بأن زاد على المذكور وفي عدد المساكين. قوله: **(مبتدأ)** أي مؤول بمصدر تقديره صيامكم. قوله: **(فافعلوه)** قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف.

قوله: **﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾** خبر لمبتدأ محذوف قدره المفسر بقوله تلك الأيام، واعلم أن اسماء الشهور أعلام أجناس ورمضان ممنوع من الصرف للعلمية وزيادة الألف والنون لأنه من الرمض وهو الأحراق لأنه يرمض الذنوب أي يحرقها وسمي الشهر شهراً لاشتهاره لمنافع الناس في دينهم ودنياهم، وسيأتي ايضاحه في قوله تعالى يسألونك عن الأهلة. قوله: **﴿الْقُرْآنُ﴾** هو لغة من القرء وهو الجمع واصطلاحاً اللفظ المنزل على النبي ﷺ المتعبد بتلاوته للإعجاز بأقصر سورة منه. قوله: **(في ليلة القدر منه)** أي فقد حوى رمضان مزيتين: نزول القرآن فيه ووجود ليلة القدر به، وليلة القدر به هي المعنية بقوله تعالى: **(إنا أنزلناه في ليلة مباركة)**. والحاصل أن جبريل تلقاه من اللوح المحفوظ ونزل به إلى السماء الدنيا فأملاه للسفرة فكتبته في الصحف على هذا الترتيب ومقرها بيت العزة في سماء الدنيا، ثم نزل به على النبي في ثلاث وعشرين سنة مفرقاً على حسب الوقائع، فجبريل أملى للسفرة ابتداء وتلقى عنها انتهاء، والحكمة في نزوله مفرقاً تثبيته في قلبه وتجديد الحجج على المعاندين وزيادة إيمان للمؤمنين، قال تعالى: (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً) وقال تعالى: (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً) وقال تعالى: (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً) وتلك الليلة التي نزل فيها القرآن ليلة أربع وعشرين. واعلم أن ليلة القدر تكون في رمضان وقد تنتقل عنه لغيره لكن الغالب كونها في العشر الأواخر منه، والغالب

آيات واضحات ﴿مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ﴾ بما يهدي إلى الحق من الأحكام ﴿وَ﴾ من ﴿ٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ مما يفرق بين الحق والباطل ﴿فَمَن شَهِدَ﴾ حضر ﴿مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ﴾ تقدم مثله وكرر لئلا يتوهم نسخه بتعميم من شهد ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ ولذا أباح لكم الفطر في المرض والسفر ولكون ذلك في معنى العلة أيضاً للأمر بالصوم

كونها في الأوتار هذا مذهب مالك، وذهب الشافعي إلى أنها لا تنتقل عن رمضان بل هي ملازمة له، والغالب كونها في العشر الأواخر منه، والغالب كونها في الأوتار خصوصاً إذا صادف الوتر ليلة جمعة قوله: **(هاديا)** يصح أن يبقى على مصدريته والوصف به مبالغ، ويصح أن يكون على حذف مضاف أي ذو هدى على حد: زيد عدل قوله: **(من الضلالة)** أي الكفر.

قوله: **﴿وَبَيِّنَاتٍ﴾** معطوف على هدى من عطف الخاص على العام، لأن الهدى بعضه ظاهر واضح كآية الكرسي والإخلاص وغير ذلك، وبعضه غير واضح، قال تعالى: (منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات) إلى أن قال: (كل من عند ربنا)، فالإيمان بكل آية هدى واضحة أو لا. قوله: قوله: **(مما يفرق بين الحق والباطل)** أي فيه آيات بينات مصحوبة بالأدلة القطعية التي تقنع الخصم كقوله تعالى: (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب). وقوله تعالى: (أم من يجيب المضطر إذا دعاه) الآيات. وعطف الفرقان على الهدى من عطف الخاص على العام فكل أخص ما قبله الهدى صادق بالواضح وغيره كان معه دليل أم لا، والبينات من الهدى صادقة بوجود الحجج معها أم لا، والفرقان هو الآيات البينات التي معها حجج.

قوله: **﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ﴾** إن كان المراد به الأيام فالمعنى شهد بعضه وإن كان المراد به الهلال، فالمعنى علمه إما أن يكون رآه أو ثبت عنده، وقوله: **﴿فَلْيَصُمْهُ﴾** الشهر بمعنى الأيام، وعلى كل ففيه استخدام على كل حال لأنه ذكر الإسم الظاهر بمعنى وأعاد الضمير بمعنى آخر، والخطاب للمكلف القادر الغير المعذور. قوله: **﴿مَرِيضاً﴾** أي مرضاً شديداً يشق معه الصوم. قوله: **﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾** أي سفر قصر وتلبس به قبل الفجر، والمعنى فأفطروا فعليهم عدة. قوله: **(بتعميم من شهد)** أي فإن لفظ من يعم المسافر وغيره والمريض وغيره.

قوله: **﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾** عطف لازم على ملزوم. قوله: **(في المرض والسفر)** أي وما والاهما من الأعذار المبيحة للفطر التي نص عليها الفقهاء. قوله: **(في معنى العلة أيضاً للأمر بالصوم)** أي فهو علة لأمرين الأول جواز الفطر للمريض والمسافر، الثاني التوسعة في القضاء فلم يجب زمن معين ولا تتابع ولا مبادرة. قوله: **(بالتخفيف والتشديد)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(أي عدة صوم رمضان)** يحتمل أن المعنى من جهة قضائه أي أردت بكم اليسر لتكملوا قضاءه إذا فاتكم لعذر، فإذا فاتكم شهر رمضان مثلاً فاقضوا شهراً إن كاملاً فكاملاً وإن ناقصاً فناقصاً ويحتمل أن المعنى من جهة صوم رمضان الحاضر، أي أردت بكم اليسر لتكملوا عدة رمضان ولا تنقصوها إلا لعذر كمرض وسفر فلا بأس بالفطر لذلك، وهذا مرتب أيضاً على قوله يريد الله بكم اليسر، فالمعنى أبحت لكم الفطر في السفر والمرض لإرادة اليسر بكم وكلفتكم بالصوم مع اليسر وأبحت لكم الفطر في المرض والسفر لتكمل منكم العدة إما في رمضان أو في أيام آخر.

عطف عليه ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ٱلۡعِدَّةَ﴾ أي عدة صوم رمضان ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ﴾ عند إكمالها ﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ﴾ أرشدكم لمعالم دينه ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥﴾ الله على ذلك. وسأل جماعة النبي ﷺ أقريب ربنا فنناجيه أو بعيد فنناديه فنزل ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ منهم بعلمي فأخبرهم بذلك ﴿أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ بإنالته ما سأل ﴿فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي﴾

قوله: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ﴾ أي يوم العيد وهو يوم إكمال العدة وبينت السنة كيفية التكبير. قوله: **(على ذلك)** أي على التكليف مع اليسر. قوله: **(وسأل جماعة)** هذا إشارة من المفسر لسبب نزول الآية. قوله: **(فنناجيه)** أي نساره أي ندعوه سراً ولا نجهر بالدعاء. قوله: **(فنناديه)** أي ندعوه جهراً والفعلان يصح فيهما النصب بأن مضمرة بعد فاء السببية لوقوعهما في جواب الإستفهام والرفع على الإستئناف أي فنحن نناجيه ونحن نناديه والأظهر الثاني لقول بعض شراح الحديث إنه الرواية، واعلم أن هذا السؤال الواقع من الصحابة لا يقتضي جهلهم بالتوحيد، لأن الله منزه عن القرب والبعد الحسيين لأنهما من صفات الحوادث والله منزه عنها فمن ذلك حارت عقولهم في ذلك، فمقتضى إحاطته بجميع خلقه وتصرفه فيهم كيف يشاء يوصف بالقرب، ومقتضى تنزهه عن صفات الحوادث جميعها يوصف بالبعد لأن صفاته توفيقية فالمسؤول عنه القرب أو البعد المعنويان لا الحسيان، وإلا لذمهم الله على ذلك ولم يضفهم له. قوله: **(فأخبرهم بذلك)** أي بأني قريب وقدر ذلك المفسر لعدم صحة ترتيب قوله فإني قريب على الشرط الذي هو إذا فإن جوابها لا بد وأن يكون مستقبلاً، وكون الله قريباً وصف ذاتي له لا ينفك عنه أزلاً ولا أبداً وإنما المستقبل الأخبار بذلك، وقوله بعلمي أي وسمعي وبصري وقدرتي وإرادتي ولم يقل بذاته وإن كانت الصفات لا تفارق الذات لأنه ربما يتوهم للقاصر الحلول فيقع في الحيرة، وأما من فني عن وجوده فلم يشهد إلا الله فقد زال عنه الحجاب فلا حيرة عنده إذ لم يشهد غيره، وإنما خص المفسر العلم بذلك لأنه من صفات الإحاطة ومن غلبة رحمته تعالى أنه وصف نفسه بالقرب وإلا فمقتضى التوحيد وصفه بالبعد أيضاً بالإعتبار المتقدم، فلو قال فإني بعيد لحصل اليأس من رحمته.

قوله: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ الياءان من قوله الداع ودعان من الزوائد عند القراء، ومعناه أن الصحابة لم تثبت لها صورة في المصحف ولذا اختلفت فيها القراء، فمنهم من أسقطها وصلاً ووقفاً تبعاً للرسم، ومنهم من يثبتها في الحالين، ومنهم من يثبتها وصلاً ويحذفها وقفاً. قوله: **(بإنالته ما سأل)** أي ما لم يسأل بإثم أو قطيعة رحم، وهذه الإجابة وعد من الله وهو لا يتخلف لكن على مراده تعالى لا على مراد الداعي، فالدعاء نافع ولا يخيب فاعله، وما يحتمل أن تكون موصولة وسأل صلتها والعائد محذوف أو نكرة موصوفة وسأل صفتها أو مصدرية أي بإنالته سؤاله.

قوله: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ يحتمل أن السين والتاء زائدتان، والمعنى فليجيبوني بالإمتثال والطاعة كما أجبت دعاءهم، (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان)، وهذا ما مشى عليه المفسر، ويحتمل أنهما للطلب، والمعنى فليطلبوا مني الإجابة، فشرط الإجابة عقب دعائهم، وفي الحديث: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة» فشرط الإجابة تيقنها، وقد أشار لذلك السيد البكري بقوله: فلا تردنا واستجب لنا كما وعدتنا. قوله: **(يديموا)** فعله آدم رباعياً وفي نسخة يدوموا وفعله دام ثلاثياً وهما لغتان فصيحتان. قوله:

دعائي بالطاعة ﴿وَلْيُؤْمِنُواْ﴾ يدوموا على الإيمان ﴿بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾﴿١٨٦﴾ يهتدون ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ﴾ بمعنى الإفضاء ﴿إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ بالجماع. نزل نسخاً لما كان في صدر الإسلام من تحريمه وتحريم الأكل والشرب بعد العشاء ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ كناية عن تعانقهما أو احتياج كل منهما إلى صاحبه ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ﴾ تخونون ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ بالجماع ليلة الصيام وقع ذلك لعمر وغيره واعتذروا إلى النبي ﷺ ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قبل توبتكم ﴿وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٰٔنَ﴾ إذ حل لكم ﴿بَٰشِرُوهُنَّ﴾ جامعوهن ﴿وَٱبْتَغُواْ﴾ اطلبوا ﴿مَا كَتَبَ ٱللَّهُ

(على الإيمان) ﴿بِي﴾ أي فلا يرتدوا. قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ هكذا أقر الجمهور بفتح الياء وضم الشين من باب قتل، وقرىء بكسر الشين وفتحها والياء مفتوحة على كل من بابي ضرب وعلم، وقرىء بضم الياء مبنياً للفاعل والمفعول محذوف أي غيرهم أي يدلوهم على طريق الرشاد، ولذا قيل حال رجل في الف رجل أنفع من وعظ ألف رجل في رجل، أو مبنياً للمفعول فقراءات غير الجمهور أربع.

قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ﴾ ليلة ظرف لأحل والمعنى أحل لكم في ليلة الصيام، وفي الناصب له ثلاثة أقوال: قيل أحل وهو المشهور عند المعربين وليس بشيء لأن الإحلال ثابت قبل ذلك الوقت، وقيل مقدر مدلول عليه بلفظ الرفث تقديره أحل لكم أن ترفثوا ليلة الصيام، وقيل متعلق بالرفث لأنه يتوسع في الظروف ما لا يتوسع في غيرها. قوله: ﴿الرَّفَثُ﴾ ضمنه معنى الإفضاء فعداه بإلى وإلا فهو يتعدى بالباء أو بفي وهو في الأصل الكلام الذي يستقبح ذكره الواقع عند الجماع، فأطلق وأريد منه الجماع على سبيل الكناية لاستقباح ذكره. قوله: (بمعنى الإفضاء) هو في الأصل أن لا يكون بينك وبين الشيء حائل، وليس مراداً هنا بل المراد به هنا إفضاء خاص بالجماع، ولذا قال المفسر بمعنى الإفضاء إلى نسائكم بالجماع.

قوله: ﴿إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ المراد حلائلكم من زوجة وأمة. قوله: (من تحريمه) أي الجماع. (بعد العشاء) أي دخول وقتها أو بعد النوم ولو كان قبلها. قوله: (كناية عن تعانقهما) أي فالتشبيه من حيث الإعتناق، فكما أن اللباس يسلك في العنق كذلك المرأة تسلك في عنق الرجل والرجل يسلك في عنقها، ويصح أن التشبيه من حيث الستر، فالمرأة تستر الرجل والرجل يسترها، قال تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة). وإليه، الإشارة بقول المفسر أو احتياج كل منهما لصاحبه والحكمة في تقديم قوله هن لباس لكم أن طلب المواقعة غالباً يكون ابتداء من الرجل إليها أكثر لما في الحديث لا خير في النساء ولا صبر عنهن يغلبن كريماً ويغلبهن لئيم فأحب أن أكون كريماً مغلوباً، ولا أحب أن أكون لئيماً غالباً.

قوله: ﴿تَخْتَانُونَ﴾ هو أبلغ من تخونون لزيادة بنائه. قوله: (وقع ذلك لعمر). وحاصله أنه بعد أن صلى العشاء، وجد بأهله رائحة طيبة فواقع أهله حينئذ، ثم لما أصبح جاء رسول الله واخبره الخبر فقال يا رسول الله إني اعتذر إلى الله وإليك ما وقع مني، فقام جماعة فقالوا مثل ما قال عمر، فنزلت الآية نسخاً للتحريم الواقع بالسنة. قوله: ﴿فَالآنَ﴾ إن قلت إنه ظرف للزمان الحاضر. وقوله: ﴿بَاشِرُوهُنَّ﴾ مستقبل فحينئذ لا يحسن ذلك. أشار المفسر لدفع ذلك حيث حول العبارة بقوله إذ حل لكم فمتعلق

لَكُمْ﴾ أي أباحة من الجماع أو قدره من الولد ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾ الليل كله ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ﴾ يظهر ﴿لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ أي الصادق بيان للخيط الأبيض وبيان الأسود محذوف أي من الليل شبه ما يبدو من البياض وما يمتد معه من الغبش بخيطين أبيض وأسود في الامتداد ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ﴾ من الفجر ﴿إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ أي إلى دخوله بغروب الشمس ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ﴾ أي نساءكم ﴿وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ﴾ مقيمون بنية الإعتكاف ﴿فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ متعلق بعاكفون نهي لمن كان يخرج وهو معتكف فيجامع امرأته ويعود ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ حدها لعباده ليقفوا عندها ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ أبلغ من لا تعتدوها المعبر به في آية أخرى ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما بين لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ﴿١٨٧﴾ محارمه ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم﴾ أي لا يأكل بعضكم مال بعض ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾ الحرام شرعاً كالسرقة والغصب

الظرف الحل لا المباشرة، فالمعنى حصل لكم التحليل الآن فحينئذ باشروهن فيما يستقبل. قوله: **(جامعوهن)** أي فالمراد مباشرة خاصة، فأطلق الملزوم وهو المباشرة، وأراد لازمه وهو الجماع. قوله: **(أي أباحة من الجماع)** أي في النساء الحلائل، واشار بذلك إلى أن ينبغي أن يقصد بجماعه العفة بالحلال عن الحرام له ولها أو رجاء النسل لتكثير الأمة، ففي الحديث «تناكحوا تناسلوا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة».

قوله: **﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾** نزلت في صرمة بن قيس وكان عاملاً في أرض له وهو صائم، فحين جاء المساء رجع لأهله فلم يجد طعاماً فغلبته عيناه من التعب، فلما حضر الطعام استيقظ فكره أن يأكل خوفاً من الله فبات طاوياً، فلما انتصف النهار حتى غشي عليه، فلما افاق أخبر النبي بذلك فنزلت الآية. قوله: **﴿مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾** قيل قبل نزول قوله من الفجر، وضع علي بن حاتم عقالاً أبيض وعقالاً أسود وجعل يأكل ويشرب حتى تبين كل منهما فلما أصبح أخبر النبي بذلك فقال له أنما ذلك سواد الليل وبياض النهار. قوله: **(أي الصادق)** احترز بذلك عن الكاذب وهو ما يظهر قبل الصادق كذنب السرحان، ثم تعقبه ظلمة ثم يطلع الصادق وهو الضياء المنتشر. قوله: **(وبيان الأسود محذوف)** أي فلو بينه لقال من الفجر والليل ليكون لفاً ونشراً مرتباً، ولم يذكره لعدم تعلق حكم به، فإن الصوم متعلق بظهور الأبيض. **(من الغبش)** أي ظلمة الليل. قوله: **(أبيض وأسود)** لف ونشر مرتب، والتشبيه هنا إنما هو في الصورة والهيئة، وليس هناك خيط أبيض ولا أسود، كما توهمه بعض الصحابة. قوله: **(في الإمتداد)** هذا هو وجه الشبه. قوله: **(بغروب الشمس)** أشار بذلك إلى أن الغاية غير داخلة في المغيا، وإنما صيام جزء من الليل من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

قوله: **﴿وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ﴾** أي مطلقاً ليلاً كان أو نهاراً وليس كالصيام. قوله: **(نهي)** خبر لمبتدأ محذوف تقديره هذه الآية نهي. قوله: **(الأحكام المذكورة)** أي من أول آية الصيام هنا. واستشكل ذلك بأن الحد هو قوله تعالى: (ولا تباشروهن) الآية. وأجيب بأن الله أمرنا بالصوم بقوله: (كتب عليكم الصيام) والأمر بالشيء منهي عن ضده. قوله: **(أبلغ من لا تعتدوها)** أي لأن النهي عن المقاربة نهي عن المجاوزة وزيادة. قوله: **(أي لا يأكل بعضكم مال بعض)** أي لأن الله قدر لك رزقه، فلا يتسع بالباطل

﴿وَ﴾ لا ﴿تُدْلُواْ﴾ تلقوا ﴿بِهَآ﴾ أي بحكومتها أو بالأموال رشوة ﴿إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ﴾ بالتحاكم ﴿فَرِيقًا﴾ طائفة ﴿مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ ملتبسين ﴿بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ أنكم مبطلون ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ جمع هلال لم تبدو دقيقة ثم تزيد حتى تمتلىء نوراً ثم تعود كما بدت ولا تكون على حالة واحدة كالشمس ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿هِىَ مَوَٰقِيتُ﴾ جمع ميقات ﴿لِلنَّاسِ﴾ يعلمون بها أوقات زرعهم ومتاجرهم وعدد نسائهم وصيامهم وإفطارهم ﴿وَٱلْحَجِّ﴾ عطف على الناس أي يعلم بها وقته فلو استمرت على حالة لم يعرف ذلك ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ في الإحرام بأن تنقبوا فيها نقباً تدخلون منه وتخرجون وتتركوا الباب، وكانوا يفعلون

ولا يضيق بالحق. قوله: **(كالسرقة)** أي والمكس والنهب من كل ما لم يأذن فيه الشارع. قوله: **(تلقوا)** أي تسرعوا أو تبادروا. قوله: **﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** جملة حالية من فاعل تأكلوا. قوله: **(أنكم مبطلون)** بفتح الهمزة إشارة إلى أنه مفعول تعلمون.

قوله: **﴿يَسْأَلُونَكَ﴾** أي أصحابك. قوله: **(لم تبدو دقيقة)** هذا هو صورة السؤال. قوله: **(ثم تزيد)** أي شيئاً فشيئاً. قوله: **(حتى تمتلىء نوراً)** أي وذلك ليلة أربعة عشر. قوله: **(ثم تعود كما بدت)** أي فالهلال إما آخذ في الزيادة وذلك في النصف الأول من الشهر، وإما آخذ في النقص وذلك في النصف الأخير منه.

قوله: **﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾** قيل إن الجواب غير مطابق للسؤال، لأن سؤالهم عن حكمة كونه يبدو دقيقاً، ثم إذا تم عاد كما كان، والجواب إنما هو عن حكمة الهلال الظاهرية وهي كونه مواقيت للناس والحج، وأما جواب سؤالهم فليسوا مكلفين به ولا حاجة لهم بذلك لأنه من المغيبات، وقيل إن الجواب مطابق للسؤال، فقوله: **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ﴾** أي عن حكمتها الظاهرة وهذا هو الأنسب بمقامهم لأن الأول من باب (لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم) والضمير يعود على الأهلة وتقدم أنه جمع هلال سمي بذلك لاستهلال الناس عند رؤيته بمعنى رفع أصواتهم، ويسمى بالهلال ليلتين أو ثلاثاً وبعد ذلك يسمى قمراً. قوله: **(جمع ميقات)** أصله موقات وقعت الواو ساكنة إثر كسرة قلبت ياء. قوله: **(أوقات زرعهم)** أي فكل زرع له وقت يطلع فيه، فزرع هذا الشهر مثلاً لا يطلع في غيره وهكذا. قوله: **(وعدد نسائهم)** أي من كونها أربعة أشهر وعشراً أو ثلاثة أشهر مثلاً قوله: **(وصيامهم)** أي في رمضان مثلاً. قوله: **(وإفطارهم)** أي في شوال. قوله: **(عطف على الناس)** أي مسلط عليه مواقيت واللام في الحقيقة هو معطوف على المضاف المحذوف أي لمصالح الناس والحج. قوله: **(يعلم بها وقته)** أي وهو شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة فلو تقدم أو تأخر لم يصح، وهذا هو حكمة تخصيصه من دون العبادات وإن كان من مصالح الناس.

قوله: **﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ﴾** الحكمة في ذكر هذه الآية بعد ما تقدم أنهم سألوا عن ذلك أيضاً، وصورة سؤالهم هل من البر إتيان البيوت من ظهورها، فأجابهم الله بأنه ليس من البر، ويتعين رفع البر هنا لأن ما بعد الباء يتعين جعله خبراً لليس فإن الباء إنما تدخل على الخبر لا على الإسم. قوله: **(بأن تنقبوا فيها نقباً)** أي من خوف الإستظلال بالسقف وهذا في الحاضر، وأما البادي فكان يشق الخيمة وذلك في الإحرام،

ذلك ويزعمونه براً ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ﴾ أي ذا البر ﴿مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ الله بترك مخالفته ﴿وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ﴾ في الإحرام كغيره ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٨٩﴾ تفوزون. ولما صد ﷺ عن البيت عام الحديبية وصالح الكفار على أن يعود العام القابل ويخلوا له مكة ثلاثة وتجهز لعمرة القضاء وخافوا أن لا تفي قريش ويقاتلوهم وكره المسلمون قتالهم في الحرم والإحرام والشهر الحرام نزل ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي لإعلاء دينه ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ من الكفار ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ﴾ عليهم بالابتداء بالقتال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾ المتجاوزين ما حد لهم وهذا منسوخ بآية براءة أو بقوله ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾ وجدتموهم ﴿وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ﴾ أي مكة

زاعمين أن عدم تغطية الرأس بشيء أصلاً غير السماء بر. قوله: **(بترك مخالفته)** أي مطلقاً وامتثال المأمورات على حسب الطاقة.

قوله: **﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾** حاصل ذلك أن الله أخبرنا بجملتين وأمرنا بجملتين مرتباً على الأولين: فقوله: **﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾** جملة خبرية رتب عليها قوله: **﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾**. وقوله: **﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾** جملة خبرية أيضاً رتب عليها قوله: **﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾**. قوله: **(تفوزون)** أي تسعدون وتظفرون برضاه. قوله: **(ولما صد إلخ)** أي صده المشركون ومنعوه وصرفوه، والمراد بالبيت الكعبة، وحاصله أن النبي ﷺ سنة ست من الهجرة توجه مع ألف وأربعمائة لفعل عمرة لأن الحج إذ ذاك لم يكن فرض، فنزلوا الحديبية بمكان قريب من مكة يسمى وادي فاطمة، فخرجت عليهم سفهاء مكة يقاتلونهم بالأحجار والسهام، فأرسل رسول الله عثمان يستأذن أهل مكة في أن يدخل هو وأصحابه ويطوفوا ويكملوا عمرتهم، فأشاع الكفار وابليس أن عثمان قد مات فبايع النبي أصحابه تحت الشجرة على قتالهم، فحصل صلح بينه وبينهم عشر سنين، وتبين أن عثمان حي لم يمت وأتى اليهم وقال إن الكفار أوعدونا إلى العام القابل. فتحلل المسلمون مكانهم في الحديبية ونحروا هديهم وحلقوا وانصرفوا راجعين، ثم في العام القابل وهو سنة سبع، تجهز رسول الله ﷺ لعمرة القضاء، وسميت قضاء لأنها وقع فيها المقاضاة والصلح لا أنه لزمهم قضاء للعمرة السابقة، لأن من صد لا يلزمه قضاء، فخافت المسلمون أن قريشاً لا تفي بالوعد ويحصل قتال في الشهر الحرام والحرم والإحرام فنزلت الآية. قوله: **(وصالح الكفار)** يصح أن الكفار فاعل بصالح والمفعول محذوف تقديره صالحه، ويصح أن الفاعل مستتر تقديره هو يعود على النبي والكفار مفعول. قوله: **(على أن يعود العام القابل)** تقدم أنه عام سبع. قوله: **(وخافوا أن لا تفي قريش إلخ)** أي فيحصل المحذور الذي هو القتال في الحرم والإحرام والشهر الحرام. قوله: **(نزل)** هذا جواب لما أي فهو سبب النزول.

قوله: **﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾** السبيل في الأصل الطريق فاستعير لدين الله وشرائعه بجامع التوصل للمقصود في كل. قوله: **﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾** أي لا تبتدئوهم بالقتال. قوله: **﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾** المراد بالإعتداء هنا ابتداء القتال لا حقيقة الإعتداء الذي هو تجاوز الحد. قوله: **(وهذا منسوخ بآية براءة)** أي بقوله وقاتلوا المشركين كافة، فأزال الله الضيق عن المسلمين وأبدله بالسعة، وفي الحقيقة هذه الآية نسخت نحو سبعين آية من القرآن حصل فيها نهي عن القتال. قوله: **(أو بقوله إلخ)** إي وهذا أبلغ لكونها بلصقها. قوله: **﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾** أي من المكان الذي أخرجوكم منه

وقد فعل بهم ذلك عام الفتح ﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾ الشرك منهم ﴿أَشَدُّ﴾ أعظم ﴿مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ لهم في الحرم أو الإحرام الذي استعظموه ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي في الحرم ﴿حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ﴾ فيه ﴿فَٱقْتُلُوهُمْ﴾ فيه، وفي قراءة بلا ألف في الأفعال الثلاثة ﴿كَذَٰلِكَ﴾ القتل والاخراج ﴿جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ﴿١٩١﴾ ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا﴾ عن الكفر وأسلموا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ ﴿١٩٢﴾ بهم ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ﴾ توجد ﴿فِتْنَةٌ﴾ شرك ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ﴾ العبادة ﴿لِلَّهِ﴾ وحده لا يعبد سواه ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا﴾ عن الشرك فلا تعتدوا عليهم، دل على هذا ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ﴾ اعتداء بقتل أو غيره ﴿إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿١٩٣﴾ ومن انتهى فليس بظالم فلا عدوان عليه ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ﴾ المحرم مقابل ﴿بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ فكما قاتلوكم فيه فاقتلوهم في مثله رد لاستعظام

يعني مكة وهو أمر بالإخراج، فكأنه وعد من الله بالفتح لمكة، وقد أنجز الله ما وعد به عام ثمان. قوله: **(وقد فعل)** أي رسول الله ﷺ بهم أي الكفار منهم. قوله: **(عام الفتح)** أي وهو العام الثامن. إن قلت: إن مدة الصلح باقية مع أن إخراجهم وقتالهم حصل قبل مضي تلك المدة. أجيب: بأنه حصل منهم نقض للعهد بعد عمرة القضاء.

قوله: **﴿وَالْفِتْنَةُ إلخ﴾** هذا جواب عن سؤال مقدر تقديره إن خفتم أن تقاتلوهم في الشهر الحرام وراعيتم حرمة الشهر والإحرام والحرم، فالشرك الذي حصل منهم الذي فيه تهاون برب الحرم أبلغ قوله: **﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ إلخ﴾** هذا توكيد المنسوخ وهو تفسير لقوله: (ولا تعتدوا). قوله: **(أي في الحرم)** إنما فسر عند بفي، لأنه ظرف منصوب وهو على تقدير في، وأطلق المسجد الحرام وأراد ما يعم الحرم بتمامه. قوله: **(وفي قراءة بلا ألف)** والقراءتان سبعيتان، والتلاوة على هذا: ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقتلوكم فيه فإن قتلوكم فاقتلوهم، والمعنى فخذوا في أسباب قتلهم. قوله: **﴿جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾** أي في الدنيا وفي الآخرة العذاب الأليم.

قوله: **﴿فَإِنِ انْتَهَوْا﴾** أي رجعوا عن الكفر، وأصله انتهيوا بياء مضمومه بعد الهاء، استثقلت الضمة على الياء فحذفت وتحركت الياء بحسب الأصل وانفتح ما قبلها بحسب الآن قلبت ألفاً فالتقى ساكنان حذفت الألف وبقيت الفتحة دليلاً عليها.

قوله: **﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾** هذا الآية ناسخة أيضاً لما قبلها. قوله: **﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لله﴾** أي في مكة أي لأن المراد تخليص للدين في مكة من الشرك فقط لا كل الجهات، وأما آية الأنفال في قوله: (ويكون الدين كله) أي في كل الجهات. قوله: **﴿فَإِنِ انْتَهَوْا﴾** أي رجعوا عن الكفر وأسلموا. قوله: **﴿فَلَا عُدْوَانَ﴾** إلخ هذا خبر في صورة الأمر مبالغة، أي فلا تنتقموا ولا تقتلوا إلا الظالمين، والمعنى لا يجازى على عدوانه إلا الظالمون، لأن العدوان واقع من الكفار بكفرهم وقتالهم للمسلمين لا من المسلمين بقتالهم لهم.

قوله: **﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ﴾** إلخ هذا نزل أيضاً زيادة طمأنينة للمسلمين لأنه كان يشق عليهم القتال فيها تعظيماً لها، وقيل إنما نزلت رداً على الكفار والمنافقين المعترضين في قولهم إن الأشهر الحرم

المسلمين ذلك ﴿ وَٱلْحُرُمَٰتُ ﴾ جمع حرمة ما يجب احترامه ﴿ قِصَاصٌ ﴾ أي يقتص بمثلها إذا انتهكت ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ بالقتال في الحرم أو الاحرام أو الشهر الحرام ﴿ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ سمى مقابلته اعتداء لشبهها بالمقابل به في الصورة ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ في الانتصار وترك الاعتداء ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿١٩٤﴾ بالعون والنصر ﴿ وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ طاعته الجهاد وغيره ﴿ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ أي أنفسكم والباء زائدة ﴿ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ الهلاك بالإمساك عن النفقة في الجهاد أو تركه لأنه يقوي العدو عليكم ﴿ وَأَحْسِنُوٓاْ ﴾ بالنفقة وغيرها ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ

والحرم معظمة قديماً، ويزعم محمد أنه يحكم بالعدل وهو ينتهك حرمة الشهر الحرام والحرم، فرد الله عليهم بقوله الشهر الحرام أي الذي نقاتلكم فيه في مقابلة الشهر الحرام، أي الذي صددتمونا فيه عن العمرة والدخول وقاتلنا سفهاؤكم ولا يسمى انتهاكاً ولا عدم تعظيم للحرم، لأنه لما كان بأمر الله اندفع ذلك كله. قوله: ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ أي متى حصل انتهاك من أحد لحرمة آخر سقطت حرمته فيقتص له منه، ومن هنا قول بعضهم ملغزاً فيمن قطعت يده ظلماً ومن قطعت يده لأجل السرقة:

يد بخمس مئين عسجد وديت ... ما بالها قطعت في ربع دينار

أجاب عنه القاضي عبد الوهاب البغدادي بقوله:

عز الأمانة أغلاها وأرخصها ... ذل الخيانة فافهم حكمة الباري

قوله: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ تسميته اعتداء ظاهر لأنه للحذ، وقوله: ﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ أي انتقموا منه وقاتلوا فتسميته اعتداء مشاكلة لمقابله، قوله: ﴿بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ توكيد لقوله والحرمات قصاص، وكل هذا منسوخ بقوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم. قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾ أي ومن التقوى رحمة عباده سيما إذا لم يقاتلوكم أو إذا قدرتم عليهم فالأولى العفو. قوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ أي معية خاصة فيمدهم بالنصر والعون، وإلا فهو مع كل نفس بعلمه وتصرفه.

قوله: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ أي ابذلوا أنفسكم وأموالكم في طاعته ومراضيه، سواء الجهاد وغيره كصلة الرحم ومراعاة الضعفاء والفقراء من عباد الله. قوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ عبر الأيدي عن الأنفس اكتفاء بالجزء الأهم من النفس كقوله في آية أخرى: (وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم) أي أنفسكم. قوله: ﴿إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ أي إلى الهلاك أي إلى أسبابه، وأسباب الهلاك إمساك الأموال والأنفس عن الجهاد لأن به يقوى العدو وتكثر المصائب في الدين والذل لأهله كما هو مشاهد، ومن أنفق أمواله ونفسه في سبيل الله فقد ألقى بنفسه إلى العز الدائم في الدنيا والآخرة، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون. قوله: ﴿وَأَحْسِنُوا﴾ أي افعلوا الإحسان بالإنفاق في سبيل الله وغيره من أنواع العبادات. قوله: (أي يثيبهم) فسر المحبة في حق الله بالإثابة، لأن حقيقتها وهي ميل القلب للمحبوب مستحيلة في حق الله تعالى، والإثابة لازمة لذلك، والقاعدة أن كل ما استحال على الله باعتبار مبدئه وورد يطلق ويراد لازمه وغايته.

﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ ﴿١٩٥﴾ أي يثيبهم ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ﴾ أدوهما بحقوقهما ﴿فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ﴾ منعتم عن إتمامها بعدو ﴿فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ﴾ تيسر ﴿مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ﴾ عليكم وهو شاة ﴿وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ﴾ أي لا تتحللوا ﴿حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ﴾ المذكور ﴿مَحِلَّهُۥۚ﴾ حيث يحل ذبحه وهو مكان الاحصار عند الشافعي فيذبح فيه بنية التحلل ويفرق على مساكينه ويحلق وبه يحصل التحلل ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ﴾ كقمل وصداع فحلق في الاحرام ﴿فَفِدۡيَةٞ﴾ عليه ﴿مِّن صِيَامٍ﴾ لثلاثة أيام ﴿أَوۡ صَدَقَةٍ﴾ بثلاثة آصع من غالب قوت البلد على ستة مساكين ﴿أَوۡ نُسُكٖۚ﴾ أي ذبح شاة وأو للتخيير وألحق به من حلق لغير عذر لأنه أولى بالكفارة وكذا من استمتع بغير الحلق كالطيب واللبس والدهن لعذر أو غيره ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمۡ﴾ العدو بأن ذهب أو لم يكن ﴿فَمَن تَمَتَّعَ﴾

قوله: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لله﴾ المتبادر من الآية يشهد لقول الشافعي بوجوب العمرة عيناً في العمر مرة كالحج، وقال مالك بسنيتها في العمر مرة عيناً، وقرىء وأقيموا الحج والعمرة وهي تؤيد مذهب الشافعي سيما مع كون الأصل في الأمر الوجوب، وحجة مالك أن المراد تمموهما إذا شرعتم فيهما، ولا يلزم من وجوب الإتمام وجوب الإبتداء، فالحاصل أن العلماء اتفقوا على وجوب الحج عيناً في العمر مرة وما عدا ذلك فهو فرض كفاية لإقامة الموسم، واتفقوا على مشروعية العمرة واختلفوا في حكمها، فقال الشافعي بوجوبها كالحج وحمل الإتمام على الأداء، وقال مالك بسنيتها وحمل الإتمام على حقيقته.

قوله: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ أي عن البيت ولم تتمكنوا من دخوله كما وقع للمصطفى ﷺ، وهذا رفع للحرج الواقع في الأمر من قوله وأتموا. قوله: (تيسر) أشار بذلك إلى أن السين ليست لمعنى زائد، بل استيسر وتيسر بمعنى واحد. قوله: (وهو شاة) أي ضأناً أو معزاً مجزئة في الضحية. قوله: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ﴾ أعلم أنه إذا اجتمع هدي وحلق فالهدي مقدم على الحلق، فإذا اجتمع معهما رمي وطواف قدم الرمي، ثم النحر ثم الحلق ثم الطواف، وضبطها بعضهم بقوله ونحط. قوله: ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ اعلم أنه اختلف في الهدي فقيل يؤمر به وهو قول الشافعي، وعليه فإن لم يجد هدياً قومه بطعام وأخرجه، فإن لم يجد صام بعدد الأمداد، وقيل لا يؤمر به، والآية محمولة على من كان معه هدي تطوعاً مثلاً وهو قول مالك، وعليه فإن لم يجد هديا فلا شيء عليه غير الحلق. قوله: ﴿مَحِلَّهُ﴾ وهو بالكسر يطلق على الزمان والمكان، وبالفتح على المكان فقط. قوله: (عند الشافعي) أي ومالك أيضاً فالمدار عندهما على مكان الإحصار حلالاً أو حراماً، وقال أبو حنيفة لا بد أن يذبح بالحرم. قوله: ﴿أَوْ بِهِ أَذًى﴾ متعلق بمحذوف معطوف على مريضاً الواقع خبراً لكان، وقوله أذى فاعل بالجار والمجرور خبر مقدم، وأذى مبتدأ مؤخر، والجملة معطوفة على مريضاً.

قوله: ﴿فَفِدْيَةٌ﴾(عليه) قدره إشارة إلى أنه خبر المبتدأ، والجملة جواب من. واعلم أن دماء الحج ثلاثة: فدية وهدي، وقد ذكرهما هنا، وجزاء وقد ذكره في المائدة، فما كان عن إزالة أذى أو ترفه فهو فدية، وما ترتب عن نقص في حج أو عمرة بفعل اختياري أو لا فهدي، وما كان عن صيد فجزاء. قوله: (على ستة مساكين) أي لكل مسكين مدان. قوله: (لغير عذر) أي وإن كان حراماً. قوله: (وكذا من استمتع بغير الحلق) أي فهو مقيس عليه. قوله: (بعذر أو غيره) راجع للثلاثة، غير أن الحرمة فيما كان

استمتع ﴿ بِٱلۡعُمۡرَةِ ﴾ أي بسبب فراغه منها بمحظورات الاحرام ﴿ إِلَى ٱلۡحَجِّ ﴾ أي إلى الإحرام به بأن يكون أحرم بها في أشهره ﴿فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ﴾ تيسر ﴿مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ﴾ عليه وهو شاة يذبحها بعد الاحرام به والأفضل يوم النحر ﴿ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ ﴾ الهدي لفقده أو فقد ثمنه ﴿فَصِيَامُ﴾ أي فعليه صيام ﴿ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ ﴾ أي في حال الإحرام به فيجب حينئذ أن يحرم قبل السابع من ذي الحجة والأفضل قبل السادس لكراهة صوم يوم عرفة ولا يجوز صومها أيام التشريق على أصح قولي الشافعي ﴿وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ﴾ إلى وطنكم مكة أو غيرها وقيل إذا فرغتم من أعمال الحج وفيه التفات عن الغيبة ﴿تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ﴾ جملة تأكيد لما قبلها ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الحكم المذكور من وجوب الهدي أو الصيام على من تمتع ﴿لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ ﴾ بأن لم يكونوا على دون مرحلتين من الحرم عند الشافعي فإن كان فلا دم عليه ولا صيام وإن، تمتع وفي ذكر الأهل إشعار باشتراط الاستيطان فلو أقام قبل أشهر الحج ولم يستوطن وتمتع فعليه ذلك وهو أحد وجهين عند الشافعي والثاني لا، والأهل كناية عن النفس وألحق بالمتمتع فيما ذكر بالسنة القارن وهو من أحرم بالعمرة

لغير عذر وألحق بذلك من قلم أظافره، وأما الوطء وتقبيل الزوجة فكذا عند الشافعي وعند مالك وفيه هدى.

قوله: ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ﴾ أي ابتداء وانتهاء. قوله: ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ﴾ حاصل ما في المقام أن الشخص إذا كان مفرداً فإنه لا شيء عليه، وأما إذا كان قارناً أو متمتعاً فعليه دم. قوله: **(أي بسبب فراغه منها** دفع بذلك ما يقال إن العمرة فيها مشقة ولا تمتع فيها. قوله: **﴿إِلَى الْحَجِّ﴾** أي تمتع من فراغه من العمرة واستمر على ذلك إلى الإحرام بالحج. قوله: (تيسر) من قوله: **﴿الْهَدْيِ﴾** أي وأفضل الهدايا الإبل ثم البقر ثم الغنم.

قوله: **﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾** أي فهو على الترتيب، وهذا الدم يلزم بشروط أربعة: الأول: أن لا يكون أهله بالمسجد الحرام. الثاني: أن يكون تحلله من العمرة في أشهر الحج. الثالث: أن يحج في عامه. الرابع: أن لا يرجع إلى بلده أو مثلها، وقال الشافعي أن لا يرجع إلى الميقات. قوله: **﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾** محل ذلك إن كان النقص قبل الوقوف وإلا صام العشرة متى شاء. قوله: **(قبل السابع)** أي ليصوم الثلاثة الأيام، وما مشى عليه المفسر قول ضعيف في مذهب الشافعي، والمعتمد أنه لا يجب عليه ذلك، لأنه لا يجب عليه تحصيل سبب الوجوب، ووافقه مالك على ذلك. قوله: **(على أصح قولي الشافعي)** وقال مالك بجواز صومها. قوله: **(وفيه التفات عن الغيبة)** أي مع مراعاة معنى من قوله: **(تأكيد لما قبلها)** أي لدفع توهم الكثرة في العدد، وقوله: **﴿كَامِلَةٌ﴾** أي في الثواب كالهدي وفيه تسلية الفقير العاجز عن الهدي. قوله: **(عند الشافعي)** أي وعند مالك لا ينتفي الهدي إلا عمن كان متوطناً بأرض الحرم، فيشمل أهل منى ومزدلفة. قوله: **(وهو أحد وجهين عند الشافعي)** أي وهو مذهب مالك. قوله: **(والأهل كناية عن النفس)** أي فعلى هذا يكون معنى الآية ذلك لمن أي لمحرم لم يكن أهله أي نفسه حاضري المسجد الحرام وهذا معنى بعيد، فالأولى ما قاله غيره من أن المراد بالأهل الزوجة والأولاد الذين تحت حجره دون الآباء والإخوة، ومعدوم الأهل المتوطن بنفسه كذلك، وإنما عبر بالأهل لكون شأن

والحج معاً أو يدخل الحج عليها قبل الطواف ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فيما يأمركم به وينهاكم عنه ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ ﴿١٩٦﴾ لمن خالفه ﴿ٱلْحَجُّ﴾ وقته ﴿أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ شوال وذو العقدة وعشر ليال من ذي الحجة وقيل كله ﴿فَمَن فَرَضَ﴾ على نفسه ﴿فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾ بالاحرام به ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ جماع فيه ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ معاص ﴿وَلَا جِدَالَ﴾ خصام ﴿فِى ٱلْحَجِّ﴾ وفي قراءة بفتح الأولين والمراد في الثلاثة النهي ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾ كصدقة ﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ فيجازيكم به ونزل في أهل اليمن

المتوطن يكون بذلك. قوله: **(القارن)** أي ويطوف لهما طوافاً واحداً وسعياً واحداً عند مالك والشافعي، وقال أبو حنيفة لا بد لهما من طوافين وسعيين. قوله: **(فيما يأمركم به إلخ)** أي وخصوصاً في الحج والعمرة. قوله: **(وقته)** إنما قدره لأن الحج عمل والأشهر زمن ولا يخبر عن العمل بالزمن.

قوله: **﴿أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾** هذه الآية مقيدة لآية قل هي مواقيت للناس والحج، لأن المتبادر منها أن الأهلة كلها مواقيت الحج، فأفاد بهذه الآية أن الحج له زمن معلوم يؤدى فيه، وأما العمرة فوقتها السنة كلها ما لم يكن متلبساً بالحج، وإلا فلا يعتمر حتى يفرغ منه. قوله: **(وعشر ليال من ذي الحجة)** أي فالجمع في الآية لما فوق الواحد أو باعتبار جبر الكسر. قوله: **(وقيل كله)** أي فالجمع على حقيقته وبذلك قال مالك، والمعنى على ما قال مالك أن له التحلل في ذي الحجة بتمامه ولا يلزمه دم إلا بدخول الحرم، لا أن المعنى أن يبتدىء الإحرام به بعد فجر النحر، فإن ذلك لم يقله مالك ولا غيره ممن يعتد به، فالحاصل أن الحج له ميقاتان مكاني وزماني، فالمكاني ما أشار له بعضهم بقوله:

عرق العراق يلملم اليمن ... وبذي الحليفة يحرم المدني
والشام جحفة إن مررت بها ... ولأهل نجد قرن فاستبن

والزماني لابتداء الإحرام به شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذي الحجة، وأما لإنتهاء التحليل منه فبقية ذي الحجة. قوله: **﴿فَمَنْ فَرَضَ﴾(على نفسه)** أي ألزم نفسه الدخول في أفعال الحج بأن أحرم به، وسواء كان فرضاً عليه قبل ذلك أو لا. قوله: **﴿فِيهِنَّ﴾** أي الشهرين والعشر ليال، وأما في غير هذه الأشهر فقال مالك ينعقد ويكره وقال غيره لا ينعقد. قوله: **﴿فَلَا رَفَثَ﴾** في الآية ثلاث قراءات غير شاذة، الأولى برفع الجميع مع التنوين، الثانية برفع الأولين وبناء الثالث على الفتح، الثالثة بناء الثلاثة على الفتح، وقرىء شاذاً بنصب الثلاثة. قوله: **(معاص)** أي بأي وجه من أوجه المعاصي والنهي عنها وإن كان عاماً إلا أنه في الحج أشد. قوله: **﴿وَلَا جِدَالَ﴾** هو مقابلة الحجة بالحجة لنصرة الباطل، وأما لنصرة الحق فلا بأس بذلك. قوله: **﴿فِي الْحَجِّ﴾** أظهر في مقام الإضمار اهتماماً بشأنه. قوله: **(بفتح الأولين)** أي مع الثالث. قوله: **(والمراد في الثلاثة النهي)** أي لا الإخبار وإنما أتى بها على صورة الأخبار، إشارة إلى أنه لا ينبغي أن يقع ذلك والتعبير على النهي بصورة الخبر أبلغ في الإنزجار.

قوله: **﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ﴾** إن قلت إن الله كما يعلم الخير من العبد يعلم الشر منه، أجيب بأن شأن الله ستر الشر عن العبيد فلا يظهره عليهم، بخلاف الخير فيظهره للخلائق لما في الحديث: «إذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه حتى يأتي يوم القيامة وليس عليه شاهد بذنب» وأيضاً الآية مسوقة في أفعال الحج وكلها خير. قوله: **(ونزل في أهل اليمن)** أي وكانوا

وكانوا يحجون بلا زاد فيكونون كلاً على الناس ﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾ ما يبلغكم لسفركم ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ ما يتقى به سؤال الناس وغيره ﴿وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ ﴿١٩٧﴾ ذوي العقول ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في ﴿أَن تَبْتَغُواْ﴾ تطلبوا ﴿فَضْلًا﴾ رزقاً ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بالتجارة في الحج نزل رداً لكراهتهم ذلك ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم﴾ دفعتم ﴿مِّنْ عَرَفَـٰتٍ﴾ بعد الوقوف بها ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ بعد المبيت بمزدلفة بالتلبية والتهليل والدعاء ﴿عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ هو جبل في آخر المزدلفة يقال له قزح وفي الحديث «أنه ﷺ وقف به يذكر الله ويدعو حتى أسفر جداً» رواه مسلم ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ لمعالم دينه ومناسك حجه والكاف للتعليل ﴿وَإِن﴾ مخففة ﴿كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ﴾ قبل هداه ﴿لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ ﴿١٩٨﴾ ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ﴾ يا قريش ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ أي من عرفة بأن تقفوا بها

حديثي عهد بإسلام ويزعمون أنهم متوكلون. قوله: **(كلاً على الناس)** أي عالة. قوله: **(وغيره)** أي كالغصب والسرقة. قوله: **(نزل رداً لكراهتهم ذلك)** أي فلا بأس بالتجارة بالحج إذا كانت لا تشغله عن أفعاله، واختلف هل التجارة تنقص ثواب الحج أو لا، قال بعضهم إن كانت التجارة أكبر همه ومبلغ علمه سقط الفرض عنه وليس ثوابه كمن لا قصد له إلا الحج، وإن استوى الأمران فلا يذم ولا يمدح وإن كانت التجارة تبعاً للحج فقد حاز خير الدنيا والآخرة.

قوله: **﴿مِنْ عَرَفَاتٍ﴾** هو مصروف ويصح منعه من الصرف للعلمية والتأنيث لأنه علم على البقعة. قوله: **(بعد الوقوف بها)** أعلم أن الركن عند مالك إدراك جزء من الليل، وأما النهار فهو واجب يجبر بالدم، وعند الشافعي أحدهما كاف، فمن أدرك جزءاً من الليل وجزءاً من النهار فقد تم حجه باتفاق، والأفضل الوقوف عند الصخرات العظام هناك لأنه موقف رسول الله ﷺ. قوله: **(بعد المبيت بمزدلفة)** أي ويجمعون بها المغرب والعشاء جمع تأخير ويقصرون العشاء إلا أهلها ويستمرون بها إلى صلاة الصبح فيصلونها ثم يتوجهون إلى المشعر الحرام فيقفون به إلى الأسفار. قوله: **(التلبية)** هذا جرى على مذهب الشافعي، وأما عند مالك فيقطع التلبية من وصوله لعرفة وصلاته الظهر والعصر بها. قوله: **(هو جبل في آخر المزدلفة)** أي من جهة منى عند منارة بلا جامع. قوله: **(قزح)** على وزن عمر. قوله: **(والكاف للتعليل)** أي فالمعنى اذكره لأجل هدايته إياكم، ولأجل أنكم كنتم قبل ذلك من الضالين. قوله: **﴿وَإِنْ﴾** **(مخففة)** أي مهملة لا عمل لها. قوله: **﴿لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾** أي من التائهين عن الهدى فهي نعمة ثانية يجب الشكر عليها، قال تعالى في مقام تعداد النعم: (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان) الآية.

قوله: **﴿ثُمَّ أَفِيضُوا﴾** أي قفوا بعرفة، وتقدم أن معنى الإفاضة الدفع فأطلقه وأراد لازمه وهو الوقوف. قوله: **(ترفعاً)** أي تكبراً. قوله: **(وثم للترتيب في الذكر)** جواب عن سؤال مقدر حاصله أن الإتيان بثم يقتضي أن الأمر بالوقوف بعد رجوع الناس من عرفة ووصولهم منى مع أن الأمر ليس كذلك، فأجاب المفسر بذلك، وأجيب أيضاً بأن ثم بمعنى الواو وهي لا تقتضي ترتيباً وأجيب أيضاً بأن في الكلام تقديماً وتأخيراً، فقوله: (ثم أفيضوا) معطوف على قوله فاتقون، وقوله: (فإذا أفضتم) مرتب عليه،

معهم وكانوا يقفون بالمزدلفة ترفعاً عن الوقوف معهم، وثم للترتيب في الذكر ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَ﴾ من ذنوبكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿رَّحِيمٌ﴾ ﴿١٩٩﴾ بهم ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم﴾ أديتم ﴿مَّنَٰسِكَكُمۡ﴾ عبادات حجكم بأن رميتم جمرة العقبة وطفتم واستقررتم بمنى ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ بالتكبير والثناء ﴿كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ﴾ كما كنتم تذكرونهم عند فراغ حجكم بالمفاخرة ﴿أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗا﴾ من ذكركم إياهم ونصب أشد على الحال من ذكراً المنصوب باذكروا إذ لو تأخر عنه لكان صفة له ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا﴾ نصيبنا ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ فيؤتاه فيها ﴿وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ﴾ ﴿٢٠٠﴾ نصيب ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ﴾ نعمة ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ﴾ هي الجنة ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ ﴿٢٠١﴾ بعدم دخولها وهذا بيان لما كان عليه المشركون ولحال المؤمنين والقصد به الحث على طلب خيري الدارين كما وعد بالثواب عليه بقوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ﴾ ثواب ﴿مِّنۡ﴾ أجل

ويكون الخطاب لعموم الناس. قوله: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ﴾ أي اطلبوا منه مغفرة ذنوبكم بتلك المواضع المطهرة فإنها مهبط تجلي الرحمات وإجابة الدعوات.

قوله: ﴿مَنَاسِكَكُمْ﴾ جمع منسك وهي العبادات التي عين الشارع لها أماكن مخصوصة، كالطواف لا يكون إلا بالبيت، والسعي لا يكون إلا بين الصفا والمروة، والوقوف لا يكون إلا بعرفة، والرمي لا يكون إلا بمنى، فالمعنى أديتم العبادات في أماكنها المعهودة. قوله: **(المفاخرة)** كانت العرب في الجاهلية بعد فراغ حجهم يذكرون آبائهم بالخصال الحميدة نظماً ونثراً فكان الواحد منهم يقول مثلاً إن أبي كان كبير الجفنة أي القصعة فتاكاً بالشجعان وهكذا لأنه يوما اجتماع للقبائل من العام إلى العام. قوله: **(من ذكراً المنصوب باذكروا)** أي على المصدرية. قوله: **(إذ لو تأخر عنه لكان صفة له)** أي لأن القاعدة أن نعت النكرة إذا تقدم عليها يعرب حالاً وتعرب النكرة بحسب العوامل، فيكون التقدير فاذكروا الله ذكراً كائناً كذكركم آباءكم أو أشد.

قوله: ﴿فَمِنَ النَّاسِ﴾ هذا بيان لحال من يقف بعرفة، قوله: ﴿مِنْ خَلَاقٍ﴾ من صلة. قوله: **(نصيب)** أي حظ وهذا دعاء غير المؤمنين بغير الآخرة، وقوله ومنهم هذا هو دعاء المؤمنين بها. قوله: **(نعمة)** أي بركة وخيراً وذلك كالعافية والزوجة الحسنة والدار الواسعة وغير ذلك مما يعين على الدار الآخرة فكل أمر في الدنيا يوافق الطبع ويعين على الدار الآخرة فهو من حسنات الدنيا. قوله: **(هي الجنة)** أي دخولها بسلام بحيث يموت على الإسلام ولا يلحقه حساب ولا عذاب ويرى وجه الله الكريم، وهذا أحسن ما فسر به حسنة الدنيا والآخرة، وهو معنى قوله في الحديث لعائشة: «سلي الله العافية في الدارين».

قوله: ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ من عطف اللازم على الملزوم، وأصل قنا أو قنا حذفت الواو لوقوعها بين عدوتيها في المضارع ثم حذفت الهمزة للإستغناء عنها لأنه أتى بها توصلاً للنطق بالساكن وقد زال، وقد ورد أن المؤمن الناجي يكون بينه وبين النار مسيرة خمسمائة عام عرضاً وعمقاً. قوله: **(بعدم دخولها)** أي أصلاً فلا ندخلها ولا نراها. قوله: **(لما كان عليه المشركون)** أي هو الأول، وقوله، ولحال المؤمنين أي وهو الثاني. ، قوله: **(الحث على طلب خيري الدارين)** أي لا التخيير بين كونه يدعوه بشيء

﴿مَا كَسَبُوا﴾ عملوا من الحج والدعاء ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ﴿٢٠٢﴾ يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالتكبير عند رمي الجمرات ﴿فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ أي أيام التشريق الثلاثة ﴿فَمَن تَعَجَّلَ﴾ أي استعجل بالنفر من منى ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي في ثاني أيام التشريق بعد رمي جماره ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بالتعجيل ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ بها حتى بات ليلة الثالث ورمى جماره ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بذلك أي هم مخيرون في ذلك ونفي الأثم ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾ الله في حجه لأنه الحاج في الحقيقة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ﴿٢٠٣﴾ في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم ﴿وَمِنَ

يؤتاه في الدنيا فقط، أو بحسنة الدنيا والآخرة، ولخسة الأول في دعائهم لم يبين الله ما طلبوه في الدنيا. قوله: **(ثواب)** أي على الطلب فيؤتون سؤالهم ويزادون ثواباً على طلبهم، ذلك لأن الدعاء مع العبادة. قوله: **(في قدر نصف نهار)** بل قد ورد أنه في مقدار ساعة بل ورد أيضاً كلمح البصر، وذلك كناية عن عظيم قدرته، فمن كان هذا وصفه ينبغي أن يتقي ويخشى، وما من أحد من لمحاسبين إلا ويرى أنه لا محاسب غيره وذكل بعد انفضاض الموقف الذي تدنو الشمس فيه من الرؤوس، ويسيل العرق في الأرض سبعين ذراعاً، وتكون النار حول الخلائق، وتحيط الملائكة بالمخلوقات فيكونون سبع صفوف يحولون بينهم وبين النار، وهو يختلف باختلاف الناس فنسأل الله السلامة من أهواله. قوله: **(عند رمي الجمرات)** أي عند رمي كل حصاة من حصيات الجمار يقول الله أكبر، وكذلك عقب الصلوات وعند الذبح بأن يقول: بسم الله والله أكبر اللهم إن هذا منك وإليك، قوله: **(أي أيام التشريق الثلاثة)** أي وهي ثاني يوم النحر وتالياه، وأما يوم النحر فمعلوم للذبح غير معدود للرمي، واليومان بعده معلومان معدودان، والرابع معدود غير معلوم عند مالك وأبي حنيفة وعند الشافعي معلوم أيضاً، وما ذكره المفسر من أن المراد بالأيام المعدودات أيام التشريق الثلاثة هو ما عليه مالك والشافعي، وإطلاق التشريق على الثلاثة اعتبار بمذهب الشافعي، والحاصل أن يوم النحر يفعل فيه رمي جمرة العقبة ثم النحر ثم الحلق ثم طواف الإفاضة، وفي الثاني يرمي ثلاث جمرات يبدأ بالتي تلي مسجد منى ثم بالوسطى ثم يختم بالعقبة، وكذا في الثالث والرابع إن لم يتعجل. قوله: **(أي في ثاني أيام التشريق)** دفع بذلك ما يتوهم أن له التعجل في كل من اليومين مع أنه لا معنى له. قوله: **(بعد رمي جماره)** أو هو بعد الزوال ومحل التخيير إن لم تغرب عليه الشمس وهو بمنى وإلا فيلزمه المبيت بها لرمي الثالث، وأصل مشروعية الرمي عند أمر إبراهيم الخليل بذبح ولده، فلما توجه به لمنى تعرض له الشيطان عند المسجد فرماه بسبع حصيات، ثم تعرض له عند الوسطى فرماه أيضاً بسبع، ثم تعرض له عند العقبة فرماه أيضاً بسبع، فهو ما زال سببه وبقي حكمه.

قوله: **﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾** أي لا حرج لأنه رخصة. قوله: **(أي هم مخيرون)** جواب عن سؤال وهو أن المتأخر أتى بالمطلوب فكيف ينفى عنه الإثم، وأجيب أيضاً بأن ذكر الإثم في جانب المتأخر مشاكلة، وأجيب أيضاً بأنه رد على من زعم من الجاهلية أن على المعجل الإثم وعلى من زعم منهم أن على المتأخر الإثم. قوله: **(ونفي الإثم)** **﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾** أشار بذلك إلى أن لمن اتقى خبر لمحذوف قدره بقوله ونفي الإثم. قوله: **(لأنه الحاج على الحقيقة)** وفي نسخة في الحقيقة أي لاستكماله الشروط والآداب، وأما غير المتقي فعليه الإثم مطلقاً تعجل أو تأخر كالحاج بالمال الحرام ومرتكب المعاصي. قوله: **(فيجازيكم بأعمالكم)** أي إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ ولا يعجبك في الآخرة لمخالفته لاعتقاده ﴿وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ﴾ أنه موافق لقوله ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾ ﴿٢٠٤﴾ شديد الخصومة لك ولأتباعك لعداوته لك وهو الأخنس بن شريق كان منافقاً حلو الكلام للنبي ﷺ يحلف أنه مؤمن به ومحب له فيدني مجلسه فأكذبه الله في ذلك ومر بزرع وحمر لبعض المسلمين فأحرقه وعقرها ليلاً كما قال تعالى ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾ انصرف عنك ﴿سَعَىٰ﴾ مشى ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ﴾ من جملة الفساد ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾ ﴿٢٠٥﴾ أي لا يرضى به ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في فعلك ﴿أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ﴾ حملته الأنفة والحمية على العمل ﴿بِٱلۡإِثۡمِۚ﴾ الذي أمر بإتقائه ﴿فَحَسۡبُهُۥ﴾ كافيه ﴿جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ ﴿٢٠٦﴾ الفراش هي ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي﴾ يبيع ﴿نَفۡسَهُ﴾ أي يبذلها في طاعة الله ﴿ٱبۡتِغَآءَ﴾ طلب ﴿مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ﴾ رضاه وهو صهيب لما آذاه المشركون هاجر إلى المدينة وترك لهم ماله ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ ﴿٢٠٧﴾ حيث أرشدهم لما فيه رضاه. ونزل في عبدالله ابن سلام وأصحابه لما عظموا السبت وكرهوا الإبل بعد الإسلام ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي

قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ معطوف على قوله فمن الناس من يقول ربنا الآية، فقد قسم الله الناس على أربعة أقسام: الأول من يطلب الدنيا لا غير، ومنهم من يطلب الدنيا والآخرة، ومنهم من يظهر أنه من أهل الآخرة مع أنه في الواقع من أهل النار، ومنهم من هو مؤمن ظاهراً وباطناً، وذكرهم على هذا الترتيب. قوله: **(الأخنس بن شريق)** هذا لقبه واسمه أبي وكان يتبعه ثلاثمئة منافق من بني زهرة، وسبب تلقيبه بالأخنس أنه اختفى يوم بدر هو وجماعته فقال لهم إن انتصر محمد فالعزة لكم لعدم ظهور العداوة منكم، وإن انتصر الكفار فقد كفيتموه. قوله: **(حلو الكلام)** أي والمنظر قوله: **(فيدني مجلسه)** أي فيقربه منه، وفي الحديث: «إنا لنبش في وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم». قوله: **(فأكذبه الله في ذلك)** أي في دعواه وفي حلفه. قوله: **(وحمر)** جمع حمار. قوله: **(وعقرها)** أي قطع رجلها. قوله: ﴿لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ علة لقوله سعى. قوله: ﴿وَيُهْلِكَ الحَرْثَ والنَّسْلَ﴾ تفصيل للإفساد.

قوله: ﴿بالإثْمِ﴾ الباء للملابسة، والإتيان بقوله بالإثم يسمى عند علماء البديع تتميماً لأنه ربما يتوهم أن المراد عزة ممدوحة. قوله: ﴿وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ أي إن الله جعل له جهنم غطاء ووطاء، فأكرمه كما تكرم أم الصبي ولدها بالغطاء والوطاء اللينين وذلك من باب التهكم. قوله: **(وهو صهيب)** أي ابن سنان الرومي حين أسلم تعرض له المشركون وآذوه، فقال إني رجل كبير مسكين ليس بنافعكم وفراري ليس بضاركم، فإن كان من جهة المال فها هو فتركه وهاجر لرسول الله، وقد مدحه رسول الله بقوله نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه، أي لو انتفى عنه خوف الله لا يقع منه عصيان، لأن طاعته محبة في الله لا طمعاً في جنة ولا خوفاً من نار. قوله: **(حيث أرشدهم لما فيه رضاه)** أي فقد جعل النعيم الدائم في نظير العمل القليل، فإن الخلود في الجملة جزاء كلمة الإخلاص ومن جملة رأفته مضاعفة الحسنات وعدم مضاعفة السيئات، وعدم مؤاخذة من كفر خوف القتل، وقبول التائب وأن بالغ في العصيان وطال زمانه. قوله: **(ونزل في عبد الله بن سلام)** أي وكان من أحبار اليهود. قوله: **(وأصحابه)** أي الذين أسلموا معه من اليهود. قوله: **(لما عظموا السبت)** أي احترموه بتحريم الصيد فيه كما كان في شرع موسى. قوله:

﴿ٱلسِّلۡمِ﴾ بفتح السين وكسرها الإسلام ﴿كَآفَّةً﴾ حال من السلم أي في جميع شرائعه ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ﴾ طرق ﴿ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ أي تزيينه بالتفريق ﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ ﴿٢٠٨﴾ بين العداوة ﴿فَإِن زَلَلۡتُم﴾ ملتم عن الدخول في جميعه ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾ الحجج الظاهرة على أنه حق ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء عن انتقامه منكم ﴿حَكِيمٌ﴾ ﴿٢٠٩﴾ في صنعه ﴿هَلۡ﴾ ما ﴿يَنظُرُونَ﴾ ينتظر التاركون الدخول فيه ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي أمره كقوله أو يأتي أمر ربك أي عذابه ﴿فِي ظُلَلٖ﴾ جمع ظلة ﴿مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾ السحاب ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ﴾ تم أمر هلاكهم ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ ﴿٢١٠﴾ بالبناء للمفعول والفاعل في الآخرة فيجازي ﴿سَلۡ﴾ يا محمد

(وكرهوا الإبل) أي حيث حرموا أكل لحومها وشرب ألبانها. قوله: **(بعد الإسلام)** أي بعد أن دخلوا في الإسلام لم يتمسكوا بجميع شرائعه، فوبخهم الله على ذلك. قوله: **(بفتح السين وكسرها)** قراءتان سبعيتان هنا وفي الأنفال والقتال لكن الأكثر هنا الكسر وما هناك العكس، وقوله الإسلام إشارة لمعناه هنا على القراءتين، وأما في الأنفال والقتال فمعناه الصلح. قوله: **(حال من السلم)** أي وهو يذكر ويؤنث فلذا أتى بالتاء في كافة، وقال تعالى أيضاً: (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها). قوله: **(أي تزيينه)** أي تحسينه أموراً لكم، والمعنى لا تتبعوا طرق الشيطان التي يزينها لكم بوسوسته. قوله: **(بالتفريق)** أي بأن تتبعوا محمداً في أمور وموسىٰ في أمور أخر.

قوله: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ تعليل لما قبله، والعدو هو الذي يسره ما يضرك ويضره ما يسرك. قوله: **(بين العداوة)** من أبان اللازم، والمعنى أن عداوته بينة وظاهرة لمن نور الله بصيرته وأراد به خيراً، قال تعالى: (إن الذين اتقوا إذ مسهم طائف من الشيطان تذكروا). قوله: **(عن الدخول في جميعه)** أي جميع أحكامه. قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ إن قلت أن الزلل لا يكون إلا بعد مجيئها أجيب بأن المراد بمجيئها ظهورها ظهوراً بيناً. قوله: **(لا يعجزه شيء)** أي فلا تفلتون منه. قوله: ﴿حَكِيمٌ﴾**(في صنعه)** أي يضع الأشياء في محلها ومنها عذاب المفرق.

قوله: بـ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ الإستفهام هنا إنكاري توبيخي. قوله: **(الدخول فيه)** أي في جميع أحكامه. قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ﴾ استثناء مفرغ، والمعنى لا ينتظرون شيئاً إلا اتيان الله في ظلل. قوله: **(أي أمره)** دفع بذلك ما يقال إن الإتيان بمعنى الإنتقال من صفات الحوادث وهي مستحيلة على الله تعالى. قوله: ﴿فِي ظُلَلٍ﴾ ظرف للإتيان المذكور، والمعنى أن الله يرسل عليهم العذاب في صورة الرحمة، وذلك لأن شأن السحاب الرقيق أن تأتي بالأمطار التي يكون فيها منافع لهم، وذلك مكر عظيم من الله بهم.

قوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ عطف على لفظ الجلالة، والمعنى أن إتيان الملائكة مصاحب لعذاب الله المظروف في السحاب الرقيق، وقرىء شاذاً بجر الملائكة واختلفوا في عطفه، فقيل معطوف على ظلل وقيل على الغمام. قوله: ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ عبر بالماضي لتحقق وقوعه، فالمقام للمضارع لمناسبة يأتيهم وينظرون وهذا وعيد عظيم لكل من لم يستجمع أحكام الإسلام، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. قوله: **(فيجازي كلا بعمله)** أي فيحاسبكم على النقير والقطمير ويؤول أمركم إما إلى جنة أو إلى نار.

﴿ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ تبكيتاً ﴿ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم ﴾ كم استفهامية معلقة سل عن المفعول الثاني وهي ثاني مفعولي آتينا ومميزها ﴿مِّنۡ ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖۗ﴾ ظاهرة كفلق البحر وإنزال المن والسلوى فبدلوها كفراً ﴿وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ ﴾ أي ما أنعم به عليه من الآيات لأنها سبب الهداية ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ ﴾ كفراً ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ ﴿٢١١﴾ له ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ من أهل مكة ﴿ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا ﴾ بالتمويه فأحبوها ﴿ وَ ﴾ هم ﴿ يَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ ﴾ لفقرهم كبلال وعمار وصهيب أي يستهزئون بهم ويتعالون عليهم بالمال ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ ﴾ الشرك وهم هؤلاء ﴿فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن

قوله: ﴿سَلْ﴾ أصله اسأل نقلت فتحة الهمزة الثانية إلى الساكن قبلها فسقطت تلك الهمزة تخفيفاً ثم سقطت همزة الوصل للإستغناء عنها فصار وزنه فل. قوله: (تبكيتاً) أي تقريعاً وتوبيخاً لا للإستفهام منهم، وهذا تسلية لرسول الله ﷺ، أي فلا غرابة في عدم إيمانهم بك، فأننا آتيناهم آيات بينات على يد موسى فلم يؤمنوا ولم ينقادوا. قوله: (معلقة سل عن المفعول الثاني) التعليق هو إبطال العمل لفظاً لا محلاً والإلغاء إبطاله لفظاً ومحلاً فتكون جملة كم آتيناهم في المعنى في محل المفعول الثاني لسل إن قلت إن التعليق مختص بأفعال القلوب وسل ليست منها، أجيب بأنها سبب للعلم والعلم منها. قوله: (وهو ثاني مفعولي آتينا) أي كم ومفعولها الأول الهاء من هم. قوله: (ومميزها) أي مميزكم. قوله: (كفلق البحر) أي اثني عشر طريقاً. قوله: (وإنزال المن والسلوى) أي وهم في التيه حين أمروا بقتل الجبارين. قوله: (فبدلوها كفراً) هذا إشارة للبدل، والمعنى أن الله يأتيهم بالآيات فيبدلونها بالكفر.

قوله: ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ﴾ من شرطية ويبدل فعل الشرط، وقوله: ﴿فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ جوابه. قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾ أي اتضحت وثبتت له. قوله: (كفراً) هذا هو المفعول الثاني وقد صرح به في قوله تعالى: (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً). قوله: (له) قدره المفسر لصحة جعل الجملة جواب الشرط.

قوله: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ زين فعل ماض مبني للمفعول، ونائب الفاعل قوله الحياة الدنيا، وللذين كفروا متعلق بزين، وفاعل الزينة حقيقة هو الله، والشيطان مجازاً، وقرىء ببناء الفعل للفاعل، والحياة مفعول، والفاعل ضمير يعود على الله أو الشيطان، وجرد الفعل من العلامة لكون نائب الفعل مجازي التأنيث سيما مع وجود الفاصل. قوله: (من أهل مكة) تخصيص بحسب السبب وإلا فكل كافر كذلك. قوله: (بالتمويه) أي التحسين الظاهر الذي باطنه قبيح. قوله: ﴿وَ﴾(هم) ﴿يَسْخَرُونَ﴾ قدره المفسر إشارة إلى أن الجملة حالية، قال ابن مالك:

وذات واو بعدها انو مبتدأ له المضارع اجعلن مسنداً

قوله: (لفقرهم) أي لتركهم الدنيا وإقبالهم على الآخرة. قوله: (كعمار) أي ابن ياسر. (قوله وبلال) أي الحبشي لما أسلم عذب في الله عذاباً شديداً، وقوله وصهيب تقدمت قصته. قوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ جملة حالية. قوله: ﴿فَوْقَهُمْ﴾ أي حساً لكونهم في الجنة وهي عالية وجهنم سافلة، ومعنى لكونهم مكرمين والكفار مهانون. قوله: (والله يرزق) جملة مستأنفة كالدليل لما قبلها.

يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ﴿٢١٢﴾ أي رزقاً واسعاً في الآخرة أو الدنيا بأن يملك المسخور منهم أموال الساخرين ورقابهم ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ على الإيمان فاختلفوا بأن آمن بعض وكفر بعض ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ إليهم ﴿ مُبَشِّرِينَ ﴾ من آمن بالجنة ﴿ وَمُنذِرِينَ ﴾ من كفر بالنار ﴿ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ بمعنى الكتب ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ متعلق بأنزل ﴿ لِيَحْكُمَ ﴾ به ﴿ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ من الدين ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ ﴾ أي الدين ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ ﴾ أي الكتاب فآمن بعض وكفر بعض ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ الحجج الظاهرة على التوحيد ومن متعلقة باختلف وهي وما بعدها مقدم على الاستثناء في المعنى ﴿ بَغْيًۢا ﴾ من الكافرين ﴿ بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ﴾ للبيان ﴿ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ﴾ بإرادته ﴿ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ هدايته ﴿ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ﴿٢١٣﴾ الطريق الحق. ونزل في جهد أصاب المسلمين ﴿ أَمْ ﴾ بل أ ﴿ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ

قوله: **(أي رزقاً واسعاً في الآخرة)** أي لما في الحديث «لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها». قوله: **(أو في الدنيا هذا تفسير آخر**، وقوله: **(بأن يملك المسخور منهم إلخ)** أي وقد حصل ذلك بعد الفتح وفي الغزوات، فإنه ما من غزوة إلا ويأخذ منهم الأموال والرقاب في تلك الغزوة، بل زادهم الله بأن ملكهم رقاب الملوك وأموالهم، والحاصل أن رزق المؤمن في الدنيا بغير حساب بخلاف الكافر، وفي الحديث: «أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب»، وأما في الآخرة فالأمر ظاهر.

قوله: **﴿كَانَ النَاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾** أي في مبدأ الدنيا من آدم إلى إدريس وقيل من آدم إلى نوح، والمعنى أنهم كانوا على الحق ولا اختلاف بينهم في تلك المدة، وقيل كانوا على باطل في تلك المدة وهو ضعيف، ولذا لم يعرج عليه المفسر. قوله: **(بأن آمن بعض الخ)** أي بعد ظهور نوح أو إدريس. قوله: **(من آمن)** هذا معمول مبشرين، وقوله: **(من كفر)** معمول لمنذرين. قوله: **﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ﴾** أي مع مجموعهم لا جميعهم. قوله: **(بمعنى الكتب)** أشار بذلك إلى أن أل جنسية. قوله: **(متعلق بأنزل)** أي والباء للملابسة. قوله **﴿لِيَحْكُمَ﴾** يحتمل عود الضمير على الله لأنه الحاكم حقيقة، ويحتمل عوده على الأنبياء باعتبار كل فرد من أفرادهم، أي ليحكم كل نبي بين أمته. قوله: **(من الدين)** بيان لما.

قوله: **﴿إلاَّ الذِينَ أوتُوهُ﴾** استثناء مفرغ فالمستثنى منه محذوف، أي وما اختلف فيه أحد إلا الذين أوتوه، والمعنى لم يختلف في الدين أحد إلا الذين أوتوا الكتاب، فالاختلاف من عهد إنزال الكتب، وذلك يؤيد القول بأن الاختلاف من زمن إدريس. قوله: **(وهي وما بعدها مقدم على الاستثناء)** أي فيكون المعنى وما اختلف في الدين أحد من بعد ظهور الحجج الواضحة حال كون الاختلاف بغياً إلا الذين أوتوه، وإنما جعل مقدماً على الاستثناء لئلا يكون الاستثناء المفرغ متعدداً مع أنه لا يكون كذلك لأنه يصير المعنى حينئذ: إلا الذين أوتوه إلا من بعد ما جائتهم البينات إلا بغياً بينهم.

قوله: **﴿بغْياً﴾** أي ظلماً وتعدياً. قوله: **(للبيان)** أي بيان الأمر الذي اختلفوا فيه. قوله: **(بإرادته)** أي سبقت إرادته بهداية الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه الكفار. قوله: **(هدايته)** أشار بذلك إلى أنه مفعول يشاء، وأشار بذلك إلى أن الهداية والاضلال ليسا من فعل الإنسان بل بخلق الله، فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً. قوله: **(طريق الحق)** أي دين

وَلَمَّا ﴾ لم ﴿ يَأْتِكُم مَّثَلُ ﴾ شبه ما أتى ﴿ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ﴾ من المؤمنين من المحن فتصبروا كما صبروا ﴿ مَّسَّتْهُمُ ﴾ جملة مستأنفة مبينة ما قبلها ﴿ ٱلْبَأْسَآءُ ﴾ شدة الفقر ﴿ وَٱلضَّرَّآءُ ﴾ المرض ﴿ وَزُلْزِلُوا۟ ﴾ أزعجوا بأنواع البلاء ﴿ حَتَّىٰ يَقُولَ ﴾ بالنصب والرفع أي قال ﴿ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ﴾ استبطاء للنصر لتناهي الشدة عليهم ﴿ مَتَىٰ ﴾ يأتي ﴿ نَصْرُ ٱللَّهِ ﴾ الذي وعدناه فأجيبوا من قبل الله ﴿ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ ﴿٢١٤﴾ إتيانه ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ ﴾ يا محمد ﴿ مَاذَا يُنفِقُونَ ﴾ أي الذين ينفقونه، والسائل عمرو بن الجموح وكان شيخاً ذا مال فسأل النبي ﷺ عما ينفق وعلى من ينفق ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ ﴾ بيان لما شامل للقليل والكثير وفيه بيان المنفق الذي هو أحد

الإسلام، سمي طريقاً لأنه يوصل للمقصود كما أن الطريق كذلك. قوله: **(ونزل في جهد)** هو بالفتح المشقة. قوله: **(أصاب المسلمين)** قيل كان ذلك في غزوة الأحزاب حين حاصر الكفار المدينة واحتاطوا بها وقطعوا عنها الوارد ولم يكن بينهم وبين دخولها إلا الخندق، وكانوا إذ ذاك عشرة آلاف مقاتل، فاشتد الكرب والخوف على المسلمين ولا سيما مع وجود ثلاثمائة منافق بين أظهرهم فنزلت الآية.

قوله: **﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾** قدر المفسر بل إشارة إلى أن أم منقطعة والهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي، والمقصود منه تقويتهم على الصبر. قوله: **﴿لَمْ﴾** قدرها إشارة إلى أن لما نافية بمعناها. قوله: **(ما أتى)** قدر ذلك المضاف إشارة إلى أن الشبه في الأمر الذي أتاهم لا في الذوات. قوله: **﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾** تأكيد لخلوا. قوله: **(من المحن)** بيان لما أتى. قوله: **(بالنصب والرفع)** أي فهما قراءتان سبعيتان والنصب بأن مضمرة وحتى بمعنى إلى وهي تنصب المضارع إذا كان مستقبلاً ولا شك أن القول مستقبل بالنسبة للزلزال. إن قلت: إن القول والزلزال قد مضى. فالجواب: أنه على حكاية الحال الماضية، وأما الرفع فهو بناء على أن الفعل بعدها حال مقارن لما قبلها، والحال لا ينصب بعد حتى فتحصل أن لها بعد حتى ثلاثة أحوال: إما أن يكون مستقبلاً أو ماضياً أو حالاً، فالأول ينصب والأخيران يرفعان. قوله: **﴿مَتَى نَصْرُ اللهِ﴾** قدر المفسر يأتي إشارة إلى أن نصرالله فاعل بفعل محذوف، ولكن الأحسن جعله مبتدأ مؤخراً ومتى خبر مقدم، وليس قول الرسول قلقاً وعدم صبر بل ذلك دعاء وطلب لما وعده الله به. قوله: **﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ﴾** أخذ من ذلك أنه إذا اشتد الكرب كان الدعاء بالفرج مستجاباً، قال تعالى: (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء) وقد حقق الله ذلك سريعاً كما قال في سورة الأحزاب: (فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها).

قوله: **﴿يَسْأَلُونَكَ﴾** أي أصحابك المسلمون. قوله: **﴿مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾** ما اسم استفهام مبتدأ، وذا اسم موصول بمعنى الذي خبره، وجملة ينفقون صلته والعائد محذوف أي ينفقونه، والمعنى أن أصحابك يسألونك عن الشيء الذي ينفقونه هل ينفقون مما تيسر ولو حراماً أو يتحرون الحلال، وفي الآية حذف سؤال آخر دل عليه الجواب، والتقدير وعلى من ينفقون، والسؤال عن صدقة التطوع بدليل الجواب. قوله: **(السائل عمرو)** أي إنما جمع السائل في الآية لأن التكليف لكل مسلم، فكان هذا السائل ترجماناً عن كل مسلم، وإنما اعتنى بذلك السؤال لأن الإنسان يوم القيامة ورد أنه يسأل عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه. قوله: **(فسأل النبي الخ)** أي وحينئذ ففي الآية اكتفاء في السؤال حيث حذف الشق الثاني

شقي السؤال وأجاب عن المصرف الذي هو الشق الآخر بقوله ﴿ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ أي هم أولى به ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾ إنفاق أو غيره ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢١٥﴾ فمجاز عليه ﴿كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾ للكفار ﴿وَهُوَ كُرْهٌ﴾ مكروه ﴿لَّكُمْ﴾ طبعاً لمشقته ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ لميل النفس إلى الشهوات الموجبة لهلاكها ونفورها عن التكليفات الموجبة لسعادتها فلعل لكم في القتال وإن كرهتموه خيراً لأن إما الظفر والغنيمة أو الشهادة والأجر، وفي تركه وإن أحببتموه شراً لأن فيه الذل والفقر وحرمان الأجر ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما هو خير لكم ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢١٦﴾ ذلك فبادروا

واكتفى بجوابه. قوله: ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ أي حلال. قوله: **(الذي هو أحد شقي السؤال)** أي المذكور في الآية، قوله: **(وأجاب أي عن المصرف الخ)** أي الذي سؤاله مطوي.

قوله: **﴿وَالأَقْرَبِينَ﴾** أي من أولاد وإخوة وأعمام وعمات، وهو من عطف العام على الخاص، وصرح بذكر الوالدين وإن دخلا في الأقربين اعتناء بشأنهما. قوله: **﴿وَٱلْيَتَامَى﴾** جمع يتيم وهو من فقد أباه وهو دون البلوغ، وقدم اليتامى على المساكين لعجزهم عن التكسب. قوله: **﴿والْمَسَاكِينِ﴾** المراد بهم ما يشمل الفقراء. قوله: **﴿وَآبْنِ السبِيلِ﴾** أي الغريب المسافر. قوله: **﴿وَمَا تَفعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾** ما شرطية، وتفعلوا فعل الشرط، وما بعد الفاء جوابه، وأتى بتلك الجملة طمأنينة للمؤمن في الاكتفاء بوعد الله في المجازاة لأنه وعد بها ووعده لا يتخلف، ومع ذلك لا يغيب عن علمه مثقال ذرة، فيلزم من علمه بالخير من العبد مجازاته عليه، والأسرار بنفقة التطوع أفضل لأن صاحبها من جملة من يظله الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله. قوله: **أو غيره)** أي كالكلام اللين الطيب. قوله: **﴿فَإِن الله بِهِ عَلِيمٌ﴾** أي وقد التزم جزاءه وحقيق بأن ينجزه. ﴾﴾

قوله: **﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾** أي وكان فرضه بعد الهجرة بعد أن نهى رسول الله عنه في نيف وسبعين آية، وهو فرض عين إن فجأ العدو، وكفاية إن لم يفجأ بأن كان في بلده ونحن الطالبون له. قوله: **(الكفار)** أي الحربيين أهل الذمة فيحرم قتالهم. قوله: **(طبعاً)** أي فهو مكروه من جهة الطبع ولا يلزم من كون الطبع يكرهه أنه كاره حكم الله به، بل هو من باب مخالفة النفس. قوله: **﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً﴾** الترجي في كلام الله ليس على بابه بل هو للتحقيق لأنه خبر من أحاط بكل شيء علماً، وعسى هنا تامة تكتفي بمرفوعها قال ابن مالك:

بعد عسى اخلولق أوشك قد يرد غنى بأن يفعل عن ثان فقد

قوله: **﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾** جملة حالية من قوله شيئاً أو صفة له، فاستشكل كل منهما بأن الحال لا يتأتى من النكرة بدون مسوغ وبأن الصفة لا تقترن بالواو. وأجيب عن الأول بأن إتيان الحال من النكرة بدون مسوغ قليل، وعن الثاني أن الصفة أجريت مجرى الحال في جواز اقترانها بالواو، قوله الموجبة لسعادتها أي فالسعادة في طاعة الله والشقاوة في معاصيه. قوله: **(إما الظفر والغنيمة)** أي لمن عاش. قوله: **(أو الشهادة والأجر)** أي لمن مات. قوله: **(لأن فيه الذل)** أي بغلبة العدو علينا. وقوله: **والفقر)** أي لكونه يسلب مالنا. وقوله: **(وحرمان الأجر)** أي المترتب على الجهاد في سبيل الله وهو مضاعفة الحسنات إلى سبعمائة

إلى ما يأمركم به وأرسل النبي ﷺ أول سراياه وعليها عبدالله بن جحش فقاتلوا المشركين وقتلوا ابن الحضرمي آخر يوم من جمادى الآخرة والتبس عليهم برجب فعيرهم الكفار باستحلاله فنزل ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ المحرم ﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾ بدل اشتمال ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ عظيم وزراً، مبتدأ وخبر ﴿وَصَدٌّ﴾ مبتدأ منع للناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دينه ﴿وَكُفْرٌۢ بِهِۦ﴾ بالله ﴿وَ﴾ صد عن ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي مكة ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ﴾ وهم النبي ﷺ والمؤمنون وخبر المبتدأ ﴿أَكْبَرُ﴾ أعظم وزراً ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ من القتال فيه ﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾ الشرك منكم ﴿أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ لكم فيه ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ أي الكفار ﴿يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿حَتَّىٰ﴾ كي ﴿يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ﴾ إلى

ضعف، وغير ذلك مما وعد الله به المجاهدين. قوله: **(وأرسل النبي)** هذا بيان لسبب نزول هذه الآيات من هنا إلى آخر الربع. قوله: **(أول سراياه)** أي وكانت تلك السرية إذ ذاك رجال وقيل اثني عشر، أرسلهم النبي لمحل يقال له نخلة جهة الطائف يتجسسون على الكفار ويأتون بأخبارهم، فبينما هم في ذلك المُوضع إذ مرت بهم عير لقريش من جهة الطائف ومعها أربعة رجال، فقتل أهل السرية أحد الأربعة وأسروا اثنين وهرب واحد وغنموا العير وما عليها، وكان ذلك في آخر يوم من جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين. وأعلم أن جملة سراياه وغزواته سبعون، والسرية من خمسة رجال إلى أربعمائة وما فوقها يقال لها جيش، ثم صريح المفسر يقتضي أنه لم يكن قبلها سرية، والذي ذكره في المواهب أو أول سرية كانت في رمضان سابع شهر من هجرته عليه الصلاة والسلام، والثانية في شوال، والثالثة في صفر، وهذه هي الرابعة، وغزا قبل تلك السرية ثلاث غزوات إلا أن يجاب عن المفسر بأن المراد بأول سراياه التي حصل منها القتل والغنيمة للكفار، وأما ما قبلها فلم يقع فيها قتل ولا غنيمة. قوله: **(وعليها عبدالله بن جحش)** أي أميراً وهو ابن عمة رسول الله. قوله: **(فقاتلوا المشركين)** أي الذين كانوا مع العير. قوله: **(والتبس عليهم برجب)** أي حيث رأوا الهلال كبيراً فالتبس عليهم هل هو ابن ليلة أو ليلتين قول: **(تعيرهم الكفار باستحلاله)** أي حيث قال الكفار للمسلمين أنتم قد استحللتم القتال في الأشهر الحرم.

قوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ أي سؤال اعتراض. قوله: **(بدل اشتمال)** أي من الشهر إذ هو مشتمل على القتال لوقوعه فيه. قوله: ﴿كَبِيراً﴾ أي إن كان عمداً. قوله: **(مبتدأ وخبر)** أي والمسوغ وصفه بالجار والمجرور. قوله: ﴿وَ﴾ (صد عن) قدر ذلك المفسر إشارة إلى أنه معطوف على سبيل مسلط عليه صد، لكن يلزم عليه العطف على المبتدأ قبل استكمال مسوغه، وأجيب بأنه لا يلزم محذور إلا إذا كان المعطوف أجنبياً من المعطوف عليه، وهنا ليس بأجنبي لأن الكفر والصد عن سبيل الله والمسجد الحرام من واد واحد. قوله: **(وخبر المبتدأ)**أي وما عطف عليه وإنما أفرد الخبر لأنه اسم تفضيل مجرد، والقاعدة أن اسم التفضيل إذا كان مجرداً أو مضافاً لنكرة يلزم أن يكون بلفظ واحد للمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، قال ابن مالك:

وإن لمنكور يضف أو جرداً ... ألزم تذكيراً وإن يوحدا

قوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ المقصود من ذلك تحريض المؤمنين على القتال. قوله: **(كي)** ﴿يَرُدُّوكُمْ﴾ أشار بذلك إلى أن حتى للتعليل والفعل منصوب بأن مضمرة بعدها، وعن دينكم متعلق

الكفر ﴿إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾ الصالحة ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ فلا اعتداد بها ولا ثواب عليها والتقييد بالموت عليه يفيد أنه لو رجع إلى الإسلام لم يبطل عمله فيثاب عليه ولا يعيده كالحج مثلاً وعليه الشافعي ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ ﴿٢١٧﴾ ولما ظن السرية أنهم إن سلموا من الإثم فلا يحصل لهم أجر نزل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ فارقوا أوطانهم ﴿وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لإعلاء دينه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾ ثوابه ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿رَّحِيمٌ﴾ ﴿٢١٨﴾ بهم ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ القمار ما حكمهما ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿فِيهِمَآ﴾ أي في تعاطيهما ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ عظيم

يبردوكم. قوله: ﴿إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ جملة شرطية حذف جوابها لدلالة ما قبلها عليه ومفعولها محذوف أيضاً، أي إن استطاعوا ذلك فلا يزالون يقاتلونكم. قوله: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ﴾ هكذا القراءة هنا بالفك لا غير، وأما في المائدة ففيها قراءتان بالفك والادغام. قوله: ﴿وَأَعْمَالُهُمْ﴾(الصالحة) أي وأما السيئة فباقية يعذبون عليها. قوله: (وعليه الشافعي) هذا ضعيف والمعتمد عنده أنه يرجع له عمله مجرداً عن الثواب، وأما عند مالك وأبي حنيفة فهو كالكافر الأصلي إذا أسلم فلا يرجع له شيء من أعماله، ولا يؤمر بالقضاء ترغيباً له في الإسلام إلا ما أسلم في وقته فيفعله، وثمرة الخلاف تظهر في صحابي ارتد ثم عاد للإسلام ولم تثبت رؤيته للنبي بعد ذلك، هل ترجع له الصحبة مجردة عن الثواب، وعليه الشافعي أولاً وعليه مالك وأبو حنيفة، وأما زوجته، فتبين منه وترجع له بالإسلام من غير عقد عند الشافعي، وعند مالك وأبي حنيفة لا ترجع له إلا بالعقد، وحكم المرتد عند مالك أنه يستتاب ثلاثة أيام، فان تاب وإلا قتل بعد غروب الثالث. قوله: (ولما ظن السرية الخ) بل ورد أنهم سألوا النبي عن ذلك.

قوله: ﴿إِنَّ الذينَ آمَنُوا﴾ أي وهم عبدالله بن جحش ومن معه. قوله: (فارقوا أوطانهم) أشار بذلك إلى معنى الهجرة هنا. قوله: ﴿والله غَفُورٌ رَحيم﴾ أي ومن رحمته بهم غفران خطيئتهم وقسم الغنيمة عليهم فإنه نزل بعد هذه الآية: (واعلموا أنما غنمتم من شيء) الآية، فأخذ رسول الله الخمس لبيت المال وفرق عليهم الأربعة أخماس.

قوله: ﴿يَسْأَلُونَك عَنِ الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ﴾ السائل عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وجماعة من الصحابة بقولهم: إن الخمر والميسر يضيعان العقل والمال فأفتنا فيهما، وحاصل ما وقع في الخمر في زمان رسول الله أنه نزل فيه أربع آيات: الأولى نزلت بمكة تدل على حله وهي قوله تعالى: (ومن ثمرات النخل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً) ثم سأل عمر ومعاذ وجماعة النبي بالمدينة عن حكمه فنزل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ﴾ الآية، فشربها قوم لقوله: ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ وامتنع آخرون خوفاً من قوله ﴿فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ ثم إن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاماً لبعض أصحابه فأكلوا وشربوا الخمر، فحضرت صلاة المغرب فأمهم واحد منهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون بإسقاط لا إلى آخر السورة فنزل (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) الآية، فحرمت في أوقات الصلاة دون غيرها، ثم إن عتبان بن مالك صنع طعاماً لجماعة من الصحابة وفيهم سعد بن أبي وقاص فأكلوا وشربوا الخمر فافتخروا وتناشدوا الشعر، فأنشد سعد قصيدة يمدح بها قومه ويهجو الانصار فشج رجل منهم

وفي قراءة بالمثلثة لما يحصل بسببهما من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ باللذة والفرح في الخمر وإصابة المال بلا كد في الميسر ﴿وَإِثْمُهُمَآ﴾ أي ما ينشأ عنهما من المفاسد ﴿أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿مِن نَّفْعِهِمَا﴾ ولما نزلت شربها قوم وامتنع آخرون إلى أن حرمتها آية المائدة ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ أي ما قدره ﴿قُلِ﴾ أنفقوا ﴿ٱلْعَفْوَ﴾ أي الفاضل عن الحاجة ولا تنفقوا ما تحتاجون إليه وتضيعوا أنفسكم وفي قراءة بالرفع بتقدير هو ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي كما بين لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٢١٩﴾ ﴿فِى﴾ أمر ﴿ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ فتأخذون بالأصلح لكم فيهما ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ وما يلقونه من الحرج في شأنهم فإن واكلوهم يأثموا وإن عزلوا ما لهم

رأسه، فرفع ذلك لرسول الله ﷺ فقال عمر: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فأنزل الله آية المائدة إلى قوله: (فهل أنتم منتهون) فقال عمر: انتهينا يا رب، فكان يوم نزولها عيداً عظيماً، والخمر كل مائع غيب العقل ولو من غير ماء العنب وهو نجس وفيه الحد قليلاً أو كثيراً، بل بالغ بعض المالكية في الحديث أوجبه على من وضع إبرة فيه ومصها وبلع ريقه، والحاصل أن المتخذ من ماء العنب نجس يحرم قليله وكثيرة أسكر أم لا ويحد شاربه بإجماع، وأما المتخذ من غيره من سائر المائعات التي دخلتها الشدة المطربة فكذلك عند الأئمة الثلاثة وبعض الحنفية، وقال بعضهم لا يحرم منه إلا القدر المسكر، وأما الجامد الذي يغيب العقل كالحشيشة والأفيون والبنج والداتورة فطاهر يحرم تعاطي القدر المغيب للعقل منه وفيه الأدب. قوله: **(القمار)** هو آلات الملاهي التي يلعب بها في نظير مال فيشمل الطاب والشطرنج والسيجة، وأما إن كان بغير مال ففيه خلاف، قيل كبيرة وقيل صغيرة وقيل مكروه. قوله: **(أي في تعاطيهما)** لا حاجة له بعد تقدير حكمهما. قوله: **(بالمثلثة)** أي كثير. قوله: **(باللذة والفرح)** أي القوة على الجماع والشجاعة والكرم. قوله: **(إلى أن حرمتها آية المائدة)** ظاهره أن آية المائدة نزلت بعد هذه الآية وليس كذلك بل بينهما آية النساء.

قوله: **﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾** السائل عمرو بن الجموح المتقدم، فسأل أولا عن جنس المال الذي ينفق منه وعلى من ينفقه، وسأل ثانياً عن القدر المنفق فلم يكن بين السؤالين تكرار، وتقدم الجواب عن الجمع بأنه لما كان ذلك السؤال ينفع جميع الناس فكأن السائل جميع الناس. قوله: **(وتضيعوا أنفسكم)** أي فالاسراف مذموم وكذا التقتير، قال تعالى: (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط) الآية، وقال تعالى: (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً). قوله: **(قراءة بالرفع)** أي وهي لأبي عمرو من السبع، وسبب القراءتين الاختلاف في إعراب ماذا ينفقون، فمن أعرب ماذا جميعها اسم استفهام معمولا لينفقون فالجملة فعلية فيكون جوابها كذلك، فقوله العفو بالنصب معمول لمحذوف، والجملة في محل نصب مقول القول لأن القول لا ينصب إلا الجمل أو ما قام مقامها، ومن أعرب ما وحدها اسم استفهام مبتدأ وذا اسم موصول خبره وجملة ينفقون صلته فالجملة اسمية فيكون جوابها كذلك، فالعفو بالرفع خبر لمحذوف أي هو العفو، والجملة على كل حال مقول القول وهذا هو المناسب، وإلا فيصح جعل السؤال جملة اسمية، والجواب جملة فعلية وبالعكس. قوله: **﴿فِي﴾** **(أمر)** **﴿الدُّنْيَا﴾** أي فتصلحوها ولا تسرفوا ولا تقتروا. قوله: **﴿وَالآخِرَةِ﴾** أي فتصلحوها بالأعمال

من أموالهم وصنعوا لهم طعاماً وحدهم فحرج ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ﴾ في أموالهم بتنميتها ومداخلتكم ﴿خَيْرٌ﴾ من ترك ذلك ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ﴾ أي تخلطوا نفقتكم بنفقتهم ﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾ أي فهم إخوانكم في الدين ومن شأن الأخ أن يخالط أخاه أي فلكم ذلك ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ﴾ لأموالهم بمخالطته ﴿مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ بها فيجازي كلاً منهما ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ لضيق عليكم بتحريم المخالطة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ ﴿٢٢٠﴾ في صنعه ﴿وَلَا تَنكِحُوا﴾ تتزوجوا أيها

الصالحة، فلا تشددوا حتى تملوا، ولا تتركوا حتى تغفلوا بل التوسط مطلوب في أمر الدنيا والآخرة.

قوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ سبب نزولها أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً﴾ اشتد الكرب على أولياء الأيتام فشكوا لرسول الله ذلك فقالوا يارسول الله إنا إن خالطناهم فبالضرورة لا بد من أكل شيء من أموالهم، وإن عزلناهم يلزم عليه المشقة على اليتامى وعلى أوليائهم فنزلت الآية. قوله: (وما يلقونه من الحرج) هذا بيان لوجه السؤال كأنه قال ويسألونك عما يلقونه من الحرج في شأن اليتامى، والمراد بالحرج الوعيد الوارد في سورة النساء. قوله: (فان واكلوهم) أي خالطوهم. قوله: (يأثموا) أي يقعوا في الأثم المترتب عليه الوعيد، وهذا بيان لوجه الحرج. قوله: (وإن عزلوا مالهم) أي مال اليتامى، وقوله (من أموالهم) أي الأولياء ويصح العكس.

قوله: (فحرج) أي هو حرج فالجملة جواب الشرط.

قوله: ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾ التنوين عوض عن المضاف إليه أي إصلاحكم لهم خير، والوعيد محمول على الأكل بنية الافساد. قوله: (بتنميتها) الباء للسببية أي بسبب زيادتها بالاتجار فيها، وفي الحديث «اتجروا في أموال اليتامى لا تأكلها الزكاة». قوله: (ومداخلتكم) أي مخالطتكم لهم بأن تدخلوا أموالهم في أموالكم قوله: ﴿خَيْرٌ﴾ (من ترك ذلك) أي العزل واختلف في تنمية مال اليتيم بالاتجار ونحوه، فقال مالك حفظ ماله بأي وجه واجب، والأولى أن يكون بالتنمية فهي ليست واجبة وحمل حديث اتجروا على الندب واسم التفضيل على بابه فترك التنمية خير أيضاً لكن الأولى التنمية، وقال الشافعي تنميته والاتجار فيه على حسب الطاقة واجب، وحمل الحديث على الوجوب واسم التفضيل في الآية على غير بابه، فترك التنمية لا خير فيه بل هي المتعينة. قوله: (أي فهم إخوانكم) أشار بذلك إلى أنه خبر لمحذوف والجملة جواب الشرط وهذا من التعبير باللازم، ولذا أشار له المفسر بقوله (أي فلكم ذلك).

قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ أي فيدخل المفسد النار والمصلح الجنة، ودفع بذلك ما يقال ربما الأولياء يدعون الاصلاح بالخلطة، والواقع غير ذلك. قوله: (بتحريم المخالطة) أي بأن يكلف الأولياء بعزل مال اليتيم وطعامه وشرابه، وإن تلف شيء من ذلك فعلى الولي. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ هذا كالتعليل لما قبله، فالمعنى لو شاء الله عنتكم لأعنتكم لأنه غالب على أمره. قوله: ﴿حَكِيمٌ﴾ (في صنعه) أي يضع الشيء في محله فحيث أوجب الله حفظ مال اليتيم سوغ المخالطة وفقاً بالأولياء، والحاصل أنه يخرج من تركة أبي الأيتام مؤن تجهيزه، وأما ما أوصى به من السبح والجمع فمن ثلثه إن وسعه، وأما إن لم يوص وقد جرت العادة بذلك والمال واسع وفعل ذلك كبير رشيد، فعند المالكية يلزم الأيتام ذلك ولا

المسلمون ﴿ٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ أي الكافرات ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾ حرة لأن سبب نزولها العيب على من تزوج أمة وترغيبه في نكاح حرة مشركة ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ لجمالها ومالها وهذا مخصوص بغير الكتابيات بآية والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟﴾ تزوجوا ﴿ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي الكفار المؤمنات ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ لماله وجماله ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ أي أهل الشرك ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ بدعائهم إلى العمل الموجب لها فلا تليق مناكحتهم ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟﴾ على لسان رسله ﴿إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ﴾ أي العمل الموجب لهما ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ بإرادته فتجب إجابته بتزويج أوليائه ﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢٢١) يتعظون ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ أي الحيض أو مكانه ماذا يفعل بالنساء فيه ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾ قذر أو

يحرم الأكل منه حيث لا إسراف فيه وعند الشافعية لا يلزم الأيتام ذلك ويحرم الأكل منه، وأما إن كان المال ضيقاً فلا يلزم الأيتام ذلك اتفاقاً ويحرم الأكل منه، إلا أن يهدي للأيتام ما يفي بما أكله. قوله: (تتزوجوا) يشير إلى أن المراد بالنكاح العقد لا الوطء، ولم يرد في القرآن بمعنى الوطء، وسبب نزول الآية أن رجلاً من الصحابة كان عاشقاً امرأة في الجاهلية، فلما أسلم اجتمع بها في مكة بعد هجرة النبي إلى المدينة فراودته عن نفسه، فقال لها: قد حال بيني وبين ما تطلبينه الإسلام، فقالت له فهل لك في التزوج بي فقال حتى استأذن رسول الله فلما أخبره نزلت الآية. قوله: (أيها المسلمون) تفسير للواو في تنكحوا. قوله: (الكافرات) أي الغير الكتابيات بدليل ما يأتي في المفسر.

قوله: ﴿حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾ فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة وهي فاعله سكنت وأدغمت في نون الفعل. قوله: ﴿خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ﴾ اسم التفضيل ليس على بابه أو باعتبار أمر الدنيا قوله: (على من تزوج أمة) أي وهو عبدالله بن رواحة أو حذيفة بن اليمان كان عند كل منهما أمة فأعتقها وتزوج بها فعيرا بذلك وفي الحقيقة لم يتزوجا إلا بحرة، وأما التزوج بالأمة من غير عتق فيجوز بشرط أن لا يجد للحرائر طولاً وأن يخشى العنت أو تكون أمة كالجد وهذا إن كان يولد له منها وإلا فيجوز بغير شرط، وسيأتي التعرض له في قوله تعالى: (ومن لم يستطع منكم طولاً) الآيات.

قوله: (بغير الكتابيات) أي الحرائر وأما الأمة الكتابية فلا تحل إلا بالملك.

قوله: ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ القراءة بضم التاء بإجماع، وهو ينصب مفعولين المشركين مفعول أول وقدر المفسر المفعول الثاني، والمعنى لا تزوجوا الكفار ولو أهل كتاب المؤمنات. قوله: (المؤمنات) قدره إشارة إلى مفعول تنكحوا الثاني. قوله: ﴿حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ أي إلى أن يدخلوا في الإيمان. قوله: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ الواو للحال ولو شرطية بمعنى أن جوابها محذوف تقديره فلا تزوجوه قوله: ﴿إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ﴾ قدم الجنة هنا لمناسبة النار، وإلا فالمغفرة سبب في دخول الجنة، والسبب مقدم على المسبب، وقد قدمت في قوله تعالى: (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة) وقوله تعالى: (سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة). قوله: (بتزويج أوليائه) أي وهم المسلمون. قوله: ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ﴾ أي يظهرها ويوضحها لهم وللناس متعلق بيبين.

قوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ السائل أبو الدحداح وجماعة من الصحابة، وسبب ذلك أن

محله ﴿فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ﴾ اتركوا وطأهن ﴿فِي ٱلۡمَحِيضِ﴾ أي وقته أو مكانه ﴿وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ﴾ بالجماع ﴿حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَ﴾ بسكون الطاء وتشديدها والهاء وفيه إدغام التاء في الأصل في الطاء أي يغتسلن بعد انقطاعه ﴿فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ﴾ بالجماع ﴿مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾ بتجنبه في الحيض وهو القبل ولا تعدوه إلى غيره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ﴾ يثيب ويكرم ﴿ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ من الذنوب ﴿وَيُحِبُّ

اليهود كانوا يعتزلون النساء في المحيض بالمرة، حتى إنه لا يبيت في مكان فيه حائض، ولا تصنع له حاجة أبداً، ثم اقتدت بهم الجاهلية، وأما النصارى فبخلاف ذلك فإنهم كانوا لا يفرقون بين كونها حائضاً أو لا، فبين الله أن شرعنا بين ذلك قواماً. قوله: (أي الحيض أو مكانه) أعلم أن المحيض مصدر ميمي يصلح للزمان والمكان، فقوله أو مكانه أي أو زمانه، والحيض لغة السيلان يقال حاض الوادي إذا سال، واصطلاحاً دم أو صفرة أو كدرة خرج من قبل من تحمل عادة حالة الصحة والاعتياد، فخرج بقولنا دم الخ القصة البيضاء فإنها علامة الطهر من الحيض لا نفس الحيض، وبقولنا من قبل من تحمل عادة أي وهو ما بين الاثنتي عشرة والخمسين سنة، وأما ما فوق الخمسين إلى الستين من التسعة إلى الاثني عشر يسأل النساء العارفات، فإن قلن إنه حيض كان حيضاً. وإلا فلا خرج به من لا تحمل عادة لصغر أو يأس كبنت ست أو سبعين فليس بحيض، وقولنا حالة الصحة والاعتياد خرج بذلك ما نزل على وجه المرض كالسلس فليس بحيض إلا أن تميزه بعد طهر تام وأكثره للمبتدأة نصف شهر فإن زاد كان استحاضة، وللمعتادة عادتها فإن زاد استظهرت عليها بثلاثة أيام ما لم تجاوز نصف شهر وتصير هي مع الاستظهار عادة لها، وأحكام الحيض مفصلة في الفروع. قوله: (ماذا يفعل بالنساء) هذا هو صورة السؤال.

قوله: ﴿قُلْ هُوَ﴾ أي المحيض بمعنى الدم السائل لا بالمعنى المصدري الذي هو السيلان ففيه استخدام. قوله: (قذر أو محله) لف ونشر مرتب فإن قوله قذر راجع لتفسيره بالمصدر، وقوله أو محله راجع لتفسيره بالمكان. قوله: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ﴾ مفرع على قوله ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾ ولما نزلت هذه الآية فهم بعض الصحابة أن الاعتزال مطلق حتى في المسكن، فقال ناس من الأعراب: يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة، فان آثرناهن هلك سائر أهل البيت، وإن استأثرنا بها هلكت الحيض، فقال إنما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهن ولم تؤمروا باخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم، ثم أعلم أنه يحرم وطء الحائض في الفرج باجماع، وأما التلذذ بما بين السرة والركبة فان كان من الأزار ففيه خلاف، وأما ما عدا ذلك من سائر الجسد فهو جائز باجماع لما في الحديث: «الحائض تشد إزارها وشأنك بأعلاها». قوله: (أي وقته أو مكانه) تفسير له بالزمان أو المكان. قوله: (بالجماع) أي فالمراد قرب خاص. قوله: (وفيه إدغام التاء في الأصل) أي فأصله يتطهرن فلبت التاء طاء ثم أدغمت في الطاء. قوله: (أي يغتسلن بعد انقطاعه) أي الماء إن كان موجوداً وقدرن على استعماله وإلا فالتيمم يقوم مقامه، ولا يجوز قربانها بعد الانقطاع وقبل الطهر عند الأئمة الثلاثة، وجوزه أبو حنيفة حيث انقطع بعد مضي أكثره وهو عشرة أيام عنده، وأما ان انقطع قبل مضي أكثره فلا يجوز قربانها إلا بالغسل أو بمضي وقت الصلاة.

قوله: ﴿مِنْ حَيْثُ﴾ أي في المكان الذي أمركم الله بتجنبه في زمن المحيض. قوله: (ولا تعدوه) بسكون العين وضم الدال، ويصح فتح العين وتشديد الدال. قوله: (إلى غيره) أي وهو الدبر فلا يجوز الايلاج فيه مطلقاً زمن الحيض أو لا. قوله: ﴿التَّوَّابِينَ﴾ أي وهم الذين كلما أذنبوا تابوا. قوله: (من

﴿ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ ﴿٢٢٢﴾ من الأقذار ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ أي محل زرعكم الولد ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ﴾ أي محله وهو القبل ﴿أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿شِئْتُمْ﴾ من قيام وقعود واضطجاع وإقبال وإدبار نزل رداً لقول اليهود: من أتى امرأته في قبلها من جهة دبرها جاء الولد أحول ﴿وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ﴾ العمل الصالح كالتسمية عن الجماع ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في أمره ونهيه ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَـٰقُوهُ﴾ بالبعث فيجازيكم بأعمالكم ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٢٣﴾ الذين اتقوه بالجنة ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي الحلف به ﴿عُرْضَةً﴾ علة مانعة ﴿لِّأَيْمَـٰنِكُمْ﴾ أي نصباً لها بأن تكثروا الحلف به ﴿أَن﴾ لا ﴿تَبَرُّوا۟

الأقذار) أي الحسية والمعنوية، وقدم التوابين لئلا يقنطوا وأخر المتطهرين لئلا يعجبوا وان كانوا اعلى منهم.

قوله: **﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ﴾** أي كالأرض تحرث ليوضع فيها البذر، فشبه النساء بالأرض التي تحرث وشبه النطفة بالبذر الذي يوضع في تلك الأرض، وشبه الولد بالزرع الذي ينبت من الأرض، والمراد من تلك الآية بيان الآية المتقدمة وهي قوله: (من حيث أمركم الله) فبين أن المراد به موضع الزرع وهو القبل لا غيره. قوله: **(وهو القبل)** أخد بعضهم من الآية أنه يحرم وطء النساء في ادبارهن لأنه ليس محل الزرع، وحكمه النكاح وجود النسل، وإنما جعلت الشهوة وسيلة لذلك، وجعلت شهوة النساء أعظم، لأن مشقة النسل عليهن أعظم من الرجال، فتتسلى النساء عن المشقة بعظم الشهوة. قوله: **﴿أَنَّى شِئْتُمْ﴾** أنى بمعنى كيف فهي لتعميم الأحوال. قوله: **(وأدبار)** أي فيجامعها من جهة دبرها لكن في الفرج، والوارد في السنة عن رسول الله في صفة إتيانه لنسائه أنه كان يجلس بين شعبها الاربع وهي مستلقية على ظهرها، وقال الحكماء ادامة الجماع وهو مضطجع على جنبه يورث وجع الجنب. قوله: **(جاء الولد أحول)** أي بياض عينه مكان سوادها. قوله: **(كالتسمية عند الجماع)** أي بأن يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إذا فعل ذلك حفظ الولد من الشيطان، وكتب له بعدد انفاسه وانفاس اولاده حسنات إلى يوم القيامة. قوله: **(في أمر)** أي بالأتيان في القبل والتسمية وقوله ونهيه عن الأتيان في الدبر، وإنما طلبت التسمية في ذلك الموضع لأنها ذكر في وقت غفلة فيكتب من الذاكرين الله في الغافلين، وأهل الله في ذلك لهم تجليات ومشاهدات تجل عن الحصر والكيف، وإلى ذلك الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام: «حبب إليّ من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة» حيث قدم النساء، ولا يقال إن الاشتغال بمشاهدة المنعم يحجب عن اللذة، لأنه يقال إنه مقام جمال وبسط لا جلال وقبض، فعند ذلك تزداد القوة لما ورد أن رسول اعطي قوة أربعة آلاف رجل من أهل الدنيا في الجماع، ويقرب ذلك إذا اضافك ملك عظيم وصنع لك طعاماً عظيماً وجلس معك يباسطك بأنواع المباسطات، فان شهودك له ومسامرته تزيد لذتك في طعامه وشرابه أكثر من تمتعك بذلك في حال غيبتك عنه، فسبحان المعطي المانع.

قوله: **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ﴾** أي ملاقوا جزائه. قوله: **﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً﴾** سبب نزول هذه الآية أن عبدالله بن رواحة كان بينه وبين ختنه أي نسيبه وهو النعمان بن بشير شيء، فحلف أنه لا يواصله أبداً فنزلت، وقيل نزلت في حق الصديق حين حلف على مسطح لما تكلم في الافك أن لا يصله. قوله: **﴿لِأَيْمَانِكُمْ﴾** أي افعال بركم، وسميت أيماناً لتعلق الايمان بها، وقوله أن تبروا الخ بدل من

﴿وَتَتَّقُوا﴾ فتكره اليمين على ذلك ويسن فيه الحنث ويكفر بخلافها على فعل البر ونحوه فهي طاعة ﴿وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ المعنى لا تمتنعوا من فعل ما ذكر من البر ونحوه إذا حلفتم عليه بل ائتوه وكفروا لأن سبب نزولها الامتناع من ذلك ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٢٤﴾ بأحوالكم ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾ الكائن ﴿فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ وهو ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف نحو لا والله وبلى والله فلا إثم عليه ولا كفارة ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي قصدته من الإيمان إذا حنثتم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لما كان من اللغو ﴿حَلِيمٌ﴾ ﴿٢٢٥﴾ بتأخير العقوبة عن مستحقها ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ أي يحلفون أن يجامعوهن ﴿تَرَبُّصُ﴾ انتظار ﴿أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ

أيمانكم. قوله: (أي نصباً لها) أي عرضاً مانعاً من فعل البر. قوله: (بأن تكثروا الحلف به) هذا تفسير آخر للآية، فكان المناسب للمفسر أن يأتي بأو. قوله: ﴿أَنْ تَبَرُّوا﴾ أي تصلوا الرحم مثلاً، وقوله: ﴿وَتَتَّقُوا﴾ أي تصلوا أو تصوموا مثلاً، وقوله: ﴿وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ من عطف الخاص على العام، والمعنى أن الفعل الذي يحصل لكم به خير فلا تحلفوا على تركه وهذا على التفسير الأول، وأما على الثاني فلا يحتاج لتقدير لا وإنما يقدر لام التعليل، أي لا تكثروا الحلف بالله لما فيه من ابتذال اسمه تعالى في كل شيء قليل أو كثير عظيم أو حقير، لأجل أن تكونوا من أهل البر والتقوى والاصلاح بين الناس، فالنهي عن الكثرة على هذا والايمان على بابها بمعنى الاقسام، وعرضة بمعنى معروض فهي اسم مفعول أي محل للحلف كغرض الرماة، وعلى الأول فهي بمعنى عارضة، أي لا تجعلوا الله مانعاً من بركم وتقواكم واصلاحكم بواسطة القسم به. قوله: (فتكره اليمين على ذلك) أي إن كان مندوباً وهو مفرع على التفسير الأول. قوله: (فهي طاعة) أي مندوب وتعتريها الحرمة كما إذا حلف على ترك واجب.

قوله: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾ اختلف العلماء في معنى اللغو، فقال الشافعي هو ما سبق إليه اللسان من غير قصد عقد اليمين فلا أثم ولا كفارة له، وقال أبو حنيفة ومالك هو أن يحلف على ما يعتقد فيتبين خلافه، وفي الفروع تفاصيل موكولة لأربابها. قوله: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ وقعت هنا لكن بين نقيضين باعتبار وجود اليمين لأنها لا تخلو إما أن لا يقصدها القلب بل جرت على اللسان وهي اللغو عند الشافعي، وإما أن يقصدها وهي المنعقدة، والمعنى لا يؤاخذكم الله بغير المقصودة لقلوبكم وإنما يؤاخذكم بالمقصودة لها، وهذا التقرير على مذهب الشافعي، ويقال على مذهب أبي حنيفة ومالك لا يؤاخذكم الله باللغو أي بما حلفتم عليه معتقدين حقيقته بحيث يكون اللسان موافقاً للجنان، ولكن يؤاخذكم بما حلفتم عليه غير معتقدين حقيقته وهي اليمين الغموس، وقد نظم الاجهوري من المالكية صور كفارة اللغو والغموس بقوله:

كفر غموساً بلا ماض بكون كذا ... لغو بمستقبل لا غير فامتثلا

قوله: (لما كان من اللغو) أي والخطأ. قوله: (بتأخير العقوبة عن مستحقها) أي ومن ذلك اليمين الغموس فكفارتها الغمس في جهنم. قوله: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ حقيقة الايلاء الحلف بالله أو بغيره على ترك وطء الزوجة المدخول بها المطيقة للوطء أكثر من أربعة أشهر، إما صريحاً كلا أطؤك، أو ضمناً كلا أغتسل من جنابة منك، وحكمه كما قال الله، وللذين خبر مقدم وتربص مبتدأ مؤخر،

﴿فَآءُو﴾ رجعوا فيها أو بعدها عن اليمين إلى الوطء ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم ما أتوه من ضرر المرأة بالحلف ﴿رَّحِيمٌ﴾ ﴿٢٢٦﴾ بهم ﴿وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ﴾ أي عليه بأن لم يفيؤوا فليوقعوه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لقولهم ﴿عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٢٧﴾ بعزمهم. المعنى ليس لهم بعد تربص ما ذكر إلا الفيئة أو الطلاق ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ أي لينتظرن ﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾ عن نكاح ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ تمضي من حين الطلاق جمع قرء بفتح القاف وهو الطهر أو الحيض قولان، وهذا في المدخول بهن أما غيرهن فلا عدة عليهن لقوله (فما لكم عليهن من عدة) وفي غير الآيسة والصغيرة فعدتهن ثلاثة أشهر والحوامل فعدتهن أن يضعن حملهن كما في سورة الطلاق والإماء

والإضافة على معنى في أي انتظار في أربعة أشهر ولها النفقة والكسوة في تلك المدة، لأن الامتناع من قبله بخلاف الناشز فلا نفقة لها ولا كسوة لأن الامتناع منها. قوله: **(أي يحلفون أن لا يجامعوهن)** بيان لحقيقة الايلاء الشرعي، وإلا فمعناه لغة مطلق الحلف. قوله: **﴿أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾** أي وتحسب من يوم الحلف إن كانت صريحة في ترك الوطء، ومن يوم الرفع للحاكم إن لم تكن صريحة. قوله: **(رجعوا فيها)** أي في الأربعة أشهر ويلزمه ما يترتب على الحنث من كفارة إن كانت اليمين بالله أو العتق إن كان به. قوله: **(أي عليه)** إشار بذلك إلى أن الطلاق منصوب بنزع الخافض. قوله: **(فليوقعوه)** قدره المفسر إشارة لجواب الشرط، فإن امتنعوا من إيقاعه ومن الوطء فإن الحاكم يأمرها بالطلاق ثم يحكم به، وقيل شيء الطلاق وهو رجعي كالطلاق على المعسر بالنفقة، لأن كل طلاق اوقعه الحاكم فهو بائن إلا المولي والمعسر بالنفقة. قوله: **(المعنى)** أي المراد من قوله تعالى: **﴿فَإِنْ فَاؤُوا﴾** الآيتين. قوله: **(تربص ما ذكر)** أي الأربعة أشهر قوله: **(إلا الفيئة أو الطلاق)** أي ما لم ترض بالمقام معه بلا وطء، فإن استمرت على ذلك فالأمر ظاهر. فإن رفعت ثانياً وشكت للحاكم أمره إما بالفيئة أو الطلاق، فإن امتنع منهما طلق عليه الحاكم.

قوله: **﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ﴾** أي رجعياً أو بائناً. قوله: **﴿بِأَنْفُسِهِنَّ﴾** يحتمل أن الباء زائدة لتوكيد النون أي يتربصن أنفسهن، ويحتمل أنها للتعدية، والمعنى أنهن لا يحتجن لحكم. قوله: **(عن النكاح)** أي نكاح غير المطلق. قوله: **(تمضي من حين الطلاق)** أي وتصدق المرأة في ذلك لأنها امينة على فرجها ان مضى زمن تقضي العادة فيه بمضي الثلاثة الأقراء. قوله: **(بفتح القاف)** أي وأما الضم فجمعه اقراء كقفل واقفال، وإنما ضبطه المفسر بالفتح فقط لأجل جمعه في الآية على قروء، وإلا فهو في نفسه يصح فيه الضم والفتح. قوله: **(وهو الطهر)** أي وإليه ذهب مالك والشافعي وأحمد في أول امره. قوله: **(أو الحيض)** أي وإليه ذهب أبو حنيفة وأحمد في آخر امره. قوله: **(قولان)** أي للعلماء وتظهر ثمرة الخلاف فيما إذا طلقت في طهر ثم حاضت ثم طهرت ثم حاضت، فعنمد مالك والشافعي وأحمد في أول امره أنها تحل للأزواج بمجرد رؤية الدم لأن الأقراء قد تمت، وعند أبي حنيفة وأحمد في آخر امره أنها لا تحل حتى تطهر، وأما إذا طلقها في الحيض فلا تحسب ذلك الحيض من العدة اتفاقاً، ويأتي الخلاف في الحيضة الرابعة هل تحل بأولها أو بانقضائها. قوله: **(وفي غير الآيسة)** أي وهي بنت كسبعين. قوله: **(والصغيرة)** أي المطيقة للوطء ولم تبلغ أوان الحمل. قوله: **(كما في سورة الطلاق)** راجع للآيسة والصغيرة والحامل، وحاصل ما في المقام أن غير المدخول بها لا عدة عليها في الطلاق حرة كانت أو أمة، وأما المدخول بها ففيها تفصيل، فالآيسة والصغيرة عدتها ثلاثة أشهر، والحامل وضع حملها كله لا فرق في ذلك كله بين الحرة

فعدتهن قرءان بالسنة ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ من الولد أو الحيض ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ﴾ أزواجهن ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ بمراجعتهن ولو أبين ﴿فِى ذَٰلِكَ﴾ أي في زمن التربص ﴿إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا﴾ بينهما لا ضرار المرأة وهو تحريض على قصده لا شرط لجواز الرجعة وهذا في الطلاق الرجعي وأحق لا تفضيل فيه إذ لاحق لغيرهم في نكاحهن في العدة ﴿وَلَهُنَّ﴾ على الأزواج ﴿مِثْلُ ٱلَّذِى﴾ لهم ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ من الحقوق ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً من حسن العشرة وترك الضرار ونحو ذلك ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ فضيلة في الحق من وجوب طاعتهن لهم لما ساقوه من المهر والإنفاق ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ ﴿٢٢٨﴾ فيما دبره لخلقه ﴿ٱلطَّلَٰقُ﴾ أي التطليق الذي يراجع بعده ﴿مَرَّتَانِ﴾ أي اثنتان ﴿فَإِمْسَاكٌۢ﴾ أي فعليكم بعده بأن تراجعوهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ من غير إضرار ﴿أَوْ تَسْرِيحٌۢ﴾ أي إرسالهن ﴿بِإِحْسَٰنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ أيها

والأمة، وأما من يأتيها الحيض فعدتها ثلاثة أقراء إن كانت حرة، وقرءان إن كانت أمة، وهذا في الطلاق، وأما في الوفاة فسيأتي أنها للحرة أربعة أشهر وعشرة وللأمة نصفها، وللحامل وضع الحمل. قوله: **(من الولد أو الحيض)** أي أو عيوب الفرج كالرتق والقرن والعفل والبخر والإفضاء.

قوله: **﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللهِ﴾** هذا من باب الزجر والتشديد عليهن، وجواب الشرط محذوف دل عليه قوله فلا يحل. قوله: **﴿وَبُعُولَتُهُنَّ﴾** جمع بعل يطلق على الرجل والمرأة، لكن المراد به هنا الرجل، فالتاء لتأنيث الجمع لأن كل جمع يجوز تأنيثه. قوله: **(لا ضرار المرأة)** فتحرم الرجعة إذ ذاك ويعتريها الوجوب إن خشي على نفسه الزنا، وتكره إن أشغلته عن عبادة مندوبة، وتندب إن كانت تعينه على تلك العبادة. قوله: **(لجواز الرجعة)** أي مضيها فلا ينافي أنه شرط في جواز القدوم عليها. قوله: **(في نكاحهن في العدة)** صوابه أو يقول فلا حق لغيرهم في ردهن ورجعتهن كما عبر به غيره تأمل. قوله: **﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ﴾** حاصله أن الرجل له حقوق على المرأة من طبخ وعجن وكنس وغير ذلك من الخدمة الباطنية، وللمرأة حقوق على الرجل من نفقة وكسوة وإظهار محبة وغير ذلك، فالمماثلة في الآية في مطلق الوجوب لا في صفة الحقوق، وفي الآية احتباك حيث حذف من كل نظير ما اثبته في الآخر، يشير لذلك تقدير المفسر قوله: **(الأزواج)** وقوله: **(لهم)**. قوله: **(فضيلة في الحق)** أي فحق الرجل زائد على حقها. قوله: **(لما ساقوه)** علة لوجوب طاعتهن لهم ومعناه دفعوه، وقوله من المهر والانفاق بيان لما.

قوله: **﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾** سبب نزول هذه الآية أنه كان في صدر الإسلام إذا طلق الرجل امرأته طلاقاً رجعياً وراجعها في العدة كان له ذلك ولو طلق الف مرة، فطلق رجل امرأته طلقة رجعية ثم راجعها قبل انقضاء عدتها بشيء يسير فقال: والله لا آويك ولا تحلين لغيري أبداً فنزلت الآية فاستأنف الناس الطلاق والغوا ما مضى، وقوله مرتان أي مرة بعد أخرى أو المرتان دفعة وهو تخصيص لقوله: **(وبعولتهن أحق بردهن)** في ذلك. قوله: **(أي التطليق)** إنما فسر اسم المصدر بالمصدر لأجل قوله أو تسريح. قوله: **(أي اثنتان)** دفع بذلك ما يتوهم أنه لا بد أن يكون على مرتين. قوله: **(أي فعليكم)** قدر ذلك إشارة إلى أن إمساك مبتدأ خبره محذوف، وقدره مقدماً عليه ليكون مسوغاً للابتداء بالنكرة. قوله: **﴿أَوْ تَسْرِيحٌ﴾** يحتمل أن المراد بذلك إنشاء طلاق ثالث بعد المراجعة الثانية، ويحتمل أن المراد عدم

الأزواج ﴿أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ﴾ من المهور ﴿شَيۡـًٔا﴾ إذا طلقتموهن ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾ أي الزوجان ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ أي لا يأتيا بما حده لهما من الحقوق وفي قراءة يخافا بالبناء للمفعول فأن لا يقيما بدل اشتمال من الضمير فيه وقرىء بالفوقانية في الفعلين ﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦ﴾ نفسها من المال ليطلقها أي لا حرج على الزوج في أخذه ولا الزوجة في بذله ﴿تِلۡكَ﴾ الاحكام المذكورة ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ ﴿٢٢٩﴾ ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ الزوج بعد الثنتين ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ﴾ بعد الطلقة الثالثة ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ﴾ تتزوج ﴿زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ﴾ ويطأها كما في الحديث، رواه الشيخان ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾

المراجعة إذا طلقها ثانياً، وأما الطلقة الثالثة فمأخوذة من قوله تعالى: (فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره) وهو الأقرب لأنه المتبادر من المفسر، فالرجل مخير في عدة الطلقة الأولى بين أن يراجعها بالمعروف أو يسرحها من غير مراجعة، وكذا في عدة الثانية. قوله: ﴿بِإِحْسَانٍ﴾ أي فيؤدي ما عليه لها من الحقوق ولا يذكرها بسوء. قوله: ﴿وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً﴾ يوضح بمعنى الآية قوله تعالى (وآتيتم إحداهن قنطاراً) الآيتين. قوله: (من المهور) بيان لما. قوله: (إذا طلقتموهن) أي وأما إن كانت في عصمته ووهبت له صداقها أو بعضه فلا بأس بذلك. قوله: (أن لا يقيما حدود الله تعالى) أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بمن، التقدير من عدم إقامتها حدود الله، وسبب نزولها أن امرأة اسمها جميلة بنت عبدالله بن أبي بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فشكت للنبي ﷺ حيث قالت يا رسول الله إني لا أعيبه في دين ولا في خلق غير أني وجدته مقبلاً في جماعة فرأيته أشدهم سواداً وقصراً وأقبحهم وجهاً لا يجمع رأسي ورأسه شيء وإني لأكره الكفر في الإسلام، فلما نزلت هذه الآية أمرها رسول الله بالفداء فأخذ ما كان أعطاه لها وطلقها، وكان قد أمهرها حديقة. قوله: (وفي قرءاة) أي فهما سبعيتان. قوله: (بالبناء للمفعول) أي فالضمير نائب فاعل والفاعل ولاة ولاة الأمور، أي فإن خاف ولاة الأمور الزوجين وأن لا يقيما بدل اشتمال من نائب الفاعل، قوله: (وقرى) أي قراءة شاذة.

قوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ خطاب لولاة لأمور. قوله: ﴿فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِ﴾ أي كان بمهرها أو أقل أو أكثر. قوله: (لا حرج على الزوج في أخذه) أي لعدم ظلمه لها، وقوله: (ولا على الزوجة في بذله) أي لدفعها الضرر عن نفسها. قوله: ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ أي تتجاوزوها بأن تعينوا الظالم على المظلوم منهما. قوله: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ﴾ ذكر هذا الوعيد بعد النهي عن تعديها للمبالغة في التهديد. وقوله: ﴿الظَّالِمُونَ﴾ أي لأنفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعقابه.

قوله: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ أي طلقة ثالثة سواء وقع الاثنتان في مرة أو مرتين، والمعنى فإن ثبت طلاقها ثلاثاً في مرة أو مرات ﴿فَلَا تَحِلُّ﴾ الخ، كما إذا قال لها أنت طالق ثلاثاً أو البتة وهذا هو المجمع عليه، وأما القول بأن الطلاق الثلاث في مرة واحدة لا يقع إلا طلقة فلم يعرف إلا لابن تيمية من الحنابلة، وقد ورد عليه أئمة مذهبه حتى قال العلماء إنه الضال المضل، ونسبتها للإمام أشهب من أئمة المالكية باطلة. قوله: ﴿حَتَّى تَنْكِحَ﴾ المراد به هنا العقد مع الوطء كما بين ذلك في الحديث والاجماع عليه، خلافاً لما نقل عن ابن المسيب أن العقد كاف في التحليل. قوله: ﴿زَوْجاً﴾ أي لا سيداً فلا يقع به تحليل، ولا بد من

أي الزوج الثاني ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ﴾ أي الزوجة والزوج الأول ﴿أَن يَتَرَاجَعَآ﴾ إلى النكاح بعد انقضاء العدة ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلْكَ﴾ المذكورات ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٣٠﴾ أي يتدبرون ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ قاربن انقضاء عدتهن ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ بأن تراجعوهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ من غير ضرار ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ﴾ اتركوهن حتى تنقضي عدتهن ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ﴾ بالرجعة ﴿ضِرَارًا﴾ مفعول له ﴿لِّتَعْتَدُوا۟ۚ﴾ عليهن بالإلجاء إلى الافتداء والتطليق وتطويل الحبس ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ﴾ بتعريضها إلى عذاب

كون الزوج بالغاً عند مالك لقوله في الحديث «حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته» ولا عسيلة للصبي، وقال الشافعي بعدم اشتراط بلوغه، ومن هنا المسألة الملفقة وهي أن يقلد الشافعي في صحة تحليل غير البالغ، ومالكاً في صحة طلاق وليه عنه لمصلحة وفي عدم العدة عليها من وطئه، وهذه المسألة قال العلماء فيها الورع تركها، ويشترط للتحليل عند مالك شروط عشرة تعلم من الفروع. قوله: **(ويطؤها)** أي ولا يشترط الأنزال. قوله: **(كما في الحديث)** وهو أنه جاءت امرأة تسمى تميمة القرظية وكانت متزوجة بابن عمها رفاعة القرظي إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله إن رفاعة أبتّ طلاقي فتزوجت بعبد الرحمن بن الزبير بفتح الزاي، وإنما معه مثل هدبة الثوب، فتبسم رسول الله وقال أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا، حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته، فمكثت مدة ثم جاءت ثانياً لرسول الله وقالت إنه مسني وذقت منه وذاق مني، فقال لها رسول الله إن قولك الأول كذبك الآن، فجاءت للصديق في خلافته وقالت له مثل ما قالت لرسول الله، فقال لها إني شهدت مجيئك لرسول الله ﷺ وكلامك له، لا ترجعي، فجاءت لعمر في خلافته فقالت له كذلك فقال لها إن عدت لرفاعة رجمتك. قوله: **(رواه الشيخان)** أي عن عائشة.

قوله: **﴿أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾(إلى النكاح)** أي بعقد ومهر وولي وشهود. قوله: **(بعد انقضاء العدة)** أي فلا بد من عدتين: عدة للزوج الأول وعدة للثاني. قوله: **﴿أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ﴾** أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول ظن الثاني، ومعنى إقامة حدود الله زوال ما في أنفسهما من الكدر الذي كان سبباً في الطلاق. قوله: **﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾** خصهم لأنهم المنتفعون بتلك الأحكام وهم الذين يعقلون الخطاب. قوله: **(أي يتدبرون)** أي ينظرون في عواقب أمورهم (تنبيه): يقع الطلاق فيما ذكر ولو كان سكراناً بحرام لعدم عذره بذلك أو في حماقة، وليست الحماقة من باب الإكراه الذي قال فيه رسول الله «لا طلاق في إغلاق»، خلافاً لمن يفتي بذلك فإنه ضال مضل، اللهم إلا أن يطيش عقله فلا يعرف الأرض من السماء ويصير كالمجنون فلا شيء عليه.

قوله: **﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾** أي طلاقاً رجعياً وإنما كرره للإيضاح. قوله: **(قاربن انقضاء عدتهن)** أي أشرفهن عليها. قوله: **(مفعول له)** أي لاجله. قوله: **﴿لِتَعْتَدُوا﴾** علة لقوله ضراراً. قوله: **(بالإلجاء)** أي الأضطرار. قوله: **(تطويل الحبس)** أي العدة. قوله: **﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾** أي لما في الحديث: «يغلبن كريماً ويغلبهن لئيم، فأحب أن أكون كريماً مغلوباً ولا أحب أن أكون لئيماً غالباً». قوله:

الله ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ﴾ مهزوءاً بها بمخالفتها ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ بالإسلام ﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿وَٱلۡحِكۡمَةِ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿يَعِظُكُم بِهِۦۚ﴾ بأن تشكروها بالعمل به ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ ﴿٢٣١﴾ لا يخفى عليه شيء ﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ﴾ انقضت عدتهن ﴿فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ﴾ خطاب للأولياء أي تمنعوهن من ﴿أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ﴾ المطلقين لهن لأن سبب نزولها أن أخت معقل بن يسار طلقها زوجها فأراد أن يراجعها فمنعها معقل بن يسار كما رواه الحاكم ﴿إِذَا تَرَٰضَوۡاْ﴾ أي الأزواج والنساء ﴿بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ﴾ شرعاً ﴿ذَٰلِكَ﴾ النهي عن العضل ﴿يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ﴾ لأنه المنتفع به ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ أي ترك العضل ﴿أَزۡكَىٰ﴾ خير ﴿لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ﴾ لكم ولهم لما يخشى على الزوجين من الريبة بسبب العلاقة بينهما ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾ ما فيه المصلحة ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ ﴿٢٣٢﴾ ذلك فاتبعوا أمره ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ﴾ أي ليرضعن ﴿أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ﴾ عامين ﴿كَامِلَيۡنِۖ﴾ صفة مؤكدة ذلك ﴿لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ﴾ ولا زيادة عليه ﴿وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ﴾ أي

(**بمخالفتها**) أي فأطلق الاستهزاء وأراد المخالفة، قوله: (**ما فيه من الأحكام**) أي العلوم النافعة. قوله: (**بالعمل به**) أي ولا تتخذوها هزوا. قوله: (**لا يخفى عليه شيء**) أي فيثيب المطيع ويعذب العاصي. قوله: (**انقضت عدتهن**) أي فبلوغ الأجل في المحلين مختلف. قوله: (**خطاب للأولياء**) أي وأما الخطاب في طلقتم فهو خطاب للأزواج، ويصح أن يكون خطاباً للأولياء أيضاً، والمعنى إذا رفعن أمورهن إليكم أيها الأولياء وتسببتم في طلاقهن من أزواجهن، ثم زال ما في النفوس وأرادوا العقد على أزواجهم فلا يكن منكم عضل لهن من ذلك. قوله: (**أن أخت معقل**) أي واسمها جميلة. قوله: (**طلقها زوجها**) أي واسمه عاصم بن عدي. قوله: (**أي الأزواج والنساء**) وغلب الذكور لشرفهم وهو جمع باعتبار أفراد الرجال والنساء. قوله: (**لأنه المنتفع به**) جواب عما يقال لمن خص المؤمنين. قوله: (**بسبب العلاقة**) أي الارتباط. قوله: (**فاتبعوا أمره**) أي ولا تطيعوا أنفسكم في العضل، فمتى كان لكم منهما رغبة في الآخر فلا يكن منكم منع في ذلك لأنه لا مصلحة فيه، وقد جرت عادة الله في كتابه أنه يتخلل الأحكام والقصص بالمواعظ الجليلة، وفي الحديث «كان يتخولنا بالمواعظ مخافة السآمة» علينا. قوله: (**أي ليرضعن**) فسره بالأمر إشارة إلى أن الجملة خبرية لفظاً إنشائية معنى فالمقصود منها الأمر وهو للندب للأم بشروط ثلاثة إن كان للولد أب موسر، أو مال، ووجد من ترضعه غير أمه وقبلها، فإن فقد شرط منها وجب عليها الرضاع.

قوله: ﴿**أَوْلَادَهُنَّ**﴾ أي ذكوراً أو إناثاً. قوله: ﴿**كَامِلَيْنِ**﴾ هذا تقريب عند مالك فألحق الشهران بالحولين وتحديد عند الشافعي. قوله: (**صفة مؤكدة**) أي لدفع توهم تسمية الأقل منهما باسم الكامل تسمحاً، والمقصود من النص على الحولين قطع النزاع بين الزوجين حيث اراد أحدهما أكثر من الحولين أو أقل، والآخر الحولين فإنه يقضى لمن ارادهما. قوله: ﴿**لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ**﴾ الجار والمجرور خبر لمبتدأ محذوف قدره المفسر بقوله ذلك وهو جواب عن سؤال مقدر. قوله: (**ولا زيادة عليه**) أي خلافاً لمن قال إذا شحت المرأة قضي لها بثلاثين شهر أو لمن قال بثلاثة أعوام. قوله: ﴿**وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ**﴾ أي

الأب ﴿رِزْقُهُنَّ﴾ إطعام الوالدات ﴿وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ على الإرضاع إذا كن مطلقات ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بقدر طاقته ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقتها ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾ بسببه بأن تكره على إرضاعه إذا امتنعت ﴿وَلَا﴾ يضار ﴿مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾ أي بسببه بأن يكلف فوق طاقته وإضافة الولد إلى كل منهما في الموضعين للاستعطاف ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ﴾ أي وارث الأب وهو الصبي أي على وليه في ماله ﴿مِثْلُ ذَلِكَ﴾ الذي على الأب للوالدة من الرزق والكسوة ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ أي الوالدان ﴿فِصَالًا﴾ فطاماً له قبل الحولين صادراً ﴿عَنْ تَرَاضٍ﴾ اتفاق ﴿مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ بينهما لتظهر مصلحة الصبي فيه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ في ذلك ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ﴾ خطاب للآباء ﴿أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ مراضع غير الوالدات ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فيه ﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ﴾ إليهن ﴿مَا آتَيْتُمْ﴾ أي أردتم إيتاءه لهن من الأجرة ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالجميل كطيب النفس ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿٢٣٣﴾

المنسوب له الولد احترازاً عن ابن الزنا، ومن نفاه أبوه بلعان فلا يلزم أباه شيء من أجله لقطع نسبه. قوله: ﴿رِزْقُهُنَّ﴾ أي دفع الرزق بمعنى الأجرة التي يتحصل بها الطعام والشراب والكسوة. قوله: **(إذا كن مطلقات)** أي بائناً، وأما الرجعيات واللاتي في العصمة فلا يلزمه أجرة على الرضاع عند الشافعي وكذا عند مالك في غير من شأنها عدم الأرضاع بنفسها كنساء الملوك، وأما هي فلها أن تأخذ الأجرة على ذلك، هكذا حمله المفسر على غير الزوجة، وبعضهم حمله على ما يعم الزوجة بمعنى أن الزوجة تأخذ الأجرة على الرضاع ولو ناشزاً ولو يجرى على حكم النفقة الزوجية. قوله: **(بقدر طاقته)** أي عسراً ويسراً.

قوله: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ﴾ ببناء الفعل للمجهول ونفس نائب الفاعل، وفي قراءة يكلف نفساً ببناء للفاعل، والفاعل هو الله سبحانه وتعالى. قوله: **(بأن تكره على إرضاعه)** أي بغير أجرة أو بأجرة دون أجرة المثل حيث طلبتها، قوله: **(إذا امتنعت)** أي ووجد غيرها وقبلها الولد وكان الأب موسراً وللولد مال، وإلا أكرهت الأم على إرضاعه إما بنفسها أو تكري له من يرضعه، قوله: **(في ماله)** أي وهو مقدم ثم مال الأب ثم مال الأم عند مالك، قوله: **(للوالدة)** أي المرضعة والدة كانت أو غيرها.

قوله: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا﴾ هذا تقييد لما تقدم في قوله حولين كاملين. قوله: ﴿عَنْ تَرَاضٍ﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لفصالا قدره المفسر بقوله صادراً. قوله: **(في فعل ذلك)** أي ولا في الزيادة على الحولين عند الاتفاق بل هو جائز شرعاً، ومنعه الحكماء لما فيه من توريث البلادة للطفل. قوله: **(مراضع)** مفعول أول لتسترضعوا مؤخر، وأولادكم مفعول ثان مقدم على حذف الجار أي إن أردتم أن تطلبوا مراضع لأولادكم، لأن **أفعل** إذا كان متعدياً إلى مفعول واحد وزيدت فيه السين للطلب، أو النسبة يصير متعدياً إلى مفعولين كما قال الزمخشري، وقال الجمهور إنما يتعدى للثاني بحرف الجر فيكون أولادكم منصوباً بنزع الخافض، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول أردتم. قوله: **(غير الوالدات)** أي حيث كانت أجرة الغير أقل من أجرة الأم أو كانت الغير ترضع مجاناً، أما إذا استويا فالأم أولى. قوله: ﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ﴾ ليس شرطاً لصحة الإجارة بل هو بيان للأكمل لأن التعجيل أطيب لنفوسهن. قوله: ﴿بِالمَعْرُوفِ﴾ فيه ثلاثة أوجه أحدها أنه متعلق بسلمتم، الثاني أنه متعلق بآتيتم، الثالث أنه حال من فاعل سلمتم أو آتيتم، والعامل فيه حينئذ محذوف أي ملتبسين بالمعروف. قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ مبالغة في

لا يخفى عليه شيء منه ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ ﴾ يموتون ﴿ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ ﴾ يتركون ﴿ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ ﴾ أي ليتربصن ﴿ بِأَنفُسِهِنَّ ﴾ بعدهم عن النكاح ﴿ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ من الليالي وهذا في غير الحوامل وأما الحوامل فعدتهن أن يضعن حملهن بآية الطلاق والأمة على النصف من ذلك بالسنة ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ انقضت مدة تربصهن ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ أيها الأولياء ﴿ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ ﴾ من التزين والتعرض للخطاب ﴿ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ شرعاً ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٢٣٤) عالم بباطنه كظاهره ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم ﴾ لوحتم ﴿ بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ ﴾ المتوفى عنهن أزواجهن في العدة كقول الإنسان مثلاً إنك لجميلة ومن يجد مثلك ورب راغب فيك ﴿ أَوْ أَكْنَنتُمْ ﴾ أضمرتم ﴿ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ من قصد نكاحهن ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ ﴾ بالخطبة ولا تصبرون

المحافظة على ما شرع في أمر الأطفال والمراضع.

قوله: ﴿**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ**﴾ بضم الياء مبنياً للمفعول، وفي قراءة بفتحها مبنياً للفاعل، والمعنى عليها يستوفون آجالهم. قوله: (**يموتون**) المناسب تقبض أرواحهم ليناسب الفعل المبني للمفعول. قوله: ﴿**أَزْوَاجاً**﴾ جمع زوج بمعنى زوجة لأن الزوج يقع على الذكر والأنثى. قوله: (**أي ليتربصن**) أشار بذلك إلى أن المراد من الآية الأمر وإن كان ظاهرها الخبر له. قوله: ﴿**بِأَنْفُسِهِنَّ**﴾ الباء زائدة للتأكد والأصل يتربصن أنفسهن يعني لا بواسطة حكم حاكم، فإن العدة لا تحتاج لذلك. قوله: (**بعدهم**) الضمير عائد على اسم الموصول الواقع على الرجال، وقدره المفسر ليصح الأخبار بجملة يتربصن عن الموصول هكذا أعرب المفسر، وبعضهم قدر في المبتدأ فقال وأزواج الذين يتوفون، وبعضهم قدر في الخبر حيث قال والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً أزواجهم يتربصن، فأزواجهم مبتدأ، وجملة يتربصن خبره، والمبتدأ وخبره خبر الأول والرابط موجود. قوله: (عن النكاح) أي نكاح الغير لهن.

قوله: ﴿**أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً**﴾ إما مفعول ليتربصن على حذف مضاف أي مضى أربعة أشهر وعشر أو ظرف له. قوله: (**من الليالي**) أي مع النهار وخص الليالي لسبقها على النهار. قوله: (**وهذا في غير الحوامل**) أي ما تقدم من العموم لا يتناول الحوامل والاماء. قوله: (**أن يضعن حملهن**) أي كله ولو علقة أو مضغة فلا تحل إلا بوضعه ولو مكث الزمن الطويل في بطنها. قوله: (**والأمة**) بالجر معطوف على الحوامل. قوله: (**على النصف من ذلك**) أي فعدتها شهران وخمس ليال وهو خبر لمبتدأ محذوف تقديره وهي على النصف من ذلك وأعلم أن ذلك تعبد أمرنا به الشارع ولم نعقل له معنى، ولذا أمرت بتلك العدة الصغيرة وزوجة الصغير، وما قيل إنه معلل بوجود حركة الحمل بعد الأربعة أشهر فغير مطرد في الأمة الصغيرة وزوجة الصغير. قوله: (**بالسنة**) أي الدليل السني. قوله: (**من التزين**) أي الشرعي بأن تفعل ذلك ببيتها. قوله: (**والتعرض للخطاب**) معطوف على التزين فلا يحرم كل من التزين والتعرض للخطاب بعد العدة، وأما فيها فيحرم على الأولياء وعليهن إذا بلغن ويجب عليهن كفهن ولو بالشتم والضرب، قوله: ﴿**فِيمَا عَرَّضْتُمْ**﴾ التعريض هو الكلام الذي يفهم منه المقصود بطرف خفي. قوله: ﴿**مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ**﴾ بكسر الخاء التماس النكاح قوله: (**ورب راغب**) رب للتكثير.

قوله: ﴿**أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ**﴾ أي ولو أخبرتم بذلك غير المجبر لها، فالحرمة في التصريح لها أو

عنهن فأباح لكم التعريض ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ أي نكاحاً ﴿إِلَّآ﴾ لكن ﴿أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًاۚ﴾ أي ما عرف شرعاً من التعريض فلكم ذلك ﴿وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ أي على عقده ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أي المكتوب من العدة ﴿أَجَلَهُۥۚ﴾ بأن ينتهي ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ من العزم وغيره ﴿فَٱحْذَرُوهُۚ﴾ أن يعاقبكم إذا عزمتم ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لمن يحذره ﴿حَلِيمٌ﴾ (٢٣٥) بتأخير العقوبة عن مستحقها ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ وفي قراءة تماسوهن أي تجامعوهن ﴿أَوْ﴾ لم ﴿تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةًۚ﴾ مهراً، وما مصدرية ظرفية أي لا تبعة عليكم في الطلاق زمن عدم المسيس والفرض بإثم ولا مهر فطلقوهن ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ أعطوهن ما يتمتعن به ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ﴾ الغني منكم ﴿قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ﴾ الضيق

لوليها المجبر. قوله: **(فأباح لكم التعريض)** أي والأضمار في أنفسكم وهو تفريع على قوله علم الله الواقع علة لقوله ولا جناح عليكم، والمعنى إنما لم يحرم عليهم التعريض والأضمار في الأنفس لعلمه أنه إن حرم عليكم ذلك لوقعتم فيما هو أعظم الذي هو التصريح فأباح لكم التعريض. قوله: **﴿سِرًّا﴾** هو في الأصل ضد الجهر أطلق وأريد منه الوطء لأنه لا يكون إلا كذلك، ثم أطلق وأريد منه العقد لأنه سببه فهو مجاز على مجاز. قوله: **(أي نكاحاً)** أي عقداً. قوله: **﴿إِلَّآ﴾ (لكن) ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾** الخ. جعل المفسر الاستثناء منقطعاً لأن التعريض ليس من المواعدة، والمواعدة إنما تحرم إذا كانت من الجانبين، وأما من جانب فتكره عند مالك. قوله: **﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾** أي فالعقد في العدة فاسد، ويفسخ، فإن انضم لذلك العقد مباشرة ولو بعد العدة تأبد تحريمها عند مالك، وعند الشافعي يفسخ العقد فقط، وله العقد عليها ثانية بعدها. قوله: **(من العزم)** أي التصميم على العقد فالعزم يؤاخذ الإنسان به خيراً كان أو شراً، وقد نظم بعضهم الأمور التي تطرأ على الشخص فقال:

مراتب القصد خمس هاجس ذكروا ... فخاطر فحديث النفس فاستمعا
يليه هم فعزم كلها رفعت ... سوى الأخير ففيه الأخذ قد وقعا

قوله: **﴿فَاحْذَرُوهُ﴾** أي الله بمعنى احذروا عقابه. قوله: **(لمن يحذره)** أي يخافه، ففي الحديث: «إذا أذنب العبد ذنباً وعلم أن الله يغفره غفر له بمجرد فعله الذنب». قوله: **(بتأخير العقوبة عن مستحقها)** أي فلا يغتر العاصي بذلك فلربما يكون ذلك التأخير استدراجاً له. قوله: **﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾** سبب نزولها أن رجلاً من الأنصار تزوج امرأة تفويضاً ثم طلقها قبل الدخول، فرفعته لرسول الله ﷺ فنزلت، فقال له رسول الله أمتعها ولو بقلنسوتك. قوله: **﴿مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾** فعله مس مسند للرجل لأنه الأقوى في المس، والأقرب أن ما شرطية بمعنى إن وليست مصدرية ظرفية كما قال المفسر، لأن محل الظرفية فيما يقتضي الامتداد كقوله تعالى: (خالدين فيها ما دامت السموات والأرض) لأن شأن الخلود الامتداد. قوله: **(وفي قراءة تماسوهن)** أي بضم التاء وفعله ماس مماسة مفاعلة من الجانبين، لأن كلاً يمس الآخر، واستشكل مفهوم الآية بأن الطلاق بعد المس لا إثم فيه نعم فيه المهر. وأجيب بأنه مظنة الجناح بدفع المهر، ووجود الأثم من حيث إنه قد يوقعه زمن الحيض، وأما الطلاق قبل الدخول فلا جناح فيه أصلاً. قوله: **(فطلقوهن) ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾** أشار بذلك إلى أن ومتعوهن معطوف على

الرزق ﴿قَدَرُهُۥ﴾ يفيد أنه لا نظر إلى قدر الزوجة ﴿مَتَٰعًۢا﴾ تمتيعاً ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً صفة متاعاً ﴿حَقًّا﴾ صفة ثانية أو مصدر مؤكد ﴿عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٢٣٦﴾ المطيعين ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ يجب لهن ويرجع لكم النصف ﴿إِلَّآ﴾ لكن ﴿أَن يَعْفُونَ﴾ أي الزوجات فيتركنه ﴿أَوْ يَعْفُوَا ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ وهو الزوج فيترك لها الكل وعن ابن عباس الولي إذا كانت محجورة فلا حرج في ذلك ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟﴾ مبتدأ خبره ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ أي أن يتفضل بعضكم على بعض ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿٢٣٧﴾ فيجازيكم به ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ الخمس بأدائها في أوقاتها ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ

محذوف قدره بقوله فطلقوهن. قوله: ﴿قَدَرُهُ﴾ بفتح الدال وسكونها قراءتان سبعيتان قوله: **(يفيد أنه لا نظر إلى قدر الزوجة)** أي وهو أحد الأقوال عند الشافعي، والمفتى به عند مالك، ولكن المعتمد عند الشافعي مراعاة حال الزوج والزوجة. قوله: **(تمتيعاً)** أشار بذلك إلى أن اسم المصدر بمعنى المصدر. قوله: **(شرعاً)** أي لا بشيء حرام. قوله: **(أو مصدر مؤكد)** أي وعامله محذوف أي أحقه حقاً. وأعلم أنه اختلف في المتعة، فقيل واجبة نظراً للأمر ولقوله حقاً وبه أخذ الشافعي، وقيل مندوبة نظراً لقوله بالمعروف، ولقوله على المحسنين، وبه أخذ مالك. قوله: ﴿مِنْ قَبْلِ﴾ متعلق بطلقتموهن وقوله: ﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ﴾ الجملة حالية. قوله: ﴿فَرِيضَةً﴾ بمعنى مفروضة مفعول به، وقيل مفعول مطلق بمعنى فرض، لكن الأول أقرب. قوله: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله **(يجب لهن)** ويحتمل أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره فاللازم لكم ما فرضتم، وما اسم موصول والعائد محذوف، وجملة فرضتم صلته ونصف مثلث الوزن ونصيف كرغيف، ولا يقرأ في جميع مواضع القرآن إلا بكسر النون لا غير. قوله: ﴿إلا أَنْ يَعْفُونَ﴾ إلا أداة استثناء، وأن حرف مصدري ونصب، ويعفون مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة وهي فاعل، والواو لام الكلمة لا واو الجماعة لأن وزنها يفعلن بخلاف الرجال يعفون فإن وزنه يفعون، وقدر المفسر لكن إشارة إلى أن الاستثناء منقطع لأن العفو ليس من جنس ما قبله فإن ما قبله وجوب دفع نصف المهر. قوله: **(فيترك لها الكل)** أي وتسميته عفوا مشاكلة لما قبله. قوله: **(الولي)** أي المجبر، وقال به مالك. قوله: **(محجورة)** أي مجبورة.

قوله: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا﴾ الضمير عائد على من ذكر من الرجال والنساء، وإنما غلب الرجال لشرفهم، وأصله تعفوون دخل الناصب فحذف النون ثم استثقلت الضمة على الواو فحذفت فالتقى ساكنان حذفت لام الكلمة لالتقائهما. قوله: ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ استشكل كلام ابن عباس بأن عفو الولي لا تقوى فيه. أجيب بأن المراد بالتقوى الألفة، أي فإذا عفا الولي فربما تحصل الألفة من الزوج ثانياً. قوله: **(أي أن يتفضل بعضكم على بعض)** أي يفعل بعضكم مع بعض مكارم الأخلاق بأن يحصل العفو عن جميع المهر من الزوج، أو تعفو الزوجة عن النصف الذي يخصها.

قوله: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصلَوَاتِ﴾ أتى بهذه الآية في خلال ما يتعلق بالأزواج والأولاد تنبيهاً على أنه لا ينبغي من العبد أن يشتغل عن حقوق سيده بأمر الأزواج والأولاد، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله). قوله: **(بأدائها في أوقاتها)** أي مع استكمال شروطها وفرائضها

﴿ٱلْوُسْطَىٰ﴾ هي العصر أو الصبح أو الظهر أو غيرها أقوال وأفردها بالذكر لفضلها ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ﴾ في الصلاة ﴿قَـٰنِتِينَ﴾ ﴿٢٣٨﴾ قيل مطيعين لقوله ﷺ «كل قنوت في القرآن فهو طاعة» رواه أحمد وغيره وقيل ساكتين لحديث زيد بن أرقم «كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام» رواه الشيخان ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ من عدو أو سيل أو سبع ﴿فَرِجَالًا﴾ جمع راجل أي مشاة صلوا ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ جمع راكب أي كيف أمكن مستقبلي القبلة أو غيرها ويومىء بالركوع والسجود ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ من الخوف ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ أي صلوا ﴿كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٣٩﴾ قبل تعليمه من فرائضها وحقوقها والكاف بمعنى مثل وما موصولة أو مصدرية ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ

وسننها وآدابها، فإن فقد شيء من ذلك دخل في الوعيد، قال تعالى: (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) وخص بالذكر لأنها عماد الدين، ومعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين من أقامها فقد أقام الدين، ومن هدمها فقد هدم الدين.

قوله: ﴿وَالصَّلَاةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ فعلى مؤنث الأوسط بمعنى الأفضل والأخير لا بمعنى المتوسطة بين شيئين، فإنه ليس فيه مزيد مزية وهو من عطف الخاص على العام، والنكتة مزيد فضلها على غيرها كليلة القدر فهي أفضل الليالي. قوله: (**هي العصر**) أي لأنه وقت نزول ملائكة الليل وصعود ملائكة النهار، وبه قال الشافعي. قوله: (**أو الصبح**) أي لما ذكر ولما في الحديث «بورك لأمتي في بكورها» ولأنها تأتي الناس وهم نيام، وبه قال مالك. قوله: (**أو الظهر**) أي لأنها أول صلاة ظهرت في الإسلام، وقوله: (**أو غيرها**) قيل هي المغرب لأنها وتر صلاة النهار، وقيل العشاء لأنها تأتي الناس وهم كسالى، وقيل هي الصلاة على النبي، وقيل هي صلاة الجمعة، وقيل الجنازة، وقيل صلاة العيد وحكمه إخفائها ليحافظ الإنسان على ذلك كله، كما أخفى ليلة القدر في سائر الليالي ليقوم الإنسان جميع الليالي وساعة الإجابة في يوم الجمعة والرجل الصالح في الخلق، واختار ابن العربي وابن أبي جمرة أن الصلاة الوسطى هي مجموع العصر والصبح مستدلين بأدلة كثيرة تشهد بفضل هذين الوقتين. قوله: (**وأفردها بالذكر لفضلها**) **أشار بذلك لنكتة عطفها على الصلوات، لأن عطف الخاص على العام يحتاج لنكتة. قوله**: (**قيل مطيعين**) أي لا مكرهين ولا كسالى بل ممتثلين الأمر مجتنبين النهي. قوله: (**وقيل ساكتين**) أي إلا عن ذكر الله ويلحق به مخاطبة النبي فإنها لا تبطل الصلاة. قوله: (**من عدو**) أي مسلم أو كافر، وقوله: (**أو سيل أو سبع**) أي دافع كل منها الناس لو توانى واحد منهم أخذه ما ذكر. قوله: (**جمع راجل**) أي ويجمع أيضاً على رجل بسكون الجيم، قال تعالى: (وأجلب عليهم بخيلك ورجلك) ويجمع أيضاً على رجال بتشديد الجيم المفتوحة. قوله: (**أي مشاة**) أي مستقبلين القبلة أم لا. قوله: (**جمع راكب**) هو في الأصل راكب الإبل، لكن المراد به هنا الراكب مطلقاً إبلا أو غيرها لصلاة الخوف أقسام تأتي في سورة النساء. قوله: (**أي صلوا**) إنما سمى الصلاة ذكراً لأنها جمعت أنواع الذكر.

قوله: ﴿كَمَا عَلَّمَكُمْ﴾ أي على الصفة التي علمكم إياها قبل حصول الخوف ولو ركعة، وحكمة الإتيان في جانب الخوف بإن التي تفيد الشك وبإذا في جانب الأمن المفيدة للتحقيق، الإشارة إلى أن الأصل الأمن وهو محقق، والخوف طارىء يزول. قوله: (**وما موصولة**) أي والعائد محذوف، والتقدير

﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ فليوصوا ﴿وَصِيَّةً﴾ وفي قراءة بالرفع أي عليهم ﴿لِّأَزْوَاجِهِم﴾ ويعطوهن ﴿مَّتَاعًا﴾ ما يتمتعن به من النفقة والكسوة ﴿إِلَى﴾ تمام ﴿الْحَوْلِ﴾ من موتهم الواجب عليهن تربصه ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ حال أي غير مخرجات من مسكنهن ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ بأنفسهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يا أولياء الميت ﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾ شرعاً كالتزين وترك الإحداد وقطع النفقة عنها ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾ في صنعه والوصية المذكورة منسوخة بآية الميراث وتربص الحول بآية أربعة أشهر وعشرا السابقة المتأخرة في النزول والسكنى ثابتة لها عند الشافعي رحمه الله ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ﴾ يعطينه ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بقدر الإمكان ﴿حَقًّا﴾ نصب بفعله المقدر ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾ الله تعالى كرره ليعم الممسوسة أيضاً إذ الآية السابقة في غيرها ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما بين لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾ تتدبرون ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ استفهام تعجيب وتشويق إلى استماع ما بعده أي ينته عملك ﴿إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ﴾

فأذكروا الله ذكراً مثل الذكر الذي علمكموه ما لم تكونوا تعلمون، وما الثانية بدل من ما الأولى أو من الضمير المحذوف، وقوله: **(أو مصدرية)** أي تسبك بمصدر، وظاهره أن الكاف أيضاً بمعنى مثل ولكنه بعيد فالأظهر أنها للتعليل، والتقدير فاذكروا الله لأجل تعليمه إياكم ما لم تكونوا تعلمون، وما معمول لتعليم.

قوله: **﴿وَالذِينَ يُتَوفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾** حاصله أنه كان في صدر الإسلام يجب على الرجل إذا حضرته الوفاة أن يوصي بالنفقة والكسوة والسكنى لزوجته سنة لأنها عدتها، ولا ينقطع عنها ذلك إلا بخروجها من نفسها، ثم نسخ ذلك. قوله: **(وفي قراءة بالرفع)** أي وهي سبعية. قوله: **﴿مَتَاعاً﴾** مفعول لمحذوف قدره المفسر بقوله ويعطوهن. قوله: **(حال)** أي من الزوجات. قوله: **(كالتزين وترك الأحداد)** أي فكان حلالاً في العدة. قوله: **(وقطع النفقة عنها)** أي بخروجها من نفسها من غير إخراج أحد لها. قوله: **(المتأخرة في النزول)** جواب عن سؤال وهو أن المتقدم لا ينسخ المتأخر، أجاب بأنه وإن تقدم تلاوة إلا أنه متأخر في النزول. قوله: **(والسكنى ثابتة لها عند الشافعي)** أي أربعة أشهر وعشراً، وأما عند مالك فهي ثابتة لها إن كان المسكن له أو نقد كراءه، وإلا نقدت هي كراءه ومكثت مكانها حتى تخرج من العدة.

قوله: **﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ﴾** أي مطلقاً قبل الدخول أو بعده إلا من طلقت قبل الدخول وأخذت نصف الصداق فلا متعة لها، وزاد مالك المختلعة فلا متعة لها أيضاً. قوله: **﴿مَتَاعٌ﴾** أي متعة وهي بقدر إمكان الزوج فقط عند مالك وعند الشافعي بقدرهما، ويسن أن لا تنقص عن ثلاثين درهماً. قوله: **﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾** إنما قال هنا ذلك وقال فيما تقدم على المحسنين، لأن بعض الأعراب حين نزلت الآية الأولى طلق زوجته ولم يمتعها وقال إن أردت أحسنت وإن أردت لم أحسن، فنزلت حقاً على المتقين. قوله: **(بفعله المقدر)** أي تقديره أحقه حقاً. قوله: **(إذ الآية السابقة في غيرها)** أي وأما هذه فهي عامة في كل مطلقة ما عدا المطلقة قبل الدخول وأخذت نصف المهر، المختلعة والمخيرة والمملكة عند مالك. قوله: **(كما بين لكم ما ذكر)** هذا وعد من الله ببيان كل شيء في القرآن، ولذا قال الشافعي: لو ضاع مني عقال بعير لوجدته في القرآن. قوله: **(استفهام تعجيب)** أي إيقاع في العجب، والخطاب قيل للنبي، وقيل لكل من

﴿أُلُوفٌ﴾ أربعة أو ثمانية أو عشرة أو ثلاثون أو أربعون أو سبعون ألفاً ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ مفعول له وهم قوم من بني إسرائيل وقع الطاعون ببلادهم ففروا ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟﴾ فماتوا ﴿ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾ بعد ثمانية أيام أو أكثر بدعاء نبيهم حزقيل بكسر المهملة والقاف وسكون الزاي فعاشوا دهراً عليهم أثر الموت لا يلبسون ثوباً إلا عاد كالكفن واستمرت في أسباطهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ ومنه إحياء هؤلاء ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ والقصد من ذكر خبر هؤلاء تشجيع المؤمنين على القتال ولذا عطف عليه ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي لإعلاء دينه ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾﴾ بأحوالكم فمجازيكم ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى

يصلح للخطاب وهو أولى. قوله: (وتشويق) أي إيقاعه في الشوق لأن ما سيق بعد الطلب ألذ مما سيق بلا تعب، وعطف التشويق على التعجيب من عطف المسبب على السبب. قوله: (أي ينته علمك) أشار بذلك إلى أن ترى مضمن معنى ينته والحامل له على ذلك تصريح الله بالى. وإلا فرأى علمية تتعدى للمفعولين بنفسها. قوله: (ألفاً) تمييز حذفه من الأول لدلالة الأخير عليه، وقد ذكر المفسر ستة أقوال أصحها الثلاثة الأخيرة لأن ألوفاً جمع كثرة ومبدؤه بعد العشرات. قوله: (مفعول له) أي لأجله وقد استوفى شروطه المذكورة في العربية. قوله: (ففروا) أخذت الأئمة من الآية النهي عن الخروج من بلد فيها الطاعون، فقال مالك بالكراهية، وقال الشافعي بالحرمة. قوله: (فماتوا) قدره المفسر لعطف قوله: ﴿ثُم أحْيَاهُمْ﴾ عليه، وقوله: ﴿فَقَالَ لَهُمْ﴾ قيل المراد على لسان ملك، وقيل كناية عن سرعة الإيجاد. قوله: (بعد ثمانية أيام) أي حتى انتشرت عظامهم وذاب لحمهم (قوله حزقيل) هو الخليفة الثالث في بني إسرائيل بعد موسى، لأن موسى لما حضرته الوفاة خلف يوشع بن نون، فلما حضرته الوفاة خلف كالب، ثم عند موته خلف حزقيل ويسمى ابن العجوز لأنه جاءها وهي عجوز، ويلقب بذي الكفل لأنه كفل أي وقى سبعين نبياً من القتل. ورد أنه لما مر عليهم وهم موتى قال يا رب كنت في قوم يحمدونك ويهللونك ويكبرونك، فبقيت وحدي لا قوم لي، فأوحى الله إليه أن قل أيها العظام إن الله يأمرك أن تجتمعي فاجتمعت العظام، فأوحى الله إليه أن قل أيها العظام إن الله يأمرك أن تكتسي لحماً فاكتست، ثم أمره الله أن يقول لها إن الله يأمرك أن تقومي فقاموا قائلين سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت. إن قلت: كيف مات هؤلاء مرتين مع قوله تعالى: (لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى) قلت: إن الموت قبل استيفاء الأجل، إما عقوبة كموت الذين سألوا الرؤية قبلهم، أو عبرة كموت العزيز وحماره. قوله: (فعاشوا دهراً) أي مدة عمرهم. قوله: (أثر الموت) أي من الصفرة. قوله: (واستمرت في اسباطهم) أي أولادهم كما هو مشاهد في بعض اليهود. قوله: (ومنه إحياء هؤلاء) أي ليعتبروا ويظفروا بالسعادة. قوله: (تشجيع المؤمنين) أي حملهم على القتال. قوله: (ولذا عطف عليه) أي الخبر المذكور، وقيل معطوف على قوله: (حافظوا على الصلوات) الآية، وما بينهما اعتراض. قوله: (لإعلاء دينه) أي لا لغنيمة ولا لإظهار شجاعة ونحو ذلك. قوله: ﴿وَاعْلَمُوا﴾ الخ، فيه وعد للمجاهدين ووعيد لمن تخلف عنهم. قوله: (فيجازيكم) أي على ما يعلم منكم الجزاء على حساب البواطن لا الظواهر.

قوله: ﴿مَنْ ذَا الذِي﴾ يحتمل أن من اسم استفهام مبتدأ وذا خبر والذي بدل منها ويقرض صلة الموصول لا محل لها من الأعراب، ويحتمل أن من ذا اسم استفهام مبتدأ والذي خبر ويقرض صلة

﴿يُقۡرِضُ ٱللَّهَ﴾ بإنفاق ماله في سبيل الله ﴿قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ بأن ينفقه لله عز وجل عن طيب قلب ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ وفي قراءة يضعفه بالتشديد ﴿لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ﴾ من عشر إلى أكثر من سبعمائة كما سيأتي ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ﴾ يمسك الرزق عمن يشاء ابتلاء ﴿وَيَبۡصُۜطُ﴾ يوسعه لمن يشاء امتحاناً ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ ﴿٢٤٥﴾ في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ﴾ الجماعة ﴿مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ

الموصول. قوله: ﴿يُقْرِضُ اللهَ﴾ أي يسلفه وهذا من تنزلات المولى لعباده، حيث خاطبهم مخاطبة المحتاج المضطر، مع إنه غني عنهم رحمة بهم على حد كتب ربكم على نفسه الرحمة، وسماه هنا قرضاً وفي آية براءة بيعاً، وفي الحقيقة لا بيع ولا قرض لان الملك كله له، وحينئذ فليست مضاعفته على ذلك رباً لأنه لا تجري أحكام الربا بين السيد وعبده الحادثين لملكه له صورة، فأولى بين السيد المالك القديم وعبده الذليل الضعيف الذي لا يملك شيئاً أصلاً فمن إحسانه عليه خلق ونسب إليه. قوله: ﴿قَرْضاً﴾ مفعول مطلق لقوله يقرض. قوله: (عن طيب قلب) أي لا رياء ولا سمعة بل ينفقه من حلال خالصاً لله.

قوله: ﴿فَيُضَاعِفَهَ﴾ بالرفع والنصب والتشديد والتخفيف قراءات أربع سبعية، فالرفع عطف على يقرض، والنصب بأن مضمرة بعد فاء السببية في جواب الاستفهام. قوله: (كما سيأتي) أي في قوله تعالى: (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة) الآية، وكثرة المضاعفة على حسب الاخلاص قال عليه الصلاة والسلام: «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً من بعدي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه».

قوله: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾ هذا كالدليل لما قبله، أي إن الانفاق لا يقبض الرزق وعدمه لا يبسطه، بل القابض الباسط هو الله. قوله: (ابتلاء) أي اختباراً هل يصبرون ولا يشكون أم لا. قوله: (امتحاناً) أي هل يشكرون أم لا، فالمطلوب من الإنسان أن يكون كما قال الشاعر:

استغن ما أغناك ربك بالغنى وإذا تصبك خصاصة فتحمل

فلا يشكو ربه في حال فقره، ولا يطغى في حال غناه، قال أهل الاشارات: في الآية إشارة خفية إلى أن القبض لا بد وأن يعقبه بسط بخلاف العكس. قوله: (فيجازيكم بأعمالكم) أي فيثيب المنفق ويعذب الممسك.

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ضمنت معنى ينتهي فعديت بإلى كما تقدم نظيره، والاستفهام هنا نظير ما تقدم، فالمقصود من ذكر هذه القصة العبرة حيث كانوا كثيراً ولم يوجد الصدق في غالبهم، فالمعنى لا تكونوا يا أمة محمد كمن ذكروا في الجبن والمخالفة. قوله: (الجماعة) أي الأشراف لأنهم هم الذين يملأون العين هيبة وأنساً. قوله: ﴿مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ﴾ من تبعيضية. وحاصل مبدأ تلك القصة أنه عند وفاة موسى خلف الله على بني إسرائيل يوشع بن نون فقام بالخلافة حق قيام، ثم لما مات تخلف عليهم كالب ثم حزقيل ثم الياس ثم اليسع فقاموا جميعاً بالخلافة كمن قبلهم. ثم ظهرت لهم العمالقة وكانوا في بلد قريبة من بيت المقدس يقال لها فلسطين وهم من أولاد عمليق بن عاد، فغلبوا على كثير من بلادهم وأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وزيادة وضربوا عليهم الجزية، ولم يكن فيهم إذ ذاك نبي ولا ذرية نبي إلا امرأة حبلى من ذرية لاوى من أولاد يعقوب فولدت غلاماً فسمته شمويل، فلما كبر نبأه الله عليهم وأرسله إليهم، ثم إنهم

بَعْدِ﴾ موت ﴿مُوسَىٰٓ﴾ أي إلى قصتهم وخبرهم ﴿إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ﴾ هو شمويل ﴿ٱبْعَثْ﴾ أقم ﴿لَنَا مَلِكًا نُّقَـٰتِلْ﴾ معه ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ تنتظم به كلمتنا ونرجع إليه ﴿قَالَ﴾ النبي لهم ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ بالفتح والكسر ﴿إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَـٰتِلُواْ﴾ خبر عسى والاستفهام لتقرير التوقع بها ﴿قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَـٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَـٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ بسببهم وقتلهم وقد فعل بهم ذلك قوم جالوت أي لا مانع لنا منه مع وجود مقتضيه قال تعالى ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ﴾ عنه وجبنوا ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ وهم الذين عبروا النهر مع طالوت كما سيأتي ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ ﴿٢٤٦﴾ فمجازيهم وسأل النبي ربه إرسال ملك فأجابه إلى إرسال طالوت ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓاْ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾ لأنه ليس من سبط المملكة ولا النبوة وكان دباغاً أو راعياً ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾ يستعين بها على إقامة الملك ﴿قَالَ﴾ النبي لهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ﴾ اختاره لذلك ﴿عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً﴾ سعة ﴿فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ وكان أعلم بني إسرائيل يومئذ وأجملهم خلقاً ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ

طلبوا منه ملكاً يقيم أمرهم ويرشدهم لما فيه صلاحهم فأقام لهم طالوت إلى آخر ما قص الله.

قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ من ابتدائية. قوله: (**إلى قصتهم وخبرهم**) بيان للمراد من الآية لأنه لا معنى لرؤية ذواتهم. قوله: ﴿**نُقَاتِلْ**﴾ مجزوم في جواب الأمر. قوله: **والاستفهام لتقرير التوقع**) والمعنى أترقب منكم عدم القيام بالقتال، وقوله: (**خبر عسى**) أي واسمها التاء، وقوله: ﴿**إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ**﴾ جملة معترضة بين اسمها وخبرها، وجواب الشرط محذوف تقديره فلا تقاتلوا. قوله: ﴿**قَالُوا وَمَا لَنَا أَن لَا نُقَاتِلَ**﴾ ما استفهامية بمعنى شيء مبتدأ، ولنا متعلق بمحذوف خبر، وأن مقدر قبلها الجار، ولا بمعنى عدم، ويكون المعنى أي شيء ثبت لنا في عدم القتال. قوله: ﴿**وَقَدْ أُخْرِجْنَا**﴾ جملة حالية والمعنى أخرج أصولنا وأبناؤهم. قوله: (**فعل بهم ذلك قوم جالوت**) أي حين مات آخر نبي لهم وهو اليسع، وضربوا عليهم الجزية وأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وشيئاً فضلاً عن غيرهم. قوله: (**أي لا مانع لنا منه**) تفسير للمعنى المراد من الآية.

قوله: ﴿**فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ**﴾ مرتب على محذوف تقديره فدعا شمويل ربه بذلك فبعث لهم مكلاً وكتب عليهم القتال فلما كتب عليهم الخ. قوله: (**وجبنوا**) عطف تفسير وهو ترك القتال خوف الموت وسيأتي بيان جبنهم. قوله: ﴿**إِلَّا قَلِيلًا**﴾ منصوباً على الاستثناء من الواو في تولوا وهو استثناء متصل، وكان عدتهم ثلثمائة وثلاثة عشر. قوله: ﴿**وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**﴾ أي منهم وهذا وعيد عظيم لمن جبن عن القتال. قوله: (**كيف**) تفسير لأنى والعامل فيها يكون. قوله: (**لأنه ليس من سبط المملكة**) أي لكونه لم يكن من ذرية يهوذا بن يعقوب، وقوله: (**ولا النبوة**) أي لكونه لم يكن من ذرية لاوى بل هو من ذرية بنيامين أصغر أولاد يعقوب، وكانت ذريته لا نبوة فيهم ولا مملكة، بل أقيموا في الحرف الدنيئة من أجل معاصيهم. قوله: ﴿**سَعَةً**﴾ أصله وسع حذفت فاء الكلمة وهي الواو وعوض عنها تاء التأنيث كما في عدة وزنة، وحذف في مضارعه لوقوعها بين عدوتيها لأن أصله يوسع. قوله: (**وكان أعلم بني إسرائيل**) أي فكان يحفظ التوراة، وقوله: (**وأتمهم خلقاً**) أي فكان يزيد على أهل زمانه بكتفيه ورأسه. قيل ورد أنه

﴿مَن يَشَآءُ﴾ إيتاءه لا اعتراض عليه ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ فضله ﴿عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٤٧﴾ هو أهل له ﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ﴾ لما طلبوا منه آية على ملكه ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ الصندوق كان فيه صور الأنبياء أنزل الله على آدم واستمر إليهم فغلبتهم العمالقة عليه وأخذوه وكانوا يستفتحون به على عدوهم ويقدمونه في القتال ويسكنون إليه كما قال الله تعالى ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ طمأنينة لقلوبكم ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ أي تركاهما وهي نعلا موسى وعصاه وعمامة هرون وقفيز من المن الذي كان ينزل عليهم ورضاض من الألواح ﴿تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ حال من فاعل يأتيكم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لَّكُمۡ﴾ على ملكه ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ ﴿٢٤٨﴾ فحملته الملائكة بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه حتى وضعته عند طالوت فأقروا بملكه وتسارعوا إلى الجهاد

لما دعا شمويل ربه أن يبعث لهم ملكاً أعطاه الله قرناً فيه طيب ويسمى طيب القدس وعصا، وأوحى إليه إذا دخل عليك رجل اسمه طالوت فانظر في القرن فإذا فار فادهن رأسه به وقسه بالعصا، فإذا جاء طولها فهو الملك فلما دخل عليه فعل به كما أمر فإذا هو طولها، ثم دهن رأسه بذلك الدهن وقال له إن الله جعلك ملكاً على بني إسرائيل، فقال كيف ذلك مع أني أدنى منهم فقال له: الله يؤتي ملكه من يشاء. قوله: ﴿عَلِيمٌ﴾ (بمن هو أهل له) أي فلا حرج عليه في فعل ولا ترك.

قوله: ﴿قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ أي حين استبعدوا مجيء الملك له. قوله: **لما طلبوا منه آية)** لما بمعنى حين ظرف لقوله قالوا أي وقع منهم القول وقت طلبهم منه آية. قوله: **(الصندوق)** ويقال بالزاي والسين وكل من الثلاثة إما مفتوح أو مضموم أفصحها بالصاد مع الضم، وكان من خشب الشمشار وطوله ثلاثة أذرع، وعرضه ذراعان مموه بالذهب، وكان عند آدم فيه صور الأنبياء جميعهم، وفيه صورة محمد وبيته وأصحابه وقيامه يصلي بينهم، ثم توارثه ذرية آدم إلى أن وصل لموسى فكان يضع فيه التوراة ووضع فيه بقية الألواح التي تكسرت، ثم أخذه بنو إسرائيل بعد موسى، وكانوا إذا خرجوا للقتال يقدمونه بين أيديهم، وكانت الملائكة تحمله فوق رؤوس المتقاتلين، ثم يشرعون في القتال فإذا سمعوا صيحة تيقنوا النصر، فلما انقرضت أنبياؤهم سلط الله عليهم العمالقة بسبب فسادهم فأخذوا منهم الصندوق وجعلوه في موضع البول والغائط، فلما أراد الله إظهار ملك طالوت سلط عليهم البلاء، فكان كل من بال عنده ابتلي بالبواسير، حتى خرجت خمس بلاد من بلادهم، فلما كبر خوفهم منه أخرجوه للخلاء، ثم حملته الملائكة وأتت به طالوت. قوله: **(أنزل الله على آدم)** أي ثم توارثه ذريته من بعده. قوله: **فغلبتهم العمالقة)** أي بعد موت أنبيائهم. قوله: **(وكانوا يستفتحون به)** أي يطلبون الفتح والنصر به. قوله: **(ويسكنون إليه)** أي يطمئنون بقدومه على العدو. قوله: **(طمأنينة لقلوبكم)** أي ففي للسببية فالمعنى أن السكينة تحصل بسببه ومن أجله، وقيل المراد بالسكينة صورة من زبرجد على صورة الهرة غير أن لها جناحين فإذا صوتت في الصندوق استبشروا بالنصر، وقيل المراد بالسكينة صورة الأنبياء، فالظرفية على بابها. قوله: **(أي تركاهما)** بيان للمراد من الآية فأطلق الآل وأراد منه نفس موسى وهارون، وكثيراً ما يطلق آل الرجل على الرجل نفسه. قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي إتيان التابوت على الوصف المذكور. قوله: **(فاختار من شبابهم)** أي الذين لا شاغل لهم دنيوي لأنه

فاختار من شبابهم سبعين ألفاً ﴿فَلَمَّا فَصَلَ﴾ خرج ﴿طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ﴾ من بيت المقدس وكان حراً شديداً وطلبوا منه الماء ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم﴾ مختبركم ﴿بِنَهَرٍ﴾ ليظهر المطيع منكم والعاصي وهو بين الأردن وفلسطين ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ﴾ أي من مائه ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾ أي أتباعي ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ يذقه ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةً﴾ بالفتح والضم ﴿بِيَدِهِۦ﴾ فاكتفى بها ولم يزد عليها فإنه مني ﴿فَشَرِبُواْ مِنْهُ﴾ لما وافوا بكثرة ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ فاقتصروا على الغرفة روي أنها كفتهم لشربهم ودوابهم وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ وهم الذين اقتصروا على الغرفة ﴿قَالُواْ﴾ أي الذين شربوا ﴿لَا طَاقَةَ﴾ قوة ﴿لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ أي بقتالهم وجبنوا ولم يجاوزوه ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يوقنون ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾ بالبعث وهم الذين جاوزوه ﴿كَم﴾ خبرية بمعنى كثير ﴿مِّن فِئَةٍ﴾ جماعة ﴿قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ﴿٢٤٩﴾ بالعون والنصر ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ أي ظهروا لقتالهم

كان لا يأخذ من كان عنده بناء لم يتم، ومن عقد على زوجة ولم يدخل بها، ومن كان مشغولاً بتجارة. قوله: (**سبعين ألفاً**)[1] وقيل ثمانون ألفاً وقيل مائة ألف وعشرون ألفاً.

قوله: **﴿فَلَمَّا فَصَلَ﴾** أي انفصل وهو مرتب على محذوف تقديره فجمعهم. قوله: (**وهو بين الأردن**) بفتح الهمزة وسكون الراء وضم الدال وتشديد النون، موضع قريب من بيت المقدس، وقوله: (**وفلسطين**) بفتح الفاء وكسرها وفتح اللام لا غير، قال بعضهم إنه قرية، وقال بعضهم إنه عدة قرى قرب بيت المقدس.

قوله: **﴿فَمَنْ شَرِبْ مِنْهُ﴾** أي بكثرة بدليل ما بعده، وهذا النهر باق يجري إلى الآن بين الخليل وغزة. قوله: (**يذقه**) أشار بذلك إلى أن الطعم بمعنى الذوقان، يطلق على المأكول والمشروب. قوله: (**بالفتح والضم**) قراءتان سبعيتان بمعنى الشيء المغروف، وقيل بالفتح اسم للاغتراف وبالضم اسم للشيء المغروف، وقيل بالفتح والضم بمعنى المصدر أشهرها أوسطها. قوله: **﴿إلَّا قَليلاً مِنهُمْ﴾** استثناء من قوله فشربوا منه المقيد بالكثرة، فالمعنى إلا قليلا شربوا منه بقلة، فيؤخذ منه أن الجميع شربوا لكن أكثرهم شرب بكثرة، وأقلهم شرب منه بقلة. قوله: (**وبضعة عشر**) البضعة من ثلاثة عشر إلى تسعة عشر، لكن المراد هنا ثلاثة عشر كما في أكثر الروايات وهم عدة غزوة بدر.

قوله: **﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ﴾** أي تعداه. قوله: **﴿وَجُنُودِهِ﴾** قيل عدتهم مائة الف شاكي السلاح وقيل أكثر، وكان طول جالوت ميلاً وخوذته التي على رأسه ثلثمائة رطل. قوله: **﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا اللهِ﴾** استشكل بأن من شرب كثيراً مؤمنون أيضاً، وأجيب بأنهم صلب إيمانهم بكثرة شربهم، وأجيب أيضاً بان المراد يظنون أنهم ملاقوا الله أي بالموت في تلك الواقعة فلا أمل لهم في الحياة. قوله: **﴿وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾** قيل من كلامهم من كلام الله بشارة لهم، والمراد معية معنوية خاصة. قوله: (**أي ظهروا**

وتصافوا ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ﴾ اصبب ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ بتقوية قلوبنا على الجهاد ﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ﴿٢٥٠﴾ ﴿فَهَزَمُوهُم﴾ كسروهم ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ﴾ وكان في عسكر طالوت ﴿جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ﴾ أي داود ﴿ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ في بني إسرائيل ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ النبوة بعد موت شمويل وطالوت ولم يجتمعا لأحد قبله ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ كصنعة الدروع ومنطق الطير ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم﴾ بدل بعض من الناس ﴿بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ بغلبة المشركين وقتل المسلمين وتخريب المساجد ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿٢٥١﴾ فدفع بعضهم

لقتالهم) أي فلم يبق بينهم حجاب أبداً، بل خرجوا في البراز الذي هو صحراء الأرض. قوله: **(اصبب)** **﴿عَلَيْنا صَبْراً﴾** أي كصب الماء على الأرض الجرز.

قوله: **﴿وَقَتَل دَاوُدُ﴾** أي ابن أيشا وكان أيشا من جملة عسكر طالوت، وكان أولاده ثلاثة عشر معه أصغرهم داود وكان يرعى الغنم، فلما خرجوا للقتال مر داود بحجر فناداه يا داود احملني فإني حجر هارون، فحمله ثم مر بآخر فقال له احملني فإني حجر موسى فحمله، ثم مر بآخر فقال له احملني فإني حجرك الذي تقتل به جالوت فحمله، ووضع الثلاثة في مخلاته، فلما تصافوا للقتال نادى طالوت كل من يقتل جالوت أزوجه ابنتي وأناصفه في ملكي، فلم يتقدم أحد، فسأل طالوت شمويل فدعا ربه فأتي بقرن فيه دهن وقيل له إن الذي يقتل جالوت هو الذي إذا وضع الدهن على رأسه لا يسيل على وجهه، فدعا طالوت القوم فصار يدهن رؤوسهم فلم تصادف تلك الصفة أحداً، إلى أن وصل لداود فصادف، فقال له أنت تبرز له؟ فقال نعم، فأتى بالمقلاع وأخرج حجراً من مخلاته وقال باسم رب إبراهيم، وأخرج حجراً آخر وقال باسم رب إسحاق، وأخرج حجراً آخر وقال باسم رب يعقوب، ثم وضعها في مقلاعه فصارت الثلاثة حجراً واحداً، فرمى به جالوت فأصابه في خوذته وخرج من دماغه فقتل ثلاثين رجلاً، فأخذ داود جالوت حتى ألقاه بين يدي طالوت ففرح هو ومن معه من بني إسرائيل وزوجه ابنته وأعطاه نصف الملك، فمكث كذلك أربعين سنة، فلما مات طالوت وشمويل انفرد فعاش نبياً ملكاً سبع سنين، ثم خلفه سليمان ولده في النبوة والملك. قوله: **﴿وَآتَاهُ آللهُ آلْمُلْكَ﴾** أي استقلالاً سبع سنين. قوله: **(كصنعة الدروع)** أي وكان يلين في يده من غير نار وينسجه كالغزل. قوله: **(ومنطق الطير)** أي فهم أصواتها بل وجميع الحيوانات.

قوله: **﴿وَلَوْلَا دَفْعُ آللهِ النَّاسَ﴾** أي لولا أن الله دفع الناس وهم أهل الكفر والمعاصي، ببعض الناس وهم أهل الإيمان والطاعة، لغلب المشركون على الأرض فقتلوا المؤمنين وخربوا المساجد والبلاد، وقيل معناه لولا دفع الله بالمؤمنين والأبرار على الكفار والفجار لفسدت الأرض أي هلكت ومن فيها، ولكن الله يدفع بالمؤمن عن الكافر، وبالصالح عن الفاجر، وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة من أهل بيت من جيرانه البلاء» ثم قرأ (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) الآية. قوله: **﴿وَلَكِنَّ آللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى آلْعَالَمِينَ﴾** يعني دفع الفساد على هذا الوجه بطريق إنعام الله وتفضله فعم الناس كلهم، ومن المعلوم أن لولا حرف امتناع لوجود فالمعنى امتنع فساد الأرض لأجل وجود دفع الناس بعضهم عن بعضهم، وهذه الآية كالدليل لما ذكر في القصة من مشروعية القتال،

ببعض ﴿تِلْكَ﴾ أي هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا﴾ نقصها ﴿عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿٢٥٢﴾ التأكيد وغيرها رد لقول الكفار له لست مرسلاً ﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ ﴿ٱلرُّسُلُ﴾ صفة، والخبر ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ بتخصيصه بمنقبة ليست لغيره ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ كموسى ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ﴾ أي محمداً ﴿دَرَجَٰتٍ﴾ على غيره بعموم الدعوة وختم النبوة وتفضيل أمته على سائر الأمم والمعجزات المتكاثرة والخصائص العديدة ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ﴾ قويناه ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ جبريل يسير معه حيث سار ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ هدى

ونصر داود على جالوت. قوله: (**هذه الآيات**) أي فالإشارة عائدة على ما تقدم من أول الربيع إلى آخره لما فيه من عظيم العجائب والإشارة في الآية للبعد نظراً لبعد زمن تلك القصة، وإنما فسره بالقريب نظراً للفظ الدال عليها، فأفاد المفسر أنه يصح إرادة المعنيين، فلا مخالفة بين إشارة الآية وإشارة المفسر. قوله: (**بالصدق**) أي الذي لا يحتمل النقيض. قوله: (**وغيرها**) أي وهي اللام والجملة الأسمية.

قوله: ﴿**تِلْكَ ٱلرُّسُلُ**﴾ اسم الإشارة عائد على الرسل المذكورين من أول السورة إلى هنا أو على المذكورين بلصقها، وأتى بالإشارة البعيدة نظراً لبعد زمنهم أو لبعد رتبتهم وعلوها عند الله. قوله: (**صفة**) أي أو عطف بيان أو بدل لأن المحلى بأل بعد اسم الإشارة يجوز فيه الثلاثة. قوله: (**بتخصيصه بمنقبه**) أي بصفة الكمال وذلك بفضل الله لا بصفة قائمة بذاته بحيث تقتضي التخصيص بالمناقب لذاته، قال تعالى: (**ولولا فضل الله عليكم ورحمته**) ما زكا منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء. قوله: ﴿**مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ الله**﴾ بيان للتفضيل، وقوله: (كلم الله) أي كلمة الله بغير واسطة. قوله: (**كموسى**) أي في الطور ليلة الإسراء، وإنما لم يشتهر بالكلام لأنه حاز منصباً أشرف من المكالمة وهي الرؤية. قوله: (**أي محمداً**) مثل هذا التفسير لا يقال من قبل الرأي بل هو الوارد، وقد أشار لذلك العارف بقوله:

وإن ذكروا نجي الطور فاذكر	نجي العرش مفتقراً لتغنى
فإن الله كلم ذاك وحياً	وكلم ذا مشافهة وأدنى
وإن قابلت لفظة لن تراني	بما كذب الفؤاد فهمت معنى
فموسى خر مغشياً عليه	وأحمد لم يكن ليزيغ ذهناً

قوله: (**بعموم الدعوة**) أي لجميع المخلوقات حتى الجمادات والملائكة والجن، ولا يرد حكم سليمان في الجن فإنه حكم سلطنة لا رسالة. قوله: (**وختم النبوة**) أي فلا نبي بعده تبتدأ رسالته ويلزم من ذلك نسخ شرعه. قوله: (**وتفضيل أمته على سائر الأمم**) قال تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وأما قوله تعالى في حق بني إسرائيل: (وأني فضلتكم على العالمين فالمراد عالمو زمانهم. قوله: (**والمعجزات المتكاثرة**) أي الكثيرة التي لاتحصى بحد ولا عد، قال العارف البوصيري:

إنما فضلك الزمان وآيا تك فيما نعده الآناء

قوله: (**والخصائص العديدة**) أي كالحوض المورود والمقام المحمود والوسيلة وغير ذلك قوله: ﴿**ٱلْبَيِّنَاتِ**﴾ أي كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص. قوله: (**يسير معه حيث سار**) أي من مبدأ خلقه لأن خلقه كان

الناس جميعاً ﴿ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم ﴾ بعد الرسل أي أممهم ﴿ مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ لاختلافهم وتضليل بعضهم بعضاً ﴿ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ لمشيئة ذلك ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ ﴾ ثبت على إيمانه ﴿ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ﴾ كالنصارى بعد المسيح ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ ﴾ تأكيد ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ ﴿٢٥٣﴾ من توفيق من شاء وخذلان من شاء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم ﴾ زكاته ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ ﴾ فداء ﴿ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ ﴾ صداقة تنفع ﴿ وَلَا شَفَٰعَةٌ ﴾ بغير إذنه وهو يوم القيامة وفي قراءة برفع الثلاثة ﴿ وَٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ بالله أو بما فرض عليهم ﴿ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ ﴿٢٥٤﴾ لوضعهم أمر الله في غير محله ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ ﴾ أي لا معبود بحق في الوجود ﴿ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ﴾ الدائم

على يده. قوله: (هدى الناس) مفعول لشاء، وقوله: ﴿مَا اقْتَتَلَ﴾ جواب لو، وهو إشارة لقياس استثنائي نظمه أن تقول لو شاء الله هدى الناس جميعاً ما اقتتل الذين من بعد الرسل ولكنهم اقتتلوا فلم يشأ الله هداهم جميعاً. قوله: (بعد الرسل) أي بعد مجيئهم. قوله: (أي أممهم) تفسير للذين، وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ﴾ متعلق باقتتل وما مصدرية أي من بعد مجيء البينات لهم. قوله: (لاختلافهم) علة للاقتتال.

قوله: ﴿وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا﴾ هذا استثناء لنقيض التالي فينتج نقيض المقدم، وهو لم يشأ الله هداهم لكنه عبر بالسبب وهو الاختلاف عن المسبب وهو الاقتتال. قوله: (لمشيئة ذلك) أي فلو شاء هداهم لم يختلفوا ولم يقتتلوا، فالحق واضح ظاهر، وإنما كفر من كفر بإرادة الله عدم إيمانه فالعبد مجبور في قالب مختار. قوله: (ثبت على إيمانه) أي بإرادة الله. قوله: (زكاته) قدره إشارة إلى أن المراد الانفاق الواجب بدليل الوعيد العظيم ونحو الزكاة كل نفقة واجبة. قوله: (بغير إذنه) أشار بذلك إلى أن الآية المطلقة فتحمل على المقيدة وهي قوله تعالى: (من الذي يشفع عنده إلا بإذنه) قوله: (وفي قراءة) أي وهي سبعية. قوله: (برفع الثلاثة) أي على أن لا نافية مهملة أو عاملة عمل ليس، لأنها إذا تكررت جاز إعمالها وإلغاؤها، وأما على القراءة الأولى فهي عاملة عمل إن تنصب الاسم وترفع الخبر. قوله: (بالله) أي فهو كفر حقيقي، وقوله: (أو بما فرض عليهم) أي بالتفريط في الفرائض وهو كفر مجازي.

قوله: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ هذه الآية تسمى آية الكرسي وهي أفضل أي القرآن، لأن التوحيد الذي استفيد منها لم يستفد من آية سواها، لأن الشيء يشرف بشرف موضوعه، فإنها اشتملت على أمهات المسائل الدالة على ثبوت الكمالات لله ونفي النقائض عنه تعالى، وورد في فضلها من الأحاديث الكثيرة ما يجل عن الحصر، منها من قرأها عند خروجه من بيته كان في ضمان الله حتى يرجع، ومنها من قرأها دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت، ومنها ما قرئت في دار إلا هجرتها الشياطين ثلاثين يوماً، ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة، يا علي علمها ولدك وأهلك وجيرانك فما نزلت آية أعظم منها، ومنها من قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله، ومنها سيد الكلام القرآن، وسيد القرآن البقرة، وسيد البقرة آية الكرسي، ومنها ما ورد أنه نزل جبريل على موسى وقال له ربك يقول لك من قال عقب كل صلاة اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولمحة وطرفة يطرف بها أهل السموات وأهل الأرض وكل شيء هو في علمك كائن أو قد كان أقدم إليك بين يدي ذلك كله الله لا إله إلا هو الحي القيوم إلى آخرها، فإن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ليس منها ساعة إلا ويصعد إلى

البقاء ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ المبالغ في القيام بتدبير خلقه ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ﴾ نعاس ﴿وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى﴾ أي لا أحد ﴿يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ له فيها ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي الخلق ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي من أمر الدنيا والآخرة ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ

الله منه فيها سبعون ألف ألف حسنة، حتى ينفخ في الصور وتشتغل الملائكة، وأخذ العارفون منها فوائد جمة منها من قرأها عقب كل صلاة أربع عشرة عدة فصولها أحبه العالم العلوي والسفلي، ومن قرأها عدة الرسل ثلاثمائة وثلاث عشرة فرج الله عنه وأزال عنه ما يكره، ومنها من قرأها عدد حروفها وهي مائة وسبعون حرفاً لا يطلب منزلة إلا وجدها ولا سعة إلا نالها ولا فرجاً من سائر الشدائد إلا حصل، ومنها أنه إذا سقي المبطون حروفها مقطعة شفي بإذن الله، ومنها من كتبها عدد كلماتها وهي خمسون كلمة وحملها أدرك غرضه من عدوه وحاسده، وإن كان للمحبة والألفة نال مقصوده، وتسميتها آية الكرسي من باب تسمية الشيء باسم جزئه لذكره فيها. قوله: **(الدائم البقاء)** أي فحياته ذاتية له.

قوله: **﴿ٱلْقَيُّومُ﴾** هو من صيغ المبالغة وإن لم تكن من الصيغ المشهورة. قوله: **(المبالغ في القيام بتدبير خلقه)** أي فلا يشغله شأن عن شأن (ولا تخفى عليه خافية) أبداً سواء منكم من أسر القول ومن جهر به، ومن هو مستخف بالليل وسارب النهار، وما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة، فقوم السماء وزينها، وبسط الأرض وجملها، وأرضى كل إنسان بما قسم له من غير تعب يحصل له من ذلك، قال تعالى: (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب).

قوله: **﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ﴾** هذا من صفات السلوب والسنة هي النوم في العين وهي نوم الأنبياء. قوله: **﴿وَلَا نَوْمٌ﴾** عرف بأنه فترة طبيعية تهجم على الشخص قهراً عليه، تمنع حواسه الحركة وعقله الإدراك، إن قلت حيث كان منزهاً عن السنة فهو منزه عن النوم بالأولى أجيب بأنه زيادة في الإيضاح، وأجيب أيضاً بأنه ذكر النوم لأنه ربما يتوهم من كونه يهجم قهراً أنه يغلبه فلا يلزم من نفي السنة نفي النوم وهذا هو الأتم، لأنه لا يلزم من نفي الأخف نفي الأثقل. إن قلت: إن الملائكة أيضاً لا تأخذهم سنة ولا نوم فليس في ذكر هذه الصفة مزيد مزية. أجيب: بأن تنزه الملائكة عن النوم من إخبار الله فقط، وإلا فالعقل يجوزه عليهم بخلاف تنزه الله عنه، فالدليل العقلي قائم على تنزهه عنه. قوله: **﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأرض﴾** كالدليل لما قبله، وأتى بما تغليباً لغير العاقل لكثرته. قوله: **(ملكاً)** بضم الميم معناه التصرف، وقوله وخلقاً أي إيجاداً، وقوله وعبيداً أي مملوكين له (إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً) ولا نزاع في كون السموات والأرض ملكاً لله، قال تعالى: (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم) وفي ذلك رد على الكفار حيث أثبتوا له شريكاً، فكأن الله يقول لهم ما أشركتموه لا يخرج عن السموات والأرض، وشأن الشريك أن يكون مستقلاً خارجاً عن مملكة الشريك الآخر.

قوله: **﴿مَنْ ذَا﴾** اسم استفهام مبتدأ و **﴿الَّذِي﴾** خبره وهو استفهام إنكاري بمعنى النفي، أي لا شفيع في أحد يستحق النار يشفع عنده بغير مراده. قوله: **(أي لا أحد)** تفسير للاستفهام الإنكاري. قوله: **﴿إلا بِإِذْنِهِ﴾** أي مراده. قوله: **(أي من أمر الدنيا)** راجع لقوله ما بين أيديهم، وقوله: **(والآخرة)** راجع لقوله: **﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾** فهو لف ونشر مرتب ويصح العكس فيكون لفاً ونشراً مشوشاً،

﴿مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ أي لا يعلمون شيئاً من معلوماته ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ أن يعلمهم به منها بإخبار الرسل ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ قيل أحاط علمه بهما وقيل الكرسي نفسه مشتمل عليهما لعظمته لحديث «ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس» ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾ يثقله ﴿حِفْظُهُمَا﴾ أي السموات والأرض ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾ فوق خلقه بالقهر ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ ﴿٢٥٥﴾ الكبير ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ على الدخول فيه ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ أي ظهر بالآيات البينات أن الإيمان رشد والكفر غي نزلت فيمن كان له من الأنصار أولاد أراد أن يكرههم على الإسلام

والأقرب أن يقال المراد بما بين أيديهم ما يستقبل من الدنيا والآخرة، وقوله وما خلفهم ما انقضى من أمر الدنيا، فعلم أمر الدنيا والآخرة مستو عنده بخلاف المخلوقات، قال الشاعر:

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عمي

قوله: **(أي لا يعلمون شيئاً من معلوماته)** دفع بذلك ما يتوهم أن علم الله يتجزأ مع أنه ليس كذلك، وما يتوهم أيضاً أنه يشاء إطلاع أحد على علمه مع أنه مستحيل، إذ ليس في طاقة الحادث اطلاع على حقيقة القديم ولا صفاته، سبحان من لا يعلم قدره غيره، ولا يبلغ الواصفون صفته. قوله: **(منها)** أي من معلوماته. قوله: **(بأخبار الرسل)** أي فلا يصل لأحد علم إلا بواسطة الأنبياء، فالأنبياء وسائط لأممهم في كل شيء، وواسطتهم رسول الله، قال العارف: اللهم صل على من منه انشقت الأسرار، وانفلقت الأنوار، وفيه ارتقت الحقائق، وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق. قوله: **(وقيل أحاط علمه بهما)** أي فالكرسي بضم الكاف وكسرها يطلق على العلم، كما يطلق على السرير الذي يجلس عليه. قوله: **(وقيل الكرسي نفسه)** أي وهو مخلوق عظيم فوق السماء السابعة، يحمله أربعة ملائكة، لكل ملك أربعة أوجه أرجلهم تحت الصخرة التي تحت الأرض السابعة، وتحت الأرض السفلى ملك على صورة آدم يسأل الرزق لبني آدم، وملك على صورة الثور يسأل الرزق للبهائم، وملك على صورة السبع يسأل الرزق للوحوش، وملك على صورة النسر يسأل الرزق للطيور، بينهم وبين حملة العرش سبعون حجاباً من ظلمه، وسبعون حجاباً من نور، سمك كل حجاب خمسمائة سنة، وذلك لئلا تحترق حملة الكرسي من نور حملة العرش، وخلق العرش والكرسي من حكم الله لا لاحتياج لهما. قال صاحب الجوهرة:

والعرش والكرسي ثم القلم والكاتبون اللوح كل حكم

قوله: (في ترس) هو ما يتترس به عند الحرب، وهو المسمى بالدرقة. قوله: ﴿**وَلَا يَؤُودُهُ**﴾ أي الله وهو ظاهر، أو الكرسي وهو أبلغ، لأنه إذا لم تثقل السموات والأرض مع عظمها الكرسي مع أنه مخلوق فكيف بخالقه. قوله: ﴿**وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ**﴾ أي المنزه عن صفات الحوادث فهو من صفات السلوب. قوله: ﴿**ٱلْعَظِيمُ**﴾ أي المتصف بالعظم وقدم العلي عليه لأنه من باب تقديم التخلية على التحلية. قوله: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ**﴾ قيل إن من هنا إلى خالدون من تمام آية الكرسي، وقيل ليست منها وهو الحق، وإنما ذكرت عقبها كالنتيجة لما ذكر فيها من خالص التوحيد، والمعنى لا يكره أحد أحداً على الدخول في الإسلام، فإن الحق والباطل ظاهران لكل أحد فلا ينفع الاكراه، قال تعالى: (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين). قوله: **(أي ظهر بالآيات البينات)** أي الدلائل الظاهرة على باهر قدرته وعظيم حكمته، قال تعالى: (إن في خلق السموات والأرض) الآية. قوله: **(فيمن كان له من الأنصار أولاد)** أي وهو

﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ الشيطان أو الأصنام وهو يطلق على المفرد والجمع ﴿وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ﴾ تمسك ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ بالعقد المحكم ﴿لَا انفِصَامَ﴾ انقطاع ﴿لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لما يقال ﴿عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٥٦﴾ بما يفعل ﴿اللَّهُ وَلِيُّ﴾ ناصر ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ ذكر الإخراج إما في مقابلة قوله يخرجهم في الظلمات أو في كل من آمن بالنبي قبل بعثته

أبو الحصين كان له ابنان تنصرا قبل بعثة النبي ﷺ ثم قدما المدينة بتجارة زيت فلقيهما أبوهما، وأحب أن يكرههما على الإسلام، فارتفع معهما إلى النبي ﷺ فقال أبوهما يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر إليه فنزلت وهذه الآية يحتمل أنها منسوخة بآيات القتال أو محكمة، وتحمل على من ضرب عليهم الجزية ويؤيده سبب نزولها. قوله: ﴿بالطَّاغوتِ﴾ مبالغة في الطغيان كالجبروت والملكوت، والمراد به ما يعبد من دون الله، ومعنى الكفر به جحده والإعراض عنه. قوله: (وهو يطلق على المفرد والجمع) أي ويعود الضمير عليه مؤنثاً ومذكراً وهو قيل مصدر وقيل اسم جنس.

قوله: ﴿وَيُؤْمِنْ بِاللهِ﴾ تقديم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله من باب تقديم التخلية على التحلية، لأنه لا يصح إيمان بالله مع إشراك غيره معه. قوله: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ﴾ هذه الجملة جواب الشرط الذي هو من وقرن بالفاء لدخول قد عليها. قوله: (تمسك) أشار بذلك إلى السين والتاء زائدتان لتقوية الاستمساك. قوله: ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ فيه استعارة تصريحية أصلية، حيث شبه دين الإسلام بالعروة الوثقى، وهي موضع المسك من الحبل بجامع أن كلا لا يخشى منه الخلل، واستعير اسم المشبه به وهو العروة الوثقى للمشبه وهو دين الإسلام، والاستمساك وعدم الانفصام ترشيحان لأنه من ملائمات المشبه به، أو فيه استعارة تمثيلية بأن يقال شبه حال من تمسك بدين الإسلام وأحكامه بحال من تمسك بالعروة الوثقى، بجامع أن كلا لا يخشى الانفكاك ولا الخلل، واستعير اسم المشبه به للمشبه والاستمساك وعدم الانفصام ترشيحان أيضاً. قوله: ﴿لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ الانفصام الانقطاع بغير بينونة، والانقصام بالقاف الانقطاع مع بينونة، فالتعبير بالانفصام أبلغ. قوله: (لما يقال) أي سراً أو جهراً. قوله: (بما يفعل) أي خيراً أو شراً سراً أو جهراً.

قوله: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هذا كالدليل لما قبله وولي فعيل بمعنى فاعل أي متولي أمر عباده، وأما الولي من العبيد فبمعنى فاعل أي موالي طاعة ربه، أو بمعنى مفعول أي تولاه الله فلم يكله لغيره. قوله: (الكفر) شبه بالظلمات الحسية للحيرة وعدم الاهتداء في كل، ولأنه يكون كذلك يوم القيامة، قال تعالى: ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها، وقوله: (الإيمان) شبه بالنور لأنه يهتدى بكل ولأنه يكون كذلك يوم القيامة، قال تعالى: (نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم)، فالكفر ظلمة معنوية في الدنيا وحسية في الآخرة، والإيمان نور معنوي في الدنيا وحسي في الآخرة، قوله: ﴿والَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمْ الطَّاغُوت﴾ إنما لم يقل والطاغوت أولياء الذين كفروا لأجل المقابلة لئلا يكون الطاغوت مقابلاً لاسم الله وهو قبيح، فبدأ بكفرهم تقبيحاً وتبكيتاً لهم. قوله: (ذكر الاخراج الخ) جواب عن سؤال مقدر حاصله أن الكفار لم يكونوا في نور فأخرجوا منه إلى الظلمات كيف ذلك أجاب المفسر

من اليهود ثم كفر به ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٢٥٧﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ﴾ جادل ﴿إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ لـ ﴿أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ أي حمله بطره بنعم الله على ذلك وهو نمروذ ﴿إِذْ﴾ بدل من حاج ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ لما قال له من ربك الذي تدعونا إليه ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أي بخلق الحياة والموت في الأجساد ﴿قَالَ﴾ هو ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ بالقتل والعفو عنه ودعا برجلين فقتل أحدهما وترك الآخر فلما رآه غبياً ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ منتقلاً إلى حجة أوضح ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا﴾ أنت ﴿مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ تحير ودهش

بجوابين: الأول أنه مشاكلة لما قبله والمراد منهم من أصل النور، والثاني أنه إخراج حقيقي وهو في كل من آمن بالنبي قبل مبعثه ثم ارتد بعد ذلك، وفي هذه الآية وعد من الله بالأمن للمؤمن من المخاوف دنيا وأخرى.

قوله: ﴿**أَلَمْ تَرَ**﴾ الاستفهام لتقرير النفي مع التعجيب، والمعنى ألم ينته علمك إلى هذا الذي قابله الله بالجود والاحسان، وقابل مولاه بالكفر والطغيان، وهذا كالدليل لقوله: (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت) الآية. فإن الشيطان طاغوت نمروذ وهو طاغوت غيره ما عدا إبراهيم ومن تبعه قوله: ﴿**إِلَى الَّذِي حَاجَّ**﴾ لم يصرح باسمه تبكيتا له وإظهارا لقبحه. قوله: (**جادل**) أي مجادلة باطلة وهي مقابلة الحجة بالحجة فإبراهيم يجادل بالحق، ونمروذ يجادل بالباطل. قوله: ﴿**فِي رَبِّهِ**﴾ أي إبراهيم فالإضافة للتشريف، أو نمروذ والإضافة لإقامة الحجة عليه حيث نازع خالقه في وصفه. قوله: ﴿**أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ**﴾ مفعول لأجله وهو مجرور باللام لفقد أحد شروطه وهو عدم اتحاد الفاعل، لأن فاعل المحاججة النمروذ وفاعل إيتاء الملك هو الله، قال ابن مالك: وإن شرط فقد. فاجرره بالحرف. وحذف الجار لأن حذفه مطرد مع أن وإن. قوله: (**بطره**) هو الاستخفاف بآلاء الله. قوله: (**بنعم الله**) أي وهي ملك الدنيا، لأنه لم يملك إلا أربعة اثنان مسلمان، واثنان كافران سليمان وذو القرنين، والنمروذ وبختنصر. قوله: (**وهو نمروذ**) أي ابن كنعان حملت به أمه من زنا خوفاً على ملك أبيه من الضياع حيث كان أبوه عقيماً، وهو أول من لبس التاج المكلل، وهذه الواقعة كانت بعد إلقاء إبراهيم في النار، وكان النمروذ قد ملك أقوات الأرض كلها، فكان لا يعطي القوت إلا لمن آمن به، فذهب إبراهيم إليه وطلب منه شيئاً من القوت فامتنع حتى يتبعه، فذهب إبراهيم إلى كثيب من رمل وملأ وعاءه فلما وصل منزله صار دقيقاً فصار يأكل منه هو ومن تبعه. قوله: (**بدل من حاج**) أي بدل اشتمال. قوله: (**لما قال له**) ظرف لقوله قال إبراهيم، أي قال إبراهيم ذلك وقت قوله له من ربك؟

قوله: ﴿**أَنَا أُحْيِي**﴾ الضمير قيل أن وحدها والألف زائدة لبيان الحركة في حالة الوقف، وقيل بل كلها الضمير، والصحيح أن فيه لغتين لغة تميم إثبات ألفه وصلاً ووقفاً، والثانية إثباتها وقفاً وحذفها وصلاً. قوله: (**غبياً**) أي بليداً لا يفهم جواباً ولا يحسن خطاباً، وهو جواب عن سؤال مقدر حاصله أن ما وقع من إبراهيم ليس صناعة المناظرة لأنه كان الواجب إبطال حجة الأحياء والإماتة التي ادعاها اللعين أولاً ثم ينتقل لحجة أخرى، أجاب المفسر بأنه لما رآه غبياً لم يدقق عليه في ذلك وانتقل لحجة أخرى.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٢٥٨﴾ بالكفر إلى حجة ﴿أَوْ﴾ رأيت ﴿كَالَّذِي﴾ الكاف زائدة ﴿مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ هي بيت المقدس راكباً على حمار ومعه سلة تين وقدح عصير وهو عزير ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ سقوفها لما خربها بختنصر ﴿قَالَ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ استعظاماً لقدرته تعالى ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ﴾ وألبثه ﴿مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ أحياه ليريه كيفية ذلك ﴿قَالَ﴾ تعالى له ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ مكثت هنا ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لأنه نام أول النهار فقبض وأحيي عند الغروب فظن أنه يوم النوم ﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ﴾ التين ﴿وَشَرَابِكَ﴾ العصير ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ يتغير مع طول الزمان والهاء قيل أصل من سانهت وقيل للسكت من سانيت

قوله: ﴿أَوْ كَالَّذِي﴾ هذا كالدليل لقوله: الله ولي الذين آمنوا، فهو من باب اللف والنشر المشوش فمن أراد الله هدايته جعل له كل شيء دليلاً يستدل به على ذات صانعه وصفاته، ومن أراد الله خذلانه أضله بكل شيء وأعمى قلبه عن النظر في المصنوعات، وإنما قدم ما يتعلق بالكافر لقصر الكلام عليه واتصاله بما قبله بخلاف ما يتعلق بالمؤمن، واعلم أنهم ذكروا أن في الكاف قولين: الأول أنها بمعنى مثل وعليه درج المفسر حيث قدر رأيت فيكون المعنى ألم ينته علمك إلى مثل الذي مر أي مثله وصفته فقوله الكاف زائدة غير مناسب لحله، الثاني أنها زائدة والمعنى ألم ينته علمك إلى الشخص الذي مر الخ. قوله: **(وهو عزيز)** أي ابن شرخيا كان من بني إسرائيل، قيل كان نبياً وقيل ولياً وقيل هو الخضر وقيل رجل كان كافراً ينكر البعث فأراد الله له الهدى، والقرية قيل هي بيت المقدس كما قال المفسر، وقيل هي القرية التي خرج منها الألوف حذر الموت. قوله: **(لما خربها بختنصر)** بخت معناه ابن ونصر اسم للصنم، سمي بذلك لأن أمه لما ولدته وضعته عنده فلما وجدوه قالوا بختنصر أي ابن الصنم، وكان كافراً ملك الأرض مشرقاً ومغرباً، وسبب تخريبها أن بني إسرائيل لما طغوا سلط الله عليهم بختنصر فتوجه إليهم في ستمائة راية، فلما ملكهم قسمهم ثلاثة أقسام: قسم قتله وقسم أقره بالشام وقسم استرقه، وكان ذلك مائة ألف، فقسمه بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل واحد أربعة فكانوا خمسة وعشرين ألف ملك، وكان من جملة من أسر عزيز، وفك من الأسر فلما مر عليها وهي بهذه الحالة قال ما ذكر.

قوله: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يحتمل أن المراد في الدنيا أو يوم القيامة، وليس ذلك شكا واستغراباً لفعل الله، بل ذلك سؤال عن تعلق قدرة الله كأنه قال هل تعلقت قدرة الله بإحيائها فيحييها، أو بعدمه فيبقيها على ما هي عليه. قوله: **(كيف)** وقيل بمعنى متى. قوله: **(استعظاماً لقدرته)** أي إنه لا يقدر على ذلك إلا صاحب القدرة العظيمة. قوله: **(وألبثه)** قدره إشارة إلى أن قوله مائة عام متعلق بمحذوف، ولا يصح تعلقه بأماته لأنه لا معنى له. وسبب ذلك أنه لما دخل بيت المقدس وربط حماره فلم ير أحداً بها ثم رأى أشجارها قد أثمرت فأكل منها ونام فأماته الله في منامه، فلما مضى من موته سبعون سنة، وجه الله ملكاً من ملوك فارس إلى بيت الله المقدس ليعمره فعمره ورد من بقي من بني إسرائيل إليه، فلما تمت المائة أحياه الله.

قوله: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ أو للاضراب لأنه نام ضحوة النهار فأحيي آخر النهار، فظن أنه يوم النوم، فبالضرورة ليس يوماً كاملاً. قوله: **(قيل أصل)** أي فهي لام الكلمة والفعل مجزوم بسكون الهاء

وفي قراءة بحذفها ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ كيف هو فرآه ميتاً وعظامه بيض تلوح، فعلنا ذلك لتعلم ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً﴾ على البعث ﴿لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾ من حمارك ﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ نحييها بضم النون وقرىء بفتحها من أنشر ونشر لغتان وفي قراءة بضمها والزاي نحركها ونرفعها ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ فنظر إليها وقد تركبت وكسيت لحماً ونفخ فيه الروح ونهق ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ ذلك بالمشاهدة ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ علم مشاهدة ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٥٩) وفي قراءة أعلم، أمر من الله له ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ﴾ تعالى ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ بقدرتي

فأصل سنة سنهة. قوله: **(وقيل للسكت)** أي فهي زائدة وأصل سنة سنو. قوله: **(وفي قراءة بحذفها)** أي وصلاً. قوله: **(من أنشر ونشر)** لف ونشر مرتب. قوله: **(ونرفعها)** أي نرفع بعضها إلى بعض. قوله: **(علم مشاهدة)** جواب عن سؤال مقدر. قوله: **(أمر من الله له)** أي وترقى من علم اليقين إلى عين اليقين، روي أن العزيز لما أحيي ورأسه ولحيته إذ ذاك سوداوان وهو ابن أربعين سنة، ركب حماره وأتى محلته، فأنكره الناس وأنكر هو الناس والمنازل، فانطلق على وهم منه حتى أتى منزله، فإذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد أدركت زمن عزير، فقال عزير: يا هذه هذا منزل عزير، قالت: نعم، وأين عزير، قد فقدناه منذ كذا وكذا فبكت بكاء شديداً قال: فإني عزير، قالت: سبحان الله وأني يكون ذلك، قال: قد أماتني الله مائة عام ثم بعثني. قالت: إن عزيراً كان رجلاً مجاب الدعوة فادع الله لي يرد علي بصري حتى أراك، فدعا ربه ومسح بين عينيها فصحتا فأخذ بيدها فقال لها قومي بإذن الله فقامت صحيحة كأنما نشطت من عقال، فنظرت إليه فقالت أشهد أنك عزير، فانطلقت به إلى محلة بني إسرائيل وهم في أنديتهم، وكان في المجلس ابن لعزير قد بلغ مائة وثماني عشرة سنة وبنو بنته شيوخ، فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها، فقالت انظروا فإني بدعائه رجعت إلى هذه الحالة، فنهض الناس فأقبلوا إليه، فقال ابنه كان لأبي شامة سوداء بين كتفيه مثل الهلال فكشف فإذا هو كذلك، وقد كان قبل بختنصر ببيت المقدس من قراء التوراة أربعون ألف رجل، ولم يكن يومئذ بينهم نسخة من التوراة ولا أحد يعرف التوراة، فقرأها عليهم عن ظهر قلبه من غير أن يخل منها بحرف، فقال رجل من أولاد المسبيين ممن ورد بيت المقدس بعد هلاك بختنصر حدثني أبي عن جدي أنه دفت التوراة يوم سبينا في خابية في كرم فإن أريتموني كرم جدي أخرجتها لكم، فذهبوا به إلى كرم جده ففتشوا فوجدوها فعارضوها بما أملى عليهم عزير عن ظهر القلب فما اختلفا في حرف واحد، فعند ذلك قالوا هو ابن الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

قوله: **﴿وإذ قال إبراهيم﴾** هذا دليل آخر لقوله الله ولي الذين آمنوا، وقصة إبراهيم أبلغ من قصة العزيز لعظم مقام إبراهيم، وإنما غاير الأسلوب ولم يقل أو كالذي (قال رب أرني) الخ لأن إبراهيم قد تقدم له ذكر، وأيضاً الأمر المعجز لم يقع له في نفسه كالعزير وإنما أراه الله ذلك في غيره، وسبب سؤال إبراهيم أنه مر بساحل طبريا فوجد جيفة إنسان وقيل حمار وقيل حوت، فلما رآه وجد السباع والطيور والسمك تأكل منها، فاشتاقت نفسه إلى رؤية جمع الله لها، فقال أعلم أن الله قادر على جمعها لكن أحب أن أرى ذلك، وقيل سبب سؤاله أنه لما حاجج النمروذ حيث (قال ربي الذي يحيي ويميت) فقال النمروذ أنا أحيي وأميت، ودعا رجلين فقتل أحدهما وعفا عن الآخر، فقال له إبراهيم ليس هذا إحياء إدخال الروح في الجسم وتقويمه بها، فقال النمروذ أو ربك يفعل ذلك فقال إبراهيم نعم، فقال له هل عاينته

على الأحياء سأله مع علمه بإيمانه بذلك ليجيبه بما سأل فيعلم السامعون غرضه ﴿قَالَ بَلَىٰ﴾ آمنت ﴿وَلَٰكِن﴾ سألتك ﴿لِّيَطْمَئِنَّ﴾ يسكن ﴿قَلْبِي﴾ بالمعاينة المضمومة إلى الاستدلال ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ بكسر الصاد وضمها أملهن إليك وقطعهن واخلط لحمهن وريشهن ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ﴾ من جبال أرضك ﴿مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ﴾ إليك ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ سريعاً ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمٌ﴾ ﴿٢٦٠﴾ في صنعه فأخذ طاووساً ونسراً وغراباً وديكاً وفعل بهن ما ذكر وأمسك رؤوسهن عنده ودعاهن فتطايرت الأجزاء إلى بعضها حتى تكاملت ثم أقبلت إلى رؤوسها ﴿مَّثَلُ﴾ صفة نفقات ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي

فانتقل لحجة أخرى وهي (فإن الله يأتي بالشمس من المشرق) الآية، فعند ذلك تشوق للمعاينة لتقوى حجته على قومه إذا سألوه عن المعاينة وقال رب أرني، الآية.

قوله: ﴿أرني﴾ أصله أرئيني بوزن أكرمني حذفت الياء لأن الأمر كالمضارع فصار أرئني ثم نقلت حركة الهمزة إلى الراء، وحذفت الهمزة والرؤية هنا بصرية تتعدى إلى مفعول واحد فلما دخلت همزة النقل تعدت إلى مفعول ثان وهو جملة الاستفهام. قوله: **(سأله)** أي سأل إبراهيم. قوله: **(بذلك)**أي بقدرته على إحياء الموتى. قوله: **(ليجيب)** علة لسأل وفاعل الإجابة إبراهيم وهو المسؤول. وقوله: **(بما سأله)** أي الله، وقوله: **(فيعلم السامعون غرضه)** أي لأن سؤاله أولاً يوهم عدم إيمانه فترتب على سؤال الله بقوله: **﴿أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ﴾** كشف إبراهيم عن مراده. بقوله: **﴿بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾** قوله: **(آمنت)** قدره إشارة إلى أن قوله ولكن ليطمئن قلبي مرتب عليه وهناك محذوف آخر تقديره وليس سؤالي لعدم إيمان مني ولكن الخ. قوله: **(يسكن)** **﴿قَلْبِي﴾** أي من اضطرابه واشتياقه إلى المعاينة، ولا يقدح ذلك في إيمان إبراهيم، فإن الإنسان مؤمن برسول الله وبيت الله الحرام، ولكن قلبه مشتاق ومضطرب لمشاهدة رسول الله وبيته الحرام غاية الاشتياق، ومع ذلك لا يقدح في إيمانه بما ذكر، وكسؤال موسى رؤية الله مع كونه في أعلى مراتب الإيمان بالله. قوله: **(بالمعاينة المضمومة إلى الاستدلال)** إن قلت: إن إيمان الأنبياء حق يقين لا علم يقين ولا عين يقين، فكيف يطلب إبراهيم الانتقال من علم اليقين إلى عين اليقين مع أن مرتبته فوق ذلك، أجيب بأن هذا الكلام بالنسبة للذات والصفات لوجدها بحيث لو كشف عنا الحجاب لرأيناها، وأما إيجاد الله للأشياء فهو أمر اعتباري يطلع الله على ذلك من خصه برحمته فلا يشاهده إلا من رآه بعينه، وأجيب أيضاً بأنه من أهل حق اليقين في الجميع لأن الله يمثل لأحبائه الأمور الاعتبارية التي ستحصل. فتصير كالمشاهدة الحاضرة فلا فرق في حق اليقين بين شهود الذات والصفات والأفعال، وإنما طلب ذلك لأجل تمام الاستدلال والاحتجاج على قومه وهذا هو الأتم. قوله: **(بكسر الصاد وضمها)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(أملهن إليك)** أي **(وقطعهن)** فهما معنيان لصرهن والمفسر جمع بينهما. قوله: **من جبال أرضك)** أي من جبال حولك وكانت أربعاً وقيل سبعاً. قوله: **(فأخذ طاووساً الخ)** الحكمة في اختيار هذه الطيور الأربعة شبهها بالإنسان فإن في الطاووس الخيلاء والعجب، وفي النسر شهوة الأكل والشرب، وفي الغراب الحرص، وفي الديك شهوة النكاح، وذلك كله في الإنسان. قوله: **(ثم أقبلت إلى رؤوسها)** أي بدعائها ثانياً، فالدعوة الأولى لالتئام أجزائها، والثانية لاتيانها إليه لأخذ رؤوسها وإنما لم تكن من جنس

طاعته ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ﴾ فكذلك نفقاتهم تضاعف لسبعمائة ضعف ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ﴾ أكثر من ذلك ﴿لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ فضله ﴿عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٦١﴾ بمن يستحق المضاعفة ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا﴾ على المنفق عليه بقولهم مثلاً قد أحسنت إليه وجبرت حاله ﴿وَلَآ أَذٗى﴾ له بذكر ذلك إلى من لا يحب وقوفه عليه ونحوه ﴿لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ﴾ ثواب إنفاقهم ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ ﴿٢٦٢﴾ في

واحد ليظهر التمييز وكانت من الطيور لأن الطير صفته الطيران في العلو، وهمة إبراهيم إلى جهة العلو فمعجزته مشاكلة لهمته.

قوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾ مثل مبتدأ مضاف للموصول وينفقون صلته والخبر قوله كمثل حبة، وقدر المفسر قوله نفقات ليصح التشبيه لأن ذوات المنفقين لا يصح تشبيهها بالحبة. والحاصل أنه لا يصح التشبيه إلا بتقدير، إما في الأول كما صنع المفسر أو في الثاني أي مثل الذين ينفقون أموالهم كمثل باذر حبة، قوله: ﴿طَاعَتِهِ﴾ أي واجبة أو مندوبة فيشمل الجهاد وطلب العلم والحج والتوسعة على العيال وغير ذلك، وكلما عظمت القربة كانت الحسنات فيها أكثر، قوله: ﴿أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ أي في سبع شعب والأصل والساق واحد وسنابل جمع سنبلة ويقال أيضاً: سبل وسبلة وفعل الأول سنبل والثاني سبل وغالباً يوجد ذلك في الذرة والدخن والشعير.

قوله: ﴿وَٱللَّهُ يُضَاعِفُ﴾ (أكثر من ذلك) أي على حسب الأخلاص وطيب المال ويشهد لذلك قوله ﷺ «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً من بعدي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً لما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» وأعلم أن أقل المضاعفة عشر ثم سبعون ثم سبعمائة ثم إلى غير نهاية، وظاهر المفسر أن وعد الله الذي لا يتخلف هو المضاعفة بالسبعمائة، وأما ما زاد فيختص برحمته من يشاء، والحق أن وعد الله الذي لا يختلف هو المضاعفة بالعشر وما زاد فيخص به من يشاء فقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ صادق بما فوق العشرة، قوله: ﴿وَٱللَّهُ وَاسِعٌ﴾ (فضله) أي فلا يستغرب إعطاؤه الشيء الكثير في نظير شيء قليل لا تخفى عليه خافية، وهذا كالدليل لما قبله، قوله: ﴿الَّذِين يُنْفِقُون أَمْوَالَهُمْ﴾، نزلت هذه الآية في حق عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما في غزوة تبوك، حيث جهز عثمان ألف بعير بأحلاسها وأقتابها ووضع بين يدي رسول الله الف دينار، فصار رسول الله يقلبها ويقول: «ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم» «وأتى عبدالرحمن النبي عليه الصلاة والسلام بأربعة آلاف درهم وأخبره بأنه أبقى لأهله نظيرها، فقال له: بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أنفقت» فصار بعد ذلك ماله كالتراب. قوله: ﴿مَنًّا﴾ هو تعداد النعم، وأتى بثم إشارة أن المن يقع بعد الانفاق بمهلة وهو حرام محبط للعمل إلا من الوالد على ولده، والشيخ على تلميذه والسيد على عبده، فليس بحرام، قوله: ﴿وَلَا أَذًى﴾ من عطف العام على الخاص، لأن المن من جملة الأذى، قوله: (ونحوه) أي كان يعطيه ويسبه، قوله: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي مدخر عنده والعندية عندية مكانة وشرف لا مكان.

قوله: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي في الآخرة والخوف غم لما يستقبل، وقوله: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُون﴾

الآخرة ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ كلام حسن ورد على السائل جميل ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ له في إلحاحه ﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾ بالمن وتعيير له بالسؤال ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن صدقة العباد ﴿حَلِيمٌ﴾ ﴿٢٦٣﴾ بتأخير العقوبة عن المان والمؤذي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم﴾ أي أجورها ﴿بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾ إبطالاً ﴿كَالَّذِي﴾ أي كابطال نفقة الذي ﴿يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ أي مرائياً لهم ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ وهو المنافق ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ حجر أملس ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾ مطر شديد ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ صلباً أملس لا شيء عليه ﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾ استئناف لبيان مثل المنافق المنفق رئاء النـاس وجمع الضمير باعتبار معنى الذي ﴿عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ عملوا أي لا يجدون له ثواباً في الآخرة كما لا يوجد على الصفوان شيء من التراب الذي كان عليه لإذهاب المطر له ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٢٦٤﴾ ﴿وَمَثَلُ﴾ نفقات ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ﴾ طلب ﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي تحقيقاً للثواب عليه بخلاف المنافقين الذين لا يرجونه لانكارهم له.

أي فيها والحزن غم لما مضى فقوله: **(والآخرة)** راجع لهما وأما في الدنيا فلا مانع من حصول ذلك لما في الحديث «اشدكم بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل». قوله: **﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾** الخ، قول مبتدأ ومعروف صفته ومغفرة معطوف عليه وخير خبره، وسوغ الابتداء بالنكرة الأولى وصفها، وبالثانية عطفها على ما له مسوغ. قوله: **(كلام حسن)** أي من المسؤول كأن يقول له الله يرزقك مثلاً، قوله: **﴿خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُها أذى﴾** أعلم أن أعلى المراتب الأحسان مع الكلام الحسن، ثم الكلام الحسن من غير إعطاء، وادناها الاعطاء مع الأذى، وهل له في هذه الحالة ثواب لقضاء حاجة السائل، ويعاقب من جهة الأذية أو لا ثواب ولا عقاب، أو يعاقب فقط ولا ثواب لوجود الأذية، ويؤيده مـا يأتي في قـوله: **﴿لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالمَنِّ﴾** الآية، وعلى ذلك فيشكل الأتيان باسم التفضيل، وأجيب بأن الخيرية بالنسبة للسائل لا للمسؤول.

قوله: **﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾** أي فلا يحوج عباده الفقراء إلى من الأغنياء وأذاهم، ويرزقهم من جهة أخرى إذا استد باب يفتح الله عشرة وفي الحقيقة الصدقة نفع صرف لصاحبها (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم) وأما قسمة الله للعبد فلا تخطئه، بل إن لم تكن من هذا فمن غيره، قوله: **(أي أجورها)** يحتمل أن المراد مضاعفتها أو ثوابها من أصله، قوله: **(إبطالاً)** أشار بذلك إلى قوله كالذي صفة لمصدر محذوف، قوله: **(أي كإبطال نفقة الذي)** الكلام على حذف مضاف أي كإبطال أجر نفقة الذي الخ، قوله: **(أي مرائياً لهم)** أشار بذلك إلى أن رئاه مصدر بمعنى اسم الفاعل حال من فاعل ينفق، والمراءاة مفاعلة من الجانبين. قوله: **(وهو المنافق)** أي وهو قسمان: نفاق عملي ونفاق ديني، فالأول أن يقصد بصدقاته وصلاته وصومه غير وجه الله لكنه مسلم، والثاني أن يظهر الإسلام ويخفي الكفر، فمعنى قوله: **﴿وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾** أي أصلاً بأن يكون كافراً أو إيماناً كاملاً بأن يكون مسلماً عاصياً.

قوله: **﴿فَمَثَلُهُ﴾** أي في الانفاق، قوله: **(حجر أملس)** أي وهو كبير، قوله: **(مطر شديد)** وأوله رش ثم طش ثم طل ثم نضح ثم هطل ثم وابل، قوله: **(وجمع الضمير باعتبار معنى الذي)** أي وأفرد فيما قبله نظر اللفظة قوله: **﴿ٱبْتِغَاءَ﴾** مفعول لأجله. قوله: **(أي تحقيقاً للثواب)** أي جازماً ومصمماً أن الله

ومن ابتدائية ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ بستان ﴿بِرَبْوَةٍ﴾ بضم الراء وفتحها مكان مرتفع مستو ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ﴾ أعطت ﴿أُكُلَهَا﴾ بضم الكاف وسكونها ثمرها ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ مثلي ما يثمر غيرها ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ مطر خفيف يصيبها ويكفيها لارتفاعها المعنى تثمر وتزكو كثر المطر أم قل فكذلك نفقات من ذكر تزكو عندالله كثرت أم قلت ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾ فيجازيكم به ﴿أَيَوَدُّ﴾ أيحب ﴿أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾ بستان ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ لَهُۥ فِيهَا﴾ ثمر ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَ﴾ قد ﴿أَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾ فضعف من الكبر الكسب ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾ أولاد صغار لا يقدرون عليه ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ﴾ ريح شديدة ﴿فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾ ففقدها أحوج ما كان إليها وبقي هو وأولاده عجزة متحيرين لا حيلة لهم وهذا تمثيل لنفقة المرائي والمان في ذهابها وعدم نفعها أحوج ما يكون إليها في الآخرة والاستفهام بمعنى النفي وعن ابن

يثيبه. قوله: **(مكان مرتفع)** أي طيب حسن شجره تام ثمره، وقوله: **(مستو)** أي لا مسنم لعدم بقاء الماء عليه، وقوله: **(بضم الراء وفتحها)** أي فهما قراءتان سبعيتان، قوله: **(لارتفاعها)** أي واستوائها، قوله: **(كثرت أم قلت)** أي فحيث حسن باطنه بالإخلاص فقليل عمله ككثيره في رضا الله عنه، قال العارف:

وبعد الفنا في الله كن كيف ما تشا فعلمك لا جهل وفعلك لا وزر

قوله: **(فيجازيكم به)** في ذلك وعد للمخلصين برضا الله والفوز الأكبر ووعيد للمرائين بغضب الله وعدم الرضا عليهم، قوله: **﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾** شروع في ذكر مثال آخر للمرائي والمان والاستفهام إنكاري بمعنى النفي، ومصبه قوله فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت. وقوله: **(أيحب)** تفسير ليود فالمودة هي المحبة لكن مع تمني اللقاء، قوله: **﴿جَنَّةٌ﴾** قيل إن المراد بالجنة الأرض ذات الشجر، وقيل الشجر نفسه، قوله: **﴿مِنْ نَخِيلٍ﴾** اسم جنس جمعي واحدة نخلة ولا يكون إلا لشجر البلح، والأعناب جمع عنبة اسم للكرم المعلوم، وخصمها لعظم منافعها ومزيد فضلها على سائر الأشجار، وإلا فالمراد في الآية جميع الثمار بدليل باقي الآية.

قوله: **﴿لَهُ فِيها﴾ (ثمر) ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾** أشار بذلك إلى أن من كل الثمرات جر ومجرور متعلق بمحذوف صفة لموصوف محذوف على حد منا ظعن ومنا أقام، أي منا فريق ظعن ومنا فريق أقام، وكقوله تعالى: (وما منا إلا له مقام معلوم) أي ما منا أحد، وقوله له متعلق بمحذوف خبر لثمر المقدر وقوله فيها متعلق بمحذوف حال من ضمير الخبر. قوله: **﴿وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾** الجملة حالية و (قد) مقدرة كما ذكره المفسر، لأن الجملة الماضوية إذا وقعت حالاً فإن قد تصحبها إما لفظاً أو تقديراً. قوله: **﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾** جملة حالية أيضاً.

قوله: **﴿فَأَصَابَها إِعْصَارٌ﴾** هذا هو مصب الاستفهام لأن هذا هو موضع المصيبة. قوله: **(ريح شديدة)** هي المسماة بالزوبعة لأنها تعصر الشجر كما يعصر الإنسان الثوب وتقلعه من أصله. قوله: **﴿فَاحْتَرَقَتْ﴾** معطوف على أصابها. قوله: **(أحوج ما كان إليها)** حال من فاعل فقدها، أي فقدها هو حال كونه محتاجاً إليها. قوله: **(عجزة)** جمع عاجز ككملة وكامل. قوله: **(وهذا تمثيل لنفقة المرائي والمان)** أي لأنهما خصلتان من خصال المنافقين، وهو كافر بهما إن استحل ذلك. قوله: **(والاستفهام بمعنى النفي)**

عباس هو لرجل عمل بالطاعات ثم بعث له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أحرق أعماله ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما بين ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٦٦﴾ فتعتبرون ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟﴾ أي زكوا ﴿مِن طَيِّبَٰتِ﴾ جياد ﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾ من المال ﴿وَمِنْ﴾ طيبات ﴿مَآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ من الحبوب والثمار ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟﴾ تقصدوا ﴿ٱلْخَبِيثَ﴾ الرديء ﴿مِنْهُ﴾ أي من المذكور ﴿تُنفِقُونَ﴾ ـه في الزكاة حال من ضمير تيمموا ﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾ أي الخبيث لو أعطيتموه في حقوقكم ﴿إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ﴾ بالتساهل وغض البصر فكيف تؤدون منه حق الله ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ﴾ عن نفقاتكم ﴿حَمِيدٌ﴾ ﴿٢٦٧﴾ محمود على كل حال ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾ يخوفكم

أي فهو إنكاري يعنى لا يحب مسلم ذلك. قوله: **(وعن ابن عباس)** أي فهو تفسير آخر لمعنى الآية. قوله: **(ما ذكر)** أي من نفقة المخلص. بقوله: **(مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله)** الآية، ونفقة المرائي والمان. بقوله: (فمثله كمثل صفوان) الآية. قوله: **﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ﴾** أي فلم يكلفكم إلا بعد البيان.

قوله: **﴿يَا أَيُّها الذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا﴾** هذا نتيجة ما قبله، فبين أولاً الأخلاص في الأنفاق، وبين هنا الأخلاص في الشيء المنفق. قوله: **(زكوا)** أي أدوا الزكاة وما قاربها. قوله: **(من المال)** أي وهو النقد والمواشي وعروض التجارة. قوله: **﴿وَمِنْ﴾ (طيبات) ﴿مَا أَخْرَجنا لَكُمْ مِنَ الأَرْضِ﴾** ظاهر الآية أن جميع ما خرج من الأرض يجب فيه الزكاة، ولكن تفصيل ذلك موكول للسنة، فأوجب الشافعي الزكاة فيما كان مقتاتاً للآدمي حالة الاختيار إذا بلغ ذلك خمسة أو سق ففيه إن سقي بآلة نصف العشر وبغيرها العشر، وأبقاها أبو حنيفة على ظاهرها فأوجب الزكاة في جميع ما يخرج من الأرض من مأكولات الآدمي كالفواكه والخضراوات وأوجب في ذلك العشر قليلاً أو كثيراً، وعند مالك تجب الزكاة في عشرين نوعاً: القمح والشعير والسلث والدخن والذرة والأرز والعلس، والقطاني السبع وهي: الفول والحمص والترمس والبسلة والجليان واللوبيا والعدس، وذوات الزيوت الأربع وهي: الزيتون والقرطم وحب الفجل الأحمر والسمسم والتمر والزبيب، فيخرج من ذلك نصف العشر إن سقي بآلة، والعشر كاملاً إن سقي بغيرها إن بلغ حب ذلك أو زيت ما له زيت خمسة أو سق. قوله: **(أي من المذكور)** أي الخبيث. فقوله: **﴿مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾** متعلق بالخبيث.

قوله: **﴿وَلَسْتُمْ بآخِذِيهِ﴾** هذا احتجاج على من أدى الزكاة من الرديء وامتنع من إعطائها من الطيب، وقد نزلت في الأنصار عن البراء بن عازب قال نزلت فينا معشر الأنصار، كنا أصحاب نخل فكان الرجل يأتي بالقنو والقنوين فيعلقه في المسجد، وكان أهل الصفة ليس لهم طعام فكان أحدهم إذا جاع أتى القنو فضربه بعصاه فيسقط البسر أو التمر فيأكل، وكان فينا من لا يرغب في الخير، فيأتي بالقنو فيه الشيص والحشف وبالقنو قد أنكسر فيعلقه، فأنزل الله (ولا تيمموا) الآية. قوله: **(بالتساهل)** أشار بذلك إلى قوله: **﴿إِلاَّ أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾** كناية عن التساهل، لأن من تساهل في شيء فقد غض بصره عنه. قوله: **(عن نفقاتكم)** أي فأمركم بها لانتفاعكم بها لا لعجزه عن نفقة الفقراء.

قوله: **﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمْ﴾** أي يخبركم بأسباب الفقر ويجعله بين أعينكم. قوله: **(البخل)** قال

به إن تصدقتم فتمسكوا ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ البخل ومنع الزكاة ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم﴾ على الإنفاق ﴿مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ لذنوبكم ﴿وَفَضْلًا﴾ رزقاً خلفاً منه ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ فضله ﴿عَلِيمٌ ٢٦٨﴾ بالمنفق ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ﴾ العلم النافع المؤدي إلى العمل ﴿مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ لمصيره إلى السعادة الأبدية﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال يتعظ﴿إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ٢٦٩﴾ أصحاب العقول ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ أديتم من زكاة أو صدقة ﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ فوفيتم به ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ فيجازيكم عليه﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ بمنع الزكاة أو النذر أو بوضع الانفاق في غير محله من معاصي الله ﴿مِنْ أَنصَارٍ ٢٧٠﴾ مانعين لهم من عذابه ﴿إِن تُبْدُواْ﴾ تظهروا ﴿ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ أي النوافل ﴿فَنِعِمَّا هِىَ﴾ أي نعم شيئاً إبداؤها ﴿وَإِن تُخْفُوهَا﴾ تسروها

بعضهم الفحشاء في القرآن جميعه معناه الزنا إلا هذه فمعناها البخل، والمعنى يغويكم ويخبركم بأمور يتسبب عنها البخل فيترتب على ذلك مطاوعتكم له كمطاوعة المأمور للآمر، وسمي إخبار الشيطان بالفقر وعد مع إنه وعيد لأنه شر مشاكلة لقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا﴾. قوله: **(خلفاً منه)** ورد أن الله بعث ملكين أحدهما ينادي: اللهم أعط منفقاً خلفاً والآخر ينادي اللهم أعط ممسكاً تلفاً، وفي الحديث أيضاً «إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة به، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء» أخرجه الترمذي. قوله: **(بالمنفق)** يقرأ بصيغة اسم الفاعل أي بنية الشخص المنفق، وبصيغة اسم المفعول أي بالشيء المنفق. قوله: **(العلم النافع الخ)** هذا هو أصح الأقوال وأولاها بالصواب وفي تفسيرها أقوال كثيرة: قيل النبوة، وقيل المعرفة بإحكام القرآن، وقيل الفهم فيه، وقيل الإصابة في القول والفعل، وقيل الفقه في الدين مطلقاً، وقيل خشية الله، وقيل القرآن لما ورد «إذا أراد الله إنزال العذاب بقوم سمع تعليم صبيانهم الحكمة رفعه عنهم» ويشهد لما قاله المفسر حديث «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الخير، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها للناس» قوله: **(المؤدي إلى العمل)** أي وأما شقشقة اللسان التي لم تورث القلب خشية فلا تسمى حكمة بل يعذب الإنسان على ذلك ويبعث جاهلاً، قال الإمام الشافعي:

إذا لم يـزيـد علم الفتى قلبـه هـدى ... وسـيرتـه عـدلاً وأخـلاقـه حسـنـا
فـبشره أن الله أولاه نـقـمـة ... ينكـل بهـا من قبـل من عبد الـوثنـا

نسأل الله السلامة. قوله: **(فيه إدغام التاء في الأصل الخ)** أي فإن أصله يتذكر قلبت التاء دالاً ثم أعجمت وأدغمت في الذال. قوله: **(أصحاب العقول)** أي الكاملة السالمة من شوائب النقص. قوله: **(فوفيتم به)** أشار بذلك إلى أن في الآية حذف العاطف والمعطوف، لأن المجازاة لا تترتب إلا على الوفاء بالنذر لا على نفس النـذر. قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ دليل الجواب، وقـدر المفسر الجواب. بقـوله: **(فيجازيكم عليه)**. قوله: ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾ من صلة، والأنصار الأعوان.

قوله: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ﴾ لما تقدم فضل الصدقة كأن قائلاً يقول هل هذا الفضل مخصوص بمن أسرها أو بمن أعلنها فأجاب بذلك وحذف من هنا شيئاً أثبت نظيره في الآخر، تقديره إن تبدو الصدقات

﴿وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من ابدائها وإيتائها الأغنياء أما صدقة الفرض فالأفضل إظهارها ليقتدى به ولئلايتهم، وإيتاؤها الفقراء متعين ﴿وَيُكَفِّرُ﴾ بالياء وبالنون مجزوماً بالعطف على محل فهو مرفوعاً على الاستئناف ﴿عَنكُم مِّن﴾ بعض ﴿سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ﴿٢٧١﴾ عالم بباطنه كظاهره لا يخفى عليه شيء منه، ولما منع ﷺ من التصدق على المشركين ليسلموا نزل ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ أي الناس إلى الدخول في الإسلام إنما عليك البلاغ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ هدايته إلى الدخول فيه ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾ مال ﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ لأن ثوابه لها ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ أي ثوابه لا غيره من أعراض الدنيا خبر بمعنى النهي ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ

وتعطوها الأغنياء فنعما هي. قوله: **(أي النوافل)** أي فالمراد بالصدقات صدقات التطوع لأنها هي التي يصح اعطاؤها للأغنياء. قوله: **﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾** بكسر النون وفتحها قراءتان سبعيتان، والعين مكسورة على كل حال، والقياس فتح النون لأنه على وزن علم، وإنما كسرت النون في القراءة الأخرى اتباعاً لكسرة العين، ونعم فعل ماض وما مميز وقيل فاعل وهي هو المخصوص بالمدح. قوله: **(شيئاً)** تفسير لما، وقوله: **(ابداؤها)** بيان لكون المخصوص على حذف مضاف قوله: **(فالأفضل إظهارها)** أي حيث كان مشهوراً بالمال ولم يخش على نفسه تسلط الظلمة على مال. قوله: **(وايتاؤها الفقراء متعين)** التعيين بالنسبة للأغنياء وإلا فالأصناف التي تدفع لهم ثمانية مذكورة في سورة براءة. قوله: **(بالياء)** أي مع الرفع لا غير، وقوله: **(والنون)** أي مع الجزم والرفع فالقراءات ثلاث، فقول المفسر مجزوماً ومرفوعاً راجع لقوله والنون لا غير. قوله: **(على محل فهو)** أي مع خبره ومحله جزم لوقوعه جواب الشرط. قوله: **(بعض)** **﴿سَيِّئَاتِكُمْ﴾** أشار بذلك إلى أن **﴿مِنْ﴾** للتبعيض لأن الصدقات لا تكفر جميع السيئات، بخلاف التوبة فتكفر جميعها قوله: **(لا يخفى عليه شيء منه)** أي من العمل سراً أو جهراً، فاسرار العمل لا يدل على الاخلاص، واجهاره لا يدل على الرياء قوله: **(ولما منع)** أشار بذلك إلى سبب نزول الآية. قوله: **(من التصدق على المشركين)** أي الكفار الفقراء يهوداً أو غيرهم. قوله: **(ليسلوا)** أي ليضطروا فربما يترتب على ذلك إسلامهم.

قوله: **﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾** أي لم يكلفك يا محمد ربك بخلق الهدى فيهم، بل كلفك بتبليغ شرعه، ويسمى هدى أيضاً، قال تعالى: (ولكل قوم هاد) بمعنى مبلغ ودال لهم على طريق الحق، فتحصل أن الهدى يطلق بمعنى الدلالة وهو مكلف به الأنبياء والعلماء، وبمعنى إيصال الخير للقلب، وهو لم يكلف به أحد، قال تعالى: (إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) ومن هنا قول العارف: من نظر للخلق بعين الحقيقة عذرهم، ومن نظر لهم بعين الشريعة مقتهم، فعذرهم بالنظر لخلق الله الضلال والهدى في قلوبهم، فالخالق للضلال والهدى والأفعال جميعها هو الله وحده، فمن نظر لذلك لم يستقبح فعل أحد لأنه فعل الله في الحقيقة قال العارف:

إذا ما رأيت الله في الكل فاعلا رأيت جميع الكائنات ملاحا
وإن لم تر إلا مظاهر صنعه حجبت فصيرت الحسان قباحا

ومقتهم بالنظر للتكليف الظاهري فالعبد مجبور في قالب مختار قوله: **(هدايته)** قدره إشارة إلى مفعول يشاء قوله: **(لأن ثوابه لها)** أي فلا يضيع الثواب سواء تصدق على مؤمن أو مشرك. قوله: **(لا غيره من أعراض الدنيا)** **أي فلا تجعلوا نفقاتكم عليه إلا لوجه الله لا لشيء آخر لأن من كان مقصده وجه الله فلا يخيب أبداً**

خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤه ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ ﴿٢٧٢﴾ تنقصون منه شيئاً والجملتان تأكيد للأولى ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي الصدقات ﴿الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي حبسوا أنفسهم على الجهاد، نزلت في أهل الصفة وهم أربعمائة من المهاجرين أرصدوا لتعلم القرآن والخروج مع السرايا ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا﴾ سفراً ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ للتجارة والمعاش لشغلهم عنه بالجهاد ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾ بحالهم ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ أي لتعففهم عن السؤال وتركه ﴿تَعْرِفُهُم﴾ يا مخاطباً ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾ علامتهم من التواضع وأثر الجهد ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ﴾ شيئاً فيلحمون ﴿إِلْحَافًا﴾ أي لا سؤال لهم أصلاً فلا يقع منهم إلحاف وهو الإلحاح ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٧٣﴾ فمجاز عليه ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٢٧٤﴾ ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ أي يأخذونه وهو الزيادة

كانت النفقة على مسلم أو كافر، بل ورد أن الله غفر لإنسان بسبب سقيه كلباً يلهث عطشاً. **قوله**: (**خبر بمعنى النهي**) راجع للجملة الثانية أي فهي خبرية لفظاً إنشائية معنى، والمعنى لا تجعلوا إنفاقكم إلا خالصاً لوجه الله لا لغرض آخر لا دنيوي ولا أخروي، وهذا هو المقام الأعلى، أو لا تقصدوا إلا وجه الله بمعنى ثوابه، وهذا أدنى منه، وارتكبه المفسر وإن كانت الآية محتملة لهما بالنظر لأخلاق العامة، والمعنى في هذه الجملة أن تكون خبرية لفظاً ومعنى وتكون قيداً فيما قبلها فالمعنى: ﴿**وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ**﴾ إن قصدتم بها وجه الله. **قوله**: ﴿**مِنْ خَيْرٍ**﴾ أي قليلاً أو كثيراً. **قوله**: (**تنقصون منه شيئاً**) أي سواء كان قليلاً أو كثيراً ولو خردلة. **قوله**: (**للأولى**) أي وهي. **قوله**: ﴿**وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ**﴾ **قوله**: (**أي الصدقات**) أي المتقدم ذكرها تصرف وتعطى للفقراء الذين أحصروا الخ. **قوله**: (**في أهل الصفة**) أي وهي محل في مؤخر المسجد النبوي، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالمراد كل من كان متصفاً بأوصافهم فالصدقات تعطى له. **قوله**: (**وهم أربعمائة**) أي ورئيسهم عبد الرحمن بن صخر المكنى بأبي هريرة. **قوله**: (**من المهاجرين**) أي الذين هاجروا مع رسول الله من مكة وما حولها وتركوا أموالهم وديارهم، ولم يكن لهم بالمدينة مساكن ولا عشائر، وكانوا غير متزوجين، وكانوا يستغرقون أوقاتهم في الاشتغال بالقرآن والسنة والعبادة ليلاً والجهاد نهاراً، وكانوا يقفون أول صف في الصلاة والجهاد. **قوله**: (**أرصدوا لتعلم القرآن**) أي والصلاة خلف النبي وقيام الليل. **قوله**: (**بالجهاد**) أي في طاعة الله، إما بالغزو أو بتعلمهم القرآن، وغير ذلك من أنواع الطاعات. **قوله**: (**وأثر الجهد**) أي من عظيم الخدمة مع الجوع. **قوله**: (**شيئاً**) قدره إشارة إلى مفعول يسألون، **قوله**: (**فيحلفون**) قدره إشارة إلى أن إلحافاً مفعول لمحذوف. **قوله**: (**أي لا سؤال لهم أصلاً**) أي فالنفي منصب على القيد وهو الالحاف والمقيد وهو أصل السؤال، فالالحاف منفي قطعاً لانتفاء أصل السؤال.

قوله: ﴿**وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ**﴾ هذه الجملة تأكيد للجملة المتقدمة. **قوله**: ﴿**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ**﴾ قيل نزلت في أبي بكر حيث تصدق بأربعين ألف دينار، عشرة آلاف بالليل ومثلها بالنهار، ومثلها سراً ومثلها علانية، وقيل في علي كان معه أربعة دراهم لم يملك غيرها، فتصدق بدرهم ليلاً. وبآخر نهاراً وبآخر سراً وبآخر علانية، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالمراد بيان أجر

في المعاملة بالنقود والمطعومات في القدر أو الأجل ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ من قبورهم ﴿إِلَّا﴾ قياماً ﴿كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ﴾ يصرعه ﴿الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ الجنون بهم متعلق بيقومون ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي نزل بهم ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ في الجواز وهذا عن عكس التشبيه مبالغة فقال تعالى رداً عليهم ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ﴾ بلغه ﴿مَوْعِظَةٌ﴾ وعظ ﴿مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَىٰ﴾ عن أكله ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ قبل النهي أي لا يسترد منه ﴿وَأَمْرُهُ﴾ في العفو عنه ﴿إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ﴾ إلى أكله مشبهاً له بالبيع في الحل ﴿فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٢٧٥﴾ ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ ينقصه ويذهب بركته ﴿وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ يزيدها وينميها ويضاعف ثوابها ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ بتحليل الربا ﴿أَثِيمٍ﴾ ﴿٢٧٦﴾ فاجر بأكله أي يعاقبه ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٢٧٧﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا﴾ اتركوا ﴿مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ

المنفق على هذا الوجه، فلا خصوصية لأبي بكر بذلك ولا لعلي. قوله: **(أي يأخذونه)** أشار بذلك إلى أن المراد ليس خصوص الأكل بل التناول مطلقاً. قوله: **(القدر)** مراده به ربا الفضل أي الزيادة وهو حرام في متحد الجنس فقط، وقوله: **(والأجل)** مراده به ربا النساء وهو حرام وإن تعدد الجنس، قال الأجهوري:

ربا النسا في النقد حرم مثله ... طعام وإن جنساهما قد تعددا
وخص ربا فضل بنقد ومثله ... طعام ربا إن جنس كل توحدا

واعلم أن الربا محرم كتاباً وسنة واجماعاً فمن استحله فقد كفر، وقد ورد في ذم آكل الربا من الأحاديث ما لا يحصى، فمنها «لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده كلهم في اللعنة سواء»، ومنها «أنه رأى ليلة الأسراء رجلاً يسبح في نهر من دم يلقم الحجارة فقال ما هذا يا جبريل قال هذا مثل آكل الربا». قوله: **﴿الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ﴾** أي وهذه علامة يعرفون بها يوم القيامة. قوله: **(بسبب أنهم)** **﴿قَالُوا﴾** الخ أي فقد ضلوا بالربا قولاً وفعلاً واعتقاداً. قوله: **(وهذا عن عكس التشبيه)** أي فقد جعلوا المشبه به مشبهاً، فجعلوا الربا أصلاً في الحل والبيع مقيساً عليه. قوله: **(له ما سلف)** أي سبق قبل النهي عنه قوله: **(في العفو عنه)** أي عن آكله، والمعنى فأمره في الثواب لامتثال أمر الله موكول له، يعني أن من سمع النهي من رسول الله عنه وتاب فقد فاز بما أكله قبل النهي وثوابه موكول لله، فهذه الآية محمولة على الصحابة الذين سبق منهم الربا قبل تحريمه. قوله: **﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾** أي لاستحلالهم ما حرم الله. قوله: **﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾** أي المال كله. قوله: **﴿وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾** أي لما في الحديث «إذا تصدق العبد بصدقة فإن الله يربيها له كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون في ميزانه كأحد». قوله: **(أي يعاقبه)** تفسير لعدم محبة الله له. قوله: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾** أي بما أنزل الله ومن جملة ذلك تحريم الربا. وقوله: **﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾** أي بتركهم الربا واتباعهم ما أحل الله. قوله: **﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾** نص عليها وإن كانا داخلين في قوله وعملوا الصالحات لعظم شأنهما. قوله: **﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾** أي من مكروه يوم القيامة. وقوله: **﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** أي في يوم القيامة على ما فاتهم من الدنيا. قوله: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾** أي امتثلوا أوامر الله واجتنبوا نواهيه. قوله: **﴿وَذَرُوا﴾** أمر من وذر يذر وأصله أو

﴿مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٧٨﴾ صادقين في إيمانكم فإن من شأن المؤمن امتثال أمر الله تعالى. نزلت لما طالب بعض الصحابة بعد النهي بربا كان له قبل ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟﴾ ما أمرتم به ﴿فَأْذَنُوا۟﴾ أعلموا ﴿بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ لكم. فيه تهديد شديد لهم، ولما نزلت قالوا لا يدي لنا بحربه ﴿وَإِن تُبْتُمْ﴾ رجعتم عنه ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ﴾ أصول ﴿أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾ بزيادة ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ ﴿٢٧٩﴾ بنقص ﴿وَإِن كَانَ﴾ وقع غريم ﴿ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ﴾ له أي عليكم تأخيره ﴿إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ بفتح السين وضمها أي وقت يسر ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا۟﴾ بالتشديد على إدغام التاء في الأصل في الصاد وبالتخفيف على حذفها أي تتصدقوا على المعسر بالابراء ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٨٠﴾ أنه خير فافعلوه في الحديث:

ذروا حذفت الواو حملاً على حذفها في المضارع. قوله: **(لما طالب بعض الصحابة)** قيل هو عثمان بن عفان والعباس كانا أسلما رجلاً في قدر من التمر، فلما حل الأجل طالباه فقال لهما إن اعطيتكما الحق بتمامه لم يبق شيء للعيال، وإنما أعطيكما الآن نصفه والنصف الآخر أخواني به وأزيدكما مثله، فتراضيا معه على ذلك قبل التحريم ثم حل الأجل فطالباه بذلك فنزلت الآية. إن قلت: كيف يطالبانه بالربا مع علمهما بالنهي السابق قبل التحريم؟ أجيب: بأنهما تأولا ذلك حيث ظنا أنه لا حرمة إلا على من جدد عقداً بعد التحريم. قوله: **﴿فَائْذَنُوا﴾** بالقصر والمد قراءتان سبعيتان، فعلى القصر معناها أيقنوا وعلى المد معناها أعلموا غيركم بذلك، وكلام المفسر يحتملها. قوله: **﴿بِحَرْبٍ﴾** أي حرب الكفار إن استحله أو البغاة إن لم يستحله. قوله: **(لا يدي لنا)** هكذا بالتثنية وكان مقتضى الفصيح لا يدين إلا أن يقال حذفت النون تخفيفاً، أو يلاحظ إضافته للضمير واللام مقحمة، وفي نسخة لا يد لنا بالأفراد وهي ظاهرة، ومعناهما لا طاقة ولا قدرة لنا على محاربته، وهذا كناية عن كونهم امتثلوا ما أمروا به لورود هذا الوعيد العظيم فيه، ومن ذلك قول عمر وكان قد صعد المنبر: أيها الناس إن آية الربا آخر ما نزل على نبيكم ولو عاش لبين لكم وجوها كثيرة لا تعلمونها فاتقوا الربا والريبة. قوله: **﴿لَا تُظْلَمُونَ﴾ (بزيادة)** ومن ذلك مهاداة المدين لرب الدين فهو حرام وربا إن لم تكن عادته الهدية قبل شغل الذمة. قوله: **(وقع غريم)** أشار بذلك إلى أن كان تامة وذو فاعلها وهو الاقرب، ويصح كونها ناقصة وذو اسمها وخبرها محذوف تقديره غريماً لكم. قوله: **﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾** أي حيث كان ثابتاً عسره بالبينة أو بإقرار صاحب الدين، وأما من لم يكن عسره ثابتاً بأن كان ظاهر الملاء فإنه يحبس حتى يؤدي أو يثبت عسره أو يموت. قوله: **(عليكم تأخيره)** أي وجوباً وأشار بذلك إلى أن نظرة مبتدأ خبره محذوف. قوله: **(في الأصل في الصاد)** أي فأصله تتصدقوا قلبت الثانية صاداً ثم أدغمت في الصاد. قوله: **(على حذفها)** أي التاء، قال ابن مالك:

وما بتاءين ابتدى قد يقتصر ... فيه على تا كتبين العبر

قوله: **(بالإبراء)** أي وهو مندوب وهو أفضل من الواجب الذي هو الأنظار لأنه انظار وزيادة، وله نظائر نظمها المفسر بقوله:

الفرض أفضل ما أتى متعبد ... حتى ولو قد جاء منه بأكثر
إلا التطهر قبل وقت وابتدا ... بالسلام كذاك أبرا المعسر

«من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» رواه مسلم ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ﴾ بالبناء للمفعول تردون وللفاعل تصيرون ﴿فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ هو يوم القيامة ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ﴾ فيه ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ جزاء ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ عملت من خير وشر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿٢٨١﴾ بنقص حسنة أو زيادة سيئة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم﴾ تعاملتم ﴿بِدَيْنٍ﴾ كسلم وقرض ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ معلوم ﴿فَٱكْتُبُوهُ﴾ استيثاقاً ودفعاً للنزاع ﴿وَلْيَكْتُب﴾ كتاب الدين ﴿بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ﴾ بالحق في كتابته لا يزيد في المال والأجل ولا ينقص ﴿وَلَا يَأْبَ﴾ يمتنع ﴿كَاتِبٌ﴾ من ﴿أَن يَكْتُبَ﴾ إذا دعي إليها ﴿كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ أي فضله بالكتابة فلا يبخل بها. والكاف متعلقة بيأب ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾

قوله: ﴿وَٱتَّقُوا يَوْماً﴾ هذه الآية آخر القرآن نزولاً كما قال ابن عباس، وأمر جبريل رسول الله بوضعها على رأس مائتين وثمانين آية، وتقدم لنا أن البقرة مائتان وست وثمانون آية، فيكون الباقي بعد خمس آيات أولها آية الدين، وثانيها وإن كنتم على سفر إلى قوله عليم، ثالثها لله ما في السموات وما في الأرض إلى قدير، رابعها آمن الرسول إلى المصير، خامسها لا يكلف الله نفساً إلا وسعها إلى آخرها، ونزلت قبل وفاة رسول الله بثلاث ساعات، وقيل بسبعة أيام، وقيل بأحد وعشرين، وقيل بأحد وثمانين، قوله: (جزاء) ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ﴾ هذه الآية من هنا إلى عليم أطول آي القرآن، وقد اشتملت على بيان إرشاد العباد لمصالح دنياهم، وذلك لأن الدنيا مزرعة الآخرة والدين المعاملة، فحينئذ لا يتم إصلاح الآخرة إلا باصلاح الدنيا، فبين هنا ما به إصلاح الدنيا. قوله: (تعاملتم) فسر المداينة بالمعاملة التي هي مفاعلة من الجانبين، أي سواء كنت آخذاً أو مأخوذاً منك. قوله: ﴿بِدَيْنٍ﴾ حكمة التصريح به وإن علم من تداينتم ليعود الضمير في قوله فاكتبوه عليه صراحة، وأيضاً لدفع توهم أن المراد بالمداينة المجازاة كقوله كما يدين الفتى يدان أي كما يجازي يجازى، وأيضاً صرح به إشارة إلى عموم الدين قليلاً أو كثيراً جليلاً أو حقيراً، فالمعنى لا تستخفون به. قوله: (كسلم) أي مسلم فيه كما إذا دفع عشرة دراهم مثلاً ليأتي له بقنطار من سمن عند أجل معلوم بينهما. وقوله: (وقرض) المراد به السلف.

قوله: ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ أي وأما الحال فلا يحتاج لكتابة، لأنه ليس من المهمات ولمزيد المشقة قوله: (معلوم) أي فالجهل فيه مفسد للعقد إن كان مسلماً، وأما السلف فيجوز فيه التأجيل والحلول فإن وقع على الحلول فلا بد عند مالك من مضي زمن يمكن انتفاعه به عادة، وإن وقع على التأجيل فيلزم المقرض الصبر إلى الأجل عند مالك، وعند الشافعي لا يلزمه الصبر إليه بل له أن يطلبه قبله. قوله: (استيثاقاً) أشار بذلك إلى أن الأمر في الآية للإرشاد لا للوجوب، كالأمر بالصلاة والصوم بحيث يعاقب على تركه. قوله: (كتاب الدين) أشار بذلك إلى أن مفعول يكتب محذوف. قوله: ﴿بِالْعَدْلِ﴾ أي ولا يكون إلا فقيهاً عدلاً، ويشترط أن يكتب كلاماً معروفاً لا موهماً

قوله: ﴿وَلَا يَأْبَ﴾ لا ناهية والفعل مجزوم بحذف الألف والفتحة دليل عليها وكاتب فاعل يأب، وقوله: (من) ﴿أَنْ يَكْتُبَ﴾ قدر من إشارة إلى أن الجار والمجرور محذوف وهو مطرد مع أن وإن عند أمن اللبس فهو في محل نصب مفعول ليأب. قوله: (والكاف متعلقة بيأب) أي تعليلية وما مصدرية وعبارة

تأكيد ﴿وَلْيُمْلِلِ﴾ يمل الكاتب ﴿ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾ الدين لأنه المشهود عليه فيقر ليعلم ما عليه ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ في إملائه ﴿وَلَا يَبْخَسْ﴾ ينقص ﴿مِنْهُ﴾ أي الحق ﴿شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا﴾ مبذراً ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾ عن الإملاء لصغر أو كبر ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ لخرس أو جهل باللغة أو نحو ذلك ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ﴾ متولي أمره من والد ووصي وقيم ومترجم ﴿بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُوا۟﴾ أشهدوا على الدين ﴿شَهِيدَيْنِ﴾ شاهدين ﴿مِن رِّجَالِكُمْ﴾ أي بالغي المسلمين الأحرار ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا﴾ أي الشهيدان ﴿رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾ يشهدون ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ لدينه وعدالته وتعدد النساء لأجل ﴿أَن تَضِلَّ﴾ تنسى ﴿إِحْدَىٰهُمَا﴾ الشهادة لنقص عقلهن وضبطهن ﴿فَتُذَكِّرَ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿إِحْدَىٰهُمَا﴾ الذاكرة ﴿ٱلْأُخْرَىٰ ۚ﴾ الناسية وجملة

غيره والكاف متعلقة بلا يأب وهي الأوضح، لأن من لم يعرف الوضع ولا الأحكام لا يتعلق به النهي، والمعنى لا يمتنع كاتب من الكتابة من أجل تعليم الله له تلك الكتابة. قوله: **(تأكيد)** أي زيادة في الإيضاح. قوله: **(الكاتب)** مفعول أول ليملل ومفعوله الثاني قوله الدين، قوله: **(يمل)** أشار بذلك إلى أن الأملاء والأملال لغتان يقال أمليته وأمللته بمعنى ألقيت عليه ذلك شيئاً فشيئاً، ومن ذلك سميت الملة ملة لاملائها وإلقائها على رسول الله شيئاً فشيئاً والقراءة بالفك هنا، ويصح في غير القرآن الادغام لقول ابن مالك: وفي جزم وشبه الجزم تخيير قفي. قوله: **(لأنه المشهود عليه)** أي فلا يكتب الكاتب إلا بحضرتهما لقطع النزاع بينهما.

قوله: **﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾** أي فلا يكتب كلاماً موهماً للزيادة أو النقص، قوله: **﴿وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً﴾** تفسير للتقوى وذلك كأن يكتب ألفاً ولم يبين كونه فضة أو محبوباً أو ريالاً أو غير ذلك أو عشرين محبوباً مثلاً، ولم يبين كونها معاملة أو ذهباً أو غير ذلك. قوله: **﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾** أي أو الذي له الحق، قوله: **(مبذراً)** أي في أمور دنياه عند مالك أو في أمور دنياه ودينه عند الشافعي، قوله: **(أو كبر)** أي مفرط بحيث لا يدري شيئاً أو كان من عليه الحق أنثى يخشى منها الفتنة فتوكل محرمها. قوله: **(ومترجم)** أي إن كان لا يعرف اللغة العربية مثلاً، قوله: **﴿بِالْعَدْلِ﴾** متعلق بقوله فليملل، قوله: **(أشهدوا على الدين)** أشار بذلك إلى السين والتاء لتأكيد الطلب. قوله: **﴿مِنْ رِجَالِكُمْ﴾** متعلق بمحذوف صفة لشهيدين. قوله: **(أي بالغي المسلمين الأحرار)** أي العقلاء العدول، فشهادة الصبيان لا تقبل في الأموال ولا فيما آل إليها، وعند مالك تجوز شهادة الصبيان على بعضهم في الجراح، وكذا لا تقبل شهادة العبيد ولا الكفار ولا المجانين ولا غير العدول، ولكن إذا لم يوجد العدول فليستكثر من الشهود، قوله: **﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾** أي في الأموال وما آل إليها، فإذا لم يوجد الرجل كفى اليمين معهما كما يكفي اليمين معه وحده، وهذا مذهب مالك والشافعي وأما أبو حنيفة فلا يكتفي باليمين مع الشاهد.

قوله: **﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ﴾** متعلق باستشهدوا فيؤخذ منه شرط العدالة في الجميع، وقد صرح بالعدالة في مواضع أخر، قوله: **(وعدالته)** العدل هو من لم يفعل كبيرة ولا صغيرة خسة كتطفيف حبة، ولا ما يخل بالمروءة كالأكل في الأسواق. قوله: **(وتعدد النساء الخ)** أشار بذلك إلى قوله إن قوله أن تضل متعلق بمحذوف جواب عن سؤال مقدر تقديره لم اشترط تعدد النساء مع أنهن شقائق الرجال، أجيب بأنه لتذكر إحداهما الأخرى، وإنما احتيج للتذكار لأن شأنهن النسيان لنقص عقلهن وعدم ضبطهن. قوله: **(فتذكر)**

الأذكار محل العلة أي لتذكر إن ضلت ودخلت على الضلال لأنه سببه وفي قراءة بكسر إن شرطية ورفع تذكر استئناف جوابه ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا﴾ زائدة ﴿دُعُواْ﴾ إلى تحمل الشهادة وأدائها ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ﴾ تملوا من ﴿أَن تَكْتُبُوهُ﴾ أي ما شهدتم عليه من الحق لكثرة وقوع ذلك ﴿صَغِيرًا﴾ كان ﴿أَوْ كَبِيرًا﴾ قليلاً أو كثيراً ﴿إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾ وقت حلوله حال من الهاء في تكتبوه ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي الكتب ﴿أَقْسَطُ﴾ أعدل ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ﴾ أي أعون على إقامتها لأنه يذكرها ﴿وَأَدْنَىٰٓ﴾ أقرب إلى ﴿أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾ تشكوا في قدر الحق والأجل ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ﴾ تقع ﴿تِجَٰرَةً حَاضِرَةً﴾ وفي قراءة بالنصب فتكون ناقصة واسمها ضمير التجارة ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ أي تقبضونها ولا أجل

معطوف على تضل عطف مسبب على سبب أو معلول على علة، لأن التذكار علة للتعداد، والاضلال علة للتذكار فهو علة للعلة، قوله: (ورفع تذكر) أي بالتشديد لا غير، فالقراءات ثلاث وكلها سبعية فعلى هذه القراءة تضل فعل الشرط وهو مجزوم بسكون مقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة الادغام، قوله: (استئناف) أي خبر لمبتدأ محذوف، والجملة في محل جزم جواب الشرط، أي فهي تذكر.

قوله: (لا يأب الشهداء) أي لا يجوز للشهود الامتناع من أداء الشهادة أو تحملها، لأنه فرض كفاية إن وجد من يثبت به الحق غيرهم وإن لم يوجد غيرهم كان التحمل أو الأداء فرض عين، ومن تأخر عن ذلك كان عاصياً. قوله: (من) ﴿أَنْ تَكْتُبُوهْ﴾ أشار بذلك إلى أن قوله أن تكتبوه في تأويل مصدر مجرور بمن مقدرة معمول لتسأموا، والمعنى: لا تسأموا من كتابته وظاهره لزوم تقديره من، وليس كذلك لأن سئم يتعدى بنفسه وبحرف الجر فعلى عدم التقدير أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول لتسأموا. قوله: (لكثرة وقوع ذلك) علة للنهي أي لا يسأم من الكتابة من يكثر منه الحقوق فبالأولى من لم تكثر منه، وظاهر قوله أي ما شهدتم عليه أن الضمير في تكتبوه عائد على الشهود وهو معنى صحيح فبين أولاً كتابة المتداينين، وثانياً كتابة الشاهدين لشهادتها لتكون تلك الكتابة مذكرة لهما، ويصح أن يكون خطاباً للمتداينين ويؤول قول المفسر ما شهدتم بأشهدتم، قوله: ﴿صَغِيراً﴾ (كانْ) قدر كان إشارة إلى أن صغيراً أو كبيراً خبران لكان المحذوف، قال ابن مالك:

ويحذفونها ويبقون الخبر   وبعد إن ولو كثيراً ذا اشتهر

وليس بمتعين بل يصح جعلهما حالين من الهاء في تكتبوه، قوله: (أي الكتب) أي المفهوم من أن تكتبوه على حد (اعدلوا هو أقرب للتقوى). قوله: ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾ هذا يؤيد ما ذكره المفسر أولاً من أن الضمير في تكتبوه عائد على الشهود. قوله: (أي تشكوا في قدر الحق والأجل) أي فيلزم على ذلك إما ضرر المدين أو من له الدين.

قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً﴾ إما بالرفع على أن تكون تامة، أو بالنصب على أنها ناقصة واسمها ضمير تكون قراءتان سبعيتان وحاضرة وتديرونها صفتان لتجارة، وهو وصف بالجملة بعد الوصف بالمفرد، عكس قوله تعالى: (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) والاستثناء يحتمل أن يكون متصلاً من عموم الأحوال ويحتمل أن يكون منقطعاً وهو الأقرب، لأن ما بيع مناجزة ليس داخلاً تحت قوله إلى أجل مسمى، الآية، قوله: (تقبضونها) راجع لقوله تديرونها وقوله ولأجل فيها راجع لقوله حاضرة، فهو لف

فيها ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في ﴿أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾ والمراد بها المتجر فيه ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ عليه فإنه أدفع للاختلاف وهذا وما قبله أمر ندب ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ صاحب الحق ومن عليه بتحريف أو امتناع من الشهادة أو الكتابة ألاو لا يضرهما صاحب الحق بتكليفهما ما لا يليق في الكتابة والشهادة ﴿وَإِن تَفْعَلُواْ﴾ ما نهيتم عنه ﴿فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ﴾ خروج عن الطاعة لاحق ﴿بِكُمْ وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في أمره ونهيه ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ مصالح أموركم حال مقدرة أو مستأنف ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢٨٢) ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي مسافرين وتداينتم ﴿وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ﴾

ونشر مشوش، قوله: (**أمر ندب**) أي إرشاد لمصالح الدنيا لقطع النزاع، وهذا تقييد للاستثناء أي إن الاشهاد المذكور يكون في العقارات والأمور التي تبقى، وأما الاستثناء فمحله الأمور التي لا تبقى، قوله: (**صاحب الحق**) قدره إشارة إلى أن يضار اسم فاعل، وكاتب فاعل، وأصله يضارر، فلا ناهية ويضار مجزوم بسكون مقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة الأدغام، قوله: (**بتحريف**) أي في الكتابة بأن يزيد أو ينقص فيضر البائع أو المشتري، وقوله: (**أو امتناع من الشهادة**) أي يتركها حتى يأخذ عليها جعلاً مثلاً وذلك إضرار من الكاتب، والشهيد لصاحب الحق، قوله: (**أو لا يضرهما صاحب الحق**) أي فيضار مبني للمفعول، وكاتب وشهيد نائب الفاعل فأصله يضارر، قوله: (**ما لا يليق في الكتابة**) أي بأن يأمره بكتابة ما لم يطلع عليه أو يمتنع من إعطاء أجرته له، وقوله: (**والشهادة**) أي بأن يستشهد على ما لم يرد ويأخذه على مسافة القصر قهراً من غير دفع شيء له يتمون به. قوله: (**ما نهيتم عنه**) أي من مضارة الكاتب والشاهد.

قوله: ﴿**فَإِنَّهُ فُسُوقٌ**﴾ أي يترتب عليه الفسوق آخراً لأن من لم يدر العواقب فليس له في الدنيا صاحب، قوله: (**لاحق**) ﴿**بِكُمْ**﴾ قدره إشارة إلى أن بكم متعلق بمحذوف، قوله: (**أو مستأنفة**) الأولى الاقتصار عليه لأن جعله حالاً خلاف القاعدة النحوية، فإن القاعدة أن الجملة المضارعية المثبتة إذا وقعت حالاً فإن الضمير يلزمها وتخلو من الواو، ولا يصح أيضاً عطفها على جملة واتقوا الله لأنه يلزم عليه عطف الخبر على الانشاء وفيه خلاف، وقوله: ﴿**وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ**﴾ أي العلم النافع لأن العلم نور لا يهدى لغير المتقي، قال الإمام الشافعي:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأعلمني بأن العلم نور ... ونور الله لا يهدي لعاصي

وقال الإمام مالك: من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يكن يعلم، فالتقوى سبب لإعطاء العلم النافع. قوله: ﴿**وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ أي فيجازي كلاً من الفاسق والمتقي على ما صدر منه. قوله: ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ**﴾ فيه استعارة تبعية حيث شبه الظرفية المطلقة بالاستعلاء المطلق، فسرى التشبيه من الكليات للجزئيات فاستعيرت على الموضوعة للاستعلاء الخاص لمعنى في الموضوعة للظرفية الخاصة عكس ولأصلبنكم في جذوع النخل، والجامع بينهما التمكن في كل، فكما أن المسافر متمكن من السفر، كذلك الراكب متمكن من الركوب ومستعل على المركوب، وقد أشار للاستعارة المفسر بقوله: (**أي مسافرين**).

وفي قراءة فرهان جمع رهن ﴿مَّقْبُوضَةٌ﴾ تستوثقون بها وبينت السنة جواز الرهن في الحضر ووجود الكاتب فالتقييد بما ذكر لأن التوثيق فيه أشد، وأفاد قوله مقبوضة اشتراط القبض في الرهن والاكتفاء به من المرتهن ووكيله ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي الدائن المدين على حقه فلم يرتهنه ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ﴾ أي المدين ﴿أَمَٰنَتَهُۥ﴾ دينه ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ في أدائه ﴿وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ﴾ إذا دعيتم لإقامتها ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ خص بالذكر لأنه محل الشهادةولأنه إذاأثم تبعه غيره فيعاقب عليه معاقبة الآثمين ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٨٣﴾ لا يخفى عليه شيء منه. ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ﴾ تظهروا ﴿مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ من السوء والعزم عليه ﴿أَوْ

قوله: ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِباً﴾ يصح عطفه على فعل الشرط فهو في محل جزم، أو على خبر كان فهو في محل نصب، أو حالاً فهو في محل نصب أيضاً، ولم يقل ولا شهوداً لأن الشأن وجودهم إذ ذاك بخلاف الكاتب. قوله: ﴿فَرِهَنٌ﴾ مبتدأ وقوله مقبوضة صفته وخبره محذوف قدره المفسر بقوله تستوثقون بها والجملة جواب الشرط في محل جزم. قوله: (جمع رهن) أي كل من رهن ورهان جمع لرهن. قوله: (وبينت السنة الخ) جواب عن سؤال مقدر، وهو أن مفهوم الآية أن الرهن في الحضر لا يسوغ أخذه أجاب بأن السنة بينت الجواز في الحضر. قوله: (لأن التوثق فيه أشد) أي لأن الغالب في السفر عدم وجود الكاتب ونسيان الدين والتعرض للموت. قوله: (اشترط القبض في الرهن) أي وهل يشترط من الراهن الاقباض بأن يسلمه الرهن بيده خلاف عند مالك والشافعي والمعتمد عدم اشتراطه ولا بد أن يكون القبض بعلم الراهن أووكيله ورضاه، فلو سرقه المرتهن مثلاً ومات الراهن أو فلس فلا يختص المرتهن به بل هو أسوة الغرماء.

قوله: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾ أي رضي بعضكم وهو صاحب الدين بأمانة بعض وهو المدين. قوله: (فلم يرتهنه) تفريع على قوله فإن أمن الخ. قوله: ﴿فَلْيُؤَدِّ﴾ الخ جواب الشرط وقرن بالفاء لأن الجملة طلبية، وقد أكد ذلك بأمور: منها الأمر، ومنها تسميته أمانة، ومنها الأمر بتقوى الله في الأداء، ومنها التصريح بقوله: الله ربه. قوله: (دينه) إنما سماه أمانة لأنه صار لا يعلم إلا منه. قوله: ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ أي ليخش عقاب ربه في الأداء ولا يماطله به.

قوله: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ أي الإقرار بالدين وسمي شهادة لأنه لا يعلم إلا من المدين فكأنه شاهد بالدين، فحيث كتمه فقد كتم الشهادة بالدين. قوله: ﴿فَإِنَّهُ آثِمٌ﴾ جواب الشرط وقلبه فاعل بآثم. قوله: (ولأنه إذا تبعه غيره) أي في الأثم لأنه سلطان الأعضاء إذا صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله، قوله: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ أي فيجازي الخلق على أعمالهم خيراً أو شراً. قوله: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَات وَ الأَرْضِ﴾ أي ملكاً وخلقاً وعبيداً وهذا كالدليل لما قبله، وعبر بما تغليباً لغير العاقل لكثرته. قوله: (تظهروا) ﴿مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ أي فتفعلوا بمقتضاه. قوله: (والعزم عليه) عطف تفسير وهذا هو محل المؤاخذة، وهو إشارة لجواب عن الآية حيث عمم في المؤاخذة مع أن لا يؤاخذ إلا بالفعل أو العزم عليه، ولكن ينافيه ما يأتي من أن عموم الآية منسوخ بآية (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) إلا أن يقال إنه إشارة لجواب آخر، فما يأتي على هذا بيان للمراد هنا، والحاصل أنه إن أبقيت الآية على عمومها

﴿تُخۡفُوهُ﴾ تسروه ﴿يُحَاسِبۡكُم﴾ يخبركم ﴿بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ يوم القيامة ﴿فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ المغفرة له ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ﴾ تعذيبه والفعلان بالجزم عطفاً على جواب الشرط والرفع أي فهو ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝٢٨٤﴾ ومنه محاسبتكم وجزاؤكم ﴿ءَامَنَ﴾ صدق ﴿ٱلرَّسُولُ﴾ محمد ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ من القرآن ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ﴾ عطف عليه ﴿كُلٌّ﴾ تنويه عوض عن المضاف إليه ﴿ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ﴾ بالجمع والإفراد ﴿وَرُسُلِهِۦ﴾ يقولون ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر

كانت منسوخة بما بعدها وإن حملت على العزم فلا نسخ، وما يأتي توضيح لما أجمل هنا، وقد تقدمت مراتب القصد نظماً ونثراً. قوله: (يخبركم) أي يعلمكم به. قوله: **(والفعلان بالجزم عطفاً على جواب الشرط)** أي الذي هو يحاسب، وقوله: **(والرفع أي)** على الاستئناف خبر لمحذوف قراءتـان سبعيتان، ويصح في غير القرآن النصب على إضمار إن قال ابن مالك:

والفعل من بعد الجزا إن يقترن ... بالفا أو الواو بتثليث قمن

وهذه الآية محمولة على من مات مسلماً عاصياً لا من مات كافراً. قوله: **(ومنه محاسبتكم)** ورد أنه يحاسب الخلق في نصف يوم من أيام الدنيا. قوله: **﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾** روى مسلم عن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ هاتين الآيتين آخر سورة البقرة كفتاه». قيل عن قيام الليل كما روي عن ابن عمر قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «أنزل الله علي آيتين من كنوز الجنة ختم بهما سورة البقرة من قرأهما بعد العشاء مرتين أجزأتاه عن قيام الليل آمن الرسول إلى آخر السورة». وقيل كفتاه من شر الشيطان فلا يكون عليه سلطان، وإنما ختم السورة بهاتين الآيتين لأنها بينت فرض الصلاة والزكاة والصوم والحج والطلاق والايلاء والحيض والجهاد وقصص الأنبياء فناسب أن يذكر تصديق النبي والمؤمنين بجميع ذلك.

قوله: **﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾** أي فاشترك الرسول والمؤمنون في أصل الإيمان، لكن افترقا من جهة أخرى، وهو أن إيمان الرسول من قبيل حق اليقين، وإيمان المؤمنين من قبيل علم اليقين أو عين اليقين فالافتراق من حيث المراتب لا من حيث أصله. قوله: **(عطف عليه)** أي فهو مرفوع بالفاعلية والوقف عليه، ويدل على صحة هذا قراءة علي بن أبي طالب وآمن المؤمنون فأظهر الفعل ويكون قوله: **﴿كُلٌّ آمَنَ﴾** جملة مبتدأ وخبر تدل على أن جميع من تقدم ذكره آمن بما ذكر. قوله: **(عوض عن المضاف إليه)** أي فيكون الضمير الذي ناب عنه التنوين في كل راجعاً إلى الرسول والمؤمنين أي كلهم، وتوحيد الضمير في آمن مع رجوعه إلى كل المؤمنين، ليكون المراد بيان كل فرد منهم من غير اعتبار الاجتماع.

قوله: **﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ﴾** كل مبتدأ أخبر عنه بخبرين راعى في اولها لفظ كل فأفرد، وفي ثانيها معناها فجمع حيث قال: (وقالوا سمعنا) الخ. قوله: **(بالجمع والأفراد)** أي في الكتب قراءتان سبعيتان. قوله: **(يقول الخ)** قدر الفعل ليفيد أن هذه الجملة منصوبة بقول محذوف، وهذا القول المضمر في محل نصب على الحال أي قائلين. قوله: **﴿بَيْنَ أَحِدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾** أي في الإيمان به وأضيف بين إلى أحد وهو مفرد، وإن كانت قاعدتهم أنه إنما يضاف إلى متعدد نحو بين زيد وعمر، ولأن أحد يستوي فيه الواحد والمتعدد. وقله: **(فنؤمن ببعض الخ)** بالنصب في حين النفي فالنفي مسلط عليه، وسيأتي وصفهم في قوله

ببعض كما فعل اليهود والنصارى ﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا﴾ أي ما أمرنا به سماع قبول ﴿وَأَطَعْنَا﴾ نسألك ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ ﴿٢٨٥﴾ المرجع بالبعث. ولما نزلت الآية قبلها شكا المؤمنون من الوسوسة وشق عليهم المحاسبة بها فنزل ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي ما تسعه قدرتها ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من الخير أي ثواباً ﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ من الشر أي وزره ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد ولا بما لم يكسبه مما وسوست به نفسه وقولوا ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا﴾ بالعقاب ﴿إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ تركنا الصواب لا عن عمد كما آخذت به من قبلنا وقد رفع الله ذلك عن هذه الأمة كما ورد في الحديث، فسؤاله اعتراف بنعمة الله ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾ أمراً يثقل علينا حمله ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ أي بني اسرائيل من قتل النفس في التوبة وإخراج ربع المال في

تعالى: (إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله) الأية. قوله: **(سماع قبول)** فيه تعريض بالرد على من قال سمعنا وعصينا، قوله: **﴿وَأَطَعْنَا﴾** أي انقدنا للطاعة ولو بالعزم عليها.

قوله: **﴿غُفْرَانَكَ﴾** مفعول المحذوف قدره المفسر بقوله نسألك، ومعنى الغفران ستر الذنوب كبيرها وصغيرها جليها وخفيها، فالإنسان يطلب المغفرة ولو في حالة الطاعة بسبب ما يطرأ عليها من العجب وحب المحمدة وغير ذلك من الآفات التي تذهبها، فالعارف لا يعتمد على أعماله أبداً، وعلامة ذلك كونه يجدد التوبة والاستغفار ولو كان متلبساً بأكبر الطاعات. قوله: **﴿رَبَّنَا﴾** منادى وحرف النداء محذوف أي يا ربنا. قوله: **﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾** قيل معطوف على محذوف تقديره لك المبدأ وإليك المصير. قوله: **(ولما نزلت الآية قبلها)** أي قوله وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله. قوله: **(من الوسوسة)** أي التي تطرأ على القلب كالهاجس وهو ما لاح وذهب بسرعة، والخاطر وهو ما لاح ومكث برهة من الزمن، وحديث النفس وهو تزيينها الأمور وتحسينها، وهذه لا تكتب خيراً كانت أو شراً، والهم وهو ترجيح الفعل وهو يكتب إن كان خيراً لا شراً، وأما العزم فيكتب خيره وشره. قوله: **(فنزل)** **﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ﴾** أي فهذه الآية إما ناسخة للأولى أو مبينة لها، وتقدمت الإشارة بذلك.

قوله: **﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾** عبر في جانب الخير باللام، وفي جانب الشر بعلى، لأن اللام للمسرة وعلى للمضرة، وعبر في جانب الطاعة بكسبت، وفي جانب المعصية باكتسبت، لأن شأن المعصية التعالي والشهوة بخلاف الطاعة فشأنها عدم الشهوة لما في الحديث «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» وأيضاً لا يؤخذ في المعصية بالهم بل بالعزم أو الفعل بخلاف الطاعة فيكتب له ثواب الهم عليها، وأيضاً يؤجر المرء رغماً عن انفه بخلاف المعصية، وأيضاً الطاعة تتعدى لغير فاعلها بخلاف المعصية. قوله: **(ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد)** هذا في جانب المعصية، وأما في جانب الطاعة فقد تنفع في غير فاعلها. قوله: **(ولا بما لم يكسبه)** المناسب يكتسبه. قوله: **(مما وسوست به نفسه)** أي من هاجس وخاطر وحديث نفس وهم.

قوله: **﴿إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾** أي أو استكرهنا عليه، وقد علم ذلك من قوله لا يكلف الله نفساً إلا وسعها. ومن هنا إلى آخر السور سبع دعوات مستجابة. قوله: **(تركنا الصواب لا عن عمد)** تفسير لكل

الزكاة وقرض موضع النجاسة ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ﴾ قوة ﴿لَنَا بِهِۦ﴾ من التكاليف والبلاء ﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾ امح ذنوبنا ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ﴾ في الرحمة زيادة على المغفرة ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾ سيدنا ومتولي أمورنا ﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ بإقامة الحجة والغلبة في قتالهم فإن من شأن المولى أن ينصر مواليه على الأعداء وفي الحديث لما نزلت هذه الآية فقرأها ﷺ قيل له عقيب كل كلمة قد فعلت.

من الخطأ والنسيان. قوله: **(كما ورد في الحديث)** أي رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه قوله: **(فسؤاله اعتراف بنعمة الله)** جواب عما يقال حيث رفعه الله فما وجه سؤالنا لرفعه فأجاب بما ذكر. قوله: **(من قتل النفس في التوبة)** أي حين عبدوا العجل فتوبتهم قتل طائعهم العاصي منهم، وأما توبتنا فالندم. قوله: **(وإخراج ربع المال في الزكاة)** أي وأما نحن فربع العشر في النقدين والعشر أو نصفه في الحبوب، قوله: **(وقرض موضع النجاسة)** أي من الثواب أو البدن. قوله: **(من التكاليف)** أي فلم يكفنا بالحج من غير استطاعة مثلاً، ولا بالصلاة من قيام مع كونه مريضاً لا يقدر عليه، ولا باستعمال الماء مع عدم القدرة عليه. قوله: **(والبلاء)** أي فكان ينزل بمن قبلنا الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والصيحة والخسف والمسخ، وغير ذلك من أنواع البلايا العامة التي لا تبقي ولا تذر. قوله: **(امح ذنوبنا)** أي من الصحف.

قوله: **﴿وَٱغْفِرْ لَنَا﴾** أي استرها عن أعين المخلوقات. قوله: **﴿وَٱرْحَمْنَا﴾** أي أنعم علينا وذلك في حق من تاب جزماً، وأما من لم يتب ومات فأمره مفوض لخالقه. قوله: **(سيدنا ومتولي أمورنا)** هذا أحد معاني المولى ويطلق على الناصر، ولا شك أن الله كذلك. قوله: **(أن ينصر مواليه)** أي عبيده فإن المولى كما يطلق على العبد يطلق على السيد. قوله: **(عقيب)** لغة رديئة في عقب. وقوله: **(كل كلمة)** أي وهي سبع وكلها مستجابة، وكرر لفظ ربنا بين المتعاطفات زيادة في التضرع. قوله: **(قد فعلت)** أي أجبت مطلوبكم لما في الحديث: «إن الله لأفرح بتوبة عبده ممن ضلت منه راحلته فوجدها بعد طلبها» وفي رواية لما قرأ النبي قوله: (غفرانك ربنا) قال الله قد غفرت، وفي قوله: (ولا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) قال لا أؤاخذكم، وفي قوله: (ولا تحمل علينا إصرا) قال لا أحمل عليكم، وفي قوله: (ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) قال لا أحملكم، وفي قوله: (واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين)، قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين، والحكمة في زيادة قوله القوم ولم يقل الكافرين، إنه لا يلزم من النصرة على أفراد الكفار النصرة على الهيئة المجتمعة وفي هذه الآية تعليم آداب الدعاء، وفي الحديث: «إذا دعوتم فعمموا».

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

مدنية وآياتها مائتان

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿الٓمٓ﴾ (١) الله أعلم بمراده بذلك ﴿اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (٢) ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿الْكِتَٰبَ﴾ القرآن ملتبساً ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالصدق في أخباره

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة آل عمران مدنية

مائتان أو إلا آية

قوله: (سورة آل عمران) مبتدأ ومدنية خبره، ومائتان خبر ثان. وقوله: (مدنية) أي نزلت بعد الهجرة وإن بغير أرض المدينة، وتسميتها بذلك الاسم من باب تسمية الشيء باسم جزئه، واختلف في عمران الذي سميت به، فقيل المراد به أبو موسى وهرون فآله موسى وهرون، وقيل المراد به أبو مريم والمراد بآله مريم وابنها عيسى، ويقرب ذلك ذكر قصتها أثر ذكره، وبين عمران أبي موسى وعمران أبي مريم ألف وثمانمائة عام. قوله: (أو إلا آية) أو الحكاية الخلاف، وسببه الاختلاف في عد البسملة من السورة، فمن عدها قال مائتان ومن لم يعدها قال إلا آية، وورد في فضل هذه السورة أنها أمان من الحيات وكنز للفقير، وأنه يكتب لمن قرأ منها (إن في خلق السموات والأرض) إلى آخرها آخر الليل ثواب من قام الليل كله، قوله: (الله أعلم بمراده بذلك) مشى في ذلك على مذهب السلف في المتشابه، وهكذا عادته في فواتح السور، وقد تقدم الكلام في ذلك بأبسط عبارة، وأعلم أنه قرىء عند إسقاط الهمزة من الله وفتح ميم ألم للنقل بمد الميم ست حركات أو حركتين، وعند إسكان الميم حالة الوقف واثبات الهمزة بمد الميم ست حركات، فالقراءات ثلاثة.

قوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ سبب نزولها قدوم وفد نصارى نجران وكانوا ستين راكباً فيهم أربعة عشر من أشرافهم ثلاثة منهم كانوا أكابرهم أميرهم وحبرهم ووزيرهم يحاجون رسول الله في عيسى. فتارة قالوا إن عيسى ابن الله لأنه لم يكن له أب، وتارة قالوا إنه الله لأنه يحيي الموتى، وتارة قالوا إنه ثالث ثلاثة لأنه يقول فعلنا وخلقنا، فلو كان واحداً لذكره مفرداً، فشرع النبي يرد عليهم تلك الشبه، فقال لهم: أتسلمون أن الله حي لا يموت؟ فقالوا نعم، أتسلمون أن عيسى يموت؟ فقالوا نعم، فقال لهم أتسلمون أن الله يصور في الارحام كيف يشاء؟ فقالوا نعم، إلى غير ذلك فنزلت تلك السورة منها نيف وثمانون آية على طبق ما رد عليهم به، قوله: ﴿الْحَيُّ﴾ أي ذو الحياة الذاتية. قوله: ﴿الْقَيُّومُ﴾ أي القائم بأمور خلقه من غير واسطة معين، قوله: (ملتبساً) ﴿بِالْحَقِّ﴾ أشار بذلك إلى الباء في بالحق للملابسة في

﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ قبله من الكتب ﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ ﴿٣﴾ ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ أي قبل تنزيله ﴿هُدًى﴾ حال بمعنى هاديين من الضلالة ﴿ لِّلنَّاسِ ﴾ ممن تبعهما وعبر فيهما بأنزل وفي القرآن بنزل المقتضي للتكرير لأنهما أنزلا دفعة واحدة بخلافه ﴿ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ بمعنى الكتب الفارقة بين الحق والباطل وذكره بعد ذكر الثلاثة ليعم ما عداها ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ القرآن وغيره ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ﴾ غالب على أمره فلا يمنعه شيء من إنجاز وعده ووعيده ﴿ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ ﴿٤﴾ عقوبة شديدة ممن عصاه لا يقدر على مثلها أحد ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ ﴾ كائن ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ ﴿٥﴾ لعلمه بما يقع في العالم من كلي وجزئي، وخصهما بالذكر لأن الحس لا

محل نصب على الحال فيكون مصدقاً حالاً بعد حال.

قوله: ﴿**مُصَدِّقاً**﴾ حال من الكتاب، قوله: ﴿**لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ**﴾ في الكلام استعارة بالكناية حيث شبه بسلطان تقدمه عسكره، وجاء على أثرهم يؤيدهم ويقويهم وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو قوله: ﴿**لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ**﴾ فإثباته تخييل. قوله: ﴿**وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ**﴾ أي على موسى وقوله: ﴿**وَالإِنْجِيلَ**﴾ أي على عيسى، واختلف الناس في هذين اللفظين هل يدخلهما الاشتقاق والتصريف أم لا لكونهما أعجميين، فذهب جماعة إلى الأول فقالوا التوراة مشتقة من قولهم ورى إذا قدح فظهر منه نار، فلما كانت التوراة فيها ضياء ونور يخرج به من الضلال إلى الهدى كما يخرج بالنار من الظلام إلى النور سمي هذا الكتاب بالتوراة، والإنجيل مشتق من النجل وهو التوسعة ومنه العين النجلاء لسعتها فسمي الإنجيل بذلك لأن فيه توسعة لم تكن في الوراة، إذ حلل فيه أشياء كانت محرمة فيها، والصحيح أنهما ليسا مشتقين لأنهما عبرانيان، قوله: (**أي قبل تنزيله**) أي الكتاب الذي هو القرآن، قوله: (**حال**) أي من التوراة والإنجيل، قوله: (**ممن تبعهما**) أشار بذلك إلى أن المراد بالهدى الوصول لا مجرد الدلالة، قوله: (**وعبر فيهما بأنزل الخ**) جواب عن سؤال مقدر، وقيل إن ذلك تفنن، وقيل إن مادة نزل تعيد التكرار غالباً، ومادة أنزل تفيد عدمه غالباً، فلعل المفسر بنى هذا الجواب على ذلك، وإلا فالهمز والتضعيف أخوان. قوله: (**بخلافه**) أي فإنه نزل مفرقاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة. قوله: (**ليعم ما عداها**) أي فهو من عطف العام على الخاص، فالمراد بالفرقان هنا الفارق بين الحق والباطل لا خصوص القرآن فالفرقان كما يطلق على القرآن يطلق على غيره من الكتب.

قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ أي كنصارى نجران. قوله: ﴿**لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ**﴾ أي في الدنيا بالقتل والأسر وفي الآخرة بالنار. قوله: (**وعده**) أي بالخير وقوله ووعيده أي بالشر. قوله: (**لا يقدر على مثلها أحد**) أي لأن غاية عذاب غيره الموت وفيه راحة للمعذب، ولا يقدر على إعادة روحه حتى تتألم ثانياً، وأما عذاب الله فدائم لا آخر له، قال تعالى: (**كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب**).
قوله: ﴿**إِنَّ اللهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ**﴾ هذا رد لقولهم إن عيسى إله لأنه يعلم الأمور، فرد عليهم بأن الله هو الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وليس كذلك عيسى. قوله: (**كائن**) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿**فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ**﴾ متعلق بمحذوف صفة لشيء. قوله: (**وخصهما بالذكر**) جواب

يتجاوزهما ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ من ذكورة وأنوثة وبياض وسواد وغير ذلك ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ ﴿٦﴾ في صنعه ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ واضحات الدلالة ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أصله المعتمد عليه في الأحكام ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ لا تفهم معانيها كأوائل السور وجعله كله محكماً في قوله أحكمت آياته بمعنى أنه ليس فيه عيب ومتشابهاً في قوله كتاباً متشابهاً بمعنى أنه يشبه بعضه بعضاً في الحسن والصدق ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ ميل عن الحق ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ﴾ طلب ﴿ٱلْفِتْنَةِ﴾ لجهالهم

عن سؤال مقدر. قوله: (لا يتجاوزهما) أي لا يتعداهما. قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ﴾ هذه حجة أخرى للرد على تلك الفرقة كأنه يقول لا إله إلا من يصوركم في الأرحام كيف يشاء، وأما عيسى فإنه وإن كان يحيي الموتى فبإذن الله، ولا يقدر أن يصوركم في الأرحام كيف يشاء بل هو مصور في الرحم، فالمصور لا يصور غيره بل ولا نفسه. قوله: ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ أي الغالب على أمره عديم المثال. قوله: ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ أي ذو الحكمة وهي وضع الشيء في محله.

قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ قيل سبب نزولها أن وفد نجران قالوا للنبي ﷺ ألست تقول إن عيسى روح الله وكلمته؟ فقال نعم، فقالوا حسبنا أي يكفينا ذلك في كونه ابن الله، فنزلت الآية، والمعنى أن الله أنزل القرآن منه محكم ومنه متشابه، وقوله روح الله وكلمته من المتشابة الذي لا يعرفون معناه ولا يفهمون تأويله، بل معنى ذلك أنه روح من الله أي نوره وكلمته، بمعنى أنه قال له كن فكان، فهو عبد من جملة العباد ميزه الله بالنبوة والرسالة. قوله: (أصله) إنما فسر الأم بذلك لصحة الأخبار بالمفرد عن الجمع، لأن الأصل يصدق بالمتعدد. وأجيب أيضاً بأنه عبر بالمفرد إشارة إلى أن المجموع بمنزلة آية واحدة على حد (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) وما سلكه المفسر أظهر. قوله: (المعتمد عليه في الأحكام) أي الذي يعول عليه في أحكام الدين والدنيا هو المحكم، وأما المتشابة فلم يكلف بمعرفة معناه بل نؤمن به ونفوض علمه لله.

قوله: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾. إن قلت هلا نزل كله محكماً لأنه نزل لارشاد العباد ومداره على المحكم لا على المتشابه؟ أجيب بأنه نزل على أسلوب العرب، فإن أسلوبهم التعبير بالمجاز والكناية والتلميح وغير ذلك من المستحسنات، فلو نزل كله محكماً لقالت العرب إن القرآن على لغتنا فهلا ذكر فيه مستحسنات لغاتنا. قوله: (لا يفهم معانيها) أي إلا بفكر وتأمل كما هو مذهب الخلف. قوله: (كأوائل السور) أي بعضها وأدخلت الكاف باقي الآيات المتشابهة. قوله: (وجعله كله محكماً الخ) جواب عن سؤال مقدر كأن قائلاً قال هذه الآية بينت أن القرآن بعضه محكم وبعضه متشابه، وآية أخرى بينت أن كله محكم وآية أخرى أفادت أن كله متشابه، فبين هذه الآيات تناف أجاب المفسر بما ذكره. قوله: (بمعنى أنه ليس فيه عيب) أي لا في ألفاظه ولا في معانيه. قوله: (في الحسن والصدق) قال ابن عباس: تفسير القرآن أربعة أقسام: قسم لا يسع أحداً جهله كقوله: (قل هو الله أحد)، وقسم يتوقف على معرفة لغات العرب كقوله: (هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي)، وقسم تعرفه العلماء الراسخون في العلم، وقسم لا يعلمه إلا الله، ودخل تحت القسمين الأخيرين المتشابه، وحكمة الإتيان بالمتشابه الزيادة في الاعجاز عن الإتيان بمثله، فإن المحكم وإن فهموا معناه إلا أنهم عجزوا عن الإتيان بلفظ مثل ألفاظه،

بوقوعهم في الشبهات واللبس ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ تفسيره ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ﴾ تفسيره ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وحده ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ الثابتون المتمكنون ﴿فِى ٱلْعِلْمِ﴾ مبتدأ خبره ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أي بالمتشابه أنه من عند الله ولا نعلم معناه ﴿كُلٌّ﴾ من المحكم والمتشابه ﴿مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ بإدغام التاء في الأصل في الذال أي يتعظ ﴿إِلَّآ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ﴿٧﴾ أصحاب العقول ويقولون أيضاً إذا رأوا من يتبعه ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ تملها عن الحق بإبتغاء تأويله الذي لا يليق بنا كما أزغت قلوب أولئك ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ أرشدتنا إليه ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ﴾ من عندك ﴿رَحْمَةً﴾ تثبيتاً ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ ﴿٨﴾ يا ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ﴾ تجمعهم ﴿لِيَوْمٍ﴾ أي في يوم ﴿لَّا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ﴾ هو يوم القيامة فتجازيهم بأعمالهم كما وعدت بذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ ﴿٩﴾ موعده بالبعث فيه التفات عن الخطاب، ويحتمل أن يكون من كلامه تعالى، والغرض من الدعاء بذلك بيان أن همهم أمر الآخرة، ولذلك سألوا الثبات على الهداية لينالوا ثوابها، روى الشيخان عن عائشة رضي

والمتشابه عجزوا عن فهم معناه كما عجزوا عن الإتيان بمثله. قوله: **(ميل عن الحق)** أي إلى الباطل. قوله: **(بوقوعهم في الشبهات واللبس)** أي كنصارى نجران ومن حذا حذوهم ممن أخذ بظاهر القرآن، فإن العلماء ذكروا أن من أصول الكفر الأخذ بظواهر الكتاب والسنة.

قوله: **﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾** معطوف على ابتغاء الأول، والمعنى أنهم يتجرؤون على تفسيره بتفسير باطل لا أصل له. قوله: **﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾** أي تفسيره على الحقيقة. قوله: **﴿إِلاَّ آللَّهُ﴾ (وحده)** هذه طريقة السلف واختارها المفسر لكونها أسلم، فالوقف على قوله إلا الله، وأما طريقة الخلف فهي أحكم، فالوقف على أولي الألباب، فالراسخون معطوف على لفظ الجلالة، قال بعضهم ويؤيد طريقة الخلف قوله تعالى بعد ذلك: **﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا آلأَلْبَابِ﴾**. قوله: **﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾** كلام مستأنف قالوا وللاستئناف والراسخون مبتدأ، وفي العلم متعلق بالراسخون وخبره يقولون كما قاله المفسر، قال مالك: الراسخ في العلم من جمع أربع خصال: الخشية فيما بينه وبين الله، والتواضع فيما بينه وبين الناس، والزهد فيما بينه وبين الدنيا والمجاهدة فيما بينه وبين نفسه.

قوله: **﴿مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾** أي ففهمنا المحكم وأخفى علينا المتشابه. قوله: **(في الأصل في الذال)** أي فأصله يتذكر قلبت التاء ذالاً ثم أدغمت في الذال. قوله: **(أصحاب العقول)** أي السليمة المستنيرة. قوله: **(من يتبعه)** أي يتبع الباطل. قوله: **﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾** أي بعد وقت هدايتك وتبيينك الحق لنا. قوله: **(تثبيتاً)** فسر الرحمة هما بذلك لأنه المراد هنا، وأما في غير هذا الموضع فقد تفسر بالمطر أو الغفران. قوله: **(إِنَّكَ أَنْتَ آلْوَهَّابُ﴾** أي الذي تعطي النوال قبل السؤال.

قوله: **﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ﴾** منادي وحرف النداء محذوف، قدره المفسر إشارة إلى أنه دعاء. قوله: **(أي في يوم)** أشار بذلك إلى أن اللام بمعنى في. قوله: **(فيه التفات)** أي على أنه من كلام الراسخين. قوله: **(ويحتمل أن يكون من كلامه تعالى)** أي فلا التفات فيه على مذهب الجمهور، وأما على مذهب السكاكي ففيه التفات على كل حال لأنه أتى على خلاف السياق. قوله: **(روى الشيخان)** قصده

الله تعالى عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات) إلى آخرها وقال: «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم، وروى الطبراني في الكبير عن أبي موسى الأشعري أنه سمع النبي ﷺ يقول: ما أخاف على أمتي إلا ثلاث خلال، وذكر منها «أن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغي تأويله وليس يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب» الحديث. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ﴾ تدفع ﴿عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ﴾ أي عذابه ﴿شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ ﴿١٠﴾ بفتح الواو ما توقد به، دأبهم ﴿كَدَأْبِ﴾ كعادة ﴿آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم كعاد وثمود ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ أهلكهم ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ والجملة مفسرة لما قبلها ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿١١﴾ ونزل لما أمر النبي ﷺ اليهود

بذلك الاستدلال على ذم المتبعين للمتشابه ومدح الراسخين. قوله: (**فأولئك الذين سمى الله**) أي بقوله: (**فأما الذين في قلوبهم زيغ**) الآية. قوله: (**فاحذروهم**) الخطاب لعائشة وإنما ذكر وجمع تعظيماً لها أو إشارة إلى عدم خصوصيتها بذلك. قوله: (**وروى الطبراني**) أي في معجمه الكبير. قوله: (**إلا ثلاث خلال**) هذه نسخة وفي أخرى خصال. قوله: (**وذكر منها الخ**) هذه هي الخلة الثانية وترك اثنتين، ونص الحديث: أخرج الطبراني عن أبي مالك الأشعري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول «لا أخاف على أمتي إلا ثلاث خلال: أن يكثر لهم المال فيتحاسدوا فيقتتلوا، وأن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغي تأويله وما يعلم تأويله إلا الله. والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب، وأن يزداد علمهم فيضعوه ولا يسألوا عنه».

قوله: ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ قيل المراد بهم جميع من كفروا من أول الزمان إلى آخره، وقيل المراد بهم نصارى نجران، وقيل كفار مكة، وعلى كل فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. قوله: ﴿**أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ**﴾ قدم الأموال لأن الشأن أن الشخص أول ما يقتدي بالأموال ثم بالأولاد، والمعنى أن زينتهم وعزهم لا يدفع عنهم شيئاً من عقاب الله أبداً لا قليلاً ولا كثيراً. قوله: (**أي عذابه**) أشار بذلك إلى أن في الكلام حذف مضاف.

قوله: ﴿**وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ**﴾ هذه الجملة تأكيد للجملة الأولى. قوله: (**بفتح الواو**) أي باتفاق السبعة، وقرأ الحسن بضم الواو مصدر بمعنى الإيقاد. قوله: (**ما يوقد به**) أي وهو الحطب مثلاً. قوله: (**دأبهم**) ﴿**كَدَأْبِ**﴾ إشار بذلك إلى أن قوله كدأب خبر لمحذوف قدره بقوله دأبهم، وهذا بيان لسبب كونهم وقود النار، وفي ذلك تسلية للنبي ﷺ أي فلا تحزن يا محمد فإن ما نزل بالأمم الذين كفروا من قبلك ينزل بمن كفر بك. قوله: (**كعاد وثمود**) بيان الأمم وأدخلت الكاف باقي الأمم الذين كفروا بأنبيائهم، كقوم نوح وقوم موسى وغيرهم. قوله: (**أهلكهم**) ﴿**بِذُنُوبِهِمْ**﴾ أي انتقم منهم دنيا وأخرى. قوله: (**والجملة مفسرة لما قبلها**) أي جملة كذبوا وما قبلها هي قوله كدأب آل فرعون. وأعلم أن هنا قال كذبوا بآياتنا، وفي آية أخرى كفروا بآيات الله وفي آية أخرى كذبوا بآيات ربهم، وحكمة ذلك التفنن في التعبير على عادة فصحاء العرب، والباء في قوله بذنوبهم يحتمل أن تكون للملابسة، والمعنى أخذهم الله

بالإسلام مرجعه من بدر فقالوا له لا يغرنك أن قتلت نفراً من قريش اغماراً لا يعرفون القتال ﴿قُل﴾ يا محمد ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من اليهود ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ بالتاء والياء في الدنيا بالقتل والأسر وضرب الجزية وقد وقع ذلك ﴿وَتُحْشَرُونَ﴾ بالوجهين في الآخرة ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ فتدخلونها ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ ﴿١٢﴾ الفراش هي ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ عبرة وذكر الفعل للفصل ﴿فِي فِئَتَيْنِ﴾ فرقتين ﴿ٱلْتَقَتَا﴾ يوم بدر للقتال ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي طاعته وهم النبي وأصحابه وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً معهم فرسان وست أدرع وثمانية سيوف وأكثرهم رجالة ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم﴾ أي الكفار ﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾ أي المسلمين أي أكثر منهم وكانوا نحو ألف ﴿رَأْيَ ٱلْعَيْنِ﴾ أي

والحال أنهم ملتبسون بذنوبهم يعني من غير توبة، ويحتمل أن تكون للسببية والمعنى أخذهم الله بسبب ذنوبهم، والأول أبلغ لأن فيه دفع توهم أن موتهم كفارة لما وقع منهم. قوله: (ونزل لما أمر ﷺ) حاصل ذلك أنه لما رجع من غزوة بدر إلى المدينة، جمع يهودها وهم قريظة وبنو النضير، ودعاهم للإسلام وتوعدهم إن لم يسلموا أو يؤدوا الجزية قاتلهم، فقالوا له ما ذكره المفسر. قوله: (أغماراً) جمع غمر بالضم وهو الرجل الذي لا يعرف الأمور، وأما بالكسر فمعناه الحقد، وبالفتح مع سكون الميم يطلق على الشدة، واما بفتحتين فمعناه الدسم. قوله: (من اليهود) أي قريظة وبني النضير ومن حذا حذوهم كأهل خيبر. قوله: (وبالتاء والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان فالتاء ظاهرة في الخطاب لهم والياء معناها الأخبار بأنهم سيغلبون. قوله: (وقد وقع ذلك) أي فقتل من فحول قريظة ستمائة حول الخندق، وكان القاتل لهم علي بن أبي طالب، وقوله: (وضرب الجزية) أي على أهل خيبر، وأما بنو النضير فأجلاهم إلى الشام. قوله: (بالوجهين) أي بالتاء والياء وهما سبعيتان أيضاً. قوله: ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ المقصود من ذلك بيان سوء مآلهم، قال تعالى: (لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش)، قال تعالى: (يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم). قوله: (هي) هذا هو المخصوص بالذم وفاعل بئس قولهم المهاد.

قوله: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ يحتمل أن يكون ذلك على جملة مقول النبي للكفار أي قل لهم ما ذكر وقل لهم (قد كان لكم آية) فعلى ذلك الخطاب لليهود، ويحتمل أن يكون ذلك خطاباً لكفار مكة أو للمؤمنين ويكون مستأنفاً. قوله: (للفصل) أي بالجار والمجرور الواقع خبراً لكان على حد أتى القاضي بنت الواقف، وأجيب أيضاً بان الفاعل مجازي التأنيث أو مذكر معنى، لأن الآية معناها البرهان. قوله: (فرقتين) إنما سميت الفرقة فئة لأنه يفاء بمعنى يرجع إليها في الشدائد.

قوله: ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ برفع فئة بإتفاق السبعة مبتدأ خبره تقاتل الخ والمعنى فئة مؤمنة، وقوله: ﴿وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾ يعني تقاتل في سبيل الطاغوت ففيه شبه احتباك حيث حذف من كل نظير ما أثبته في الآخر. قوله: (كانوا ثلثمائة) أي من المهاجرين سبعة وسبعون صاحب رايتهم علي بن أبي طالب، ومن الأنصار مائتان وستة وثلاثون صاحب رايتهم سعد بن عبادة، والذي مات منهم في تلك الغزوة أربعة عشر ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار. قوله: (معهم فرسان) ورد أنه كان معهم سبعون بعيراً. قوله: (رجالة) جمع راجل بمعنى ماش. قوله: ﴿يَرَوْنَهُمْ﴾ هكذا بالياء للسبعة ما عدا نافعاً فقرأ بالتاء، ورأى بصرية والواو فاعل عائد على المؤمنين، والهاء مفعول عائد على الكفار ومثليهم حال، والهاء إما

رؤية ظاهرة معاينة وقد نصرهم الله مع قلتهم ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ﴾ يقوي ﴿بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ نصره ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ ﴿١٣﴾ لذوي البصائر أفلا تعتبرون بذلك فتؤمنون ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ ما تشتهيه النفس وتدعو إليه زينها الله ابتلاء أو الشيطان ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ

عائدة على المؤمنين، والمعنى يشاهد المؤمنون الكفار قدر أنفسهم مرتين، أو الكفار والمعنى يرى المؤمنون الكفار قدر الكفار مرتين محنة للمؤمنين، ويحتمل أن الواو عائدة على الكفار والهاء عائدة على المؤمنين، والهاء في مثليهم إما عائدة على الكفار والمعنى يرى الكفار المؤمنين قدرهم مرتين فترتب على ذلك هزيمتهم، أو عائدة على المؤمنين والمعنى يرى الكفار المؤمنين قدر المؤمنين مرتين ففي هذه القراءة احتمالات أربع قد علمتها ومثلها على قراءة التاء لأنه يحتمل أن الخطاب للمؤمنين، فالواو عائدة على المؤمنين والهاء عائدة على الكفار، والضمير في مثليهم إما عائد على الكفار وهو ظاهر، أو على المؤمنين ويكون فيه التفات من الخطاب للغيبة وكان مقتضى الظاهر أن يقول مثليكم، ويحتمل أن الخطاب للكفار فالواو عائدة على الكفار والهاء عائدة على المؤمنين، والضمير في مثليهم إما عائد على المؤمنين وهو ظاهر أو على الكفار وفيه التفات أيضاً. بقي شيء آخر وهو أن مقتضى الآية أن المرئي كثير، سواء كان الرائي الكفار أو المسلمين، ومقتضى ما يأتي في سورة الأنفال أن المرئي قليل فحصل بين الآيتين تناف، وأجيب عن ذلك بحمل ما يأتي على حالة البعد، وما هنا على حالة التقاء الصفين، وحكمة ذلك أنهم إذا شاهدوا القلة على بعد حملهم ذلك على الاقتحام. قوله: **(أي الكفار)** يقرأ بالرفع تفسيراً للواو وبالنصب تفسيراً للهاء. قوله: **(وقد نصرهم الله مع قلتهم)** أي مع كونهم عدداً قليلاً جداً ولا عدد معهم.

قوله: **﴿لِأُولِي ٱلْأَبْصَارِ﴾** صفة لعبرة. قوله: **(أفلا تعتبرون)** الخطاب لليهود أو لكفار مكة. قوله: **(بذلك)** أي بالنصر ورؤية الجيش مثليهم. قوله: **﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ﴾** هذه الآية مسوقة لبيان حقارة الدنيا وتزهيد المسلمين فيها، ففي الحديث «ظاهرها وباطنها عبرة» وقال الشاعر:

هي الدنيا تقول بملء فيها ... حذار حذار من بطشي وفتكي
فلا يغرركمو مني ابتسام ... فقولي مضحك والفعل مبكي

والفعل مبني للمفعول، والمزين حقيقة هو الله، ويصح أن يكون الشيطان باعتبار وسوسته، ولذا نوع فيه المفسر. قوله: **﴿حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾** جمع شهوة وهي ميل النفس لمحبوبها، ولما كان ذلك المعنى ليس مراداً فسرها بالذي تشتهيه النفس ففيه إشارة إلى أنه أطلق المصدر، وأريد اسم المفعول إن قلت إنه يدخل في الناس الأنبياء مع أنهم معصومون من ذلك. أجيب بأنه عام مخصوص بما عدا الأنبياء، وأما هم فهم معصومون من الميل إلى ما سوى الله لما في الحديث «حبب إليّ من دنياكم ثلاث» ولم يقل من دنيانا، وفي الحديث أيضاً «لست من الدنيا ولا الدنيا مني». قوله: **(زينها الله)** أي أوجد فيها الزينة. قوله: **(ابتلاء)** أي اختباراً، قال تعالى: (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً). قوله: **(أو الشيطان)** أي بالوسوسة.

قوله: **﴿مِنَ النِّسَاءِ﴾** متعلق بمحذوف حال من الشهوات وهو تفصيل لما أجمل فيها، وقدم النساء لأنهن أعظم زينة الدنيا، فإنهن حبالة الشيطان، ويحملن الإنسان على قطع الرحم واكتساب المال من الحرام وارتكاب المحرمات، وقال عليه الصلاة والسلام: «ما تركت فتنة أضر الرجال من النساء، ما

﴿وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ﴾ الأموال الكثيرة ﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ المجمعة ﴿مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ الحسان ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ أي الابل والبقر والغنم ﴿وَٱلْحَرْثِ﴾ الزرع ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يتمتع به فيها ثم يفنى ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ المرجع وهو الجنة فينبغي الرغبة فيه دون غيره ﴿قُلْ﴾ يا محمد لقومك ﴿أَؤُنَبِّئُكُم﴾ أخبركم ﴿بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ المذكور من الشهوات استفهام تقرير ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا﴾ الشرك ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ خبر مبتدؤه ﴿جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ﴾ أي مقدرين الخلود ﴿فِيهَا﴾ إذا دخلوها ﴿وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض وغيره مما يستقذر ﴿وَرِضْوَٰنٌ﴾ بكسر أوله وضمه لغتان أي رضا كثير ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ﴾ عالم ﴿بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾

رأيت ناقصات عقل ودين أسلب للب الرجل الحكيم منكن». قوله: ﴿وَٱلْبَنِينَ﴾ قدمهم على الأموال لأنهم فرع النساء وأكبر فتنة من الأموال، لأن الإنسان يفدي بنيه بالمال ولم يقل والبنات لأن الشأن أن الفخر في الذكور دون الإناث.

قوله: ﴿وَٱلْقَنَاطِيرِ﴾ جمع قنطار قبل المراد به المال الكثير، وقيل ألف أوقية ومائتا أوقية، وقيل اثنا عشر ألف أوقية، وقيل غير ذلك، ودرج المفسر على الأول. قوله: ﴿ٱلْمُقَنْطَرَةِ﴾ قيل وزنها مفعللة فتكون النون أصلية، وقيل وزنها مفنعلة فالنون زائدة، ويترتب على ذلك النون في قنطار هل هي أصلية فوزنه فعلال، أو زائدة فوزنه فنعال، وأقل القناطير المقنطرة تسعة، لأن المراد تعددت جموع القناطير عنده ثلاثة ففوق. قوله: ﴿وَٱلْفِضَّةِ﴾ الواو بمعنى أو المانعة الخلو فتجوز الجمع، وقدم الذهب والفضة على ما عداهما لأن فخر صاحبهما أعظم. قوله: ﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ قدمها على الأنعام لأن فخرها أعظم. قوله: **(الزرع)** أي مطلقاً حسبت أو غيرها. قوله: **(ثم يفنى)** أي يزول هو وصاحبه، قال تعالى: (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض) الآية. قوله: **(فينبغي الرغبة فيه)** أي في ذلك المآب، وفي الآية اكتفاء أي وعنده سوء المآب، فحسن المآب لمن لم يغتر بالدنيا وجعلها مزرعة للآخرة، وسوء المآب لمن اغتر بها وآثرها على الآخرة.

قوله: ﴿أَؤُنَبِّئُكُمْ﴾ قرىء في السبع بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية مع زيادة مد بينهما وبدون زيادة، فالقراءات أربع، وليس في القرآن همزة مضمومة بعد مفتوحة إلا ما هنا، وما في ص أأنزل عليه الذكر، وما في اقتربت الساعة أألقي عليه الذكر. قوله: **(من الشهوات)** أي المشتهيات. قوله: **(استفهام تقرير)** أي تثبيت. قوله: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا﴾ **(الشرك)** أي الإيمان، وإنما اقتصر عليه لأن أصل دخول الجنة إنما يتوقف عليه فقط. قوله: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ في محل نصب على الحال من جنات. قوله: ﴿جَنَّاتٌ﴾ أي سبع: جنة المأوى وجنة الخلد وجنة النعيم وجنة عدن وجنة الفردوس ودار السلام ودار الجلال، وأبوابها ثمانية وأعظمها جنة الفردوس. قوله: أي **(مقدرين الخلود)** أشار بذلك إلى أن قوله خالدين حال منتظرة أي منتظرين الخلود فيها إذا دخلوها، لأنه ينادي المنادي حين استقرار أهل الدارين فيهما يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت، فيقع الفرح الدائم في قلوب أهل الجنة، والحزن الدائم في قلوب أهل النار.

قوله: ﴿وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ أي من الحور وغيرهن من نساء الدنيا. قوله: **(لغتان)** أي وقرىء بهما في

فيجازي كلاً منهم بعمله ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعت أو بدل من الذين قبله ﴿يَقُولُونَ﴾ يا ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا﴾ صدقنا بك وبرسولك ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾﴾ ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على الطاعة وعن المعصية نعت ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في الإيمان ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾ المطيعين لله ﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾ المتصدقين ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ الله بأن يقولوا اللهم اغفر لنا ﴿بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ أواخر الليل خصت بالذكر لأنها وقت الغفلة ولذة النوم ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ بين لخلقه بالدلائل ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ﴾ أي لا معبود في الوجود بحق ﴿إِلَّا هُوَ﴾ شهد بذلك ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بالإقرار ﴿وَأُولُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ من الأنبياء والمؤمنين بالإعتقاد

السبع في جميع لفظ رضوان الواقع في القرآن إلا الثاني في المائدة فإنه بالكسر بإتفاق السبعة، وهو قوله من اتبع رضوانه سبل السلام، والمكسور قياسي والمضموم سماعي ومعناهما واحد، وقول المفسر كثير أخذ الكثرة من التنوين. قوله: **(أي رضا كثير)** أي عظيم لا سخط بعده أبداً. قوله: **(فيجازي كلا منهم بعمله)** أي فيدخل المتقين الجنة والعاصين النار. قوله: **(نعت)** أي للذين اتقوا. قوله: **(على الطاعة)** أي على فعلها، وقوله: **(وعن المعصية)** أي نهاهم الله عنها فأمسكوا عنها وانتهوا.

قوله: **﴿وَالصَّادِقِينَ﴾** إن قيل كيف دخلت الواو على هذه الصفات مع أن الموصوف فيها واحد؟ أجيب بجوابين: أحدهما أن الصفات إذا تكررت جاز أن يعطف بعضها على بعض بالواو وإن كان الموصوف بها واحداً، ودخول الواو في مثل هذا للتفخيم لأنه يؤذن بأن كل صفة مستقلة بمدح الموصوف بها، ثانيهما لا نسلم أن الموصوف بها واحد بل هو متعدد، والصفات موزعة عليهم، فبعضهم صابر وبعضهم صادق، ففيه إشارة إلى أن بعضها كاف في المدح. قوله: **(في الإيمان)** أي صدقوا بقلوبهم وانقادوا بظواهرهم. قوله: **(المطيعين لله)** أي بأي نوع من أنواع الطاعة. قوله: **(بأن يقولوا اللهم اغفر لنا)** أي أو غير ذلك من أنواع الطاعات، فالمراد بالمستغفرين المتعرضون للمغفرة إما بسؤال المغفرة أو غيرها من الطاعات. قوله: **(وآخر الليل)** ويدخل بالنصف الأخير منه، وقيل الأسحار ما بعد الفجر إلى طلوع الشمس، فينبغي اغتنام هذين الوقتين فإن لم يمكن الأول فالثاني.

قوله: **﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾** سبب نزولها أن حبرين من أحبار الشام قدما على رسول الله بالمدينة فقالا له نسألك عن شيء آخر إن أخبرتنا به آمنا بك وصدقناك، فقال سلا، فقالا له أخبرنا عن أعظم شهادة في القرآن فنزلت فآمنا به، ولكونها أعظم كان وقت نزولها حول البيت ثلاثمائة وستون صنماً، فحين نزلت تساقطت تلك الأصنام، وورد في فضلها أنه يوم القيامة يجاء بمن كان يحفظها فيقول الله تعالى لعبدي هذا عندي عهداً فأوفيه إياه أدخلوا عبدي الجنة فيدخلونه من غير سابقة عذاب، ومن فضلها أنها تقلع عرق الشرك من القلب وتنفع من الوسواس، ولذا اختارها العارفون في ختم صلاتهم فيقرؤونها عقب كل صلاة، ثم أعلم أن معنى الشهادة الأقرار باللسان، والإذعان بالقلب وذلك مستحيل على الله تعالى، فالمراد بين وأظهر لخلقه بالدلائل القطعية أنه الخ، ففي الكلام استعارة تبعية حيث شبه البيان بالشهادة، واستعار اسم المشبه به للمشبه، واشتق من الشهادة شهد بمعنى بين، والجامع الوثوق بكل، لأن من أقر وأذعن حصل له وثوق، كما أن من بين حصل للسامع وثوق بخبره، وإلى ذلك أشار المفسر بقوله: **(بين لخلقه الخ)**. قوله: **(في الوجود)** أي الدنيوي والأخروي. قوله: **﴿وَ﴾ (شهد بذلك) ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾** أشار

واللفظ ﴿قَآئِمَۢا﴾ بتدبير مصنوعاته ونصبه على الحال والعامل فيها معنى الجملة أي تفرد ﴿بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ بالعدل ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ كرره تأكيداً ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾ في صنعه ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ﴾ المرضي ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ هو ﴿ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ أي الشرع المبعوث به الرسل المبني على التوحيد وفي قراءة بفتح أن بدل من أنه الخ بدل اشتمال ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ اليهود والنصارى في الدين بأن وحد بعض وكفر بعض ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾ بالتوحيد ﴿بَغۡيَۢا﴾ من

بذلك إلى أن الملائكة معطوف على لفظ الجلالة فهو مرفوع، وقدر الفعل دفعاً لاستعمال اللفظ في حقيقته ومجازه وفيه خلاف ولا يتمشى التنزيل عليه، فإن الشهادة في حق الملائكة معناها الإقرار، وأما في حق الله فمعناها التبيين.

قوله: ﴿وَأُوْلُو ٱلْعِلْمِ﴾ لم يقدر الفعل اكتفاء بما قدره في جانب الملائكة. قوله: **(بالاعتقاد)** أي في القلب، وقوله: **(واللفظ)** أي باللسان وإنما اقتصر في جانب الملائكة على الإقرار دون أولي العلم، لأن توحيد الملائكة جبلي لهم مخلوقون عليه كالنفس، فلا يتوهم فيهم عدم الاعتقاد بخلاف الإنس فاختياري لهم لوجود المنافقين فيهم دون الملائكة. قوله: **(ونصبه على الحال)** أي إما من لفظ الجلالة أو من الضمير المنفصل بعد إلا، والاحسن الثاني ليفيد أن الله شهد شهادتين: الأولى أنه لا إله إلا هو، والثانية أنه قائم بالقسط، فمتعلق الأولى تنزيه ذاته، ومتعلق الثانية تنزيه صفاته. قوله: **(معنى الجملة)** أي جملة لا إله إلا هو، وقوله: **(أي تفرد)** بيان لمعنى الجملة. قوله: ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بيان لكرمه تعالى: فالمعنى أنه تعالى ثابت الألوهية، وأن جميع الخلق مملوكون له يتصرف فيهم كيف يشاء، فلو ادخل الطائعين جميعاً النار لا حرج عليه، غير أنه لا يفعل ذلك بل هو قائم بالقسط. قوله: **(تأكيداً)** أي وتوطئة لقوله: العزيز الحكيم. قوله: ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ **(في ملكه)** أي عديم المثال أو قاهر لخلقه، وهو راجع لقوله إنه لا إله إلا هو. قوله: ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ **(في صنعه)** أي يصنع الشيء في محله وهو راجع لقوله قائماً بالقسط، والعزيز الحكيم إما خبران لمبتدأ محذوف، وإما بدلان من ضمير المنفصل، أو نعتان له على جواز نعت ضمير الغيبة.

قوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ ٱلإِسْلاَمُ﴾ نزلت لما ادعت اليهود أنه لا دين أفضل من دين اليهودية، وادعت النصارى أن لا دين أفضل من دين النصرانية. قوله: **(هو)** ﴿ٱلإِسْلاَمُ﴾ قدر الضمير إشارة إلى أن الجملة معرفة الطرفين فتفيد الحصر. قوله: **(المبعوث به الرسل)** أي جميعهم من آدم إلى محمد قال تعالى: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي اوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين) فأصل الدين واحد، وإنما الاختلاف في الفروع. قوله: **(بدل اشتمال)** أي فيكون من تمام آية شهد الله، لأن وحدانية الله اشتمل عليها الإسلام، وهذا إن أريد بالإسلام الشرع المنقول، وأما إن أريد به التوحيد كان بدل كل من كل.

قوله: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ الذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ﴾ جواب عن سؤال نشأ من قوله: (إن الدين عند الله الإسلام) كأنه قيل حيث كان الدين واحداً من آدم إلى الآن فما اختلاف أهل الكتاب. قوله: ﴿إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ استثناء من محذوف، أي ما كان اختلافهم في حال من الأحوال إلا في حال مجيء العلم لهم، فالمعنى لا عذر ولا شبهة لهم في ذلك الاختلاف، لأن الله بين لهم الحق من الباطل، وإنما

الكافرين ﴿بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ﴿١٩﴾ أي المجازاة له ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ خاصمك الكفار يا محمد في الدين ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ انقدت له أنا ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ وخص الوجه بالذكر لشرفه فغيره أولى ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ اليهود والنصارى ﴿وَالْأُمِّيِّينَ﴾ مشركي العرب ﴿أَأَسْلَمْتُمْ﴾ أي أسلموا ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا﴾ من الضلال ﴿وَّإِن تَوَلَّوْا﴾ عن الإسلام ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ أي التبليغ للرسالة ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ ﴿٢٠﴾ فيجازيهم بأعمالهم وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ﴾ وفي قراءة يقاتلون ﴿النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ وهم

كفرهم واختلافهم محض عناد، قال تعالى: (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً). قوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ﴾ من اسم شرط جازم ويكفر فعل الشرط، وقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ دليل الجواب والجواب محذوف أي فيعذبه، وهذا تسلية لرسول الله ﷺ كأنه قال له: لا تحزن على كفر من كفر فإن الله معذبه.

قوله: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ أي اليهود والنصارى حيث أنكروا عموم رسالتك أو أصلها، وجملة حاجوك فعل الشرط، وجوابه فقل وما عطف عليه. قوله: ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ معطوف على ضمير ﴿أَسْلَمْتُ﴾ المتصل، وقد وجد الفاصل وهو قوله: ﴿وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ إذا علمت ذلك، فتقدير المفسر أنا، توضيح وبيان للضمير المتصل لا ليفيد الفاصل فإنه قد حصل بقوله وجهي لله، قال ابن مالك:

وإن على ضمير رفع متصل ... عطف فافصل بالضمير المنفصل

أو فاصل ما وما هنا من قبيلة، ومفعول اتبعن محذوف لدلالة ما قبله عليه، أي ومن اتبعن أسلم وجهه. قوله: (لشرفه) أي لوجود الحواس الخمس فيه. قوله: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي التوراة بالنسبة لليهود، والإنجيل بالنسبة للنصارى، وفيه وضع الموصول موضع الضمير لمقابلته بالأميين. قوله: (مشركي العرب) أي ومن عداهم ممن لا كتاب لهم. قوله: (أي أسلموا) أي فهو استفهام تقريعي، والمقصود الأمر على حد (فهل أنتم منتهون). قوله: ﴿فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ أي انتفعوا وحصل لهم الرضا والقبول وتم لهم السعد والوصول، وبهذا اندفع ما يقال إن فعل الشرط متحد مع جوابه، كأنه قال فإن أسلموا فقد أسلموا.

قوله: ﴿وإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي داموا عليه وهو فعل الشرط، وقوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ دليل الجواب، والجواب محذوف تقديره فلا تحزن عليهم وأمرهم إلى الله. قوله: (أي التبليغ للرسالة) أي وقد بلغت فلا تأس عليهم. قوله: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ أي عليم بهم ومطلع عليهم وناظر إليهم فلا يغيب عنه شيء من أفعالهم. قوله: (وهذا قبل الأمر بالقتال) أي هذه الآية نزلت قبل الأمر به، فإن رسول الله أمر بالأمساك والأعراض عنهم في نحو نيف وسبعين آية ثم أمر بقتالهم. قوله: ﴿بِآيَاتِ اللهِ﴾ أي القرآن وغيره. قوله: (وفي قراءة يقاتلون) صوابه تأخيرها بعد المعطوف إذ هي التي فيها القراءتان، وأما هذه فيقتلون بإتفاق السبعة.

قوله: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ إن قلت إن قتل الأنبياء لا يكون إلا بغير حق. أجيب بأنه في اعتقادهم أيضاً

اليهود روي أنهم قتلوا ثلاثة وأربعين نبياً فنهاهم مائة وسبعون من عبادهم فقتلوهم من يومهم ﴿فَبَشِّرْهُم﴾ أعلمهم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٢١﴾ مؤلم وذكر البشارة تهكم بهم ودخلت الفاء في خبر إن لشبه اسمها الموصول بالشرط ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ ما عملوا من خير كصدقة وصلة رحم ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فلا اعتداد بها لعدم شرطها ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ ﴿٢٢﴾ مانعين من العذاب ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا﴾ حظاً ﴿مِّنَ الْكِتَابِ﴾ التوراة ﴿يُدْعَوْنَ﴾ حال ﴿إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ عن قبول حكمه. نزل في اليهود زنى منهم اثنان فتحاكموا إلى النبي ﷺ فحكم عليهما بالرجم فأبوا فجيء بالتوراة فوجد فيها فرجما فغضبوا ﴿ذَٰلِكَ﴾ التولي والإعراض ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ أي

فهو زيادة في التشنيع عليهم، فالمعنى اعجب يا محمد من بلادة هؤلاء حيث يقتلون الأنبياء وهم معتقدون أن قتلهم خلاف الحق ويقتلون من يأمرهم بالعدل. قوله: **(وهم اليهود)** أي قوم موسى، وإنما خوطب من كان في زمنه ﷺ بذلك لرضاهم بفعلهم مع كونهم كانوا عازمين على قتله ﷺ. قوله: **(ثلاثة وأربعين)** وفي رواية أخرى سبعين. قوله: **(من يومهم)** أي فقتلوا الأنبياء أول النهار والعباد آخره. قوله: **(أعلمهم)** أشار بذلك إلى أن في الكلام استعارة تبعية حيث شبه الاعلام بالعذاب بالبشارة، واستعير اسم المشبه به للمشبه، واشتق من البشارة بشرهم بمعنى أعلمهم بالعذاب، والجامع الانتقال من حال لأخرى في كل. قوله: **(وذكر البشارة تهكم)** أي لأن البشارة هي الخبر السار، والنذارة الخبر الضار، فكأنه يقول هو لا يتخلف، كما أن الوعد بالخير لا يتخلف. قوله: **(لشبه اسمها الموصول)** أي وهو في الأصل كان مبتدأ متى وقع اسم موصول، ولو منسوخاً قرن خبره بالفاء. قوله: **(كصدقة وصلة رحم)** إن قلت إن مثل هذا العمل لا يتوقف على الإسلام لعدم توقفه على النية فينتفع به الكافر فلا يتم، قول المفسر فلا اعتداد بها لعدم شرطها، فلعل ذلك محمول على جماعة مخصوصين باشروا قتل الأنبياء وعاندوهم، وإلا فصدقة الكافر وصلة رحمه تنفعه في الدنيا بتوسعتها عليه مثلاً لا غير، ولا ينتفع بها في الآخرة إجماعاً لأن محل الجزاء الجنة وهو عنها بمعزل، لأنه ليس له في الآخرة إلا النار.

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ الخطاب للنبي أو لكل من يتأتى منه النظر. قوله: ﴿إِلَى كِتَابِ اللهِ﴾ أي التوراة. قوله: **(في اليهود)** أي يهود خيبر. قوله: **(زنى منهم اثنان)** أي من أشرافهم ثم سألوا أحبارهم فأخبروهم بأن التوراة نصت على رجمهم، ولكن أخذتهم الشفقة عليهم لكونهم من أشرافهم فتحاكموا إلى النبي ﷺ لعله أن يوجد في دينه فرج لهم، فقال لهم النبي حكم ديني رجمكم، والذي أعلمه أن في التوراة كذلك، فقال بعضهم جرت علينا يا محمد فقال هلموا إليّ بأعلمكم بالتوراة، فقالوا عبدالله بن صوريا وكان بفدك، فأتى به فسأله النبي عن حكم الزاني والزانية في التوراة، فقال ائتوني بالتوراة، فقرأ منها على النبي ﷺ حتى وصل آية الرجم فوضع يده عليها وقرأ ما بعدها، وكان عبدالله بن سلام حاضراً إذ ذاك، وكان من أحبارهم قبل الإسلام، فقال يا رسول الله إن الرجل أخفى آية الرجم وقرأ ما بعدها، فأمره النبي بأخذها منه فأخذها وقرأها فإذا فيها: إن المحصن والمحصنة إذا زنيا وقامت عليهما البينة رجماً، وإن كانت امرأة حبلى تربص بها حتى تضع ما في بطنها، فأمر ﷺ برجمها فغضبت اليهود لذلك. قوله: **(فوجد فيها)** أي الرجم.

بسبب قولهم ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ أربعين يوماً مدة عبادة آبائهم العجل ثم تزول عنهم ﴿وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم﴾ متعلق بقوله ﴿مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ من قولهم ذلك ﴿فَكَيْفَ﴾ حالهم ﴿إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ﴾ أي في يوم ﴿لَّا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ﴾ هو يوم القيامة ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ من أهل الكتاب وغيرهم جزاء ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ عملت من خير وشر ﴿وَهُمْ﴾ أي الناس ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ بنقص حسنة أو زيادة سيئة، ونزل لما وعد ﷺ أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون هيهات ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ﴾ يا الله ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى﴾ تعطي ﴿ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ من خلقك

قوله: ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ أي بسبب قولهم ذلك فهونوا على أنفسهم جميع الموبقات من قتل الأنبياء وعصيانهم وغير ذلك. قوله: (من قولهم ذلك) أي وهو لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات. قوله: ﴿فَكَيْفَ﴾ (حالهم) رد لقولهم المذكور وإبطال لما غرهم باستعظام ما سيقع لهم من الأهوال، ويجوز أن يكون كيف خبراً مقدماً والمبتدأ محذوف، قدره المفسر بقوله: (حالهم). وقوله: ﴿إِذَا جَمَعْنَاهُمْ﴾ ظرف غير مضمن معنى الشرط منصوب على الظرفية والعامل فيه متعلق الخبر. قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي في مجيئه ووقوع ما فيه.

قوله: ﴿وَهُمْ﴾ (أي الناس) فيه إشارة إلى أنه ذكر ضميرهم، وجمعه باعتبار معنى كل نفس. قوله: (ونزل لما وعد) وذلك أنه حين تحزبت عليه الأحزاب سنة خمس من الهجرة حتى تجمع عليه عشر آلاف مقاتل، وكان المسلمون إذ ذاك نحو الألفين معه بالمدينة، فأشاروا عليه بحفر الخندق فجعل على كل عشرة أربعين ذراعاً، فبينما هم في ذلك، إذ ظهرت لهم صخرة عظيمة لا تعمل فيها المعاول، فكرب من كانت في قسمته، فاستجاروا برسول الله، فأخذ ﷺ المعول من سلمان الفارسي وضرب الصخرة أول مرة فخرج منها نور فملأ ما بين لابتي المدينة، فقال أضاء منها قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب، والحيرة بكسر الحاء المهملة وسكون الياء مدينة بقرب الكوفة، وتمثيله القصور بأنياب الكلاب لشبهها لها في البياض وانضمام بعضها لبعض مع الإشارة إلى تحقيرها، ثم ضرب الثانية وقال: أضاء لي منها قصور الروم، ثم ضرب الثالثة وقال: أضاء لي منها قصور صنعاء اليمن، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة على كلها فابشروا، فقال المنافقون ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم بالباطل ويخبركم أنه يبصر ما ذكر، وأنها تفتح لكم، وأنتم إنما تحفرون الخندق من شدة الخوف ولا تستطيعون البروز، فنزلت الآية، وكسر الصخرة في الثلاث ضربات من عزمه وقوته البشرية، وإلا لو كان معجزة لأشار لها فقط، وروي في فضل تلك الآية أحاديث لا تحصى، منها ما روي أن الله لما أمر فاتحة الكتاب وآية الكرسي وشهد الله وقل اللهم مالك الملك بالنزول إلى الأرض، قالوا يا ربنا لا تهبطنا دار الذنوب وإلى من يعصيك، فقال تعالى وعزتي وجلالي ما يقرؤكن عبد عقب كل صلاة إلا أسكنته حظيرة القدس على ما كان منه، وإلا نظرت له بعيني المكنونة في اليوم والليلة سبعين مرة، وإلا قضيت له في اليوم والليلة سبعين حاجة أدناها المغفرة، وإلا أعذته من عدوه بنصرته عليه ولا يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت. قوله: (يا الله) أشار بذلك إلى أن الميم معوضة عن ياء النداء، فهو مبني على الضم في محل نصب. والميم عوض عن ياء النداء، وذلك من جملة ما خص به لفظ الجلالة ومن جملتها اجتماع يا وأل.

قوله: ﴿مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ يصح أن يكون بدلاً أو عطف بيان أو نعتاً لمحل اللهم أو منادى حذفت منه

﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ بإيتائه ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ بنزعه منه ﴿بِيَدِكَ﴾ بقدرتك ﴿ٱلْخَيْرُ﴾ أي والشر ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ٢٦﴾ ﴿تُولِجُ﴾ تدخل ﴿ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ﴾ تدخله ﴿فِى ٱلَّيْلِ﴾ فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ كالإنسان والطائر من النطفة والبيضة ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ﴾ كالنطفة والبيضة ﴿مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٢٧﴾ أي رزقاً واسعاً ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ يوالونهم ﴿مِن دُونِ﴾ أي غير ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي يوالهم ﴿فَلَيْسَ مِنَ﴾ دين ﴿ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن

يا النداء، والملك هو من العرش للفرش، وفي بعض الكتب أنا الله ملك الملوك ومالك الملك، قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فإن العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة، وإن هم عصوني جعلتهم عليهم عقوبة، فلا تشتغلوا بسب الملوك، ولكن توبوا إليّ أعطفهم عليكم. وقله: **﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾** إما صفة لمالك الملك أو استئناف بياني، دليل لكونه مالك الملك، وقوله: **(من تشاء)** أي كمحمد وأصحابه. قوله: **(بإيتائه)** أي الملك. قوله: **(بنزعه منه)** أي بنزع الملك من فارس والروم وغيرهما. قوله: **(بقدرتك)** هذا تأويل الخلف، وأما السلف فيؤمنون بذلك ويفوضون علم ذلك لله قوله: **(أي والشر)** أشار بذلك إلى أن فيه اكتفاء، وإنما اقتصر على الخير لأن الآية مسوقة في الخير بدليل سبب نزولها وإن كان لفظها عاماً، أو يقال إنما اقتصر على الخير لأنه صنعه، وأما الشر فبالنظر للمنعكس عليه قال بعض العارفين:

إذا ما رأيت الله في الكل فاعلاً ... رأيت جميع الكائنات ملاحاً
وإن لم تر إلا مظاهر صنعه ... حجبت فصيرت الحسان قباحاً

ففعل الله كله خير لأن أفعاله دائرة بين الفضل والعدل، ولا ينسب له الشر أصلاً، وإنما ينسب الشر للمخالف، وليس لمولانا حاكم يخالفه فيما أمره به بل هو الفعال لما يريد. قوله: **﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**دليل لما تقدم. قوله: **(فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر)** أي بقدر ما نقص ساعة بساعة ودرجة بدرجة. قوله: **(كالإنسان والطائر الخ)** ويصح أن يراد بالحي المسلم وبالميت الكافر قوله: **(من النطفة والبيضة)** لف ونشر مرتب. قوله: **﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** أي ومن غير توقف على عمل، وإلا فلو توقف رزقه على عمل منا لما أعطانا شيئاً أبداً، بل لم يبق لنا نعمه التي هي موجودة فينا، كالسمع والبصر والكلام واليدين والرجلين وغير ذلك، فسبحان الحليم الذي لا يعجل بالعقوبة على من عصاه.

قوله: **﴿لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾** قيل نزلت في عبدالله بن أبي بن سلول، كان منافقاً يخفي الكفر ويحب أهله ويواليهم باطناً، وكان بصحبته على هذه الخصلة ثلثمائة، وكانوا يحبون ظفر الأعداء برسول الله وأصحابه، وإنما كانوا يظهرون الإسلام فقط، فمعنى الآية أن من علامة الإيمان عدم موالاة أهل الكفر، قال تعالى: (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) الآية، وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة) قوله: **﴿أَوْلِيَاءَ﴾** أي أصدقاء وقوله: **(يوالونهم)** أي يحبونهم ويميلون إليهم. قوله: **﴿مِنْ دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾** في محل الحال من الفاعل، أي حال كون المؤمنين متجاوزين بموالاتهم المؤمنين أي تاركين قصر الولاية عليهم، وذلك الترك يصدق بصورتين، كونها مشتركة بين الكفار والمؤمنين، أو مختصة بالكفار، فالصورتان داخلتان في منطوق النهي، وإنما

﴿تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ مصدر تقيته أي تخافوا مخافة فلكم موالاتهم باللسان دون القلب وهذا قبل عزة الإسلام ويجري فيمن في بلد ليس قوياً فيها ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ﴾ يخوفكم ﴿ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ أن يغضب عليكم إن واليتموهم ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ ﴿٢٨﴾ المرجع فيجازيكم ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِن تُخْفُواْ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾ قلوبكم من موالاتهم ﴿أَوْ تُبْدُوهُ﴾ تظهروه ﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَ﴾ هو ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢٩﴾ ومنه تعذيب من والاهم اذكر ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ ـه ﴿مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ﴾ ـه ﴿مِن سُوٓءٍ﴾ مبتدأ خبره ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ غاية في نهاية البعد فلا يصل إليها ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ كرر للتأكيد ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ

الواجب على المؤمنين قصر الموالاة والمحبة على بعضهم.

قوله: ﴿فَلَيْسَ مِنَ﴾ الكلام على حذف مضاف، قدره المفسر بقوله دين وفيه حذف مضاف أيضاً أي من أهل دين الله، فالمعنى أنه كافر، وإذا اطلعنا عليه فلا نبقيه بل نقتله، ويسمى زنديقاً ومنافقاً، واسم ليس ضمير يعود على من الشرطية. قوله: ﴿إلَّا أَنْ تَتَّقُوا﴾ هذا استثناء مفرغ من عموم الأحوال، أي لا يتخذ المؤمن الكافر ولياً لشيء من الأشياء، ولا لغرض من الأغراض إلا للتقية ظاهراً بحيث يكون مواليه في الظاهر ومعاديه في الباطن. ومحصله أن الله نهى المؤمنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم، إلا أن يكون الكفار غالبين ظاهرين، أو يكون المؤمن في قوم كفار فيداهنهم بلسانه مطمئناً قلبه بالإيمان، فالتقية لا تكون إلا مع الخوف على النفس أو العرض. قوله: ﴿تَقَاةً﴾ وزنه فعلة ويجمع على تقى كرطبة ورطب، وأصله وقية لأنه من الوقاية، فأبدلت الواو تاء والياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، وقوله: من **(تقيته)** بفتح القاف بوزن رميته وهو بمعنى اتقيته. قوله: **(دون القلب)** أي فالموالاة به حرام إجماعاً. قوله: **(وهذا)** أي قوله إلا أن تتقوا. قوله: (**ليس قوياً فيها**) أي الإسلام ليس قوياً في تلك البلدة، كأن يجعل أمراء تلك البلدة الحكام من أهل الكفر، فالواجب مداراتهم ظاهراً حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً، كما وقع لرسول الله ﷺ أنه كان في داره يوماً، إذ أقبل عليه رجل فطرق الباب فقال من؟ فقال فلان فقال سراً: بئس أخو العشيرة، ثم لما خرج إليه أطلق له وجهه وصار يلاطفه بالقول، فلما انصرف قالت له عائشة: رأيت منك عجباً، سمعتك تقول قولاً ثم فعلت خلافه، فقال: يا عائشة إنا لنبش في وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم.

قوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ﴾ الكاف مفعول أول، ونفسه مفعول ثان، وهو على حذف مضاف أشار له المفسر بقوله أن يغضب عليكم، والأصل غضبت نفسه، أي فإن واليتموهم غضب الله بجلاله عليكم. قوله: **(فيجازيكم)** أي إما بالثواب إن لم توالوهم أو بالعقاب إن واليتموهم. قوله: ﴿يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ أي فيرتب الجزاء على ذلك. قوله: ﴿يَوْمَ تَجِدُ﴾ ظرف لمحذوف أي ذكر. قوله: ﴿مُحْضَراً﴾ أي حاضراً ظاهراً تفرح به، وذلك كالصدقات والصيام والصلاة مثلاً. قوله: ﴿أَمَداً بَعِيداً﴾ أي مسافة طويلة فيتمنى أن لم يكن رآه، وقد ورد أن العبد إذا خرج من قبره وجد عمله الصالح في صورة حسنة، فيقول له طالما كنت أقلقك في الدنيا فاركب على ظهري الآن فيركبه إلى الحشر، وذلك قوله تعالى: (ونحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) وإذا كان غير صالح وجد عمله السيء في صورة قبيحة، فيقول له طالما كنت تتمتع بي في

بِٱلۡعِبَادِ ﴾ ﴿٣٠﴾ ونزل لما قالوا ما نعبد الأصنام إلا حباً لله ليقربونا إليه ﴿قُلۡ﴾ لهم يا محمد ﴿إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ بمعنى أنه يثيبكم ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾ لمن اتبعني ما سلف منه قبل ذلك ﴿رَّحِيمٞ﴾ ﴿٣١﴾ به ﴿قُلۡ﴾ لهم ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ﴾ فيما يأمركم به من التوحيد ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ أعرضوا عن الطاعة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ ﴿٣٢﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمر أي لا يحبهم بمعنى أنه يعاقبهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ﴾ اختار ﴿ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ

الدنيا فأنا أركبك الآن، وذلك قوله تعالى: (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم) ولو شرطية، في الكلام حذفان أحدهما حذف مفعول تود، والثاني حذف جواب لو، والتقدير تود تباعداً ما بينها وبينه، لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً لسرت بذلك.

قوله: ﴿وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ أي شديد الرحمة بهم، حيث قطع عذرهم بتبيين ذلك في زمن يسع التوبة والرجوع إليه فيه. ومن جملة رأفته كثرة التكرار والتأكيد في الكلام لعله يصل إلى قلوب السامعين فيعملوا بمقتضاه. قوله: (ونزل لما قالوا الخ) وقيل سبب نزولها قول اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه. وقيل قول نصارى نجران ما عبدنا عيسى وأمه إلا محبة لله. وقيل سبب نزولها أن النبي دخل الكعبة فوجد الكفار يعلقون على الأصنام بيض النعام ويزخرفونها فقال لهم ما هذه ملة إبراهيم التي تدعونها، فقالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى. قوله: ﴿قُلْ﴾ (لهم يا محمد) أي رداً لمقالهم. قوله: ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ أي في جميع ما جئت به، والمعنى أن اتباع النبي فيما جاء به دليل على محبة الإنسان لربه، وهي ميل القلب نحوه وإيثار طاعته على هوى نفسه فيلزم من المحبة الطاعة، قال بعض العارفين:

لو قال تيهاً قف على جمر الغضا ... لوقفت ممتثلاً ولم أتوقف

وقال بعضهم:

تعصي الاله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

فمن ادعى المحبة من غير طاعة فدعواه باطلة لا تقبل. قوله: (بمعنى أنه يثيبكم) أشار بذلك إلى أن معنى المحبة الأصلي محال في حقه تعالى، وأن المراد بمحبة الله للعبد قبوله والإثابة على أعماله. قوله: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ أي يمحها من الصحف، فالمحبوب لا يبقى عليه ذنب، والمبغوض لا تبقى له طاعة، قال بعض العارفين: واجعل سيئاتنا سيئات من أحببت، ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت، فالإحسان لا ينفع مع البغض منك، والإساءة لا تضر مع الحب منك. قوله: ﴿رَحِيمٌ بِهِ﴾ أي في الدنيا والآخرة. قوله: (من التوحيد) أي وغيره من شرائع الدين قوله: (أعرضوا عن الطاعة) أي فلم يتبعوك فيما أمرت به. قوله: (فيه إقامة الظاهر) أي تبكيتاً لهم.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ﴾ قال ابن عباس: قالت اليهود نحن من أبناء إبراهيم وإسحاق ويعقوب ونحن على دينهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، والمعنى إن الله اصطفى هؤلاء بالإسلام والنبوة والرسالة، وأنتم يا معشر اليهود على غير دينهم، وعاش آدم في الأرض تسعمائة وستين سنة، وأما مدة إقامته في الجنة فلا تحسب. قوله: ﴿وَنُوحاً﴾ هذا لقبه، واسمه الأصلي عبد الغفار، وقيل السكن، ولقب

﴿وَءَالَ عِمْرَانَ﴾ بمعنى أنفسهما ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ بجعل الأنبياء من نسلهم ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعْضُهَا مِنۢ﴾ ولد ﴿بَعْضٍۗ﴾ منهم ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٣٤﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾ حنة لما أسنت واشتاقت للولد فدعت الله وأحست بالحمل يا ﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ﴾ أن أجعل ﴿لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾ عتيقاً خالصاً من شواغل الدنيا لخدمة بيتك المقدس ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ الدعاء ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ ﴿٣٥﴾ بالنيات، وهلك عمران وهي حامل ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ ولدتها جارية وكانت ترجو أن يكون غلاماً إذ لم يكن يحرر إلا الغلمان ﴿قَالَتْ﴾ متعذرة يا ﴿رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ

بنوح لكثرة نوحه، وهو من نسل إدريس لأنه ابن لمك بن متوشلخ بن إدريس عليهم الصلاة والسلام، وعمر ألف سنة وخمسين، والمعنى اختياره بالنبوة والرسالة وجعله من أولي العزم. قوله: **﴿وَآلَ إِبْرَاهِيمَ﴾** أي اصطفاه بالنبوة والرسالة والخلة، وعمر إبراهيم مائة وسبعين سنة. قوله: **﴿وَآلَ عِمْرَانَ﴾** قيل المراد عمران أبو مريم وهو الأقرب، وقيل أبو موسى وهارون، وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة. قوله: **(بمعنى أنفسهما)** وقيل إنهما حقيقة، فآل إبراهيم أولاده، وآل عمران أبو مريم مريم وابنها، وأبو موسى موسى هارون. قوله: **﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾** المراد عالمو زمانهم.

قوله: **﴿ذُرِّيَّةً﴾** بدل من آدم وما عطف عليه، وهي إما مأخوذة من الذر أو من الذرء بمعنى الخلق. قوله: **﴿بَعْضُهَا مِنْ﴾ (ولد) ﴿بَعْضٍ﴾** أي متناسلين من بعض، فالمراد البعضية في النسب، وقيل المراد بعضها من بعض في الصلاح والنبوة والرسالة، فكما أن الأصول أنبياء ورسل كذلك الذرية، بل في بعضها ما يفوق الأصول جميعها كسيدنا محمد ﷺ.

قوله: **﴿إِذْ قَالَتِ﴾** ظرف في محل نصب على المفعولية لمحذوف، قدره المفسر بقوله: **(اذكر)** والتقدير أذكر يا محمد وقت قول امرأة عمران، والمقصود ذكر القصة الواقعة في ذلك الوقت لا ذكر الوقت نفسه. قوله: **(حنة)** أي بنت فاقود، وكان لها أخت تسمى إشاع بنت فاقود أيضاً متزوجة بزكريا عليه السلام، وكان عمران من السادات الصالحين، وكان له التكلم على سدنة بيت المقدس، واسم أبيه ماثان قوله: **(واشتاقت للولد)** سبب ذلك أنها كانت يوماً جالسة في ظل الشجرة، فرأت طائراً يطعم فرخه ويسقيه، فعطفت واشتاقت للولد من أجل رؤية ذلك الطائر، فدعت الله أن يرزقها ولداً ونذرت أن تهبه لبيت المقدس يخدمه، وكان ما من رجل من أشراف بيت المقدس إلا وله ولد منذور لخدمته، فاستجاب الله دعاءها فحملت، فلما أحست بالحمل جددت النذر ثانياً بقولها: (رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً) فلامها زوجها على ذلك حيث أطلقت في نذرها ولم تقيده بالذكر، فبقيت في حيرة وكرب إلى أن وضعت، فلما وضعتها ورأتها أنثى اعتذرت إلى الله إلى آخر ما يأتي. قوله: **(عتيقاً خالصاً من شواغل الدنيا)** أي وكانوا يفعلون ذلك بالصبيان إلى أن يبلغوا الحلم، فإذا بلغوا عرضوا ذلك الأمر عليهم، فإن اختاروا الخدمة مكثوا وكلفوا بها ولا يخرجون لشيء من شواغل الدنيا، وإن اختاروا عدم الخدمة أجيبوا لذلك. قوله: **(وهلك عمران وهي حامل)** أي وحين نذرت ذلك النذر لامها فكربت ثم لما وضعتها الخ فهو مرتب محذوف. قوله: **(جارية)** حال من الهاء في ولدتها.

قوله: **﴿قَالَتْ﴾ (معتذرة)** حال من فاعل قالت لا إعلاماً له تعالى فإنه لا يليق ذلك، فإنه عالم بها

﴿أَعْلَمُ﴾ أي عالم ﴿بِمَا وَضَعَتْ﴾ جملة اعتراض من كلامه تعالى وفي قراءة بضم التاء ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ﴾ الذي طلبت ﴿كَالْأُنثَىٰ﴾ التي وهبت لأنه يقصد للخدمة وهي لا تصلح لها لضعفها وعورتها وما يعتريها من الحيض ونحوه ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا﴾ أولادها ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ﴿٣٦﴾ المطرود في الحديث ما من مولود يولد إلا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً إلا مريم وابنها رواه الشيخان ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ أي قبل مريم من أمها ﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ أنشأها بخلق حسن فكانت تنبت في اليوم كما ينبت المولود في العام وأتت بها أنها لأحبار سدنة بيت المقدس فقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لأنها بنت إمامهم

من قبل أن تعلم بها هي. قوله: ﴿أُنثَىٰ﴾ حال من الضمير في وضعتها مؤكدة له، ويحتمل أن تكون مؤسسة بالنظر لعوده على النسمة الشاملة للذكر والأنثى. قوله: **(جملة اعتراض)** أي بين كلامي حنة تفخيماً وتعظيماً لشأن ذلك المولود. قوله: **(وفي قراءة)** أي سبعية. قوله: **(بضم التاء)** أي ويكون ذلك من كلامها اعتذاراً. قوله: **﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾** يحتمل أن يكون ذلك من كلام الله والمعنى ليس الذكر الذي طلبته كالأنثى التي أعطيتها لك، فإن ما وهبته لك أعظم مما طلبته لنفسك، فالقصد تفخيم شأنها، ويحتمل أن يكون من كلام حنة ويكون في الكلام قلب، والمعنى ليست الأنثى التي وهبت لي كالذكر الذي طلبته، فالذكر أعظم من حيث قوته على الخدمة وخلوه من القذارة كالحيض والنفاس، فيكون اعتذاراً واقعاً منها. قوله: **(ونحوه)** أي كالنفاس.

قوله: **﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا﴾** معطوف على إني وضعتها أنثى، ويكون ما بينهما اعتراض على أنه من كلام الله، وأما على أنه من كلامها فتكون من جملة مقولها. قوله: **﴿مَرْيَمَ﴾** معناه بلغتهم العابدة خادمة الرب. قوله: **﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا﴾** أي أحصنها وأجيرها. قوله: **(أولادها)** أي ولم تلد إلا عيسى. قوله: **﴿الرَّجِيمِ﴾** فعيل بمعنى مفعول أي مطرود كما قال المفسر، أو مرجوم بالشهب من السماء. قوله: **(إلا مسه الشيطان)** أي نخسه في جنبه وظاهره حتى الأنبياء وهو كذلك. إن قلت الأنبياء معصومون من الشيطان فلا سبيل له عليهم، أجيب بأنهم معصومون من وسوسته وإغوائه لا من نخسه في أجسامهم، فإن ذلك لا يقدح في عصمتهم منه. إن قلت إن موضوع الآية أن دعوة أم مريم كانت بعد وضعها وتسميتها، فلم تنفع مريم من نخس الشيطان، وإنما نفعت ولدها فقط، فلم تحصل مطابقة بين الآية والحديث إلا أن يقال إن حفظها من نخس الشيطان كان واقعاً، وإن لم تدع حنة فدعوتها طابقت ما أراده الله بها، ومع ذلك فالمناسب للمفسر أن لا يأتي بالحديث تفسيراً للآية، وقد ورد أن الشيطان نخسها أيضاً إلا أنه صادف الغشاء.

قوله: **﴿فَتَقَبَّلَهَا﴾** أي رضي بها خادمة لبيت المقدس، وخلصها من دنس الأطفال والنساء. قوله: **﴿بِقَبُولٍ﴾** يحتمل أن الباء زائدة أي قبولاً، ويكون منصوباً على المصدر المحذوف الزوائد، وإلا لقيل تقبلاً أو تقبيلاً، ويحتمل أنها أصلية، والمراد بالقبول اسم لما يقبل به الشيء كالوجور والسعوط. قوله: **(كما ينبت المولود في العام)** أي في العقل والمعرفة، وإلا فالكلام من قبيل المبالغة. قوله: **(سدنة بيت المقدس)** أي خدمته. قوله: **(هذه النذيرة)** أي المنذورة. قوله: **(لأنها بنت إمامهم)** أي رئيسهم وأميرهم. قوله:

فقال زكريا أنا أحق بها لأن خالتها عندي فقالوا لا حتى نقترع فانطلقوا وهم تسعة وعشرون إلى نهر الأردن وألقوا أقلامهم على أن من ثبت قلمه في الماء وصعد فهو أولى بها فثبت قلم زكريا فأخذها وبنى لها غرفة في المسجد بسلم لا يصعد إليها غيره وكان يأتيها بأكلها وشربها ودهنها فيجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف، كما قال تعالى ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ ضمها إليه وفي قراءة بالتشديد ونصب زكريا ممدوداً أو مقصوراً والفاعل الله ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ الغرفة وهي أشرف المجالس ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى﴾ من أين ﴿لَكِ هَذَا قَالَتْ﴾ وهي صغيرة ﴿هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ يأتيني به من الجنة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ﴿٣٧﴾ رزقاً واسعاً بلا تبعة ﴿هُنَالِكَ﴾ أي لما رأى زكريا ذلك وعلم أن القادر على الإتيان بالشيء في غير حينه قادر على الإتيان بالولد على الكبر وكان أهل بيته انقرضوا ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ لما دخل المحراب للصلاة جوف الليل ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ﴾ من عندك ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ ولداً

(لأن خالتها عندي) ورد أنهم قالوا لو كانت القرابة مقتضية لأخذها لكانت أمها أولى. قوله: **(إلى نهر الأردن)** أي وهو نهر يجري إلى الآن. قوله: **(وألقوا أقلامهم)** قيل سهامهم، وقيل التي كانوا يكتبون بها التوراة، وقيل اقلامهم من حديد. قوله: **(وصعد)** أي على وجه الماء، أي من غرق قلمه أو ذهب مع الماء فلا حق له فيها. قوله: **(بأكلها)** بضم الهمزة فيه وفيما بعده بمعنى الشيء المأكول والمشروب والذي يدهن به. قوله **(ممدوداً أو مقصوراً)** راجع لقراءة التشديد لا غير، وأما التخفيف فليس فيه إلا المد مع رفعه على الفاعلية. قوله: **(والفاعل الله)** أي بالنسبة للتشديد.

قوله: **﴿كلما دخل عليها زكريا﴾** أي في وقت دخل عليها فيه وجد الخ، وزكريا بالمد والقصر قراءتان سبعيتان. قوله: **﴿الْمِحْرَابَ﴾** هو اسم لكل محل من محال العبادة فسميت الغرفة بذلك لأنها في المسجد وهو محل العبادة. قوله: **﴿وَجَدَ عِنْدَهَا﴾** حال من زكريا، التقدير قائلاً: **﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾** حال كونه واجداً عندها رزقاً يا مريم الخ، ورزقاً مفعول لقوله وجد ووجد بمعنى أصاب. قوله: **(وهي صغيرة)** أي فهي من جملة من تكلم في المهد. قوله: **(بلا تبعة)** أي حق عليه، فليس اعطاؤه الرزق لحق العباد، بل هو من محض فضله وجوده.

قوله: **﴿هُنَالِكَ﴾** أصلها ظرف مكان لكن استعملت هنا ظرف زمان، ويحتمل أن تكون ظرف مكان معنوي، والمعنى عند تلك الواقعة دعا زكريا الخ وهو كلام مستأنف وقصة مستقلة سيقت في اثناء قصة مريم لما بينهما من قوة الارتباط، لأن فضل بعض الأقارب يدل على فضل الآخر وهو حكمة قوله تعالى: (ذرية بعضها من بعض). قوله: **(لما رأى ذلك زكريا)** أي ما تقدم من قصة حنة حيث دعت الله أن يرزقها بولد مع يأسها وكبر سنها، فأجابها الله مع كونها لم تكن نبية، واعطاها مريم وجعلها افضل من الذكور، وصار يأتيها رزقها من الجنة، واكرمها اكراماً عظيماً، فكان ذلك الأمر العجيب باعثاً له على طلب الولد. قوله: **(وعلم)** أي تنبه واستحضر عند مشاهدة تلك الخوارق للعادة على حد: (ولكن ليطمئن قلبي) فشهود الكرامات تزيد في اليقين والكامل يقبل الكمال. قوله: **(على الكبر)** أي منه ومن زوجته، قيل كان وقت الدعاء عمره ثمانون سنة، وعمرها ثمان وخمسون، وبين الدعاء والإجابة أربعون سنة. قوله: **(وكان أهل بيته)** أي أقاربه. قوله: **(لما دخل المحراب)** أي المسجد.

صالحاً ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ﴾ مجيب ﴿ٱلدُّعَآءِ ۝٣٨﴾ ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي جبريل ﴿وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ﴾ أي المسجد ﴿أَنَّ﴾ أي بأن وفي قراءة بالكسر بتقدير القول ﴿ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ مثقلاً ومخففاً ﴿بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ﴾ كائنة ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي بعيسى أنه روح وسمي كلمة لأنه خلق بكلمة كن ﴿وَسَيِّدًا﴾ متبوعاً ﴿وَحَصُورًا﴾ ممنوعاً من النساء ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٣٩﴾ روي أنه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ ولد ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ أي بلغت نهاية السن مائة وعشرين سنة ﴿وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ بلغت ثمانية وتسعين سنة ﴿قَالَ﴾ الأمر ﴿كَذَٰلِكَ﴾

قوله: ﴿ذُرِّيَّةً﴾ الذرية تطلق على المفرد والجمع، فلذا قال المفسر ولداً صالحاً. قوله: ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ﴾ ليس المراد به الاسم بل المراد المجيب أي سميع سماع إجابة كما قال المفسر. قوله: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَائِكَةُ﴾ أي بعد مضي أربعين سنة من دعوته. قوله: **(أي جبريل)** أي فهو من تسمية الخاص باسم العام تعظيماً له. قوله: ﴿وَهُوَ قَائِمٌ﴾ جملة حالية من الهاء في نادته، وجملة يصلي إما خبر ثان أو حال ثانية أو صفة لقائم، وقوله: ﴿فِي ٱلْمِحْرَابِ﴾ متعلق بيصلي أو بقائم. قوله: **(أي بأن)** أي فهو بدل من نادته. قوله: **(بتقدير القول)** أي استئناف تقديره قائلين إن الله يبشرك الخ. قوله: **(مثقلاً ومخففاً أي فهما** قراءتان سبعيتان مع فتح همزة إن وكسرها فهما أربع، فالمثقل بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين المشددة، والمخفف بفتح الياء وسكون الباء وضم الشين المخففة.

قوله: ﴿بِيَحْيَىٰ﴾ قيل إنه منقول من الفعل فيكون ممنوعاً من الصرف للعلمية ووزن الفعل ويكون عربياً، وسمي بذلك لأنه يحيي القلوب الميتة، وقيل أعجمي فيكون ممنوعاً من الصرف للعلمية والعجمة، ويجمع في حالة الرفع على يحيون، وفي حال النصب على يحيين، وتثنيته في حالة الرفع بحيان، وفي النصب والجر يحيين. قوله: ﴿مُصَدِّقاً﴾ هو وما بعده أحوال من يحيى. قوله: **(إنه روح الله)** أي سر نشأ من الله. قوله: **(لأنه خلقه بكلمة كن)** وقيل لأن الكلمة التي قالها لها الله وهي كذلك الله يخلق ما يشاء، وقيل لأنه الكلمة التي قالها الله لجبريل حيث أمره بالنفخ في جيبها. قوله: **(متبوعاً)** أي ما يقتدى به قيل إنه أعطي النبوة من حين الولادة. قوله: **(ممنوعاً من النساء)** أي اختياراً لشغله بربه وهذا هو المراد بالحصور هنا، وإلا فمعناه الممنوع من النساء مطلقاً سواء كان اضطراراً أو اختياراً.

قوله: ﴿وَنَبِيًّا مِنَ ٱلصَّالِحِينَ﴾ أي من كبار المرسلين القائمين بحقوقك وحقوق عبادك. قوله: **(روي أنه لم يعمل خطيئة الخ)** هذا لا يخصه بل كذلك غيره من الأنبياء. قوله: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ﴾ تستعمل أني شرطية كقول الشاعر:

فأصبحت أنى تأتها تستجر بها ... تجد حطباً جزلاً وناراً تأججا

وتستعمل اسم استفهام كما هنا فلذا فسرها بكيف ويكون ناقصة وغلام اسمها وخبرها أنى، التقدير رب يكون لي غلام علي أي حالة، فالاستفهام من أحوال الغلام لا عن ذاته. قوله: ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ هنا أسند البلوغ للكبر، وفيما يأتي في سورة مريم أسنده لنفسه، وكلاهما صحيح لأن البلوغ من الطرفين، والجملة حالية وكذا ما بعدها. قوله: **(أي بلغت نهاية السن)** أي بالنسبة لأهل زماني فلا ينافي أن المتقدمين كان الواحد منهم يعمر الألف.

من خلق الله غلاماً منكما ﴿ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ ﴿٤٠﴾ لا يعجزه عنه شيء ولإظهار هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال ليجاب بها ولما تاقت نفسه إلى سرعة المبشر به ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ﴾ أي علامة على حمل امرأتي ﴿قَالَ ءَايَتُكَ﴾ عليه ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾ أي تمتنع من كلامهم بخلاف ذكر الله تعالى ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ أي بلياليها ﴿إِلَّا رَمۡزٗاۗ﴾ إشارة ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ﴾ صل ﴿بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ ﴿٤١﴾ أواخر النهار وأوائله ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي جبريل ﴿يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ﴾ اختارك ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ من مسيس الرجال ﴿وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ﴿٤٢﴾ أي أهل زمانك ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ﴾ أطيعيه ﴿وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ

قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ خبر لمحذوف قدره بقوله: (الأمر) وقوله من خلق غلام بيان لمرجع اسم الإشارة، والكاف في كذلك يحتمل أن تكون صلة، والمعنى قال الله الأمر ذلك، واسم الإشارة راجع إلى خلق الولد، ويحتمل أن تكون اصلية، والمعنى قال الله الأمر كذلك أي كما قلت لا تغيير فيه ولا تبديل، فاسم الإشارة راجع إلى القول. قوله: (ألهمه السؤال) أي بقوله أنى يكون لي غلام. قوله: (ليجاب بها) علة للإلهام وقوله؛ (لإظهار) علة لقوله: (ليجاب) فهو علة مقدمة على معاولها. إن قلت: ما الحكمة في قوله في قصة زكريا الله يفعل ما يشاء، وفي قصة مريم الله يخلق ما يشاء؟ قلت: الحكمة أن خرق العادة في عيسى أعظم من يحيى، فإن عيسى لم يكن له أب مع كون أمه عذراء، وأما يحيى فأبواه موجودان وإن كان هناك مانع من الحمل، فعبر في جانب عيسى بالخلق الذي هو إنشاء واختراع دون الفعل. قوله: (ولما تاقت نفسه) أي اشتاقت.

قوله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَلْ لِي آيَةً﴾ أي لأزداد بها شكراً على ما أعطيتني وسروراً به. قوله: (وعلامة على حمل امرأتي) أي فإن الحمل في مبدئه خفي فطلب علامة على ظهور علوقها به. قوله: ﴿أَنْ لَا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ أي يأتيك مانع من الله يمنعك من الكلام بغير ذكر الله. قوله: (أي بلياليها) أخذ ذلك مما يأتي في سورة مريم جمعاً بين الموضعين والقصتين، ومن ذلك اختار بعض أكابر الصوفية أن الخلوة مع الرياضة لبلوغ المراد ثلاثة أيام بلياليها، يجعل ذكر الله فيها شعاره ودثاره ولا يتكلم فيها. قوله: ﴿إِلَّا رَمْزاً﴾استثناء منقطع على التحقيق، لأن الرمز لا يقال له كلام اصطلاحاً وإن كان كلاماً لغة، لكن ليس مراداً هنا. قوله: (إشارة) أي وكانت بسبابته اليمنى. قوله: (اواخر النهار) راجع للعشي وقوله: (واوائلة) راجع للأبكار فهو لف ونشر مرتب، وخص هذين الوقتين لفرضية الصلاة عليه فيهما.

قوله: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَائِكَةُ﴾ عطف على قوله إذ قالت امرأة عمران، والمناسبة بينهما ظاهرة، فإن تلك قصة الأم وهذه قصة البنت، وأما قصة زكريا فذكرت بينهما، لأن رؤية العجائب في الأولى هي الحاملة لزكريا على طلب الولد. قوله: (أي جبريل) أشار بذلك إلى أنه من باب تسمية الخاص باسم العام تعظيماً له. قوله: ﴿يَا مَرْيَمُ﴾ الحكمة في أن الله لم يذكر في القرآن امرأة باسمها إلا هي، الإشارة بطرف خفي إلى رد ما قاله الكفار من أنها زوجته، فإن العظيم على الهمة يأنف من ذكر اسم زوجته بين الناس: فكأن الله يقول لو كانت زوجة لي لما صرحت باسمها. قوله: (من مسيس الرجال) أي ومن الحيض والنفاس وكل قذر. قوله: (أي أهل زمانك) اشار بذلك إلى أن العالمين عام مخصوص بما عدا

﴿الرَّاكِعِينَ﴾ ﴿٤٣﴾ أي صلي مع المصلين ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور من أمر زكريا ومريم ﴿مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ﴾ أخبار ما غاب عنك ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ﴾ في الماء يقترعون ليظهر لهم ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ﴾ يربي ﴿مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ في كفالتها فتعرف ذلك فتخبر به وإنما عرفته من جهة الوحي، اذكر ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي جبريل ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ أي ولد ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ خاطبها بنسبته إليها

خديجة وفاطمة وعائشة، وهذه طريقة مرجوحة، والحق أن مريم أفضل النساء على الاطلاق ثم فاطمة ثم خديجة ثم عائشة، قال بعضهم في ذلك:

فضلى النسا بنت عمران ففاطمة ... خديجة ثم من قد برأ الله

وبالجملة فأفضل النساء خمسة: مريم وخديجة وفاطمة وعائشة وآسية بنت مزاحم زوجة فرعون وهي زوجة النبي ﷺ في الجنة وكذلك مريم. قوله: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي﴾ تكرار الخطاب باسمها يفيد ما قلنا أولاً من أنه اشار لرد ما قيل إنها زوجته. قوله: ﴿وَاسْجُدِي وَارْكَعِي﴾ قدم السجود لشرفه والواو لا تقتضي ترتيباً إن كانت صلاتهم كصلاتنا من تقديم الركوع على السجود، وإن كانت بالعكس فالأمر ظاهر. قوله: ﴿مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ لم يقل مع الراكعات، إما لدخول جمع المؤنث في المذكر بالتغليب، أو المعنى صلي كصلاة الرجال من حيث الخشية وعلو الهمة، لا كصلاة النساء من حيث التفريط وعدم الخشية. قوله: ﴿نُوحِيهِ﴾ أي المذكور فالضمير عائد على اسم الإشارة لأفراده. قوله: ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ﴾ أي وقت القائهم اقلامهم. قوله: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ هذا بمعنى ما قبله، والمعنى يختصمون قبل القاء الأقلام. قوله: (فتعرف ذلك الخ) مسبب عن النفي أي ما كنت حاضراً حتى تعرف ذلك وتخبر به، وإنما عرفته من جهة الوحي لا من جهة غيره، لأن بلده ليست بلد علم، ولم يجلس بين يدي معلم، ولم يقرأ كتاباً، ولم يكن هو ولا أحد من اجداده حاضراً وقت حصول تلك الوقائع، فتعين أن يكون ذلك بوحي من الله، قال العارف:

كفاك بالعلم في الأمي معجزة ... في الجاهلية والتأديب في اليتم

قوله: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾ قدر المفسر اذكر إشارة إلى أن إذ ظرف معمول لمحذوف، وهذا شروع في ذكر قصة عيسى وما فيها من العجائب. قوله: (أي جبريل) أي فهو من باب تسمية الخاص باسم العام. قوله: ﴿يُبَشِّرُكِ﴾ البشارة هي الخبر السار وضدها النذارة وهي الخبر الضار. قوله: ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ أي الله. قوله: (أي ولد) أي مولود وعبر عنه بالكلمة لأنه يقول كن من غير واسطة مادة، واتفق أن نصرانياً قدم على الرشيد فوجد عنده الحسن بن علي الواقدي، فقال النصراني للخليفة والعالم: إن في كلام الله آية تدل على أن عيسى جزء من الله، فقال له: وما تلك الآية؟ فقال النصراني: (إن الله يبشرك بكلمة منه) فمن للتبعيض، فمقتضى ذلك أنه جزء منه، فقال الشيخ: إذا كانت من للتبعيض هنا فكذلك هي في قوله تعالى: (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه) إذ لا فرق بينهما، فبهت النصراني واسلم، واغدق الخليفة على الشيخ اغداقاً عظيماً وكان يوماً مشهوداً، وإنما من للابتداء على حد إن الله خلق نور نبيك من نوره، والمعنى خلقه بلا واسطة مادة. وأعلم أن تلك البشارة تضمنت خمسة عشر وصفاً.

تنبيهاً على أنها تلده بلا أب إذ عادة الرجال نسبتهم إلى آبائهم ﴿وَجِيهًا﴾ ذا جاه ﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾ بالنبوة ﴿وَٱلْأَخِرَةِ﴾ بالشفاعة والدرجات العلا ﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ عند الله ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ﴾ أي طفلاً قبل وقت الكلام ﴿وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ بتزوج ولا غيره ﴿قَالَ﴾ الأمر ﴿كَذَٰلِكِ﴾ من خلق ولد منك بلا أب ﴿ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ أراد خلقه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ ﴿٤٧﴾ أي فهو يكون ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ بالنون والياء ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ الخط ﴿وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿وَ﴾ نجعله ﴿رَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ في الصبا أو بعد البلوغ فنفخ جبريل في جيب درعها فحملت وكان من

قوله: ﴿ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ ظاهره أن هذه الأشياء كلها جعلت اسماً واحداً له، مع أن المسيح لقبه وابن مريم كنيته، وإنما الاسم عيسى فقط، ويجاب بأنه لما كان لا يتميز إلا بهذه الأشياء كلها جلعت اسماً واحداً، والمسيح فعيل إما بمعنى فاعل لأنه ما مسح على ذي عاهة إلا برىء، أو لأنه كان يمسح الأرض في الزمن القليل لهداية الخلق، أو مفعول لأنه ممسوح بالبركة أو ممسوح القدم بمعنى أنها لا أخمص لها، وأما الدجال فيلقب بالمسيح إما لأنه يمسح الأرض في الزمن القليل لإضلال الناس، أو لأنه ممسوح العين، فهو من تسمية الأضداد ومن الأسماء المشتركة، وعيسى من العيس وهو البياض المشرب بحمرة لأن لونه كان كذلك، قوله: **(إذ عادة الرجال)** أي والنساء.

قوله: ﴿**وَجِيهاً**﴾ حال من المسيح. قوله: (ذا جاه) أي عز وسؤدد. قوله: **(بالنبوة)** أي والمعجزات الباهرة والحكمة التي لا تضاهى. قوله: **(والدرجات العلا)** أي من حيث إنه من أولي العزم. قوله: **(عند الله)** عندية مكانة لا مكان أي قرب ومنزلة. قوله: ﴿**فِي ٱلْمَهْدِ**﴾ أي زمنه والمهد فراش الصبي زمن طفوليته، وورد أنه كان تكلم حين ولادته كما قص الله في سورة مريم. قوله: **(قبل وقت الكلام)** أي وانقطع إلى وقته المعتاد، وكان يحدث أمه وهو في بطنها، فإذا اشتغلت أمه بكلام إنسان اشتغل هو بالتسبيح. قوله: ﴿**وَكَهْلاً**﴾ أي بين الثلاثين والاربعين، والمقصود بشارة أمه بطول عمره لا كون كلامه حينئذ خرق عادة. قوله: ﴿**وَمِنَ ٱلصَّالِحِينَ**﴾ أي الكاملين في الصلاح وهم سادات الرسل، فأل في الصالحين للكمال. قوله: **(بتزوج ولا غيره)** أي كالزنا وقد صرح به في سورة مريم بقوله: (ولم أك بغياً) وهذا استفهام عن الحالة التي يأتي عليها ذلك الولد، وإنما استفهمت عن ذلك لأنها جازمة أنها منذورة لخدمة بيت المقدس وإنها مقبولة، وكانت عاداتهم إن المنذور لا يتزوج، فهذا هو حكمة استعظامها ذلك.

قوله: ﴿**كَذٰلِكَ**﴾ خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله: الأمر والكاف يحتمل زيادتها والأصل الأمر ذلك ويحتمل اصالتها، وقد تقدم ذلك. قوله: ﴿**إِذَا قَضَى أَمْراً**﴾ القضاء هو تعلق ارادة الله بالأشياء أزلاً. قوله: **(اراد خلقه)** أي تعلقت ارادته بخلقه تعلقاً تنجيزياً قديماً. قوله: **(أي فهو يكون)** اشار بذلك إلى أن جملة خبر لمحذوف. قوله: **(بالنون والياء)** أي قراءتان سبعيتان، فعلى الياء الأمر ظاهر وعلى النون فهو التفات من الغيبة للخطاب. قوله: **(الخط)** ورد أنه كان حسن الخط جداً، وكان يعلمه للصغار في المكتب. قوله: ﴿**وَٱلْحِكْمَةَ**﴾ أي النبوة. قوله: ﴿**وَٱلتَّوْرَاةَ**﴾ إن قلت إنها كتاب موسى. أجيب بأنه كان يحفظها ويتعبد بها إلا ما نسخ منها في الإنجيل. قوله: ﴿**وَرَسُولاً**﴾ معمول بمحذوف قدره المفسر بقوله:

أمرها ما ذكر في سورة مريم، فلما بعثه الله إلى بني إسرائيل قال لهم إني رسول الله إليكم ﴿أَنِّي﴾ أي بأني ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ﴾ علامه علـى صدقي ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ هي ﴿أَنِّي﴾ وفي قـراءة بالكسر استئنافاً ﴿أَخْلُقُ﴾ أصور ﴿لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ مثـل صورتـه فالكاف اسم مفعول ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ الضمير للكاف ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ وفي قراءة طائراً ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته فخلق لهم الخفاش لأنه أكمل الطير خلقاً فكان يطير وهم ينظرونه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتاً ﴿وَأُبْرِئُ﴾ أشفي ﴿الْأَكْمَهَ﴾ الذي ولد أعمى ﴿وَالْأَبْرَصَ﴾ وخصًا بالذكر لأنهما داءاً إعياء، وكان بعثه في زمن الطب فأبرأ في يوم خمسين ألفاً بالدعاء بشرط الإيمان ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ كرره لنفي

(نجعله) لأنه المناسب له. قوله: **(في الصبا)** أي وهو ابن ثلاث سنين، وقوله: **(أو بعد البلوغ)** أي وهو ابن ثلاثين سنة، وكلا القولين ضعيف، والمعتمد أنه نبيء على رأس الأربعين، وعاش نبياً ورسولاً ثمانين سنة، فلم يرفع إلا وهو ابن مائة وعشرين سنة. قوله: **(فنفخ جبريل في جيب درعها)** أي وكان عمرها إذ ذاك قيل عشر سنين، وقيل ثلاث عشرة، وقيل ست عشرة سنة. قوله: **(ما ذكر في سورة مريم) أي في قوله تعالى: (واذكر في الكتاب مريم) الآيات، واختلف في مدة حملها، فقيل تسعة أشهر، وقيل ثلاث ساعات، وقيل ساعة واحدة وهو المشهور.**

قوله: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ﴾ مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله فلما بعثه الله الخ، وهو إشارة لقصة رسالته بعد أن ذكر قصة بشارته وحمله وولادته. قوله: **(اصور)** دفع بذلك ما يقال إن الخلق هو الإيجاد بعد العدم وهو مخصوص بالله تعالى، فأجاب بأن معنى الخلق التصوير. قوله: **(مفعول)** أي لأخلق. قوله: **(الضمير للكاف)** ويصح أن يعود على الطين، وحكمة المغايرة بين ما هنا وبين ما يأتي في آخر المائدة أن المتكلم هنا عيسى وهناك الله. قوله: **(وفي قراءة طائراً)** أي بالإفراد وأما الأولى فهو اسم جمع وهما سبعيتان. قوله: **(الخفاش)** أي الوطواط. وقوله: **(لأنه أكمل الطير خلقاً)** أي لأن له اسناناً وثدياً، ويحيض كالنساء ويطير من غير ريش، ولا يبصر إلا في ساعة المغرب وبعد الصبح، وما بقي من الزمن هو فيه اعمى. قوله: **(سقط ميتاً)** أي ليتميز فعل المخلوق من فعل الخالق. قوله: **(الذي ولد اعمى)** أي ممسوح العين أم لا وابراؤه للطارىء أولوي.

قوله: **﴿وَالْأَبْرَصَ﴾** هو من به داء البرص وهو داء عظيم يشبه البهق إذا نخس نزل منه ماء قوله: **(لأنهما داءاً إعياء)** أي أعييا الأطباء الذين كانوا في زمنه، فإن معجزة كل نبي على شكل أهل زمانه، كموسى فإنه بعث في زمن كثرت فيه السحرة فأعياهم بالعصا واليد البيضاء، وسيدنا محمد فإنه بعث في زمن العرب البلغاء فأعياهم بالقرآن. قوله: **(بشرط الإيمان)** أي بالقلب واللسان، فإن آمن بلسانه فقط لم يشف. قوله: **(لنفي توهم الألوهية فيه)** أي في عيسى بهذا الوصف الذي لم يشارك الله فيه أحد صورة، فقوله: **﴿بِإِذْنِ اللهِ﴾** رد عليهم، فالمعنى لو كان دليلاً على ألوهيته لكان بإذنه. قوله: **(عازر)** بفتح الزاي. وقوله: **(صديقاً له)** أي عيسى وكان قد تمرض، فأرسلت أخته لعيسى فأخبرته بمرضه وكان على مسافة ثلاثة أيام، فجاء فوجده قد مات ودفن، فذهب مع أخته إلى قبره فدعا بالاسم الأعظم فأحيي وعاش إلى

توهم الألوهية فيه فأحيا عازر صديقاً له وابن العجوز وابنة العاشر فعاشوا وولد لهم وسام بن نوح ومات في الحال ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ﴾ تخبئون ﴿فِي بُيُوتِكُمْ﴾ مما لم أعاينه فكان يخبر الشخص بما أكل وبما يأكل بعد ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿وَ﴾ جئتكم ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾ قبلي ﴿مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ فيها فأحل لهم من السمك والطير ما لا صيصية له وقيل أحل الجميع فبعض بمعنى كل ﴿وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ كرره تأكيداً وليبني عليه ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ ﴿٥٠﴾ فيما آمركم من توحيد الله وطاعته

أن ولد له. قوله: **(وابن العجوز)** أي وأحياه قبل دفنه حين مر به على عيسى وهو على أعناق الرجال، فدعا الله فجلس ولبس ثيابه وأتى أهله، وقوله: **(وابنة العاشر)** أي الذي كان يأخذ العشر من الناس، وقوله: **(وسام بن نوح)** أي وكان قد مات من نحو أربعة آلاف سنة، فدعا الله فأحياه فقام وقد شاب نصف رأسه. ثم قال له مت بإذن الله فقال نعم لكن لا أذوق حرارة الموت ثانياً فقال له كذلك.

قوله: **﴿وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ﴾** ورد أنه كان يخبر الصبيان الذين يعلمهم الخط بما في بيوت آبائهم من المدخرات، فيذهب الأولاد ويخبرون آباءهم بذلك، ثم إنهم تجمعوا وحبسوا أولادهم عنه فجاء إليهم وسأل عنهم فأنكروهم، فقال لهم من الذي خلف الأبواب فقالوا هم خنازير، فقال كذلك إن شاء الله ففتحوا عليهم فوجدوهم كذلك، فكربوا وتجمعوا على قتله فحملته أمه على حمار لها وجاءت به مصر، فإن قلت قد يخبر المنجم والكاهن عن مثل ذلك فما الفرق؟ أجيب بأن المنجم والكاهن لا بد لكل واحد من معدمات يرجع إليها ويعتمد عليها في أخباره، فالمنجم يستعين بواسطة الكواكب والكاهن يستعين بخبر من الجن، وقد يخطئان كثيراً، وأما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فبواسطة الوحي السماوي، وهو من عند الله لا بواسطة ولا غيره فتأمل.

قوله: **﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ﴾** هذه الجملة يحتمل أن تكون من كلام عيسى أو من كلام الله. وقوله: **﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** جوابه محذوف أي انتفعتم بهذه الآية. قوله: **﴿وَ مُصَدِّقاً﴾** حال معطوفة على حال مقدرة، وهي متعلق قوله بآية التقدير جئتكم حال كوني متلبساً بآية وحال كوني مصدقاً، ويشعر بذلك تقدير المفسر قوله جئتكم وليس معطوفاً على وجيهاً لأن وجيهاً من جملة المبشر به وهو من كلام الله، وأما قوله مصدقاً فهو من كلام عيسى. قوله: **(قبلي)** **﴿مِنَ التَّوْرَاةِ﴾** أي وهو كتاب موسى، وكان بينه وبين عيسى ألف سنة وتسعمائة وخمسة وسبعون سنة، وأول أنبياء بني إسرائيل يوسف بن يعقوب وآخرهم عيسى. قوله: **﴿وَلِأُحِلَّ لَكُمْ﴾** معمول لمحذوف تقديره وجئتكم لأجل التحليل، ولا يصح عطفه على مصدقاً لأن ذاك حال وذا تعليل (قوله بعض الذي حرم عليكم) أي بسبب ظلمكم كذي الظفر وشحوم البقر والغنم. قوله: **(ما لا صيصية له)** أي شوكة يؤذي بها، وأما ما له صيصية فهو باق على حله لم يحرم. قوله: **(فبعض بمعنى كل)** استشكل بأنه يلزم عليه تحليل كالزنا والقتل. وأجيب بأن المراد جميع ما طرأ تحريمه من أجل التشديد، لا ما كان محرماً بالأصالة. قوله: **(وليبني عليه)** **﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾** أي فحيث أمرتكم بما ذكر من ظهور الآيات فاتقوا الله الخ. قوله: **(وطاعته)** معطوف على توحيد الله من عطف العام على الخاص.

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا﴾ الذي آمركم به ﴿صِرَاطٌ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٌ﴾ ﴿٥١﴾ فكذبوه ولم يؤمنوا به ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ﴾ علم ﴿عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ وأرادوا قتله ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِي﴾ أعواني ذاهباً ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ لأنصر دينه ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾ أعوان دينه وهم أصفياء عيسى أول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلاً. من الحور، وهو البياض الخالص، وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب أي يبيضونها ﴿آمَنَّا﴾ صدقنا ﴿بِاللَّهِ وَاشْهَدْ﴾ يا عيسى ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ﴾ من الإنجيل ﴿وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ عيسى ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ لك بالوحدانية ولرسولك بالصدق، قال تعالى ﴿وَمَكَرُوا﴾ أي كفار بني إسرائيل بعيسى إذ وكلوا به من يقتله غيلة

قوله: ﴿اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ هذا رد لدعواهم بنوته لله، وإلا لقال إن الله أبي. (قوله طريق مستقيم) أي دين قيم من تمسك به فقد نجا ومن حاد عنه وقع في الردى. قوله: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ أحس يتعدى بنفسه وبحرف الجر، والاحساس الإدراك بأحد الحواس الخمس: السمع والبصر والذوق واللمس والشم، والمعنى أدركه منهم عناداً بعد ظهور تلك الآيات البينات.

قوله: ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي﴾ أي من ينصرني. وقوله: ﴿إِلَى اللهِ﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من الياء في انصاري، قدره المفسر بقوله ذاهباً. قوله: (اعوان دينه) أي أهل دينه فنصرة الدين كناية عن نصرة أهله. قوله: (وكانوا اثني عشر) أي وكان لهم كبيران اسمهما شمعون ويعقوب قوله: (وهوالبياض الخالص) أي لبياض قلوبهم وثيابهم فأعطاهم الله بياض بواطنهم وظواهرهم قوله: (وقيل كانوا قصارين) وقيل لأنهم حوروا النبي بمعنى نصروه، وقيل كانوا صيادين للسمك، وقيل كانوا صباغين، وقيل كانوا ملوكاً، ورد أن عيسى مر على هؤلاء وهم يصطادون السمك، فقال لهم: اذهبوا بنا لنصطاد الخلق، فقالوا له: وما آيتك على ذلك؟ وكانوا طول نهارهم يطرحون الشبك لا يخرج لهم شيء من السمك، فأمر أن يطرح الشبكة واحد منهم ففعل، فخرج لهم سمك ملأ مركبين، فآمنوا به وساروا بسيره، وقيل إن شمعون كان ملكاً، فرأى عيسى ذات يوم يأكل من إناء هو والناس ولا يفرغ ذلك الطعام، فآمن به ونزل عن ملكه وتبعه أقاربه، وقيل كان في صغره عند صباغ، فأمره بصبغ ثياب متعددة ألواناً متغايرة وذهب لحاجة، فوضع تلك الثياب في دن واحد وقال أيتها الثياب كوني كما أريد، فجاء الصباغ وسأله عن الثياب فقال ها هي في هذا الدن، فحزن حزناً عظيماً فأخرجها من الدن فوجدها كما أمره الصباغ فآمن به هو وأقاربه، وقيل إن الاثني عشر كانوا لا صنعة لهم حين آمنوا بعيسى وكانوا سياحين معه، وكانوا كلما جاعوا شكوا لعيسى فينزل لهم كل واحد رغيفان، وكلما ظمئوا شكوا له فتنبع لهم عين في أي محل كانوا فيه، فقال لهم يوماً هناك من هو أفضل منكم، فقالوا من فقال الذين يأكلون من كسب أيديهم، فاستعملوا قصارة الثياب، وقد يجمع بين الروايات المختلفة بأن بعض الاثني عشر كان من الملوك، وبعضهم من الصيادين، وبعضهم من القصارين، وبعضهم من الصباغين قوله: ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ أي الموحدين مطلقاً أو الذين فضلتهم بالشهادة وهم محمد وأمته، لأنهم يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الأمم بالتكذيب

قوله: ﴿وَمَكَرُوا﴾ المكر هو الخديعة وإظهار خلاف ما يبطن قوله: (غيلة) هي بكسر الغين

﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ بهم بأن ألقى شبه عيسى على من قصد قتله فقتلوه ورفع عيسى إلى السماء ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ ﴿٥٤﴾ أعلمهم به، اذكر ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾ قابضك ﴿وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ من الدنيا من غير موت ﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾ مبعدك ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾ صدقوا بنبوتك من المسلمين والنصارى ﴿فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ بك وهم اليهود يعلونهم بالحجة والسيف

المعجمة وسكون الياء التحتية، أي يخدع الرجل فيذهب به إلى موضع لا يراه أحد به ويقتله

قوله: ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ أي جازاهم على مكرهم، فحيث أضمروا على أخذ عيسى من حيث لا يحتسب، جازاهم على ذلك وأخذهم من حيث لم يحتسبوا. قوله: **(بأن القى شبه عيسى الخ)** حاصل ذلك أنهم لما تجمعوا على قتله، جاءه جبريل فوجده في مكان في سقفه فرجة فرفعه من تلك الفرجة إلى السماء، وأمر ملك اليهود رجلاً اسمه ططيانوس أن يدخل على عيسى فيقتله. فلما دخل فلم يجده خرج وقد القى الله شبه عيسى عليه، فلما رأوه ظنوه عيسى فقتلوه، وفتشوا على عيسى فلم يجدوه، ثم قالوا إذا كان هذا عيسى فأين صاحبنا، وإذا كان صاحبنا فأين عيسى، فوقع بينهم قتال عظيم.

قوله: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ أي أقواهم مكراً بحيث يقدر على إيصال الضرر لهم من حيث لم يحتسبوا كما أضمروا ذلك لعيسى، ولا يقال لله ماكر أو مكار إلا مشاكلة ويؤول بما علمت، لأن أصل المكر يستعمل في المحتال لأخذ صاحبه لعجزه عنه وهو مستحيل على الله. قوله: (اذكر) ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ﴾ أشار بذلك إلى أن إذ ظرف معمول لمحذوف، والمعنى أن اليهود لما تجمعوا على قتله وتحيلوا على أخذه جعل الله كيدهم في نحورهم، وقال الله يا عيسى الخ فهو من تفصيل قوله ومكر الله. قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ اختلف في التوفي فقيل معناه مبلغك الأمل بأن تبلغ عمرك بتمامه ولا تموت بقتل أحد بل من الله، وقيل معناه بالنوم أي فرفع إلى السماء وهو نائم فلم يحصل له انزعاج، وقيل معناه مميتك قابض لروحك لا يقال إنه يقتضي أنه يموت قبل الرفع إلى السماء لأنه يقال إن الواو لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً فالكلام على التقديم والتأخير، والمعنى أني رافعك إليّ ومتوفيك بعد ذلك، والمقصود بشارته بنجاته من اليهود ورفعه إلى السماء، واعلم أن الأنبياء الذين أمروا بالقتال معصومون من القتل فلا خصوصية لعيسى، وأما من لم يؤمر به فلا مانع من كون الكفار يقتلونه لأنه مأمور بالصبر، وذلك كما وقع لزكريا حين نشروه بالشجرة. قوله: **(قابضك)** ﴿وَرَافِعُكَ﴾ أشار بذلك إلى أن عطف ورافعك على متوفيك للتفسير وهو تقدير آخر غير ما تقدم. قوله: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ أي إلى كرامتي وأهل قربي. وقوله: **(من الدنيا)** أراد بها الأرض.

قوله: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾ أي أحبوك وانتسبوا لك، فإن صدقوا بمحمد أيضاً وأحبوه أو ماتوا قبل بعثته فقد تم لهم العز دنيا وأخرى، وإن لم يصدقوا بمحمد ولم يحبوه فقد حازوا على الدنيا. (وما لهم في الآخرة من خلاق) فالنصارى لهم عز في الدنيا وسلطنة على اليهود إلى يوم القيامة. قوله: **(وهم اليهود)** أي فهو عز على خصوص اليهود لا مطلقاً ما داموا كفاراً، وذلك أنه لما رفع الله عيسى افترق أصحابه ثلاث فرق، فقالت فرقة كان الله فينا ثم صعد إلى السماء وهم اليعقوبية، وقالت أخرى كان فينا ابن الله ثم رفعه إليه وهم النسطورية، وقالت أخرى كان فينا عبدالله ورسوله ثم رفعه الله إليه وهذه الفرقة هم

﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ من أمر الدين ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل والسبي والجزية ﴿وَٱلْآخِرَةِ﴾ بالنار ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ ﴿٥٦﴾ مانعين منه ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ﴾ بالياء والنون ﴿أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿٥٧﴾ أي يعاقبهم، روي أن الله أرسل إليه سحابة فرفعته فتعلقت به أمه وبكت فقال لها إن القيامة تجمعنا وكان ذلك ليلة القدر ببيت المقدس وله ثلاث وثلاثون سنة وعاشت أمه بعده ست سنين، وروي الشيخان حديث «إنه ينزل قرب الساعة ويحكم بشريعة نبينا ويقتل الدجال والخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية» وفي حديث مسلم «إنه يمكث سبع سنين» وفي حديث عند أبي داود الطيالسي «أربعين سنة ويتوفى ويصلى عليه»

المسلمون، فتظاهرت عليهم الفرقتان الكافرتان فقتلوهم، فلم يزل الإسلام منطمساً إلى أن بعث محمد. قوله: **(يعلونهم بالحجة)** أي يغلبونهم بالأدلة. قوله: **﴿إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ﴾** أي طائفة بعد طائفة. قوله: **﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾** خطاب لجميع المخلوقات.

قوله: **﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ﴾** تفصيل لما يؤول أمر الناس إليه في الآخرة. قوله: **(بالقتل والسبي)** أي مع الذل والهوان. قوله: **(مانعين منه)** أي من العذاب. قوله: **(بالياء والنون)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(فتعلقت به أمه)** أعلم أنه بعد رفعه بسبعة أيام قال الله له اهبط إلى مريم، فإنه لم يبك عليك أحد بكاءها، ولم يحزن عليك أحد حزنها، ثم لتجمعن الحواريين فبثهم في الأرض دعاة إلى الله، فأهبطه الله عز وجل، فاجتمعت له الحواريون فبثهم في الأرض، فلما أصبح الحواريون تكلم كل واحد منهم بلغة من أرسله عيسى إليه، إذا علمت ذلك، فقوله: **(تعلقت به أمه)** محمول على هذا الصعود الثاني، وإلا فالأول لم تعلم به وهي ولا أصحابه. قوله: **(وبكت)** أي على فراقه. قوله: **(وكان ذلك ليلة القدر)** إن قلت إن ليلة القدر من خصائص هذه الأمة، أجيب بأن الذي من خصائص هذه الأمة فضلها من كونها خيراً من الف شهر، وكونها تنزل فيها الملائكة من الغروب إلى طلوع الفجر، وكون الدعاء فيها مجاباً بعين المطلوب، فلا ينافي ثبوتها في الأمم السابقة، لكن لا بهذا الفضل. قوله: **(وله ثلاث وثلاثون سنة)** أي وعليه فقيل جاءته النبوة من حين الولادة وقيل على رأس الثلاثين، وبعد هذا فما قاله المفسر ضعيف رجع عنه كما قاله سيدي محمد الزرقاني في شرح المواهب، والحق الذي اعتمده الاشياخ أنه ما رفع إلا بعد مضي مائة وعشرين سنة، وجاءته النبوة على رأس الأربعين كغيره، وعمر أمه حين رفع على الأول ست وأربعون سنة وعاشت بعده ست سنين فيكون عمرها اثنين وخمسين، وعلى الثاني مائة وتسعة وثلاثين، واعلم أنه لما رفع كساه الله خلعة النور وسلبه شهوة الطعام والشراب والنوم، وجعل له ريشاً يطير به كالملائكة فهو حكمهم. قوله: **(إنه ينزل)** أي على منارة بني أمية حين يضايق الدجال المهدي والخلق جميعاً، فيهرعون إلى دمشق الشام وهو محتاط بهم، فينزل عند إقامة الصلاة، فيريد المهدي التأخر فيأمره عيسى بالتقدم، فبعد الصلاة يتوجهون إلى الدجال وهو في بلد، فإذا رأى عيسى ذاب كالملح فيهزمه الله، ثم يظهر العدل والصلاح في الأرض. قوله: **(ويحكم بشريعة نبينا)** إن قلت إن وضع الجزية ليس من شرع نبينا. أجيب بأنه غير أن أخذها مغيى بنزول عيسى كما أخبر بذلك نبينا فوضعها أيضاً من شرعنا (قوله سبع سنين) أي فوق الثلاث والثلاثين وهو ضعيف. قوله: **(أربعين سنة)** قيل من ولادته فيكون مكثه بعد النزول سبع سنين كالرواية

فيحتمل أن المراد مجموع لبثه في الأرض قبل الرفع وبعده ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور من أمر عيسى ﴿نَتْلُوهُ﴾ نقصه ﴿عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنَ الْآيَاتِ﴾ حال من الهاء في نتلوه وعامله في ذلك من معنى الإشارة ﴿وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿٥٨﴾ المحكم أي القرآن ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ﴾ شأنه الغريب ﴿عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ كشأنه في خلقه من غير أب وهو من تشبيه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأوقع في النفس ﴿خَلَقَهُ﴾ أي آدم أي قالبه ﴿مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن﴾ بشراً ﴿فَيَكُونُ﴾ ﴿٥٩﴾ أي فكان وكذلك عيسى قال له كن من غير أب فكان ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ خبر لمبتدأ محذوف أي أمر عيسى ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ ﴿٦٠﴾ الشاكين فيه ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ﴾ جادلك من النصارى ﴿فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ

الأولى، وقيل مبدأ الاربعين من نزوله، وعلى كونها من نزوله فعلى كونه رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين يكون عمره ثلاثاً وسبعين سنة، وعلى أنه رفع وهو ابن مائة وعشرين فيكون عمره مائة وستين. قوله: **(ويصلى عليه)** أي يصلي عليه المسلمون ويدفن في السهوة الشريفة، فإذا جاء يوم القيامة قام أبو بكر وعمر بين رسولين سيدنا محمد وعيسى عليهما السلام.

قوله: **﴿ذٰلِكَ﴾** اسم الإشارة عائد على ما تقدم من عجائب عيسى، وأفرد باعتبار ما ذكر كما أشار لذلك المفسر. قوله: **(وعامله في ذلك الخ)** لأنه مضمن معنى أشير واعتراض ذلك بأن العامل في صاحبها، هو الهاء في نتلوه، فالعامل فيه هو نتلوه، قال بعضهم معتذراً عن المفسر بأنه خلط إعراباً بآخر. وحاصل ذلك أن قوله ذلك مبتدأ وقوله نتلوه خبره، وقوله من الآيات حال من الهاء وعامله هو نتلو أو من الآيات خبره ونتلوه حال، وعاملها ما في ذلك من معنى الإشارة، وهذا هو الذي يشير له المفسر على قول بعضهم. قوله: **﴿وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾** عطف على الآيات للتفسير.

قوله: **﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ﴾** سبب نزولها أن وفد نجران قدموا على النبي ﷺ فقالوا له: نراك تسب صاحبنا، فقال من هو؟ قالوا عيسى تزعم أنه عبدالله، فقال رسول الله أجل إنه عبدالله ورسوله، فقالوا: هل له مثل من الخلق خلق من غير أب؟ فنزلت الآية. قوله: **(الغريب)** أي وهو عيسى، قوله: **(بالإغرب)** أي وهو آدم، وأغربيته من وجوه منها أنه لم يسبق له أمثال أصلاً، ومنها وجود الأم لعيسى دون آدم، إن قلت: وجه الشبه بينهما ليس بتام. أجيب: بأنه يكفي وجه واحد وهو عدم الابوة لكل.

قوله: **﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾** جملة مفسرة لما قبلها لا محل لها من الأعراب. قوله: **(أي قالبه)** بفتح اللام وهو الجسم، وأما الروح فمن نور نبينا ﷺ، وإنما حمل الخلق على القالب لا على صورة الجسم الشاملة للروح نظراً لقوله ثم قال كن الخ، وإلا لكان ضائعاً. قوله: **(وكذلك عيسى الخ)** أشار بذلك إلى وجه الشبه بينهما، واتفق أن عالماً أسر في بلاد الروم فوجدهم يعبدون عيسى، فقال لهم لم تعبدون عيسى؟ فقالوا لأنه لا أب له، فقال لهم: آدم أولى لأنه معدوم الأبوين، فقالوا له: آدم وإن كان بلا أب إلا أنه لا يحيى الموتى، فقال لهم: إذا كان كذلك فحزقيل أولى لأنه أحيا ثمانية آلاف وقيل أكثر بدعوته وعيسى أحيا أربعة أنفار، فقالوا: إن عيسى يبرىء الأكمة والأبرص، فقال: جرجيس أحرق وطبخ ولم يضره الحرق ولا الطبخ. قوله: **(أي أمر عيسى)** أي الذي قصة الله في كتابه. قوله: **﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾** خطاب له والمراد أمته على حد (لئن أشركت ليحبطن عملك)، لأنه معصوم من الامتراء والشرك وكل كبيرة

﴿ٱلْعِلْمِ﴾ بأمره ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ فنجمعهم ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ نتضرع في الدعاء ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ ﴿٦١﴾ بأن نقول اللهم العن الكاذب في شأن عيسى، وقد دعا ﷺ وفد نجران لذلك لما حاجوه فيه، فقالوا حتى ننظر في أمرنا ثم نأتيك، فقال ذوو رأيهم: لقد عرفتم نبوته وأنه ما بأهل قوم نبياً إلا هلكوا، فوادعوا الرجل وانصرفوا، فأتوه وقد خرج ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلي وقال لهم: إذا دعوت فأمنوا، فأبوا أن يلاعنوا وصالحوه على الجزية، رواه أبو نعيم، وعن ابن عباس قال لو خرج الذين يباهلون لرجعوا لا يجدون مالاً ولا أهلاً، وروي لو خرجوا لاحترقوا ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ المذكور ﴿لَهُوَ ٱلْقَصَصُ﴾ الخبر ﴿ٱلْحَقُّ﴾ الذي لا شك فيه ﴿وَمَا مِنْ﴾ زائدة ﴿إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ ﴿٦٢﴾ في صنعه ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن الإيمان ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٦٣﴾ فيجازيهم وفيه وضع الظاهر موضع المضمر ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ اليهود

وصغيرة. قوله: **(من النصارى)** أي نصارى نجران أو غيرهم. وقوله: **(بأمره)** أي أنه عبدالله ولم يكن ابنه.

قوله: **﴿تَعَالَوْا﴾** أصله تعاليوا تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً فالتقى ساكنان الألف والواو وحذفت الألف لالتقائها وهو فعل أمر صحيح مبني على حذف النون والواو فاعل وهو مفتوح اللام دائماً لمذكر أو مؤنث. قوله: **﴿أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾** أي الذكور، وقوله: **﴿وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾** أي الاناث منهم، والحكمة في حضور الأولاد زيادة التغليظ في اليمين، وتأكيد لمزيد صدقه وكذبهم، ولما كانت المباهلة أمراً عظيماً لم تشرع بعد النبي إلا في اللعان بين الزوجين.

قوله: **﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾** الابتهال من البهلة بفتح الباء وضمها هي اللعنة في الأصل، ثم استعمل في كل دعاء مجتهد فيه وإن لم يكن التعاناً. قوله: **(لذلك)** أي للتضرع والدعاء. قوله فقال: **(ذوو رأيهم)** أي فرجعوا إليهم وشاوروهم فقال الخ. قوله: **(لقد عرفتم نبوته)** أي نبوة محمد، وقوله: **(ما باهل)** أي نازع. قوله: **(فوادعوا الرجل)** أي صالحوه على مال يأخذه منكم. قوله: **(وقد خرج)** الجملة حالية. قوله: **(وصالحوه على الجزية)** ورد أنها ألفا حلة نصفها في صفر ونصفها في رجب، وثلاثون درعاً وثلاثون بعيراً وثلاثون فرساً وثلاثون من كل صنف من أصناف السلاح، وقد ثبتت هذه الرواية في بعض نسخ الجلال القديمة. قوله: **(وعن ابن عباس الخ)** أي وورد أنه ﷺ قال: «والذي نفسي بيده إن الهلاك قد تولى على أهل نجران، ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولأضرم عليهم الوادي ناراً، ولم يبق نصراني على وجه الأرض إلى يوم القيامة».

قوله: **﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾** هذا نتيجة ما قبله واسم الإشارة عائد على ما ذكر من أمر عيسى وأنه ليس ابن الله، وأكد الجملة بأن اللام وكونها معرفة الطرفين لشدة إنكارهم. قوله: **(زائدة)** أي وإله مبتدأ والله خبره وهو قصر إفراد. قوله: **(وفيه وضع الظاهر الخ)** أي زيادة التبكيت عليهم.

قوله: **﴿قُلْ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ﴾** سبب نزولها أن نصارى نجران اختصموا مع اليهود في شأن إبراهيم، فزعمت النصارى أنه كان نصرانياً وهم على دينه، وزعمت اليهود أنه كان يهودياً وهم على دينه، فقدموا

والنصارى ﴿تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾ مصدر بمعنى مستو أمرها ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ هي ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ كما اتخذتم الأحبار والرهبان ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن التوحيد ﴿فَقُولُوا﴾ أنتم لهم ﴿اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ﴿٦٤﴾ موحدون. ونزل لما قال اليهود: إبراهيم يهودي ونحن على دينه، وقالت النصارى كذلك ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ﴾ تخاصمون ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ بزعمكم أنه على دينكم ﴿وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ بزمن طويل، وبعد نزولها حدثت اليهودية والنصرانية ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٦٥﴾

متحاكمين إلى النبي ﷺ، فقال ﷺ كلا الفريقين كاذب، فقالت النصارى ما تريد إلا أن نتخذك معبوداً كما اتخذت اليهود العزيز رباً، وقالت اليهود ما تريد إلا أن نتخذك معبوداً كما اتخذت النصارى المسيح رباً، فنزلت. قوله: ﴿إِلَى كَلِمَةٍ﴾ متعلق بتعالوا ذكره المتعلق هنا لأن المقصود الاجتماع على هذه الكلمة بخلاف التي قبلها، فإن المقصود منها مجرد الأقبال أو حذفه من الأول، وتقديره إلى المباهلة لدلالة الثاني عليه.

قوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ هذه الجملة في محل رفع خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هي، وإنما أطلق عليها كلمة مع أنها جمل لارتباط بعضها ببعض، قال ابن مالك: وكلمة بها قد يؤم. نظير قوله تعالى: (كلا إنها كلمة هو قائلها). قوله: **(كما اتخذتم الأحبار)** أي وهم علماء اليهود والرهبان عباد النصارى واتخاذهم أرباباً من حيث إنهم ينسبون التحليل والتحريم والاقالة من الذنوب لهم ولا يتبعون ما أنزل الله، بل المدار عندهم على ما حللته الأحبار والرهبان أو حرموه، وهذه الآية وإن كانت خطاباً لليهود والنصارى إلا أنها تجر بذيلها على من يشرك بالله غيره من المسلمين كضعفاء الإيمان الذين يعتقدون في الأولياء أنهم يضرون أو ينفعون بذواتهم، ويحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحل الله، ومع ذلك يحدثون بدعاً عظيمة ما أنزل الله بها من سلطان، ويجعلون تلك البدع طرقاً لهؤلاء الأولياء ويزعمون أنها منجية وإن كانت مخالفة للشرع، ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون (استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هو الخاسرون). قوله: (أعرضوا عن التوحيد) أي لم يمتثلوا أمرك واتبعوا أحبارهم ورهبانهم فيما يأمرونهم به.

قوله: ﴿اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ أي منقادون لله وبريئون منكم ومن عقائدكم. قوله: **(ونزل لما قال اليهود الخ)** أي وتحاكموا عند النبي ﷺ ليفصل بينهما. قوله: **(وقالت النصارى كذلك)** أي هو نصراني ونحن على دينه.

قوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ أي اليهود والنصارى. قوله: ﴿لِمَ تُحَاجُّونَ﴾ أي يحاجج بعضكم بعضاً، والإستفهام توبيخي إنكاري. قوله: ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ أي في دينه فهو على حذف مضاف، وإليه يشير المفسر بقوله: **(بزعمكم أنه على دينكم)**. قوله: **(بزمن طويل)** أي فكان بين التوراة وإبراهيم ألف سنة، وبينه وبين الإنجيل ألفا سنة وتسعمائة وخمسة وسبعون سنة. قوله: **(وبعد نزولها الخ)** بهذا التقدير تمت الحجة عليهم، فالمعنى أن المانع من كونهم على دين إبراهيم تغييرهم وتبديلهم، وإلا فلو تمسكوا بالتوراة والإنجيل حقيقة لما اختلفوا ولكانوا على دين إبراهيم. قوله: **(حدثت اليهودية والنصرانية)** أي

بطلان قولكم ﴿هَٰٓأَنتُمۡ﴾ للتنبيه مبتدأ يا ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ والخبر ﴿حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ من أمر موسى وعيسى وزعمكم أنكم على دينهما ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ﴾ من شأن إبراهيم ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾ شأنه ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ ـه ﴿٦٦﴾، قال تعالى تبرئة لإبراهيم ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا﴾ مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿مُّسۡلِمٗا﴾ موحداً ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ﴾ أحقهم ﴿بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ في زمانه ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾ محمد لموافقته له في أكثر شرعه ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ﴾ من أمته فهم الذين ينبغي أن يقولوا نحن على دينه لا أنتم ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ﴿٦٨﴾ ناصرهم وحافظهم. ونزل لما دعا اليهود معاذاً وحذيفة وعماراً إلى دينهم ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾ لأن إثم إضلالهم عليهم والمؤمنون لا يطيعونهم فيه ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ ﴿٦٩﴾ بذلك

اللتان ابتدعوهما حيث غيروا التوراة وسموها اليهودية، وغيروا الإنجيل وسموه النصرانية. قوله: ﴿**أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ أي أغفلتم عما زعمتم فلا تعقلون ما تقولونه.

قوله: ﴿**هَا أَنْتُمْ**﴾ يقرأ إما بألف وبعدها همزة إما محققة أو مسهلة أو بدون ألف، والهمزة إما محققة أو مسهلة أو بألف فقط بدون همزة أصلاً، فالقراءات خمس وكلها سبعية. قوله: (**من أمر موسى وعيسى**) أي الذي نطقت به التوراة والإنجيل من أنهما عبدان ورسولان لله، يأمران بعبادة الله وحده ولا يشركان به غيره. وقوله: (**من شأن إبراهيم**) أي لكونه لم يذكر في كتبكم ما كان إبراهيم عليه، فكيف تدعون أنكم على دينه مع جهلكم به. قوله: (**إلى الدين القيم**) أي المستقيم الذي لا اعوجاج فيه. قوله: (**موحداً**) أي منقاداً ممتثلاً أوامر ربه مجتنباً نواهيه. قوله: ﴿**وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ**﴾ أي معه غيره. قوله: ﴿**لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ**﴾ زيدت اللام للتقوية وهي لام الابتداء زحلقت للخبر، كما قال في الخلاصة:

وبعد ذات الكسر تصحب الخبر ... لام ابتداء نحو إني لوزر

قوله: (**في زمانه**) أي وهم أولاده كإسماعيل وإسحاق ويعقوب وأولادهم إلى يوم القيامة، قال تعالى: (ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب) الآية. قوله: (**لموافقته له في أكثر شرعه**) أي فعقائد محمد التي هو عليها لا تخالف ما قصه الله في كتابه عن إبراهيم. إذا علمت ذلك، فالمناسب للمفسر أن يقول لموافقته له في الأصول، أو يقال إن الموافقة في الفروع من حيث السهولة، فإن شريعة محمد سهلة نهلة كشريعة إبراهيم، لا كشريعة موسى فإنها صعبة التكاليف بسبب عناد بني إسرائيل، وهذا هو محمل المفسر. قوله: (**من أمته**) أي أمة محمد ﷺ. قوله: (**ناصرهم**) أي على أعدائهم، وقوله: (**وحافظهم**) أي واقيهم من أعدائهم.

قوله: ﴿**وَدَّتْ**﴾ أي أحبت ولو مصدرية، والمعنى أحبت جماعة من اليهود والنصارى إضلالكم أي رجوعكم عن الإسلام إلى الكفر، وكانوا يتوددون إليهم بالهدايا. قوله: (**لأن اثم اضلالهم عليهم**) أي لأن الدال على الشر كفاعله، ويؤخذ من ذلك أن المقوي لشوكة الكفر بالشبه الباطلة والحجج العاطلة عليه إثم كفره وإثم كفر من تبعه إلى يوم القيامة. قوله: (**بذلك**) أي يكون إثم الضلال لاحقاً بهم لقساوة

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن المشتمل على نعت محمد ﴿وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ﴾ ﴿٧٠﴾ تعلمون أنه حق ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ﴾ تخلطون ﴿ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ بالتحريف والتزوير ﴿وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ﴾ أي نعت النبي ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ ﴿٧١﴾ أنه حق ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ اليهود لبعضهم ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي القرآن ﴿وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ﴾ أوله ﴿وَٱكۡفُرُوٓاْ﴾ به ﴿ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ﴾ أي المؤمنين ﴿يَرۡجِعُونَ﴾ ﴿٧٢﴾ عن دينهم إذ يقولون ما رجع هؤلاء عنه بعد دخولهم فيه وهم أولو علم إلا لعلمهم بطلانه، وقالوا أيضاً ﴿وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ﴾ تصدقوا ﴿إِلَّا لِمَن﴾ اللام زائدة ﴿تَبِعَ﴾ وافق ﴿دِينَكُمۡ﴾ قال تعالى ﴿قُلۡ﴾ لهم يا محمد ﴿إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ الذي هو الإسلام وما عداه ضلال والجملة اعتراض ﴿أَن﴾ أي بأن ﴿يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ﴾ من الكتاب والحكمة والفضائل، وأن مفعول تؤمنوا، والمستثنى منه أحد قدم عليه المستثنى، المعنى لا تقروا بأن أحداً يؤتى ذلك إلا لمن تبع دينكم ﴿أَوۡ﴾ بأن ﴿يُحَآجُّوكُمۡ﴾ أي المؤمنون يغلبوكم

قلوبهم، فلم يعرفوا أنهم لا يضرون إلا أنفسهم. قوله: **(القرآن المشتمل على نعت محمد)** أي وقيل هي التوراة والإنجيل فإنهما مشتملان على نعته أيضاً، قال تعالى: (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل) الآية. قوله: **(تعلمون أنه حق)** أي من التوراة والإنجيل. قوله: **﴿ٱلْحَقَّ﴾** أي وهو نعت محمد وأصحابه المذكور في التوراة والإنجيل، وقوله: **﴿بِالْبَاطِلِ﴾** أي وهو التغيير لتلك النعوت. قوله: **(بالتحريف والتزوير)** أي الكذب في تلك الصفات. قوله: **(إنه حق)** أي إنه نبي حقاً، وما جاء به من عند ربه حق.

قوله: **﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ﴾** شروع في بيان تلبيسات اليهود، ورد أنه اجتمع اثنا عشر من أحبار خيبر، وأجمع رأيهم على أنهم يظهرون الإسلام في أول النهار وفي آخره يرجعون لدينهم ويأمرون الناس بذلك، وقصدهم بذلك دخول الشك على من آمن به ﷺ، فلما أجمعوا وصمموا على ذلك جعل الله كيدهم في نحورهم ولم يفعلوا شيئاً من ذلك، ولو فعلوه لعاد شؤمه عليهم وقتلوا إن لم يتوبوا، لأن المرتد لا يبقى على ردته فمن نكث فإنما ينكث على نفسه. قوله: **﴿آمَنُوا﴾** أي صدقوا ظاهراً باللسان. قوله: **(أي القرآن)** هذا هو المشهور في تفسير الآية، وقيل الذي أنزل على الذين آمنوا هو القبلة حين أمر النبي بالتحول للكعبة ثانياً بعد استقباله بيت المقدس، فحينئذ حصل لليهود غيظ وحزن عظيم، فأجمع رأيهم على موافقة المؤمنين أول النهار ومخالفتهم آخره، لعله يحصل الشك لأصحابه فيرجعون عن دينهم. قوله: **(أوله)** أشار بذلك إلى أن وجه النهار ظرف زمان لقوله آمنوا. قوله: **﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** علة لقوله آمنوا بالذي أنزل الخ. قوله: **(إذ يقولون)** علة للعلة.

قوله: **﴿وَلَا تُؤْمِنُوا﴾** هذا من جملة تلبيساتهم، وحاصل إعراب هذه الآية أن يقال لا ناهية وتؤمنوا مجزوم بها وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل، وقوله: **﴿أَنْ يُؤْتَى﴾** أن حرف مصدري ونصب، ويؤتى منصوب بها وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر وهو في تأويل مصدر معمول لقوله ولا تؤمنوا، وأحد نائب فاعل يؤتى وهو مفعول أول له ومثل مفعول ثان، وقوله: **(إلا)** أداة استثناء و **(لمن)** اللام زائدة ومن منصوب على الاستثناء والمستثنى منه قوله أحد وما اسم موصول وأوتيتم

﴿عِندَ رَبِّكُمْ﴾ يوم القيامة لأنكم أصح ديناً، وفي قراءة أأن بهمزة التوبيخ أي أإيتاء أحد مثله تقرون به، قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ فمن أين لكم أنه لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ كثير الفضل ﴿عَلِيمٌ﴾ ﴿٧٣﴾ بمن هو أهله ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ﴾ أي بمال كثير ﴿يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾

صلتها والعائد محذوف، والمعنى لا تصدقوا إتيان أحد من الفضائل والكمالات مثل الذي أوتيتموه إلا من تبع دينكم، وأما من لم يتبعه كمحمد فلا تصدقوه، وهذا الوجه وإن كان صحيحاً من جهة المعنى، إلا أنه مشكل من جهة الصناعة، لأن فيه تقديم المستثنى على المستثنى منه ومعمول الصلة عليها. قوله: **والجملة اعتراض)** أي بين العامل والمعمول. قوله: **(وأن مفعول تؤمنوا)** أي مع صلتها. قوله: **(والمعنى لا تقروا الخ)** إيضاحه أنهم قالوا انظروا فيمت ادعى شيئاً من النبوة والفضائل والكمالات، فإن كان متبعاً لدينكم فصدقوه وإلا فكذبوه، والمناسب للمفسر أن يقول والمعنى لا تصدقوا الخ، وحاصل هذا المعنى الذي أشار له المفسر أنه ضمن تؤمنوا معنى تقروا لتكون اللام أصلية والمستثنى منه محذوف تقديره: لأحد، والمعنى لا تقروا ولا تعترفوا لأحد بأنه يؤتى أحد مثل الذبي أوتيتموه من الفضائل والكمالات إلا لشخص اتبع دينكم، وهذا كله كناية عن نفي النبوة عن محمد ﷺ، وهذا المعنى صحيح من جهة العربية، والمعنى والمفسر من شدة اختصاره خلط هذا التقرير المتقدم وقد علمتها.

قوله: **﴿أَوْ يُحَاجُّوكُمْ﴾** معطوف على يؤتى، والضمير عائد على أحد المتقدم، وإنما جمعه لأن أحداً في معنى الجمع، والمعنى على الأول لا تصدقوا أحداً يحاججكم ويغلبكم عند ربكم يوم القيامة إلا من اتبع دينكم، وأما من لم يتبعه فلا حجة له عليكم، وعلى الثاني لا تقروا بأن أحداً يغلبكم ويحاججكم عند ربكم إلا من تبع دينكم، وأما غيره فلا تقروا ولا تعترفوا له بذلك. قوله: **(وفي قراءة أأن)** وهي سبعية لابن كثير لكن بتسهيل الثانية. قوله: **(بهمزة التوبيخ)** أي الاستفهام التوبيخي، والكلام قد تم قبل الاستفهام، والمستثنى منه محذوف على كلا التقديرين، والمعنى لا تصدقوا أحداً في دعواه النبوة والفضائل إلا من تبع دينكم، ألا لا تقروا لأحد من الناس أنه على هدى وخير إلا لمن تبع دينكم، وقوله قل إن الهدى هدى الله رد لمقالتهم، وجملة الاستفهام استئنائية، فالمعنى أن يؤتى أحد مثل الذي أوتيتموه أو يكون له محاجة عند ربكم، وجوابه لا يكون ذلك وهو استبعاد منهم لفضل الله. قوله: **(أي إيتاء أحد الخ)** أشار بذلك إلى أن قوله أن يؤتي في تأويل مصدر مبتدأ خبره محذوف تقديره تقرون به.

قوله: **﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللهِ﴾** رد عليهم حيث استبعدوا أن الله لا يؤتي أحداً مثل ما آتاهم من الفضل والنبوة، وفي الحقيقة هو رد لدعواهم من أولها إلى آخرها. قوله: **﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾** أي فيعطيه لمن يشاء. قوله: **﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ﴾** شروع في بيان قبائحهم في أمور الدنيا، بعد أن ذكر قبائحهم في أمور الدين، والجار والمجرور خبر مقدم، ومن اسم موصول أو نكرة موصوفة مبتدأ مؤخر، وقوله: **﴿إِنْ تَأْمَنْهُ﴾** ويؤده جملة شرطية إما صلة أو صفة، وراعى في افراد الضمير في تأمنه لفظ من، ولو راعى معناها لقال تأمنهم. قوله: **(أي بمال كثير)** أشار بذلك إلى بيان شأن هذا المؤتمن، وإن كان سبب النزول في قنطار حقيقة، فالمقصود بيان شرفه من جهة الأمانة فلا مفهوم للقنطار، بل لو ائتمن على قناطير متعددة لم يخنه فيها. قوله: **﴿يُؤَدِّهِ﴾** يقرأ بالسكون وبالكسر مع الأشباع وتركه فهي ثلاث سبعيات.

لأمانته كعبدالله بن سلام أودعه رجل ألفاً ومائتي أوقية ذهباً فأداها إليه ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ لخيانته ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ لا تفارقه فمتى فارقته أنكره ككعب بن الأشرف استودعه قرشي ديناراً فجحده ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي ترك الأداء ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟﴾ بسبب قولهم ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ أي العرب ﴿سَبِيلٌ﴾ أي إثم، لاستحلالهم ظلم من خالف دينهم، ونسبوه إليه تعالى ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ في نسبة ذلك إليه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ أنهم كاذبون ﴿بَلَىٰ﴾ عليهم فيهم سبيل ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ﴾ الذي عاهد الله عليه أو بعهد الله إليه من أداء الأمانة وغيره ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ الله بترك المعاصي وعمل الطاعات ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٧٦﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر، أي يحبهم بمعنى يثيبهم، ونزل في اليهود لما بدلوا نعت النبي وعهد الله إليهم في التوراة أو

قوله: (**أودعه رجل**) أي قرشي. قوله: ﴿**بِدِينَارٍ**﴾ أصله دنّار بنونين قلبت الأولى ياء دفعاً للثقل، والباء في قوله بدينار وبقنطار بمعنى في وهو على حذف مضاف، في حفظ قنطار، وفي حفظ دينار، ويصح أن تكون بمعنى على لتعدي الأمانة بها في القرآن كثيراً، نحو لا تأمنا على يوسف، هل آمنكم على عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل، والدينار أربعة وعشرون قيراطاً، والقيراط وزنه ثلاث شعيرات، فوزن الدينار بالشعير اثنتان وسبعون شعيرة.

قوله: ﴿**إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً**﴾ ما مصدرية ظرفية ودام فعل ماض والتاء اسمها وقائماً خبرها، إلا مدة دوامك قائماً عليه، والمعنى لا يؤده إليك في حال من الأحوال، إلا في حال ملازمتك له وإشهادك عليه قوله: (**فجحده**) أي أنكره. قوله: (**أي بسبب قولهم**) أشار بذلك إلى أن الباء سببية وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالباء. قوله: (**أي العرب**) أي وغيرهم ممن ليس من أهل كتابهم. قوله: (**لاستحلالهم ظلم من خالف دينهم الخ**) روي أنهم قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه، وجميع ما في الأرض ملك لأبينا، وأولاد السيد يتصرفون في ملك أبيهم، وقيل إنهم قالوا: المال لنا وظلمنا فيه العرب، وقيل: إنهم قالوا إن الله أباح لنا مال من خالف ديننا، وادعوا أن ذلك في التوراة. ورد أن النبي لما قالوا ذلك قال: «كذبوا ما من شيء إلا وهو تحت قدمي، يعني منسوخ، ما عدا الأمانة فإنها مؤداة للبر والفاجر». قوله: ﴿**وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ هذا بالنسبة لعلمائهم، وما عداهم مقلدون لهم في ذلك. قوله: ﴿**بَلَى**﴾ إضراب إبطالي وهو مغن عن جملة قدرها المفسر بقوله عليهم فيهم سبيل. قوله: ﴿**مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ**﴾ جملة مستأنفة مؤكدة للإبطال الأول. قوله: (**الذي عاهد الله عليه**) أي فهم من إضافة المصدر لفاعله، وقوله: (**أو بعهد الله إليه**) أي فهو من إضافة المصدر لمفعوله، فكل من العبد والمولى معاهد ومعاهد، فعهد الله للعبد إثابته، وعهد العبد لمولاه عدم مخالفته له. قوله: (**من أداء الأمانة الخ**) ورد في الحديث: «خمس من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كان فيه واحدة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر». قوله: (**فيه وضع الظاهر موضع المضمر**) أي وكان مقتضى الظاهر أن يقول فإن الله يحبه، وفيه أيضاً مراعاة معنى من. قوله: (**لما بدلوا الخ**) شروع في سبب نزول الآية وقد ذكره على ثلاثة أوجه. قوله: (**نعت النبي**) من الجماعة الذين بدلوا

فيمن حلف كاذباً في دعوى أو في بيع سلعة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ﴾ يستبدلون ﴿بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾ إليهم في الإيمان بالنبي وأداء الأمانة ﴿وَأَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ حلفهم به تعالى كاذبين ﴿ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾ من الدنيا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ﴾ نصيب ﴿لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ غضباً عليهم ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ﴾ يرحمهم ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾ يطهرهم ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ ﴿٧٧﴾ مؤلم ﴿وَإِنَّ مِنۡهُمۡ﴾ أي أهل الكتاب ﴿لَفَرِيقٗا﴾ طائفة ككعب بن الأشرف ﴿يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ﴾ أي يعطفونها بقراءته عن المنزل إلى ما حرفوه من نعت النبي ونحوه ﴿لِتَحۡسَبُوهُ﴾ أي المحرف ﴿مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ الذي أنزله الله ﴿وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ أنهم كاذبون. ونزل لما قال نصارى نجران: إن عيسى أمرهم أن

نعته حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف. قوله: (في دعوى) أي كانت بين رجلين في بئر أحدهما الأشعث بن قيس فاختصما إلى النبي ﷺ، فقال شاهداك أو يمينه فقال الأشعث بن قيس إذاً يحلف كاذباً ولا يبالي، وقوله: (أو بيع سلعة) أي فيمن أراد بيعها وحلف لقد أعطي فيها كذا كاذباً.

قوله: ﴿بِعَهْدِ اللهِ﴾ الباء داخلة على المتروك أي يتركون الوفاء به في نظير الثمن القليل. قوله: ﴿أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ﴾ أي فهم مخلدون في النار إن استحلوا ذلك. قوله: (ولا يكلمهم الله) إن قلت إن قوله تعالى في سورة المؤمنون: (قال اخسؤوا فيها ولا تكلمون) الآية، يقتضي أن الله يقع منه كلام لهم، فكيف الجمع بين الاثنين؟ أجيب بأن قوله تعالى (ولا يكلمهم الله) أي كلام رضا فلا ينافي أنه يكلمهم كلام غضب أو لا يكلمهم أصلاً وآيات الكلام على لسان الملائكة، ويشهد لذلك قوله تعالى: (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك). قوله: ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ أي نظر رحمة وإلا فهو ناظر لكل شيء. قول (يطهرهم) أي من الذنوب ولا يثني عليهم وهذا استخفاف بهم.

قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً﴾ هذا من جملة قبائحهم وتلبيساتهم، وأكدت الجملة بأن واللام إشارة إلى أن ذلك محقق منهم. قوله: (ككعب بن الأشرف) أدخلت الكاف، مالك بن الصيف، وحيي بن أخطب، وأبي ياسر، وشعبة بن عمرو الشاعر. قوله: ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ﴾ في محل نصب صفة لفريقاً، وقوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ متعلق بمحذوف خبر إن، وراعى في الجمع معنى فريقاً لأنه اسم جمع كرهط وقوم، قال بعضهم يجوز مراعاة اللفظ، وألسنتهم جمع لسان، وهذا على أنه مذكر، وأما على أنه مؤنث فهو جمع لألسن كذراع وأذرع، والمراد من الألسنة الكلام، ففيه إطلاق الشيء على آلته، والباء في الكتاب بمعنى في، أي يلفتون ألسنتهم في حال قراءة الكتاب. قوله: (أي يعطفونها) أي يلفتونها. قوله: (عن المنزل) متعلق بيعطفونها، وكذا قوله: (من نعت النبي) بيان لما. قوله: (ونحوه) أي كآية الرجم وغيرها مما يشهد للنبي بالتصديق.

قوله: ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ أي أيها المؤمنون، فالمقصود من ذلك إدخال اللبس على المؤمنين. قوله: ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ في محل نصب مفعول ثان لتحسبوه، والهاء مفعول أول. قوله: ﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ أي لا في الواقع ولا في اعتقادهم، وأظهر في محل الاضمار في الموضعين زيادة في التبكيت عليهم. قوله: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ الواو للحال، وقوله: (أنهم كاذبون) إشارة إلى مفعول يعلمون. قوله: (ونزل لما قال نصارى

يتخذوه رباً، أو لما طلب بعض المسلمين السجود له ﷺ ﴿ مَا كَانَ ﴾ ينبغي ﴿ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ ﴾ أي الفهم للشريعة ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن﴾ يقول ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ علماء عاملين منسوب إلى الرب بزيادة ألف ونون تفخيماً ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ ﴿٧٩﴾ أي سبب ذلك فإن فائدته أن تعملوا ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ ﴾ بالرفع استئنافاً أي الله، والنصب عطفاً على يقول أي البشر ﴿أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ﴾ كما اتخذت الصابئة الملائكة واليهود عزيزاً والنصارى عيسى ﴿ أَيَأْمُرُكُم

نجران) أي حين قدموا على النبي ﷺ، فالمراد بالبشر على هذا هو عيسى وبالكتاب الإنجيل، قوله: **(أو لما طلب بعض المسلمين الخ)** أو لتنويع الخلاف، فالمراد بالبشر على ذلك هو محمد ﷺ، وبالكتاب القرآن، وآخر الآية يؤيد هذا السبب.

قوله: **﴿مَا كَانَ الخ﴾** هذه الصيغة يؤتى بها للنفي العام الذي لا يجوز عقلاً ثبوته وهو المراد هنا، وكذلك قوله تعالى: (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) أي لا يمكن ولا يتصور عقلاً صدور دعوى الأولوهية من نبي قط ويؤتى بها للنفي الخاص، كقول أبي بكر ما كان لابن أبي قحافة أن يتقدم في الصلاة بين يدي رسول الله، أي ما ينبغي له ذلك، فقول المفسر ينبغي أي يمكن وقد فسره المحلي في سورة يس في قوله تعالى: (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) بذلك. قوله: **﴿ثُمَّ يَقُولَ﴾** معطوف على يؤتى، ولهذا العطف لازم يتوقف صحة المعنى عليه لأن مصب النفي المعطوف والمعطوف عليه. قوله: **﴿لِلنَّاسِ﴾** أي أمة محمد على الثاني، ونصارى نجران على الأول. قوله: **﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾** أي من غير أن يقصرهم على الله بأن يشرك نفسه مع الله في العبادة أو يفرد نفسه بالعبادة، وهذه الجملة حال من الواو في **﴿كُونُوا﴾** أي حال كونكم متجاوزين الله إشراكاً أو إفراداً. قوله: **﴿وَلَكِنْ﴾** استدراك على ما تقدم. قوله: **(زيادة ألف ونون)** أي كرقباني وشعراني ولحياني، وقوله: **(تفخيماً)** أي للمبالغة. قوله: **﴿وَبِمَا كُنْتُمْ﴾** الباء سببية. قوله: **(بالتخفيف والتشديد)** أي فهما قراءتان سبعيتان، فالعلم سبب للعمل، فقبيح على العالم تركه العمل، وأقبح منه أن يرشد الناس يهديهم مع كونه هو غير مهتد في نفسه، قال بعضهم:

وعالم بعلمه لن يعلمن   معذب من قبل عباد الوثن

فمثل العالم الذي يعلم الناس وهو غير عامل، كشمعة موقودة تضيء للناس وتحرق نفسها، وفي هذا المعنى قال بعضهم:

أتنهى الأناس ولا تنتهي   متى تلحق القوم يا لكع
ويا حجر السن ما تستحي   تسن الحديد ولا تقطع

قوله: **(أي الله)** أشار بذلك إلى أن فاعل يأمر ضمير مستتر عائد على الله. قوله: **(عطفاً على يقول)** أي لأنه في حيز النفي، وتكون لا زائدة لتأكيد النفي، والمعنى لا يمكن لبشر أن يأمر بعبادة الناس له، ولا بعبادة الملائكة والنبيين، وقوله: **(أي البشر)** أي ففاعله ضمير يعود على البشر، ولا يصح كون الفاعل ضميراً يعود على الله. قوله: **﴿أَرْبَاباً﴾** أي بل نحبهم ونعتقد أنهم عبيد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، لا يضرون ولا ينفعون، فنتوسل بهم إلى الله، لذلك لا لكونهم أرباباً.

﴿بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝٨٠﴾ لا ينبغي له هذا ﴿وَ﴾ أذكر ﴿إِذْ﴾ حين ﴿أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ عهدهم ﴿لَمَآ﴾ بفتح اللام للابتداء وتوكيد معنى القسم الذي في أخذ الميثاق وكسرها متعلقة بأخذ، وما موصولة على الوجهين أي الذي ﴿ءَاتَيْتُكُم﴾ إياه وفي قراءة آتيناكم ﴿مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ من الكتاب والحكمة وهو محمد ﷺ ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ جواب القسم إن أدركتموه وأممهم تبع لهم في ذلك ﴿قَالَ﴾ تعالى لهم ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ﴾ بذلك ﴿وَأَخَذْتُمْ﴾ قبلتم ﴿عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾ عهدي ﴿قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟﴾ على أنفسكم

قوله: (كما اتخذت الصابئة الخ) هم فرقة من اليهود صبؤوا بمعنى مالوا عن دين موسى إلى عبادة الملائكة وقالوا إنهم بنات الله. قوله: (واليهود عزيراً) أي حيث رأوه يحفظ التوراة. قوله: (والنصارى عيسى) أي حيث رأوه جاء من غير أب ويحيي الموتى. قوله: (لا ينبغي له هذا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري تعجبي، نظير قوله تعالى: (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم).

قوله: ﴿وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ إذ ظرف لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر، والمراد ذكر العهد نفسه لا ذكر وقته، والميثاق هو عهد مؤكد باليمين، واختلف فيه هل كان ذلك في عالم الدر، وعليه يكون قوله آتيتكم من كتاب وحكمة في عالم الأشباح، فالمعاهدة لما يأتي أو كان ذلك في عالم الأشباح، وكانت تلك المعاهدة تنزل في كتبهم، وعليه تكون المعاهدة في الحالة الراهنة، واختلف في الرسول المعاهد عليه في جميع الأنبياء، فذهب جماعة من الصحابة والتابعين، منهم سعيد بن جبير وطاوس إلى أن كل نبي يعاهد على من يأتي بعده من الأنبياء، فأخذ العهد على آدم إن جاءه رسول مصدق لما معه ليؤمنن به ولينصرنه، وكذلك شيث أخذ عليه العهد، وهكذا إلى إبراهيم إلى موسى إلى بقية أنبياء بني إسرائيل، إلى عيسى، فهو ﷺ معاهد عليه مع كل نبي في عموم الأنبياء، ومع عيسى عوهد عليه بالخصوص، وهي حكمة قوله تعالى: (ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) وذهب جماعة أخرى من الصحابة منهم ابن عباس وعلي بن أبي طالب والسدي وقتادة، إلى أن المراد بالرسول المعاهد عليه هو سيدنا محمد ﷺ فأخذ الله العهد على كل نبي بإنفراده لئن جاءه محمد وهو حي مصدق لما معه ليؤمنن به ولينصرنه، وعليه فلو ظهر محمد في زمن أي نبي من الأنبياء، لبطل شرع ذلك النبي وكان هو وأمته من أتباعه، واقتصر على هذا القول المفسر، قال السبكي يؤخذ من الآية على هذا التفسير أنه نبي الأنبياء وأن الأنبياء نوابه، والحكمة في تلك المعاهدة ارتباط أولهم بآخرهم، وبيان عصمتهم من داء الحسد، من الأمم التي تكفر بالرسول المبعوث. قوله: (وتوكيد معنى القسم) أي مؤكدة لليمين المأخوذ من الميثاق، فإنه تقدم أن معنى الميثاق عهد مؤكد بيمين. قوله: (متعلقة بأخذ) أي على أنها للتعليل مع حذف المضاف، أي لرعاية وحفظ ما آتيتكم. قوله: (وما موصولة) على الوجهين وهي على الأول مبتدأ وآتيتكم صلتها، وقوله: ﴿مِنْ كِتَابٍ﴾ بيان لما ﴿وَحِكْمَةٍ﴾ معطوف على ﴿كِتَابٍ﴾. وقوله: ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ﴾ معطوف على آتيتكم و ﴿مُصَدِّقٌ﴾ صفة لرسول، وقوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾ جواب القسم، وخبر المبتدأ محذوف تقديره تؤمنون به وتنصرونه، والضميران في ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ راجعان للرسول، واستشكل عود الضمير على الرسول، مع أن المبتدأ في الحقيقة الكتاب والحكمة، وانظر ما الجواب. قوله: ﴿أَأَقْرَرْتُمْ﴾ بتخفيف الهمزتين بألف بينهما وتركها، وتسهيل الثانية بألف وبدونها، وبإبدال الثانية ألفاً، فالقراءات خمس. قوله: (عهد) سمي العهد بالإصر لأن فيه مشقة.

وأتباعكم بذلك ﴿ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ ﴿٨١﴾ عليكم وعليهم ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ﴾ أعرض ﴿ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الميثاق ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ بالياء أي المتولون والتاء ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ﴾ انقاد ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا﴾ بلا إباء ﴿ وَكَرْهًا﴾ بالسيف ومعاينة ما يلجىء إليه ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ ﴿٨٣﴾ بالتاء والياء والهمزة للإنكار ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ أولاده ﴿ وَمَآ أُوتِيَ

قوله: ﴿قَالُوا أَقْرَرْنَا﴾ جواب عن سؤال تقديره ماذا قالوا حينئذ؟ وثمرة المعاهدة على محمد مع علم الله أنه لا يأتي في زمن نبي من الأنبياء الثواب على العزم بالاتباع، والعقاب على العزم بعدم الإيمان، فجميع الأنبياء يثابون على الإيمان بمحمد، ومن عزم على عدم الإيمان به لو ظهر عوقب. قوله: ﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذٰلِكَ﴾ إن قلت إن الأنبياء معصومون من ذلك، أجيب بأن الشرطية لا تقتضي الوقوع أو خطاب لهم، والمراد أممهم. قوله: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ﴾ هذا رد على اليهود والنصارى، حيث ادعى كل دين إبراهيم واختصموا إلى النبي، فقال النبي: كلا الفريقين بريء من دين إبراهيم، والهمزة داخلة على محذوف تقديره أعموا فغير دين الله يبغون؟

قوله: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ﴾ جملة حالية. قوله: ﴿طَوْعاً﴾ راجع لجميع أهل السماء وبعض أهل الأرض، وقوله: ﴿وَكَرْهاً﴾ راجع لبعض أهل الأرض فطوعاً وكرهاً مصدران في موضع الحال، والتقدير طائعين وكارهين. قوله: (ومعاينة ما يلجأ إليه) أي إلى الإسلام كنطق الجبل وإدراك فرعون وقومه الغرق، قال تعالى: (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده) الآية. قوله:(والهمزة للإنكار) أي التوبيخي وقدم المفعول لأن المقصود إنكاره.

قوله: ﴿قُلْ آمَنَّا﴾ لما تقدم أن الله أمر الأنبياء بالإيمان بمحمد على أرجح التفسيرين، ذكر هنا أمره بالإيمان وأفرد في قوله قل، وجمع في قوله آمنا، لأن النبي هو المخاطب بالوحي والتبليغ فقط، وأما الإيمان فمخاطب به هو وأتباعه. قوله: ﴿بِاللهِ﴾ أي صدقنا بأن الله متصف بكل كمال، ومستحيل عليه كل نقص. قوله: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ أي وهو القرآن، وعبر هنا بعلى، وفي سورة البقرة بإلى، لأن مادة النزول تتعدى بهما، غير أنه بالنظر للمبدأ يعدى بعلى كما هنا لأن المخاطب بذلك هو الموحى إليه وهو محمد والأنبياء بعده، وبالنظر للمنتهى كما في البقرة يعد بإلى لأن المأمور بذلك أمم.

قوله: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ إنما صرح بأسماء هؤلاء لأن أهل الكتاب يعترفون بكتبهم ونبوتهم. قوله: ﴿وَإِسْمٰعِيلَ﴾ الخ، وما أنزل على هؤلاء من الوحي، وكانوا يتعبدون بشرع إبراهيم بوحي من الله، وإسماعيل أبو العرب، وإسحاق أبو العجم، ويعقوب بن إسحاق، والأسباط أولاد يعقوب وكانوا اثني عشر رجلاً، يوسف وإخوته، ويؤخذ من الآية أنهم أنبياء يجب الإيمان بهم وهو المعتمد، وما يأتي في سورة يوسف من الوقائع العظيمة الموهمة عدم عصمتهم، فمؤول بأنهم مأمورون بذلك باطناً من حضرة الله، كأفعال الخضر عليه السلام، قال تعالى في حقه: (وما فعلته عن أمري) ويقال فيهم ما قيل فيه بالأولى، فإن المعتمد أن الخضر ليس بنبي، والأسباط أنبياء على المعتمد، وموافقة ظاهر الشرع إنما تلزم الرسول المشرع فتأمل. قوله: (أولاده) أي أولاد يعقوب فهم أسباط لإبراهيم،

مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ ﴾ بالتصديق والتكذيب ﴿ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ ﴿٨٤﴾ مخلصون في العبادة، ونزل فيمن ارتد ولحق بالكفار ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ ﴿٨٥﴾ لمصيره إلى النار مؤبدة عليه ﴿ كَيۡفَ ﴾ أي لا ﴿ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ ﴾ أي وشهادتهم ﴿ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَ ﴾ قد ﴿ جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ ﴾ الحجج الظاهرات على صدق النبي ﷺ ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ﴿٨٦﴾ أي الكافرين ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ أي اللعنة أو النار المدلول بها عليها ﴿ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴾ ﴿٨٨﴾ يمهلون ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ

بمعنى أولاد بنيه لا بالمعنى المصطلح عليه وهو أولاد البنت.

قوله: ﴿**وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى**﴾ أي من التوراة والإنجيل ومعجزاتهما، قوله: ﴿**وَالنَّبِيُّونَ**﴾ عطف عام على خاص، فيجب الإيمان بالنبيين عموماً إجمالاً في الإجمالي، وتفصيلاً في التفصيلي، فيجب الإيمان تفصيلاً بخمسة وعشرين نبياً ثمانية عشر في الأنعام، ومحمد وآدم وهود وصالح وشعيب وإدريس وذو الكفل، من أنكر أي واحد منهم بعد علمه فقد كفر، ويجب الإيمان الإجمالي بما عدا هؤلاء، ولا يعلم عدتهم إلا الله. قوله: (**بالتصديق والتكذيب**) أي بالتصديق لبعض والتكذيب للبعض الآخر، كما فعلت اليهود والنصارى. قوله: (**مخلصون في العبادة**) أشار بذلك إلى أن المراد بالإسلام هنا حقيقته وهو الانقياد الظاهري. قوله: (**فيمن ارتد**) أي وهم اثنا عشر أسلموا بالمدينة، ولحقوا بأهل الكفر في مكة، منهم الحرث بن سويد الأنصاري ولكنه أسلم بعد ذلك.

قوله: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ**﴾ اعلم أن جمهور السبعة على الفك لوجود الفاصل الحكمي وهو الياء التي حذفها الجازم، لأن المحذوف لعلة كالثابت، وقرأ أبو عمرو في أحد وجهيه بالإدغام نظراً للصورة الظاهرية، ونظيره في القرآن كل مثلين بينهما فاصل حكمي ففيه الوجهان نحو (يخل لكم وجه أبيكم) (وإن يك كاذباً) ومن اسم شرط، ويبتغ فعله، وغير مفعول، وديناً تمييز لغير أو بدل منه أو مفعول وغير حال لأنه نعت نكرة قدم عليها. قوله: ﴿**فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ**﴾ أي ولا يقر عليه قوله: ﴿**كَيْفَ**﴾ استفهام إنكاري بمعنى النفي كما يشير له المفسر بقوله: (**أي**) ﴿**يَهْدِي**﴾ وقيل إنه استبعادي أي فهداهم مستبعد، قال العارف البوصيري:

وإذا البينات لم تغن شيئاً فالتماس الهدى بهن عناء

قوله: (**أي وشهادتهم**) أشار بذلك إلى أن الفعل مؤول باسم الذي هو الإيمان. قوله: ﴿**وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾ أي حتى أهل النار في النار، قال تعالى: (كلما دخلت أمة لعنت أختها). قوله: (**أي اللعنة**) أي ومن لوازمها الخلود في النار، قوله: (**المدلول بها**) أي اللعنة، وقوله: (**عليها**) أي على النار، قوله: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا**﴾ أي كالحرث بن سويد فإنه لما ارتد وذهب لمكة مع المفار وأراد الله له الهدى بعث لأخ له في المدينة وكان مسلماً يقول له أخبر رسول الله ﷺ أني إذا اتيت هل أقبل، فأخبر رسول الله بذلك فنزلت هذه الآية، فبعثها له بمكة فأتى طائعاً وأسلم وحسن إسلامه، وهذا شروع في تقسيم الكفار إلى ثلاثة أقسام: قسم منهم كفر ولم يعد، وقسم كفر ثم عاد للإسلام ظاهراً فقط، وقسم كفر ثم أسلم ظاهراً وباطناً،

﴿مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ﴾ عملهم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ ﴿٨٩﴾ بهم، ونزل في اليهود ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بعيسى ﴿بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ﴾ بموسى ﴿ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا﴾ بمحمد ﴿لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ﴾ إذا غرغروا وماتوا كفاراً ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ مقدار ما يملؤها ﴿ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ أدخل الفاء في خبر إن لشبه الذين بالشرط وإيذاناً بتسبب عدم القبول عن الموت على الكفر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ مؤلم ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ ﴿٩١﴾ مانعين منه ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ﴾ أي ثوابه وهو الجنة ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُواْ﴾ تصدقوا ﴿مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ من أموالكم ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾ ﴿٩٢﴾ فيجازي عليه. ونزل لما قال اليهود إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم وكان لا يأكل لحوم الإبل وألبانها ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا﴾ حلالاً ﴿لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ﴾ يعقوب ﴿عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ﴾ وهو الإبل لما حصل له عرق النسا بالفتح والقصر فنذر إن شفي لا يأكلها فحرم عليه ﴿مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ﴾ وذلك

قوله: **﴿مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ﴾** أي الكفر، قوله: **﴿رَحِيمٌ﴾ (بهم)** أي حيث قبل توبتهم، قوله: **(بعيسى)** أي والإنجيل، وقوله: **(بموسى)** أي والتوراة، وقوله: **(بمحمد)** أي والقرآن، قوله: **(إذا غرغروا)** أشار بذلك إلى أن الآية مقيدة بذلك وهذا في الكافر، وأما العاصي فتقبل منه عند الغرغرة، قوله: **﴿أو مَاتُوا كُفَّاراً﴾** أي بأن تابوا عند معاينة العذاب. قوله: **﴿مِلْءُ آلأَرْضِ﴾** أي مشرقها ومغربها، قوله: **﴿ذَهَباً﴾** تمييز وخصه بالذكر لأنه أحسن الأموال وأغلاها، قوله: **﴿وَلَوِ آفْتَدَى بِهِ﴾** أي هذا إذا تصدق به، بل ولو افتداه أهله به بالصدقة لا تنفعه منه أو من غيره لإجله.

قوله: **﴿لَنْ تَنَالُوا آلْبِرَّ﴾** لما ذكر أن صدقة الكافر لا تنفعه، ذكر هنا أن صدقة المسلم وجميع طاعاته تنفعه، قوله: **(أي ثوابه)** أي البر أشار بذلك إلى أن في الكلام حذف مضاف. قوله: **(تصدقوا)** بحذف إحدى التاءين على التخفيف، أو بدون حذف على التشديد بقلب إحدى التاءين صاداً أو بادغامها في الصاد. قوله: (من أموالكم) أي وغيرها من الأنفس والجاه، قوله: **﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾** هذه الجملة في محل الجواب، أي فحيث كان علياً بذلك لا يضيع من جزائه شيء. وقد أشار لذلك المفسر بقوله فيجازون عليه، قوله: **(ونزل لما قال اليهود الخ)** أي سبب نزولها قول اليهود ما ذكر. قوله: **وكان لا يأكل لحوم الإبل)** أي زعموا أن ما ذكر حرام على إبراهيم، فلو كنت على ملته لما كان ذلك حلاً لك، فرد الله عليهم زعمهم.

قوله: **﴿كُلُّ الطَّعَامِ﴾** أي الذي هو حلال في شرعنا، فما هو حلال في شرعنا كان حلالاً في شرعه. قوله: **(حلالاً)** أشار بذلك إلى أنه يقال حل وحلال وكذلك حرم وحرام، قوله: **﴿إلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ﴾** معناه بالعربية عبدالله وهو اسمه ويعقوب لقبه. قوله: **(عرق النسا)** أي وهو عرق ينفر في بطن الفخذ يعجز صاحبه، وورد في دوائه عن أنس عن النبي ﷺ أنه يؤتى بكبش عربي ويذبح وتؤخذ أليته وتقطع ثم تسلى بالنار، ثم يؤخذ ذلك ويقسم ثلاثة أجزاء ويشرب كل جزء على الريق، قال أنس: فما زلت أصف ذلك لمن نزل به فشفي به أكثر من مائة، قوله: **(فنذر إن شفي لا يأكلها)** أي وكان لحمها أحب المأكول إليه، ولبنها أحب المشروب إليه، ومثل هذا النذر لا يلزم في شرعنا لأن النذر إنما يلزم به ما ندب، وترك

بعد إبراهيم، ولم تكن على عهده حراماً كما زعموا ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ﴾ ليتبين صدق قولكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ﴿٩٣﴾ فيه فبهتوا ولم يأتوا بها قال تعالى ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي ظهور الحجة بأن التحريم إنما كان من جهة يعقوب لا على عهد إبراهيم ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ﴿٩٤﴾ المتجاوزون الحق إلى الباطل ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ في هذا كجميع ما أخبر به ﴿فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ التي أنا عليها ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً عن كل دين إلى الإسلام ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿٩٥﴾ ونزل لما قالوا قبلتنا قبل قبلتكم ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ﴾ متعبداً ﴿لِلنَّاسِ﴾ في الأرض ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ بالباء لغة في مكة سميت بذلك لأنها تبك أعناق الجبابرة أي تدقها بناه الملائكة قبل خلق آدم ووضع بعده الأقصى وبينهما أربعون سنة كما في حديث الصحيحين، وفي الحديث «أنه أول ما ظهر على وجه الماء عند خلق السموات والأرض زبدة بيضاء فدحيت الأرض من تحته» ﴿مُبَارَكًا﴾ حال من الذي أي ذا بركة ﴿وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿٩٦﴾ لأنه قبلتهم ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ منها ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي الحجر الذي قام عليه عند بناء البيت فأثر

ما ذكر ليس مندوباً، قوله: **(فحرم عليه)** قيل حرمت أيضاً على أولاده تبعاً له، وقيل هو حرمها على نفسه وعلى ذريته.

قوله: ﴿مِنْ قَبْلِ﴾ ظرف متعلق بحلاً مع ملاحظة الإستثناء، ويحتمل أنه متعلق بقوله إلا ما حرم قوله: **(وذلك بعد إبراهيم)** أي بألف سنة، قوله: **(صدق قولكم)** أي اخباركم عنه بأن ما ذكر حرام عليه. قوله: **(فبهتوا)** من باب علم أو نصر أو كرم أو زهي، والمعنى دهشوا وتحيروا وانقطعت حجتهم. قوله: ﴿فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ﴾ أي اختلقه من عند نفسه، قوله: **(أن التحريم)** أي لخصوص لحوم الإبل والبانها. قوله: ﴿قُلْ صَدَقَ اللهُ﴾ أي ثبت وتقرر صدقه وظهر كذبكم. قوله: **(كجميع ما أخبر به)** أي كصدقة في جميع أخباره التي جاءت بها الرسل. قوله: **(التي أنا عليها)** أي وجميع المؤمنين.

قوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ تعريض لهم بأنهم هم المشركون، وبيان أن النبي على ملة إبراهيم من حيث السهولة وأصول الدين. قوله: **(ونزل لما قالوا إلخ)** أي حين حولت القبلة قالوا لم تحولت عن قبلتنا مع كونها أقدم وأفضل. قوله: **(لغة في مكة)** أي فأبدلت الميم باء، قوله: **(لأنها تبك أعناق الجبابرة)** أي وسميت مكة لأنها من الملك وهو الإزالة، فإنها تزيل الذنوب وتمحوها، قوله: **(بناه الملائكة)** ورد أن الله خلق البيت المعمور، وكانت ملائكة السماء تطوف به، اشتاقت ملائكة الأرض لبيت مثله، فأمرهم ببناء بيت محاذ للبيت الذي في السماء وكان من درة بيضاء وطافت به قبل آدم الفي سنة. قوله: **(ووضع بعده)** أي بعد بنائه ظاهره أنه وضع بعد بناء الملائكة بأربعين سنة، فيكون من وضع الملائكة ويكون متقدماً على آدم وليس كذلك، بل الحق أن بيت المقدس وضعه آدم بعد بنائه هو البيت الحرام بأربعين سنة. قوله: **(زبدة)** بالتحريك رغوة بيضاء. قوله: **(ذا بركة)** أي من حيث الحج به وتكفير السيئات لمن دخله بذل وانكسار. قوله: **(لأنه قبلتهم)** أي يتوجهون إليه عند الصلاة، وعموم

قدماه فيه وبقي إلى الآن مع تطاول الزمان وتداول الأيدي عليه ومنها تضعيف الحسنات فيه وأن الطير لا يعلوه ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ لا يتعرض إليه بقتل أو ظلم أو غير ذلك ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ واجب بكسر الحاء وفتحها لغتان في مصدر حج بمعنى قصد ويبدل من الناس ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ طريقاً فسره ﷺ بالزاد والراحلة رواه الحاكم وغيره ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ بالله أو بما فرضه من الحج ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿٩٧﴾ الأنس والجن والملائكة وعن عبادتهم ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٨﴾ فيجازيكم عليه ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ﴾ تصرفون ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي دينه ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ بتكذيبكم النبي وكتم نعمته ﴿تَبْغُونَهَا﴾ أي تطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾ مصدر بمعنى معوجة أي مائلة عن

الآية يشهد بأنه قبلة حتى للجمادات، ولذلك ترى الأشجار عند انحنائها تكون لجهته. قوله: **(وبقي إلى الآن)** أشار بذلك إلى أن في الحجرآيتين غوص إبراهيم فيه وصعوده به ونزوله به، وكونه باقياً إلى الآن. قوله: **(تضعيف الحسنات فيه)** أي فالصلاة فيه بمائة الف صلاة، قوله: **(وأن الطير لا يعلوه)** أي لا يمر على ظهره إلا إذا كان بالطير مرض فيمر ليشتفي بهوائه. قوله: **(بقتل)** أي ولو قصاصاً، هذا ما كان في الجاهلية فكان الرجل يقتل ويدخله فلا يتعرض له ما دام فيه، وأما بعد الإسلام فعند مالك والشافعي أن قتل اقتص منه فيه، وعند أبي حنيفة لا يقتص منه فيه ما دام فيه وإنما يضيق عليه حتى يخرج، وهذا هو الأمر في الدنيا، وأما في الآخرة فبتكفير السيئات ومضاعفة الحسنات.

قوله: **﴿ولِلَّهِ عَلَى النَّاسِ﴾** خبر مقدم و **﴿حِجُّ الْبَيْتِ﴾** مبتدأ مؤخر، والحج لغة القصد، واصطلاحاً عبادة، يلزمها طواف بالبيت سبعاً وسعياً بين الصفة والمروة كذلك ووقوف بعرفة ليلة عاشر ذي الحجة على وجه مخصوص، وهو فرض عين في العمر مرة، وواجب كفاية كل عام إن قصد إقامة الموسم، ومندوب إن لم يقصد ذلك. قوله: **(لغتان)** أي وهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(ويبدل من الناس)** أي بدل بعض من كل، والعائد محذوف تقديره منهم. قوله: **﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾** أي على سبيل العادة، فلا يجب بطيران ولا خطوة، لكن لو فعل سقط الفرض، وأما المشي فيجب به عند مالك إن قدر عليه.

قوله: **﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾(بالله)** أي أنكر وحدانيته أو جحد شيئاً من أحكامه. قوله: **(أو بما فرضه)** تفسير ثان. قوله: **﴿فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾** أي فلا تنفعه طاعتهم ولا تضره معاصيهم قال تعالى: (فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد).

قوله: **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾** أي اليهود والنصارى، وخصهم بالذكر لأن كفرهم محض عناد قوله: **(القرآن)** أو وما ألحق به من المعجزات الباهرة. قوله: **﴿عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾** أي من الكفر. قوله: **(تصرفون)** أي تمنعون. قوله: **(أي دينه)** أي المعتدل.

قوله: **﴿مَنْ آمَنَ﴾** يحتمل أن المعنى من آمن بالفعل تسعون في رده عن الإيمان إلى الكفر ويحتمل أن المراد من أراد الإيمان تصدوه عن كونه يؤمن بالله. قوله: **﴿تَبْغُونَهَا﴾** الجملة حالية من الواو في تصدون. قوله: **﴿عِوَجاً﴾** هو بكسر العين في المعاني وبفتحها في الأجسام، يقال اعوجت الطريق

الحق ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾ عالمون بأن الدين المرضي القيم هو دين الإسلام كما في كتابكم ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٩﴾ من الكفر والتكذيب وإنما يؤخركم إلى وقتكم ليجازيكم. ونزل لما مر بعض اليهود على الأوس والخزرج فغاظه تآلفهم فذكرهم بما كان بينهم في الجاهلية من الفتن فتشاجروا وكادوا يقتتلون ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ ﴿١٠٠﴾ ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ استفهام تعجيب وتوبيخ ﴿وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم﴾ يتمسك ﴿بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ﴿١٠١﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ بأن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى فقالوا يا

واعوجت الحائط، بمعنى قام بالأول العوج بالكسر، وبالثاني للعوج بالفتح، والمعنى تتركون السبيل المعتدلة وتطلبون السبيل المعوجة. قال تعالى: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين). قوله: (**مصدر**) أي حال من ضمير تبغونها. قوله: **﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾** الجملة حالية من الواو في تبغونها. قوله: (كما في كتابكم) المراد به الجنس الصادق بالتوراة والأنجيل.

قوله: **﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلونَ﴾** دفع بذلك توهم أن الله حيث أمهلهم فهو غافل عنهم، وقال تعالى أيضاً: (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون) الآيات. قوله: (**من الكفر إلخ**) بيان لما. قوله: (**ونزل لما مر بعض اليهود**) أي واسمه شاس. قوله: (**فغاظه تآلفهم**) أي توددهم ومحبة بعضهم لبعض، بعد أن كان ما كان بينهم من الشحناء والبغضاء. قوله: (**فذكرهم**) ورد أنه كان معه شاب يهودي فقال له اذهب إلى بني قيلة هؤلاء وقل لهم أتذكرون يوم بعاث، واذكر لهم ما تناشدوه بينهم من الأشعار التي فيها الهجو لبعضهم بعضاً، وكان يوم بعاث عظيماً في اقتتال الأوس والخزرج، وكان الغلبة فيه للخزرج، فذهب ففعل كما أمره، فقالوا السلاح السلاح، فنزل جبريل على النبي ﷺ بالآيات إلى قوله: (لعلكم تهتدون) فخرج النبي مع بعض اصحابه فوجدهم في الصحراء مصطفين للقتال، فقال يا معشر المسلمين أتدعون بدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالإسلام وقطع عنكم إصر الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمك الله بالإسلام وقطع عنكم إصر الجاهلية وألف بين قلوبكم، وقرأ عليهم الآيات، فعلموا أنها نزعة من عدوهم، فألقوا السلاح وصار يعانق بعضهم بعضاً، قال جابر بن عبد الله: ما رأيت يوماً أشأم منه ولا أسر منه، كان أوله شؤماً وآخره سروراً، قوله: **﴿فَرِيقاً﴾** هو شاس واتباعه، قوله: **﴿يَرُدُّوكُمْ﴾** أي يصيروكم فالكاف مفعول أول، وكافرين مفعول ثان فرد تنصب مفعولين، كقول الشاعر:

فرد وجوههن البيض سودا ... ورد شعورهن السود بيضا

قوله: **﴿وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾** هاتان الجملتان حالان والمعنى كيف يحصل منكم الكفر والحال أنكم تتلى عليكم آيات الله أي القرآن وفيكم رسوله محمد فهذا الأمر مستبعد أن يكون بعد تمام الهدى والكفر والضلال. قوله: **﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾** أي دين قيم لا اعوجاج فيه وهو دين الإسلام. قوله: **﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾** صفة المصدر محذوف أي تقوى حق تقاته. قوله: (**بأن يطاع إلخ**) تصوير للتقوى حق التقوى، وهذه أخلاق الأنبياء والمرسلين لعصمتهم وتكون لخواص عباد الله الذين على

رسول الله ومن يقوى على هذا فنسخ بقوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ موحدون ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟﴾ تمسكوا ﴿بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ أي دينه ﴿جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ بعد الإسلام ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ إنعامه ﴿عَلَيْكُمْ﴾ يا معشر الأوس والخزرج ﴿إِذْ كُنتُمْ﴾ قبل الإسلام ﴿أَعْدَآءً فَأَلَّفَ﴾ جمع ﴿بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بالإسلام ﴿فَأَصْبَحْتُم﴾ فصرتم ﴿بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ في الدين والولاية ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا﴾ طرف ﴿حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا أن تموتوا كفاراً ﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ بالإيمان ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما بين لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ الإسلام ﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

قدم الأنبياء ولذلك قال بعض العارفين:

ولو خطرت لي في سواك إرادة ... على خاطري يوماً حكمت بردتي

ولكن ليس معنى ذلك أنه يكون كافراً يستحق الخلود في النار، بل هذا لسان محب عاشق وردته نقصه عن مرتبة حبه إلى مرتبة أدنى منها في الحب، وأما القرآن فنزل على أخلاق العوام لتعليمهم ما يحتاجون إليه من أمر الدين، فنسخ الآية من حيث التكليف بهذا المعنى على سبيل الوجوب، وأما الرقي لتلك المراتب فمما يتنافس فيه المتنافسون على سبيل التطوع والتقرب فتدبر. قوله: **(فنسخ بقوله إلخ)** أي فيقال في قوله: **(بأن يطاع)** بحسب الطاقة، و قوله: **(فلا يعصى)** يعني أصلاً، وكذا قوله: **(ويشكر ولا يكفر ويذكر فلا ينسى)** ويناسب الناسخة قوله تعالى: (إن الله يحب التوابين) وقيل إن الآية ليست منسوخة بل آية(فاتقوا الله ما استطعتم) مبينة للمراد منها. قوله: **﴿وَلَا تَمُوتُنَّ﴾** أي يا بني قيلة الأوس والخزرج، قوله: **﴿إِلَّا وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ﴾** أي فلا يكن منكم موت على حالة دون حالة الإسلام، والمعنى دوموا على الإسلام إلى المات، ولا تغيروا ولا تبدلوا لئلا يصادفكم الموت في حالة التغيير، قال المفسر في بعض كتبه وما شاع من تفسير قوله تعالى: (إلا وأنتم مسلمون) متزوجون فهو باطل لا أصل له، ولا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأي، وخص حالة الموت بذلك لأن ثمرة الأعمال تظهر في تلك الحالة والمدار عليها.

قوله: **﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله﴾** أي حين الدخول في الإسلام. وقوله: **﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾** أي فدوموا على الإجتماع ولا يكن منكم تفرقة. قوله: **(أي دينه)** أي أو القرآن، وفي الكلام استعارة حيث شبه الدين أو القرآن بالحبل، واستعير اسم المشبه به وهو الحبل للمشبه، وهو الدين أو القرآن على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، والجامع بينهما التوصل للمقصود في كل، وإضافته للفظ الجلالة قرينة مانعة والاعتصام ترشيح، وفيه استعارة تصريحية تبعية حيث شبه الوثوق بالإعتصام، واستعار الإعتصام للوثوق، واشتق من الإعتصام اعتصموا بمعنى ثقوا، قوله: **﴿إِخْوَاناً﴾** خبر ثان لأصبحتم، وقوله: **(والولاية)** أي النصرة أي ينصر بعضكم بعضاً. قوله: **﴿يُبَيِّنُ الله لَكُمْ آيَاتِهِ﴾** أي يزيدكم بياناً ما دام رسول الله فيكم، قوله: **﴿تَهْتَدُونَ﴾** أي تدومون على الهداية وتزيدون فيها.

قوله: **﴿وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ﴾** يحتمل أنها ناقصة، وأمة اسمها ويدعون خبرها، ومنكم إما ظرف لغو متعلق بتكن أو حال من أمة أو من الواو في يدعون أو تامة وأمة فاعلها، وجملة يدعون صفة لأمة

﴿ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الداعون الآمرون الناهون ﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٠٤﴾ الفائزون ومن للتبعيض لأن ما ذكر فرض كفاية لا يلزم كل أمة ولا يليق بكل أحد كالجاهل وقيل زائدة أي لتكونوا أمة ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ﴾ عن دينهم ﴿وَٱخْتَلَفُواْ﴾ فيه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٠٥﴾ ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌۚ﴾ أي يوم القيامة

ومنكم حال أو متعلق بتكن قوله: ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ مفعوله هو وما بعده من يأمرون وينهون محذوف تقديره الناس. قوله: **(الإسلام)** إنما قصره عليه لأنه رأس الأمور ولأجل قوله بعد (ويأمرون بالمعروف). قوله: ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ المراد به ما طلبه الشارع، إما على سبيل الوجوب كالصلوات الخمس وبر الوالدين وصلة الرحم، أو الندب كالنوافل وصدقات التطوع. وقوله: ﴿عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ المراد به ما نهى عنه الشارع، إما عن سبيل الحرمة كالزنا والقتل والسرقة أو على سبيل الكراهة. قوله: **(ومن للتبعيض)** أي بناء على أن المخاطب بفرض الكفاية بعض غير معين أو معين في علم الله. قوله: **(كالجاهل)** أي فلا يأمر ولا ينهى، لأنه ربما أمر بمنكر أو نهى عن معروف لعدم علمه بذلك. قوله: **(وقيل زائدة)** أي بناء على أن المخاطب بفرض الكفاية الجميع ويسقط بفعل بعضهم. قوله: **(أي لتكونوا أمة)** أي دعاة للخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر. قوله: **(وهم اليهود والنصارى)** أي فافترقت اليهود إحدى وسبعين فرقة واحدة ناجية والباقون في النار، والنصارى اثنتين وسبعين فرقة والباقون في النار، وأخبر النبي ﷺ أن هذه الأمة ستفترق ثلاثاً وسبعين فرقة واحدة ناجية والباقون في النار، وهذا التفرق من بعد الصحابة، فالناجي من كان على قدم النبي وأصحابه، ويختلف في كل زمن بالقلة والكثرة، ففي الصدر الأول كانوا ظاهرين أقوياء، وكلما تقادم الزمان ازدادوا في الإختفاء، لكن لا تنقطع الفرقة الناجية ما دام القرآن موجوداً. قال الله تعالى: (الله الذي نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) الآية، فلولا أن أهل القرآن الذين يتدبرونه موجودون لما بقي القرآن، إن قلت إن دعاءهم مستجاب فهلا دعوا باصلاح العالم مثلاً؟ أجيب بأنهم لا يلهمون الدعاء بغير ما في علم الله، فإذا علم الله أن العالم لا يصلح مثلاً فلا يلهمون ولا يوفقون للدعاء باصلاحه بل هم أشد الناس صبراً وتحملاً للمكاره ورضا بالقضاء والقدر وفي ذلك قلت:

أرح قلبك العاني وسلم له القضا ... تفز بالرضا فالأصل لا يتحول
علامة أهل الله فينا ثلاثة ... أمان وتسليم وصبر مجمل

والتفرق المذموم إنما هو في العقائد لا في الفروع فإنه رحمة لعباد الله. قوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ وعذابان مبتدأ ثان ولهم متعلق بمحذوف خبر الثاني والثاني وخبره خبر الأول. و قوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ ظرف متعلق بما تعلق به الجار والمجرور تقديره وأولئك الذين تفرقوا في العقائد عذاب عظيم مستقر لهم يوم تبيض وجوه إلخ. يعني أنه يكون ويحصل ذلك العذاب حينئذ، ويحتمل أن قوله: ﴿يَوْمَ﴾ مفعول المحذوف تقديره اذكر يوم تبيض وجوه. وبياض الوجه إما حقيقة فقد ورد أن وجه المؤمن يكون أضوأ من الشمس في رابعة النهار، وإما كناية عن الفرج والسرور ومثله يقال في اسوداد الوجه، وذلك حين تطاير الصحف، فالمؤمن يأخذ كتابه بيمينه ويقول: (هاؤم اقرؤوا كتابيه) الآية والكافر

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ﴾ وهم الكافرون فيلقون في النار ويقال لهم توبيخاً ﴿أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ﴾ يوم أخذ الميثاق ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ١٠٦﴾ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ﴾ وهم المؤمنون ﴿فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾ أي جنته ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٠٧﴾ ﴿تِلۡكَ﴾ أي هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ﴾ يا محمد ﴿بِٱلۡحَقِّۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٨﴾ بأن يأخذهم بغير جرم ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ﴾ تصير ﴿ٱلۡأُمُورُ ١٠٩﴾ ﴿كُنتُمۡ﴾ يا أمة محمد في علم الله تعالى ﴿خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ﴾ أظهرت ﴿لِلنَّاسِ

يأخذ كتابه بشماله ويقول: (يا ليتني لم أوت كتابيه) الآية.

قوله: **﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾** تفصيل لما أجمل أولاً، والفاء واقعة في جواب شرط مقدر تقديره إن اردت تفصيل ما تقدم فأقول لك أما الذين أسودت وجوههم وقدم في التفصيل هذا القسم مبادرة بالتحذير، وليكون في الكلام حسن ابتداء وحسن اختتام، فابتدأ الآية بالبشرى وختمها كذلك. قوله: **(فيلقون في النار)** أي والقاؤهم مختلف، فمنهم من يؤخذ بالكلاليب، ومنهم من يؤخذ بالنواصي والأقدام، وعلى كل حال فهم يسحبون في النار على وجوههم، وهذه الجملة خبر المبتدأ قدره المفسر، وذلك لأن الجزاء في المقابل هو الكون في الجنة، فالمناسب هنا أن يكون هو الكون في النار، وتقدير القول هنا لأجل أن يكون حذف الفاء في جواب أما مقيساً. قوله: **(ويقال لهم)** يحتمل أن ذلك من كلام الله لهم، ويحتمل أن ذلك على لسان الملائكة. قوله: **(يوم أخذ الميثاق)** دفع بذلك ما يقال إن الآية ظاهرة فيمن ارتد بعد إيمانه لا فيمن كان كافراً واستمر على كفره، وأجيب أيضاً بأن هذا يحمل على اليهود والنصارى، فإنهم كانوا مؤمنين برسول الله قبل البعثة ثم كفروا به بعدها، وأجيب أيضاً بأن قوله: **﴿بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾** أي بعد ظهور الأدلة التي توجب الإيمان.

قوله: **﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾** فيه استعارة بالكناية حيث شبه العذاب بشيء مر يذاق، وطوي ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو الإذاقة فاثباتها تخييل. قوله: **﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾** الباء سببية، فالكفر سبب في إذاقة العذاب، بخلاف الطاعات فلم يجعلها الله سبباً لدخول الجنة، بل دخول الجنة بمحض فضل الله، وإنما كان جزاء الكفار الخلود في النار، لأن الكفر إنكار لكمالات الله وهي لا تتناهى، فكان جزاؤه عذاباً لا يتناهى، وذلك يتحقق الخلود، بخلاف معصية المؤمن. قوله: **(أي جنته)** أي ففيه إطلاق الحال وإرادة المحل، فالجنة محل هبوط الرحمة والرحمة ناشئة عن ذات الله فقولهم اللهم اجمعنا في مستقر رحمتك، فالمراد بالمستقر محل هبوط الرحمة وهي الجنة لا ذات الله، قوله: **﴿بِالْحَقِّ﴾** أي الصدق. قوله: **﴿وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ﴾** أي فحيث انتفت إرادة الظلم فالظلم منفي بالأولى، لأن تعلق الإرادة في التعقل سابق على الفعل. قوله: **﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾** أي فيتصرف في ملكه كيف شاء. قوله: **﴿وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾** أي فلا مفر منه ولا محيص عنه قوله: **﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾** هذا مدح عظيم وتفضيل من الله لهذه الأمة المحمدية، وفيه إعلام بتثبيتهم على تلك الأوصاف العظيمة، واعلم أن المخاطب مشافهة الصحابة وثبتت لهم هذه الصفات المرضية فمدحهم الله على ذلك، ومن تمسك بأوصافهم وأخلاقهم كان ممدوحاً مثلهم، وهذا المدح يدل على أن أوصافهم مرضية لله، فشرفهم الله بشرف نبيهم، قال صاحب البردة:

﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ﴾ الإيمان ﴿خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ كعبدالله بن سلام رضي الله عنه وأصحابه ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ الكافرون ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ﴾ أي اليهود يا معشر المسلمين بشيء ﴿إِلَّا أَذًى﴾ باللسان من سب ووعيد

لما دعا الله داعياً لطاعته ... بأشرف الرسل كنا أكرم الأمم

وقال في الهمزية:

ولك الأمة التي غبطتها ... بك لما أتيتها الأنبياء

ومدحهم الله سابقاً بقوله: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) الآية، وبالجملة فهو ﷺ أفضل الخلق على الإطلاق، وأمته أفضل الأمم على الإطلاق، وكان فعل ناقص يفيد الإتصاف في الماضي، لكن المراد هنا الدوام على حد (وكان الله غفوراً رحيماً) والتاء اسمها وخير خبرها، وقوله: ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ صفة لأمة. قوله: (في علم الله) أي وقيل في اللوح المحفوظ، وقيل في كتب الأمم السابقة. قوله: ﴿لِلنَّاسِ﴾ إنما عبر باللام دون من، إشارة إلى أن هذه الأمة نفع ورحمة لنفسها وللخلق عموماً. في الدنيا بالدعاء لجميع الأمم، وفي الآخرة بالشهادة للأنبياء. قوله: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ إما خبر بعد خبر لكان، والمقصود منه تفصيل ما أجمل أولا، أو صفة لمعنى الخيرية، أو استئناف بياني واقع في جواب سؤال مقدر تقديره ما وجه الخيرية، وراعى في الخطاب لفظ كنتم، ولو راعى الخبر لقال يأمرون، لأن الإسم الظاهر من قبيل الغيبة، واختيرت صيغة الخطاب تشريفاً لهم وإشارة إلى رفع الحجب عنهم، حيث خاطبهم ولم يخبر عنهم وأنهم مقربون من حضرة الله. إن قلت إن الإيمان هو الأصل فلم لم يقدم؟ أجيب بأنه غير مخصوص به، وإنما الفضل الثابت لهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذه الأمة لها شبه بالأنبياء من حيث إنها مهتدية في نفسها هادية لغيرها. قوله: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ أي اليهود والنصارى.

قوله: ﴿خَيْراً لَهُمْ﴾ أي من الإيمان بموسى وعيسى في زمانها، أي أن من آمن بمحمد أعلى وأفضل من أدرك موسى وعيسى وآمن به لدخوله في هذا المدح الدائم، أو المعنى خيراً لهم مما هم عليه في زعمهم، وإن كان في الواقع ما هم عليه ليس بخير، أو ذلك تهكم بهم، أو أن أفعل التفضيل ليس على بابه أي لكان هو الخير لهم. قوله: ﴿مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ استئناف بياني واقع في جواب سؤال مقدر نشأ من قوله: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ كأن قائلاً قال وهل آمن منهم أحد أو لا فأجاب بذلك. قوله: (**كعبد الله بن سلام**) أي من اليهود وادخلت الكاف النجاشي وغيره من النصارى. قوله: (**الكافرون**) أي وسماهم فاسقين لأنهم فسقوا في دينهم، فليسوا عدولاً فيه. قوله: ﴿إِلاَّ أَذىً﴾ قيل استثناء منقطع وهو المتبادر من المفسر، والمعنى لا يصل لكم منهم ضرر بشيء أصلاً لكن يقع منهم أذى باللسان، قال تعالى: (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً) ففي الحقيقة لا ضرر في ذلك، وقيل الإستثناء متصل، والمعنى لن يصل لكم منهم ضرر في حال من الأحوال، إلا في حال الضرر اللساني. قوله: (من سب) أي للنبي وأصحابه، وقوله: (ووعيد) أي للمؤمنين بقولهم إنا نغلبهم، وستكون العزة لنا والذلة لهم.

﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ منهزمين ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ ﴿١١١﴾ عليكم بل لكم النصر عليهم ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟﴾ حيثما وجدوا فلا عزلهم ولا اعتصام ﴿إِلَّا﴾ كائنين ﴿بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ المؤمنين وهو عهدهم إليهم بالأمان على أداء الجزية أي لا عصمة لهم غير ذلك ﴿وَبَآءُو﴾ رجعوا ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أنهم ﴿كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ﴾ تأكيد ﴿بِمَا عَصَوا۟﴾ أمر الله ﴿وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ ﴿١١٢﴾ يتجاوزون الحلال إلى الحرام ﴿لَيْسُوا۟﴾ أي أهل الكتاب ﴿سَوَآءً﴾ مستوين ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ مستقيمة ثابتة على الحق كعبدالله بن سلام رضي الله عنه وأصحابه ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ أي في ساعاته ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ ﴿١١٣﴾ يصلون حال ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ

قوله: ﴿ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ ليس معطوفاً على جواب الشرط، وإلا لأوهم أنهم قد ينصرون من غير قتال، بل هو مستأنف ليفيد سلب النصرة عنهم في جميع الأحوال. قوله: ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوا﴾ أين اسم شرط وثقفوا فعل الشرط وجوابه محذوف لدلالة ضربت عليهم الذلة عليه، التقدير أينما ثقفوا تضرب عليهم الذلة. قوله: (فلا عز لهم) أي ولذا لم يوجد منهم سلطان أصلاً فالذل قد علاهم للمؤمنين والنصارى لقوله تعالى: (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا). قوله: (ولا اعتصام) معطوف على قوله فلا عز لهم، وقدر ذلك ليرتب قوله: ﴿إلا بِحَبْلٍ مِنَ الله﴾ عليه إشارة إلى أنه مستثنى من محذوف. قوله: ﴿بِحَبْلٍ مِنَ الله﴾ أي وهو الإيمان. قوله: (أي لا عصمة لهم غير ذلك) أي لكن إن كان اعتصامهم بحبل من الله ارتفع عنهم الذل وعصموا نفوسهم وأموالهم، وإن كان من الناس فقد عصموا نفوسهم وأموالهم وعاشوا في الذل. قوله: (ذلك) أي المذكور من ضرب الذلة والمسكنة والغضب من الله. قوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ الأَنْبِيَاءَ﴾ أي فقتلوا أول النهار سبعين نبياً وآخره أربعمائة عابد. إن قلت: إن القاتل للأنبياء أجدادهم فلم أوخذوا بفعل أصولهم أجيب بأن رضا الفروع بقتل أصولهم الأنبياء صيره كأنه واقع منهم، فالقتل وقع من أصولهم بالفعل ومنهم بالعزم والتصميم فهم الآن لو تمكنوا من النبي والمسلمين ما أبقوا واحداً. قوله: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ أي حق في اعتقادهم، فاعتقادهم عدم الحقيقة مطابق للواقع غير أنه عناد منهم. قوله: (تأكيد) أي فالعصيان والإعتداء هو عين الكفر وقتل الأنبياء، ويحتمل أنه ليس تأكيداً بل هو علة للعلة، أي فعلة ضرب الذلة والمسكنة والغضب من الله كفرهم وقتلهم الأنبياء، وعلة الكفر والقتل عصيانهم أمر الله وتجاوزهم الحد.

قوله: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ هذه الجملة راجعة لجميع أهل الكتاب أي هم غير مستوين في العقيدة، بل منهم من هو على حق ومنهم من هو على باطل. قوله: (مستوين) دفع بذلك ما يقال إن سواء خبر عن الواو في ليسوا فكان حقه أن يجمع مطابقة له، فأجاب بأن سواء مصدر من التسوية بمعنى مستوين. قوله: ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ﴾ هذا كالتفصيل لقوله ليسوا سواء. قوله: (كعبد الله بن سلام وأصحابه) أي من اليهود، وكالنجاشي وأربعين من نصارى نجران، واثنين وثلاثين من الحبشة، وثلاثة من الروم، كجماعة من الأنصار كأسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن سلمة وصرمة ابن أنس، كانوا يتعبدون بما يعرفون من الشرائع القديمة، فلما بعث النبي صدقوه ونصروه. قوله: ﴿آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ إما جمع أنى كعصا أو أنى كظبي أو أنى كحمل أو أنو كجرو. قوله: (أي في ساعاته) أي اللغوية وهي دقائقه ولحظاته،

﴿ٱلْأَخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ﴿١١٤﴾ ومنهم من ليسوا كذلك وليسوا من الصالحين ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟﴾ بالتاء أيتها الأمة وبالياء أي الأمة القائمة ﴿مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ بالوجهين أي تعدموا ثوابه بل تجازون عليه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١١٥﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ﴾ تدفع ﴿عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي من عذابه ﴿شَيْـًٔا﴾ وخصهما بالذكر لأن الإنسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال وتارة بالاستعانة بالأولاد ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ ﴿١١٦﴾ ﴿مَثَلُ﴾ صفة ﴿مَا يُنفِقُونَ﴾ أي الكفار ﴿فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ في عداوة النبي أو صدقة ونحوها ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ حر أو برد شديد ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ﴾ زرع ﴿قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر والمعصية ﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾ فلم ينتفعوا به فكذلك نفقاتهم ذاهبة لا ينتفعون بها ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بضياع نفقاتهم ﴿وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿١١٧﴾ بالكفر الموجب لضياعها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً﴾ أصفياء

قال تعالى: (تتجافى جنوبهم عن المضاجع). قوله: (**يصلون**) سمى الصلاة سجوداً لأنه أشرف أجزائها، وقوله: (**حال**) أي من قوله: ﴿**يَتْلُونَ**﴾ أي يقرؤون القرآن في حال صلاتهم.

قوله: ﴿**يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ أي يصدقون بأن الله متصف بكل كمال مستحيل عليه كل نقص، وقوله: ﴿**وَالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾ أي وما فيه من النعيم والعقاب فيصدقون بأنه حق، قوله: ﴿**وَيَأْمُرُونَ**﴾ مفعوله هو وينهون محذوف تقديره الناس. قوله: ﴿**وَيُسَارِعُونَ**﴾ أي يبادرون بامتثال أمر الله، إن قلت إن العجلة مذمومة، ففي الحديث العجلة من الشيطان إلا في أمور، أجيب: بأن معنى المسارعة أنه إذا تعارض حق لله وحظ لنفسه بادر لحق الله وترك حظه، وأما العجلة فهي المبادرة للشيء مطلقاً كأن يبادر للصلاة قبل وقتها، أو في الصلاة بأن لا يتقن ركوعها ولا سجودها، فإن ذلك مذموم إلا في أمور، فهي مسارعة لا عجل كالتوبة وتقديم الطعام للضيف وتجهيز الميت وزواج البكر والصلاة في أول وقتها. قوله: (**ومنهم من ليسوا كذلك**) قدر ذلك إشارة إلى أن في الآية حذف المقابل. قوله: (**وبالياء**) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿**مِنْ خَيْرٍ**﴾ أي قليل أو كثير، قال تعالى: (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره). قوله: (**بالوجهين**) أي التاء والياء. قوله: (**بل تجازون عليه**) أي في الآخرة.

قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ قيل نزلت في قريظة وبني النضير، وقيل في مشركي العرب، وقيل فيما هو أعم وهو الأقرب. قوله: ﴿**شَيْئاً**﴾ أي قليلاً كان أو كثيراً. قوله: (**يدفع عن نفسه**) أي في الدنيا. قوله: ﴿**مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ**﴾ يحتمل أن ما اسم موصول وينفقون صلتها والعائد محذوف، ويحتمل أنها مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر تقدير الأول مثل المال الذي ينفقونه، وتقدير الثاني مثل إنفاقهم. قوله: (**في عداوة النبي**) أي في مثل حروبه، وقوله: (**أو صدقة**) أي على فقرائهم أو فقراء المسلمين. قوله: (**ونحوها**) أي كصلة الرحم ومواساة الفقراء.

قوله: ﴿**كَمَثَلِ رِيحٍ**﴾ أي كمثل مهلك ريح فالكلام على حذف مضاف. قوله: (**حر**) أي ويسمى بالسموم وقوله: (**أو برد شديد**) أي ويسمى بالزمهرير. قوله: ﴿**أَصَابَتْ**﴾ أي تلك الريح قوله: (**أي زرع**) سماه حرثاً لأنه يحرث. قوله: ﴿**قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ**﴾ هذا وصف المشبه به. قوله:

تطلعونهم على سركم ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾ أي غيركم من اليهود والنصارى والمنافقين ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ نصب بنزع الخافض أي لا يقصرون لكم في الفساد ﴿وَدُّوا﴾ تمنوا ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ أي عنتكم وهو شدة الضرر ﴿قَدْ بَدَتِ﴾ ظهرت ﴿الْبَغْضَاءُ﴾ العداوة لكم ﴿مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ بالوقيعة فيكم واطلاع المشركين على سركم ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ﴾ من العداوة ﴿أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ على عداوتهم ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١١٨﴾ ذلك فلا توالوهم ﴿هَا أَنتُمْ﴾ للتنبيه يا ﴿أُولَاءِ﴾ المؤمنين ﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ لقرابتهم منكم وصداقتهم ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ لمخالفتهم لكم في الدين ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ أي بالكتب كلها ولا يؤمنون بكتابكم ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ﴾ أطراف الأصابع ﴿مِنَ الْغَيْظِ﴾ شدة الغضب لما يرون من ائتلافكم ويعبر عن شدة الغضب بعض الأنامل مجازاً وإن لم يكن ثم عض ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ أي ابقوا عليه إلى الموت فلن تروا ما يسركم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿١١٩﴾ بما في القلوب ومنه ما يضمره هؤلاء ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ﴾ تصبكم ﴿حَسَنَةٌ﴾ نعمة كنصر وغنيمة ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ تحزنهم ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ كهزيمة وجدب ﴿يَفْرَحُوا بِهَا﴾ وجملة الشرط متصلة بالشرط قبل وما بينهما اعتراض والمعنى أنهم متناهون في عداوتكم فلم توالونهم فاجتنبوهم ﴿وَإِن تَصْبِرُوا﴾ على أذاهم ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله في موالاتهم وغيرها ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ بكسر الضاد وسكون الراء وضمها وتشديدها ﴿كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء ﴿مُحِيطٌ﴾ ﴿١٢٠﴾ عالم فيجازيهم به ﴿وَ﴾ اذكر يا محمد ﴿إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ من المدينة ﴿تُبَوِّئُ﴾ تنزل ﴿الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ﴾ مراكز يقفون فيها ﴿لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾

﴿وَلَكِنَّ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ هذا في جانب المشبه فلا تكرار.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ نزلت في قوم من المؤمنين كان لهم أقارب من المنافقين والكفار وكانوا يواصلونهم. قوله: **(أصفياء)** أشار بذلك إلى أن في الكلام استعارة، حيث شبه الأصفياء ببطانة الثوب الملتصقة به، واستعير اسم المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية، والجامع شدة الالتصاق على حد الناس دثار والأنصار شعار. قوله: **(أي لا يقصرون في الفساد)** أي فليس عندهم تقصير في ذلك بل هو شأنهم. قوله: ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ ما مصدرية تسبك بمصدر أي ودوا عنتكم بمعنى تعبكم ومشقتكم. قوله: **(بالوقيعة فيكم)** أي في أعراضكم بالغيبة وغيرها. قوله: **(فلا توالوهم)** أشار بذلك إلى أن جواب الشرط محذوف. قوله: ﴿بِالْكِتَابِ﴾ أي جنسه، وقوله: **(ولا يؤمنون بكتابكم)** أي القرآن. قوله: ﴿وَإِذَا خَلَوْا﴾ أي خلا بعضهم ببعض. قوله: ﴿عَلَيْكُمُ﴾ أي من أجلكم.

قوله: ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ أي مصاحبين له وهو دعاء عليهم بذلك. قوله: **(وجدب)** هو ضد الخصب. قوله: **(وجملة الشرط)** أي وهي إن تمسكم إلخ وقوله: **(بالشرط)** وهو قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ﴾ وقوله: **(وما بينهما)** أي وهو قوله: ﴿قُلْ مُوتُوا﴾ الآية. قوله: **(بكسر الضاد)** أي فهما قراءتان سبعيتان، الأولى من ضار يضير، والثانية من ضر يضر، والفعل من كليهما مجزوم جواباً للشرط، وجزمه على الأولى ظاهر، وعلى الثانية بسكون مقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة الإتباع. قوله: ﴿كَيْدُهُمْ﴾ الكيد احتيال الشخص ليقع غيره في مكروه. قوله: **(بالياء)** أي وقد اتفق عليها العشرة، وقوله: **(والتاء)** أي وهي شاذة، فكان على المفسر أن ينبه على شذوذها، كأن يقول: وقرىء

لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ ﴿١٢١﴾ بأحوالكم وهو يوم أحد خرج النبي ﷺ بألف أو إلا خمسين رجلاً والمشركون ثلاثة آلاف ونزل بالشعب يوم السبت سابع شوال سنة ثلاث من الهجرة وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وسوى صفوفهم وأجلس جيشاً من الرماة وأمر عليهم عبدالله بن جبير بسفح الجبل وقال انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا ولا تبرحوا غلبنا أو نصرنا ﴿إِذْ﴾ بدل من إذ قبله ﴿هَمَّت طَّآيِفَتَانِ مِنكُمْ﴾ بنو سلمة وبنو حارثة جناحا العسكر ﴿أَن تَفْشَلَا﴾ تجبناً عن القتال وترجعا لما رجع عبدالله بن أبي المنافق وأصحابه وقال علام نقتل أنفسنا وأولادنا وقال لأبي جابر السلمي القائل له أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم لو نعلم قتالاً لاتبعناكم فثبتهما الله ولم ينصرفا

بالتاء كما هو عادته.

قوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ﴾ جمهور المفسرين على أن هذه الآية متعلقة بغزوة أحد، وقيل بغزوة بدر، وقيل بغزوة الأحزاب، والصحيح الأول، ولذا مشى المفسر عليه. قوله: ﴿مِنْ أَهْلِكَ﴾ أي من بيت أهلك وهي زوجته عائشة، وكان قدوم جيش الكفار يوم الأربعاء رابع شوال وأميرهم إذا ذاك أبو سفيان فجمع ﷺ الأنصار والمهاجرين وشاورهم في الخروج لهم أو المكث في المدينة ينتظرونهم، فأشار عبد الله بن أبي بن سلول رئيس المنافقين هو وجماعة من الأنصار بعدم الخروج فإن أبوا قاتلوهم الرجال والنساء، وأشار جماعة بالخروج، فدخل ﷺ منزله ولبس لأمته وخرج فقال هلموا إلى الخروج، فقالوا يا رسول الله ما لنا رأي معك، فقال ما من نبي يلبس لأمته ويرجع حتى يحكم الله له بين عدوه، وكان قد رأى في المنام بقراً ودرعاً حصيناً وضع يده فيه وثلماً في ذبابة سيفه، فقالوا ما أولته فقال أما البقر فخير، وأما الدرع الحصين فهي المدينة، وأما الثلم في السيف فهزيمة، فخرج ﷺ هو وأصحابه بعد صلاة الجمعة، فلما أصبحوا جعل الجيش خمسة أقسام، جناحان ومقدم وساقة ووسط، وأنزل كلاً في منزلته، وأمرهم أن يثبتوا مكانهم ولا يتحولوا، وأخبرهم أنه بمجرد ملاقاة الصفوف تحصل الهزيمة للكفار، فلما التقى الصفان ولى عبد الله بن أبي بن سلول هو وجماعته الثلثمائة وقالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم، ولم يبق إلا ستمائة وخمسون، فهزم الصحابة الكفار أولاً واشتغلوا بالغنيمة، فنزع الله من قلوب الكفار الرعب فكروا عليهم مرة واحدة، ففر المسلمون ما عدا النبي وبعض الصحابة، فبعد ذلك اجتمع المسلمون للقتال، فقتل من كل سبعون وكان العزة لله ورسوله. قوله: (وهو يوم أحد) أي وهو قول جمهور المفسرين وهو المعتمد. قوله: (أو إلا خمسين) أي فيها قولان. قوله: (سابع شوال) وقيل كان في نصفه فيكون قدوم الكفار يوم اثني عشر منه. قوله: (وعسكره) بالجر معطوف على الضمير المجرور في ظهره أي وجعل ظهر عسكره. قوله: (وأجلس جيشاً من الرماة) أي وهم المسلمون بالساقة. قوله: (وقال انضحوا) أي فرقوا من النضح وهو الرش، والمعنى فرقوا الأعداء عنا بالنبل. قوله: (ولا تبرحوا) هذا في الحقيقة خطاب وأمر للجميع.

قوله: ﴿هَمَّتْ طَائِفَتَانِ﴾ أي أرادت ولما كان الهم بالمعصية لا يكتب مدحهم الله بقوله: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ وأما بالطاعة فيكتب، وأما العزم فيكتب خيراً أو شراً، وما دون ذلك من مراتب القصد لا يكتب أصلاً لا خيراً ولا شراً. قال بعضهم:

مراتب القصد خمس هاجس ذكروا فخاطر فحديث النفس فاستمعا

﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ ناصرهما ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٢٢﴾ ليثقوا به دون غيره. ونزل لما هزموا تذكيراً لهم بنعمة الله ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ موضع بين مكة والمدينة ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ بقلة العدد والسلاح ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿١٢٣﴾ نعمه ﴿إِذْ﴾ ظرف لنصركم ﴿تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ توعدهم تطمينا ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ﴾ يعينكم ﴿رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ ﴿١٢٤﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿بَلَىٰٓ﴾ يكفيكم ذلك وفي الأنفال بألف لأنه أمدهم أولا بها ثم صارت ثلاثة ثم صارت خمسة كما قال تعالى ﴿إِن تَصْبِرُوا۟﴾ على لقاء العدو ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ الله في المخالفة ﴿وَيَأْتُوكُم﴾ أي المشركون ﴿مِّن فَوْرِهِمْ﴾ وقتهم ﴿هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ

يليه هم فعزم كلها رفعت سوى الأخير ففيه الأخذ قد وقعا

قوله: **(بنو سلمة)** أي وهم من الخزرج، وقوله: **(وبنو حارثة)** أي وهم من الأوس. قوله: **(وأصحابه)** أي وكانوا ثلثمائة. قوله: **(علامَ نقتل أنفسنا وأولادنا)** أي لأي شيء نقتل قوله: **(وقال)** أي عبد الله بن أبي ومقول القول قوله: **(لو نعلم قتالاً إلخ)**. قوله: **(القائل له)** صفة لأبي جابر. قوله: **(أنشدكم الله)** أي أحلفكم بالله، وقوله: **(في نبيكم وأنفسكم)** أي في حفظهما قوله: **(فثبتهما الله)** أي الطائفتين بعد أن حصلت لهما التفرقة أولاً، وشج وجه رسول الله وكسرت رباعيته وضرب نيفاً وسبعين ضربة ما بين سهم وسيف، وطلحة بن عبيد الله أحد العشرة يلقاها عن رسول الله، وحينئذ نادى إبليس والمنافقون في الناس إن محمداً قد مات، وكان ﷺ في محل منخفض فأراد الصعود ليراه المسلمون فلم ينهض، فحمله طلحة على ظهره وقد كان على المصطفى درعان، فما رآه المسلمون فرحوا وصاروا يأتون إليه من كل فج كالناقة الغائب عنها ولدها إذا رأته، فحصل الثبات والنصر وباتت الهزيمة على الكفار. قوله: **(ناصرهما)** أي ولم يؤاخذهما بذلك الهم.

قوله: **﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ﴾** هذا الكلام تسلية للنبي وأصحابه فيما وقع لهم في غزوة أحد، يعني أنه سبق لكم النصر فلا تحزنوا بحصول تلك الشدة، وحكمتها تمييز المنافق من المؤمن لا الهزيمة كما قال تعالى: (وما أصابكم يوم التقى الجمعان). قوله: **(موضع بين مكة والمدينة)** أي فسميت الواقعة باسم الموضع، وقيل إن بدراً اسم بئر حفرها رجل يقال له بدر فسمي المكان باسم ذلك الرجل. قوله: **(بقلة العدد والسلاح)** أي فلم يكن معهم إلا ثلاثة أفراس وثلاثة سيوف وكان عدتهم ثلثمائة وثلاثة عشر وعدة الكفار نحو ألف. قوله: **أف﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(نعمه)** أي حديث نصركم مع كونكم أذلة فظفروا بهم وأخذوا شجعانهم ما بين قتيل وأسير.

قوله: **﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾** سبب هذا القول أنه لما تلاقى الصفان جاء للصحابة خبر بأن كرز بن جابر يمد الكفار ويعينهم، فحزنت الصحابة حزناً شديداً فأنزل الله تلك الآية. قوله **﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ﴾** الإستفهام إنكاري نظير ألست بربكم. قوله: **(يعينكم)** أي يزيدكم. قوله: **﴿بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ ٱلْمَلَائِكَةِ﴾** إن قلت: ما الحاجة إلى ذلك العدد الكثير فإن جبريل وحده أو أي ملك كاف في قتال الكفار؟ أجيب: بأن ذلك ينسب النصر لرسول الله والمؤمنين لقوله تعالى: (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) فلو هلكوا بشيء مما هلك به الأمم السابقة لم يكن في ذلك مزيد فخر للمؤمنين ولا شفاء لغيظهم، لكونه خارجاً عن اختيارهم.

﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ۝١٢٥﴾ بكسر الواو وفتحها أي معلمين وقد صبروا وأنجز الله وعدهم بأن قاتلت معهم الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم صفر أو بيض أرسلوها بين أكتافهم ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ أي الأمداد ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ بالنصر ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾ تسكن ﴿قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾ فلا تجزع من كثرة العدو وقلتكم ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١٢٦﴾ يؤتيه من يشاء وليس بكثرة الجند ﴿لِيَقْطَعَ﴾ متعلق بنصركم أي ليهلك ﴿طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ بالقتل والأسر ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ يذلهم بالهزيمة ﴿فَيَنقَلِبُوا۟﴾ يرجعوا ﴿خَآئِبِينَ ۝١٢٧﴾ لم ينالوا ما راموه. ونزل لما كسرت رباعيته ﷺ وشج وجهه يوم أحد وقال كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾

قوله: ﴿بَلَى﴾ حرف جواب أي وهو إيجاب للنفي في قوله تعالى ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ﴾ وأما جواب الشرط فهو قوله يمددكم. قوله: **(لأن أمدهم أولاً بها)** هذا إشارة لوجه الجمع بين ما هنا وبين ما يأتي. قوله: ﴿مِنْ فَوْرِهِمْ﴾ يطلق الفور على قوة الغليان يقال فار القدر غلا، ويطلق على الوقت الحاضر وهو المراد هنا. قوله: **(بكسر الواو)** أي اسم فاعل والمعنى معلمين أنفسهم آداب الحرب، وقوله: **(وفتحها)** أي اسم مفعول بمعنى أن الله علمهم آدابه. قوله: **(وأنجز الله وعدهم)** أي فكلما حصل للمؤمنين ضعف زادهم الله من الملائكة. قوله: **(على خيل بلق)** أي وجوهها وأيديها وأرجلها بيض، وقوله: **(وعليهم عمائم صفر أو بيض)** أي فهما روايتان وجمع بأن جبريل كانت عمامته صفراء وباقيهم بيض. قوله: **(أرسلوها)** أي طرفها، ورد عن علي أنه قال كنت في قليب بدر فاشتدت ريح عظيمة فرأيت جبريل نزل بألفين من الملائكة فسار أمام المصطفى، ثم اشتدت ريح فرأيت إسرافيل نزل بألفين من الملائكة فسار على يمينه. ثم اشتدت ريح فرأيت ميكائيل نزل بألف فسار على يساره. واعلم أن قتال الملائكة من خصائص هذه الأمة وليس مخصوصاً بواقعة بدر، بل ورد أن جبريل وميكائيل قاتلا مع النبي في أحد حين فرت أصحابه. قوله: **(أي الأمداد)** أي المفهوم من قوله يمددكم.

قوله: ﴿إِلَّا بُشْرَى﴾ البشارة هي الخبر السار، ولا تطلق على الضد إلا مقيدة، كقوله تعالى: (فبشرهم بعذاب أليم). قوله: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾ معطوف على بشرى، الواقع مفعولاً لأجله، وجر باللام لعدم استيفائه شروط المفعول من أجله، فإن فاعل الجعل الله، وفاعل الطمأنينة القلوب، فلم يتحد في الفاعل وشرطه الإتحاد. قوله: **(فلا تجزع من كثرة العدو)** ورد أن الملائكة كانت تقاتل وتقول للمؤمنين اثبتوا فإن عدوكم قليل والله معكم. قوله: **(وليس بكثرة الجند)** أي فلا تتوهموا أن النصر بكثرة العدد. قوله: **(متعلق بنصركم)** أي المتقدم في قوله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ﴾. قوله: **(أي ليهلك)** إنما فسره بذلك لأن القطع يأتي لمعان منها التفريق كقوله تعالى: (وقطعناهم في الأرض أمماً) وليس مراداً هنا، ومنها الهلاك وهو المراد. قوله: **(بالقتل)** أي وكانوا سبعين، وقوله: **(والأسر)** أي وكانوا كذلك.

قوله: ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ الكبت بمعنى الكبد فتاؤه مبدلة من الدال وهو الغيظ الذي يحرق الكبد. قوله: **(لم ينالوا ما راموا)** أي ما قصدوه. قوله: **(لما كسرت رباعيته)** أي السنة التي بين الثنايا والناب، وقوله: **(وشج وجهه)** أي غاصت في حلقه المغفر. قوله: **(وقال كيف يفلح قوم إلخ)** أي وقد عزم على أن يدعو عليهم كذا قيل، والأقرب أن مقالة النبي حزناً على عدم إيمانهم فإن قصد النبي هداهم، وحيث وقع منهم ذلك الفعل فهو دليل على عدم إيمانهم فيفوت مقصد النبي، فسلاه الله بالآية كما سلاه بقوله:

بل الأمر لله فاصبر ﴿أَوْ﴾ بمعنى إلى أن ﴿يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ بالإسلام ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ ﴿١٢٨﴾ بالكفر ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ المغفرة له ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ تعذيبه ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لأوليائه ﴿رَّحِيمٌ﴾ ﴿١٢٩﴾ بأهل طاعته ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ بألف ودونها بأن تزيدوا في المال عند حلول الأجل وتؤخروا الطلب ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بتركه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٣٠﴾ تفوزون ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ ﴿١٣١﴾ أن تعذبوا بها ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﴿١٣٢﴾ ﴿وَسَارِعُوٓا۟﴾ بواو ودونها ﴿إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ أي كعرضهما

(فلعلك باخع نفسك على آثارهم). وبقوله: (إنك لا تهدي من أحببت). وقوله: **(يوم أحد)** أي وقيل نزلت في أهل بئر معونة، وهم سبعون رجلاً من القراء بعثهم رسول الله ﷺ إلى بئر معونة، وهي بين مكة وعسفان، ليعلموا الناس القرآن والعلم، وأمره عليهم المنذر بن عمرو، وكان ذلك في صفر سنة أربع من الهجرة، فخانهم عامر بن الطفيل وقتلهم عن آخرهم. فاشتد غضب رسول الله ﷺ فسلاه الله بذلك.

قوله: **﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾** أي لا تملك لهم نفعاً فتصلحهم ولا ضراً فتهلكهم، فنفى ذلك من حيث الإيجاد والإعدام، وأما من حيث الدلالة والشفاعة فهو الدليل الشفيع المشفع جعل الله مفاتيح خزائنه بيده، فمن زعم أن النبي كآحاد الناس لا يملك شيئاً أصلاً ولا نفع به لا ظاهراً ولا باطناً، فهو كافر خاسر الدنيا والآخرة، واستدلاله بهذه الآية ضلال مبين. قوله: **﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾** علة لقوله: (أو يعذبهم). قوله: **﴿ولله مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾** هذا كالدليل لما قبله. قوله: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا﴾** سبب نزول هذه الآية أن الرجل كان في الجاهلية إذا كان له دين على آخر وحل الأجل ولم يقدر الغريم على وفائه قال له صاحب الدين زدني في الدين وأزيدك في الأجل، فكانوا يفعلون ذلك مراراً، فربما زاد الدين زيادة عظيمة. قوله: **(وتؤخروا الطلب)** أي في نظير تلك الزيادة والواجب إنظار المعسر من غير شيء والتشديد على الموسر المماطل. قوله: **(بتركه)** أي الربا وكذا كل ما نهى الله عنه. قوله: **(أن تعذبوا بها)** أشار بذلك إلى أن في الكلام حذف مضاف، أي اتقوا تعذيب النار، أي اجعلوا بينكم وبينه وقاية.

﴿وَسَارِعُوا﴾ أي بادروا. قوله: **(بواو ودونها)** أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى الواو تكون الجملة معطوفة على جملة واتقوا النار، وعلى عدمها تكون الجملة استئنافية، كأن قائلاً قال وما كيفية تقوى النار وبأي شيء يكون تقواها، فأجاب بقوله سارعوا إلخ، إن قلت: إن ما خالف الرسم العثماني شاذ فمقتضاه أن أحد القراءتين مخالف للرسم. أجيب: بأن المصاحف العثمانية تعددت، فبعضها بالواو وبعضها بدونها، ولا يرد هذا الإشكال إلا لو كان واحداً. قوله: **﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ﴾** أي إلى أسبابها وهو الإنهماك في الطاعات والبعد عن المعاصي. قوله: **﴿وَجَنَّةٍ﴾** عطفها على المغفرة من عطف المسبب على السبب، ومرادنا بالسبب الظاهري وإلا فالسبب الحقيقي هو فضل الله. قوله: **(كعرضهما)** أشار بذلك إلى أن في الكلام حذف مضاف وأداة التشبيه وقد صرح بهما في سورة الحديد، قال تعالى: (سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض) واختلف هل هذا التشبيه حقيقي والمعنى لو بسطت السموات كل واحدة بجانب الأخرى وكذلك الأرض، لكان ما ذكر مماثلاً لعرض الجنة، وأما طولها فلا يعلمه إلا الله، وإنما لم يقل طولها لأنه لا يلزم من سعة الطول سعة العرض بخلاف العكس، وهذا تفسير

لو وصلت إحداهما بالأخرى والعرض السعة ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾ الله بعمل الطاعات وترك المعاصي ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ في طاعة الله ﴿فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ اليسر والعسر ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ الكافين عن إمضائه مع القدرة ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ ممن ظلمهم أي التاركين عقوبتهم ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٣٤﴾ بهذه الأفعال أي يثيبهم ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ ذنباً قبيحاً كالزنا ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بما دونه كالقبلة ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ أي وعيده

ابن عباس، أو مجازي وهو كناية عن عظم سعتها، وإلا فالسموات والأرض لو اتصلت بعضها ببعض كان ما ذكر أقل مما يعطاه أبو بكر الصديق فضلاً عن غيره، لما ورد أن جبريل يسير بأجنحته الستمائة في ملكه شهراً. إذا علمت ذلك، فالمناسب للمفسر أن يقول أو العرض السعة ليفيد أنه تفسير آخر.

قوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي هيئت وأحضرت وقدم هذا الوصف لأن مستلزم لجميع الأوصاف، والمتقين جمع متق وهو المنهمك في الطاعات المجتنب المعاصي. قوله: **(اليسر والعسر)** أي الرخاء والشدة وذلك لثقته بربه واعتماده عليه، فينفق في كل زمن على حسب حاله فيه قليلاً أو كثيراً ولا يستخف بالصدقة، ففي الحديث: «اتقوا النار ولو بشق تمرة» وفي رواية «ولو بظلف محرق». قوله: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ أي وهو نارية تحل في القلب تظهر آثارها على الجوارح. قوله: **(الكافين على إمضائه مع القدرة)** أي الكاتمين الغضب مع القدرة على العمل بمقتضاه بظواهرهم وبواطنهم، وكظم الغيظ من أعظم العبادة، ورد من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه ملأه الله أمناً وإيماناً، إن قلت: ورد عن الشافعي أنه قال من استغضب ولم يغضب فهو حمار فمقتضاه أنه مذموم ومقتضى الآية أنه من المتقين. أجيب: بأن كلام الشافعي يحمل على إذا ما رأى حرمات الله تفعل ولم ينه عنها ولم يغضب لأجلها، وقد اتفق للإمام الحسن زمن خلافته وكان حليماً جداً أن رجلاً قدم عليه ليمتحنه فصار يسبه ويتكلم فيه وهو يبتسم، فقال له الرجل إن شتمتني واحدة شتمتك مائة، فقال له الحسن إن شتمتني مائة ما شتمتك واحدة فوقع على قدمه وقبلها وقال أشهد أنك على خلق رسول الله.

قوله: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ عطف على الكاظمين من عطف العام على الخاص، لأن العفو أعم من أن يكون معه كظم غيظ أو لا، كما إذا سبه وهو غائب فبلغه ذلك فعفا عنه من غير أن يستفزه الغضب، واتفق للإمام زين العابدين أن جاريته كانت تصب عليه ماء الوضوء، فسقط الإبريق على رأسه فشج وجهه فرفع بصره لها فقالت له والكاظمين الغيظ، فقال كظمت غيظي، فقالت والعافين عن الناس فقال عفوت عنك، فقالت والله يحب المحسنين، فقال أنت حرة لوجه الله. قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا﴾ شروع في ذكر التوابين بعد أن ذكر المطهرين، وبقي قسم ثالث وهم الذين أصروا على المعاصي وماتوا من غير توبة فأمرهم مفوض الله إما أن يدخلهم الجنة من غير سابقة عذاب أو يعذبهم بقدر الجرم ثم يدخلهم الجنة خلافاً للمعتزلة حيث منعوا عن غفران الذنوب لهم.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ﴾ مبتدأ أول أولئك مبتدأ ثان وجزاؤهم مبتدأ ثالث، وقوله: ﴿مَغْفِرَةٌ﴾ خبر الثالث وهو وخبره خبر الثاني وهو وخبره خبر الأول، وقوله: **(كالزنا)** أي وغيره من الكبائر قوله: **(ذنباً قبيحاً)** أي كبيراً، و قوله: **(بما دونه)** أي كالصغائر وهذه الآية نزلت في حق رجل تمار مرت عليه امرأة

﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن﴾ أي لا ﴿يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ﴾ يديموا ﴿عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾ بل أقلعوا عنه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٣٥﴾ أن الذي أتوه معصية ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ حال مقدرة أي مقدرين الخلود فيها إذا دخلوها ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ ﴿١٣٦﴾ بالطاعة هذا الأجر. ونزل في هزيمة أحد ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ طرائق في الكفار بامهالهم ثم أخذهم ﴿فَسِيرُواْ﴾ أيها المؤمنون ﴿فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿١٣٧﴾ الرسل أي آخر أمرهم من الهلاك فلا تحزنوا لغلبتهم فإنما أمهلهم لوقتهم ﴿هَٰذَا﴾ القرآن ﴿بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ كلهم ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٣٨﴾ منهم

وأرادت أن تشتري منه تمراً فاعجبته فقال لها إن التمر الجيد داخل الحانوت فدخل معها الحانوت وفعل معها ما عدا الإيلاج وأعطاها التمر، فتذكر هيبة الله وعقابه، فجاء لرسول الله يبكي فنزلت الآية، قوله: **(أي وعيده)** أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف.

قوله: **﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾** أي أقلعوا عنها وتابوا، **﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا الله﴾** جملة معترضة بين الحال وصاحبها قصد بها التعليل، قوله: **﴿وَلَمْ يُصِرُّوا﴾** جملة حالية من الواو في استغفروا، قوله: **﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾** جملة حالية أيضاً. وقوله: **(إن الذي أتوه معصية)** إشارة لمفعول يعلمون. والمعنى وليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها والنهي عنها والوعيد عليها لأنه قد يقوم على الذنوب من لا يعلم أنه ذنب. ولا يؤخذ بذلك كالمجتهدين من الصحابة في قتال بعضهم. ولذلك كان الواحد منهم إذا ظهر له الخطأ أقلع في الحال. قوله: **﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهارُ﴾** المعنى أن القصور والأشجار مشرفة على الأنهار.

قوله: **﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾** نعم فعل ماض وأجر فاعل والمخصوص بالمدح محذوف قدره المفسر بقوله هذا الأجر الذي هو المغفرة أو الجنة. قوله: **(ونزل في هزيمة أحد)** أي تسلية للنبي وأصحابه على ما أصابهم من الحزن الذي وقع لهم في تلك الغزوة، فكأن الله يقول لهم لا تحزنوا فإن هذه سنن من قبلكم والعبرة بالخواتم وقد تم النصر لكم على أعدائكم. قوله: **﴿قَدْ خَلَتْ﴾** من الخلو بمعنى المضي قوله: **(في الكفار)** أي كعاد مع هود. وكثمود مع صالح، وكقوم نوح معه، وكقوم لوط معه، وكالنمروذ مع إبراهيم. وكفرعون مع موسى. فإن الله أمهل هؤلاء ثم أخذهم أخذ عزيز مقتدر، فكذلك هؤلاء. قال تعالى: (واملي لهم إن كيدي متين) وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته». قوله: **(بامهالهم)** أي على سبيل الاستدراج. والمعنى فلا تحزنوا مما وقع لكم فإن الله يمهل ولا يهمل.

قوله: **﴿فَسِيرُوا﴾** إنما قرن الفعل بالفاء لما في الجملة الأولى من معنى الشرط، كأن الله يقول إن كنتم في شك مما ذكرته لكم فسيروا في الأرض لتروا آثارهم، قوله: **(أي آخر أمرهم)** أي وهو الهلاك الأخروي بإخبار الله ورسله والدنيوي بالمشاهدة. قوله: **(فإنما أمهلهم لوقتهم)** أي المقدر لهم ولا يعجل بالعقوبة إلا من يخاف الفوات. قوله: **﴿بَيَانٌ﴾** إما باق على مصدريته مبالغة أو بمعنى مبين أو ذو بيان على حد زيد عدل، ولذلك يسمى القرآن أيضاً فرقاناً لأنه يفرق بين الحق والباطل. قوله: **(كلهم)** أي

﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ تضعفوا عن قتال الكفار ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما أصابكم بأحد ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ بالغلبة عليهم ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٣٩﴾ حقاً وجوابه دل عليه مجموع ما قبله ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ﴾ يصبكم بأحد ﴿قَرْحٌ﴾ بفتح القاف وضمها جهد من جرح ونحوه ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ﴾ الكفار ﴿قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾ ببدر ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا﴾ نصرفها ﴿بَيْنَ النَّاسِ﴾ يوماً لفرقة ويوماً لأخرى ليتعظوا ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ علم ظهور ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أخلصوا في إيمانهم من غيرهم ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾ يكرمهم بالشهادة ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٤٠﴾ الكافرين أي يعاقبهم وما ينعم به

مسلمين أو كفاراً، وإنما كان بياناً للجميع لإقامة الحجة على الكافر يوم القيامة وتعذيبه.

قوله: ﴿وَهُدًى﴾ **(من الضلالة)** أي هاد من الكفر أو المعصية. قوله: ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ راجع لقوله: ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ﴾ وخصهم لأنهم هم المنتفعون بذلك. قال تعالى: (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب). قوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ هذا من جملة التسلية للنبي وأصحابه، وأصله توهنوا حذفت الواو لوقوعها بين عدوتيها. وسبب ذلك أنه لما حصلت التفرقة لأصحاب النبي ﷺ يوم أحد وقتل منهم سبعون وجرح منهم ناس كثيرون، وقتل من الكفار نيف وعشرون وجرح منهم ناس كثيرون، قال أبو سفيان رئيس الكفار منادياً للنبي وأصحابه أفي القوم محمد ثلاث مرات فنهى القوم أن يجيبوه، فقال أفي القوم ابن أبي قحافة ثلاث مرات ثم قال أفي القوم عمر بن الخطاب ثلاث مرات، ثم رجع إلى أصحابه فقال أما هؤلاء فقد قتلوا، فما ملك عمر نفسه فقال كذبت والله يا عدو الله، إن الذين عددت أحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوءك، ثم أخذ أبو سفيان يرتجز بقوله: أعل هبل أعل هبل. فقال عليه الصلاة والسلام ألا تجيبوه قولوا: الله أعلى وأجل. قال أبو سفيان: إن لنا عزى ولا عزى لكم. فقال عليه الصلاة والسلام قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم. وفي رواية قال أبو سفيان: يوم بيوم وإن الأيام دول والحرب سجال، فقال عمر: لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار، ثم أمر النبي أصحابه جميعاً بالإقبال على قتال الكفار ثانياً فصار الجريح منهم يزحف على الركب، ووقع الحرب بينهم وباتت الهزيمة على الكفار، فنزلت الآية تسلية للنبي وأصحابه.

وقوله: ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ أصله الأعلوون استثقلت للضمة على الواو فحذفت ثم تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً فالتقى ساكنان حذفت الألف لإلتقائهما وبقيت الفتحة لتدل عليها. قوله: **(مجموع ما قبله)** أي وهو قوله ولا تهنوا ولا تحزنوا. قوله: **(بفتح القاف وضمها)** أي فهما قراءتان سبعيتان، وجواب الشرط محذوف تقديره فلا تحزنوا، وقوله: ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ﴾ إلخ مفرع عليه. قوله: **(ببدر)** أي فكانت الغلبة فيه للؤمنين من أوله إلى آخره، وقال بعضهم بل في أحد أيضاً، لأن الغلبة آخراً كانت للمؤمنين، وأما غزوة بدر فكانت للمؤمنين خاصة. قوله: ﴿نُدَاوِلُهَا﴾ المداولة نقل الشيء من واحد لآخر، والمعنى إنما جعلنا الأيام دولاً بين الناس يوماً للكفار ويوماً للمسلمين لتتعظوا وليعلم الله إلخ. قوله: **(علم ظهور)** جواب عن سؤال مقدر حاصله أن علم الله قديم لا يتجدد فكيف ذلك؟ فأجاب: بأن المراد ليظهر متعلق علمه بتمييز المؤمن من غيره، والمعنى أن نصرة الكافر تارة ليست لمحبة الله له، بل ليتميز المؤمن من المنافق وليتخذ منكم شهداء، وإلا فالله لا يحب الكافرين. قوله: **(أي يعاقبهم)** تفسير لعدم محبة الله للظالمين. قوله: **(وما ينعم به عليهم استدراج)** جواب عن سؤال مقدر تقديره إنا نرى الله ينصرهم تارة وينعم عليهم بالدنيا وزينتها،

عليهم استدراج ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يطهرهم من الذنوب بما يصيبهم ﴿وَيَمۡحَقَ﴾ يهلك ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ ﴿١٤١﴾ ﴿أَمۡ﴾ بل أ ﴿حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُوا۟ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمۡ﴾ علم ظهور ﴿وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ﴿١٤٢﴾ في الشدائد ﴿وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ﴾ فيه حذف إحدى التاءين في الأصل ﴿ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ﴾ حيث قلتم ليت لنا يوماً كيوم بدر لننال ما نال شهداؤه ﴿فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ﴾ أي سببه الحرب ﴿وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ ﴿١٤٣﴾ أي بصراء تتأملون الحال كيف هي فلم انهزمتم. ونزل في هزيمتهم لما أشيع أن النبي قتل وقال لهم المنافقون إن كان قتل

فأجاب بأنها نقم في صورة نعم.

قوله: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللهُ﴾ إلخ هذه حكمة ثالثة، والمعنى إنما جعلنا الغلبة أولاً، للكفار ليتميز المؤمن من الكافر ويتخذ منهم شهداء، ويخلص المؤمنين من الذنوب؛ ويأخذ الكفار شيئاً فشيئاً قوله: (**بما يصيبهم**) أي بسبب ما يصيبهم من الجهد والمشقة. قوله: ﴿وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ أي يأخذهم ويهلكهم شيئاً فشيئاً، لأن المحق الإهلاك شيئاً فشيئاً. قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ أم منقطعة فلذا فسرها ببل التي للإضراب الإنتقالي، والهمزة التي قدرها المفسر للإستفهام الإنكاري، والمعنى لا تظنوا يا أيها المؤمنون أنكم تدخلون الجنة مع السابقين بمجرد الإيمان من غير جهاد وصبر بل مع الجهاد والصبر وهو خطاب لأهل أحد حيث أمروا بالقتال مع كونهم جرحى وتشديد عليهم في ذلك، والمقصود من ذلك تعليم من يأتي بعدهم، وإلا فهم قد جاهدوا في الله حق جهاده، وصبروا صبراً جميلاً. قوله: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ﴾ لما حرف نفي وجزم وقلب تفيد توقع الفعل، فلذا عبر بها دون لم وقد حصل ذلك ويعلم مجزوم بلم وعلامة جزمه السكون وحرك بالكسر تخلصاً من التقاء الساكنين، والله فاعل يعلم، وذلك كناية عن عدم حصول الجهاد والصبر، لأن ما لم يعلمه الله لم يكن حاصلاً.

قوله: ﴿وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ هكذا بالنصب باتفاق القراء بأن مضمرة بعد واو المعية على حد لا تأكل السمك وتشرب اللبن. قوله: (**في الشدائد**) أي البلايا كالأمراض والفقر والمحن، فيكون عن الله راضياً في السراء والضراء، وقوله: ﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا﴾ يدخل فيه جهاد النفس بمخالفة شهواتها لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، قال تعالى: (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى). قوله: (**فيه حذف إحدى التاءين**) أي تخفيفاً، قال ابن مالك:

وما بتاءين ابتدى قد يقتصر   فيه على تا كتبين العبر

وقوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ يحتمل أن الضمير عائد على الموت بمعنى سببه وهو الحرب، أو على العدو نفسه وهو وإن كان غير متقدم الذكر لكنه معلوم من السياق. قوله: (**ما نال شهداؤه**) أي من الأجر العظيم، ففي الحديث: «اطلع الله على أهل بدر فقال اعلموا ما شئتم فقد غفرت لكم». قوله: (**أي سببه**) ويحتمل أن الضمير عائد على العدو. قوله: (**أي بصراء**) أشار بذلك إلى أن نظر بصرية تنصب مفعولاً واحداً قدره بقوله الحال، ويحتمل أنها علمية ومفعولاها محذوفان تقديرهما تعلمون إخوانكم ما بين مقتول ومجروح. قوله: (**ونزل في هزيمتهم**) أي في أحد حين تفرقوا. قوله: (**لما أشيع**) أي أشاع المنافقون. قوله: (**أن النبي قتل**) أي وكذا أبو بكر وعمر.

فارجعوا إلى دينكم ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ كغيره ﴿ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ رجعتم إلى الكفر والجملة الأخيرة محل الاستفهام الانكاري أي ما كان معبوداً فترجعوا ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ وإنما يضر نفسه ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ ﴿١٤٤﴾ نعمه بالثبات ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بقضائه ﴿كِتَـٰبًا﴾ مصدر أي كتب الله ذلك ﴿مُّؤَجَّلًا﴾ مؤقتاً لا يتقدم ولا يتأخر فلم انهزمتم والهزيمة لا تدفع الموت والثبات لا يقطع الحياة ﴿وَمَن يُرِدْ﴾ بعمله ﴿ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي جزاءه منها ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ ما قسم له ولا حظ له في الآخرة ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ أي من ثوابها ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ ﴿١٤٥﴾

قوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولُ الله﴾ أي لا رب معبود فالقصر قصر قلب، والمقصود من ذلك الرد على المنافقين، حيث قالوا لضعفاء المسلمين إن كان محمد قتل فارجعوا إلى دينكم ودين آبائكم، فأفاد أن محمداً عبد مرسل يجوز عليه الموت لا رب معبود حتى تترك عبادة الله من أجل موته، لأن المقصود من وجوده تبليغ رسالة ربه، ولذلك نزل قرب وفاته (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) ولكن يجب علينا تعظيمه واحترامه حياً وميتاً، واعتقاد أن معجزاته باقية واتباعه وطاعته، قال تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) ولم يقل لأصحابك، وقال عليه الصلاة والسلام: «حياتي خير لكم ومماتي خير لكم فمن اعتقد أن النبي لا نفع به بعد الموت بل هو كآحاد الناس فهو الضال المضل.

قوله: ﴿أَوْ قُتِلَ﴾ أي فرضاً. قوله: (رجعتم إلى الكفر) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ كناية عن الرجوع للكفر لا حقيقة الإنقلاب على الأعقاب الذي هو السقوط إلى خلف، وهذه الآية قالها أبو بكر الصديق يوم وفاته ﷺ حين طاشت عقول الصحابة وارتد من ارتد، حتى قال عمر: كل من قال إن محمداً قد مات رميت عنقه بسيفي، فبلغ أبا بكر الخبر فدخل على النبي ﷺ وكشف اللثام عن وجهه وقبله بين عينيه وقال طبت يا حبيبي حياً و ميتاً، كنت أود لو أفديك بنفسي ومالي، ولكن قال الله إنك ميت وإنهم ميتون، وخرج وجمع الصحابة وصعد المنبر وخطب خطبة عظيمة قال فيها: أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وقد قال تعالى: (وما محمد إلا رسول) الآية، فثبت الناس حتى قال عمر: والله كأن هذه الآية لم أسمعها إلا من أبي بكر. قوله: (والجملة الأخيرة) أي التي هي قوله: ﴿انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾. قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ الله﴾ هذا رد لمن يفر من القتال خوفاً على نفسه من الموت. قوله: (لا يتقدم ولا يتأخر) أي لقوله تعالى: (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون). قوله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ أي يصرف نيته للدينا وزخارفها تاركاً الآخرة وما فيها. قوله: (وما قسم له) من الدنيا يأتيه على كل حال، فلا فرق بين من يطلبها ومن لا يطلبها، فلا تجعل الدنيا أكبر همك ولا مبلغ علمك، بل اجعل مطمح نظرك عبادة ربك، قال تعالى: (وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون) وما قدر لك فلا بد من وصوله إليك طلبته أو لا.

وقوله: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَتَلَ﴾ هذا من جملة التسلية لأهل أحد على ما أصابهم، وفيه توبيخ لمن

﴿وَكَأَيِّن﴾ كم ﴿مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ﴾ وفي قراءة قاتل والفاعل ضميره ﴿مَعَهُۥ﴾ خبر مبتدؤه ﴿رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ جموع كثيرة ﴿فَمَا وَهَنُواْ﴾ جبنوا ﴿لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ من الجراح وقتل أنبيائهم وأصحابهم ﴿وَمَا ضَعُفُواْ﴾ عن الجهاد ﴿وَمَا ٱسْتَكَانُواْ﴾ خضعوا لعدوهم كما فعلتم حين قيل قتل النبي ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ﴿١٤٦﴾ على البلاء أي يثيبهم ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾ عند قتل نبيهم مع ثباتهم وصبرهم ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا﴾ تجاوزنا الحد ﴿فِيٓ أَمْرِنَا﴾ إيذاناً بأن ما أصابهم لسوء فعلهم وهضماً لأنفسهم ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ بالقوة على الجهاد ﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ﴿١٤٧﴾ ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ النصر والغنيمة ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي الجنة وحسنه التفضل فوق الاستحقاق ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٤٨﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ

انهزم منهم وتحريض على القتال، وأصل كأين أي الاستفهامية دخلت عليها كاف التشبيه فأكسبتها معنى كم الخبرية فلذا فسرها بها، كأين مبتدأ ومن نبي ميزها وجملة قتل خبرها ونائب فاعل قتل ضمير يعود على كأين المفسر بقوله من نبي، وعلى القراءة الثانية يكون الضمير فاعل قاتل، وقوله: ﴿مَعَهُ رِبِّيُّونَ﴾ مبتدأ وخبر والجملة حالية. واستشكلت القراءة الأولى بأنه لم يرد أن نبيّاً قتل في حال الجهاد، بل متى أمر النبي بالجهاد عصم من القتل، ومقتضى الآية وقوع ذلك. وأجيب بأن المعنى قتله قومه ظلماً في غير حرب، ولكن الأحسن أن نائب الفاعل قوله: ربيون، ومعه ظرف متعلق بقتل، فالقتل واقع للربيين لا للأنبياء، وهو رد القول الكفار لو كان نبياً ما قتلت أصحابه وهو بينهم، هذا الإعراب يجري في القراءة الثانية أيضاً، والضمير في أصابهم يعود على الأمم، ويتفرع على هذين الإعرابين صحة الوقف على قتل أو قاتل على الإعراب الأول دون الثاني. قوله: **(والفاعل)** أي حقيقة على القراءة الثانية، أو حكماً على القراءة الأولى.

قوله: ﴿رِبِّيُّونَ﴾ هكذا بكسر الراء جمع ربي نسبة للرب على غير قياس ومعناه العالم الرباني، أو منسوب للربة بالكسر بمعنى الجماعة وعليه مشى المفسر، وقياس الأول فتح الراء وقد قرأ بها ابن عباس، وقرىء بضم الراء بمعنى الجماعة الكثيرة أيضاً، والقراءتان شاذتان، والمعنى لا تحزنوا على ما لكم فكم من نبي قتل والحال أن معه أصحابه فلم يضعفوا إلخ ورد أنه لما نزلت الآية أخذ النبي وأصحابه في التوجه خلف الأعداء فساروا ثمانية أميال صحيحهم وجريحهم وباتت الهزيمة على الكفار. قوله: ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ هكذا بفتح الهاء وقرىء بسكون الهاء وكسرها. قوله: ﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ قيل أصله استكنوا زيد في الفتحة فصارت الفاً، وقيل أصله استكونوا نقلت فتحة الواو إلى الساكن قبلها فتحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت الفاً.

قوله: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُم﴾ أي الربيين وهذا بيان محاسن أقوالهم بعد بيان محاسن أفعالهم. قوله: **(عند قتل نبيهم)** ظاهره حتى في جهاد الكفار وتقدم ما فيه. قوله: ﴿فَآتَاهُمُ اللهُ﴾ أي بسبب دعائهم وحسن أفعالهم. قوله: **(والغنيمة)** إن قلت إنها لم تحل إلا لهذه الأمة المحمدية، أجيب بأن المراد بالغنيمة ملك أموال الكفار ورقابهم، ولا يلزم من الملك حل أكلها. قوله: **(وحسنه التفضل فوق الإستحقاق)** يعني أن ثواب الآخرة هو الجنة وهو حسن، وأحسن منه الزيادة لهم فوق ما يستحقون. قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ نزلت في أهل أحد حين تفرقوا، وصار عبد الله بن سلول

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فيما يأمرونكم به ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ إلى الكفر ﴿فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ ﴿١٤٩﴾ ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾ ناصركم ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ ﴿١٥٠﴾ فأطيعوه دونهم ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾ بسكون العين وضمها الخوف وقد عزموا بعد ارتحالهم من أحد على العود واستئصال المسلمين فرعبوا ولم يرجعوا ﴿بِمَآ أَشْرَكُواْ﴾ بسبب إشراكهم ﴿بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ حجة على عبادته وهو الأصنام ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى﴾ مأوى ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿١٥١﴾ الكافرين هي ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾ إياكم بالنصر ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم﴾ تقتلونهم ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ بإرادته ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ جبنتم عن القتال ﴿وَتَنَٰزَعْتُمْ﴾ اختلفتم ﴿فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أي أمر النبي بالمقام في سفح الجبل للرمي فقال بعضكم نذهب فقد نصر أصحابنا وبعضكم لا نخالف أمر النبي ﷺ ﴿وَعَصَيْتُم﴾ أمره فتركتم المركز لطلب الغنيمة ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم﴾ الله ﴿مَّا تُحِبُّونَ﴾ من النصر

يقول لضعفائهم امضوا بنا إلى أبي سفيان لنأخذ لكم منه عهداً ألم أقل لكم إنه ليس بنبي. قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي كعبد الله بن سلول وغيره من المنافقين.

قوله: ﴿فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ أي للدنيا بالأسر والخزي والآخرة بالعذاب الدائم. قوله: ﴿والله خَيْر النَّاصِرِينَ﴾ أفعل التفضيل ليس على بابه. قوله: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ هذا وعد حسن من الله بنصر المسلمين وخذلان الكفار. قوله: **(بسبب إشراكهم)** أشار بذلك إلى أن الباء سببية وما مصدرية. قوله: **(حجة)** سماها سلطاناً لقوتها ونفوذها. قوله: **(وهو)** أي ما لا ينزل به سلطاناً. قوله: ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ هذا بيان لحالهم في الآخرة بعد أن بين حالهم في الدنيا، وكل ذلك مسبب عن الإشراك بالله، فهم في الدنيا مرعوبون وفي الآخرة معذبون.

قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ الله وَعْدَهُ﴾ سبب نزولها أن أصحاب رسول الله ﷺ لما رجعوا إلى المدينة تذاكروا ما وقع في تلك الغزوة حيث قالوا إن الله وعدنا بالنصر على لسان نبيه فلأي شيء غلبنا، فنزلت الآية رداً عليهم. قوله: ﴿وَعْدَهُ﴾ مفعول ثان لصدق لأنه يتعدى لمفعولين الأول لنفسه والثاني إما كذلك كما هنا أو بحرف الجر وهو في قوله: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُمْ﴾ ظرف لقوله: ﴿صَدَقَكُمُ﴾ وحسن يطلق بمعنى علم ووجد وطلب وقتل وهو المراد هنا.

قوله: ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ حتى ابتدائية بمعنى أن ما بعدها مستأنف، ويصح أن تكون غائية بمعنى إلى، والمعنى ولقد استمر معكم النصر إلى أن فشلتم وتنازعتم وعصيتم فتخلف وعده ومنعكم النصر وإذا على الأول ظرف لما يستقبل من الزمان وعصيتم معطوف على فشلتم وجواب إذا محذوف قدره المفسر بقوله: **(منعكم نصره)**. وقوله: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ﴾ معطوف على ذلك المحذوف، وقوله: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ إلخ معترض بين المعطوف والمعطوف عليه. قوله: **(جبنتم عن القتال)** أي بسبب الإلتفات للغنيمة. قوله: **(فتركتم المركز)** أي الموضع الذي أقامكم فيه رسول الله، فإنه تقدم أنه قسم الجيش خمسة أقسام ساقة ومقدم وجناحان وقلب، وأمرهم بالثبات سواء حصل النصر أو الهزيمة، فظهرت لهم أمارات النصر أولاً، فبعضهم ترك مركزه وذهب للغنيمة، والبعض ثبت.

قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ﴾ تنازعه كل من فشلتم وتنازعتم وعصيتم، فأعمل الأخير وأضمر في

وجواب إذا دل عليه ما قبله أي منعكم نصره ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾ فترك المركز للغنيمة ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ فثبت به حتى قتل كعبدالله بن جبير وأصحابه ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ﴾ عطف على جواب إذا المقدر ردكم بالهزيمة ﴿عَنْهُمْ﴾ أي الكفار ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ ليمتحنكم فيظهر المخلص من غيره ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ ما ارتكبوه ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٥٢﴾ بالعفو اذكروا ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ تبعدون في الأرض هاربين ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ﴾ تعرجون ﴿عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ أي من ورائكم يقول إليّ عبادالله إليّ عباد الله ﴿فَأَثَٰبَكُمْ﴾ فجازاكم ﴿غَمًّۢا﴾ بالهزيمة ﴿بِغَمٍّ﴾ بسبب غمكم للرسول بالمخالفة وقيل الباء بمعنى على أي مضاعفاً على غم فوت الغنيمة ﴿لِّكَيْلَا﴾ متعلق بعفا أو بأثابكم فلا زائدة ﴿تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من الغنيمة ﴿وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾ من القتل والهزيمة ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٥٣﴾ ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً﴾ أمناً ﴿نُّعَاسًا﴾ بدل

الأولين وحذف. قوله: ﴿مَا تُحِبُّونَ﴾ مفعول ثان لأرى، والكاف مفعول أول. قوله: **(من النصر)** أي أولاً فلما وقع الإختلاف تغير الحال. قوله: **(دل عليه ما قبله)** أي وهو قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ﴾. قوله: **(كعبد الله بن جبير)** أي وقد كان أميراً على الرماة. قوله: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ أي عن المؤمن منكم بعد توبته. قوله: **(اذكروا)** قدره إشارة إلى أن إذ ظرف لمحذوف، ويصح أنه ظرف لقوله: عصيتم، التقدير وقت بعدكم إلخ. قوله: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ فلعله رباعي بمعنى تبعدن، وقرىء تصعدون من الثلاثي بمعنى تذهبون متفرقين في البرية.

قوله: ﴿وَلَا تَلْوُونَ﴾ الجمهور على أنها بواوين، وقرىء شذوذاً بإبدال الواو الأولى همزة وأصلها تلويون بواوين بينهما ياء هي لام الكلمة فاعل بحذفها، وقرأ الحسن شاذاً بواو واحدة. قوله: **(تعرجون)** أي لا تقيمون مع أحد بل كل واحد ذاهب على حدة. قوله: ﴿يَدْعُوكُمْ﴾ أي يناديكم ولم يبق معه إلا اثنا عشر رجلاً، وقيل ثمانية عشر رجلاً، وقيل لم يبق معه إلا طلحة عن يساره وجبريل عن يمينه، وجمع بين الأقوال بأن ذلك بحسب اختلاف الأوقات حين احتاطت به الكفار. قوله: **(أي من ورائكم)** أشار بذلك إلى أن الأخرى بمعنى آخر وفي بمعنى من، ويصح أن يبقى الكلام على ما هو عليه، ويكون المعنى والرسول يدعوكم في ساقتكم وجماعتكم الأخرى. قوله: **(يقول إلي عباد الله)** تمامه أنا رسول الله من يكر فله الجنة. قوله: **(فجازاكم)** أشار بذلك إلى أن المراد بالثواب مطلق المجازاة وإلا فالثواب هو ما يكون في نظير الأعمال الصالحة وإنما سماه ثواباً لأن عاقبته محمودة، قوله: **(أي مضاعفاً)** أي زائداً. قوله: **(متعلق بعفا)** أي وتكون لا أصلية والمعنى عفا عنكم ليذهب عنكم الحزن. قوله: **(أوبأثابكم)** أي فيكون المعنى أثابكم غماً بغم لأجل حزنكم على فوات الغنيمة وعلى قتل أصحابكم فقوله: **(فلا زائدة)** أي على هذا الثاني فقط.

قوله: ﴿والله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي فيعلم المخلص من غيره فإن منهم من لزم رسول الله ولم ينتقل من موضعه أبداً وهو طلحة بن عبد الله، ومنهم من ثبت لولا غلبة الكفار كبقية الأثني عشر أو الثمانية عشر، ومنهم من فر خوفاً من القتل، ومنهم من فر ابتداء لإظهار هزيمة المؤمنين وهؤلاء منافقون وقد ظهروا في تلك الغزوة وافتضحوا، وأما المؤمنون فقد تم لهم النصر وعفا الله عن مسيئهم، قوله: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ﴾ ثم للترتيب بدليل تصريحه بالبعدية بعد ذلك بقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ﴾، قوله: **(أمنا)**

﴿يَغْشَىٰ﴾ بالياء والتاء ﴿طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ وهم المؤمنون فكانوا يميدون تحت الحجف وتسقط السيوف منهم ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ أي حملتهم على الهم فلا رغبة لهم إلا نجاتها دون النبي وأصحابه فلم يناموا وهم المنافقون ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ﴾ ظناً ﴿غَيْرَ﴾ الظن ﴿الْحَقِّ ظَنَّ﴾ أي كظن ﴿الْجَاهِلِيَّةِ﴾ حيث اعتقدوا أن النبي قتل أو لا ينصر ﴿يَقُولُونَ هَل﴾ ما ﴿لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ﴾ أي النصر الذي وعدناه ﴿مِن﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ﴾ بالنصب توكيد أو بالرفع مبتدأ خبره ﴿لِلَّهِ﴾ أي القضاء له يفعل ما يشاء ﴿يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ﴾ يظهرون ﴿لَكَ يَقُولُونَ﴾ بيان لما قبله ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ أي لو كان الاختيار إلينا لم نخرج

أشار بذلك إلى أن الأمنة والأمن بمعنى واحد وهو الطمأنينة، زال سبب الخوف أولاً، وقيل إن الأمن هو الطمأنينة مع زوال سبب الخوف، والأمنة الطمأنينة مع وجود اسبابه. قوله: **(بدل)** أي بدل كل من كل وهو ظاهر، لأن الأمنة هي النعاس بعينها، وقيل بدل اشتمال لأن الأمنة لها اشتمال بالنعاس وهو له اشتمال بها، لأنه لا يحصل النعاس إلا لآمن، قوله: **(بالياء والتاء)** أي فيها قراءتان سبعيتان فعلى الياء الضمير عائد على النعاس، وعلى التاء الضمير عائد على الأمنة، قوله: **(يميدون)** أي يميلون، و قوله: **(تحت الجحف)** بفتحتين وتقديم الحاء جمع حجفة كقصبة، وقصب اسم للترس والدرقة كما في المصباح. قوله: **(وتسقط السيوف منهم)** أي المرة بعد المرة وكلما سقطت أخذوها.

قوله: **﴿وَطَائِفَةٌ﴾** أي من غيركم وهم المنافقون، قوله: **﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾** أهم فعل ماض والتاء علامة التأنيث وأنفسهم فاعل، والمعنى أنهم يحرصون على نجاة أنفسهم من الموت لا تشييداً للدين. قوله: (ظناً) **﴿غَيْرَ﴾** (الظن) **﴿الْحَقِّ﴾** أشار بذلك إلى أن قوله: **﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾** صفة لموصوف محذوف مفعول ليظنون، وقوله: **﴿الْحَقِّ﴾** صفة لمصدر محذوف مضاف لغير، وقوله: **﴿ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾** صفة ثانية وهو منصوب بنزع الخافض، والمعنى أن هذه الطائفة حملتهم أنفسهم على الهزيمة لنجاتها، ومن أوصافهم أنهم يظنون في ربهم ظناً باطلاً مثل ظن الجاهلية بمعنى أهل الجهل والكفر حيث ظنوا أن النبي قتل وأن دينه قد بطل، قال تعالى: (وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين) وقال تعالى: (ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون) فحسن الظن بالله من علامات الإيمان، قال تعالى في الحديث القدسي: أنا عند ظن عبدي بي ما شاء وبالجملة فمن أراد أن يعلم عاقبة ربه فلينظر إلى ظنه بربه.

قوله: **﴿يَقُولُونَ﴾** أي اعتراضاً على رسول الله وتكذيباً له. قوله: **﴿هَلْ لَنَا﴾** استفهام انكاري بمعنى النفي أي ما ثبت لنا من النصر شيء، قلنا خبر مقدم وشيء مبتدأ مؤخر، ومن زائدة فيه، ومن الأمر حال من شيء، قوله: **(بالنصب)** توكيد أي للأمر، وخبر إن قوله لله، قوله: **(أو بالرفع مبتدأ إلخ)** أي والجملة خبر إن والقراءتان سبعيتان، قوله: **(أي القضاء له)** تفسير والمعنى أن النصر بيد الله والله هو الفاعل المختار، وليس النصر بكثرة العدد والعدد. قوله: **(بيان لما قبله)** أي استئناف بياني واقع في جواب سؤال مقدر كأنه قيل ما الذي يخفونه. قوله: **﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ﴾** أي الإختيار والرأي.

فلم نقتل لكن أخرجنا كرهاً ﴿قُل﴾ لهم ﴿لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ وفيكم من كتب الله عليه القتل ﴿لَبَرَزَ﴾ خرج ﴿ٱلَّذِينَ كُتِبَ﴾ قضي ﴿عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ﴾ منكم ﴿إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ مصارعهم فيقتلوا ولم ينجهم قعودهم لأن قضاءه تعالى كائن لا محالة ﴿وَ﴾ فعل ما فعل بأحد ﴿لِيَبْتَلِىَ﴾ يختبر ﴿ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾ قلوبكم من الاخلاص والنفاق ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ يميز ﴿مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ ﴿١٥٤﴾ بما في القلوب لا يخفى عليه شيء وإنما يبتلي ليظهر للناس ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ﴾ عن القتال ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ جمع المسلمين وجمع الكفار بأحد وهم المسلمون إلا اثنا عشر رجلاً ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ﴾ أزلهم ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ بوسوسته ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾ من الذنوب وهو مخالفة أمر النبي ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿حَلِيمٌ﴾ ﴿١٥٥﴾ لا يعجل على العصاة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي المنافقين ﴿وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ أي في

قوله: **(لكن أخرجنا كرهاً)** أي فحصل القتل فينا. قوله: **﴿قُلْ﴾(لهم)** أي رداً لمقالتهم واعتقادهم دفع قضاء الله المبرم.

قوله: **﴿لَوْ كُنْتُم فِي بُيُوتِكُمْ﴾** أي لو لم تخرجوا إلى أحد ومكثتم في بيوتكم وقوله: **﴿لَبرَزَ﴾** جواب قوله: **﴿لَوْ﴾** والمعنى لخرج من قضي عليه بالموت إلى المحل الذي مات به لسبب من الأسباب ونفذ حكم الله فيه، مما اتفق أن سليمان بن داود عليهما السلام كان جالساً، وإذا بملك الموت أقبل عليه ونظر إلى رجل في مجلسه، فارتعدت فرائص الرجل، فلما ذهب ملك الموت قال الرجل: يا نبي الله إني خفت من نظرة هذا الرجل، فقال: هو ملك الموت، قال الرجل: مر الرياح لتذهب بي إلى اقصى البلاد ففعل، فبعد لحظة وإذا بملك الموت قد أقبل على سليمان فقال له: إن الله أمرني أن أقبض روح ذلك الرجل بتلك الأرض، فلما وجدته في مجلسك تحيرت، فكان منه ما كان، فهو قد خرج هارباً وفي الواقع خرج لمصرعه. قوله: **﴿وَ﴾ (فعل ما فعل)** أشار بذلك إلى أن قوله: **﴿لِيَبْتَلِيَ﴾** علة لمحذوف والواو عاطفة لذلك المحذوف على أنزل.

قوله: **﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾** عطف على (ليبتلي) من عطف المسبب على السبب. قوله: **(ليظهر للناس)** أي المؤمن الخالص من غيره. قوله: **(إلا اثنا عشر)** منهم أبو بكر وعلى وطلحة وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف، وتقدم في رواية أن من بقي ثمانية عشر، وقيل لم يبق إلا طلحة، وتقدم الجمع بين هذه الروايات. قوله: **(وهو مخالفة أمر النبي)** أي حيث قسمهم خمسة أقسام وأقام كلاً في مركز وقال لهم لا تبرحوا عن مكانكم غلبنا أو نصرنا، فبعضهم تفرق للغنيمة، والبعض فرقه الأعداء.

قوله: **﴿وَلَقَدْ عَفَا الله عَنْهُمْ﴾** أي عن الجماعة الذين تفرقوا للغنيمة وعصوا أمر النبي. قوله: **﴿إِنَّ الله غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾** هذه الجملة تأكيد وعلة لما قبلها، أي إنما عفا عنهم لأنه كثير المغفرة للذنوب واسع الحلم، فلا يعجل بالعقوبة على العاصي لأن الكل في قبضته، ولا يعجل بالعقوبة إلا من يخاف الفوات. قوله: **﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾** يعني لا تشبهوهم في قولهم في شأن من مات أو قتل، لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فيه يعتقدون أن الفرار نافع مع قضاء الله. قوله: **﴿لإِخْوَانِهِمْ﴾** أي في النسب أو الكفر أو الضلال، والمعنى لا تكونوا مثلهم في كفرهم ولا في قولهم لإخوانهم إلخ. قوله:

شأنهم ﴿إِذَا ضَرَبُواْ﴾ سافروا ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فماتوا ﴿أَوْ كَانُواْ غُزًّى﴾ جمع غاز فقتلوا ﴿لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾ أي لا تقولوا كقولهم ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ﴾ القول في عاقبة أمرهم ﴿حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ فلا يمنع عن الموت قعود ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء والياء ﴿بَصِيرٌ﴾ ﴿١٥٦﴾ فيجازيكم به ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي الجهاد ﴿أَوْ مُتُّمْ﴾ بضم الميم وكسرها من مات يموت ويمات أي أتاكم الموت فيه ﴿لَمَغْفِرَةٌ﴾ كائنة ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لذنوبكم ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ منه لكم على ذلك واللام مدخولها جواب القسم وهو في موضع الفعل مبتدأ خبره ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ ﴿١٥٧﴾ من الدنيا بالتاء والياء ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿مُّتُّمْ﴾ بالوجهين ﴿أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ في

﴿إِذَا ضَرَبُوا﴾ إذا هنا لمجرد الزمان وأتى بإذا إشارة إلى أن هذا الأمر محقق منهم. قول: **(سافروا)** أي مطلقاً لغزو أو لا. قوله: **(فماتوا)** أخذه من قوله الآتي ﴿مَا مَاتُوا﴾ قوله: ﴿غُزًّى﴾ خبر كان منصوب بفتحة مقدرة على الألف المنقلبة عن الواو. قوله: **(جمع غاز)** أي على غير قياس، وقياس المعتل غزاة كقضاة. قوله: **(فقتلوا)** أخذه من قوله: ﴿وَمَا قُتِلُوا﴾. قوله: ﴿مَا مَاتُوا﴾ راجع لقوله: ﴿إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ﴾ وقوله: ﴿وَمَا قُتِلُوا﴾ راجع لقوله: ﴿أَوْ كَانُوا غُزًّى﴾. قوله: **(أي لا تقولوا كقولهم)** أي فإنه شائبة من الكفر والضلال واعتقاده كفر.

قوله: ﴿لِيَجْعَلَ﴾ اللام للعاقبة والصيرورة كهي في قوله تعالى: (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً) والمعنى أن الكفار قصدوا بهذا الكلام اللوم على من خرج ومنع من يريد الخروج، فكان عاقبة ذلك كونه يجعل حسرة في قلوبهم. قوله: **(فلا يمنع عن الموت قعود)** أي عن الغزو والسفر، ولا يجلب الغزو والسفر موتاً، بل لكل أجل كتاب (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون). قوله: **(بالتاء والياء)** أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى الياء يكون وعيداً للكفار، وعلى التاء يكون تحذيراً للمؤمنين. قوله: **(فيجازيكم به)** أي إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، قوله: **(لام قسم)** أي موطئة تقديره والله لئن قتلتم. قوله: **(بضم الميم وكسرها)** قراءتان سبعيتان. وقوله: **(من مات يموت)** راجع للضم ووزنه قال يقول، وأصله يموت بسكون الميم وضم الواو نقلت حركة الواو إلى الساكن قبلها. قوله: **(ويمات)** راجع لقوله: **(وكسرها)** فيكون من باب خاف يخاف، وأصله يموت بسكون الميم وفتح الواو، نقلت فتحة الواو إلى الساكن قبلها ثم تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً. قوله: **(أي أتاكم الموت فيه)** أي في السفر. قوله: ﴿لَمَغْفِرَةٌ﴾ أي تأتيه، وقوله: ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ أي إحسان فالموت خير من الحياة إن كان في سفر غير معصية أو جهاد فإنه شهادة على كل حال. قوله: **(جواب القسم)** أي جواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم، لقول ابن مالك: واحذف لدى اجتماع شرط وقسم. جواب ما أخرت. قوله: **(وهو في موضع الفعل)** أي فتقديره لغفرت لكم ورحمتكم، وظاهره أن جواب القسم لا بد أن يكون جملة فعلية وليس كذلك، بل يكون جملة اسمية، وقد القتل هنا على الموت لأنه أهم وأشرف، وقدم الموت أولاً لمراعاة الترتيب. وآخر لأنه أعم من القتل. قوله: ﴿مِمَّا تَجْمَعُونَ﴾ يحتمل أن ما مصدرية، والمعنى خير من جمعكم الدنيا أو موصولة، والعائد محذوف تقديره خير من الذي تجمعونه من الدنيا.

الجهاد أو غيره ﴿لَإِلَى اللَّهِ﴾ لا إلى غيره ﴿تُحْشَرُونَ﴾ ﴿١٥٨﴾ في الآخرة فيجازيكم ﴿فَبِمَا﴾ ما زائدة ﴿رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ﴾ يا محمد ﴿لَهُمْ﴾ أي سهلت أخلاقك إذ خالفوك ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾ سيء الخلق ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ جافياً فأغلظت لهم ﴿لَانفَضُّوا﴾ تفرقوا ﴿مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ﴾ تجاوز ﴿عَنْهُمْ﴾ ما أتوه ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ذنوبهم حتى أغفر لهم ﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾ استخرج آراءهم ﴿فِي الْأَمْرِ﴾ أي شأنك من الحرب وغيره تطييباً لقلوبهم وليستن بك وكان ﷺ كثير المشاورة لهم ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ على إمضاء ما تريد بعد المشاورة ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ثق به لا بالمشاورة ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ ﴿١٥٩﴾ عليه ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ﴾ يعنكم على عدوكم كيوم بدر ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن

قوله :(بالتاء والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان . قوله : (بالوجهين) أي السابقين من ضم الميم وكسرها . قوله : ﴿لإلى الله تُحْشَرُونَ﴾ قال بعضهم إن الآية تشير إلى مقامات العبودية الثلاثة : الأول من يعبد الله خوفاً من ناره وإليه الإشارة بقوله لمغفرة . الثاني من يعبد الله شوقاً إلى جنته وإليه الإشارة بقوله ورحمة . الثالث من يعبد الله لذاته لا طمعاً ولا خوفاً وإليه الإشارة بقوله لالى الله تحشرون ، وفي الحقيقة الثالثة قد حاز جميعها لكن من غير قصد منه ، لأن مشاهدة الله لا تكون إلا في الجنة ولا بد . ومن ذلك قول بعض العارفين :

ليس قصدي من الجنان نعيماً غير أني أريدها لأراك

قوله : (ما زائدة) أي للتوكيد، والمعنى فبسبب رحمة من الله كنت ليناً سهلاً على الخلق قال أنس بن مالك : خدمت رسول الله عشر سنين فما لامني على شيء فعلته أو تركته . قوله : ﴿رَحْمَةٍ مِنَ الله﴾ التنوين للتعظيم . قوله : ﴿وَلَو كُنْتَ فَظًّا﴾ أي صعب القول والفعل، ومن سهولته قبول توبة وحشي قاتل عمه حمزة . قوله : (سيء الخلق) المناسب أن يفسره بصعوبة القول والفعل . قوله : ﴿غَليظَ الْقَلْبِ﴾ أي قاسيه . قوله : ﴿لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ أي ذهبوا إلى الكفار ولم يبق منهم أحد، وأما من قبله من الأنبياء فقد عاملوا قومهم بالجلال، كنوح حين قال: رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً، وكهود وصالح ، فنبينا رحمة للعالمين ولولا رحمته بنا ما بقي منا أحد، فكان شفيعاً عند ربه لنا في كل بلاء عام طلبته الأنبياء لأممهم . قوله : ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ شروع في ذكر ترقيه لهم، فذكر أولاً العفو عنهم، ثم الاستغفار لهم ليطهرهم ربهم من الذنوب، فإذا طهروا وصاروا أصفياء خلقاء شاورهم في الأمر . قوله : (تطييباً لقلوبهم) أي تونيساً وجبراً لئلا ينفر ضعفاء المؤمنين لو لم تحصل المشاورة منه . قوله : (وليستن ربك) أي ليصير سنة لمن يأتي بعدك، وليظهر صاحب الرأي السديد من غيره، ولذا قدموا بعد النبي أبا بكر لأنه كان يشاوره كثيراً، ثم عمر لأن القرآن كان ينزل على طبق ما يقول، واختلف هل كانت المشاورة في أمر الدين والدنيا أو الدنيا فقط، فقيل بالأول ولكن لا يتبع إلا الوحي، وإنما المشاورة تطييباً لخاطرهم، وقيل بالثاني وهو الظاهر . قوله : (ثق به) أي فلا يردك عنه أحد . قوله : ﴿إنَّ الله يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ أي يثيب المفوضين الأمور اليه .

قوله : ﴿إنْ يَنْصُركُم الله﴾ هذا خطاب تشريف للمؤمنين المجاهدين . قوله : (يعنكم) أشار بذلك إلى أن النصر بمعنى الإعانة، ويطلق بمعنى الجمع، قال تعالى: (فمن ينصرني من الله إن عصيته) وبمعنى الإنتقام، قال تعالى: (فدعا ربه أني مغلوب فانتصر) . قوله : ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ أي ولو اجتمعت عليكم

﴿يَخۡذُلۡكُمۡ﴾ يترك نصركم كيوم أحد ﴿فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾ أي بعد خذلانه أي فلا ناصر لكم ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾ لا غيره ﴿فَلۡيَتَوَكَّلِ﴾ ليثق ﴿ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ ﴿١٦٠﴾ ونزل لما فقدت قطيفة حمراء يوم بدر فقال بعض الناس لعل النبي أخذها ﴿وَمَا كَانَ﴾ ما ينبغي ﴿لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ﴾ يخون في الغنيمة فلا تظنوا به ذلك وفي قراءة بالبناء للمفعول أي ينسب إلى الغلول ﴿وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ حاملا له على عنقه ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٍ﴾ الغال وغيره جزاء ﴿مَّا كَسَبَتۡ﴾ عملت ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ ﴿١٦١﴾ شيئا ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ فأطاع ولم يغل ﴿كَمَنۢ بَآءَ﴾ رجع ﴿بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لمعصيته وغلوله ﴿وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ ﴿١٦٢﴾ المرجع هي، لا

أهل الأرض جميعاً. قوله: (أي بعد خذلانه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف والضمير عائد على الله. قوله: ﴿فَلَا نَاصِرَ لَكُمْ﴾ أشار بذلك إلى أن الإستفهام إنكاري بمعنى النفي، ولم يقل فلا ناصر لكم إشارة لعدم تقنيطهم من النصر تلطفاً بهم، أي فارجعوا إليه ينصركم، قال تعالى: (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين).

قوله: ﴿فَلْيَتَوكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي المصدقون بأن النصر والخذلان من عند الله، والمعنى فإذا علمتم أيها المؤمنون أن من نصره الله فلا يغلبه أحد، ومن خذله لا ناصر له سواه، فثقوا به واعتمدوا عليه. قوله: (لما فقدت قطيفة) أي من الغنيمة. قوله: (فقال بعض الناس) أي من المنافقين. قوله: (ينبغي) أي يمكن والمعنى لا يتأتى ذلك لأن الأنبياء معصومون من الذنوب كبيرها وصغيرها، وأما قوله تعالى: (قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) حكاية عن سيدنا يوسف، فقال بعض المفسرين: إن يوسف وهو صغير وجد صنماً عند جده، فأخذه خفية وكسره ووضعه في محل القذر. قوله: (فلا تظنوا به ذلك) أي لأنها خيانة وهي محرمة والنبي معصوم من ذلك، فمن جوز المعصية على النبي فقد كفر لما فاته للعصمة الواجبة.

قوله: ﴿وَمَنْ يَغْلُلَ﴾ كلام مستأنف قصد به التحذير لغير المعصومين. قوله: (حاملاً له على عنقه) أي والناس ناظرون له فضيحة له، روى الشيخان عن أبي هريرة قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره حتى قال: لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء فيقول يا رسول الله أغثني، فأقول لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء، فيقول يا رسول الله أغثني، فأقول لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق، فيقول يا رسول الله أغثني، فأقول لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت، فيقول يا رسول الله أغثني، فأقول لا أملك لك من الله شيئاً، والرغاء صوت البعير، والثغاء صوت الشاة، والرقاع الثياب والصامت الذهب والفضة، والحمحمة صوت الفرس وقوله لا ألفى نفى معناه النبي أي لا يغل أحدكم حتى ألقاه هكذا.

قوله: ﴿أَفَمَنِ﴾ الهمزة مقدمة من تأخير لأن الإستفهام له الصدارة. قوله: (ولم يغل أي لم يسرق ولم يخن). قوله: ﴿بِسَخَطٍ﴾ مصدر قياسي لسخط بكسر الخاء، وله مصدر سماعي وهو سخط بضم السين وسكون الخاء. قوله: ﴿هِيَ﴾ هذا هو المخصوص بالذم، وقوله: (لا) جواب الاستفهام. قوله:

﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ﴾ أي أصحاب درجات ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي مختلفو المنازل، فلمن اتبع رضوانه الثواب، ولمن باء بسخطه العقاب ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٦٣﴾ فيجازيهم به ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي عربياً مثلهم ليفهموا عنه ويشرفوا به ملكاً ولا عجمياً ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ القرآن ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من الذنوب ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ السنة ﴿وَإِن﴾ مخففة أي إنهم ﴿كَانُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ أي قبل بعثه ﴿لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿١٦٤﴾ بين ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ بأحد بقتل سبعين منكم ﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ ببدر بقتل سبعين وأسر سبعين منهم ﴿قُلْتُمْ﴾ متعجبين ﴿أَنَّىٰ﴾ من أين لنا ﴿هَٰذَا﴾ الخذلان ونحن مسلمون ورسول الله فينا والجملة الأخيرة محل الاستفهام الانكاري ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ لأنكم تركتم المركز فخذلتم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٦٥﴾ ومنه النصر ومنعه وقد

﴿هُمْ دَرَجَاتٌ﴾ أي رتب فمنهم المقبول فله الدرجات العلا، ومنهم المردود فله الدركات السفلى، وفيه تغليب على الدركات لشرفها.

قوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ﴾ هذا ترق في تعظيمه ﷺ، فنزهه أولاً عن الغلول، ثم بين أن وجوده بينهم نعمة عظيمة أنعم بها عليهم، وفي الحقيقة هو نعمة حتى على الكفار، وإنما خص المؤمنين لأنهم هم المنتفعون بها وتدوم عليهم، وأما الكفار وإن آمنوا به من الخسف والمسخ وكل بلاء عام ورزقوا به، إلا أن عاقبتهم الخلود في دار البوار ويتبرأ منهم ولا يشفع لهم في النجاة من العذاب.

بشرى لنا معشر الإسلام إن لنا ... من العناية ركناً غير منهدم

قوله: (لا ملكاً) أي لعدم إطاقة البشر له، قال تعالى: (ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون). قوله: (ولا عجمياً) أي لعدم فهمهم عنه ما أرسل به، ومن نعم الله أيضاً كون القرآن عربياً، قال تعالى: (ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصل آياته أأعجمي وعربي) الآية. قوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ﴾ أي بنفسه أو بواسطة كالعلماء. قوله: (السنة) العلم النافع. قوله: (مخففة) أي من الثقيلة لا عمل لها لقول ابن مالك:

وخففت إن فقل العمل ... وتلزم اللام إذا ما تهمل

قوله: ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أي كفر واضح ظاهر، قال العارف البرعي:

أتى والجاهلية في ضلال ... وكفر تعبد الحجر الأصنا
وتأكل ميتة ودما وتسطو ... على مؤودة الأطفال دفنا
فجاء بملة الإسلام يتلو ... مثاني في صلاة الخمس مثنى

قوله: ﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم﴾ الهمزة داخلة على قوله: ﴿قُلْتُمْ أَنَّى هٰذَا﴾ التقدير أقلتم أني هذا حين أصابتكم إلخ. قوله: (وأسر سبعين) لأن الفخر بالمأسور أعظم من المقتول لدلالته على عظم الشجاعة، فلذا قال قد أصبتم مثليها، والمقصود من ذلك التسلية للمؤمنين. قوله: (والجملة الأخيرة) أي وهي قوله قلتم. قوله: (محل الإستفهام الإنكاري) أي فهو بمعنى النفي والمعنى لا تقولوا ذلك حين أصابتكم

جازاكم بخلافكم ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ بأحد ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ الله علم ظهور ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٦٦﴾ حقاً ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ وَ﴾ الذين ﴿قِيلَ لَهُمْ﴾ لما انصرفوا عن القتال وهم عبدالله بن أبي وأصحابه ﴿تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أعداءه ﴿أَوِ ٱدْفَعُواْ﴾ عنا القوم بتكثير سوادكم إن لم تقاتلوا ﴿قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ﴾ نحسن ﴿قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ﴾ قال تعالى تكذيباً لهم ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ بما أظهروا من خذلانهم للمؤمنين وكانوا قبل أقرب إلى الإيمان من حيث الظاهر ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ ولو علموا قتالاً لم يتبعوكم ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ ﴿١٦٧﴾ من النفاق ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل من الذين قبله أو نعت ﴿قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ في الدين ﴿وَ﴾ قد ﴿قَعَدُواْ﴾ عن الجهاد ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ أي شهداء أحد أو إخواننا في القعود ﴿مَا قُتِلُواْ قُلْ﴾ لهم ﴿فَٱدْرَءُواْ﴾ ادفعوا ﴿عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ﴿١٦٨﴾ في أن القعود ينجي منه. ونزل في الشهداء ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي لأجل دينه ﴿أَمْوَٰتًا بَلْ﴾ هم ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أرواحهم في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة

مصيبة، لأنه من عند أنفسكم فسببه ظاهر فلا يتعجب منه. قوله: (**بخلافكم**) أي مخالفتكم والمعنى جازاكم عليها. قوله: ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ**﴾ شروع في بيان الحكم التي ترتبت على هزيمة المؤمنين بأحد. قوله: (**علم ظهور**) أي بالنسبة للخلق. قوله: (**أصحابه**) أي وكانوا ثلاثمائة. قوله: ﴿**تَعَالَوْا قَاتِلُوا**﴾ أي إما في المقدم بالسيف، أو في المؤخر بالسهام. قوله: (**بتكثير سوادكم**) أي عددكم وأشخاصكم. قوله: (**بما أظهروا**) أي بسببه أي فاظهارهم الخذلان للمؤمنين سبب في كونهم أقرب للكف من الإيمان. قوله: (**بدل من الذين قبلهم**) أي وهو قوله الذين نافقوا. قوله: ﴿**وَقَعَدُوا**﴾ الجملة حالية فلذا قدر المفسر قد.

قوله: ﴿**قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوتَ**﴾ ورد أنه نزل بهم الموت وهم في دورهم، فمات منهم سبعون من غير قتال في يوم أحد. قوله: (**ونزل في الشهداء**) قيل شهداء بدر وقيل أحد وقيل شهداء بئر معونة، وهم سبعون أرسلهم النبي ﷺ لأهل نجد يعلمونهم القرآن فقتلوهم عن آخرهم، ولم ينج منهم إلا واحد فر هارباً، وأخبر النبي ﷺ بذلك، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهذا الوعد الحسن لكل من قتل في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، وسبب ذلك أن الشهداء الذين قتلوا لما رأوا ما رأوا من الحياة والرزق والنعيم الدائم، قالوا ربنا ومن يوصل خبرنا لإخواننا الأحياء، فقال لهم الله أنا أبلغ خبركم لإخوانكم، فقال تعالى: (ولا تحسبن).

قوله: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ**﴾ الخطاب قيل للنبي، وقيل لكل من يصلح للخطاب، و ﴿**الَّذِينَ**﴾ مفعول أول و ﴿**أَمْوَاتاً**﴾ مفعول ثان و ﴿**بَلْ**﴾ للإضراب الإنتقالي و ﴿**أَحْيَاءٌ**﴾ خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله: (**وهم**) قوله: (**بالتخفيف والتشديد**) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (**في سبيل الله**) أي طاعته، والمعنى لم يكن لهم قصد إلا إعلاء دينه. قوله: ﴿**بَلْ أَحْيَاءٌ**﴾ بل للعطف، وما بعدها خبر لمحذوف، والجملة معطوفة على ما قبلها، وهذه الحياة ليست كحياة الدنيا بل هي أعلى وأجل منها، لأنهم يسرحون حيث شاءت أرواحهم. قوله: ﴿**عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾ خبر ثان، والمعنى أنهم في كرامة ربهم وضيافته، وقوله:

حيث شاءت كما ورد في الحديث ﴿يُرْزَقُونَ﴾ ﴿١٦٩﴾ يأكلون من ثمار الجنة ﴿فَرِحِينَ﴾ حال من ضمير يرزقون ﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَ﴾ هم ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون ﴿بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ من إخوانهم المؤمنين ويبدل من الذين ﴿أَلَّا﴾ أي بأن ﴿خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي الذين لم يلحقوا بهم ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿١٧٠﴾ في الآخرة المعنى يفرحون بأمنهم وفرحهم ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ﴾ ثواب ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ زيادة عليه ﴿وَأَنَّ﴾ بالفتح عطفاً على نعمة والكسر استئنافاً ﴿ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٧١﴾ بل يأجرهم ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ دعاءه بالخروج للقتال لما أراد أبو سفيان وأصحابه العود وتواعدوا مع النبي ﷺ سوق بدر العام المقبل

﴿يُرْزَقُونَ﴾ خبر ثالث. قوله: (كما ورد في الحديث) أي وهو أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله جعل أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل معلقة في ظل العرش». وأما أجسادهم فمحلها القبور، غير أن الأرواح لها تعلق بها، فلذلك لا يحصل لأجسادهم بلاء، فأرواحهم لها جولان عظيم من البرزخ إلى أعلى السموات إلى داخل الجنان، والطيور الخضر لها كالهوادج مع كونها متصلة بجسم صاحبها، وما وصل للروح من النعيم يحصل للجسم أيضاً، وذلك نظير النائم، فإن النائم يرى أن روحه في المشرق أو في المغرب مع كونها متصلة بجسمه، وكالأولياء الذين أعطاهم الله التصريف، فإن الواحد منهم يكون جالساً في مكان، وروحه تسرح في أمكنة متعددة، وربك على كل شيء قدير، ولذلك قال الله تعالى في آية البقرة: (ولكن لا تشعرون) ومثل الشهداء الأنبياء بل حياة الأنبياء أجل وأعلى، وأما المؤمنون غير الشهداء والأنبياء فأرواحهم تسرح من القبر إلى باب الجنة، وتنظر ما أعد لها من النعيم المقيم، لكن لا تدخلها إلى يوم القيامة، وذلك يسمى عالم البرزخ، واتساعه بالنسبة للدنيا كاتساع الدنيا بالنسبة لبطن الأم.

قوله: ﴿بِمَا آتَاهُمُ﴾ متعلق بقوله: ﴿فَرِحِينَ﴾ والذي آتاهم الله من فضله هو حياتهم ورزقهم. قوله: ﴿وَ﴾(هم) ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ أشار بذلك إلى أن يستبشرون خبر لمحذوف، والجملة إما حالية من الضمير في فرحين أو مستأنفة. قوله: (بالذين لم يلحقوا بهم) أي في الموت، والمعنى أنهم يفرحون بما أعطاهم الله، ويفرحون بما أعد لإخوانهم الذين لم يموتوا الآن، سواء كانوا موجودين أو سيوجدون إلى يوم القيامة، لدخولهم الجنة وإطلاعهم على منازل المؤمنين فيها. قوله: ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ حال من الواو في يلحقوا، أي حال كون الذين لم يلحقوا بهم متخلفين عنهم. قوله: (المعنى يفرحون) أي المتقدمون، وقوله: (بأمنهم) أي المتأخرين. قوله: ﴿بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ﴾ أي لهم ولإخوانهم. قوله: (بالفتح عطفاً على نعمة) أي ويكون المعنى يستبشرون بنعمة من الله وفضل وبأن الله لا يضيع إلخ، وقوله: (والكسر استئنافاً أي في معنى العلة لما قبله، والقراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾ نزلت في أهل أحد حين دعاهم للقتال ثانياً بعد حصول التفرقة لهم، فخرجوا وساروا خلف العدو ثمانية أميال، فوقع بينهم ما وقع في مكان يقال له حمراء الأسد، فحصل التوافق بين أبي سفيان والنبي أن يرفعوا القتال إلى العام القابل، والموعد بدر الصغرى، فسار أبو سفيان وأصحابه، ومكث النبي ﷺ بحمراء الأسد من يوم الأحد إلى يوم الجمعة إذا علمت ذلك، فقول المفسر (بالخروج للقتال لما أراد أبو سفيان إلخ) ليس بسديد فإن الآية نزلت مدحاً لمن أجاب الرسول للقتال ثانياً

من يوم أحد ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ﴾ بأحد وخبر المبتدأ ﴿لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ﴾ بطاعته ﴿وَٱتَّقَوۡاْ﴾ مخالفته ﴿أَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٧٢﴾ هو الجنة ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل من الذين قبله أو نعت ﴿قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ أي نعيم بن مسعود الأشجعي ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ أبا سفيان وأصحابه ﴿قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ﴾ الجموع ليستأصلوكم ﴿فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾ ولا تأتوهم ﴿فَزَادَهُمۡ﴾ ذلك القول ﴿إِيمَٰنٗا﴾ تصديقاً بالله ويقيناً ﴿وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ﴾ كافينا أمرهم ﴿وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ ﴿١٧٣﴾ المفوض إليه الأمر هو وخرجوا مع النبي ﷺ فوافوا سوق بدر وألقى الله الرعب في قلب أبي سفيان وأصحابه فلم يأتوا وكان معهم تجارات فباعوا وربحوا قال تعالى ﴿فَٱنقَلَبُواْ﴾ رجعوا من بدر ﴿بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ﴾ بسلامة وربح ﴿لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾ من قتل أو جرح ﴿وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ﴾ بطاعته ورسوله في الخروج ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿١٧٤﴾ على أهل طاعته ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ﴾ أي القائل لكم إن الناس الخ ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ﴾ كم ﴿أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾ الكفار ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ﴾ في ترك أمري ﴿إِن كُنتُم

في غزوة أحد يوم الأحد بعد الواقعة التي كانت يوم السبت، وتسمى غزوة يوم الأحد غزوة حمراء الأسد، وهي التي مدحهم الله بها وانجبر خللهم بها. قوله: (بأحد) المناسب أن يقول بعد ذلك يوم السبت، واستجابوا له يوم الأحد، قوله: ﴿مِنۡهُمۡ﴾ من بيانية على حد فاجتنبوا الرجس من الأوثان.

قوله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ شروع في ذكر غزوة بدر الثالثة وتسمى بدر الصغرى، وكانت في السنة الرابعة من شعبان وهو يوم موسم عظيم لقبائل العرب كل عام، فخرج أبو سفيان حتى نزل مر الظهران، فألقى الله الرعب في قلبه فلقي نعيم بن مسعود الأشجعي، فقال أبو سفيان يا نعيم إني قد واعدت محمداً أن نلتقي بموسم بدر وهذا عام جدب، فأحب أن يكون الخلف منه لا مني، فاذهب إلى المدينة فثبطهم عن الخروج، ولك عندي عشرة من الإبل، فانطلق نعيم إلى المدينة فوجد النبي وأصحابه يتجهزون، فقال لهم ما تريدون فقالوا لميعاد أبي سفيان، فقال لهم لا تقدرون عليهم فإنهم قد جمعوا لكم فاخشوهم، فقال النبي لأخرجن اليهم ولو وحدي، فخرج النبي في ألف وخمسمائة مقاتل حتى بلغوا بدراً وكانت موضع سوق للعرب يجتمعون فيها كل عام ثمانية أيام، فصادفوا الموسم وباعوا ما كان معهم من التجارات، فربحوا في الدرهم درهمين ولم يأتهم أحد من المشركين، فرجعوا بربح وأجر عظيمين، وأسلم كثير من أهل القبائل حينئذ. قوله: (أي نعيم بن مسعود) أي فأطلق الكل وأراد البعض، وقد أسلم بعد ذلك عام الخندق. قوله: (ذلك القول) أشار بذلك إلى فاعل زاد على حد (اعدلوا هو أقرب للتقوى). قوله: (هو) أي الله وهو إشارة للمخصوص بالمدح، وهذه الدعوة من أفضل الدعوات، وقد استعملها العارفون للمهمات وجعلوا عدتها أربعمائة وخمسين، فمن فعلها كفاه الله ما أهمه. قوله: (فلم يأتوا) أي أبو سفيان وأصحابه، وقد أسلم هو يوم الفتح بعد أن أسر قوله: (وربحوا) أي في الدرهم درهمين. قوله: (بسلامة وربح) راجع للنعمة والفضل. قوله: (أي لقائل لكم) أي وهو نعيم بن مسعود الأشجعي. قوله: ﴿يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ﴾ أشار بذلك إلى أن يخوف ينصب مفعولين الكاف المقدرة مفعول أول وأولياء مفعول ثان، والمعنى يخوفكم شر أوليائه وهم الكفار.

مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٧٥﴾ حقاً ﴿وَلَا يَحْزُنكَ﴾ بضم الياء وكسر الزاي وبفتحها وضم الزاي من حزنه لغة في أحزنه ﴿ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ يقعون فيه سريعاً بنصرته وهم أهل مكة أو المنافقون أي لا تهتم لكفرهم ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ بفعلهم وإنما يضرون أنفسهم ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا﴾ نصيباً ﴿فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي الجنة فلذلك خذلهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٧٦﴾ في النار ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ أي أخذوه بدله ﴿لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ﴾ بكفرهم ﴿شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١٧٧﴾ مؤلم ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء والتاء ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى﴾ أي إملاءنا ﴿لَهُمْ﴾ بتطويل الأعمار وتأخيرهم ﴿خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾ وأن ومعمولاها سدت مسد المفعولين في قراءة التحتانية ومسد الثاني في الأخرى ﴿إِنَّمَا نُمْلِى﴾ نمهل ﴿لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا﴾ بكثرة المعاصي ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ﴿١٧٨﴾ ذو إهانة في الآخرة ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ﴾ ليترك ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ﴾ أيها الناس ﴿عَلَيْهِ﴾ من

قوله: ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ﴾ نزلت تسلية للنبي ﷺ والمؤمنين. قوله: (**بضم الياء إلخ**) قراءتان سبعيتان ولغتان مشهورتان، الأولى من أحزن، والثانية من حزن. قوله: (**يقعون فيه**) أشار بذلك إلى أن يسارعون مضمن معنى يقعون فعداه بفي إشارة إلى أنهم تلبسوا بالكفر وليسوا بخارجين عنه. قوله: (**بنصرته**) أي الكفر بمقاتلة النبي وأصحابه. قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئاً﴾ علة للنفي وهو على حذف مضاف تقديره لن يضروا أولياء الله شيئاً، وإنما أسند الضرر لنفسه تشريفاً لهم، كأن محاربة المسلمين محاربة له. إن قلت: إن قتلهم للمؤمنين مشاهد وهو ضرر فكيف ينفى؟ أجيب: بأنه ليس بضرر بل هو شهادة فالمؤمنون فائزون على كل حال قتلوا أو قتلوا، والكافرون خاسرون على كل حال قتلوا أو قُتلوا. قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي جزاء لمسارعتهم في الكفر ونصرتهم له.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ﴾ هذه الجملة مؤكدة لما قبلها. قوله: (**أي أخذوه بدله**) يعني تركوا الإيمان واختاروا الكفر. قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إنما وصف العذاب هنا بكونه أليماً، لأن من اشترى سلعة وخسر فيها تألم منها، ووصفه فيما تقدم بالعظيم، لأن المسارعة للشيء تقتضي عظمه. قوله: (**بالياء والتاء**) أي فيها قراءتان سبعيتان، فعلى التاء الخطاب للنبي، وقوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مفعول أول لتحسبن، وقوله: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾ في محل المفعول الثاني، وهو تسلية للنبي ﷺ، والمعنى لا تظن أن إمهال الكافر بطول عمره وأكله من رزق الله ومقاتلته في أولياء الله خير له، وإنما إمهاله ليزداد إثماً وجرماً، قال تعالى: (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون) الآية، وعلى الياء فقوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فاعل تحسبن، وقوله: ﴿أنما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ﴾ سد مسد مفعوليها كما قال المفسر، والمعنى لا يظن الكفار أن إملاءنا وإمهالنا لهم خير لهم بل هو شر لهم، لأننا إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً. قوله: (**أي إملاءنا**) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر اسم إن. قوله: (**ومسد الثاني في الأخرى**) أي ومفعولها الأول هم الذين كفروا. قوله: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾ تعليل لما قبله. قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ وصفه بالإهانة، لأن من شأن من طال عمره في الكفر أن تنفذ كلمته ويزداد عزا، فعومل بضد ما لقي في الدنيا.

قوله: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هذا وعد من الله لنبيه بأنه سيميز له المؤمن من المنافق. قوله:

اختلاط المخلص بغيره ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ﴾ بالتخفيف والتشديد يفصل ﴿ٱلْخَبِيثَ﴾ المنافق ﴿مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ المؤمن بالتكاليف الشاقة المبينة لذلك وفعل ذلك يوم أحد ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ فاعرفوا المنافق من غيره قبل التمييز ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى﴾ يختار ﴿مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ فيطلعه على غيبه كما أطلع النبي ﷺ على حال المنافقين ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾ النفاق ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٧٩﴾ ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء والتاء ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي بزكاته ﴿هُوَ﴾ أي بخلهم ﴿خَيْرًا لَّهُم﴾ مفعول ثان والضمير للفصل والأول بخلهم مقدراً قبل الموصول على الفوقانية وقبل الضمير على التحتانية ﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ﴾ أي بزكاته من المال ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بأن يجعل حية في عنقه تنهشه كما ويد في الحديث ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يرثهما بعد فناء أهلهما ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء ﴿خَبِيرٌ﴾ ﴿١٨٠﴾ فيجازيكم به ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ وهم اليهود قالوه لما

(أيها الناس) أي المؤمنون والكفار. قوله: **(بالتخفيف والتشديد)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(وفعل ذلك يوم أحد)** أي حيث امتحنهم بالقدوم على العدو وبذل الأموال، وكذلك في غزوة الأحزاب، وكذلك في ميعاد أبي سفيان في العام المقبل من أحد، ففضحهم الله وميزهم في مواضع عديدة. قوله: **﴿عَلَى الْغَيْبِ﴾** أي ما غاب عنهم.

قوله: **﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ﴾** استدراك على ما تقدم في قوله: **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾** كأنه قال إلا الرسل فإنه يطلعهم على الغيب. قوله: **(بالياء والتاء)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(أي بزكاته)** أشار بذلك إلى الكلام على حذف مضاف، أي بزكاة ما آتاهم الله من فضله. قوله: **(مقدراً قبل الموصول)** أي فتقديره ولا تحسبن بخل الذين يبخلون الخ خيراً لهم إذا علمت ذلك، فقول المفسر بخلهم فيه تسمح، لأن المقدر قبل الموصول يكون مضافاً له لا للضمير، وإنما المضاف للضمير وهو ما قدر قبل الضمير. قوله: **(وقبل الضمير)** أي فتقديره **﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾** الخ، بخلهم خيراً لهم. قوله: **(كما ورد في الحديث)** أي وهو قوله عليه الصلاة والسلام «يمثل مانع الزكاة بشجاع أقرع له زبيبتان يأخذ بلهزمتيه ويقول أنا كنزك أنا مالك» ثم تلا **﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾** الآية، وقال تعالى: (يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم) الآية، وهذا إذا كان المال من حلال فما بالك إذا كان من حرام وبخل به. قوله: **﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** هذا كالدليل لما قبله، كأنه قال لا معنى للبخل بالمال، فإنه لله يعطيه لمن يشاء ليصرفه فيما أمر به مدة حياته، فإذا مات رجع المال لصاحبه. قال الشاعر:

وما المال والأهلون إلا ودائع ... ولا بد يوماً أن ترد الودائع

قوله: **﴿وَلَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾** اللام موطئة لقسم محذوف أي والله لقد سمع إلخ. وسبب ذلك أن رسول الله ﷺ لما أمرهم بالدخول في الإسلام، وأقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن يقرضوا الله قرضاً حسناً، قال كبراء اليهود كحي بن أخطب وكعب بن الأشرف وفنحاص بن عاذوراء، لأبي بكر الصديق حين أمرهم بما ذكر على لسان رسوله (إن الله فقير ونحن أغنياء) ولو كان غنياً ما استقرضنا، ومعنى سمعه

نزل (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً) وقالوا لو كان غنياً ما استقرضنا ﴿سَنَكْتُبُ﴾ نأمر بكتب ﴿مَاقَالُواْ﴾ في صحائف أعمالهم ليجازوا عليه وفي قراءة بالياء مبنياً للمفعول ﴿وَ﴾ نكتب ﴿قَتْلَهُمُ﴾ بالنصب والرفع ﴿ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ﴾ بالنون والياء أي الله لهم في الآخرة على لسان الملائكة ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ ﴿١٨١﴾ النار ويقال لهم إذا ألقوا فيها ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ عبر بها عن الإنسان لأن أكثر الأفعال تزاول بها ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ﴾ أي بذي ظلم ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾ ﴿١٨٢﴾ فيعذبهم بغير ذنب ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعت للذين قبله ﴿قَالُوٓاْ﴾ لمحمد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ قد ﴿عَهِدَ إِلَيْنَآ﴾ في التوراة ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ﴾ نصدقه ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ﴾ فلا نؤمن لك حتى تأتينا به وهو ما يتقرب به إلى الله من نعم وغيرها فإن قبل جاءت نار بيضاء من السماء فأحرقته وإلا بقي مكانه وعهد إلى بني إسرائيل ذلك إلا في المسيح ومحمد قال تعالى ﴿قُلْ﴾ لهم توبيخاً ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات ﴿وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ﴾ كزكريا ويحيى

له علمه وإحصاءه والمجازاة عليه. قوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ الله قَرضاً حَسَناً﴾ هذا من تلطف الله بعباده وتنزله لهم، وإلا فالملك لله وحده، وإنما سماها قرضاً لأن جزاءه عليه كمجازاة المقترض أو أعظم، فمن إحسانه عليها خلق ونسب إلينا، وليس معناه أقرضوا الله لينتفع به، بل معناه أعطوا الفقراء لأجلي ومجازاتكم عليَّ. قوله: (وفي قراءة بالياء) أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى هذه القراءة يكون الموصول وصلته نائب الفاعل، وعلى الأولى يكون مفعولاً، والفاعل ضمير يعود على الله. قوله: (**بالنصب والرفع**) لف ونشر مرتب وهو معطوف على محل الموصول، وصلته محله إما نصب على قراءة النون، أو رفع على قراءة الياء. قوله: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ أي حتى في اعتقادهم. إن قلت: إن ذلك كان في أجدادهم فلم أوخذوا به؟ أجيب: بأن رضاهم به صيره كأنه واقع منهم، لأن الرضا بالكفر كفر. قوله: (**أي الله**) هذا تفسير لقراءة الياء، ويحتمل أنه راجع لقراءة النون ويكون حل معنى، وإلا فمقتضى حلها أن يقول أي في نحن. قوله: (**عبر بها عن الإنسان إلخ**) أي فهو من باب تسمية الكل باسم جزئه، وقوله: (**لأن أكثر الأفعال تزاول بها**) علة لارتكاب المجاز. قوله: ﴿وَأَنَّ الله﴾ معطوف على الموصول عطف علة على معلول، التقدير ذلك العذاب بما قدمت أيديكم، لأن ﴿الله لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾. قوله: (**أي بذي ظلم**) دفع بذلك ما يقال إن المنفى كثرة الظلم، فيفيد أن أصل الظلم ثابت، فأجاب بأن هذه الصيغة للنسب لا للمبالغة كتمار. قال ابن مالك:

ومع فاعل وفعال فعل ... في نسب أغنى من اليا قبل

قوله: (**نعت للذين قبله**) أي وهو ﴿قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ الله فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ فقد وصفهم بأوصاف زادتهم قبحاً وشناعة. قوله: (**في التوارة**) أي على لسان موسى، قيل إن تلك المقالة لم تقع أصلاً فهي كذب محض، وقيل إنها موجودة في التوراة إلا في حق المسيح ومحمد، وأما هما فمعجزاتهما غير ذلك، فهم قد كذبوا على التوراة على كل حال. قوله: (**من نعم**) أي إبل وبقر وغنم وغيرها أي كخيل وبغال وحمير وأمتعة. قوله: (**بيضاء**) أي لا دخان لها ولها دوي. قوله: (**إلا في المسيح ومحمد**) هذه طريقة، والطريقة الأخرى أن هذا العهد باطل وكذب من أصله. قوله: (**كزكريا ويحيى**) أي فجاؤوا بقربان

فقتلتموهم والخطاب لمن في زمن نبينا ﷺ وإن كان الفعل لأجدادهم لرضاهم به ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١٨٣﴾ في أنكم تؤمنون عند الإتيان به ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُو بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿وَالزُّبُرِ﴾ كصحف إبراهيم ﴿وَالْكِتَابِ﴾ وفي قراءة بإثبات الباء فيهما ﴿الْمُنِيرِ﴾ ﴿١٨٤﴾ الواضح كالتوراة والإنجيل فاصبر كما صبروا ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾ جزاء أعمالكم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ﴾ بعد ﴿عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ نال غاية مطلوبه ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي العيش فيها ﴿إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ ﴿١٨٥﴾ الباطل يتمتع به قليلاً ثم يفنى ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ حذف منه الرفع لتوالي النونات والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين لتختبرن

وأكلته النار. قوله: (لرضاهم به) أي والرضا بالكفر كفر. قوله: ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ أي فلأي شيء قتلتموهم.

قوله: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ أي داموا على تكذيبك، وجواب الشرط محذوف قدره المفسر بقوله فاصبر كما صبروا والمناسب ذكره بلصقه وأما فقد كذب رسل فدليل الجواب، ولا يصح أن يكون جواباً لأنه ماض بالنسبة للشرط، وهذا تسلية له ﷺ. قوله: (المعجزات) أي الظاهرة الباهرة. قوله: ﴿وَالزُّبُرِ﴾ جمع زبور وهو كل كتاب اشتمل على المواعظ من الزبر، وهو الموعظة والزجر. قوله: ﴿وَالْكِتَابِ﴾ عطف خاص على العام، وإنما خصهما لشرفهما. قوله: (وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضاً.

قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ هذا أيضاً من جملة التسلية له ﷺ، والمعنى كل روح ذائقة الموت لجسمها وإلا فالروح لا تموت، وعموم الآية يشمل حتى الشهداء والأنبياء والملائكة. وأما قوله تعالى: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً، بل أحياء) فمعناه ترد بعد خروجها لهم، وكذلك الأنبياء والملائكة، وأما ما عداهم فلا ترد، لهم إلا عند النفخة الثانية. قوله: (جزاء أعمالكم أي خيرها أو شرها). قوله: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي وما ألحق به لما ورد «القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار». قوله: ﴿وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ﴾ أي مع السابقين أو بعد الخروج من النار. قوله: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي القريبة وهي التي نحن ملتبسون بها. قوله: (الباطل) أي الزائل الذي لا يبقى، ويصح أن يراد بالغرور مصدر بمعنى اسم المفعول، أي المخدوع بالشيء الحسن ظاهره القبيح باطنه بمعنى أنه لا يدري العواقب. قال الإمام الشافعي:

إن لله عباداً فطناً ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا ... أنها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سفنا

قوله: ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ أخبار من الله للمؤمنين بأنه سيقع لهم بلايا من الله بلا واسطة، ومن الكفار أذى كثير في أموالهم وأعراضهم وأنفسهم، وأمر منه لهم بالصبر حين وقوع ذلك، لأن الجنة حفت بالمكاره، واللام موطئه لقسم محذوف، وتبلون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه النون المحذوفة لتوالي النونات، والواو نائب فاعل، والنون للتوكيد، وأصله تبلوون أكد فصار تبلونن، ثم أتى باللام لتدل على القسم المحذوف تحركت الواو الأولى التي هي اللام الكلمة، وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً فالتقى ساكنان، حذفت

﴿فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ﴾ بالفرائض فيها والجوائح ﴿وَأَنفُسِكُمۡ﴾ بالعبادات والبلاء ﴿وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ اليهود والنصارى ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ﴾ من العرب ﴿أَذٗى كَثِيرٗاۚ﴾ من السب والطعن والتشبيب بنسائكم ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ﴾ على ذلك ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ الله ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ ﴿١٨٦﴾ أي من معزوماتها التي يعزم عليها لوجوبها ﴿وَ﴾ أذكر ﴿إِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي العهد عليهم في التوراة ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ﴾ أي ﴿لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾ أي الكتاب بالياء والتاء في الفعلين ﴿فَنَبَذُوهُ﴾ طرحوا الميثاق ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ﴾ فلم يعملوا به ﴿وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ﴾ أخذوا بدله ﴿ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ﴾ من الدنيا من سفلتهم برياستهم في العلم فكتموه خوف قوته عليهم ﴿فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ﴾ ﴿١٨٧﴾ شراؤهم هذا ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ﴾ بالتاء والياء ﴿ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ﴾ فعلوا من إضلال الناس ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ﴾ من التمسك بالحق وهم على ضلال ﴿فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم﴾ بالوجهين تأكيد ﴿بِمَفَازَةٖ﴾ بمكان ينجون فيه ﴿مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ﴾ في الآخرة بل هم في

الألف لالتقاء الساكنين، ثم حذفت نون الرفع لتوالي الأمثال، ثم حركت الواو بحركة مجانسة لها. قوله: **(لالتقاء الساكنين)** علة لمحذوف تقديره وحذفت الألف المنقلبة عن الواو الأولى لإلتقاء الساكنين. قوله: **(لتختبرن)** حل لمعنى لتبلون، والمعنى يعاملكم معاملة المختبر وإلا فهو أعلم بكم من أنفسكم. قوله: **(بالفرائض فيها)** أي كالزكاة والكفارات والنذور، وقوله: **(والجوائح)** أي الأمور السماوية التي تهلك الزرع، كالجراد والفأر والظلمة، قوله: **(بالعبادات)** أي التكاليف بها، وقوله: **(والبلاء)** أي الذي يصيب الإنسان في نفسه، كالعمى والجراحات وغير ذلك.

قوله: **﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾** جار ومجرور حال من قوله: **﴿الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ﴾** وأصل لتسمعن تسمعون أكد بالنون ولام القسم، حذفت نون الرفع لتوالي الأمثال فالتي ساكنان، حذفت الواو لالتقائهما ولوجود الضمة التي تدل عليها. قوله: **(والتشبيب بنسائكم)** أي بذكر محاسنهن وأوصافهن بالقصائد وتناشدها بينهم، وكان يفعل ذلك كعب بن الأشرف لعنه الله. قوله: **(على ذلك)** أي المذكور من الإبتلاء في الأموال والأنفس، وسماع الأذى من أهل الكتاب. قوله: **(لوجوبها)** أي فالصبر على ما ذكر والتقوى لله من الأمور الواجبة، فإن من علامة الإيمان الصبر والتقوى، وقبيح على الإنسان يدعي محبة الله ثم لم يصبر على أحكامه. قال العارف:

تدعي مذهب الهوى ثم تشكو ... أين دعواك في الهوى يا معنى

لو وجدناك صابراً لبلانا ... لعطيناك كل ما تتمنى

قوله: **(بالياء والتاء في الفعلين)** أي وهما ليبيننه ولا يكتمونه وهما قراءتان سبعيتان فعلى الياء إخبار عنهم وعلى التاء حكاية للحال الماضية. قوله: **﴿فَنَبَذُوهَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾** كناية عن عدم التمسك به، لأن من لم يتمسك بشيء ولم يعتنه طرحه خلف ظهره. قوله: **(شراؤهم)** أشار به إلى أن ما مؤولة بمصدر فاعل بئس، وقوله: **(هذا)** هو المخصوص بالذم، وهذه الآية وإن وردت في الكفار تجر بذيلها على عصاة المؤمنين الذين يكتمون الحق وينصرون الباطل. قوله: **(بالياء والتاء)** فعلى التاء الخطاب للنبي أو لمن يصلح له الخطاب **﴿وَالَّذِينَ﴾** مفعول أول، والمفعول الثاني محذوف دل عليه. قوله: **﴿بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾** تقديره ناجين من عذاب الله، وعلى الياء فقوله: **﴿الَّذِينَ﴾** فاعل ومفعولاها محذوفان تقديرهما

مكان يعذبون فيه وهو جهنم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١٨٨﴾ مؤلم فيها ومفعولاً يحسب الأولى دل عليها مفعولاً الثانية على قراءة التحتانية وعلى الفوقانية حذف الثاني فقط ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خزائن المطر والرزق والنبات وغيرها ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٨٩﴾ ومنه تعذيب الكافرين وإنجاء المؤمنين ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وما فيهما من العجائب ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بالمجيء والذهاب والزيادة والنقصان ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ﴿١٩٠﴾ لذوي العقول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعت لما قبله أو بدل ﴿يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ مضطجعين أي في كل حال وعن ابن عباس يصلون كذلك حسب الطاقة ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ليستدلوا به على قدرة صانعها يقولون ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا﴾ الخلق

أنفسهم ناجين من عذاب الله، وسيأتي يشير لذلك المفسر. قوله: (بالوجهين) أي الياء والتاء، لكن على قراءة الياء والتاء مفتوحة، وهذه الآية تجر بذيلها على من يكون خبيث الباطن ويحب زينة الظاهر، كأن يظهر العلم والصلاح والتقوى مع كونه في الباطن ضالاً مضلاً.

قوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ والأرْضِ﴾ أي التصرف فيها في السماوات وما في الأرض، لأن ذات السماوات والأرض لا نزاع في أنهما مملوكان لله. قوله: (ومنه) أي من الشيء المقدور عليه.

قوله: ﴿إنَّ فِي خَلْقِ السَّموَاتِ وَالأرْضِ﴾ سبب نزولها أن كفار مكة قالوا النبي ﷺ ائتنا بآية تدل على أن الله واحد، فقال تعالى رداً عليهم: ﴿إنَّ فِي خَلْقِ السَّموَاتِ والأرْضِ﴾ الآيات، وإن حرف توكيد ونصب، وفي خلق جار ومجرور خبرها مقدم، وخلق مضاف، والسماوات مضاف إليه، وقوله: ﴿لآيَاتٍ﴾ اسمها مؤخر. قوله: (وما فيهما من العجائب) أشار بذلك إلى أن خلق باق على مصدريته بمعنى الإيجاد، ويحتمل أن يكون بمعنى اسم المفعول، أي مخلوقات السموات الأرض وقوله: (من العجائب) أي كالنجوم والشمس والقمر والسحاب بالنسبة للسماوات، والبحار والجبال والنباتات والحيوانات بالنسبة للأرض. قال تعالى: (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) وبالجملة ففي كل شيء له آية، تدل على أنه الواحد. قوله: (بالمجيء والذهاب) أي بمجيء الليل عقب النهار، والنهار عقب الليل، فليس أحد يقدر على إتيان الليل في النهار ولا العكس. قوله: (والزيادة والنقصان) أي زيادة أحدهما بقدر ما نقص من الآخر. قوله: (دلالات) أي براهين قطعية دالة على كونه متصفاً بالكمالات، منزهاً عن النقائص. قوله: (ذوي العقول) أي أصحاب العقول الكاملة. قوله: (نعت لما قبله) أي وهو أولى فهو في محل جر. قوله: (مضطجعين) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ متعلق بمحذوف حال، فهو حال مؤولة بعد حال صريحة. قوله: (أي في كل حال) تفسير لقوله: ﴿قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلى جُنُوبِهِمْ﴾. قوله: (يصلون كذلك) أي قياماً إن قدروا، فإن لم يقدروا فقعوداً، فإن لم يقدروا فعلى جنوبهم. قوله: (ليستدلوا به على قدرة صانعها) أي واتصافه بالكمالات، فالتفكر مورث للعلم والمعرفة، قال العارف أبو الحسن الشاذلي: ذرة من عمل القلوب خير من مثاقيل الجبال من عمل الأبدان. قوله: (يقولون) قدره إشارة إلى أنه حال من الواو في ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾، والمعنى ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ قائلين ﴿رَبَّنَا﴾ إلخ وهو إشارة لثمرة الفكر،

الذي نراه ﴿بَٰطِلٗا﴾ حال عبثاً بل دليلاً على كمال قدرتك ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ تنزيهاً لك عن العبث ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ﴾ للخلود فيها ﴿فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ﴾ أهنته ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين فيه وضع الظاهر موضع المضمر إشعاراً بتخصيص الخزي بهم ﴿مِنۡ﴾ زائدة ﴿أَنصَارٖ ١٩٢﴾ يمنعونهم من عذاب الله تعالى ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي﴾ يدعو الناس ﴿لِلۡإِيمَٰنِ﴾ أي إليه وهو محمد أو القرآن ﴿أَنۡ﴾ أي بأن ﴿ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ﴾ به ﴿رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ﴾ غط ﴿عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ فلا تظهرها بالعقاب عليها ﴿وَتَوَفَّنَا﴾ اقبض أرواحنا ﴿مَعَ﴾ في جملة ﴿ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣﴾ الأنبياء والصالحين ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا﴾ أعطنا ﴿مَا وَعَدتَّنَا﴾ به ﴿عَلَىٰ﴾ ألسنة ﴿رُسُلِكَ﴾ من الرحمة والفضل وسؤالهم ذلك وإن كان وعده تعالى لا يخلف سؤال أن يجعلهم من

فثمرة الفكر الإستدلال والمعرفة بالله. قوله: (حال) أي من قوله: ﴿هَذَا﴾ وهذه الحال لا يستغنى عنها فهي واجبة الذكر كقوله تعالى: (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين).

قوله: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ مصدر منصوب بفعل محذوف وجوباً تقديره أسبح سبحانك، وهذه الجملة معترضة بين قوله: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلاً﴾ وبين قوله: ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾. قوله: ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ هذا متسبب عن قوله: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلاً﴾ أي فحيث وحدناك ونزهناك عن النقائص فقنا عذاب النار، لأن النار جزاء من عصى ولم يوحد.

قوله: ﴿إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ إلخ﴾ هذا علة لما قبله، والمعنى إنما طلبنا الوقاية من عذاب النار، لأن من أدخلته النار فقد أخزيته. قوله: (للخلود فيها) جواب عن سؤال مقدر تقديره أن قوله تعالى: (يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه) يقتضي أن جميع المؤمنين غير مخزيين، مع أن بعض العصاة منهم يدخل النار تطهيراً لما اقترفه، وهذه الآية تدل على أن من دخل النار مخزي وإن مؤمناً. فأجاب المفسر بحمل هذه الآية على الكفار. قوله: (زائدة) أي للتوكيد في المبتدأ المؤخر، وقوله: ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ خبر مقدم. قوله: ﴿مُنَادِياً﴾ أي داعياً وهو على حذف مضاف أي نداء مناد قوله: ﴿يُنَادِي﴾ صفة لمنادياً على الصحيح، خلافاً لمن جعله مفعولاً ثانياً لسمع لأنه لا تنصب إلا مفعولاً واحداً على الصحيح. قوله: (وهو محمد) أي فإسناد النداء إليه حقيقي، وقوله: (أو القرآن) أي فإسناد النداء إليه مجازي، والمعنى منادى به.

قوله: ﴿أَنْ آمِنُوا﴾ أن تفسيرية، وقوله: ﴿بِرَبِّكُمْ﴾ أي صدقوا بأنه يجب له كل كمال، ويستحيل عليه كل نقص. قوله: ﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ أي استرها عن أعين الخلق، وقوله: ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّآتِنَا﴾ أي غطها عنا فلا تؤاخذنا بها وامحها من المصحف، وهو ترقي عظيم في طلب المغفرة، فهو من عطف الخاص على العام. قوله: (بالعقاب عليها) أي ولا بالعتاب عليها.

قوله: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ أي احشرنا معهم واجعلنا في زمرتهم، والمراد بالأبرار المطهرون الذين لم يفعلوا ذنوباً. قوله: ﴿وَآتِنَا﴾ معطوف على محذوف، تقديره حقق لنا ما ذكروا ﴿وَآتِنَا﴾. قوله: (من الرحمة والفضل) بيان لما. قوله: (وسؤالهم ذلك) أشار بذلك إلى سؤال وارد حاصله أن يقال إن وعد الله لا يتخلف قال تعالى: (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً) فلا فائدة في

مستحقيه لأنهم لم يتيقنوا استحقاقهم له وتكرير ربنا مبالغة في التضرع ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ ﴿١٩٤﴾ الوعد بالبعث والجزاء ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ دعاءهم ﴿أَنِّي﴾ أي بأني ﴿لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم﴾ كائن ﴿مِّنۢ بَعْضٍ﴾ أي الذكور من الإناث وبالعكس والجملة مؤكدة لما قبلها أي هم سواء في المجازاة بالأعمال وترك تضييعها. نزلت لما قالت أم سلمة يا رسول الله إني لا أسمع ذكر النساء في الهجرة بشيء ﴿فَٱلَّذِينَ هَـٰجَرُوا﴾ من مكة إلى

ذلك السؤال، أجاب المفسر بقوله سؤال أن يجعلهم إلخ. وحاصل ذلك الجواب أن العاقبة مجهولة، ووعد الله لا يخلف لمن حمد عاقبته، ومن أين لنا حسن العاقبة، ففائدة السؤال أن الله يحسن عاقبتهم، فإذا حسنت تحقق وعده تعالى إن قلت: لا يخلو الأمر إما أن تكون العاقبة في نفس الأمر محمودة فوعد الله له محق ولا بد، وإما أن تكون غير محمودة فليس له عند الله وعد أصلاً فلا فائدة في الدعاء. أجيب: بأن توفيقه للدعاء دليل على أن الله لا يخلف وعده الذي وعده إياه، قال بعضهم: ما وفقك للدعاء إلا ليعطيك، فحيث وفق العبد للدعاء كان دليلاً على قبوله وإنابته وحسن عاقبته، ولذا لم يوفق إبليس للتوبة ولا للدعاء. قوله: (وتكرير ربنا إلخ) جواب عن سؤال مقدر حاصله أنه لم كرر لفظ ربنا خمس مرات، فأجاب بأنه مبالغة في التضرع، أي الخضوع والتذلل، ولما ورد أنه الأسم الأعظم، وعن جعفر الصادق: من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا، أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد، قيل وكيف ذلك؟ قال اقرؤوا قوله تعالى: (إن في خلق السموات والأرض) الآيات، وهي من أوراد الصالحين تقرأ إلى آخر السورة عند الإستيقاظ من النوم ليلاً فمن لازم عليها تحقق بما فيها، وحصل له ثواب من قام الليل. قوله: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ظرف لقوله: ﴿وَلَا تُخْزِنَا﴾ أي لا تفضحنا في ذلك اليوم. قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ علة لقوله: ﴿آتِنَا مَا وَعَدْتَنَا﴾ إلخ.

قوله: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ﴾ أي لأولي الألباب الموصوفين بما تقدم، واستجاب بمعنى أجاب، فالسين والتاء زائدتان للتأكيد وهو يتعدى بنفسه واللام. قوله: ﴿رَبُّهُمْ﴾ إنما عبر به دون غيره من الأسماء لمناسبة دعائهم به. قوله: (أي بأني) أشار بذلك إلى أن بفتح الهمزة تفاق السبعة وفيه حذف الجار وهو مطرد إذا أمن اللبس، قال ابن مالك:

وحذفه مع إن وأن يطرد مع أمن لبس كعجبت أن يدوا

وهذه الباء للسببية وقرىء شذوذاً باثباتها، وقرىء سذوذاً أيضاً بكسر الهمزة على تقدير القول. قوله: ﴿لَا أُضِيعُ﴾ هكذا بسكون الياء من أضاع، وقرىء بتشديد الياء من ضيع. قوله: ﴿مِنْكُمْ﴾ جار ومجرور صفة لعامل، وقوله: ﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ من بيانية وقيل زائدة وذكر أو أنثى بدل من عامل، وقيل إن الجار والمجرور بدل من الجار والمجرور قبله بدل كل من كل. قوله: ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ هذه الجملة قصد بها التعليل والتعميم، والمعنى لا أضيع عمل عامل منكم جميعاً ذكر أو أنثى، لأن ربكم واحد، وأصلكم واحد، ودينكم واحد، وبعضكم متناسل من بعض. قوله: (مؤكدة لما قبلها) أي قصد بها التعميم. قوله: (نزلت) أي هذه الآية من هنا إلى قوله: (والله عنده حسن الثواب). قوله: (من مكة

المدينة ﴿وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي﴾ ديني ﴿وَقَٰتَلُواْ﴾ الكفار ﴿وَقُتِلُواْ﴾ بالتخفيف والتشديد وفي قراءة بتقديمه ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ أسترها بالمغفرة ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا﴾ مصدر من معنى لأكفرن مؤكد له ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ فيه التفات عن التكلم ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ ﴿١٩٥﴾ الجزاء. ونزل لما قال المسلمون أعداء الله فيما نرى من الخير ونحن في الجهد ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ تصرفهم ﴿فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾ ﴿١٩٦﴾ بالتجارة والكسب ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ يتمتعون به يسيراً في الدنيا ويفنى ﴿ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ ﴿١٩٧﴾ الفراش هي ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ﴾ أي مقدرين الخلود

إلى المدينة) أي أو إلى الحبشة كما كان في صدر الإسلام، فكان من أسلم ولم يأمن على نفسه يأمره النبي ﷺ بالهجرة إلى الحبشة، إلى أن جاءه الأذن بالهجرة إلى المدينة.

قوله: **﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾** يشير بذلك إلى أن الإخراج قهري، لأنه وإن كان في الظاهر طائعاً إلا أنه في الباطن مكره. قوله: **(بالتخفيف والتشديد)** أي فهما قراءتان سبعيتان، وقوله: **(وفي قراءة بتقديمه)** أي المبني للمفعول لكن بالتخفيف، فالقراءات ثلاث، وتكون الواو على هذه القراءة بمعنى مع، أي قتلوا مع كونهم قاتلوا فلم يفروا، بل قتلوا في حال مقاتلهم الأعداء. قوله: **﴿لأكَفِّرَنَّ﴾** اللام موطئة لقسم محذوف، أو وحقي وجلالي لأكفرن، والقسم وجوابه في محل رفع خبر. قوله: **﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾** إلخ، وهذا الوعد الحسن لمن اتصف بجميع تلك الصفات أو ببعضها قوله: **(أسترها بالغفرة)** أي عن الخلق وأبدلها حسنات. قوله: **﴿ثَوَاباً﴾** هو في الأصل مقدار من الجزاء أعده الله لعباده المؤمنين في الآخرة في نظير أعمالهم الحسنة، لكن المراد به هنا الإثابة فهو مصدر مؤكد كما قال المفسر، ويصح أن يكون حالاً في جنات، أي لأدخلنهم جنات حال كونها ثواباً بمعنى مثاباً بها، أي في نظير أعمالهم الحسنة. قوله: **(من معنى لأكفرن)** أي وما بعده وهو لأدخلنهم فهما في معنى لأثيبنهم.

قوله: **﴿مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾** جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لثواباً. قوله: **(فيه التفات عن التكلم)** أي وكان مقتضى الظاهر أن يقول ثواباً من عندي وإنما أظهر في محل الإضمار تشريفاً لهم قوله: **﴿والله عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابَ﴾** لفظ الجلالة مبتدأ، وقوله: **﴿حُسْنُ الثَّوَابَ﴾** مبتدأ ثان، وقوله: **﴿عِنْدَهُ﴾** خبر الثاني، والثاني وخبره خبر الأول، ويحتمل أن يكون حسن الثواب فاعلاً بالظرف قبله، والجملة خبر المبتدأ وإضافة حسن للثواب من إضافة الصفة للموصوف، أي الثواب الحسن كالجنة وما فيها، وأتى بهذه الآية تعليلاً لما قبلها. قوله: **﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾** الخطاب للنبي ﷺ، والمقصود غيره، لأن هذه المقالة واقعة من ضعفاء المسلمين، ولا ناهية، ويغرنك فعل مضارع مبني على الفتح لإتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والكاف مفعوله، والمعنى لا تغتر بتقلبهم إلخ.

قوله: **﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾** خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هو. قوله: **(يتمتعون)** أي ينتفعون ويتنعمون به. قوله: **(هي)** أشار به إلى أنه المخصوص بالذم. قوله: **﴿لٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾** إنما أتى بالإستدراك دفعاً لما يتوهم من أن الدنيا مذمومة، ومتاع قليل مطلقاً للمؤمن والكافر، فأفاد أن المؤمن وإن أخذ في التجارة

﴿فِيهَا نُزُلًا﴾ هو ما يعد للضيف ونصبه على الحال من جنات والعامل فيها معنى الظرف ﴿مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ١٩٨﴾ من متاع الدنيا ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ كعبدالله بن سلام وأصحابه والنجاشي ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ أي القرآن ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ أي التوراة والإنجيل ﴿خَاشِعِينَ﴾ حال من ضمير يؤمن مراعى فيه معنى من أي متواضعين ﴿لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ التي عندهم في التوراة والإنجيل من نعت النبي ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾من الدنيا بأن يكتموها خوفاً على الرياسة كفعل غيرهم من اليهود﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ثواب أعمالهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ يؤتونه مرتين كما في القصص ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ١٩٩﴾ يحاسب الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾ على الطاعات والمصائب وعن المعاصي ﴿وَصَابِرُوا﴾ الكفار فلا يكونوا أشد صبراً منكم ﴿وَرَابِطُوا﴾ أقيموا

والتكسب لا يضره ذلك، بل له في الآخرة الدرجات العلا، فذم الدنيا ومعيشتها للكافر خاصة، قال العارف:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا   لا بارك الله في الدنيا بلا دين

قوله: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ صفة لجنات. قوله: (أي مقدرين الخلود) أشار بذلك إلى أن قوله خالدين حال مقدرة، لأن وقت دخولهم الجنة ليسوا بخالدين فيها. قوله: (ونصبه على الحال) أي لهم جنات حال كونها مهيئة ومعدة للمؤمنين، كما يقري الإنسان ضيفه أفخر ما عنده. قوله: ﴿مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ هذه الجملة صفة لنزلاً وإنما سمي ﴿نُزُلاً﴾ لأنه ارتفع عنهم تكاليف السعي والكسب، فهو شيء سهل مهيأ لهم من غير تعب، ولذلك حين دخلوها يقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن. قوله: ﴿لِلأَبْرَارِ﴾ أي المتقين.

قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ سبب نزولها أنه يوم موت النجاشي ملك الحبشة واسمه أصحمة ومعناه عطية الله، أسلم من غير أن يرى النبي ﷺ، ودخلت رعيته في الإسلام تبعاً له، جاء جبريل وأخبره بأنهم متوجهون بجنازته ليصلوا عليه، فخرج النبي إلى هذا الرجل يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه، فنزلت الآية. قوله: (كعبد الله بن سلام) أي وأربعين من نصارى نجران، وإثنين وثلاثين من الحبشة، وثمانية من الروم، وراعى في الصلاة لفظ ﴿مِنْ﴾ وفي قوله: ﴿خَاشِعِينَ﴾ وما بعده معناها. قوله: (بأن يكتموها) تصوير للشراء المنفي. قوله: (يؤتونه مرتين) أي لإيمانهم بكتابهم والقرآن. قوله: (كما في القصص) أي في سورة القصص، قال تعالى: (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا). قوله: ﴿إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أي المجازاة على الخير والشر.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا اصْبِرُوا﴾ لما بين في هذه السورة فضل الجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك من الأحكام العظيمة، ختمت بما يفيد المحافظة على ذلك. قوله: (على الطاعات إلخ) أشار بذلك إلى مراتب الصبر الثلاثة، وأعظمها الصبر عن المعصية. قوله: (فلا يكونوا أشد صبراً منكم) أي فلا تفروا من الأعداء واصبروا على الجهاد، وخصه وإن دخل في عموم الصبر لأنه أعظم أنواعه

على الجهاد ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في جميع أحوالكم ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٢٠٠﴾ تفوزون بالجنة وتنجون من النار.

وجامع لها، فإنه صبر على الطاعة وهو الجهاد، وعن المعصية وهو الفرار من العدو، وعلى المصيبة وهي القتل والجرح. قوله: ﴿وَرَابِطُوا﴾ أصل المرابطة أن يربط كل من الخصمين خيولهم بحيث يكونون مستعدين للقتال ثم توسع فيه، وجعل كل مقيم في الثغر لحراسة العدو مرابطاً، وإن لم يكن عدو ولا مركوب مربوط. قوله: (في جميع أحوالكم) أي حالاتكم من رخاء وشدة وعسر ويسر وصحة ومرض. قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الترجي في القرآن بمنزلة التحقيق، والفلاح هو الفوز والظفر، وورد أن من قرأ سورة آل عمران أعطاه الله بكل آية منها أماناً على جسر جهنم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ النِّسَاءِ

مدنيّة
وآياتها ست وسبعون ومائة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ أي عقابه بأن تطيعوه ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ آدم ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء بالمد من ضلع من

بسم اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيم

سورة النساء مدنية
مائة وخمس أو ست أو سبع وسبعون آية

مدنية أي كلها، وإن خوطب بمطلعها أهل مكة، لأن القاعدة أنه متى قيل في القرآن ﴿يا أيُّها النَّاسُ﴾ كان خطاباً لأهل مكة، ومتى قيل﴿يا أيها الذين آمنوا﴾كان خطاباً لأهل المدينة. قوله: (وخمس أو ست) أو لتنويع الخلاف فهي مائة وسبعون جزماً والخلاف فيما زاد. قوله: ﴿يا أيُّها النَّاس﴾ الخطاب للمكلفين عموماً، ذكوراً وإناثاً، إنساً أو جناً، لأن لهم ما لنا وعليهم ما علينا، وليس مخصوصاً بمن كان موجوداً وقت النزول، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، قال تعالى: ﴿وقرآناً فرَقْناهُ لِتقرأَهُ علَى النَّاسِ عَلَى مكثٍ﴾.

قوله: ﴿اتَّقوا ربَّكُم﴾ أي امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه، ولذلك يحصل بالإسلام، فإنّ المسلم العاصي قد اتّقى الشرك وهو أعظم المنهيات بالإيمان وهو أعظم المأمورات، لكن يقال لها تقوى عامة، وتقوى الخواص هي اجتناب المنهيات جميعها، وامتثال المأمورات على حسب الطاقة، وتقوى خواص الخواص هي الانهماك في طاعة الله، وعدم الشغل بغيره ولو مباحاً، والآية صادقة بهذه المراتب كلها.

قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكُم﴾ تأكيد للأمر المتقدم، فالمعنى اتَّقوا الله لأنه مالككم ومربيكم، ومن أوصافه أنه خلقكم وأنشأكم من نفس واحدة، فمن كان بهذه الصفات فهو أحق بأن يتقى، لأنه لا استغناء عنه، بل كان من خلقه مفتقر إليه في كل لمحة وطرفة ولحظة، وفي ذلك إشارة إلى أن التقوى تكون في حق بعضنا بعضاً لأن أصلنا واحد، فواجب علينا اتقاء ربنا لأنه الخالق لنا، واتقاء بعضنا بعضاً لأننا كلنا من أصل واحد.

قوله: ﴿وخَلَقَ منْهَا﴾ أي من تلك النفس الواحدة. قوله: ﴿زَوْجَهَا﴾ يقال في الأنثى زوج

أضلاعه اليسرى ﴿وَبَثَّ﴾ فرق ونشر ﴿مِنْهُمَا﴾ من آدم وحواء ﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ كثيرة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في السين وفي قراءة بالتخفيف بحذفها أي تتساءلون ﴿بِهِ﴾ فيما بينكم حيث يقول بعضكم لبعض أسألك بالله وأنشدك بالله ﴿وَ﴾ اتقوا ﴿الْأَرْحَامَ﴾ أن تقطعوها وفي قراءة بالجر عطفاً على الضمير في به وكانوا يتناشدون بالرحم ﴿إِنَّ

وزوجة، والأفصح الأول. قوله: **(حوّاء)** بالمد سميت بذلك لأنها خلقت من حي. قوله: **(من ضلع من أضلاعه)** أي بعد أن أخذه النوم ولا يشعر بذلك ولم يتألم، فلما استيقظ من النوم وجدها فمال إليها فأراد أن يمد يده إليها، فقالت له الملائكة مه يا آدم حتى تؤدي مهرها، قال فما مهرها؟ قالوا حتى تصلي على النبي ﷺ، في رواية ثلاث صلوات، وفي رواية سبعة عشر، وفي ذلك إشارة إلى أنه عليه الصلاة والسلام الواسطة لكل موجود حتى أبيه آدم. إن قلت: حيث كانت حواء مخلوقة من ضلع آدم فهي أخت لأولاده، فمقتضاه أنه يحل لمن يخلق منها التزوج بها في شرعه. أجيب: بأن تفرع حواء من آدم ليس كتفرع الولد من الوالد، بل نباتها من الضلع كما تنبت النخلة من النواة، فلا يحكم عليها بأنها بنت آدم ويقال لها أخت أولاده، بل هي أمهم لا غير، واختلف هل كان خلق حواء خارج الجنة، وبه قال جماعة، وقال ابن عباس وجماعة أنه كان داخل الجنة، ولا مانع من كونه أخذه النوم فيها، لأن الممنوع النوم بعد دخولها يوم القيامة. قوله: ﴿ونساء﴾ **(كثيرة)** أشار بذلك إلى أن في الآية اكتفاء، ورد أن حواء حملت من آدم عشرين بطناً، أو أربعين بطناً في كل بطن ذكر وأنثى، وكان يزوج ذكر هذه البطن لأنثى البطن الأخرى، فنزلت اختلاف البطون منزلة اختلاف الآباء والأمهات، وما مات حتى اجتمع من ذريته مباشرة وبواسطة فوق المائة ألف يشتغلون بأنواع الصنائع والتجارة.

قوله: ﴿واتَّقوا اللَّهَ﴾ معطوف على قوله: ﴿اتَّقوا رَبَّكُمْ﴾. قوله: ﴿الَّذِي تَسَاءَلُون بِهِ﴾ أي يقسم بعضكم على بعض به لأنه عظيم جليل، فحيث كان كذلك فهو أحق بأن يتقى. قوله: **(فيه إدغام التاء الخ)** أي فأصله تتساءلون به، قلبت التاء سيناً ثم أدغمت في السين وإنما قلبت التاء سيناً لقرب مخرجيهما. قوله: **(بحذفها)** أي التاء الثانية وحذفت تخفيفاً. قال ابن مالك:

وما بتاءين ابتدى قد يقتصر فيه على تا كتبين العبر

قوله: **(حيث يقول بعضكم الخ)** أي فيدخل الحمى ولا يتعرض له، وكان ذلك في الجاهلية، والمعنى اتقوا الله لأنه ربكم وخالقكم من نفس واحدة، ولأنه عظيم يقسم به وتقضى الحوائج باسمه. قوله: ﴿والأَرْحَام﴾ هكذا بالنصب معطوف على لفظ الجلالة، والعامل فيه اتقوا، ولذا قدره المفسر، وقوله: **(أن تقطعوها)** إشارة إلى أن الكلام على حذف مضاف تقديره واتقوا قطع الأرحام لما في الحديث: «الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله، ومواصلة الأرحام تختلف باختلاف الناس، فمنهم الغني والفقير، فالواجب على الغني المواصلة بالهدايا والتحف والكلام اللين، وعلى الفقير باللين والسعي لهم ومعاشرتهم بالمعروف، ولا فرق بين الأحياء والأموات». قوله: **(وفي قراءة بالجر)** أي مع تخفيف تساءلون وهي لحمزة، وأما قراءة النصب فبالتشديد والتخفيف، فالقراءات ثلاثة وكلها سبعية. قوله: **(عطفاً على الضمير في به)** أي من غير عود الخافض، وهي وإن كانت لغة فصيحة

ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ حافظاً لأعمالكم فمجازيكم بها أي لم يزل متصفاً بذلك ونزل في يتيم طلب من وليه ماله فمنعه ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ﴾ الصغار الألى لا أب لهم ﴿أَمْوَٰلَهُمْ﴾ إذا بلغوا ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ﴾ الحرام ﴿بِٱلطَّيِّبِ﴾ الحلال أي تأخذوه بدله كما تفعلون من أخذ الجيد من مال

إلا أنها خلاف الكثير، وقد أشار لذلك ابن مالك بقوله:

وعود خافض لدى عطف على ضمير خفض لازماً قد جعلا
وليس عندي لازماً إذ قد أتى والنظم والنثر الصحيح مثبتا

فأشار بالنثر الصحيح إلى الآية، والنظم إلى قول الشاعر:

قد بت تهجونا وتشتمنا فاذهب فما بك والأيام من عجب

بجر الأيام. قوله: (وكانوا يتناشدون بالرحم) هذا مرتب على القراءة الثانية، أي فالمعنى اتّقوا الله لأنكم تتناشدون به، واتقوا الأرحام لأنكم تتناشدون بها، ومن التناشد بها قول هارون لأخيه موسى صلوات الله وسلامه عليهما: «يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي». قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ هذا تعليل لقوله: ﴿اتقوا ربكم﴾ والرقيب لغة من ينظر في الأمور ويتأمل فيها، واصطلاحاً الحفيظ الذي لا يغيب عن حفظه شيء، وهذا المعنى هو المراد في حق الله تعالى. قوله: (حافظاً لأعمالكم) أي جميعها خيرها وشرها، سرها وجهرها، قال تعالى: ﴿سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾. قوله: (أي لم يزل متصفاً بذلك) جواب عن سؤال مقدر تقديره أن لفظ كان يفيد الانقطاع، فيفيد أن الله اتّصف بالحفظ فيما مضى وانقطع، فأجاب بأن كان هنا للاستمرار، أي هو متصف بذلك أزلاً وأبداً. قوله: (ونزل في يتيم) أي بحسب ما كان، وإلا فوقت طلبه رشيداً. قوله: (طلب من وليه) أي وكان عماً لذلك اليتيم. قوله: (فمنعه) أي فلما منعه شكا لرسول الله ﷺ فنزلت الآية، فلما سمعها الولي قال أطعت الله وأطعت رسوله، ونعوذ بالله من الحوب الكبير.

قوله: ﴿وآتوا اليتامى﴾ شروع في ذكر مواطن التقوى، وقدم مال اليتيم لأن فيه وعيداً عظيماً وتحذيراً شديداً، واليتامى جمع يتيم ويجمع أيضاً على أيتام من اليتيم وهو لغة الانفراد، ومنه الدرة اليتيمة بمعنى عديمة المثيل، ومنه يتيم سيد الكائنات عليه أفضل الصلاة والسلام، قال العارف:

أخذ الإله أبا النبي ولم يزل برسوله الفرد الكريم رحيما
نفسي الفداء لمفرد في يتمه والدر أحسن ما يكون يتيما

واصطلاحاً أشار له المفسر بقوله: (الألى) لا أب لهم، أي ولو كانت أمهم موجودة، فاليتيم في الآدمي من كان معدوم الأب وهو صغير، وفي غيره من كان معدوم الأم، فإن مات الأبوان قيل للصغير لطيم، وإن ماتت أمه فقط قيل له عجمي. قوله: (الألى) بضم الهمزة وفتح اللام اسم موصول جمع الذي كالذين. قوله: (إذا بلغوا) أي وكانوا راشدين، بدليل قوله تعالى: (فإن آنستم منهم رشداً) الآية.

قوله: ﴿ولاَ تَتبدَّلُوا الخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ هذا نهي آخر، وكان ولي اليتيم في الجاهلية يأخذ مال اليتيم

اليتيم وجعل الرديء من مالكم مكانه ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ مضمومة ﴿إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ﴾ أي أكلها ﴿كَانَ حُوبًا﴾ ذنباً ﴿كَبِيرًا ۝٢﴾ عظيماً. ولما نزلت تحرجوا من ولاية اليتامى وكان فيهم من تحته العشر أو الثمان من الأزواج فلا يعدل بينهن فنزل ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟﴾ تعدلوا ﴿فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ فتحرجتم من أمرهم فخافوا أيضاً أن لا تعدلوا بين النساء إذا نكحتموهن ﴿فَٱنكِحُوا۟﴾ تزوجوا ﴿مَا﴾ بمعنى من ﴿طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ أي اثنين اثنين وثلاثاً ثلاثاً

الجيد ويدفع بدله الرديء كشاة هزيلة يدفعها ويأخذ شاة سمينة، ودرهم زائف يتركه لليتيم ويأخذ له الجيد، ويقول شاة بشاة ودرهم بدرهم. قوله: (الحرام) أي وإن كان جيداً، وقوله: (الحلال) أي وإن كان رديئاً. قوله: (أي تأخذوه بدله) أشار بذلك إلى أن الباء داخلة على المتروك. قوله: (مضمومة) أي بأن تجمعوا ماله على أموالكم وتصرفوا من الجميع، وقصده بذلك أكل الجميع، وهذا نهي ثالث، لأن الأمر الأول تضمن نهياً أي لا تمنعوا اليتامى من أموالهم إذا رشدوا أو لا تتبدلوا الخبيث بالطيب، ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم. إن قلت: مقتضى الآية أن أكل مال اليتيم منفرداً ليس بذنب عظيم، أجيب: بأنه نص على مستقبح الأوصاف زيادة في التشنيع على من يأكله مع الاستغناء، وإلا فأكله منفرداً كأكله مضموماً لماله في ارتكاب الإثم الكبير. قوله: ﴿حُوباً﴾ بضم الحاء باتفاق السبعة، وقرىء شذوذاً بفتح الحاء وسكون الواو وقبلها ألفاً والمعنى واحد. قوله: (ولما نزلت) أي آيات اليتيم التي ورد النهي فيها. قوله: (تحرجوا) أي شق عليهم وطلبوا الخروج من الحرج الذي هو الإثم. قوله: (من الأزواج) أي اليتامى، فكان الواحد منهم إذا وجد يتيمة ذات مال وجمال رغب فيها لأجل مالها، فلما نزلت آية النهي عن أكل مال اليتيم شق عليهم ذلك فنزلت ﴿وإنْ خِفْتُمْ﴾ فالنهي في الأولى عام في اليتامى مطلقاً أزواجاً أو لا، والثاني خاص بالأزواج اليتامى. قوله: ﴿أنْ لَا تقْسِطُوا﴾ من أقسط بمعنى عدل، وأما القاسط فمعناه الجائر، وقرىء تقسطوا بفتح التاء وتحمل على أن لا زائدة أو لغة في أقسط بمعنى عدل، فتكون مستعملة في الشيء وضده.

قوله: ﴿فِي اليَتَامَى﴾ أي في نكاحهم. قوله: (فتحرجتم) أي طلبتم الخروج من الحرج الذي هو الإثم، وقوله: (فخافوا) جواب الشرط، قالت عائشة: هذه الآية في اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها، ويريد أن ينتقص صداقها، فنهوا عن نكاحهن إلا أن يقسطوا في إكمال الصداق، وأمروا بالنكاح من غيرهن، قالت عائشة: فاستفتى الناس رسول الله ﷺ بعد ذلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿ويستفتونك في النساء﴾ إلى قوله ﴿وترغبون﴾ أن تنكحوهن، فبيّن الله لهم في هذه الآية أن اليتيمة إذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بأمثالها في إكمال الصداق، وبيّن في تلك الآية أن اليتيمة إذا كانت مرغوباً عنها لقلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها من النساء قال أي الله فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها، إلا أن يقسطوا لها ويعطوها حقها الأوفى من الصداق، وقال الحسن: كان الرجل من أهل المدينة تكون عنده الأيتام وفيهن من يحل له نكاحها، فيتزوجها لأجل مالها وهي لا تعجبه، وإنما تزوجها كراهية أن يدخل غريب فيشاركها في مالها ثم يسيء صحبتها ويتربص إلى أن تموت فيرثها، فعاب الله عليهم ذلك وأنزل هذه الآية. قوله: (بين النساء) أي اليتامى. قوله: (بمعنى من) أي الواقعة على العاقل، وهو جواب عن سؤال مقدر تقديره أن ما لغير العاقل

وأربعاً أربعاً ولا تزيدوا على ذلك ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ فيهن بالنفقة والقسم ﴿فَوَاحِدَةً﴾ انكحوها ﴿أَوْ﴾ اقتصروا على ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من الإماء إذ ليس لهن من الحقوق ما للزوجات ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي نكاح الأربع فقط أو الواحدة أو التسري ﴿أَدْنَىٰ﴾ أقرب إلى ﴿أَلَّا تَعُولُوا﴾ ③ تجوروا ﴿وَآتُوا﴾ أعطوا ﴿النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ﴾ جمع صدقة مهورهن ﴿نِحْلَةً﴾ مصدر عطية عن طيب نفس ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ تمييز محول عن الفاعل أي طابت أنفسهن لكم

ولا شك أن النساء عقلاء، فأجاب بأن ما بمعنى من، وعبر عنهن بما لنقص عقلهن عن الرجال. وأجيب أيضاً بأن ما واقعة على الأوصاف، والمعنى وانكحوا الوصف الذي يعجبكم من النساء كالحسب والنسب والجمال وفي الحديث: «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس».

قوله: ﴿مِنَ النِّسَاءِ﴾ أي غير اليتامى، وقد تضمنت هذه الآية النهي عن نكاح اليتامى من أجل أموالهن والزيادة على أربع. قوله: ﴿مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ بدل من النساء. قوله: (أي اثنين اثنين) المعنى أباح لكم في الاختيار اثنين أو ثلاثاً أو أربعاً، فالواو ليست للعطف، وإلا لزم أنه بيان جمع تسع، وبه قالت الظاهرية، ولا بمعنى أو وإلا لزم أن من اختار اثنين لا يجوز له أن ينتقل إلى ثلاث أو أربع. قوله: (ولا تزيدوا على ذلك) هذا محط السياق. قوله: (إذ ليس لهن من الحقوق ما للزوجات) أي فلا يجب العدل بينهن، لا في القسم، ولا في النفقة، ولا في الكسوة. قوله: ﴿أَدْنَى﴾ يتعدى بإلى واللام، تقول دنوت إليه وله. قوله: ﴿أَلَّا تَعُولُوا﴾ العول في الأصل معناه الميل، من قولهم عال الميزان عولاً أي مال وعال في الحكم إذا جار. قوله: (تجوروا) أي تظلموا، وفي الحديث: «من لم يعدل بين نسائه جاء يوم القيامة وشقه ساقط».

قوله: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ﴾ أتى بهذه الآية استطراداً بين أحكام اليتامى لمناسبة ذكر النساء، وآتى بالمد مصدره الإيتاء بمعنى الإعطاء، فلذا فسره به، وأما بالقصر فمصدره الإتيان بمعنى المجيء. قوله: (جمع صدقة) أما بضم الدال أو فتحها أو إسكانها، ويقال أيضاً صداق بفتح الصاد وكسرها، ومعنى الجميع المهر الذي يجعل للمرأة في نظير البضع، وأقله عند المالكية ربع دينار شرعي، أو ثلاث دراهم شرعية، أو مقوم بأحدهما، وعند الشافعي يكفي أي شيء متموّل أو خاتماً من حديد، وعند الحنفية عشرة دراهم شرعية، وأكثره لا حد له بل بحسب ما تراضوا عليه، والأمر للأزواج، فالمعنى لا تنكحوا النساء إلا بمهر، وخصصت السنة نكاح التفويض وهو العقد من غير تسمية مهر، فهو صحيح لكن يلزمه بعد الدخول صداق المثل. قوله: (مصدر) أي مؤكد لقوله آتوا من معناه كجلست قعوداً، ويسمى ذلك المصدر معنوياً. قوله: (عن طيب نفس) أي خالصاً لا منة للزوج به عليها.

قوله: ﴿فَإِنْ طِبْنَ﴾ أي النسوة. وقوله: ﴿مِنْهُ﴾ الضمير عائد على الصداق المعلوم من قوله صدقات، ومن يحتمل أن تكون للتبعيض أو البيان، فيحل للمرأة الرشيدة بعد الدخول أن تعطي زوجها المهر كله أو بعضه عند جميع الأئمة إلا الليث فعنده لا يحل لها أن تعطيه جميعه، فمن على ذلك يتعيّن أن تكون للتبعيض لا للبيان. قوله: (أي طابت أنفسهن) هذا بيان لكون نفساً في الأصل فاعلاً. قوله

عن شيء من الصداق فوهبنه لكم ﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا﴾ طيباً ﴿مَّرِيٓـًٔا﴾ ﴿٤﴾ محمودة العاقبة لا ضرر فيه عليكم في الآخرة نزلت رداً على من كره ذلك ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟﴾ أيها الأولياء ﴿ٱلسُّفَهَآءَ﴾ المبذرين من الرجال والنساء والصبيان ﴿أَمْوَٰلَكُمُ﴾ أي أموالهم التي في أيديكم ﴿ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ مصدر قام أي تقوم بمعاشكم وصلاح أودكم فيضعوها في غير وجهها وفي قراءة قيماً جمع قيمة ما تقوم به الأمتعة ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ أطعموهم منها ﴿وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ ﴿٥﴾ عدوهم عدة جميلة بإعطائهم أموالهم إذا رشدوا ﴿وَٱبْتَلُوا۟﴾ اختبروا ﴿ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ قبل البلوغ في دينهم وتصرفهم في أحوالهم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ﴾ أي صاروا أهلاً له بالاحتلام أو السن وهو

(فوهبنه لكم) أي اختياراً لا قهراً، وإلا فلا يحل أخذه، ويشترط أيضاً أن تكون المرأة رشيدة بالغة، وإلا فلا يحل أخذه.

قوله: **﴿فَكُلُوهُ﴾** أي انتفعوا به، فأطلق الأكل وأراد مطلق الانتفاع. قوله: **﴿مَرِيئاً﴾** أي ممروءاً لا غصة فيه ولا عقبة من قولهم جرى الطعام في المريء، أي العرق الأحمر الكائن تحت الحلقوم المسمى بالبلعوم، وهنيئاً مريئاً حالان من مفعول كلوه، والمعنى كلوه حال كونه هنيئاً حلالاً مريئاً سائغاً لا نكد فيه. قوله: **(في الآخرة)** أي ولا في الدنيا، فليس لورثتها طلبه. قوله: **(على من كره ذلك)** أي استنكافاً عنه وجعله كالرجوع في الهبة.

قوله: **﴿وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ﴾** هذا رجوع لتتميم أحكام اليتامى، وأصل تؤتوا تؤتيوا، استثقلت الضمة على الياء فحذفت، فالتقى ساكنان الياء والواو، حذفت الياء لالتقائهما. قوله: **(والصبيان)** معطوف على المبذرين. قوله: **(أي أموالهم)** أي وإنما نسبها للأولياء لأنهم هم المتصرفون فيها، فالإضافة ليست لذلك وإنما هي لأدنى ملابسة. قوله: **﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً﴾** جعل بمعنى صير، ولفظ الجلالة فاعلة، وقياماً مفعول ثان، والمفعول الأول محذوف تقديره جعلها، والضمير عائد على الأموال، ويحتمل أن جعل بمعنى خلق فقياماً حال، والمعنى لا تعطوا المبذرين والصبيان أموالهم التي جعل الله مقومة لمعاشهم وصلاحهم. قوله: **(أودكم)** الأود بفتحتين وبفتح فسكون معناه العوج. قوله: **(وفي قراءة قيما)** أي وهي سبعية أيضاً، وقرىء شذوذاً قواماً بفتح القاف وكسرها وقوماً كعنباً، وعموم الآية يشمل من أعطى مال اليتيم لسفيه مبذر يتجر له فيه وهو مشهور بالسفه والتبذير، فإن الولي منهي عن ذلك ويضمنه لفهمه بالأولى.

قوله: **﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾** حكمة التعبير بفي، أنه ينبغي للولي أن يعطي مال اليتيم لرجل أمين يتجر فيه، ويكون مصرفه من الربح لا من أصل المال. وفي الحديث: «اتجروا في أموال اليتامى لا تأكلها الزكاة» فالتجارة في أموال اليتامى مطلوبة عند جميع الأئمة. قوله: **(عدوهم عدة جميلة)** أي كأن يقول له مالك عندي وأنا أمين عليه، فإذا بلغت ورشدت أعطيتك مالك، وهكذا تطييباً لخاطرهم وجدهم في أسباب الرشد.

قوله: **﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى﴾** أي لا تتركوهم هملاً، بل علموهم الصنائع وأمور الدنيا والدين، ولا تفرطوا في ذلك حتى تبلغوا. قوله: **(بالاحتلام)** أي نزول المني. قوله: **(حتى إذا بلغوا)** حتى ابتدائية،

استكمال خمس عشرة سنة عند الشافعي ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم﴾ أبصرتم ﴿مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ صلاحاً في دينهم ومالهم ﴿فَادْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ﴾ أيها الأولياء ﴿إِسْرَافًا﴾ بغير حق حال ﴿وَبِدَارًا﴾ أي مبادرين إلى إنفاقها مخافة ﴿أَن يَكْبَرُوا۟﴾ رشداء فيلزمكم تسليمها إليهم ﴿وَمَن كَانَ﴾ من الأولياء ﴿غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ أي يعف عن مال اليتيم ويمتنع من أكله ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ﴾ منه ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بقدر أجرة عمله ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ أي إلى اليتامى ﴿أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ أنهم تسلموها وبرئتم لئلا يقع اختلاف فترجعوا إلى البينة وهذا أمر إرشاد ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ الباء

وإذا شرطية، وفعل الشرط قوله بلغوا، وجوابها قوله: ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ﴾ الخ، فشرط إعطاء الولي المال لليتيم بلوغ النكاح وعلم الرشد. قوله: **(عند الشافعي)** أي وعند مالك وأبي حنيفة ثمانية عشر. ومن علامات البلوغ: الحيض وكبر الثدي للإناث ونبات العانة ونتن الأبط وفرق الأرنبة وغلظ الحنجرة، فإذا وجدت تلك العلامات حكم ببلوغه عند مالك، وأما عند الشافعي فلا يحكم بالبلوغ إلا بالإحتلام أو الحيض أو بلوغ خمسة عشر سنة، وما عدا ذلك علامة على البلوغ ولا يحكم عليه به. قوله: **(أبصرتم)** المناسب أن يكون علمتم، لأن الرشد يعلم ولا يشاهد بالبصر. قوله: **(صلاحاً في دينهم ومالهم)** هذا مذهب الشافعي، ويكفي عند مالك في الرشد إصلاح المال فقط.

قوله: ﴿فَادْفَعُوا﴾ جواب الشرط الثاني. قوله: **(حال)** أي من الواو في تأكلوا مؤولاً بمسرفين. قوله: **(مخافة)** ﴿أَنْ يَكْبَرُوا﴾ قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿أَنْ يَكْبَرُوا﴾ مفعول لأجله، ومفعول ﴿بِدَاراً﴾ محذوف تقديره ولا تأكلوها حال كونكم مسرفين فيها مبادرين لأكلها، مخافة كبرهم عليكم فيأخذوها منكم. قوله: ﴿أَنْ يَكْبَرُوا﴾ مضارع كبر بوزن علم ومصدره كبر كعنباً. قوله: **(من الأولياء)** أولياء الأيتام. قوله: **(أي يعف عن مال اليتيم)** أي يتباعد عنه لما فيه من الوعيد العظيم الآتي في قوله تعالى: ﴿إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً﴾ فالواجب على الولي إن كان غنياً التباعد عن مال اليتيم بالمرة، بل ينبغي له أن لا يخلط ماله بماله، بل يعطيه لغيره ليتجر له فيه، ويكون هو ناظراً عليه. قوله: **(ويمتنع من أكله)** أي فإذا أكله وأطعمه لغيره ولو لمن يصنع سبحاً أو جمعاً لوالد اليتيم ضمنه إذا لم يوص الميت بذلك، وأما إن لم يكن لليتامى ولي وليس فيهم كبير رشيد، حرم الأكل من مالهم وكل من أكل شيئاً لزمه عوضه. قوله: **(بقدر أجرة عمله)** أي ما لم تزد على كفايته، وإلا فله كفايته فقط، وهذا مذهب الشافعي، وعند مالك له أجرة مثله مطلقاً زادت عن كفايته أو لا.

قوله: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ﴾ مرتب على قوله: ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ والمعنى فإذا أردتم الدفع فأشهدوا لئلا يقع اختلاف فترجعوا إلى البينة، هذا هو المشهور في المذاهب أن الولي لا يصدق في الدفع إلا ببينة تشهد أنه دفعه لهم بعد رشدهم، فإن لم تكن بينة غرمه، وهناك قول ضعيف عند مالك وهو أنه يصدق في الدفع بيمين، فعلة الإشهاد على هذا القول لئلا يحلف الولي، والفرق بين الأمين والوصي أن الوصي لما كان له التصرف في مال اليتيم كان ضامناً له إلا ببينة تشهد بالدفع، والأمين لا تصرف له في الأمانة فصدق بيمين في الدفع، ولذا إذا انصرف فيها كانت متعلقة بذمته، فلا يصدق في دفعها إلا ببينة كالدين. قوله: **(وهذا أمر إرشاد)** أي تعليم لمصالح الدنيا فهو أمر ندب. قوله: **(الباء زائدة)** أي في

زائدة ﴿حَسِيبًا ۝٦﴾ حافظاً لأعمال خلقه ومحاسبهم. ونزل رداً لما كان عليه الجاهلية من عدم توريث النساء والصغار ﴿لِّلرِّجَالِ﴾ الأولاد والأقرباء ﴿نَصِيبٌ﴾ حظ ﴿مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ المتوفون ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ﴾ أي المال ﴿أَوْ كَثُرَ﴾ جعله الله ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝٧﴾ مقطوعاً بتسليمه إليهم ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾ للميراث ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ذوو القرابة ممن لا يرث ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ شيئاً قبل القسمة ﴿وَقُولُوا۟﴾ أيها الأولياء ﴿لَهُمْ﴾ إذا كان الورثة صغاراً ﴿قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٨﴾ جميلاً بأن تعتذروا إليهم أنكم لا تملكونه وأنه للصغار وهذا قيل إنه منسوخ وقيل لا ولكن تهاون الناس في تركه وعليه فهو ندب وعن ابن عباس واجب ﴿وَلْيَخْشَ﴾ أي ليخف على اليتامى ﴿ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟﴾ أي قاربوا

فاعل كفى، فلفظ الجلالة فاعل مرفوع بضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائدة، وفي قوله: ﴿وكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً﴾ وعد حسن لمن كان سليماً ولم يلتمس من مال اليتيم شيئاً، ولو اتهمه اليتيم بأكله ظلماً وعدواناً، ووعيد لمن أكله وظلمه وإن لم يثبت عليه ذلك.

قوله: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ سبب نزولها أن أوس بن ثابت توفي وترك امرأته واسمها أم كحة وثلاث بنات، وأقام وصيين واسمهما سويد وعرفجة ولدا عمه، فأخذا المال جميعه فجاءت المرأة للنبي ﷺ وقالت: مات أوس بن ثابت وترك ثلاث بنات، وأنا امرأته ولم يكن عندي ما أنفقه عليهن، وترك مالاً حسناً، فأخذه سويد وعرفجة ولم يعطياني ولا بناته شيئاً، فدعاهما النبي فقالا أولادها يركبن فرساً، ولا يحملن كلاً، ولا ينكين عدواً، فنزلت هذه الآية، وبيّن أن الإرث غير مختص بالرجال البالغين، وأوقف النبي التركة حتى نزلت ﴿يوصيكم الله﴾ الآية، فأعطى الزوجة الثمن، والبنات الثلثين، وابني عمه ما بقي. قوله: (الأولاد) أخذه من قوله: ﴿الوَالِدَانِ﴾. وقوله: (والأقرباء) أخذه من قوله: ﴿والأَقْرَبُون﴾. قوله: ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ﴾ بدل من قوله: ﴿مِمَّا تَرَكَ﴾ قوله: ﴿نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾ مفعول ثان لفعل محذوف قدره بقوله: (جعله الله).

قوله: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى﴾ معنى ذلك إذا مات الميت وترك من يرث ومن لا يرث، وحضر جميعهم قسمة الميراث، طلب الشارع إعطاء من لا يرث، وكذا المساكين واليتامى شيئاً قبل القسمة جبراً لخاطرهم، باجتهاد من يقسم التركة بحسب قلة المال وكثرته، واختلف هل هذا منسوخ هو الحق، وقيل ليس بمنسوخ، واختلف على هذا هل الأمر للوجوب أو الندب وهو المعتمد على هذا القول. قوله: (إذا كانت الورثة صغاراً) أي أو التركة قليلة.

قوله: ﴿وَلْيَخْشَ﴾ قرأ السبعة بسكون اللام وغيرهم بكسرها وعلى كل اللام للأمر، وسبب نزولها أنه كان في الجاهلية إذا حضر أحدهم الموت قد حضره جماعة، حملوه على تفرقة ماله للفقراء والمساكين، ويحرمون أولاده منه، فيترتب على ذلك كونهم بعد موته عالة على الناس ويضيعون، فنزلت الآية تحذيراً لمن يحمل الميت على ذلك من وصي أو غيره، فإنه كما يدين الفتى يدان، فكما يتقي الله في يتامى غيره، فجزاؤه أن يقبض الله له من يتقي الله في أولاده. قوله: (أي ليخفف على اليتامى) المعنى ليخفف الله على اليتامى. قوله: ﴿الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا﴾ لو شرطية بمعنى إن، فنقلت الماضي للاستقبال، كما قال ابن مالك وجماعة،

أن يتركوا ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي بعد موتهم ﴿ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا﴾ أولاداً صغاراً ﴿خَافُواْ عَلَيْهِمْ﴾ الضياع ﴿فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في أمر اليتامى وليأتوا إليهم ما يحبون أن يفعل بذريتهم من بعدهم ﴿وَلْيَقُولُواْ﴾ للميت ﴿قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩﴾ صواباً بأن يأمروه أن يتصدق بدون ثلثه ويدع الباقي لورثته ولا يتركهم عالة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ بغير حق ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ﴾ أي ملئها ﴿نَارًا﴾ لأنه يؤول إليها ﴿وَسَيَصْلَوْنَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول يدخلون ﴿سَعِيرًا ۝١٠﴾ ناراً شديدة يحترقون فيها ﴿يُوصِيكُمُ﴾ يأمركم ﴿ٱللَّهُ فِىٓ﴾ شأن ﴿أَوْلَـٰدِكُمْ﴾ بما يذكر ﴿لِلذَّكَرِ﴾ منهم ﴿مِثْلُ حَظِّ﴾ نصيب ﴿ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ إذا اجتمعتا معه فله نصف المال ولهما النصف فإن كان معه واحدة فلها الثلث وله الثلثان وإن انفرد حاز المال ﴿فَإِن كُنَّ﴾ أي الأولاد ﴿نِسَآءً﴾ فقط ﴿فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ الميت وكذ الاثنتان لأنه للأختين بقوله فلهما الثلثان مما ترك فهما أولى

فتركوا فعل الشرط. قوله: ﴿خَافُوا﴾ جوابه، وقوله: ﴿فَلْيَتَّقُوا﴾ مرتب عليه. قوله: ﴿خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ **(الضياع)** إن قلت: ما ذنب اليتيم حتى يعاقب بالضياع؟ أجيب بأن ذلك تعذيب لأبيه، لأن ما يؤذي الحي يؤذي الميت، وليس تعذيباً لهم، بل قد يكون رفعة لهم إن اتقوا الله. قوله: **(وليأتوا إليهم ما يحبون الخ)** أي يفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذريتهم بعد موتهم. قوله: **(للميت)** ويحتمل أن يكون لليتامى، بأن يقولوا لهم لا تخافوا ولا تحزنوا، فنحن مثل آبائكم. قوله: **(ولا يتركهم عالة)** أي فقراء يتكففون وجوه الناس.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ﴾ نزلت في حق رجل من غطفان، مات أخوه وترك ولداً يتيماً فأكل عمه ماله، والمعنى يتلفون أموالهم، فالتعبير بالأكل عن الإتلاف مجاز. قوله: ﴿ظُلْماً﴾ يحتمل أن يكون مفعولاً لأجله، أي لأجل الظلم، ويحتمل أن يكون حالاً من يأكلون، أي حال كون الأكل ظلماً. قوله: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ﴾ هذه الجملة خبر إن الأول، والتعبير بالأكل مجاز باعتبار ما يؤول إليه أو المعنى يأكلون بسبب النار. قوله: **(بالبناء للفاعل والمفعول)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(ناراً شديدة)** أشار بذلك إلى أنه ليس المراد خصوص الطبقة المسماة بذلك، لأنها لعباد الوثن خاصة وربما مات آكل مال اليتيم مسلماً. والحاصل: أنه تارة تطلق تلك الأسماء على ما يعم جميع الطبقات وتارة تطلق على مسمياتها خاصة. قوله: **(يحترقون فيها)** أي إن لم يتوبوا. روي أن آكل مال اليتيم يبعث يوم القيامة، والدخان يخرج من قبره ومن فمه وأنفه وأذنيه وعينيه فيعرف الناس أنه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا.

قوله: ﴿يُوصِيكُم اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ هذا شروع في تفصيل ما أجمل أولاً في قوله: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ الخ، قوله: **(يأمركم)** أي على سبيل الوجوب. قوله: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ هذا كلام مستأنف واقع في جواب سؤال مقدر، قوله: **(فله نصف المال الخ)** أي إن لم يكن معهم صاحب فرض، وإلا فيأخذ فرضه، ثم الباقي يقسم مثل حظ الأنثيين.

قوله: ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً﴾ إن حرف شرط، وكن فعل الشرط، ونساء خبركن، واسمها النون، وفوق ﴿اثْنَتَيْنِ﴾ صفة لنساء، وقوله: ﴿فَلَهُنَّ﴾ جواب الشرط. قوله: **(أي الأولاد)** أي بعضهم، ففي الكلام

ولأن البنت تستحق الثلث مع الذكر فمع الأنثى أولى ﴿فوق﴾ قيل صلة وقيل لدفع توهم زيادة النصيب بزيادة العدد لما فهم استحقاق البنتين الثلثين من جعل الثلث للواحدة مع الذكر ﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾ المولودة ﴿وَٰحِدَةً﴾ وفي قراءة بالرفع فكان تامة ﴿فَلَهَا ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ﴾ أي الميت ويبدل منها ﴿لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ ذكراً أو أنثى ونكتة البدل إفادة أنهما لا يشتركان فيه وألحق بالولد ولد الابن وبالأب الجد ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ﴾ فقط أو مع زوج ﴿فَلِأُمِّهِ﴾ بضم الهمزة وكسرها فراراً من الإنتقال إلى كسرة لثقله في الموضعين ﴿ٱلثُّلُثُ﴾ أي ثلث المال أو ما يبقى بعد الزوج والباقي للأب ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾ أي اثنان فصاعداً ذكوراً وإناثاً ﴿فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ والباقي للأب ولا شيء للإخوة وإرث من ذكر ما ذكر ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾ تنفيذ ﴿وَصِيَّةٍ يُوصِي﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿بِهَآ أَوْ﴾ قضاء ﴿دَيْنٍ﴾ عليه وتقديم الوصية على الدين

استخدام، فذكر الأولاد بمعنى، وأعاد الضمير عليه بمعنى آخر، نظير قوله تعالى: (وبعولتهن أحق بردهن) بعد قوله: (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء). قوله: **(لأنه للأختين)** أي الفرض المذكور وهذان وجهان: أحدهما القياس على الأختين. والثاني القياس على البنت الواحدة، وهما على كون فوق ليست صلة. قوله: **(وقيل لدفع توهم زيادة النصيب)** هذا القيل محتمل لأن تكون أصلية أو زائدة، فالمعنى أن ما فوق البنتين حكمها حكم البنتين. قوله: **(وفي قراءة بالرفع)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(ذكراً أو أنثى)** أي فإن كان الولد ذكراً أخذ ما فضل عن سدسيهما، وإن كانت أنثى أخذت النصف فرضها، والأم سدسها، والأب الباقي فرضاً وتعصيباً. قوله: **(وألحق بالولد ولد الابن الخ)** أي بالقياس المساوي، قوله: **(بضم الهمز وكسرها)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(فراراً)** راجع للكسر، وقوله: **(في الموضعين)** أي في قوله: **﴿فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾** وقوله: **﴿فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾** أي وما بقي بعد الزوج أي الزوجة وهما الغراوان، وقد أشار لهما صاحب الرحبية بقوله:

وإن يكن زوج وأم وأب ... فثلث الباقي لها مرتب
وهكذا مع زوجة فصاعدا ... فلا تكن عن العلوم قاعدا

ثلث الباقي في الحقيقة، أما ربع أو سدس، وقد انعقد الإجماع على ذلك، قوله: **﴿فإنْ كَانَ لَهُ إخوَةٌ﴾** تقدم أن الأم يفرض لها جميع ثلث المال أو ثلث الباقي، إن لم يكن للميت فرع وارث، وأفاد هنا أنه مع وجود الأخوة يفرض لها السدس، فيفهم منه أنه عند عدم الأخوة أيضاً، يكون لها الثلث، فتحصل أن لها الثلث بشرطين عدميين، وهما عدم الأخوة، وعدم الفرع الوارث، قوله: **(ذكوراً أو إناثاً)** أي أشقاء أو لأب أو لأم. قوله: **(ولا شيء للأخوة)** أي مطلقاً لكونهم محجوبين بالأب، ولذلك قال في التلمسانية:

وفيهم في الحجب أمر عجب ... لكونهم قد حجبوا وحجبوا

فلو كان بدل الأب جد. لكان مثله عند أبي حنيفة. وعند الأئمة الثلاثة يشترك مع الأخوة. على تفصيل في ذلك مذكور في الفروع. قوله: **﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ﴾** متعلق بمحذوف قدره المفسر بقوله: **(وارث من ذكر الخ)** وهو قيد في جميع ما تقدم. قوله: **(تنفيذ)** **﴿وصية﴾** أي تخرج من رأس المال إن حملها

وإن كانت مؤخرة عنه في الوفاء للاهتمام بها ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾ مبتدأ خبره ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ في الدنيا والآخرة فظان أن ابنه أنفع له فيعطيه الميراث فيكون الأب أنفع وبالعكس وإنما العالم بذلك الله ففرض لكم الميراث ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ ﴿١١﴾ فيما دبره لهم أي لم يزل متصفاً بذلك ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾ منكم أو من غيركم ﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ وألحق بالولد في ذلك ولد الابن بالاجماع ﴿وَلَهُنَّ﴾ أي الزوجات تعددن أو لا ﴿الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ﴾ منهن أو من غيرهن ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا

الثلث. وشرطها أن تكون في معصية، فلو أوصى بمال يصرف على الكنيسة، أو على من يشرب الخمر. أو غير ذلك. فلا تنفذ. قوله: **(بالبناء للفاعل والمفعول)** أي فيهما قراءتان سبعيتان. فعلى الأولى نائب الفاعل الجار والمجرور. وقال ابن مالك:

وقابل من ظرف أو من مصدر ... أو حرف جر بنيابة حرى

وعلى الثانية الفاعل ضمير يعود على الميت. قوله: **(وتقديم الوصية)** أي اللفظ، وإلا فأو لأحد الشيئين لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً. والمعنى وإرث ما ذكر، يحصل من بعد وصية إن كانت، أو دين إن كان. فإن اجتمعت الوصية والدين قدم الدين. قوله: **(للاهتمام بها)** أي وشأن الوارثة الشح بها. ومنازعة الموصى له بخلاف الدين. قوله: ﴿آبَاؤُكُمْ وأَبْنَاؤُكُمْ﴾ هذه الجملة معترضة بين قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ﴾ وقوله: ﴿فريضة من الله﴾. قوله: ﴿أَيُّهُمْ﴾ اسم استفهام مبتدأ و ﴿أَقْرَبُ﴾ خبره. ﴿وَلَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بأقرب، و ﴿نَفْعاً﴾ تمييز، والجملة في محل نصب سدت مسد مفعولي تدرون، والمعنى لا تدرون أقربية نفعهم لكم ويحتمل أنها اسم مفعول موصول اول لتدرون والمفعول الثاني محذوف، والمعنى لا تدرون هو أقرب لكم نفعاً الآباء والأبناء. قوله: **(في الدنيا)** أي كحسن القيام بالمصالح والإحسان إليه بعد موته، وقوله: **(والآخرة)** أي كالشفاعة أو **(في الدنيا والآخرة)** لما ورد أن أحد الوالدين أو الولدين إذا كان أرفع درجة من الآخر في الجنة، سأل أن يرفع إليه فيرفع الآخر بشفاعته. قوله: **(فظان)** إما بالرفع صفة لموصوف محذوف مبتدأ أي فريق ظان، أو بالجر مجرور بربب. وقوله: **(فيكون الأب أنفع)** أي في الواقع ونفس الأمر. قوله: **(وبالعكس)** أي وفريق ظان أن أباه أنفع فيعطيه الميراث، فيكون الابن أنفع.

قوله: ﴿فَرِيضَةً﴾ مفعول لفعل محذوف قدره بقوله: **(ففرض لكم الميراث)** وهو راجع لقوله: ﴿يُوصِيكُمْ﴾ فيحتمل أنه مصدر مؤكد لعامله من لفظه، ودرج على ذلك المفسر، أو من معناه تقدير يوصيكم فريضة، لأن الإيصاء معناه الأمر. قوله: **(أي لم يزل متصفاً بذلك)** دفع به ما قد يتوهم من كان الاتصاف بذلك في الزمن الماضي وانقطع، فأفاد أن صفات الله لا تتقيد بزمان فهي للاستمرار، وبعضهم يجعلها في صفات الله زائدة. قوله: ﴿وَلَكُمْ نُصْفُ﴾ هو أيضاً من جملة التفصيل لما أجمل في قوله أولاً ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون﴾. قوله: ﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ﴾ أي للزوجات، والمراد الجنس وقوله: **(ولد)** أي واحداً ومتعدد، ذكراً أو أنثى، فالزوج يأخذ النصف بشرط عدمي. قوله: **(أو من غيركم)** أي ولو من زنا، فإن ولد الزنا ينسب لأمه.

قوله: ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾ هذا مفهوم قوله: ﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾ صرح به لإفادة الحكم

أَوۡ دَيۡنٍۚ﴾ وولد الابن في ذلك كالولد إجماعاً ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ﴾ صفة والخبر ﴿كَلَٰلَةً﴾ أي لا والد له ولا ولد ﴿أَوِ ٱمۡرَأَةٞ﴾ تورث كلالة ﴿وَلَهُۥٓ﴾ أي للموروث كلالة ﴿أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ﴾ أي من أم وقرأ به ابن مسعود وغيره ﴿فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ﴾ مما ترك ﴿فَإِن كَانُوٓاْ﴾ أي الأخوة والأخوات من الأم ﴿أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ أي من واحد ﴿فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ﴾ يستوي فيه ذكرهم وأنثاهم ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ﴾ حال من ضمير يوصى أي غير مدخل الضرر على الورثة بأن يوصى بأكثر من الثلث ﴿وَصِيَّةٗ﴾ مصدر مؤكد ليوصيكم ﴿مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما دبره لخلقه من له الفرائض ﴿حَلِيمٞ﴾ (١٢) بتأخير العقوبة عمن خالفه وخصت السنة توريث من ذكر بمن ليس فيه مانع من قتل أو اختلاف دين أو رق ﴿تِلۡكَ﴾ الأحكام المذكورة من

فيه. قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ﴾ تقدم أنه متعلق بمحذوف تقديره وهذا الاستحقاق يكون بعد تنفيذ وصية. قوله: **(ولد الابن)** أي ذكراً كان ذلك الولد أو أنثى، فإن بنت الابن كابن الابن، وأما أولاد البنت ذكوراً أو إناثاً، فلا يحجب الزوج بهم عن نصفه ولذلك قال شاعرهم:

بنانا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد

وكلام المفسر في غاية الحسن حيث قال وولد الابن، ولم يقل كالخازن وولد الولد، لأنه يشمل أولاد البنات وهو غير صحيح. قوله: ﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ﴾ أي ذكر أو أنثى، واحد أو متعدد قوله: **(منهن أو من غيرهن)** المناسب تقديمه عند قوله: ﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ﴾ ليكون على منوال ما تقدم له في نظيره، وقوله: **(أو من غيرهن)** أي نسيب، فإن كان ابن زنا فلا يحجب الزوجة من الربع إلى الثمن، لأنه لا يلحق بأبيه ولا يرث منه، ومن لا يرث لا يحجب وارثاً. قوله: **(وولد الابن كالولد)** أي وأما أولاد البنات فليسوا مثلهم، لأنهم من ذوي الأرحام. قوله: ﴿يُورَثُ﴾ **(صفة)** أي ويصح أن يكون خبراً. وقوله: ﴿كَلَالَةً﴾ حال من الضمير في يورث. قوله: **(والخبر)** ﴿كَلَالَةً﴾ أي واسمها رجل، وهذا على أنها ناقصة، وأما على أنها تامة فرجل فاعل، ويورث صفته، وكلالة بحال. قوله: **(أي لا والد له ولا ولد)** هذا هو أرجح الأقوال في تفسير الكلالة. والحاصل أنه اختلف الناس في معنى الكلالة فقال جمهور اللغويين إنه الميت الذي لا ولد له ولا والد، وقيل الذي لا ولد له فقط، وقيل الذي لا ولد له فقط، وقيل هو من لا يرثه أب ولا أم، وعلى هذه الأقوال كلها، فالكلالة واقعة على الميت، وقيل الكلالة الورثة ما عدا الأبوين والولد، سمرا بذلك لأن الميت بذهاب طرفية تكلله الورثة، أي أحاطوا به من جميع نواحيه، ويؤيد القوال الذي مشى عليه المفسر، أن الآية نزلت في جابر رضي الله عنه، ولم يكن له يوم أنزلت أب ولا ابن، قوله: **(وقرأ به ابن مسعود وغيره)** أي قراءة شاذة، وإنما استدل بهذه القراءة، لأنها بمنزلة رواية الآحاد، ورواية الآحاد يستدل بها لأنها منقولة عن النبي ﷺ. قوله: **(أي من واحد)** أي لأن أو في الآية لأحد الشيئين، فإذا اجتمع ذكر وأنثى من ولد الأم كان لهما الثلث، وكذا إن زادوا عن ذلك، ويسقط الأخوة للأم بستة: الابن وابن الابن والبنت وبنت الابن والأب والجد. قوله: **(من ضمير يوصى)** أي هو عائد على الميت. قوله: **(أي غير مدخل الضرر)** أشار بذلك إلى أن مضار اسم فاعل. قوله: **(بأن يوصى بأكثر من الثلث)** هذا تصوير لإدخال الضرر، ويبطل ما زاد على الثلث إن لم يجزه الورثة. قوله:

أمر اليتامى وما بعده ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ شرائعه التي حدها لعباده ليعملوا بها ولا يعتدوها ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فيما حكم به ﴿يُدْخِلْهُ﴾ بالياء والنون التفاتا ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ﴾ بالوجهين ﴿نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ﴾ فيها ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ ذو إهانة وروعي في الضمائر في الآيتين لفظ من وفي خالدين معناها ﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ الزنا ﴿مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾ أي من رجالكم المسلمين ﴿فَإِن شَهِدُوا۟﴾ عليهن بها ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ احبسوهن ﴿فِى ٱلْبُيُوتِ﴾ وامنعوهن من مخالطة الناس ﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ﴾ أي ملائكته ﴿أَوْ﴾ إلى أن ﴿يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾﴾ طريقاً إلى الخروج منها أمروا بذلك أول الاسلام ثم جعل لهن سبيلاً بجلد البكر مائة وتغريبها ....

(من قتل) أي فلا يرث القاتل من تركة المقتول شيئاً كما في الحديث. قوله: (أو اختلاف دين) أي بالإسلام والكفر، فلا يرث المسلم الكافر، ولا العكس. قوله: (أورق) أي فلا يرث الرقيق من تركة الحر شيئاً ولا العكس. قوله: (وما بعده) أي من المواريث والوصايا. قوله: (التي حدها لعباده) أي بينها وفصلها. قوله: (بالياء والنون) أي فيهما قراءتان سبعيتان. وقوله: (التفاتاً) راجع للنون وهو التفات من الغيبة للتكلم. قوله: ﴿مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي من تحت قصورها. قوله: (بالوجهين) أي الياء والنون. قوله: ﴿خَالِداً فِيهَا﴾ المراد بالخلود طول المكث إن مات مسلماً وعلى حقيقته إن مات كافراً، وحكمة الإفراد في جانب العذاب أنه كما يعذب بالنار يعذب بالغربة وحكمة الجمع في جانب النعيم أنه كما ينعم بالجنة ينعم باجتماعه مع أحبابه فيها ويزورهم ويزورونه. قوله: (لفظ من) أي فأفرد في قوله: ﴿يُدْخِلْهُ﴾ في الموضعين، وفي قوله: ﴿وَلَهُ﴾. قوله: (وفي خالدين معناها) أي فجمع. قوله: ﴿وَاللَّاتِي﴾ الخ، جمع التي وهو اسم موصول مبتدأ. وقوله: ﴿يَأْتِينَ الفَاحِشَةَ﴾ صلته. وقوله: ﴿فَاسْتَشْهِدُوا﴾ خبره وقرن بالفاء لأن المبتدأ أشبه الشرط في العموم، لأن المبتدأ إذا وقع اسماً موصولاً، ووصل بجملة فعلية أشبه الشرط فيقرن خبره بالفاء، خصوصاً إذا أخبر عنه بجملة طلبية. قوله: ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ بيان للاتي. قوله: ﴿أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾ أي عدولاً، والعدل هو الذكر الحر المكلف الذي لم يرتكب كبيرة ولا صغيرة خسة، ولا ما يخل بالمروءة، وهذه الشهادة على رؤية الزنا وأما الإقرار فيكفي اثنان عليه، والخطاب في قوله: ﴿فَاسْتَشْهِدُوا﴾ لولاة الأمور كالقضاة والحكام. قوله: (أي من رجالكم المسلمين) أي الأحرار، وأما النساء والأرقاء والصبيان فلا تقبل شهادتهم، ويشترط في الشهادة أن تكون متحدة وقتاً ورؤية ومكاناً، فلو اختلف شيء من ذلك حد الشهود. قوله: (وامنعوهن من مخالطة الناس) أي الرجال، وهو عطف علة على معلول. قوله: (أي ملائكته) دفع بذلك ما يقال إن التوفي هو الموت ففيه إسناد الشيء نفسه.

قوله: ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ﴾ أو حرف عطف، ويجعل معطوف على يتوفى، فهو داخل في الغاية، وأشار المفسر لذلك بقوله: (إلى أن) ﴿يَجْعَلَ﴾ ويصح أن تكون أو بمعنى إلا كما في قوله لألزمنك أو تقضيني حقي، فهو مخرج من قوله: ﴿حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ﴾ فالمعنى إلا أن يجعل الله لهن سبيلاً، فلا تمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت. قوله: (ثم جعل لهن سبيلاً) أي بنزول آية النور، واختلف في هذه الآية،

عاماً ورجم المحصنة وفي الحديث لما بين الحد قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً رواه مسلم ﴿وَٱلَّذَانِ﴾ بتخفيف النون وتشديدها ﴿يَـأْتِيَانِهَا﴾ أي الفاحشة الزنا أو اللواط ﴿مِنكُمْ﴾ أي الرجال ﴿فَـَٔاذُوهُمَا﴾ بالسب والضرب بالنعال ﴿فَإِن تَابَا﴾ منها ﴿وَأَصْلَحَا﴾ العمل ﴿فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَآ﴾ ولا تؤذوهما ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا﴾ على من تاب ﴿رَّحِيمًا ۝١٦﴾ به وهذا منسوخ بالحد إن أريد بها الزنا وكذا إن أريد بها اللواط عند الشافعي لكن المفعول به لا يرجم عنده وإن كان محصناً بل يجلد ويغرب وإرادة اللواط أظهر بدليل تثنية الضمير والأول أراد الزاني والزانية ويرده تبيينهما بمن المتصلة بضمير الرجال واشتراكهما في الأذى والتوبة والإعراض وهو مخصوص بالرجال لما تقدم في النساء من الحبس ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي التي كتب على نفسه قبولها بفضله ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ﴾ المعصية ﴿بِجَهَـٰلَةٍ﴾ حال أي جاهلين إذا عصوا ربهم ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن﴾ زمن ﴿قَرِيبٍ﴾ قبل أن يغرغروا ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يقبل توبتهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾

قيل منسوخة بآية النور أو مفصلة لها وهو الحق، وقد مشى عليه المفسر. قوله: (**بجلد البكر مائة وتغريبها عاماً**) هذا هو مذهب الإمام الشافعي، وعند مالك التغريب خاص بالذكر، وأما الأنثى فلا تغرب. قوله: (**رواه مسلم**) وتمامه الثيب ترجم، والبكر تجلد. قوله: (**بتخفيف النون وتشديدها**) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (**أو اللواط**) أو لتنويع الخلاف في تفسير الفاحشة هنا، وسيرجح الثاني بقوله: وإرادة اللواط أظهر الخ، ويصح أن يراد بالفاحشة بالزنا واللواط معاً الواقعان من الرجال، وأما الزنا من النساء فقد تقدم حكمه.

قوله: ﴿**فَآذُوهُمَا**﴾ أي ما لم يتوبا. قوله: (**وهذا منسوخ بالحد**) أي فالبكر يجلد مائة، ويغرب عاماً، والمحصن يرجم إلى أن يموت. قوله: (**عند الشافعي**) أي وعند مالك يرجم اللائط مطلقاً، فاعلاً أو مفعولاً أحصنا أو لم يحصنا، حيث كانا بالغين مختارين، وعند أبي حنيفة حده، رميه من شاهق أو رمي حائط عليه. قوله: (**لكن المفعول به الخ**) أي وأما الفاعل عنده فكالزاني، إن كان محصناً يرجم، وإن كان غير محصن جلد مائة وغرب عاماً. قوله: (**بل يجلد ويغرب**) أي إن كان بالغاً مختاراً. قوله: (**بدليل تثنية الضمير**) أي في قوله: ﴿**واللّذانِ**﴾ وقد يقال إن فيه تغليب الذكر على الأنثى. قوله: (**وهو مخصوص**) أي ما ذكر من (**الأذى والتوبة والإعراض**).

قوله: ﴿**إنّما التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ**﴾ هذا حسن ترتيب، حيث ذكر الذنب ثم أردفه بذكر التوبة. وقوله: ﴿**عَلَى اللَّهِ**﴾ أي التزامها تفضلاً منه وإحساناً، لأن وعد الكريم لا يتخلف على حد كتب ربكم على نفسه الرحمة. قوله: (**المعصية**) أي ولو كانت كفراً. قوله: (**أي جاهلين**) إنما قرن العصيان بالجهل، لأن العصيان لا يتأتى مع العلم، بل حين وقوع المعصية يسلب العلم، لأن أشدّ الناس خشية العلماء. قال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾. قوله: (**قبل أن يغرغروا**) أي قبل أن تبلغ الروح الحلقوم، وإنما كان الزمن الذي بين وقوع المعصية والغرغرة قريباً، لأن كل ما هو آت قريب، والعمر وإن طال قليل، وفيه إشارة إلى أنه ينبغي للإنسان أن يجدد التوبة في كل لحظة، لأن الموت متوقع في كل لحظة، لأن المتوقع

بخلقه ﴿حَكِيمًا ۝١٧﴾ في صنعه بهم ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الذنوب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ وأخذ في النزع ﴿قَالَ﴾ عند مشاهدة ماهو فيه ﴿إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ﴾ فلا ينفعه ذلك ولا يقبل منه ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ إذا تابوا في الآخرة عند معاينة العذاب لا تقبل منهم ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا﴾ أعددنا ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٨﴾ مؤلماً ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ﴾ أي ذاتهن ﴿كَرْهًا﴾ بالفتح والضم لغتان أي مكرهيهن على ذلك كانوا في الجاهلية يرثون نساء أقربائهم فإن شاؤوا تزوجوها بلا صداق أو زوجوها وأخذوا صداقها أو عضلوها حتى تفتدي بما ورثته أو تموت فيرثوها فنهوا عن ذلك ﴿وَلَا﴾ أن ﴿تَعْضُلُوهُنَّ﴾ أي تمنعوا أزواجكم

في كل لمحة، ولذا قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: ما خرج مني نفس وانتظرت عوده، وورد أنه ما من نفس يخرج من ابن آدم إلا بإذن من الله في العودة ثانياً وعمر جديد.

قوله: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ﴾ أي قبولها. قوله: (وأخذ في النزع) أي بلغت الروح الحلقوم وغرغر الميت، لأن الإنسان عند الغرغرة يرى مقعده في الجنة أو في النار، فيظهر عليه علامة البشرى أو الحزن، فلا ينفعه الندم إذ ذاك. قوله: ﴿وَلَا الَّذِينَ﴾ معطوف على قوله: ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ المعنى ليست التوبة للذين يعملون السيئات الخ، وليست التوبة للذين يموتون وهم كفار فهو محل جر. قوله: ﴿أُولَئِكَ اعْتَدْنَا﴾ أصله أعددنا قلبت الدال الأولى تاء، وقد أشار لذلك المفسر بقوله (أعددنا) والمعنى أحضرنا وهيأنا.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ الآية الخ، سبب نزولها أنه كان في الجاهلية وصدر الإسلام، إذا مات الرجل وترك امرأة، جاء ابنه من غيرها أو قريبه فرمى عليها ثوبه فيخير فيها بعد ذلك، فإما أن يتزوجها بلا مهر، أو يزوجها لغيره ويأخذ مهرها، أو يعضلها حتى تفتدي منه، أو تموت ويأخذ ميراثها، ثم لما توفي أبو قيس، وترك امرأته كبيشة بنت معن الأنصارية، قام ابن له قيل اسمه قيس، فطرح عليها ثوبه ثم تركها، فلم يقربها ولم ينفق عليها، فأتت كبيشة رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله إن أبا قيس توفي وأخذني ابنه، فلم ينفق علي ولم يخل سبيلي، فقال امكثي في بيتك حتى يأتي أمر الله فيك، فنزلت هذه الآية. قوله: (أي ذاتهن) دفع بذلك ما يقال إن ميراث الرجل من المرأة قد تقدم، وهو إما النصف أو الربع، وليس بمنهي عنه. قوله: (لغتان) المناسب قراءتان وهما سبعيتان. قوله: (أي مكرهين) بكسر الراء اسم فاعل، ومفعول محذوف تقديره مكرهين لهن على ذلك. قوله: (كانوا في الجاهلية) أي وصدر الإسلام، وهو إشارة لسبب نزول الآية، وقد أجمل فيه. قوله: (بلا صداق) أي اتكالاً على الصداق الذي دفعه أبوه.

قوله: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ معطوف على قوله: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ الخ، والمعنى لا يحل لكم ميراث النساء ولا عضلهن، وهو خطاب للأزواج. كان الرجل يكره المرأة، ولها عليه المهر، فيسيء عشرتها ويضارها لتفتدي منه. قوله: ﴿أَيْ تَمْنَعُوا أَزْوَاجَكُمْ﴾ أشار بذلك إلى أن الضمير عائد على النساء، لا بالمعنى الأول، فإن المراد بالنساء فيما تقدم نساء غيركم، وفيما هنا نساؤكم، ففي الكلام استخدام قوله:

عن نكاح غيركم بإمساكهن ولا رغبة لكم فيهن ضراراً ﴿لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من المهر ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ﴾ بفتح الباء وكسرها أي بينت أو هي بينة أي زنا أو نشوز فلكم أن تضاروهن حتى يفتدين منكم ويختلعن ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ أي بالاجمال في القول والنفقة والمبيت ﴿فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ﴾ فاصبروا ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ (١٩) ولعله يجعل فيهن ذلك بأن يرزقكم منهن ولداً صالحاً ﴿وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ﴾ أي أخذها بدلها بأن طلقتموها ﴿وَ﴾ قد ﴿ءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ﴾ أي الزوجات ﴿قِنطَارٗا﴾ مالاً كثيراً صداقاً ﴿فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا﴾ ظلماً ﴿وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾ (٢٠) بيناً ونصبهما على الحال والاستفهام للتوبيخ وللإنكار في ﴿وَكَيۡفَ تَأۡخُذُونَهُۥ﴾ أي بأي وجه ﴿وَقَدۡ أَفۡضَىٰ﴾ وصل ﴿بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ﴾ بالجماع المقرر للمهر ﴿وَأَخَذۡنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا﴾ عهداً ﴿غَلِيظٗا﴾ (٢١) شديداً وهو ما

﴿لِتَذْهَبُوا﴾ علة لقوله: ﴿وَلاَ تَعضَلُوهُنَّ﴾. قوله: ﴿بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ أي ومن باب أولى أخذ الجميع.

قوله: ﴿إِلاَّ أَنْ يأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ﴾ هذا استثناء من عموم الأحوال، والمعنى لا يحل عضل النساء لأجل أخذ بعض ما آتيتموهن في حال من الأحوال، إلا في حال إتيانهن بفاحشة مبينة. قوله: **(بفتح الياء وكسرها)** أي فهم قراءتان سبعيتان. قوله: **(أو نشوز)** أي خروج عن طاعة الزوج. قوله: **(فلكم أن تضاروهن)** إن قلت: إن المضاررة لا تجوز فكيف ذلك؟ أجيب بأن هذا منسوخ، أو بأن المراد بها الوعظ والهجر والضرب على طبق ما يأتي في قوله تعالى: ﴿واللاتي تخافون نشوزهن﴾ الآيات، وتسميته حينئذ مضاررة مشاكلة نظير (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه). قوله: **(وعاشروهن)** قيل معطوف على قوله فيما تقدم ﴿وأتوا النساء صدقاتهن نحلة﴾ وقيل معطوف على قوله: ﴿**ولا تعضلوهن**﴾ وعليه فالعطف للتوكيد، والمعنى لا تضاروهن وعاشروهن بالمعروف، بأن تطيبوا لهن القول والفعل، ومن ذلك تعليمهن مصالح دينهن ودنياهن. قوله: **(الإجمال في القول)** أي بالقول الجميل الخ.

﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ أي طبعاً من غير ظهور ما يوجب الكراهة منهن. قوله: **(فاصبروا)** هذا هو جواب الشرط، وقوله: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً﴾ علة له. قوله: **(ولداً صالحاً)** أي ذكراً أو أنثى، ففي الحديث: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» وبالجملة فالإحسان إلى النساء من مكارم الأخلاق، وإن وقعت منهن الإساءة، لما في الحديث «يغلبن كريماً ويغلبهن لئيم، فأحب أن أكون كريماً مغلوباً، ولا أحب أن أكون لئيماً غالباً». قوله: **(بأن طلقتموها)** أي بعد الدخول، وأما قبله فليس لها عنده إلا نصف المهر. قوله: **(مالاً كثيراً)** أشار بذلك إلى أنه ليس المراد بالقنطار التحديد. قوله: **(ظلماً)** أشار بذلك إلى أنه أطلق البهتان وهو في الأصل الكذب، وأراد به الظلم مجازاً. قوله: **(والاستفهام للتوبيخ والإنكار في)** ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ﴾ أي وفيما قبله. قوله: **(بالجماع)** هكذا فسره به الشافعي، وقال مالك بالخلوة التي يتأتى فيها الوطء. قوله: **(بالجماع)** هكذا فسره به الشافعي، وقال مالك بالخلوة التي يتأتى فيها الوطء. قوله: **(المقرر للمهر)** أي وهو الواقع من بالغ في مطيقة، وقال الشافعي بل ولو لم تكن مطيقة. قوله: ﴿وَأَخَذْنَ﴾ أي النساء، والآخذ في الحقيقة هو الله،

أمر الله به من إمساكهن بمعروف أو تسريحهن باحسان ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا﴾ بمعنى من ﴿نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا﴾ لكن ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾ من فعلكم ذلك فإنه معفو عنه ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي نكاحهن ﴿كَانَ فَٰحِشَةً﴾ قبيحاً ﴿وَمَقْتًا﴾ سبباً للمقت من الله وهو أشد البغض ﴿وَسَآءَ﴾ بئس ﴿سَبِيلًا﴾ ﴿٢٢﴾ طريقاً ذلك ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ أن تنكحوهن وشملت الجدات من قبل الأب أو الأم ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ وشملت بنات الأولاد وإن سفلن ﴿وَأَخَوَٰتُكُمْ﴾ من جهة الأب أو الأم ﴿وَعَمَّٰتُكُمْ﴾ أي أخوات آبائكم وأجدادكم ﴿وَخَٰلَٰتُكُمْ﴾ أي أخوات أمهاتكم وجداتكم ﴿وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ

وإنما أسند للنساء مجازاً عقلياً من الإسناد للسبب.

قوله: ﴿**وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ**﴾ شروع منه سبحانه وتعالى في المحرمات من النساء على الرجال، وابتدأ بتحريم زوجة الأب اعتناء بها، فإن الجاهلية كانوا يفعلون ذلك كثيراً، ولما كان ذلك الأمر قبيحاً شرعاً وطبعاً، أفرده بالنهي ولم يدرجه في جملة المحرمات الآتية. قوله: ﴿**مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ**﴾ المراد بالنكاح العقد، وبالآباء الأصول وإن علوا، فمتى عقد أحد من أصولك على امرأة، فلا يحل لك ولا لأحد من ذريتك تزوجها بحال، وهذه إحدى المحرمات بالصهر، وهن أربع، والباقي زوجة الابن، وأم الزوجة، وبنت الزوجة، وكل ذلك يحصل التحريم فيه بمجرد العقد، إلا بنت الزوجة فلا يحرمها إلا الدخول بأمها، والمراد بالدخول عند مالك التلذذ مطلقاً وإن لم تكن خلوة، وعند الشافعي لا بد من الوطء، وأما جارية الأب فلا تحرم على الابن، إلا إن تلذذ بها الأب، وسيأتي في الآية تحريم باقي الأصهار. قوله: ﴿**مِنَ النِّسَاءِ**﴾ بيان لما التي بمعنى من، وعبر بما التي لغير العاقل غالباً، إشارة إلى أن النساء ناقصات عقل. قوله: ﴿**إِلَّا**﴾ (**لكن**) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع، لأن النهي مستقبل، والاستثناء ماض، ولا يستثنى الماضي من المستقبل، وفي الحقيقة الاستثناء من قوله بعد ﴿**إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً**﴾ الخ، وحكمة هذا الاستثناء دفع توهم أن من فعله، ولو قيل بالتحريم يحصل له هذا الوعيد الشديد.

قوله: ﴿**إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً**﴾ علة لقوله: ﴿**وَلَا تَنْكِحُوا**﴾ وكان إمّا صلة، أو مجردة عن معنى الزمان الماضي، فهي بمعنى صار. قوله: ﴿**وَسَاءَ سَبِيلًا**﴾ مقول لقول محذوف معطوف على فاحشة، أي ومقولاً فيه ساء سبيلاً، ويحتمل أنه كلام مستأنف لإنشاء الذم. قوله: (**ذلك**) قدره إشارة إلى المخصوص بالذم، والمعنى أن من تزوج بزوجة الأب بعد التحريم، ارتكب أمراً قبيحاً، واستحق أشد البغض من الله، وسلك طريقاً قبيحاً خبيثاً.

قوله: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ**﴾ شروع في ذكر المحرمات بالنسب، وأمهات جمع أم، فالهاء زائدة في الجمع، للفرق بين جمع من يعقل ومن لا يعقل، وهذا على أن المفرد أم، وإما على أن المفرد أمهة فليست زائدة، وقد يتعاكس على الأول، فيقال في العقلاء أمات، وفي غيرهم أمهات. قوله: (**تنكحوهن**) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، لأن الذوات لا تحرم، وإنما التحريم متعلق بالفعل. قوله: (**وشملت بنات الأولاد**) أي ذكوراً وإناثاً. قوله: ﴿**وأخوَاتُكُمْ**﴾ جمع أخت، يقال في الأنثى أخت، وفي الذكر أخ، وجمع الأول أخوات، والثاني إخوة. قوله: (**من جهة الأب أو الأم**) أي ومن باب أولى الشقيقات. قوله: (**أي أخوات آبائكم**) أي مطلقاً شقيقات أو لأب أو لأم. قوله: (**وأجدادكم**) أي وإن علوا. قوله: (**أي أخوات أمهاتكم**) أي مطلقاً شقيقات أو لأب أو لأم. قوله: (**وجداتكم**) أي وإن

﴿وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾ ويدخل فيهن أولادهم ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾ قبل استكمال الحولين خمس رضعات كما بينه الحديث ﴿وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ ويلحق بذلك بالسنة البنات منها وهن من أرضعتهن موطوأته والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت منها لحديث يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب رواه البخاري ومسلم ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ﴾ جمع ربيبة وهي بنت الزوجة من غيره ﴿ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم﴾ تربونها صفة موافقة للغالب فلا مفهوم لها ﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ أي جامعتموهن ﴿فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ في نكاح بناتهن إذا فارقتموهن ﴿وَحَلَٰٓئِلُ﴾ أزواج ﴿أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ بخلاف من تبنيتموهم فلكم نكاح حلائلهم ﴿وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ﴾ من نسب أو رضاع بالنكاح ويلحق بها بالسنة الجمع بينها وبين عمتها أو خالتها ويجوز نكاح كل واحدة على الانفراد وملكهما معاً ويطأ

علون. قوله: (ويدخل فيهن بنات أولادهن) أي الأخوات ذكوراً وإناثاً وإن سفلن، وفيه تغليب الأخت على الأخ لقربها، وفي نسخة أولادهم بميم الجمع، ويكون عائداً على الأخ، وغلبه على الأخت تشريفاً.

قوله: ﴿وأُمَّهَاتُكُمْ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾ شروع في ذكر المحرمات بالرضاع. قوله: (قبل استكمال الحولين) ظاهره ولو كان مستغنياً عن اللبن، ولكن يقيد عند مالك بما إذا لم يستغن عن اللبن داخل الحولين، وإلا فلا يحرم كبعد الحولين. قوله: (خمس رضعات) أي متفرقات، وهذا مذهب الإمام الشافعي وابن حنبل، وأما مذهب مالك وأبي حنيفة فالمصة الواحدة كافية في التحريم. قوله: (كما بينه الحديث) أي الصحيح، لأن من قواعد الشافعي كلما صح الحديث كان مذهباً له، وأما مالك فكذلك ما لم يعارضه عمل أهل المدينة وإجماعهم، وإلا حمل الحديث عنده على أنه منسوخ، فعمل أهل المدينة حجة عند مالك دون غيره.

قوله: ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ﴾ أي وسواء كانت تلك الأخت بنتاً لمن أرضعتك أولاً، كما إذا رضعت امرأة ابن عمر وبنت زيد فإنها تصير أختاً له من الرضاعة. قوله: (ويلحق بذلك) أي بما ذكر من الأمهات والأخوات من الرضاعة. قوله: (من أرضعتهن موطوأته) ظاهره ولو بزنا، وهو كذلك عند مالك، وأما عند الشافعي فيقيد الوطء بكونه من نكاح أو شبهته، أو ملك أو شبهته، وأما بالزنا فلا يحرم عنده. قوله: ﴿اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ جمع حجر وهو في الأصل مقدم الثوب، أطلق وأريد به كونهم في تربيته. قوله: (موافقه للغالب) أي فإن الغالب عدم استغناء الربيبة عن أمها فهي في حجر زوجها. قوله: (أي جامعتموهن) هذا مذهب الشافعي، وعند مالك يكفي مطلق التلذذ في التحريم. قوله: ﴿الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ﴾ نزلت رداً لقول بعض المنافقين حين تزوج النبي ﷺ حليلة زيد وكان متبنياً له، إن محمداً تزوج حليلة ابنه. قوله: ﴿بَيْنَ الأُخْتَيْنِ﴾ أي مطلقاً شقيقتين أو لأب أو لأم. قوله: (الجمع بينها وبين عمتها الخ) أي وضابط ذلك أن يقال كل اثنتين لو قدرت آية ذكر ما حرم فإنه يحرم جمعهما، وأما لو كان التقدير في أحد الجانبين يحرم وفي الآخر لا يحرم، فإنه لا يحرم، كجمع المرأة وأم زوجها أو بنته من غيرها، أو المرأة وجاريتها، كما قال الأجهوري:

وَجَمْعُ مَرْأَةٍ وأُمِّ البَعْلِ ... أَوْ بِنْتُهُ أَوْ رِقُّهَا ذُو حَلِّ

واحدة ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾ في الجاهلية من نكاحكم بعض ما ذكر فلا جناح عليكم فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لما سلف منكم قبل النهي ﴿رَّحِيمًا ۝٢٣﴾ بكم في ذلك ﴿وَ﴾ حرمت عليكم ﴿ٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾ أي ذوات الأزواج ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ أن تنكحوهن قبل مفارقة أزواجهن حرائر مسلمات كن أو لا ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ من الإماء بالسبي فلكم وطؤهن وإن كان لهن أزواج في دار الحرب بعد الاستبراء ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ نصب على المصدر أي كتب ذلك ﴿عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول، ﴿لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ أي سوى ما حرم عليكم من النساء ﴿أَن تَبْتَغُوا۟﴾ تطلبوا النساء ﴿بِأَمْوَٰلِكُم﴾ بصداق أو ثمن ﴿مُّحْصِنِينَ﴾ متزوجين ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ زانين ﴿فَمَا﴾ أي من ﴿ٱسْتَمْتَعْتُم﴾ تمتعتم ﴿بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾ ممن تزوجتم بالوطء ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن التي

قوله: (ويطأ واحدة) أي ويحرم الأخرى. قوله: ﴿إِلَّا﴾ (لكن) ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾ هذا استثناء منقطع كالأول، ولم يقل هنا ﴿إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً﴾ لعله بالقياس على ما تقدم. قوله: (بعض ما ذكر) أي وهو نكاح الأختين. قوله: ﴿والمُحْصَنَاتُ﴾ معطوف على قوله: ﴿أُمَّهَاتُكُمْ﴾ فهو مندرج في سلك المحرمات، ولذا قدر المفسر قوله حرمت عليكم، ﴿وَالمُحْصَنَاتُ﴾ بفتح الصاد هنا باتفاق السبعة، وأما في غير هذا الموضوع فقرأ الكسائي بالكسر، فعلى الفتح هو اسم مفعول، وفاعل الإحصان إما الأزواج أو الأولياء أو الله، وعلى الكسر اسم فاعل بمعنى إنهن أحصن أنفسهن، وأعلم أن الإحصان يطلق على التزوج كما في هذه الآية، وعلى الحرية كما في قوله: ﴿ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات﴾ وعلى الإسلام كما في قوله: ﴿فإذا أحصن﴾ وعلى العفة كما في قوله: ﴿محصنات غير مسافحات﴾. قوله: (أن تنكحوهن) أي تعقدوا عليهن في العصمة وما ألحق بها كالعدة، وقد أشار لذلك بقوله: (قبل مفارقة أزواجهن). قوله: (أو لا) أي بل كن إماء أو كتابيات.

قوله: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ الاستثناء متصل، ويشير له قول المفسر وإن كان لهن أزواج، ولكن فيه شائبة انقطاع من وجهين: الأول أن المستثنى الوطء، والمستثنى منه العقد، الثاني أن المستثنى منه المتزوجات بالفعل، والمستثنى من كن متزوجات، فإنه بمجرد السبي تنقطع عصمة الكافر. قوله: (نصب على المصدر) أي المؤكد لعامله المعنوي المستفاد من قوله حرمت، فإن التحريم والفرض والكتب بمعنى واحد. قوله: (بالبناء للفاعل والمفعول) أي فهما قراءتان سبعيتان، والفاعل هو الله، وحذف للعلم به. قوله: ﴿مَا وَرَاءَ ذٰلِكُمْ﴾ أي غير ما ذكر لكم، وهذا عام مخصوص بغير ما حرم بالسنة كباقي المحرمات من الرضاع، والجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها، والملاعنة على ملاعنها، والمعتدة، فقوله: (أي سوء ما حرم عليكم من النساء) أي كتاباً وسنة.

قوله: ﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾ علة لقوله: ﴿وأُحِلَّ لَكُمْ﴾ أي أحل لكم لأجل أن تبتغوا. قوله: (بصداق) أي بالتزوج، وقوله: (أو ثمن) أي بالملك. قوله: (متزوجين) أي أو متملكين بدليل قوله: (أو ثمن). وقوله: ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ حال أخرى، وسمى الزنا سفاحاً، لأن الزانيين لا يقصدان إلا صبّ الماء، ولا يقصدان نسلاً، فإن الأصل في السفح الصب. قوله: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ﴾ أشار المفسر بقوله: (أي من)

فرضتم لهن ﴿ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم ﴾ أنتم وهن ﴿ بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ﴾ من حطها أو بعضها أو زيادة عليها ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا ﴾ بخلقه ﴿ حَكِيمًا ﴾ (٢٤) فيما دبره لهم ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا ﴾ أي غنى ﴿ أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ﴾ الحرائر ﴿ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ هو جري على الغالب فلا مفهوم له ﴿ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم ﴾ ينكح ﴿ مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ﴾ فاكتفوا بظاهره وكلوا السرائر إليه فإنه العالم بتفصيلها ورب أمة تفضل الحرة فيه وهذا تأنيس بنكاح الإماء ﴿ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ أي أنتم وهن سواء في الدين فلا تستنكفوا من نكاحهن ﴿ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ ﴾ مواليهن ﴿ وَءَاتُوهُنَّ ﴾ أعطوهن ﴿ أُجُورَهُنَّ ﴾ مهورهن ﴿ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ من غير مطل

إلى أن ما واقعة على من يعقل وهن الزوجات، والمراد الزوجات اللاتي تمتعتم به منهن، فالآية واردة في النكاح الصحيح، فهو بمعنى قوله تعالى: ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة﴾ الآية، وكرره لتتميم حكم الحل، وقيل إن الآية وردت في نكاح المتعة، وكان في صدر الإسلام حلالاً، فكان الرجل ينكح المرأة وقتاً معلوماً ثم يسرحها، وقد نسخ هذا، فعلى هذا الآية منسوخة. قوله: (بالوطء) أي ومقدماته. قوله: (مهورهن) سمى المهر أجراً لأنه في مقابلة الاستمتاع لا الذات. قوله: (فرضتم لهن) أشار بذلك إلى أن فريضة مفعول لمحذوف وهو متصل بما قبله، فإن لم يكن فرض لها شيئاً وقد دخل بها، فإنه يلزمه مهر مثلها. قوله: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أي ولا عليهن. قوله: (أنتم وهن) أي إن كن رشيدات، أو أولياؤهن إن كن سفيهات. قوله: (من حطها الخ) بيان لما، والكلام موزع، والمعنى فلا جناح عليكم فيما تراضيتم به من الحط، ولا جناح عليهن فيما تراضين من أخذ الزيادة.

قوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ﴾ من شرطية أو موصولة، ويستطع إما فعل الشرط أو صلة الموصول، وقوله: ﴿وَمِنْكُمْ﴾ أي الأحرار وهو شروع في بيان حكم نكاح الإماء للأحرار، فأفاد أنه لا يجوز للحر أن ينكح الأمة إلا بشروط ثلاثة: أن لا يجد للحرائر طولاً، وأن تكون تلك الأمة مؤمنة، وأن يخشى على نفسه العنت، وذلك الحكم يخصص ما تقدم في قوله: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾. وقوله: ﴿وأحل لكم ما وراء ذلكم﴾ وعلة حرمة نكاح الأمة لئلا يصير الولد رقيقاً لسيد الأمة، فإن كان لا يولد له أو لها أو كان ولده يعتق على سيدها مثل أمة الجد، فإنه يجوز له تزوج الأمة بشرط كونها مؤمنة.

قوله: ﴿أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول لقوله طولاً على حد، ﴿أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً﴾. قوله: (فلا مفهوم له) أي فإذا وجد طولاً لحرة كتابية، فلا يجوز له أن يتزوج بالأمة. قوله: ﴿فَمِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ إما جواب الشرط أو خبر المبتدأ، وقدر المفسر العامل مؤخراً لإفادة الحصر. قوله: ﴿مِنْ فَتَيَاتِكُمْ﴾ جمع فتاة وهي الشابة من النساء. قوله: (تفضل الحرة فيه) أي الإيمان بأن تكون من كبار الأولياء وأرباب الأسرار مثلاً. قوله: ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ أي من جنس بعض في الدين والنسب، كقول علي كرّم الله وجهه بيت شعر من البسيط:

النَّاسُ مِنْ جِهَةِ التَّمْثِيلِ أَكْفَاءُ ... أَبُوهُمُ آدَمُ وَالأُمُّ حَوَّاءُ

قوله: (من غير مطل) أي عدم أداء مع القدرة عليه. قوله: (حال) أي من قوله: ﴿فَانْكَحُوهُنَّ﴾

ونقص ﴿مُحْصَنَٰتٍ﴾ عفائف حال ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾ زانيات جهراً ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾ أخلاء يزنون بهن سراً ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ زوجن وفي قراءة بالبناء للفاعل تزوجن ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ﴾ زنا ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ الحرائر الأبكار إذا زنين ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ الحد فيجلدن خمسين ويغربن نصف سنة ويقاس عليهن العبيد ولم يجعل الإحصان شرطاً لوجوب الحد بل لإفادة أنه لا رجم عليهن أصلاً ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي نكاح المملوكات عند عدم الطول ﴿لِمَنْ خَشِىَ﴾ خاف ﴿ٱلْعَنَتَ﴾ الزنا وأصله المشقة سمي به الزنا لأنه سببها بالحد في الدنيا والعقوبة في الآخرة ﴿مِنكُمْ﴾ بخلاف من لا يخافه من الأحرار فلا يحل له نكاحها وكذا من استطاع طول حرة وعليه الشافعي وخرج بقوله من فتياتكم المؤمنات الكافرات فلا يحل له نكاحها ولو عدم وخاف ﴿وَأَن تَصْبِرُوا۟﴾ عن نكاح المملوكات ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لئلا يصير الولد رقيقاً ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ بالتوسعة في ذلك ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ شرائع دينكم ومصالح أمركم ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ﴾ طرائق ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ من الأنبياء في التحليل والتحريم فتتبعوهم ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ يرجع بكم

أي حال كونهن عفائف عن الزنا، وهذا شرط كمال على المعتمد. قوله: ﴿غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾ حال مؤكدة. قوله: ﴿وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ جمع خدن بالكسر وهو الصاحب والخليل، وإنما ذكره بعده لأنه كان في الجاهلية الزنا قسمان: جهراً وسراً، فكان الأكابر منهم يحرمون القسم الأول ويحلون القسم الثاني. قوله: **(وفي قراءة بالبناء للفاعل)** أي فهما قراءتان سبعيتان، والمعنى على هذه القراءة أحصن أنفسهن.

قوله: ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ﴾ شرط في الشرط، وقوله: ﴿فَعَلَيْهِنَّ﴾ الخ، جواب الثاني، والثاني وجوابه جواب الأول على حد: إن جئتني فإن لم أكرمك فعبدي حر. قوله: **(الأكابر)** إنما قيدبذلكلأن حد غير البكر من الأحرار الرجم وهو لا ينتصف. قوله: **(ويغرّبن نصف سنة)** هذا مذهب الإمام الشافعي، وأما عند مالك فلا تغريب على الرقيق، ذكراً أو أنثى. قوله: **(ولم يجعل الإحصان الخ)** إنما احتاج للسؤال والجواب، لأنه فسر الإحصان بالتزوج، وإلا فلو فسره بالإسلام كما فعل غيره لما احتاج لذلك كله. قوله: **(وأصله المشقة)** أي أصله الثاني، وإلا فأصله الأول الكسر بعد الجبر، ثم نقل لكل مشقة تحصل للإنسان. قوله: **(والعقوبة في الآخرة)** أي إن لم يقم عليه الحد في الدنيا على المعتمد من أن الحدود جوابر. قوله: **(فلا يحل له نكاحها)** محل ذلكإن لم يخف العنت في أمة معينة ولم يجد ما يكفه عنها من الحرائر، فعند مالك يجوز له نكاحها لأنه عادم للحرائر حكماً. قوله: **(وعليه الشافعي)** أي ومالك وأحمد، وقال أبو حنيفة بجواز نكاح الأمة لمن ليس تحته حرة بالفعل، ولو كان واجداً لمهرها، وخالف في اشتراط إسلام الأمة. قوله: **(ولو عدم)** أي الطول وخاف العنت.

قوله: ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أي فالصبر أجمل حيث أمكن التحيل على ذلك لقوله في الحديث: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»، ولقوله تعالى: ﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله﴾. قوله: **(بالتوسعة في ذلك)** أي في نكاح الأمة. قوله: ﴿لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ أي يفصل ويظهر. قوله: **(فتتبعوهم)** أي على منوال شرعكم. قوله:

عن معصيته التي كنتم عليها إلى طاعته ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بكم ﴿حَكِيمٌ ۝٢٦﴾ فيما دبره لكم ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ كرره ليبني عليه ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ اليهود والنصارى أو المجوس أو الزناة ﴿أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ۝٢٧﴾ تعدلوا عن الحق بارتكاب ما حرم عليكم فتكونوا مثلهم ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ يسهل عليكم الشرع ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ۝٢٨﴾ لا يصبر عن النساء والشهوات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ بالحرام في الشرع كالربا والغصب ﴿إِلَّآ﴾ لكن ﴿أَن تَكُونَ﴾ تقع ﴿تِجَٰرَةً﴾ وفي قراءة بالنصب أي تكون الأموال أموال تجارة صادرة ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ وطيب نفس فلكم أن تأكلوها ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ بارتكاب ما يؤدي إلى هلاكها أياً كان في الدنيا أو الآخرة بقرينة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝٢٩﴾ في

﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ أي يقبل توبتكم إذا تبتم. قوله: **(عن معصيته)** أي اللغوية، وإلا فقبل التشريع لم تكن معصية.

قوله: **﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾** أي يحب ذلك ويرضاه، وليست الإرادة على حقيقتها، لأنه يقتضي أن إرادة الله متعلقة بتوبة كل، مع أنه ليس كذلك، فالمعنى الله يحب توبة العبد فيتوب عليه، ومن هنا قيل إن قبول التوبة قطعي. قوله: **(أو المجوس)** أي فكانوا يجوزون نكاح الأخوات من الأب وبنت الأخ، فلما حرمهن الله صاروا يقولون للمؤمنين إنكم تحلون نكاح بنت العمة وبنت الخالة، فلا فرق بينهما وبين بنت الأخ والأخت. قوله: **(فتكونوا مثلهم)** أي لأن المصيبة إذا عمت هانت. قوله: **(يسهل عليكم أحكام الشرع)** أي فلم يجعلها ثقيلة عسرة كما كان في الأمم السابقة، قال تعالى: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾، وقال تعالى: ﴿ما جعل عليكم في الدين من حرج﴾.

قوله: **﴿وَخُلِقَ الإِنْسَانُ﴾** هذا كالتعليل لقوله: **﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾**. قوله: **(لا يصبر عن النساء)** أي لما في الحديث «لا خير في النساء ولا صبر عنهن، يغلبن كريماً ويغلبن لئيماً، فأحب أن أكون كريماً مغلوباً، ولا أحب أن أكون لئيماً غالباً». وقوله: **(أو الشهوات)** أي مطلقاً ومن جملتها النساء، وفي الحديث: «إن لنفسك عليك حقاً». قوله: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾** الخ، لما بين النهي عن بعض الفروج وإباحة بعضها، شرع بين النهي عن بعض الأموال والأنفس. قوله: **﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ﴾** أي بإنفاقها في المعاصي، والمراد بالأكل مطلق الأخذ، وإنما عبر بالأكل لأنه معظم المقصود من الأموال. قوله: **(كالربا والغصب)** أي والسرقة والرشوة وغير ذلك من المحرمات. قوله: **﴿إِلَّا﴾** **(لكن)** أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع. قوله: **(وفي قراءة بالنصب)** أي على أن تكون ناقصة وتجارة خبرها واسمها محذوف، وأما على الرفع فتكون تامة، والقراءتان سبعيتان.

قوله: **﴿عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾** أي وأما إذا لم تكن عن تراض، بل كانت غصباً أو غشاً أو خديعة، فليست حلالاً، ويشترط أن تكون على الوجه المرضي في الشرع، وخص التجارة بالذكر، لأن غالب التصرف في الأموال بها لذوي المروءات. قوله: **(أياً كان في الدنيا الخ)** أي بأن يزني وهو محصن، فيترتب عليه الرجم، أو يقتل أحداً فيقتل، أو يقتل نفسه غماً وأسفاً، لما روي عن أبي هريرة قال: قال

منعه لكم من ذلك ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي ما نهى عنه ﴿عُدْوَانًا﴾ تجاوزاً للحلال حال ﴿وَظُلْمًا﴾ تأكيد ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ﴾ ندخله ﴿نَارًا﴾ يحترق فيها ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ ﴿٣٠﴾ هيناً ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ وهي ما ورد عليها وعيد كالقتل والزنا والسرقة وعن ابن عباس هي إلى السبعمائة أقرب ﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ الصغائر بالطاعات ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا﴾ بضم الميم وفتحها أي إدخالاً أو موضعاً ﴿كَرِيمًا﴾ ﴿٣١﴾ هو الجنة ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ من جهة الدنيا أو الدين لئلا يؤدي إلى التحاسد والتباغض ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ ثواب

رسول الله ﷺ: «من تردّى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تحسى سماً فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة فهو يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً فيها أبداً». قوله: **(أي ما نهى عنه)** أي وهو قتل النفس أو أكل الأموال بالباطل. قوله: **(تأكيد)** أي لأن الظلم والعدوان بمعنى واحد، وهو تجاوز الحد.

قوله: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ أي الإصلاء المذكور. قوله: **(وهي ما ورد عليها وعيد)** أي واحد، ولا تحد بالعد. قوله: **(أقرب)** أي منها للسبعين التي قيل بها. قوله: **(بالطاعات)** أي يفعلها زيادة على الاجتناب كذا قيل، وقيل لا يشترط ذلك، بل تكفر الصغائر باجتناب الكبائر فقط، فإن اجتناب الكبائر من أعظم الطاعات، وهو المعتمد. قوله: **(بضم الميم)** أي فيكون مصدراً على صورة المفعول، لأن مصدر الرباعي يأتي على صورة اسم المفعول ومفعوله محذوف، أي ندخلكم الجنة إدخالاً، وقوله: **(وفتحها)** أي فيكون اسم مكان، فقوله: **(أي إدخالاً أو موضعاً)** لف ونشر مرتب، ويحتمل أن كلاً لكل لكن الأول أقرب، وهما سبعيتان إلا في الإسراء فبالضم لا غير. قوله: **(هو الجنة)** هذا يناسب كونه إسم مكان، وأما على كونه مصدراً، فالمراد أن قرار الإدخال الكريم الجنة، ومعنى كونه كريماً أنه لا نكد فيه ولا تعب، بل فيه ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

قوله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا﴾ سيأتي في المفسر سبب نزولها، وهو تمني أم سلمة كونها من الرجال، وذلك لأن الله فضل الرجال على الناس بأمور منها: الجهاد والجمعة والزيادة في الميراث وغير ذلك، والتمني هو التعلق بحصول أمر في المستقبل، عكس التلهف لأنه التعلّق بحصول أمر في الماضي، فإن تعلق بانتقال ما لغيره له أو لغيره مع زواله عنه، فهو حسد مذموم، وهو معنى قوله تعالى: ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله﴾ وفي ذلك قال ابن حنبل:

أَلَا قُلْ لِمَنْ بَاتَ لِي حَاسِداً ... أَتَدْرِي عَلَى مَنْ أَسَأْتَ الأَدَبْ
أَسَأْتَ عَلَى اللَّهِ فِي فِعْلِهِ ... كَأَنَّكَ لَمْ تَرْضَ لِي مَا وَهَبْ
فَكَانَ جَزَاؤُكَ أَنْ خَصَّنِي ... وَسَدَّ عَلَيْكَ طَرِيقُ الطَّلَب

وإن تعلق بمثل ما لغيره مع بقاء نعمته، فإن كان تقوى أو صلاحاً وإنفاق مال في الخير فهو مندوب، وهو المعنى بقوله عليه الصلاة والسلام «لا حد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الخير، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس» وأما إن كان تمنى المال لمجرد الغنى فهو جائز.

﴿مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ﴾ بسبب ما عملوا من الجهاد وغيره ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ﴾ من طاعة أزواجهن وحفظ فروجهن نزلت لما قالت أم سلمة ليتنا كنا رجالاً فجاهدنا وكان لنا مثل أجر الرجال ﴿وَسۡـَٔلُواْ﴾ بهمزة ودونها ﴿ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾ ما احتجتم إليه يعطكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ۝٣٢﴾ ومنه محل الفضل وسؤالكم ﴿وَلِكُلّٖ﴾ من الرجال والنساء ﴿جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ﴾ عصبة يعطون ﴿مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ﴾ لهم من المال ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ﴾ بألف ودونها ﴿أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ جمع يمين بمعنى القسم أو اليد أي الحلفاء الذين عاهدتموهم في الجاهلية على النصرة والإرث ﴿فَـَٔاتُوهُمۡ﴾ الآن ﴿نَصِيبَهُمۡۚ﴾ حظوظهم من الميراث وهو السدس ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ۝٣٣﴾ مطلعاً ومنه حالكم وهذا منسوخ بقوله وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض ﴿ٱلرِّجَالُ

قوله: (وغيره) أي من أنواع البر، كالصلاة والصوم وغيرهما. قوله: (من طاعة أزواجهن) أي لما في الحديث: «لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها». وفي الحديث: «إذا بات الرجل غضباناً على زوجته باتت الملائكة تلعنها إلى الصباح». قوله: (أم سلمة) أي وهي زوج النبي ﷺ، وقد ترتب على تمنيها نزول تلك الآية، ونزول قوله تعالى: ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ إلى قوله: ﴿أعدّ الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾. قوله: (ليتنا كنّا رجالاً) أي ينتقل لنا وصفهم، ولا خصوصية لأم سلمة بهذا التمني، فقد تمنى مثلها جماعة من النسوة، وقيل سبب نزولها تمني الرجال أن الله كما فضلهم على النساء في الدنيا، يفضلهم عليهن في الآخرة. قوله: (بهمزة ودونها) أي فهما قراءتان سبعيتان. والحاصل أن هذه المادة إن وردت في القرآن بواو وفاء لغير غائب ففيها القراءتان نحو: ﴿فاسئلوا أهل الذكر﴾ ﴿واسئلوا الله من فضله﴾ وإن وردت بغيرهما فالقراءة بدون الهمزة لا غير، نحو: ﴿سل بني إسرائيل﴾، وإن وردت لغائب مع الواو أو الفاء نحو: ﴿وليسئلوا ما أنفقوا﴾، فالقراءة بالهمزة لا غير.

قوله: ﴿وَلِكُلٍّ﴾ أي لكل من مات من الرجال أو النساء موالي، أي ورثة يرثونهم، وقوله: ﴿مِمَّا تَرَكَ الوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ﴾ أي من المال الذي تركه الوالدان والأقربون إن ماتوا، وهذا حل المفسر، وقال غيره إن قوله: ﴿الوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ﴾ بيان للموالي فيكونون وارثين لا موروثين، وكل صحيح، والأقرب الأول وعليه ابن عباس، والقصد بذلك نسخ ما كانت عليه الجاهلية من توريث الحلفاء، فكان الواحد منهم يأخذ بيمين صاحبه ويقول له دمي دمك وهدمي هدمك، أعقل عنك وتعقل عني، وأرثك وترثني، وقد كان في صدر الإسلام لكل واحد من صاحبه السدس، ثم نسخ بهذه الآية، أو بقوله تعالى: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ كما يأتي، وقوله: دمي دمك أي أنت ولي دمي وأنا ولي دمك، وقوله: هدمي هدمك بفتح الهاء وسكون الدال أي إذا وقع بيننا قتل كان المقتول منا هدراً، وقوله أعقل عنك وتعقل عني، أي إذا ألزمتك دية شاركتك فيها وأنت كذلك.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ مبتدأ خبره قوله: ﴿فَآتُوهُمْ﴾ وقد فرضه المفسر في تحالف الجاهلية، وبعضهم فرضه في مؤاخاة النبي بين المهاجرين والأنصار، وكل صحيح، وعلى كل فالميراث لهم منسوخ. قوله: (بألف ودونها) أي فهما قراءتان سبعيتان. وروي عن حمزة التشديد مع حذف الألف. قوله: ﴿فَآتُوهُمْ﴾ (الآن) أي في صدر الإسلام، وقد علمت أن المفسر فرضه في تحالف الجاهلية، ويجوز فرضه في محالفة المهاجرين مع الأنصار. قوله: (وهذا منسوخ) أي قوله: ﴿والذين عقدت أيمانكم﴾ الآية.

﴿قَوَّٰمُونَ﴾ مسلطون ﴿عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ يؤدبونهن ويأخذون على أيديهن ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي بتفضيله لهم عليهن بالعلم والعقل والولاية وغير ذلك ﴿وَبِمَآ أَنفَقُوا۟﴾ عليهن ﴿مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ منهن ﴿قَٰنِتَٰتٌ﴾ مطيعات لأزواجهن ﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ أي لفروجهن وغيرها في غيبة أزواجهن ﴿بِمَا حَفِظَ﴾ بهن ﴿ٱللَّهُ﴾ حيث أوصى عليهن الأزواج ﴿وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ عصيانهن لكم بأن ظهرت أماراته ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ فخوفوهن الله ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ﴾ اعتزلوا إلى فراش آخر إن أظهرن النشوز ﴿وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ ضرباً غير مبرح إن لم

قوله: (بقوله وأولوا الأرحام) وقيل منسوخ بالآية قبلها، والواقع أن كلًا ناسخ لها.

قوله: ﴿الرِّجَال قوَّامُونَ﴾ سبب نزولها أن سعد بن الربيع أحد نقباء الأنصار، نشزت زوجته واسمها حبيبة بنت زيد فلطمها، فانطلق بها أبوها إلى النبي ﷺ وقال له قد لطم كريمتي، فقال النبي لتقتص من زوجها، فذهبت مع أبيها، فقال له عليه الصلاة والسلام: ارجعوا إن جبريل أتاني وقرأ الآية، ثم قال أردنا أمراً وأراد الله أمراً، وما أراده الله خير. وهذا كلام مستأنف قصد به بيان تفضيل الرجال على النساء، وأفاد أن التفضيل لحكمتين: الأولى وهبية، والثانية كسبية، واعلم أن بعض الرجال أفضل من جنس النساء، فلا ينافي أن بعض أفراد النساء أفضل من بعض أفراد الرجال، كمريم بنت عمران، وفاطمة الزهراء، وخديجة، وعائشة. قوله: (مسلطون) أي قيام سلطنة، كقيام الولاة على الرعايا فالمرأة رعية زوجها، وفي الحديث: «كل راعٍ مسؤول عن رعيته». قوله: (ويأخذون على أيديهن) أي يمنعونهن من كل مكروه كالخروج من المنزل.

قوله: ﴿بِمَا فَضَّلَ﴾ الباء سببية وما مصدرية، أي بتفضيل الله، والبعض الأول الرجال، والثاني النساء، وأبهم البعض إشارة إلى أن التفضيل بالجملة لا بالتفصيل. قوله: (بالعلم الخ) أشار المفسر لبعض الأمور التي فضلت الرجال بها على النساء، ومنها زيادة العقل والدين، والولاية والشهادة والجهاد والجمعة والجماعات، وكون الأنبياء والسلاطين من الرجال، ومنها كون الرجل يتزوج بأربع في الدنيا، وبأكثر في الجنة، دون المرأة، وكون الطلاق والرجعة بيد الرجل.

قوله: ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا﴾ يقال فيه ما قيل في قوله: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ﴾ أي وبإنفاقهم، ومن جملة الإنفاق دفع المهر. قوله: (مطيعات لأزواجهن) أي في غير معصية الله. قوله: (في غيبة أزواجهن) أي عنهم. قوله: ﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ أشار المفسر إلى أن ما اسم موصول، أو نكرة موصوفة، والعائد محذوف قدره بقوله هن، والباء سببية أي بسبب الذي، أو شيء حفظهن الله به، ولفظ الجلالة فاعل حفظ، والمعنى أن الله كما أوصى الأزواج بحفظ النساء، كذلك لا تسمى النساء صالحات إلا إذا حفظهن الأزواج، لأنه كما يدين الفتى يدان، ويحتمل أن ما مصدرية، والمعنى بحفظ الله، أي توفيق الله لهن. قوله: (عصيانهن لكم) أي فيما تأمرونهن به. قوله: (بأن ظهرت أماراته) أي النشوز بأن ظننتم ذلك.

قوله: ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ أي بنحو: اتقي الله واحذري عقابه، فإن الرجل له حق على المرأة، وهذا الترتيب واجب، وأخذ وجوبه من السنة. قوله: (غير مبرح) أي وهو الذي لا يكسر عظماً، ولا يشين جارحة، واعلم أن الهجر والضرب لا يسوغ فعلهما إلا إذا تحقق النشوز، ويزاد في الضرب ظن الإفادة،

يرجعن بالهجران ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾ فيما يراد منهن ﴿فَلَا تَبْغُوا﴾ تطلبوا ﴿عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى ضربهن ظلماً ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ (٣٤) فاحذروه أن يعاقبكم إن ظلمتموهن ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ علمتم ﴿شِقَاقَ﴾ خلاف ﴿بَيْنِهِمَا﴾ بين الزوجين والإضافة للاتساع أي شقاقاً بينهما ﴿فَابْعَثُوا﴾ اليهما برضاهما ﴿حَكَمًا﴾ رجلاً عدلاً ﴿مِنْ أَهْلِهِ﴾ أقاربه ﴿وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ ويوكل الزوج حكمه في طلاق وقبول عوض عليه وتوكل هي حكمها في الاختلاع فيجتهدان ويأمران الظالم بالرجوع أو يفرقان إن رأياه قال تعالى ﴿إِنْ يُرِيدَا﴾ أي الحكمان ﴿إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ بين الزوجين أي يقدرهما على ما هو الطاعة من إصلاح أو فراق ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بكل شيء ﴿خَبِيرًا﴾ (٣٥) بالبواطن كالظواهر ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحدوه ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَ﴾ أحسنوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ

وأما الوعظ فلا يشترط فيه تحقق النشوز، ولا ظن الإفادة. قوله: (**طريقاً إلى ضربهن ظلماً**) أي كأن توبخوهن على ما كان منهن، فيلجأ الأمر إلى الخصام والضرب، فإن عدن للنشوز رجع الترتيب الأول، ولا يضربن من أول وهلة. قوله: (**فاحذروه أن يعاقبكم إن ظلمتوهن**) أي فالمطلوب أن تستوصوا بهن خيراً، لما في الحديث: «استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً».

قوله: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ**﴾ الخطاب لولاة الأمور أو لأشراف البلدة التي هما بها. قوله: (**والإضافة للإتِّساع**) أي والأصل شقاقاً بينهما، فأضيف المصدر إلى ظرفه مثل مكر الليل. قوله: ﴿**حَكَماً من أهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أهلها**﴾أي إن وجد كل من الأهلين معاً، فإن لم يوجدا، أو وجد أحدهما دون الآخر، اختار ولي الأمر رجلين، وبعثهما واحداً عنها وواحداً عنه، واعلم أن كون الحكمين من الأهلين عند وجودهما، مندوب عند الشافعي، وواجب عند مالك. قوله: (**إن رأياه**) أي صواباً ومصلحة. قوله: (**أي الحكمان**) ويحتمل أن يعود الضمير على الزوجين، والمعنى أن يرد الزوجان إصلاحاً معاشرة بالمعروف وترك ما يسيء تحصل الموافقة بينهما، وقوله: (**بين الزوجين**) ويحتمل أن يعود على الحكمين، والمعنى لا يحصل اختلاف بين الحكمين، بل تحصل الموافقة بينهما، فيحكمان بما أنزل الله، فتحصل أن الضميرين يصح عودهما معاً على الزوجين أو الحكمين، أو الأول للزوجين، والثاني للحكمين وبالعكس، وقوله: ﴿**إِصْلَاحاً**﴾ أي مصلحة، وإليه يشير قول المفسر بعد ذلك من إصلاح أو فراق.

قوله: ﴿**وَاعْبُدوا اللَّهَ**﴾ الخطاب للمكلفين، لأن العبادة تتوقف على معرفة المعبود والنية، ولكن المراد ما يشمل القربة التي هي ما تتوقف على معرفة المتقرب إليه، والطاعة التي لا تتوقف على شيء. قوله: (**وحدوه**) حيث فسر العبادة بالتوحيد، كان قوله بعد ذلك: ﴿**وَلَا تُشْرِكُوا**﴾ تأكيداً، ولكن الأولى التعميم كما قدمناه، فيكون قوله: ﴿**وَلَا تُشْرِكُوا**﴾ تأسيساً، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾.

قوله: ﴿**وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً**﴾ يحتمل أن شيئاً مفعول به، والمعنى لا تشركوا به شيئاً من الأشياء صنماً أو غيره، ويحتمل أنه مفعول مطلق صفة لمصدر محذوف، والمعنى إشراكاً شيئاً جلياً أو خفياً كالرياء والسمعة. قوله: ﴿**وَبِالوَالِدَيْنِ**﴾قرن بر الوالدين بعبادة الله، إشارة لتأكد حقهما وتخويفاً من عقوقهما،

﴿إِحْسَٰنًا﴾ براً ولين جانب ﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ القرابة ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ القريب منك في الجوار أو النسب ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ البعيد عنك في الجوار أو النسب ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ الرفيق في سفر أو صناعة وقيل الزوجة ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ المنقطع في سفره ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ من الأرقاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا﴾ متكبراً ﴿فَخُورًا﴾ ﴿٣٦﴾ على الناس بما أوتي ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿يَبْخَلُونَ﴾ بما يجب عليهم ﴿وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ به ﴿وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ من العلم والمال وهم اليهود وخبر المبتدأ لهم وعيد شديد ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ﴾ بذلك وبغيره ﴿عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ﴿٣٧﴾ ذا إهانة ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ عطف على الذين قبله ﴿يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ مرائين لهم ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ كالمنافقين وأهل مكة ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ

وقدر المفسر أحسنوا إشارة إلى أن ﴿إِحْسَاناً﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف، والجار والمجرور يحتمل أن يكون متعلق بأحسنوا المقدر، وإليه يشير المفسر، ويحتمل أنه متعلق بإحساناً؛ ولا يقال إن المصدر لا يعمل في متقدم، لأنه يقال محله في غير الجار والمجرور والظرف. قوله: (براً ولين جانب) أي بأن يعظمهما ويخدمهما ويفعل معهما أنواع البر، وقد بين أنواعه في قوله تعالى: ﴿إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما﴾ الآية، وإنما خص حالة الكبر لأن عندها يثقلان، وإنما تكررت الآيات المتعلقة بالوصية على الوالدين دون العكس، لأن الله جعل الرأفة القائمة بقلوب الوالدين على الأولاد، مغنية عن التكليف بالقيام بحقوق الأولاد بخلاف الأولاد، فلذا شدد على الأولاد دون الوالدين.

قوله: ﴿وَبِذِي الْقُرْبَى﴾ كرر الباء إشارة إلى تأكيد حق القرابة لما في الحديث: «الرحم معلقة بالعرش تقول يا رب من وصلني فأوصله ومن قطعني فاقطعه». قوله: ﴿وَالْيَتَامَى﴾ جمع يتيم وهو من مات أبوه، ويستمر يتمه إلى البلوغ، فإذا بلغ زال يتمه. قوله: ﴿وَالْمَسَاكِين﴾ جمع مسكين وهو من التصقت يده بالتراب، والمراد ما يشمل الفقير. قوله: (أو النسب) أو مانعة خلو تجوز الجمع، لما في الحديث: «الجيران ثلاثة: فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام، وجار له حقان حق الجوار وحق الإسلام، وجار له حق واحد حق الجوار، وهو المشرك من أهل الكتاب». قوله: (الرفيق في سفر) ومثله الملاصق لك في نحو درس علم أو صلاة. قوله: (المنقطع في سفر) المناسب تفسيره بالغريب كان منقطعاً أو لا. قوله: (من الأرقاء) لا مفهوم له بل مثله الدواب المملوكة، إنما خص الأرقاء لقوله تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ فالإحسان إليهم متأكد لقوله في الحديث: «إن الله ملككم إياهم ولو شاء ملكهم إياكم». قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ علة لمحذوف تقديره أمركم الله بذلك فلا تفخروا إن الله الخ. قوله: (متكبراً) أي معجباً بنفسه مستحقراً لغيره. قوله: (بما أوتي) أي من النعم. قوله: (بما يجب عليهم) أي من الزكاة وغيرها. قوله: ﴿بِالْبُخْلِ﴾ (به) أي بما يجب. قوله: (من العلم) أي كصفاة النبي الموجودة في التوراة والإنجيل.

قوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ علة لخبر المبتدأ المحذوف. قوله: (مرائين لهم) أشار به إلى أن رئاء

﴿لَهُۥ قَرِينًا﴾ صاحباً يعمل بأمره كهؤلاء ﴿فَسَآءَ﴾ بئس ﴿قَرِينًا﴾ ﴿٣٨﴾ هو ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي ضرر عليهم في ذلك والاستفهام للإنكار ولو مصدرية أي لا ضرر فيه وإنما الضرر فيما هم عليه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ ﴿٣٩﴾ فيجازيهم بما عملوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ﴾ أحداً ﴿مِثْقَالَ﴾ وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾ أصغر نملة بأن ينقصها من حسناته أو يزيدها في سيئاته ﴿وَإِن تَكُ﴾ الذرة ﴿حَسَنَةً﴾ من مؤمن وفي قراءة بالرفع فكان تامة ﴿يُضَٰعِفْهَا﴾ من عشر إلى أكثر من سبعمائة وفي قراءة يضعفها بالتشديد ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ﴾ أي من عنده مع المضاعفة ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٤٠﴾ لا يقدره أحد ﴿فَكَيْفَ﴾ حال الكفار ﴿إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ﴾ يشهد عليها بعملها وهو نبيها ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ ﴿٤١﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم المجيء

حال من الواو في ينفقون. قوله: (كهؤلاء) أي الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون، ومن ينفق ماله مرائياً، ومن لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر. قوله: ﴿فَسَاءَ قَرِيناً﴾ ساء بمعنى بئس تساق للذم فهي نظيرتها في المعنى والعمل، وقريناً تمييز، والأصل فساء القرين قرينهم، وقدر المخصوص بالذم بقوله: (هو) واعلم أن كل إنسان له قرين من الشياطين يوسوس له في الدنيا ويكون معه في النار في سلسلة، واختلف فقيل الذم في الدنيا على مطاوعته فيما يأمره به، وقيل في الآخرة على مقارنته له في السلسلة في النار. قوله: (أي أي ضرر) أشار بذلك إلى أن ماذا استفهام وهو للإنكار والتوبيخ. قوله: (ولو مصدرية) أي والكلام على تقدير في، وإليه يشير المفسر بقوله أي لا ضرر عليهم فيه، فالتقدير وماذا عليهم في إيمانهم.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ المقصود من ذلك إظهار العدل في المجازاة على السيئات وكمال الفضل في المجازاة على الحسنات. قوله: (أصغر نملة) وقيل هو الهباء الذي يكون في الشمس، فقوله: (من مؤمن) أي لا من كافر، بل تكون هباءً منثوراً. قوله: (وفي قراءة بالرفع) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿يُضَاعِفْهَا﴾ أي يضاعف ثوابها. قوله: (لا يقدره) أي لا يحصره ولا يعده، بل من محض فضله وكرمه.

قوله: ﴿فَكَيْفَ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، قدره المفسر بقوله: (حال الكفار) وهو استفهام تعجبي استعظامي، أي تعجب من حالهم، فإنه بلغ الغاية في الفظاعة والشناعة، لعظيم ما رأوه من الأهوال العظيمة. قوله: (إذا جئنا) ظرف متعلق بالمبتدأ المحذوف. قوله: ﴿عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ أي أمم الأنبياء الكفار حين ينكرون تبليغ أنبيائهم لهم الرسالة. وحاصل ذلك، أنه بعد انفضاض الموقف تحضر الأنبياء مع أممهم، فيقول الله للأمم: ألم تبلغكم الرسل الشرائع، فيقولون: يا ربنا ما بلغونا، فيسأل الله الرسل: ألم تبلغوهم ما أرسلتكم به؟ فيقولون: بلى، فيقول الله للرسل: هل لكم شهود؟ فيقولون: محمد وأمته، فيؤتى بهم فيشهدون على الأمم بالتكذيب وللأنبياء بالبراءة، ثم بعد ذلك إن وقع منهم إنكار تنطق عليهم ألسنتهم، بل وجميع أعضائهم والأزمنة والأمكنة بتكذيبهم، وهذا الاحتمال هو الأظهر، ويحتمل أن اسم الإشارة عائد على المشركين مطلقاً من أول الزمان إلى آخره، أو عائد على الكفار والمنافقين من أمته ﷺ

﴿ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ ﴾ أي أن ﴿ تُسَوَّى ﴾ بالبناء للمفعول وللفاعل مع حذف إحدى التاءين في الأصل ومع إدغامها في السين أي تتسوى ﴿ بِهِمُ الْأَرْضُ ﴾ بأن يكونوا تراباً مثلها لعظم هوله كما في آية أخرى (ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً) ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ ﴿٤٢﴾ عما عملوه وفي وقت آخر يكتمونه ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ ﴾ أي لا تصلوا ﴿ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴾ من الشراب لأن سبب نزولها صلاة جماعة في حال السكر ﴿ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ بأن تصحوا ﴿ وَلَا جُنُبًا ﴾ بإيلاج أو إنزال ونصبه على الحال وهو يطلق على المفرد وغيره ﴿ إِلَّا عَابِرِي ﴾ مجتازي ﴿ سَبِيلٍ ﴾ طريق أي مسافرين ﴿ حَتَّى تَغْتَسِلُوا ﴾

وإنما رجع للنبي وأمته على الاحتمال الأول، وإن كانت الدعوى من معصوم، تبكيتاً لكفار الأمم السابقة، وإظهاراً لشرف هذه الأمة وعظم قدرها. قوله: **(يوم المجيء)** أشار بذلك إلى أن التنوين في يومئذ عوض عن جملة جئنا من كل أمة إلى آخرها.

قوله: **﴿يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** أي يتمنى الكفار مطلقاً. قوله: **﴿وَعَصَوُا الرَّسُولَ﴾** أي رسول كل أمة فأل فيه للجنس. قوله: **(أي أن)** أشار بذلك إلى أن **﴿لَوْ﴾** مصدرية. قوله: **(بالبناء للمفعول)** أي مع تخفيف السين، وقوله: **(للفاعل الخ)** هذه قراءة ثانية، وقوله: **(ومع إدغامها)** قراءة ثالثة. فالحاصل أن القراءات ثلاث: البناء للمفعول مع تخفيف السين، والبناء للفاعل مع التخفيف بحذف إحدى التاءين، والتشديد بقلب التاء سيناً وإدغامها في السين. قوله: **(بأن يكون تراباً مثلها)** أو بأن تنشق الأرض وتبتلعها أو يدفنون فيها، والأقرب ما ذكره المفسر، لأن خير ما فسرته بالوارد.

قوله: **﴿وَلَا يَكْتُمُونَ﴾** معطوف على **﴿يَوَدُّ﴾** فأخبر عنهم بأنهم يوم القيامة يقع منهم شيئان: تمني أن الأرض تستوي بهم، وعدم كتمانهم عن الله حديثاً. قوله: **(وفي وقت آخر الخ)** جواب عن سؤال، وهو أن هذه الآية أفاذت عدم الكتمان، وآية الأنعام أفادت إثباته. وحاصل الجواب أن الكتمان يقع منهم ابتداء وعدمه انتهاء.

قوله: **﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾** إنما نهى عن القربان للمبالغة في النهي، وقوله: **﴿وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾** إن قلت: إن السكران لا عقل عنده فكيف ينهى؟ أجيب: بأن المراد لا تسكروا في أوقات الصلوات. قوله: **(لأن سبب نزولها)** اختصر المفسر السبب. وحاصله أنه روي عن علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه قال: صنع لنا ابن عوف طعاماً فدعانا، فأكلنا وأسقانا خمراً قبل أن تحرم الخمر، فأخذت منا، وحضرت الصلاة، أي صلاة المغرب، فقدموني فقرأت قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون، فنزلت الآية، فحرمت في أوقات الصلاة حتى نزلت آية المائدة فحرمت مطلقاً.

قوله: **﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾** حتى جاره بمعنى إلى، والفعل بعدها منصوب بأن مضمرة، وما يجوز فيها أن تكون بمعنى الذي، أو نكرة موصوفة، والعائد على كل محذوف أو مصدرية ولا حذف. قوله: **(ونصبه على الحال)** أي فهو معطوف على قوله: **﴿وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾**. قوله: **(وهو يطلق)** أي لفظ جنب. قوله: **﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾** الأحسن أن إلا بمعنى غير صفة لجنبا، ومفهومه أن الجنب المسافر يكفيه التيمم

فلكم أن تصلوا واستثناء المسافر لأن له حكماً آخر سيأتي وقيل المراد النهي عن قربان مواضع الصلاة أي المساجد إلا عبورها من غير مكث ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ ﴾ مرضاً يضره الماء ﴿ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ ﴾ أي مسافرين وأنتم جنب أو محدثون ﴿ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ ﴾ هو المكان المعد لقضاء الحاجة أي أحدث ﴿ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ وفي قراءة بلا ألف وكلاهما بمعنى اللمس وهو الجس باليد قاله ابن عمر وعليه الشافعي وألحق به الجس بباقي البشرة وعن ابن عباس هو الجماع ﴿ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً ﴾ تتطهرون به للصلاة بعد الطلب والتفتيش وهو راجع إلى ما عدا المرضى ﴿ فَتَيَمَّمُواْ ﴾ اقصدوا بعد دخول الوقت ﴿ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ تراباً طاهراً فاضربوا به ضربتين ﴿ فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ﴾ مع المرفقين منه ومسح يتعدى بنفسه وبالحرف ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا ﴾ حظاً ﴿ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ وهم اليهود ﴿ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ ﴾ بالهدى ﴿ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴾ ﴿٤٤﴾ تخطئوا طريق الحق لتكونوا مثلهم ﴿ وَٱللَّهُ

وهو كذلك. قوله: (سيأتي) أي في قوله: ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ الخ. قوله: **(وقيل المراد النهي الخ)** هذا تفسير آخر للآية، وبه أخذ الإمام الشافعي، وقال مالك بحرمة مرور الجنب في المسجد إذا كان غير مضطر. قوله: **(يضره الماء)** أي فيتيمم ويصلي، ولا إعادة عليه عند مالك وأبي حنيفة، وقال الشافعي بالإعادة. قوله: **(أي مسافرين)** أي ولو كان غير قصر. قوله: **(أو محدثون)** أي بالريح مثلاً. قوله: **(وهو المكان المعد لقضاء الحاجة)** أي في الأصل، ثم أطلق على نفس الحاجة من إطلاق المحل، وإرادة الحال يدل عليه. قوله: **(أي أحدث)**. قوله: **(وهو الجس باليد)** أي ولو كان من غير قصد أو وجدان لغير محرم وعليه الشافعي، وقال مالك يقيد بالقصد أو الوجدان، وأخذ أبو حنيفة بكلام ابن عباس، فالجس باليد عنده لا يوجب الوضوء مطلقاً. قوله: **(وهو راجع إلى ما عدا المرضى)** أي وأما المرضى فيتيممون مع وجوده، لأنهم لا يقدرون على استعماله، أو يراد بعدم الوجود حقيقة أو حكماً فيشمل المرضى، لأن المعدوم شرعاً كالمعدوم حساً. قوله: **(بعد دخول الوقت)** إنما قيد بذلك لأن التيمم لا يصح قبله. قوله: **(تراباً طاهراً)** هكذا فسر به الشافعي، وقال مالك الصعيد هو ما صعد على وجه الأرض من أجزائها، ولم يحرق بالنار، ولم يكن من الجواهر النفسية كالتراب أو الرمل أو الحجارة أو غير ذلك. قوله: **(مع المرفقين)** أي فمسحهما واجب وبه أخذ الشافعي، وقال مالك إن التكميل للمرفقين سنة، وإنما الفرض عنده مس اليدين للكوعين كما هو ظاهر الآية. قوله: **(منه)** قدره لبيان الممسوح به، كما صرح به في آية المائدة. قوله: **(ومسح يتعدى بنفسه)** أي فعليه تكون الباء زائدة، وقوله: **(وبالحرف)** أي وعليه تكون الباء للتعدية، لأن سيبويه حكى: مسحت رأسه وبرأسه.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً﴾ تعليل للترخيص المستفاد مما قبله. قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ كلام مستأنف سيق لتعجب النبي والمؤمنين من سوء حالهم. قوله: ﴿إِلَى الَّذِينَ﴾ أبهمهم لفظاعة حالهم وشناعته. قوله: ﴿مِنَ الكِتَابِ﴾ أي التوراة. قوله: **(وهم اليهود)** أي بعض علمائهم. قوله: **(بالهدى)** قدره إشارة إلى أن المقابل محذوف. والمعنى أنهم يأخذون الضلالة بدل الهدى، والمراد بالضلالة الكفر وتكذيب سيدنا محمد، والمراد بالهدى الإيمان وتصديقه.

﴿أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ﴾ منكم فيخبركم بهم لتجتنبوهم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا﴾ حافظاً لكم منهم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا﴾ ﴿٤٥﴾ مانعاً لكم من كيدهم ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ قوم ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ يغيرون ﴿ٱلۡكَلِمَ﴾ الذي أنزل الله في التوراة من نعت محمد ﷺ ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ التي وضع عليها ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للنبي ﷺ إذا أمرهم بشيء ﴿سَمِعۡنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيۡنَا﴾ أمرك ﴿وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ﴾ حال بمعنى الدعاء أي لا سمعت ﴿وَ﴾ يقولون له ﴿رَٰعِنَا﴾ وقد نهى عن خطابه بها وهي كلمة سب بلغتهم ﴿لَيَّۢا﴾ تحريفاً ﴿بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا﴾ قدحاً

قوله: ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ هذا ترق في التعجيب. والمعنى أنهم اختاروا الضلالة لأنفسهم، ومع ذلك يحبونها لغيرهم، قال تعالى: ﴿ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء﴾ روي عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في حبرين من أحبار اليهود، كانا يأتيان رأس المنافقين عبد الله بن أبي رهطة يثبطانهم عن الإسلام، وعنه أيضاً أنه نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم، كانا إذا تكلم رسول الله ﷺ لويا لسانها وعاباه. قوله: (لتجتنبوهم) أي لتتحرزوا منهم. قوله: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ﴾ الباء حرف جر زائد، ولفظ الجلالة فاعل كفى. قوله: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيراً﴾ تأكيداً لما قبله وهو معنى قوله تعالى: ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾.

قوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ خبر مقدم لمبتدأ محذوف، قدره المفسر بقوله قوم، وقوله: ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ نعت لذلك المحذوف، وحذف المنعوت كثير إن تقدمه من التبعيضية على حد: منا ظعن ومنا أقام، أي فريق ظعن، وفريق أقام، وهذا الكلام تفصيل لبعض قبائحهم. قوله: ﴿الكَلِمَ﴾ أي الكلام. قوله: (من نعت محمد) أي من كونه أبيض مشرباً بحمرة، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير مثلاً، فقد حرفوه وقالوا أسود اللون، طويل جداً، حرصاً على الرياسة، وعلى ما يأخذونه من سفلتهم، ومن جملة ما غيروه آية الرجم بالجلد. ومن ذلك أنه في كتبهم من خالف محمداً خلد في النار، فغيروه وقالوا لن تمسنا النار إلا أربعين يوماً، مدة عبادة العجل.

قوله: ﴿وَعَصَيْنَا﴾ (أمرك) هذا بحسب باطنهم، وأما بحسب ظاهرهم فمعناه عصينا قول غيرك، وكذا قوله: ﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ أي اسمع الخير منا غير سامع ما يؤذيك، وكذا قوله: ﴿وَرَاعِنَا﴾ أي اشملنا بنظرك، فهذا من الكلام الموجه الذي يحتمل معنيين مختلفين في المدح والذم. قوله: (أي لا سمعت) يحتمل أن المعنى لا سمعت خيراً ولا سمعت شيئاً أصلاً بأن تبتلى بالصمم أو الموت. قوله: (وقد نهى عن خطابه بها) أي في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا﴾ قوله: (وهي كلمة سب بلغتهم) يحتمل أنها موضوعة للسب في لغتهم، ويحتمل أنهم قصدوا بها السب، وإن كانت تحتمل الدعاء بخير من الرعاية وهي الحفظ وبشر ومعناها الرعونة وهي الطيش في العقل، كأنهم يقولون اشملنا برعونتك. قوله: ﴿لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ أي صرفاً للكلام عن ظاهره، وأصله لويا، اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون، قلبت الواو ياء أدغمت في الياء، وهو في الأصل فتل الحبل، فشبه به الكلام الذي قصد منه غير ظاهره وطوي، ذكر المشبه به وهو الحبل المفتول، ورمز له بشيء من لوازمه وهو اللي، فإثباته تخييل.

﴿ فِي ٱلدِّينِۚ ﴾ الإسلام ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ بدل وعصينا ﴿ وَٱسْمَعْ ﴾ فقط ﴿ وَٱنظُرْنَا ﴾ انظر إلينا بدل راعنا ﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ مما قالوه ﴿ وَأَقْوَمَ ﴾ أعدل منه ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾أبعدهم عن رحمته ﴿ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ﴿٤٦﴾ منهم كعبدالله بن سلام وأصحابه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا ﴾ من القرآن ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم ﴾ من التوراة ﴿ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا ﴾ نمحو ما فيها من العين والأنف والحاجب ﴿ فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ ﴾ فنجعلها كالأقفاء لوحاً واحداً ﴿ أَوْ نَلْعَنَهُمْ ﴾ نمسخهم قردة ﴿ كَمَا لَعَنَّآ ﴾ مسخنا ﴿ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِۚ ﴾ منهم ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ قضاؤه ﴿مَفْعُولًا﴾ ﴿٤٧﴾ ولما نزلت أسلم عبد الله بن سلام فقيل كان وعيداً بشرط فلما أسلم بعضهم رفع وقيل يكون طمس ومسخ قبل قيام الساعة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ ﴾ أي الإشراك ﴿ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ﴾ سوى ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ من الذنوب ﴿ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ المغفرة له بأن يدخله الجنة بلا عذاب ومن شاء عذبه من المؤمنين بذنوبه ثم يدخله الجنة ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا ﴾ ذنباً ﴿ عَظِيمًا ﴾ ﴿٤٨﴾ كبيراً ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ ﴾ وهم

قوله: ﴿لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ﴾ هذا جواب لو، واسم التفضيل ليس على بابه، ويحتمل أنه على بابه على حسب ما زعموا من أن حرصهم على الكفر يبقي لهم حظ الرياسة والدنيا التي يأخذونها من عوامهم وهو خير دنيوي. قوله: ﴿إلاَّ قَلِيلاً﴾ صفة الموصوف محذوف، أي إلا فريقاً قليلاً. قوله: (نمحو) أي نزيل ما فيها. قوله: (فقيل كان وعيداً بشرط) أي لأن رحمة الله تسبق غضبه، والحاصل أنه اختلف في ذلك الوعيد، هل كان معلقاً ثم ارتفع، وقيل إنه واقع لكن في آخر الزمان، وقيل إنه واقع في الآخرة، فيقومون من قبورهم ممسوخة صورهم، ولا مانع من إرادتها كلها، وليس في القرآن وعيد لأمة محمد بتعجيل العقوبة مثل هذا، لأنهم بالغوا في الكفر وإيذاء النبي ﷺ، وقوله: (بشرط) أي وهو عدم إيمان أحد منهم، ويؤيده ما روي أن عبد الله بن سلام لما قدم من الشام، وقد سمع بهذه الآية أتى رسول الله ﷺ قبل أن يأتي أهله وقال يا رسول الله وما كنت أرى أن أصل إليك حتى يتحول وجهي إلى قفاي، وكذا ما روي أن عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية على كعب الأحبار، فقال كعب الأحبار: يا رب آمنت يا رب أسلمت مخافة أن يصيبه وعيدها. قوله: (وقيل يكون) أي يحصل، وقوله: (قبل قيام الساعة) أي زمن عيسى. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ﴾ إن وما دخلت عليه في تأويل مصدر أشار له المفسر بقوله: (أي الإشراك) والمعنى أن الله لا يغفر للكافر إشراكاً أو غيره، فالمراد بالشرك الكفر، لا الشرك الأصغر الذي هو الرياء، فإنه من جملة الذنوب التي تغفر، وهذا رد على اليهود، حيث زعموا أن الشرك لا يضرهم لكون أجدادهم أنبياء، وزعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه. قوله: (من الذنوب) بيان لما. قوله: ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (المغفرة له) أي إن مات من غير توبة، وإلا فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له، هذا معنى قول صاحب الجوهرة:

وَمَنْ يَمُتْ وَلَمْ يَتُبْ مِنْ ذَنْبِهِ ... فَأَمْرُهُ مُفَوَّضٌ لِرَبِّهِ

والغالب المغفرة، لأن فضل الله واسع، ورحمته تغلب غضبه، وكل ذلك ما لم يمت هديماً أو غريقاً أو مقتولاً ظلماً مثلاً، وإلا فيقوم ما ذكر مقام التوبة. قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ كالدليل لما قبله. قوله: (وهم

اليهود حيث قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه أي ليس الأمر بتزكيتهم أنفسهم ﴿ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي ﴾ يطهر ﴿مَن يَشَآءُ ﴾ بالإيمان ﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ﴾ ينقصون من أعمالهم ﴿ فَتِيلًا ﴾ ﴿٤٩﴾ قدر قشرة النواة ﴿ ٱنظُرۡ﴾ متعجباً ﴿ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ ﴾ بذلك ﴿ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ﴾ ﴿٥٠﴾ بيناً. ونـزل في كعب ابن الأشرف ونحوه من علماء اليهود لما قدموا مكة وشاهدوا قتلى بدر وحرضوا المشركين على الأخذ بثأرهم ومحاربة النبي ﷺ ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ صنمان لقريش ﴿ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ أبي سفيان وأصحابه حين قالوا لهم أنحن أهدى سبيلاً

اليهود) وقيل هم والنصارى، لأن هذه المقالة وقعت منهما، لقوله تعالى: ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه﴾. قوله: **(حيث قالوا نحن أبناء الله)** أي كالأبناء من حيث إن منزلتنا عنده عظيمة، وقائل هذه اللفظة كافر، ولو على سبيل المجاز. قوله: **(أي ليس الأمر بتزكيتهم الخ)** أي ليس الأمر منوطاً ومعتبراً بتزكيتهم أنفسهم، وهذا تمهيد لقوله تعالى: **﴿بَلْ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾**. قوله: **(بالإيمان)** أي وجميع الأعمال الصالحة، وإنما اقتصر عليه لأن مدار النجاة عليه. قوله: **﴿وَلَا يُظْلَمُونَ﴾** يحتمل أن الضمير عائد على المؤمنين، أي فيجازيهم على أعمالهم الصالحة، ولا ينقص منه شيء ولو كان أقل قليل، وهذا هو المتبادر من المفسر، وقيل إنه عائد على الكفار، أي فيعذبهم بذنوبهم، ولا ينقصون شيئاً من أعمالهم، ويحتمل العموم وهو الأولى. قوله: **(قدر قشرة النواة)** هذا سبق قلم، والمناسب قدر الخيط الذي يكون في بطن النواة، وأما القطمير فهو قشر النواة، والنقير النقرة التي تكون في وسطها، والثفروق هو ما بين النواة والقمع، وذكر في القرآن الثلاثة الأول، وعادة العرب تمثل بأحد الأربعة لأقل قليل. قوله: **(متعجباً)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام تعجبي.

قوله: **﴿وَكَفَى بِهِ﴾** أي الافتراق. قوله: **(ونـزل في كعب بن الأشرف الخ)** حاصل ما ذكره الخازن، أنه بعد وقعة بدر، ضاق صدر كعب بن الأشرف، فركب مع سبعين راكباً من اليهود حتى قدموا مكة، فنزلوا على أبي سفيان وأصحابه، فأحسنوا مثواهم، ثم قال لهم أبو سفيان وأصحابه: ماذا تريدون؟ فقالوا: نريد حرب محمد ونقض عهده، فقال أبو سفيان وأصحابه: لا نأمن أن يكون هذا مكراً منكم، فإن كان ما تقولون حقاً، فاسجدوا لهذين الصنمين، ففعلوا، ثم قال كعب: ليأتِ منكم ثلاثون رجلاً ومنا ثلاثون، فنلزق أكبادنا بالكعبة، فنعاهد رب البيت لنجهدن في قتال محمد، ففعلوا، ثم قال أبو سفيان لكعب: إنك امرؤ تقرأ الكتاب ونحن أميون، فأينا أهدى سبيلاً أنحن أم محمد؟ فقال كعب: اعرض علي دينكم، فقال أبو سفيان: نحن ننحر للحجيج ونسقيهم الماء، ونقري الضيف، ونفك العاني ونصل الرحم، ونعمر بيت ربنا ونطوف به، ونحن من أهل الحرم، ومحمد فارق دين آبائه والحرم وقطع الرحم، وديننا القديم، ودين محمد حادث، فقال كعب: أنتم والله أهدى سبيلاً مما عليه محمد، فنزلت الآية. قوله: **(ونحوه من علماء اليهود)** أي وكانوا سبعين راكباً. قوله: **(وحرضوا المشركين)** أي أبا سفيان وأصحابه. قوله: **(بثأرهم)** بالهمز وتركه.

قوله: **﴿أَلَمْ تَرَ﴾** أي تعلم وتنظر لفعلهم. قوله: **﴿مِنَ الكِتَابِ﴾** أي التوراة. قوله: **﴿يُؤْمِنُونَ بِالجُبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾** أي بسجودهم لهما. قوله: **(صنمان لقريش)** وقيل الجبت اسم لكل صنم يعبد،

ونحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني ونفعل أم محمد وقد خالف دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي أنتم ﴿أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ۝٥١﴾ أقوم طريقاً ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ﴾ ـه ﴿ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ۝٥٢﴾ مانعاً من عذابه ﴿أَمۡ﴾ بل أ ﴿لَهُمۡ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ أي ليس لهم شيء منه ولو كان ﴿فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ۝٥٣﴾ أي شيئاً تافهاً قدر النقرة في ظهر النواة لفرط بخلهم ﴿أَمۡ﴾ بل أ ﴿يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ أي النبي ﷺ ﴿عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ﴾ من النبوة وكثرة النساء أي يتمنون زواله عنه ويقولون لو كان نبياً لاشتغل عن النساء ﴿فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ جده كموسى وداود وسليمان ﴿ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ النبوة ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ۝٥٤﴾ فكان لداود تسع وتسعون امرأة ولسليمان ألف ما بين حرة وسرية ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ بمحمد ﷺ ﴿وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ﴾ أعرض ﴿عَنۡهُۚ﴾ فلم يؤمن ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ۝٥٥﴾ عذاباً لمن لا يؤمن ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ﴾ ندخلهم ﴿نَارٗا﴾ يحترقون فيها ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ﴾ احترقت ﴿جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا﴾ بأن تعاد إلى حالها الأول غير محترقة ﴿لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾ ليقاسوا شدته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمٗا ۝٥٦﴾ في خلقه ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ

والطاغوت الشيطان التي يلبس الصنم ويكلم الناس، فلكل صنم شيطان يغر الناس. قوله: **(ونفك العاني)** أي الأسير. قوله: **(نفعل)** يحتمل أنه بالفاء والعين، أي نفعل غير ما ذكر من الأمور الجميلة المستحسنة، أو بالعين ثم القاف أي نؤدي العقل بمعنى الدية عن حلفائنا. قوله: **(أي أنتم)** أشار بذلك إلى أنه خطاب لهم، وإنما المولى حكاه عنهم بالمعنى. قوله: **(أي ليس لهم)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: **﴿فإذاً﴾** الفاء واقعة في جواب شرط مقدر، أشار له المفسر بقوله: **(ولو كان)** وإنما قدر لو دون أن، لأن الجواب مرفوع لا مجزوم، وهذا ذم لهم بالبخل بعد ذمهم بالجهل، وسيأتي ذمهم بالحسد. قوله: **(بل)** الإضراب انتقالي من صفة لصفة أخرى أقبح منها. قوله: **(أي النبي)** أي فهو من باب تسمية الخاص باسم العام، إشارة إلى أنه جمعت فيه كمالات الأولين والآخرين، قال الشاعر:

وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكِرٍ ... أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدِ

قوله: **(جده)** بيان لإبراهيم فهو بالجر. قوله: **(تسع وتسعون امرأة)** أي غير امرأة وزيره، فقد أخذها بعد موته، فتكامل له مائة. قوله: **﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ﴾** أي كعبد الله بن سلام وأضرابه. قوله: **(فلم يؤمن)** أي ككعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وأضرابهما. قوله: **(بأن تعاد إلى حالها)** ورد أنها تعاد في الساعة الواحدة مائة مرة، بل ورد أنها تعاد في اليوم الواحد سبعين ألف مرة، وورد أن بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسروع، وورد أن ضرس الكافر يكون كأحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام. قوله: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾** ذكر للمقابل وهو راجع لقوله: **﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ﴾** كما أن قوله: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** راجع لقوله: **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ﴾** على عادته سبحانه إذا ذكر الوعيد أعقبه بالوعد.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ﴾ من الحيض وكل قذر ﴿وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ٥٧﴾ دائماً لا تنسخه شمس هو ظل الجنة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ﴾ أي ما اؤتمن عليه من الحقوق ﴿إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ نزلت لما أخذ علي رضي الله عنه مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة الحجبي سادنها قسراً لما قدم النبي ﷺ مكة عام الفتح ومنعه وقال لو علمت أنه رسول الله ﷺ لم أمنعه فأمر رسول الله ﷺ برده إليه وقال هاك خالدة تالدة فعجب من ذلك فقرأ له علي الآية فأسلم وأعطاه عند موته لأخيه شيبة فبقي في ولده والآية وإن وردت على سبب خاص فعمومها معتبر بقرينة

قوله: **(وكل قذر)** أي كالنفاس وغيره. قوله: **(لا تنسخه شمس)** أي لعدم وجودها. قال تعالى: ﴿لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً﴾.

قوله: **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾** الخطاب للمكلفين لما سيأتي أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. قوله: **﴿أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ﴾** أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول ثانٍ ليأمر، والأصل يأمركم تأدية الأمانات، أو منصوب بنزع الخافض، لأن حذفه مع أن وإن مطرد، ويقال في ﴿وإن تحكموا بالعدل﴾ ما قيل فيه لأنه معطوف عليه، وقوله: ﴿إذا حكمتم﴾ ظرف له، ولا يقال يلزم عليه تقديم معمول الصلة عليها، لأنه يقال إنه ظريف ويغتفر فيه ما لا يغتفر في غيره. قوله: **(من الحقوق)** اعلم أن الأمانات ثلاثة أقسام، الأول: عبادات الله بأن يفعل المأمورات ويجتنب المنهيات، الثاني: نعمه التي أنعم بها كالسمع والبصر والعافية وغير ذلك فلا يصرفها فيما يغضب الله، الثالث: حقوق العباد كالودائع وغيرها فيجب على الإنسان تأدية الأمانات مطلقاً، كانت قولية أو فعلية أو اعتقادية، فالقولية كحفظ القرآن، والفعلية كحفظ الودائع والعواري، والاعتقادية كالتوحيد وحسن الظن بالخلق، وبالجملة فهذه الآية من جوامع الكلم، وهي بمعنى قوله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض﴾ الآية على التحقيق. قوله: **(نزلت لما أخذ علي مفتاح الكعبة الخ)** قال البغوي قلت في عثمان بن طلحة الحجبي من بني عبد الدار وكان سادن الكعبة، فلما دخل النبي ﷺ مكة والفتح أغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح، فطلب رسول الله ﷺ المفتاح قيل له إنه مع عثمان. فطلب منه فأبى وقال لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه المفتاح، فلوى علي بن أبي طالب يده وأخذ المفتاح وفتح الباب، ودخل رسول الله البيت وصلى فيه ركعتين، فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح لتجتمع له السقاية والسدانة، فأنزل الله هذه الآية، فأمر رسول الله علياً أن يرد المفتاح إلى عثمان ويعتذر له، ففعل ذلك، فقال عثمان أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق، فقال علي لقد أنزل الله في شأنك قرآناً وقرأ عليه الآية فأسلم، فكان المفتاح معه إلى أن مات، فدفعه إلى أخيه شيبة فهي في أولادهم إلى يوم القيامة. قوله: **(الحجبي)** أي الذي يحجب الناس بمعنى يمنعهم من الدخول. قوله: **(سادنها)** أي خادمها، وقوله: **(قسراً)** أي قهراً. قوله: **(لما قدم النبي)** ظرف لأخذ وكان ذلك في رمضان، وقوله: **(عام الفتح)** أي وهو سنة ثمان. قوله: **(وقال لو علمت الخ)** أي فهو غير مصدق برسالته، وإلا فذاته إذ ذاك غير خافية على أحد. قوله: **(خالدة تالدة)** أي مخلدة في المستقبل كما كانت متأصلة فيكم. قوله: **(فعمومها معتبراً الخ)** أشار بذلك لما قيل العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ومحل ذلك إن لم توجد قرينة الخصوص فيكون معتبراً، كالنهي عن قتل النساء، فإن

الجمع ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ يأمركم ﴿ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا ﴾ فيه إدغام ميم نعم في ما النكرة الموصوفة أي نعم شيئاً ﴿ يَعِظُكُم بِهِۦٓ ﴾ تأدية الأمانة والحكم بالعدل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا ﴾ لما يقال ﴿ بَصِيرًا ﴾ ﴿٥٨﴾ بما يفعل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ﴾ أصحاب ﴿ ٱلْأَمْرِ ﴾ أي الولاة ﴿ مِنكُمْۖ ﴾ أي إذا أمروكم بطاعة الله ورسوله ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ ﴾ اختلفتم ﴿ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ أي إلى كتابه ﴿ وَٱلرَّسُولِ ﴾ مدة حياته وبعده إلى سنته أي اكشفوا عليه منها ﴿ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ ذَٰلِكَ ﴾ أي الرد إليها ﴿ خَيْرٌ ﴾ لكم من التنازع والقول بالرأي ﴿ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ ﴿٥٩﴾ مآلاً ونزل لما اختصم يهودي ومنافق فدعا إلى كعب ابن الأشرف ليحكم بينهما ودعا اليهودي إلى النبي ﷺ فأتياه فقضى لليهودي فلم يرض المنافق وأتيا

سببه أن رسول الله رأى امرأة حربية مقتولة، فذلك يدل على اختصاصه بالحربيات، فلا يدخل فيه المرتدة ولا الزانية. قوله: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ﴾ فيه فصل بين المعطوف والمعطوف عليه وهو جائز إذا كان ظرفاً. قوله: ﴿نِعِمَّا﴾ بكسر النون اتباعاً لكسرة العين، وأصله نعم على وزن علم. قوله: **(أي نعم شيئاً)** أشار بذلك إلى أن ما مميز، ويكون الفاعل مستتراً وجوباً تقديره نعم هذا الشيء شيئاً، والمخصوص بالمدح محذوف قدره بقوله: **(تأدية الأمانة)** وقيل أن ما فاعل، وقد ذكر القولين ابن مالك بقوله:

وَمَا مُمَيِّزٌ وقِيلَ فَاعِلٌ ... فِي نَحْوِ نعم مَا يَقُولُ الفَاضِلُ

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هذا خطاب لسائر الناس، بعد أن خاطب ولاة الأمور بالحكم بالعدل، وفي هذه الآية إشارة لأدلة الفقه الأربعة، فقوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ إشارة للكتاب، وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ إشارة للسنة، وقوله: ﴿وَأُولِي الأَمْرِ﴾ إشارة للإجماع، وقوله: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ﴾ الخ، إشارة للقياس. قوله: ﴿وَأُولِي الأَمْرِ﴾ يدخل فيه الخلفاء الراشدون، والأئمة المجتهدون، والقضاة والحكام. قوله: **(أي إذا أمروكم بطاعة الله ورسوله)** أي لا بمعصية فلا يطاعوا في ذلك، لما في الحديث «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق». قوله: ﴿فِي شَيْءٍ﴾ أي غير منصوص عليه. قوله: **(مدة حياته)** أي بسؤاله، وقوله: **(إلى سنته)** أي فيعرض عليها.

قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾ أي فردوه. قوله: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ اسم التفضيل ليس على بابه بقرينة ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾ فمخالفة ما ذكر ليس فيها خير، بل هي شر وضلال. قوله: **(مآلا)** أي عاقبة. قوله: **(ونزل لما اختصم يهودي الخ)** حاصلها تفصيلاً، قال ابن عباس: نزلت في رجل من المنافقين يقال له بشر، كان بينه وبين يهودي خصومة، فقال اليهودي: تنطلق إلى محمد، وقال المنافق: ننطلق إلى كعب بن الأشرف وهو الذي سماه الطاغوت، فأبى اليهودي أن يخاصمه إلا إلى رسول الله ﷺ، فقضى رسول الله ﷺ لليهودي، فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال انطلق بنا إلى عمر، فقال اليهودي اختصمت أنا وهذا إلى محمد، فقضى عليه، فلم يرض بقضائه، وزعم أنه يخاصمني إليك، فقال عمر للمنافق: أكذلك؟ فقال نعم، فقال لهما عمر: رويداً حتى أخرج إليكما، فدخل عمر البيت وأخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج، فضرب به المنافق حتى برد أي مات، وقال هكذا أقضي بين من لم يرض بقضاء

عمر فذكر له اليهودي ذلك فقال للمنافق أكذلك فقال نعم فقتله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ الكثير الطغيان وهو كعب بن الأشرف ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ ولا يوالوه ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ ﴿٦٠﴾ عن الحق ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ في القرآن من الحكم ﴿وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ ليحكم بينكم ﴿رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ﴾ يعرضون ﴿عَنكَ﴾ إلى غيرك ﴿صُدُودًا﴾ ﴿٦١﴾ ﴿فَكَيْفَ﴾ يصنعون ﴿إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾ عقوبة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الكفر والمعاصي أي يقدرون على الإعراض والفرار منها لا ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ﴾ معطوف على يصدون ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ﴾ ما ﴿أَرَدْنَآ﴾ بالمحاكمة إلى غيرك ﴿إِلَّآ إِحْسَٰنًا﴾ صلحاً ﴿وَتَوْفِيقًا﴾ ﴿٦٢﴾ تأليفاً بين الخصمين بالتقريب في الحكم دون الحمل على مر الحق ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق وكذبهم في عذرهم ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ بالصفح ﴿وَعِظْهُمْ﴾ خوفهم الله ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ﴾ شأن ﴿أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ ﴿٦٣﴾ مؤثراً فيهم أي ازجرهم ليرجعوا عن كفرهم ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ فيما

الله وقضاء رسوله، فنزلت هذه الآية، وقال جبريل: إن عمر فرق بين الحق والباطل، فسمي الفاروق، وإنما دعا المنافق لكعب بن الأشرف لأنه يقبل الرشوة، والنبي لا يقبلها بل يحكم بالحق، وكان الحق إذ ذاك مع اليهودي.

قوله: **﴿يَزْعُمُونَ﴾** أي يقولون قولاً كذباً، لأن الزعم مطية الكذب. قوله: **﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾** أي وهو جميع الكتب السماوية. قوله: **(الكثير الطغيان)** وقيل إنه صنم يعبد من دون الله، وقيل اسم من يعبد من دون الله صنماً أو غيره. قوله: **﴿بَعِيداً﴾** يحتمل أنه صفة كاشفة لأن الضلال هو البعد ويحتمل أنه صفة مخصصة، ويكون معنى بعده أنه لا يهتدي بعد ذلك أصلاً، وهذا هو مراد الشيطان، ويؤيده قول المفسر عن الحق. قوله: **﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ﴾** رأى بصرية والمنافقين مفعول لها، وجملة يصدون حال. قوله: **(يعرضون)** أشار بذلك إلى أن الصد هنا بمعنى الإعراض فهو لازم، لا بمعنى المنع فيكون متعدياً، فقوله: **﴿صُدُوداً﴾** مفعول مطلق لقوله: **﴿يَصُدُّونَ﴾** قوله: **﴿فَكَيْفَ﴾** يصح أن تكون مفعولاً لمحذوف تقديره **(يصنعون)** كما قدره المفسر، ويصح أن تكون خبراً لمحذوف تقديره صنعهم.

قوله: **﴿إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾** أي عاجلة أو آجلة. قوله: **(لا)** هذا جواب الاستفهام. قوله: **﴿ثُمَّ جَاؤُوكَ﴾** أي أهل المنافق، يعتذرون إليك ويسترون على أنفسهم النفاق، ويحتمل أنهم جاؤوا مطالبين بدمه مثبتين إسلامه، فلولا هذه الآية لربما اقتص من عمر، لعدم البينة على كفر المنافق. قوله: **(بالتقريب)** أي التساهل في الحكم، كأن يعمل صلحاً، ويقسم المدعى به بين الخصمين. قوله: **﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾** أي ولا تقتلهم، وهذا قبل الأمر بإخراجهم وقتلهم، والفاء واقعة في جواب شرط مقدر تقديره إذا كان حالهم كذلك فأعرض عن قبول عذرهم. قوله: **﴿فِي﴾** **(شأن)** **﴿أَنْفُسِهِمْ﴾** أي في حقها وما انطوت عليه، ويحتمل أن المعنى حالياً بهم ليس معهم غيرهم. قوله: **(ليرجعوا)** أي لعله أن يترتب

يأمر به ويحكم ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بأمره لا ليعصى ويخالف ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بتحاكمهم إلى الطاغوت ﴿جَآءُوكَ﴾ تائبين ﴿فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ فيه التفات عن الخطاب تفخيماً لشأنه ﴿لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا﴾ عليهم ﴿رَّحِيمًا ۝٦٤﴾ بهم ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ لا زائدة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ﴾ اختلط ﴿بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ ضيقاً أو شكاً ﴿مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ به ﴿وَيُسَلِّمُوا۟﴾ ينقادوا لحكمك ﴿تَسْلِيمًا ۝٦٥﴾ من غير معارضة ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ﴾ مفسرة ﴿ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم﴾ كما كتبنا على بني إسرائيل ﴿مَّا فَعَلُوهُ﴾ أي المكتوب عليهم ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ بالرفع على البدل والنصب على الاستثناء ﴿مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ من طاعة الرسول ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ۝٦٦﴾ تحقيقاً لإيمانهم ﴿وَإِذًا﴾ أي لو

عن ذلك رجوعهم عما هم عليه. قوله: **(بأمره)** أشار بذلك إلى أنه ليس المراد بالإذن الإرادة، وإلا فيلزم عليه أن لا يتخلف عن طاعة أحد، لأن ما أراده الله وقوعه واقع، ولا بد مع أن الواقع خلافه، فدفع ذلك المفسر بقوله: **(بأمره)** لأنه لا يلزم من الإرادة الأمر ولا عكس. قوله: **(بتحاكمهم)** الباء سببية.

قوله: **﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ﴾** أي بالتوبة والإخلاص. قوله: **﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾** أي سامحهم وعفا عنهم وطلب لهم المغفرة، لأنه تعلق بهم حقان: حق الله وحق لرسوله. قوله: **(فيه التفات)** أي وحقه واستغفرت لهم. قوله: **(لا زائدة)** أي لتأكيد القسم، وهو اختيار الزمخشري في الكشاف وهو الأحسن، ولذا اقتصر عليه المفسر. قوله: **﴿حَتَّى يُحَكِّمُوكَ﴾** الخ، هذه شروط ثلاثة لكمال الإيمان، وهذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتون إليه مذعنين﴾ الآيات. قوله: **(اختلط)** أي أشكل والتبس. قوله: **(من غير معارضة)** أي بأن ينقادوا للأحكام من غير توقف.

قوله: **﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾** بيان لسوء حالهم، وأنهم لو شدد عليهم كما شدد على من قبلهم لم يفعل ذلك إلا ما قل منهم. قوله: **(مفسرة)** أي بمعنى أي، وضابطها أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه نظير: ﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾ ﴿وانطلق الملأ منهم أن امشوا﴾، ويحتمل أن تكون مصدرية، وعليه فيكون ﴿كَتَبْنَا﴾ بمعنى ألزمنا، التقدير ولو أنا ألزمناهم قتل أنفسهم. قوله: **﴿أَنْ اقْتُلُوا﴾** جمهور القراء على ضم النون والواو من أو اخرجوا، وقرأ حمزة وعاصم بكسرهما، وقرأ أبو عمرو بكسر النون وضم الواو، وأما ضم النون وكسر الواو فلم يقرأ به أحد. قوله: **(على البدل)** أي وهو المختار عند النحاة، قال ابن مالك: وبعد نفي أو كنفي انتخب. اتباع ما اتصل. وقوله: **(والنصب على الاستثناء)** أي فهما قراءتان سبعيتان على حد سواء وإن كان الرفع أرجح عند النحاة من النصب، فالمنزه عنه القرآن كونه ليس على قواعد النحاة، وأما كون بعض القراءات له وجه قوي في العربية دون بعض فلا مانع منه.

قوله: **﴿لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ﴾** اسم التفضيل ليس على بابه إذ ما هم عليه ليس بخير. قوله: **(أي لو**

ثبتوا ﴿ لَّآتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ ﴾ من عندنا ﴿ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ﴿٦٧﴾ هو الجنة ﴿ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ ﴿٦٨﴾ قال بعض الصحابة للنبي ﷺ كيف نراك في الجنة وأنت في الدرجات العلى ونحن أسفل منك فنزل ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ فيما أمرا به ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ ﴾ أفاضل أصحاب الأنبياء لمبالغتهم في الصدق والتصديق ﴿ وَٱلشُّهَدَآءِ ﴾ القتلى في سبيل الله ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ غير من ذكر ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ ﴿٦٩﴾ رفقاء في الجنة بأن يستمتع فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضور معهم وإن كان مقرهم في الدرجات العالية بالنسبة إلى غيرهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي كونهم مع من ذكر مبتدأ خبره ﴿ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ تفضل به عليهم لا أنهم نالوه بطاعتهم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ ﴿٧٠﴾ بثواب الآخرة أي فثقوا بما أخبركم به ولا ينبئك مثل خبير ﴿يَٰٓا

ثبتوا) ليس تفسير إلا ذابل، إشارة إلى أن ﴿**إذًا**﴾ واقعة في جواب سؤال مقدر، وقوله: ﴿**لآتَيْنَاهُمْ**﴾ جواب الشرط، وأصل الكلام فما جزاؤهم لو ثبتوا إذ لآتيناهم الخ، فالحامل للمفسر على تقدير **(لو ثبتوا)** قوله بعد: ﴿**لآتَيْنَاهُمْ**﴾ والحامل لنا على تقدير السؤال قوله: ﴿**إذًا**﴾ وهي هنا ملغاة عن عمل النصب لفقد شرطها. قوله: ﴿**صِراطاً مُسْتَقِيماً**﴾ أي ديناً قيماً لا اعوجاج فيه، وهو دين الإسلام، فتحصل أنهم لو امتثلوا لأعطاهم الله خير الدنيا والآخرة. قوله: **(وأنت في الدرجات العلى)** أي التي ليس فوقها درجة، وهذا السؤال كما توجه من الصحابة، يتوجه أيضاً من الأنبياء، فإنه أعلى من جميع المخلوقات على الإطلاق حتى الأنبياء، قال البوصيري:

كَيْفَ تَرْقَى رَقِيَّكَ الأَنْبِيَاء يَا سَمَاء مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاء

قوله: **(فيما أمرا به)** أي ونهيا عنه، فالطاعة امتثال المأمورات واجتناب المنهيات. قوله: ﴿**مِنَ النَّبِيِّينَ**﴾ الخ، بيان للذين والمعنى أن من أطاع الله كان رفيقاً لمن ذكر، وليس ذلك بسفر ولا مشقة، بل يكشف له عمن ذكر ويحادثه مع كون كل درجته لا يصعد هذا لهذا، ولا ينزل هذا لهذا، قال تعالى ﴿إخواناً على سرر متقابلين﴾ فإذا تمنى الشخص مشاهدة النبي ومحادثته، حصل ذلك من غير مشقة ولا انتقال. قوله: **(أفاضل أصحاب الأنبياء)** أي فالصديقية تحت مرتبة النبوة. قوله: ﴿**وَالصَّالِحِينَ**﴾ أي القائمين بحقوق الله وحقوق عباده. قوله: **(غير من ذكر)** أتى به دفعاً للتكرار، لأن جميع من تقدم صالحون.

قوله: ﴿**وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً**﴾ حسن كنعم تستعمل للمدح وفيها معنى التعجب، وأولئك فاعل، ورفيقاً تمييز، والمخصوص بالمدح محذوف تقديره هؤلاء. قوله: **(رفقاء)** أشار بذلك إلى أن رفيقاً فعيل يستوي فيه الواحد وغيره، ويحتمل أنه أفرد نظراً لكل واحد مما ذكر. قوله: **(والحضور معهم)** أي مجالستهم حيثما أحب. قوله: (مبتدأ خبره) ﴿**الفَضْلُ**﴾ ويحتمل أن ﴿**الفَضْلُ**﴾ نعت لاسم الإشارة أو بدل، قوله: ﴿**مِنَ اللَّهِ**﴾ خبره. قوله: **(لا أنهم نالوه بطاعتهم)** أي نالوا الرفق بسبب طاعتهم، ففي الحقيقة دخول الجنة وارتقاء منازلها ومرافقة من ذكر بمحض فضل الله، وإلا فأي طاعة يستحق بها الإنسان شيئاً من ذلك. قوله: **(أي فثقوا)** أي اعتمدوا على ذلك الخبر ولا تشكوا. قوله: **(ولا ينبئك مثل**

أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾ من عدوكم أي احترزوا منه وتيقظوا له ﴿فَٱنفِرُواْ﴾ انهضوا إلى قتاله ﴿ثُبَاتٍ﴾ متفرقين سرية بعد أخرى ﴿أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا﴾ ﴿٧١﴾ مجتمعين ﴿وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ ليتأخرن عن القتال كعبد الله بن أبي المنافق وأصحابه وجعله منهم من حيث الظاهر واللام في الفعل للقسم ﴿فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ﴾ كقتل وهزيمة ﴿قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا﴾ ﴿٧٢﴾ حاضراً فأصاب ﴿وَلَئِنۡ﴾ لام قسم ﴿أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ كفتح وغنيمة ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ نادماً ﴿كَأَن﴾ مخففة واسمها محذوف أي كأنه ﴿لَّمۡ تَكُنۢ﴾ بالياء والتاء ﴿بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ﴾ معرفة وصداقة وهذا راجع إلى قوله قد أنعم الله علي اعترض به بين القول ومقوله وهو ﴿يَٰـ﴾ للتنبيه ﴿لَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا﴾ ﴿٧٣﴾ آخذ حظاً وافراً من الغنيمة قال تعالى ﴿فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لإعلاء دينه ﴿ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ﴾ يبيعون ﴿ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ﴾ يستشهد ﴿أَوۡ يَغۡلِبۡ﴾ يظفر بعدوه ﴿فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ ﴿٧٤﴾ ثواباً

خبير) أي لا يخبرك بأحوال الجنة وغيرها، مثل خبير عالم ببواطن الأشياء كظواهرها الذي هو الله تعالى. قوله: ﴿حِذْرَكُمْ﴾ هو والحذر بفتحتين مصدران بمعنى التحفظ والتيقظ وهو مبالغة، كأنه جعل حفظ النفس آلة تؤخذ، وبعضهم فسّر الحذر بآلة الحرب، وعليه فلا مبالغة في قوله: ﴿خُذُوا﴾.

قوله: ﴿فَانْفِرُوا﴾ فعله نفر ينفر من باب ضرب وقعد، مصدره النفر والنفور والنفير. قوله: ﴿ثُبَاتٍ﴾ جمع ثبة وهي الجماعة من الرجال فوق العشرة إلى المائة، والسرية الجماعة أقلها مائة وغايتها أربعمائة، والمنسر من أربعمائة إلى ثمانمائة، والجيش من ثمانمائة إلى أربعة آلاف، والجحفل ما زاد على ذلك. قوله: (سرية بعد أخرى) أي جماعات بعد جماعات، سرية أو غيرها. قوله: ﴿أَوِ انْفِرُوا جَمِيعاً﴾ هذا التخيير لولاة الأمور بحسب اجتهادهم. قوله: ﴿لِمَنْ﴾ اللام لام ابتداء دخلت على اسم إن لوقوع الخبر فاصلاً. وقوله: (ليتأخرن) أشار بذلك إلى أن بطأ لازم بمعنى قام به البطء وهو التأخر، ويصح أن يكون متعدياً، والمفعول محذوف أي غيره، فالمعنى يكسلن غيره عن القتال. قوله: (من حيث الظاهر) أي وإلا ففي نفس الأمر ليس منهم بل هو عدو لهم. قوله: (وهزيمة) أي لبعض الجيش، وإلا فمن قال إن رسول الله هزم، فقد كفر، وما وقع في أحد وهوازن كان لأطراف الجيش من حيث الغنيمة. قوله: (فأصاب) هو بالنصب بأن مضمرة بعد فاء السببية بعد الأمر.

قوله: ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ﴾ هذه الآية معنى قوله تعالى ﴿إن تصبكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يقولوا قد أخذنا من قبل ويتولوا وهم فرحون﴾ قوله: (بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى التاء الأمر ظاهر، وعلى الياء فالمودة بمعنى الود. قوله: (وهذا راجع) أي قوله كأن لم يكن بينكم وبينه مودة، والمعنى حاله في الفرح بمصيبة المسلمين، كحال من لم يكن بينكم وبينه مودة. قوله: (للتنبيه) أي لدخولها على الحرف، ويحتمل أنها للنداء، والمنادى محذوف أي يا هؤلاء. قوله: ﴿فَأَفُوزَ﴾ منصوب بأن مضمرة في جواب النهي بعد فاء السببية. قوله: ﴿فَلْيُقَاتِلْ﴾ الفاء واقعة في جواب شرط مقدر تقديره إذا ترك المنافقون القتال وتأخروا عنه فليقاتل الخ. قول: (يبيعون) دفع بذلك ما يقال إن القاعدة دخول الباء في الشراء على المتروك، ولا يصح ذلك هنا لأنه يصير ذماً، فأجاب بأن الشراء بمعنى

جزيلاً ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ﴾ استفهام توبيخ أي لا مانع لكم من القتال ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَ﴾ في تخليص ﴿ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ الذين حبسهم الكفار عن الهجرة وآذوهم قال ابن عباس رضي الله عنهما كنت أنا وأمي منهم ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ داعين يا ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ مكة ﴿ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ بالكفر ﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ﴾ من عندك ﴿وَلِيًّا﴾ يتولى أمورنا ﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ ﴿٧٥﴾ يمنعنا منهم وقد استجاب الله دعاءهم فيسر لبعضهم الخروج وبقي بعضهم إلى أن فتحت مكة وولى ﷺ عتاب بن أسيد فأنصف مظلومهم من ظالمهم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾ الشيطان ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أنصار دينه تغلبوهم لقوتكم بالله ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ بالمؤمنين ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ ﴿٧٦﴾ واهياً لا يقاوم كيد الله بالكافرين ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ﴾ عن قتال

البيع نظير﴿وشروه بثمن بخس﴾. قوله: ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ﴾ الخ، من اسم شرط مبتدأ، ويقاتل فعل الشرط، وقوله: ﴿فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ معطوف على ﴿يُقَاتِلْ﴾ عطف مسبب على سبب، وقوله: ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ جواب الشرط وجملة الشرط وجوابه خبر المبتدأ.

قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ الخ، ما اسم استفهام مبتدأ، ولكم جار ومجرور خبره، وجملة ﴿لَا تُقَاتِلُونَ﴾ في محل نصب على الحال، والمعنى أي شيء ثبت لكم حال كونكم غير مقاتلين، وهذا أحسن الأعاريب. قوله: ﴿وَ﴾ (في تخليص) ﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ أشار بذلك إلى أن قوله ﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ معطوف على سبيل الله، لكن على حذف مضاف: وسبب نزولها أنه كان قبل الهجرة لم يشرع الجهاد، فلما هاجر عليه الصلاة والسلام أمر بالجهاد، فتكاسل بعض ضعفاء المؤمنين وجميع المنافقين، فنزلت الآية توبيخاً لهم على ترك القتال، لإعلاء كلمة الله وتخليص المستضعفين. قوله: ﴿وَالْوِالْدَانِ﴾ قيل جمع وليد بمعنى ولد، وقيل جمع ولد أي الصغار. قوله: (الذين حبسهم الكفار) أي بمكة. قوله: (كنت أنا وأمي) أي وأخي الفضل. قوله: ﴿الَّذِينَ﴾ صفة للمستضعفين و ﴿يَقُولُونَ﴾ صلة الذين. قوله: ﴿الظَّالِمِ﴾ نعت القرية و ﴿أَهْلُهَا﴾ فاعل الظالم وذكر النعت وإن كان المنعوت مؤنثاً لأنه نعت سببي رفع اسماً ظاهراً، فذكر نظراً لذلك الاسم الظاهر. قوله: (إلى أن فتحت مكة) أي في السنة الثامنة من الهجرة. قوله: (عتاب بن أسيد) أي وكان عمره ثمانية عشر سنة، فكان ينصر المظلومين من الظالمين، ويأخذ للضعيف من القوي، الدعاء بهذه الآية مستجاب لمن وقع في بلدة كثر ظلم أهلها.

قوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الخ، المقصود من ذلك تحريض المؤمنين على القتال وترغيبهم فيه. قوله: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي في مرضاته لإعلاء دينه. وقوله: ﴿فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ أي في مرضاته. قوله: (تغلبوهم) مجزوم في جواب الأمر. وقوله: (لقوتكم) علة له. قوله: ﴿كَانَ ضَعِيفاً﴾ أي بالنسبة إلى كيد الله تعالى، وأما عظم كيد النساء في آية يوسف، فبالنسبة إلى الرجال فضعف كيد الشيطان لمقابلته بكيد الله، وعظم كيد النساء لمقابلته بكيد الرجال، وإلا فأصل كيد النساء التقدير من الشيطان، وفي الحديث: «النساء حبائل الشيطان». قوله: (واهياً) أي لا ضرر فيه أصلاً، ولذا خذل الشيطان أولياءه لما رأى الملائكة نزلت يوم بدر، وكان النصر لأولياء الله وحزبه.

الكفار لما طلبوه بمكة لأذى الكفار لهم وهم جماعة من الصحابة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ﴾ يخافون ﴿النَّاسَ﴾ الكفار أي عذابهم بالقتل ﴿كَخَشْيَةِ﴾ ـهم عذاب ﴿اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ من خشيتهم له ونصب أشد على الحال وجواب لما دل عليه إذا وما بعدها أي فاجأتهم الخشية ﴿وَقَالُوا﴾ جزعاً من الموت ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا﴾ هلا ﴿أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ﴾ لهم ﴿مَتَاعُ الدُّنْيَا﴾ ما يتمتع به فيها أو الاستمتاع بها ﴿قَلِيلٌ﴾ آيل إلى الفناء ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ أي الجنة ﴿خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ﴾ عقاب الله بترك معصيته ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بالتاء والياء تنقصون من أعمالكم ﴿فَتِيلًا﴾ ﴿٧٧﴾ قدر قشرة النواة فجاهدوا

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ الاستفهام تعجبي، أي تعجب يا محمد من قومك كيف يكرهون القتال مع كونهم قبل ذلك كانوا طالبين له وراغبين فيه. قوله: **(وهم جماعة من الصحابة)** منهم عبد الرحمن بن عوف، والمقداد بن الأسود، وسعد بن أبي وقاص، وقدامة بن مظعون، وجماعة كانوا بمكة يتحملون أذى الكفار كثيراً، والله يأمرهم بالتحمل والكف عن القتال في نيف وسبعين آية، فكانوا يقولون لولا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال، فلما هاجر النبي ﷺ وأمر بالقتال كرهوا ذلك فنزلت الآية، وقوله: **(بمكة)** متعلق بـ **(طلبوه)** وليس ذلك نفاقاً منهم، وإنما كراهتهم ذلك، إما لغلبة الرأفة عليهم أو لمحبتهم المعيشة في طاعة الله، وإلا لذمهم الله على ذلك، ولما نزلت الآية، أقلعوا عما خطر ببالهم، وشمروا عن ساعد الجد والاجتهاد، وجاهدوا في الله حق جهاده.

قوله: ﴿وَإِذَا فَرِيقٌ﴾ قيل إذ ظرف مكان وقيل ظرف زمان وقيل حرف والأولى الأول، وعليه فإذا خبر مقدم، وفريق مبتدأ مؤخر، ومنهم صفة لفريق، وكذلك جملة ﴿يَخْشَوْنَ﴾ ويصح أن تكون حالاً لوجود المسوغ، والتقدير ففي الحضرة فريق كائن منهم خاشون أو خاشين. وقوله: ﴿كَخَشْيَةِ اللَّهِ﴾ مفعول مطلق أي خشية كخشية الله. قوله: **(أي عذابهم بالقتل)** ويحتمل أن المراد بخشيتهم احترامهم القرابة. قوله: **(ونصب أشد على الحال)** أي من خشية الثاني، لأنه نعت نكرة تقدم عليها. قوله: **(دل عليه إذا الخ)** المناسب أن يقول وجواب لما إذا وما بعدها. قوله: **(أي فاجأتهم الخشية)** الأوضح أن يقول فاجأ كتب القتال عليهم الخشية، لأن الخشية فاجأت كتب القتال لا ذواتهم. قوله: **(جزعاً من الموت)** يحتمل أنهم قالوا ذلك لاعتقادهم أن القاتل يقطع المقتول أجله، فأعلمهم الله تعالى أن الأجل محتم، لا يزيد بالبعد عن القتال ولا ينقص به، وليس ذلك نقصاً فيهم. قال تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً﴾ وقال تعالى: ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً﴾ ويحتمل أنهم قالوا ذلك بحسب الطبيعة البشرية، وليس عندهم اعتقاد ذلك. قوله: ﴿قُلْ﴾ **(لهم)** أي ليزدادوا رغبة في دار البقاء، وزهداً في دار الفناء.

قوله: ﴿خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾ أي لأنه لا كدر فيها ولا نصب، ولذلك حين دخولها يقولون: الحمد لله الذي أذهبَ عنَّا الحزن. قوله: **(بترك معصيته)** أي كالشرك وغيره، ومعلوم أن كل من زادت تقواه، كان نعيمه في الآخرة أكبر. قوله: **(بالتاء والياء)** أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى التاء يكون خطاباً لهم، وعلى الياء يكون تحديثاً عنهم، والمعنى بلغهم يا محمد أنهم لا يظلمون فتيلاً. قوله: **(قدر قشرة النواة)** تقدم أنه

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ ﴾ حصون ﴿ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ مرتفعة فلا تخشوا القتال خوف الموت ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ ﴾ أي اليهود ﴿ حَسَنَةٌ ﴾ خصب وسعة ﴿ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ جدب وبلاء كما حصل لهم عند قدوم النبي ﷺ المدينة ﴿ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ ﴾ يا محمد أي بشؤمك ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ كُلٌّ ﴾ من الحسنة والسيئة ﴿ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ من قبله ﴿ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ ﴾ أي لا يقاربون أن يفهموا ﴿ حَدِيثًا ﴾ ﴿٧٨﴾ يلقى إليهم وما استفهام تعجيب من فرط جهلهم ونفي مقاربة الفعل أشد من نفيه ﴿ مَّا أَصَابَكَ ﴾ أيها الإنسان ﴿ مِنْ حَسَنَةٍ ﴾ خير ﴿ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ أتتك فضلاً منه ﴿ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ ﴾ بلية ﴿ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ أتتك حيث ارتكبت ما يستوجبها من الذنوب ﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ ﴾ يا محمد ﴿ لِلنَّاسِ رَسُولًا ﴾ حال مؤكدة ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ ﴿٧٩﴾ على رسالتك ﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ ﴾ أعرض عن

غير مناسب، والمناسب تفسيره بالخيط الذي يكون في باطن نواة.

قوله: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا﴾ هذا تسلية لهم أيضاً وأين اسم شرط جازم، وما صلة، وتكونوا فعل الشرط مجزوم بحذف النون والواو اسمها و ﴿يُدْرِكْكُمْ﴾ جواب الشرط، و ﴿الْمَوْتُ﴾ فاعله، والمعنى أن الموت يدرككم أينما تكونوا في أي زمان أو مكان متى حضر الأجل. قوله: ﴿فِي بُرُوجٍ﴾ جمع برج وهو القلعة والحصن. قوله: **(مرتفعة)** أي عالية البناء، أو المعنى مطلية بالشيد أي الجص قوله: **(أي اليهود)** أي والمنافقين. قوله: **(عند قدوم النبي المدينة)** أي حيث دعاهم إلى الإيمان فكفروا فحصل لهم الجدب، فقالوا هذا شؤمه، والشؤم ضد اليمن والبركة. قوله: ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ أي خلقاً وإيجاداً.

قوله: ﴿فَمَالِ هٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ﴾ الخ، أي أي شيء ثبت لهؤلاء لا يقربون من فهم الحديث والموعظة. قوله: **(وما استفهام تعجيب)** أي وتوبيخ. قوله: **(أيها الإنسان)** أي فهو خطاب عام لكل أحد وقيل الخطاب للنبي والمراد به غيره. قوله: ﴿فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ أي من شؤمك وسوء كسبك فنسبة ذلك إلى النفس مجاز، باعتبار سوء الكسب والشؤم من إسناد الشيء لسببه، وبهذا اندفع التنافي بين هذه الآية وبين قوله تعالى﴿قل كل من عند الله﴾فنسبة الأشياء جميعها إلى الله من حيث الإيجاد، ونسبة الشر إلى العبد، فباعتبار أن سوء كسبه سبب ذلك، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب، ولا الشوكة يشاكها، وحتى انقطاع شسع نعله إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر» وأما حديث «أشدكم بلاء الأنبياء الخ» فمعناه أن الله امتحنهم بالبلايا، وألقى عليهم الصبر والمحبة، فشاهدوا إعطاء الله في تلك البلايا، فصارت البلايا عطايا، فتحصل أن البلاء إما أن يكون من شؤم الذنب، وذلك للعصاة الذين لم يتلقوه بالرضا والتسليم، وإما أن يكون اختباراً أو امتحاناً، وذلك للأنبياء والصالحين ليرقيهم به أعلى الدرجات، ولذلك قال العارف الجيلي:

تَلَذُّ لِي الآلَامُ مُذْ أَنْتَ مُسْقِمِي وَإِنْ تَمْتَحِنِّي فَهِيَ عِنْدِي صَنَائِعِ

قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً﴾ والمعنى حيث ثبتت رسالته بشهادة الله، اتضح من ذلك أن من

طاعته فلا يهمنك ﴿ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ ﴿٨٠﴾ حافظاً لأعمالهم بل نذيراً وإلينا أمرهم فنجازيهم وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ أي المنافقين إذا جاؤوك أمرنا ﴿ طَاعَةٌ ﴾ لك ﴿ فَإِذَا بَرَزُواْ ﴾ خرجوا ﴿ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ ﴾ بإدغام التاء في الطائفة وتركه أي أضمرت ﴿ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ﴾ لك في حضورك من الطاعة إلى عصيانك ﴿ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ ﴾ يأمر بكتب ﴿ مَا يُبَيِّتُونَ ﴾ في صحائفهم ليجازوا عليه ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ بالصفح ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ ثق به فإنه كافيك ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ ﴿٨١﴾ مفوضاً إليه ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ﴾ يتأملون ﴿ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ وما فيه من المعاني البديعة ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ ﴿٨٢﴾ تناقضاً في معانيه وتبايناً في نظمه ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ ﴾ عن سرايا النبي ﷺ بما حصل لهم ﴿ مِّنَ ٱلْأَمْنِ ﴾ بالنصر ﴿ أَوِ ٱلْخَوْفِ ﴾

أطاعه أطاع الله. قوله: **(فلا يهمنك)** بضم الياء من أهم، أو بفتحها من هم، ومعناه لا يحزنك إعراضهم وقدره المفسر إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف، وقوله: **﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾** الخ علة للجواب المحذوف. قوله: **(بل نذيراً)** اقتصر عليه لأنه في سياق من أعرض، ولا يناسبه إلا الإنذار، وإلا فرسول الله بعث بشيراً ونذيراً. قوله: **(أمرنا)** **﴿طَاعَةٌ﴾** أشار بذلك إلى أن طاعة خبر مبتدأ محذوف واجب الحذف، لأن الخبر مصدر بدل من لفظ الفعل، فهو نائب عن أطعنا، ويصح أن يكون مبتدأ والخبر محذوف أي منا طاعة. قوله: **(بإدغام التاء في الطائفة)** أي بعد قلبها طاء. وقوله: **(وتركه)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(أي أضمرت)** المعنى أظهرت ما أضمرته! وإلا فالإضمار كان واقعاً منهم قبل الخروج من عند النبي ﷺ. قوله: **(من الطاعة)** بيان الذي تقول. قوله **(إلى عصيانك)** تفسير لقوله: **﴿غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾**. قوله: **(ليجازوا عليه)** أي في العاجل والآجل.

قوله: **﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾** أي لا تقتلهم ولا تفضحهم، وهذا قبل الأمر بقتلهم وإخراجهم. قوله: **(ثق به)** أي اعتمد عليه. قوله: **﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾** الهمزة داخلة على محذوف تقديره أيعرضون عنك فلا يتدبرون، وهو استقباح لحالهم وتشنيع عليهم، والتدبر في الأصل النظر في عواقب الأمور، لتقع على الوجه الأكمل، والمراد هنا مطلق التأمل والتفكر. قوله: **(تناقضاً في معانيه)** أي بأن يكون بعض إخباره غير مطابق لبعض. وقوله: **(وتبايناً في نظمه)** أي بأن يكون بعضه فصيحاً بليغاً، وبعضه ليس كذلك، فلما كان جميعه على منوال واحد، ليس بعضه مناقضاً لبعض، بل إخباره كلها متوافقة، وهو فصيح بليغ ليس فيه ما ينافي ذلك ثبت أنه عند الله لأن هذا الأمر لا يقدر عليه غيره، ولو ثبت فرضاً أنه من عند غير الله، لوجدوا فيه اختلافاً في المعنى أو اللفظ. إن قلت إن قوله كثيراً ربما يوهم أن فيه اختلافاً قليلاً، أجيب: أن بالتقييد بالكثرة للمبالغة، والمعنى أن القرآن ليس فيه اختلاف أصلاً، فلو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً فضلاً عن القليل فهو من عند الله، فلم يكن فيه اختلاف أصلاً لا كثير ولا قليل.

قوله: **﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ﴾** الخ، سبب نزولها أن رسول الله ﷺ كان يبعث البعوث والسرايا، فإذا غلبوا الكفار أو غلبوهم بادر المنافقون للاستخبار عن حالهم، ثم يتحدثون بذلك ويشيعونه قبل أن يسمعوه من رسول الله ﷺ أو كبار أصحابه، وقصدهم بذلك افتتان ضعفاء المؤمنين.

بالهزيمة ﴿أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾ أفشوه نزل في جماعة من المنافقين أو في ضعفاء المؤمنين كانوا يفعلون ذلك فتضعف قلوب المؤمنين ويتأذى النبي ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ أي الخبر ﴿إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ أي ذوي الرأي من أكابر الصحابة أي لو سكتوا عنه حتى يخبروا به ﴿لَعَلِمَهُ﴾ هل هو مما ينبغي أن يذاع أو لا ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ﴾ يتتبعونه ويطلبون علمه وهم المذيعون ﴿مِنْهُمْ﴾ من الرسول وأولي الأمر ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾ لكم بالقرآن ﴿لَاتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ فيما يأمركم به من الفواحش ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿فَقَٰتِلْ﴾ يا محمد ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ فلا

قوله: ﴿مِنَ الأَمْنِ﴾ الخ، بيان الأمر. قوله: (من المنافقين) أي وقصدهم بذلك فتنة الضعفاء وقوله: (أو ضعفاء المؤمنين) أي جهلاً منهم بذلك وهما قولان والراجح الأول. قوله: (فتضعف قلوب المؤمنين) هذا ظاهر بالنسبة للهزيمة، وأما إشاعة النصر فالضعف فيه من حيث إن هذا الخبر بما وصل الكفار فيتجهزون ويعيدون الحرب ثانياً، ففيه فتنة للضعفاء على كل حال. قوله: (من أكابر الصحابة) أي كأبي بكر وعمر ونظائرهما. قوله: (حتى يخبروا به) بالبناء للمفعول، أي حتى يخبرهم النبي به. قوله: (هل هو مما ينبغي الخ) أي لعلموا صفته وكيفيته، وإلا فهم عالمون به قبل ذلك. قوله: (وهم المذيعون) أي المنافقون أو ضعفاء المؤمنين، وهو تفسير للذين يستنبطونه، وهو إظهار في محل الإضمار أي لعلموه. وقوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ من ابتدائية، والجار والمجرور متعلق بيستنبطون، والمعنى يتلقونه من جهة الرسول أو كبار الصحابة. قوله: (بالإسلام) أي بسبب إرسال محمد ﷺ.

قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلاً﴾ اعلم أن في هذا استثناء ستة أوجه: أحدها أنه مستثنى من فاعل اتبعتم، والمعنى لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً منكم فإنه لم يتبعه، كقس بن ساعدة وعمرو بن نفيل وورقة بن نوفل ممن كان على دين عيسى قبل بعثة محمد، والمراد بالفضل والرحمة المنتفيين على هذا بعثة محمد والقرآن ثانيها أنه مستثنى من فاعل أتبعتم أيضاً، لكنه واقع على من لم يبلغ التكليف، ويكون الاستثناء منقطعاً. ثالثها أنه مستثنى من فاعل أذاعوا، والمعنى أظهر وأخبر الأمن أو الخوف إلا قليلاً فلم يظهروا. رابعها أنه مستثنى من فاعل علمه، أي علمه الذين يستنبطونه إلا قليلاً فلم يعلموا. خامسها أنه مستثنى من فاعل وجدوا أي إلا قليلاً، فلم يجدوا فيه اختلافاً كثيراً لبلادتهم وعدم معرفتهم. سادسها أن قوله لاتبعتم خطاب لجميع الناس عموماً، والمراد بالقليل أمة محمد ﷺ، وأحسن هذه الأوجه أولها، وهو المأخوذ من سياق المفسر، وأبعدها الأخير تأمل.

قوله: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الفاء واقعة في جواب شرط مقدر تقديره إذا تكاسلوا عن القتال فقاتل الخ، فإنك منصور على كل حال، ولو اجتمعت عليك أهل الأرض جميعاً. قوله: ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ هذه الجملة حال من فاعل قاتل، والمعنى قاتل في سبيل الله ولا تنظر لكسلهم حال كونك غير مكلف إلا نفسك، فلا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم عن القتال، وقد كان رسول الله ﷺ في شدة الحرب لا يتغير وجهه أبداً، بل كان يتبسم إذ ذاك ولا يكترث بملاقاة الأعداء، قال البوصيري:

مُسْفِرٌ يَلْتَقِي الكَتِيبَةَ بِسَا ... مَا إذَا أَسْهَمَ الوُجُوه اللِّقَاء

تهتم بتخلفهم عنك المعنى قاتل ولو وحدك فإنك موعود بالنصر ﴿وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ حثهم على القتال ورغبهم فيه ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ﴾ حرب ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾ منهم ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ تعذيباً منهم فقال ﷺ والذي نفسي بيده لأخرجن ولو وحدي فخرج بسبعين راكباً إلى بدر الصغرى فكف الله بأس الكفار بإلقاء الرعب في قلوبهم ومنع أبي سفيان عن الخروج كما تقدم في آل عمران ﴿مَّن يَشْفَعْ﴾ بين الناس ﴿شَفَٰعَةً حَسَنَةً﴾ موافقة للشرع ﴿يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ﴾ من الأجر ﴿مِّنْهَا﴾ بسببها ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً﴾ مخالفة له ﴿يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ﴾ نصيب من الوزر

قوله: (المعنى قاتل ولو وحدك) أي فكان من خصائصه ﷺ أنه إذا هم بالحرب لا يرجع حتى يحكم الله بينه وبين عدوه. قوله: ﴿وَحرِّض المُؤْمِنِينَ﴾ أي بالآيات الواردة في فضل الجهاد، فإن تخلفوا بعد ذلك فلا يضرونك، وإنما وبالهم على أنفسهم. قول: ﴿عَسَى اللَّهُ﴾ الخ، هذا وعد من الله بكفهم، وهو وإن ورد بصيغة الترجي، فهو في المعنى محقق لتعلق قدرته وإرادته بذلك، ويستحيل تخلف ما تعلقا به، لأنه يصير عاجزاً، فلا فرق في تحقق وعد الله بين أن يرد بصيغة الترجي أو غيره. قوله: ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً﴾ أي قوة وسطوة. قوله: ﴿تَنْكِيلاً﴾ من النكل، وهو في الأصل القيد ثم أطلق على العذاب. قوله: (والذي نفسي بيده) إنما أقسم بذلك لأنه دائماً في حضرة ربه. وقوله: (بيده) أي قدرته، وكان عليه الصلاة والسلام كثيراً ما يحلف بذلك. قوله: (فخرج بسبعين راكباً) أي في السنة الرابعة لأن أحداً كانت في الثالثة، فلما انصرف منها أبو سفيان نادى بأعلى صوته يا محمد موعدك العام القابل في بدر، فقال عليه الصلاة والسلام: إن شاء الله تعالى، فلما جاء العام القابل طلب المؤمنين للخروج، فتقاعد المنافقون وتبعهم بعض ضعفاء المؤمنين بسبب تثبيط نعيم بن مسعود الأشجعي لهم، قال تعالى حكاية عنه: ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم الآيات﴾ وقوله: (بسبعين راكباً) تبع في ذلك بعض السير وهو ضعيف، والراجح أنه خرج معه ألف وخمسمائة من أصحابه وعشرة أفراس، واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة، فأقاموا على بدر ينتظرون أبا سفيان، فألقى الله في قلوب الأعداء الرعب، ولم ينتقلوا من محل يسمى الآن بوادي فاطمة فاجتمعت قبائل العرب من كل جهة لإقامة السوق في بدر، فصارت الصحابة يتجرون إلى أن ربحوا ربحاً عظيماً، فمكثوا في بدر ثمانية أيام، فلم تأتِ الكفار ولم يحصل بينهم حرب أصلاً، قال تعالى: ﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء﴾ وتقدم بسط القصة في آل عمران. قوله: (ومنع أبي سفيان) معطوف على الفاء فهو مصدر.

قوله: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً﴾ هذه الجملة أفادت أن تحريض النبي للمؤمنين على القتال شفاعة حسنة، فله حظ وافر في نظير ذلك، والشفاعة هي سؤال الخير للغير، ويندرج في ذلك الدعاء للمسلم بظهر الغيب، فقد ورد «من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك» وفي الحديث أيضاً «أدعوني بألسنة ما عصيتموني بها» قال العلماء هو الدعاء للغير. قوله: ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً﴾ إنما أطلق عليها شفاعة مشاكلة، لأن حقيقة الشفاعة لا تكون إلا في الخير، قال بعضهم هي النميمة، وهي نقل الكلام لإيقاع العداوة بين الناس، وقيل هي السعي بالفساد مطلقاً. قوله: (نصيب)

﴿ مِّنْهَا ﴾ بسببها ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴾ ﴿٨٥﴾ مقتدراً فيجازي كل أحد بما عمله ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ ﴾ كأن قيل لكم سلام عليكم ﴿فَحَيُّوا﴾ المحيي ﴿ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ ﴾ بأن تقولوا له عليك

أشار بذلك إلى أن الكفل مرادف للنصيب وإنما غاير تفننا. قوله: ﴿مُقِيتاً﴾ هو في الأصل معناه الموصل لكل أحد قوته، ومعلوم أن هذا لا يكون إلا من المقتدر أطلق وأريد منه المقتدر بمعنى القادر الذي لا يعجزه شيء. قوله: **(بما عمله)** أي من خير أو شر.

قوله: ﴿وَإِذَا حُيِّيْتُمْ بِتَحِيَّةٍ﴾ هذا من جملة أفراد الشفاعة الحسنة، وفيه تعليم محاسن الأخلاق، وهو أنه ينبغي للإنسان أن يجازي على المعروف بأحسن منه أو بمثله، والتحية في الأصل الدعاء بطول الحياة، وكانت العرب إذا لقي بعضهم بعضاً يقول له حياك الله، ثم استعملت في الإسلام وإنما اختير لفظ السلام على لفظها الأصلي لأنه أتم وأنفع، لأن السلام معناه السلامة من الآفات الدنيوية والأخروية، ورحمة الله إنعامه وإحسانه وبركاته حفظه من الزوال، وأما طول الحياة فلا يلزم منه السلامة، من الآفات، بل قد يكون طول الحياة مذموماً كما إذا كان في المعاصي، فكان السلام بهذا المعنى أتم وأكمل، وأصل تحية تحيية كتزكية، نقلت حركة الياء الأولى إلى ما قبلها ثم أدغمت فيها بعدها. قوله: **(كأن قيل لكم سلام عليكم)** أي بهذا اللفظ وما شابهه، كالسلام عليكم، أو سلامي عليكم، أو سلام الله عليكم والأولى أن يأتي بميم الجمع، ولو كان المسلم عليه واحداً أو مثنى أو جمع نسوة نظراً للملائكة المصاحبين للمسلم عليه، فإذا سلم بغير هذا اللفظ كأمان الله عليكم أو غير ذلك، فلا يجب عليه الرد، ومن المطلوب المصافحة، لما ورد أنها تذهب الغل من القلوب، وأما تقبيل اليد فهو مكروه إلا لمن ترجى بركته كشيخ أو والد، وأما المعانقة فمكروهة إلا لشوق، كقدوم من سفر ونحوه. واعلم أن ابتداء السلام سنة، ورده فرض كفاية، ولكن الابتداء أفضل من الرد، لما ورد «أن للبادىء تسعين حسنة، وللراد عشرة» ومثله الوضوء قبل الوقت فإنه مندوب، لكنه أفضل من الوضوء بعده الواجب، وإبراء المعسر مندوب، وهو أفضل من أنظاره الواجب. وجمع ذلك بعضهم في قوله:

الْفَرْضُ أَفْضَلُ مِنْ تَطَوّعِ عَابِدٍ ... حَتَّى وَلَوْ قَدْ جَاءَ مِنْهُ بِأَكْثَرِ
إِلَّا التَّطَهُّرِ قَبْلَ وَقْتٍ وَابْتِداء ... لِلْسَّلَامِ كَذَاكَ إِبرا المعْسر

وقد تقدم في آخر البقرة. قوله: ﴿فَحَيُّوا﴾ أصله حييوا، استثقلت الضمة على الياء فحذفت الضمة فالتقى ساكنان الياء والواو، فحذفت الياء وضم ما قبل الواو. قوله: **(بأن تقولوا عليك السلام ورحمة الله وبركاته)** أي فإذا اقتصر البادىء على السلام وزاد الراد الرحمة والبركة، روي أن رجلاً، قال لرسول الله ﷺ: السلام عليك، فقال: وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر: السلام عليك ورحمة الله، فقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. وقال آخر: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، فقال الرجل: نقصتني الفضل على سلامي، فأين ما قال الله؟ فقال ﷺ: لم تترك لي فضلاً فرددت عليك مثله، ولا يزاد على البركة شيء لا من البادي ولا من الراد، لما ورد أن رجلاً سلم على ابن عباس فقال له السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم زاد شيئاً، فقال ابن عباس إن السلام انتهى إلى البركة.

السلام ورحمة الله وبركاته ﴿أَوۡ رُدُّوهَآۗ﴾ بأن تقولوا له كما قال أي الواجب أحدهما والأول أفضل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ محاسباً فيجازي عليه ومنه رد السلام وخصت السنة الكافر والمبتدع والفاسق والمسلم على قاضي الحاجة ومن في الحمام والآكل فلا يجب الرد عليهم بل يكره في غير الأخير ويقال للكافر وعليك ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾ والله ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾ من قبوركم ﴿إِلَىٰ﴾ في ﴿يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ﴾ شك ﴿فِيهِۗ وَمَنۡ﴾ أي لا أحد ﴿أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾﴾ قولاً ولما رجع ناس من أحد اختلف الناس فيهم فقال فريق اقتلهم وقال فريق لا فنزل ﴿فَمَا لَكُمۡ﴾ أي ما شأنكم صرتم ﴿فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ﴾ فرقتين ﴿وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم﴾ ردهم ﴿بِمَا كَسَبُوٓاْۚ﴾

قوله: ﴿**أَوْ رُدُّوهَا**﴾ أي ردوا مثلها على حد واسأل القرية لأن رد عينها محال. قوله: **(والمبتدع)** أي صاحب البدعة التي تخالف الشرع. قوله: **(والفاسق)** أي بالجارحة المتجاهر. قوله: **(على قاضي الحاجة)** أي ومن في حكمه كمن في محل مستقذر، أو في حال الاستنجاء. قوله: **(ومن في الحمام)** أي في محل الحرارة لا خارجه في محل نزع الثياب. قوله: **(والآكل)** أي بالفعل بأن كان فمه مشغولاً بالمضغ لا وقت خلوه منه فيجب الرد. قوله: **(بل يكره في غير الأخير)** أي الآكل بالفعل. قوله: **(ويقال للكافر وعليك)** أي لأنه يقول في سلامه السام عليك، والسام الموت، فيرد عليه بقوله وعليك، ومحل ذلك ما لم يتحقق منه النطق بالسلام بلفظه وإلا فيرد.

قوله: ﴿**اللَّهُ**﴾ مبتدأ، ﴿**وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**﴾ خبر أول، ﴿**وَلَيَجْمَعَنَّكُمْ**﴾ خبر ثان، ورد بالخبر الأول على منكري التوحيد، وبالثاني على منكري البعث. قوله: **(والله)** أشار بذلك إلى أن اللام في ﴿**لَيَجْمَعَنَّكُمْ**﴾ موطئة لقسم محذوف. قوله: ﴿**لَيَجْمَعَنَّكُمْ**﴾ أي يحشركم بعد تفرقكم، قال تعالى: ﴿وهو على جمعهم إذا يشاء قدير﴾. قوله: ﴿**إِلَى**﴾ **(في)** أشار بذلك إلى أن ﴿**إِلَى**﴾ مضمنة معنى **(في)** ويصح بقاؤها على أصلها، ويضمن الفعل معنى يحشر، وهو الأقرب، لأن التجوز في الفعل أكثر من التجوز في الحرف. قوله: ﴿**لَا رَيْبَ فِيهِ**﴾ أي لا تردد ولا تحير في ذلك اليوم. قوله: **(أي لا أحد)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: ﴿**حَدِيثاً**﴾ تمييز. قوله: **(ولما رجع ناس)** هذا إشارة لسبب نزول الآية، والمراد بالناس عبد الله بن أبي وأصحابه الثلثمائة وكانوا منافقين. قوله: **(اختلف الناس)** أي الصحابة، وقوله: **(اقتلهم)** أي للأمارة الدالة على كفرهم، وقوله: **(وقال فريق لا)** أي لنطقهم بالشهادتين، واللوم في الحقيقة راجع على الفريق الثاني القائل لا تقتلهم.

قوله: ﴿**فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ**﴾ ما مبتدأ ولكم جار ومجرور خبر، وفي المنافقين متعلق بما تعلق به الخبر، أو متعلق بمحذوف حال من فئتين، لأنه نعت نكرة تقدم عليها، أو متعلق بفئتين لتأوله بمشتق أي مفترقين، وقوله: ﴿**فِئَتَيْنِ**﴾ خبر لصار المحذوفة كما قدره المفسر. قوله: ﴿**وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ**﴾ الركس في الأصل النكس، وهو قلب الشيء على رأسه، فمعناه على هذا ردهم من حالة العلو وهو عز الإسلام، إلى السفل وهو ذل الكفر بالسبي والقتل. قوله: **(ردهم)** أي عن القتال ومنعهم منه، ولم يجر على أيديهم خير بسبب كسبهم، لما في الحديث «إن العبد ليحرم الخير بالذنب يصيبه» وفي نسخة بددهم أي فرق شملهم

من الكفر والمعاصي ﴿ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ﴾ ـه ﴿ ٱللَّهُ ﴾ أي تعدوهم من جملة المهتدين والاستفهام في الموضعين للإنكار ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ﴾ ـه ﴿ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ ﴿٨٨﴾ طريقاً إلى الهدى ﴿ وَدُّواْ ﴾ تمنوا ﴿ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ ﴾ أنتم وهم ﴿ سَوَآءً ﴾ في الكفر ﴿ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ توالونهم وإن أظهروا الإيمان ﴿ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ هجرة صحيحة تحقق إيمانهم ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ وأقاموا على ما هم عليه ﴿ فَخُذُوهُمْ ﴾ بالأسر ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا ﴾ توالونه ﴿ وَلَا نَصِيرًا ﴾ ﴿٨٩﴾ تنصرون به على عدوكم ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ ﴾ يلجؤون ﴿ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ﴾ عهد بالأمان لهم ولمن وصل اليهم كما عاهد النبي ﷺ هلال بن عويمر الأسلمي ﴿ أَوْ ﴾ الذين ﴿ جَآءُوكُمْ ﴾ ﴿ وَقَدْ حَصِرَتْ ﴾ ضاقت ﴿ صُدُورُهُمْ ﴾ عن ﴿ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ ﴾ مع قومهم ﴿ أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْ ﴾ معكم أي ممسكين عن قتالكم وقتالهم فلا

وجمعهم. قوله: **(من الكفر الخ)** بيان لما كسبوا، وقوله: **(والمعاصي)** عطف عام على خاص. قوله: **(للإنكار)** أي مع التوبيخ، والمعنى لا تفترقوا في قتلهم، أو لا تجعلوهم من المهتدين، ولا تعدوهم منهم، وهذا إشارة لليأس من هداهم، فلم يهتدوا بعد ذلك أبداً. قوله: ﴿**كَمَا كَفَرُوا**﴾ نعت لمحذوف، والتقدير ودوا لو تكفرون كفراً مثل كفرهم. قوله: ﴿**فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ**﴾ مفرع على قوله: ﴿**وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ**﴾ والجمع باعتبار الأفراد.

قوله: ﴿**حَتَّى يُهَاجِرُوا**﴾ غاية في عدم اتخاذ الأولياء منهم، والمعنى امتنعوا من اتخاذ الأولياء منهم إلى أن تقع منهم الهجرة، بمعنى الجهاد في سبيل الله مخلصين له الدين. واعلم أن الهجرة ثلاثة أقسام: هجرة للمؤمنين في أول الإسلام وهي قوله تعالى للفقراء المهاجرين، وهجرة المنافقين وهي خروجهم للقتال مع رسول الله صابرين محتسبين لا لأغراض الدنيا وهي المرادة هنا، وهجرة عن جميع المعاصي وهي التي قال فيها عليه الصلاة والسلام: «المهاجر من هجر ما نهى الله عنه»، قوله: ﴿**فَإِنْ تَوَلَّوْا**﴾ أي أعرضوا عن عما أمرتهم به، وقوله: **(وأقاموا على ما هم عليه)** دفع به ما يتوهم من قوله: ﴿**تَوَلَّوْا**﴾ أنه كان حصل منهم إقبال ثم أعرضوا، فأجاب بأن المراد أقاموا وداموا على ما هم. قوله: ﴿**حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ**﴾ أي في حل أو في حرم لأنهم من جملة الكفار، فيفعل بهم ما فعل بسائر الكفار.

قوله: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ**﴾ هذا استثناء من الأخذ والقتل فقط، ولا يرجع للموالاة فإنها لا تجوز مطلقاً. قوله: ﴿**إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ**﴾ أي وهم الأسلميون، فكان رسول الله ﷺ وقت خروجه إلى مكة، قد وقع بينه وبين هلال بن عويمر الأسلمي عهد، أن لا يعين على النبي ولا يعينه، وعلى أن من لجأ إليه لا يتعرض له، وكذلك بنو بكر بن زيد وخزاعة.

قوله: ﴿**أَوْ جَاؤُكُمْ**﴾ معطوف على ﴿**يَصِلُونَ**﴾ كما قدر الموصول المفسر، فالمستثنى فريقان: فريق التجؤوا للمعاهدين، وفريق ترك قتالنا مع قومه، وقتال قومه معنا. قوله: ﴿**وَقَدْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ**﴾ أي وهم بنو مدلج جاؤوا لرسول الله غير مقاتلين. قوله: **(وهذا)** أي قوله: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ**﴾ وقوله:

تتعرضوا إليهم بأخذ ولا قتل وهذا وما بعده منسوخ بآية السيف ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ تسليطهم عليكم ﴿لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ بأن يقوي قلوبهم ﴿فَلَقَٰتَلُوكُمْ﴾ ولكنه لم يشأه فألقى في قلوبهم الرعب ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ الصلح أي انقادوا ﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ ﴿٩٠﴾ طريقاً بالأخذ والقتل ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ﴾ بإظهار الإيمان عندكم ﴿وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ﴾ بالكفر إذا رجعوا إليهم وهم أسد وغطفان ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ﴾ عدا إلى الشرك ﴿أُرْكِسُوا۟ فِيهَا﴾ وقعوا أشد وقوع ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ﴾ بترك قتالكم ﴿وَ﴾ لم ﴿يُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَ﴾ لم ﴿يَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ﴾ عنكم ﴿فَخُذُوهُمْ﴾ بالأسر ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ ﴿٩١﴾ برهاناً بيناً ظاهراً على قتلهم وسبيهم لغدرهم ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ أي ما ينبغي أن يصدر منه قتل له ﴿إِلَّا خَطَـًٔا﴾ مخطئاً في قتله من غير قصد ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا﴾ بأن قصد رمي غيره كصيد أو شجرة فأصابه أو ضربه بما لا يقتل غالباً

﴿أَوْ جَاؤُكُمْ﴾ وقوله: (**وما بعده**) أي وهو قوله: ﴿فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ﴾ الخ. قوله: (**منسوخ بآية السيف**) أي التي نزلت في براءة وهي قوله تعالى: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ الآيات فصار بعد نزول آية السيف لا يقبل منهم عهد أبداً، إلى أن انتشر الإسلام، فخصصت آية السيف بالجزية والعهود. قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ الخ، هذا تسلية للمؤمنين وتذكير لنعم الله عليهم. قوله: ﴿لَسَلَّطَهُمْ﴾ هذا تمهيد لجواب ﴿لَوْ﴾ وجوابها. قوله: ﴿فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾ قوله: (**ولكنه لم يشأه الخ**) أشار بهذا الاستدراك إلى تتميم القياس، لأنه ذكر المقدم بقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ والتالي بقوله: ﴿لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ فذكر المفسر نقيض المقدم بقوله لكن، والنتيجة بقوله: (**فألقى في قلوبهم الرعب**).

قوله: ﴿فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ﴾ أي بوجه من الوجوه المتقدمة، وهي التجاؤهم إلى من بيننا وبينه عهد، وهي التجاؤهم، أو تركهم القتال معنا ومع قومهم. قوله: (**أي انقادوا**) للصلح والأمان ورضوا به. قوله: ﴿آخَرِينَ﴾ أي قوماً آخرين من المنافقين، وسيأتي أنهم أسد وغطفان، كانوا حول المدينة فأسلموا ظاهراً ليأمنوا من القتل والأسر، وكانوا إذا خلوا بالكفار يقولون آمنا بالقرد والعقرب والخنفساء، وإذا لقوا النبي وأصحابه يقولون إنا على دينكم ليأمنوا من الفريقين. قوله: (**وقعوا أشد وقوع**) أي رجعوا إلى الشرك أعظم رجوع. قوله: (**لغدرهم**) أي خيانتهم.

قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾ أي لا يسوغ ولا يصلح لمتصف بالإيمان أن يقتل أخاه في الإيمان، والمعنى يبعد كل البعد، لأن شأن الإيمان الرأفة والرحمة بالإخوان، قال تعالى مدحاً في أصحاب رسول الله (أشداء على الكفار رحماء بينهم). قوله: ﴿إِلَّا خَطَأً﴾ الاستثناء منقطع لأن ما قبله محمول على العمد، والمعنى لكن قد يقع خطأ، ويصح أن يقع متصلاً، والمعنى لا ينبغي أن يقع القتل من المؤمن للمؤمن في حال من الأحوال إلا في حالة الخطأ. قوله: (**مخطئاً**) أشار بذلك إلى أن خطأ حال، إلا أنه مؤول باسم الفاعل. قوله: (**من غير قصد**) أي للضرب من أصله، أو ضرب من يجوز له ضربه فصادف غيره.

قوله: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً﴾ الخ، حاصل ما ذكره في الخطأ ثلاثة أقسام: لأن المقتول إما مؤمن

﴿فَتَحْرِيرُ﴾ عتق ﴿رَقَبَةٍ﴾ نسمة ﴿مُّؤْمِنَةٍ﴾ عليه ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ﴾ مؤداة إلى أهله أي ورثة المقتول ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ﴾ يتصدقوا عليه بها بأن يعفوا عنها وبينت السنة أنها مائة من الإبل عشرون بنت مخاض وكذا بنات لبون وبنو لبون وحقاق وجذاع وأنها على عاقلة القاتل وهم عصبته إلا الأصل والفرع موزعة عليهم على ثلاث سنين على الغني منهم نصف دينار والمتوسط ربع كل سنة فإن لم يفوا فمن بيت المال فإن تعذر فعلى الجاني ﴿فَإِن كَانَ﴾ المقتول ﴿مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ﴾ حرب ﴿لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ على قاتله كفارة ولا دية تسلم إلى أهله لحرابتهم ﴿وَإِن كَانَ﴾ المقتول ﴿مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ عهد كأهل الذمة ﴿فَدِيَةٌ﴾ له ﴿مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ وهي ثلث دية المؤمن إن كان يهودياً أو نصرانياً وثلثا عشرها إن كان مجوسياً ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾

ورثته وورثته مسلمون، أو مؤمن وورثته حربيون، أو معاهد، فالأول فيه الدية والكفارة وكذا الثالث، وأما الثاني ففيه الكفارة فقط، ومن إما إسم موصول مبتدأ وقتل صلتها، وقوله: ﴿فَتَحْرِيرُ﴾ خبره وقرن بالفاء لشبهه بالشرط، وإما إسم الشرط وقتل فعله، وقوله فتحرير جوابه والجملة خبره من حيث كونه مبتدأ. قوله: **(عليه)** أشار بذلك إلى أن قوله فتحرير مبتدأ خبره محذوف، ويصح أن يكون خبر المحذوف، والتقدير فالواجب عليه تحرير الخ، أو فاعل بفعل محذوف أي فيجب عليه تحرير.

قوله: ﴿وَدِيَةٌ﴾ معطوف على تحرير، والدية مصدر في الأصل أطلقت على المال المأخوذ في نظير القتل، وهو والمراد هنا، ولذا وصفها بمسلمة، وأصلها ودي حذفت الواو وعوض عنها تاء التأنيث. قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا﴾ أصله يتصدقوا قلبت التاء صاداً وأدغمت في الصاد هو حال من أهله، والمعنى إلا متصدقين. قوله: **(بأن يعفو)** أي أهله وسمي العفو عنها صدقة تنبيهاً على فضله، لأن كل معروف صدقة. قوله: **(أنها مائة من الإبل)** هذا مخصوص بأهل الإبل، وأما على أهل الذهب فألف دينار، وعلى أهل الورق اثنا عشر ألف درهم. قوله: **(بنت مخاض)** أي وهي ما أوفت سنة ودخلت في الثانية. قوله: **(وكذا بنات لبون)** أي وابن اللبون ما أوفى سنتين ودخل في الثالثة. قوله: **(وحقاق)** الحقة ما أوفت ثلاث سنين ودخلت في الرابعة، وقوله: **(وجذاع)** الجذعة ما أوفت أربع سنين ودخلت في الخامسة. قوله: **(وأنها على عاقلة القاتل)** أي وهو إن كان غنياً كواحد منهم عند مالك، وعند الشافعي ليس عليه شيء منها، وهذه دية الخطأ، وأما دية العمد فمغلظة من أربعة أنواع: بإسقاط ابن اللبون من كل نوع خمس وعشرون عند مالك، إلا إذا قتل الأب ابنه عمداً غير قاصد إزهاق روحه بأن لم يذبحه، فعليه ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفة، والخلفة: الناقة الحامل، والتغليظ عند الشافعي يكون بتلك الأنواع الثلاثة لا غير. قوله: **(إلا الأصل والفرع)** هذا مذهب الشافعي، وأما عند مالك فلا فرق بين الأصل والفرع وغيرهما، في أن كلاً منهما يدفع كغيره. قوله: **(على الغني منهم نصف دينار)** يؤخذ منه أن العاقلة غير محدودة بعدد، وهو مذهب الشافعي، وعند مالك تفرض الدية على ما زاد على ألف من أقاربه، وقيل على سبعمائة. قوله: ﴿فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ﴾ أي بأن جاء من بلاد الكفر وأسلم عندنا ثم قتل خطأ. قوله: **(حرب)** بكسر الحاء أي محارب. قوله: ﴿فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ﴾ الخ، أي بأن كان يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً. قوله: **(وهي ثلث دية المؤمن)** هذا مذهب الإمام الشافعي، وأما عند مالك فهو على

على قاتله ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ الرقبة بأن فقدها وما يحصلها به ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ عليه كفارة ولم يذكر الله تعالى الانتقال إلى الطعام كالظهار وبه أخذ الشافعي في أصح قوليه ﴿تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ مصدر منصوب بفعله المقدر ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ ﴿٩٢﴾ فيما دبره لهم ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ بأن يقصد قتله بما يقتل غالباً عالماً بإيمانه ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ أبعده من رحمته ﴿وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ ﴿٩٣﴾ في النار وهذا مؤول

النصف من الحر المسلم، كأنثى الحر المسلم. قوله: **(وثلثا عشرها إن كان مجوسياً)** هذا باتفاق بين مالك والشافعي، وأنثاه على النصف منه. قوله: **(الرقبة)** قدره إشارة إلى أن مفعول يجد محذوف. قوله: **﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾** يقال فيه من الإعراب ما قيل في **﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾**. قوله: **(وبه أخذ الشافعي)** أي ومالك. قوله: **(المقدر)** أي وتقديره تاب الله عليكم توبة، ويصح أن يكون مفعولاً لأجله، أي شرع لكم ذلك لأجل التوبة عليكم وهو الأحسن، إن قلت: إن الخطأ ليس بذنب فما معنى التوبة منه؟ أجيب: بأن ذلك لجبر الخلل الذي حصل منه في عدم إمعان النظر والتحفظ.

قوله: **﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً﴾** مقابل قوله من قتل مؤمناً خطأ، وقوله متعمداً أي عدواناً ليخرج المقتول قصاصاً أو حداً، كالزاني المحصن والمحارب. وسبب نزولها: أن رجلاً يقال له مقيس بن صبابة أسلم هو وأخوه هشام على يد رسول الله ﷺ بالمدينة، ثم إن مقيساً وجد أخاه مقتولاً في بني النجار، فقال لهم: إن رسول الله ﷺ بذلك، فأرسل معه رجلاً يقال له فهر من بني مهران إلى بني النجار، فقال لهم: إن رسول الله ﷺ يأمركم أنكم إذا عرفتم عين القاتل فسلموه لمقيس، وإن لم تعرفوه فأعطوا له الدية، فقالوا سمعاً وطاعة إنا لا نعرف عين القاتل وأعطوه مائة بعير! فلما ذهب من عندهم سول الشيطان لمقيس أن يقتل فهراً بدل أخيه، فتأخر عنه وضربه فقتله وركب بعيراً وساق باقيها راجعاً إلى مكة، وقال شعراً في ذلك:

قَتَلْتُ بِهِ فَهْراً وَأَحْمَلْت عَقْله سَرَاة بَنِي النَّجَارِ أَرْبَاب قَارِع
وَأَدْرَكْتُ ثَأْرِي وَاضْطَجَعْتُ تَوَسُّدا وَكُنْتُ إِلَى الأَصْنَامِ أَوَّل رَاجِع

فنزلت فيه الآية، ولما كان عام الفتح استثناه النبي ممن أمنه! فقتله الصحابة وهو متعلق بأستار الكعبة، فعلى هذا الخلود في الآية على ظاهره. قوله: **﴿خَالِداً﴾** حال من الضمير في جزاؤه. قوله: **﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾** معطوف على محذوف، والتقدير حكم الله عليه بذلك وغضب الله عليه. قوله: **﴿وَلَعَنَهُ﴾** عطف على **﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾** مرادف لأن اللعنة هي الغضب. قوله: **(وهذا مؤول الخ)** يشرع في ذكر الأجوبة عن السؤال الوارد على الآية. وحاصله أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وظاهر الآية يقتضي أن جزاء القاتل عمداً الخلود في النار، ولو مات مؤمناً، وليس كذلك فأجاب المفسر عن ذلك بثلاثة أجوبة: الأول أنه محمول على المستحل لذلك، الثاني أن هذا جزاؤه إن جوزي، أي إن عامله الله بعد له، جازاه بذلك، وإن عامله بفضله فجائز أن لا يدخله النار، ولكن في هذا الجواب شيء، لأن فيه تسليم أنه إذا جوزي يخلد في النار، وهو غير سديد للقواطع الدالة على أنه لا يخلد في النار إلا من مات على الكفر، وقد أجاب البيضاوي بجواب آخر: أن يحمل الخلود على طول المكث،

بمن يستحله أو بأن هذا جزاؤه إن جوزي ولا بدع في خلف الوعيد لقوله ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وعن ابن عباس أنها على ظاهرها وأنها ناسخة لغيرها من آيات المغفرة وبينت آية البقرة أن قاتل العمد يقتل به وأن عليه الدية إن عفى عنه وسبق قدرها وبينت السنة أن بين العمد والخطأ قتلاً يسمى شبه العمد وهو أن يقتله بما لا يقتل غالباً فلا قصاص فيه بل دية كالعمد في الصفة والخطأ في التأجيل والحمل وهو والعمد أولى بالكفارة من الخطأ. ونزل لما مر نفر من الصحابة برجل من بني سليم وهو يسوق غنماً فسلم عليهم فقالوا ما سلم علينا إلا تقية فقتلوه واستاقوا غنمه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ ﴾ سافرتم للجهاد ﴿ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ وفي قراءة بالمثلثة في الموضعين ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ

الثالث أشار له المفسر بقوله: **(وعن ابن عباس الخ)**. قوله: **(وأنها ناسخة)** الأولى مخصصة، وكلام ابن عباس خارج مخرج الزجر والتشديد، وليس على حقيقته على مقتضى مذهب أهل السنة. قوله: **(وسبق قدرها)** أي في تفسير الآية التي قبلها. قوله: **(أن بين العمد والخطأ الخ)** سبق للمفسر أنه أدخله في الخطأ بقوله أو ضربه بما لا يقتل غالباً. قوله: **(يسمى شبه العمد)** أي فأشبه العمد من حيث تغليظ الدية بكونها من ثلاثة أنواع: ثلاثين حقة وثلاثين جذعة وأربعين خلفة، وأشبه الخطأ من حيث كونه لا قصاص فيه وهذا مذهب الشافعي، وعند أبي حنيفة لا يقتص من القاتل إلا إذا قتله بآلة محددة كسيف وبندق وإلا فيلزمه الدية، وعند مالك يقتص من القاتل إذا قتل بأي آلة ولو بضرب كف أو سوط لا بكمروحة. قوله: **(في الصفة)** أي من حيث كونها من ثلاثة أنواع. قوله: **(في التأجيل)** أي كونها على ثلاث سنين وقوله: **(والحمل)** أي كون العاقلة تحملها. قوله: **(وهو)** أي شبه العمد، وقوله: **(أولى بالكفارة)** أي فتجب وهذا مذهب الشافعي، وعند مالك ليس كالخطأ، بل تستحب الكفارة فقط. قوله: **(ونزل لما مر نفر الخ)** هذه رواية ابن عباس في سبب نزول الآية، روي عنه أيضاً أنها نزلت في رجل من بني مرة بن عون يقال له مرداس بن نهيك، وكان من أهل فدك، لم يسلم من قومه غيره! فلما سمعوا بسرية رسول الله ﷺ هربوا وبقي ذلك الرجل، فلما رأى الخيل خاف أن لا يكونوا مسلمين، فألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل وصعد هو الجبل، فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون، فعرف أنهم من أصحاب رسول الله، فكبّر ونزل وهو يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم، فتغشاه أسامة بن زيد بسيفه فقتله واستاق غنمه، ثم رجعوا إلى رسول الله فأخبروه الخبر، فوجد رسول الله من ذلك وجداً شديداً، وكان قد سبقهم الخبز، فقال عليه الصلاة والسلام أقتلتموه إرادة ما معه، ثم قرأ رسول الله ﷺ على أسامة هذه الآية، فقال أسامة: استغفر لي يا رسول الله، فقال: كيف أنت بلا إله إلا الله يقولها ثلاث مرات، قال أسامة: فما زال رسول الله يكررها حتى وددت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذٍ، ثم استغفر له رسول الله وقال اعتق رقبة. وروي عن أسامة أنه قال: قلت يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح، فقال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها خوفاً أم لا.

قوله: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ أي تمهلوا حتى يكشف لكم حقيقة الأمر، وما وقع من الصحابة اجتهاد، غير أنهم مخطئون فيه، حيث اعتمدوا على مجرد الظن، فلذا عاتبهم الله على ذلك، وهذا مرتب على وعيد القاتل عمداً، أي حيث ثبت الوعيد العظيم للقاتل عمداً، فالواجب التثبت والتحفظ، فرتب على ذلك

﴿أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ﴾ بالألف ودونها أي التحية أو الانقياد بقوله كلمة الشهادة التي هي أمارة على الإسلام ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ وإنما قلت هذا تقية لنفسك ومالك فتقتلوه ﴿تَبْتَغُونَ﴾ تطلبون بذلك ﴿عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ متاعها من الغنيمة ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ تغنيكم عن قتل مثله لما له ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ تعصم دماؤكم وأموالكم بمجرد قولكم الشهادة ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالاشتهار بالإيمان والاستقامة ﴿فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ أن تقتلوا مؤمناً وافعلوا بالداخل في الإسلام كما فعل بكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾﴾ فيجازيكم به ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ عن الجهاد ﴿غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ بالرفع صفة والنصب استثناء من زمانه أو عمى أو نحوه ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ لضرر ﴿دَرَجَةً﴾ فضيلة لاستوائهما في النية وزيادة المجاهدين بالمباشرة ﴿وَكُلًّا﴾ من الفريقين ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الجنة ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ لغير ضرر ﴿أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ ويبدل منه ﴿دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ﴾ منازل بعضها فوق بعض من الكرامة ﴿وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ منصوبان بفعلهما المقدر

ما وقع من الصحابة. قوله: **(في الموضعين)** أي هنا، وقوله فيما يأتي: ﴿فمن الله عليكم فتبيّنوا﴾، وبقي موضع ثالث في الحجرات وهو قوله تعالى: ﴿إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا﴾ وفيه القراءتان، ويحتمل أن قوله في الموضعين أي ما هنا بشقيه والحجرات والأول أقرب. قوله: **(بالألف ودونها)** أي فهما قراءتان سبعيتان، وروي عن عاصم كسر السين وسكون اللام وهي بمعنى المفتوحة. قوله: **(أي التحية أو الانقياد)** لف ونشر مرتب. قوله: **(التي هي أمارة على إسلامه)** تقدم أنه وقع منه الأمران.

قوله: **﴿تَبْتَغُونَ﴾** النهي منصب على القيد والمقيد، وليس كقولهم لا تطلب العلم تبتغي به الدنيا قوله: **﴿فَعِنْدَ اللَّهِ﴾** تعليل للنهي المذكور. قوله: **﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾** أي كنتم مثله في مبدإ الإسلام. قوله: **﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾** أي قبل منكم النطق بالشهادتين، ولم يأمر بالبحث عن سرائركم. قوله: **﴿فَتَبَيَّنُوا﴾** أي في المستقبل في مثل هذه الوقعة فهو تأكيد لفظي، وقيل ليس تأكيد الاختلاف متعلقيهما، لأن الأول فيمن تقتلونه، والثاني في شأن نعمة الله عليكم بالإسلام لتشكروه.

قوله: **﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾** متعلق بمحذوف حال من **﴿القَاعِدُونَ﴾**. قوله: **(بالرفع صفة)** أي لقوله: **﴿القَاعِدُونَ﴾** إما لأن غير إذا وقعت بين ضدين قد تتعرف، أو لأن أل في القاعدون للجنس فأشبه النكرة، والأظهر أنه مرفوع على البدلية من القاعدون! لأنه لا يشترط استواء البدل والمبدل منه تعريفاً أو تنكيراً. قوله: **(والنصب استثناء)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(من زمانه)** بيان للضرر وهي المرض، وقوله: **(أو نحوه)** أي كالعرج. قوله: **(فضيلة)** أي في الآخرة، والمعنى أن من تقاعد عن القتال لمرض ونحوه، فهو ناقص عن المباشرين للجهاد درجة لأنهم استووا معهم في الجهاد بالنية، وإنما زاد المجاهدون بالمباشرة، وكل من القسمين وعده الله بالجنة. قوله: **(الجنة)** أي لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم.

قوله: **﴿دَرَجَاتٍ﴾** قيل سبعة وقيل سبعون وقيل سبعمائة، كل درجة كما بين السماء والأرض.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا ﴾ لأوليائه ﴿ رَّحِيمًا ﴾ ﴿٩٦﴾ بأهل طاعته. ونزل في جماعة أسلموا ولم يهاجروا فقتلوا يوم بدر مع الكفار ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ بالمقام مع الكفار وترك الهجرة ﴿ قَالُوا۟ ﴾ لهم موبخين ﴿ فِيمَ كُنتُمْ ﴾ أي في أي شيء كنتم في أمر دينكم ﴿ قَالُوا۟ ﴾ معتذرين ﴿ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ ﴾ عاجزين عن إقامة الدين ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أرض مكة ﴿ قَالُوٓا۟ ﴾ لهم توبيخاً ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ﴾ من أرض الكفر إلى بلد آخر كما فعل غيركم، قال تعالى ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ ﴿٩٧﴾ هي ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ﴾ الذين ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً ﴾ ولا قوة لهم على الهجرة، ولا نفقة ﴿ وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ ﴿٩٨﴾ طريقاً إلى أرض الهجرة ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ ﴿٩٩﴾

قوله: (بفعلها المقدر) أي غفر لهم مغفرة ورحمهم رحمة. قوله: (فقتلوا يوم بدر) أي وهل ماتوا عصاة أو كفاراً خلاف، لأن الهجرة كانت ركناً أو شرطاً في صحة الإسلام. قال تعالى: ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا﴾ وهذا كان قبل الفتح، ثم نسخ بعده، والقاتل لهؤلاء الملائكة لعلمهم بأن الله لم يقبل منهم الإسلام لفقد شرطه، وهو الهجرة مع قدرتهم عليها، وليس التخلف ومن أجل صيانة المال والعيال عذراً، والمتبادر من ذلك أنهم ماتوا كفاراً.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ﴾ يصح أن يكون ماضياً ولم يؤت فيه بعلامة التأنيث، لأن التأنيث مجازي، ويصح أن يكون مضارعاً حذفت منه إحدى التاءين، والأصل تتوفاهم. قال ابن مالك:

وَمَا بِتَاءَيْنِ ابْتَدَى قَدْ يَقْتَصِر   فِيهِ عَلَى تَا كَتَبَيَّن العِبَر

قوله: ﴿المَلاَئِكَةُ﴾ يعني ملك الموت وهو عزرائيل، وإنما جمع تعظيماً، وقيل المراد أعوانه وهم ستة: ثلاثة منهم يقبضون أرواح المؤمنين، وثلاثة منهم يقبضون أرواح الكفار. قوله: ﴿قَالُوا﴾ (لهم موبخين) أي عند قبض أرواحهم. قوله: ﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾ ما اسم استفهام حذفت ألفها لجرها بالحرف. قال ابن مالك:

وَمَا فِي الاسْتِفْهَامِ إنْ جرّت حُذِفَ   أَلِفُهَا وَأَوْلِهَا الهَا إنْ تَقِفُ

قوله: (في أي شيء كنتم) أي أكنتم مؤمنين أم كفاراً. قوله: ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾ هذا اعتذار غير صحيح، فلذا ردت الملائكة عليهم هذا الاعتذار. قوله: ﴿فَأُولٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ هذا هو خبر إن، وقرن بالفاء لأن في الأصل خبر عن الموصول وهو يشبه الشرط. قوله: (هي) هذا هو المخصوص بالذم. قوله: ﴿إِلَّا المُسْتَضْعَفِينَ﴾ هذا الاستثناء منقطع على التحقيق. قوله: ﴿مِنَ الرِّجَالِ﴾ هو وما بعده بيان للمستضعفين، وذلك كعباس بن ربيعة وسلمة بن هشام وغيرهما، وقوله: ﴿وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾. قال ابن عباس: كنت أنا وأمي من المستضعفين من النساء والولدان. قوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ هذه الجملة إما مستأنفة مبينة للاستضعاف جواب سؤال مقدر تقديره ما وجه استضعافهم، أو صفة للمستضعفين.

قوله: ﴿فَأُولٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ عسى في كلام الله بمنزلة التحقيق، لعلمه بعواقب

﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا ﴾ مهاجراً ﴿ كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ في الرزق ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ ﴾ في الطريق كما وقع لجندع بن ضمرة الليثي ﴿ فَقَدْ وَقَعَ ﴾ ثبت ﴿ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (١٠٠) ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ ﴾ سافرتم ﴿ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾ في ﴿ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ بأن تردوها من أربع إلى اثنتين ﴿ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ﴾ أي ينالكم بمكروه ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ بيان للواقع إذا ذاك فلا مفهوم له وبينت

الأمور، وقدرته على كل شيء، وأما في كلام غيره فللرجاء، لجهله بعواقب الأمور وعجزه. قوله: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ﴾ هذا ترغيب في الهجرة. قوله: (**مهاجراً**) بالفتح أي أماكن يهاجر إليها، وعبر عنها بالمراغم إشارة إلى أن من فعل ذلك أرغم الله به أنف عدوه: أي يقهره ويذله، والرغام في الأصل التراب، فأطلق وأريد لازمه، وهو الذل والهوان، لأن من التصق أنفه بالتراب فقد ذل وصغر. قوله: (**كما وقع لجندع بن ضمرة الليثي**) وذلك أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة﴾ الآيات، بعث بها ﷺ إلى مكة، فتليت على المسلمين الذين كانوا فيها إذ ذاك، فسمعها رجل من بني ليث، شيخ مريض كبير يقال له جندع بن ضمرة فقال: والله ما أنا ممن استثنى الله، فإني لأجد حيلة ولي من المال ما يبلغني إلى المدينة وأبعد منها، والله لا أبيتن بمكة، أخرجوني، فخرجوا به على سرير حتى أتوا به التنعيم، فأدركه الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال: اللهم هذه لك وهذه لرسولك، أبايعك على ما بايعك رسولك، ثم مات، فبلغ خبره أصحاب رسول الله فقالوا: لو وافى المدينة لكان أتم وأوفى أجراً، وضحك منه المشركون وقالوا: ما أدرك ما طلب، فنزلت الآية.

قوله: ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي تفضلاً منه وكرماً ويدخل في ذلك من قصد أي طاعة ثم عجز عن إتمامها، فيكتب له ثوابها كاملاً. وقوله: ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي عنده وفي علمه. قوله: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ذكر هذه عقب الهجرة للترغيب، فكأنه قال لا بأس في الهجرة ولا مشقة فيها لكون الصلاة تقصر فيها فهذا من جملة السعة التي يرونها في السفر. قوله: (**سافرتم**) أي سفراً طويلاً وسيأتي أن أقله أربعة برد عند الشافعي، والبريد أربعة فراسخ، والفرسخ ثلاثة أميال، والميل ستة آلاف ذراع، والذراع ستة وثلاثون أصبعاً، والأصبع ست شعيرات، والشعيرة ست شعرات من شعر البرذون، وكذا عند مالك، وعند أبي حنيفة ثلاثة أيام من أقصر الأيام مع الاستراحات، فلا يصح القصر في أقل من أربعة برد عند مالك والشافعي، ولا في أقل من ثلاثة أيام عند أبي حنيفة إلا في مناسك الحج، فإنهم يقصرون في أقل من ذلك للسنة. قوله: (**في**) ﴿أَنْ تَقْصُرُوا﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالحرف، والجار والمجرور متعلق بجناح، أي ليس عليكم جناح في القصر.

قوله: ﴿مِنَ ٱلصَّلَاةِ﴾ يصح أن تكون تبعيضية، وأل في الصلاة للجنس أي وهو الرباعيات، ويصح أن تكون زائدة على مذهب الأخفش وأل للجنس، والمراد جنس مخصوص وهو الرباعية، وقد بين بالسنة. قوله: (**بأن تردوها من أربع إلى اثنتين**) هذا أحد أقوال ثلاثة، لأنه اختلف هل فرضت الصلاة كاملة ثم نقصت في السفر وبقيت في الحضر على حالها أو فرضت ناقصة فبقيت في السفر وزيدت في الحضر، وقيل فرض كل مستقلاً. قوله: (**بيان للواقع**) أي قوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ الخ، أي لأن غالب

السنة أن المراد بالسفر الطويل وهو أربعة برد وهي مرحلتان ويؤخذ من قوله فليس عليكم جناح أنه رخصة لا واجب وعليه الشافعي ﴿إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ ﴿١٠١﴾ بين العداوة ﴿وَإِذَا كُنتَ﴾ يا محمد حاضراً ﴿فِيهِمْ﴾ وأنتم تخافون العدو ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وهذا جري على عادة القرآن في الخطاب فلا مفهوم له ﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ وتتأخر طائفة ﴿وَلْيَأْخُذُوٓا۟﴾ أي الطائفة التي قامت معك ﴿أَسْلِحَتَهُمْ﴾ معهم ﴿فَإِذَا سَجَدُوا۟﴾ أي صلوا ﴿فَلْيَكُونُوا۟﴾ أي الطائفة الأخرى ﴿مِن وَرَآئِكُمْ﴾ يحرسون إلى أن تقضوا الصلاة وتذهب هذه الطائفة تحرس ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ معهم إلى أن تقضوا الصلاة وقد فعل ﷺ كذلك ببطن نخل رواه الشيخان ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ﴾ إذا قمتم إلى

أسفار نبينا وأصحابه لم تخل من خوف العدو لكثرة المشركين حينئذٍ، وقوله: **(فلا مفهوم له)** أي لأنه يكون في سفر التجارة وغيرها من كل سفر مأذون فيه واجباً كان أو مندوباً أو مباحاً. قوله: **وهي مرحلتان)** أي سير يومين معتدلين، كل يوم اثنا عشر ساعة بسير الجمال المثقلة بالأحمال. قوله: **(إنه رخصة)** أي جائز ما لم يبلغ سفره ثلاث مراحل، وإلا كان أفضل للخروج من خلاف أبي حنيفة فإنه قال بوجوبه، وعند مالك سنة مؤكدة. قوله: **﴿عَدُوًّا مُبيناً﴾** العدو يقع بلفظ واحد على المذكر والمؤنث والمجموع والمثنى.

قوله: **﴿وإذا كُنْتَ فِيهِمْ﴾** شروع في ذكر صلاة القسمة في الخوف. واعلم أن صلاة الخوف على أقسام، فتارة يكون العدو في غير تجاه القبلة، وفي هذا القسم تكون صلاة القسمة،وهي على كيفيتين: الأولى: أن يقسم الجيش طائفتين، فطائفة تقف تجاه العدو، وطائفة تصلي مع الإمام بتمامها، فبعد السلام تنصرف للعدو، ويأتي الطائفة الثانية فيعبد الإمام بهم الصلاة ثانياً فصلاة الطائفة الأولى فرض خلف فرض، والثانية فرض خلف نفل، وهذه الكيفية انفرد بها الإمام الشافعي. الثانية: أن يصلي بكل طائفة ركعة في الثنائية وركعتين في الرباعية، وبالطائفة الأولى ركعتين في الثلاثية والثانية ركعة، وبها قال مالك والشافعي أيضاً، لكن مالك يقول بها وإن كان العدو تجاه القبلة، وتارة يكون العدو تجاه القبلة، وهي على قسمين أيضاً: إما أن يتقدم الإمام ويقف الجيش خلفه صفوفاً، فعند ركوع الإمام تركع طائفة مع الإمام وتسجد معه، فبعد وقوفهم تركع الطائفة الأخرى وتسجد، وبهذه الكيفية أخذ الإمام الشافعي، وإما أن يتقدم الإمام ويصلون جميعاً معه ويركعون ويسجدون، وبها أخذ مالك، وتارة يلتحم القتال فيصلون كيف شاؤوا، وحل للضرورة مشي وركض وإمساك ملطخ، وهذه الكيفية عند مالك والشافعي، وعند أبي حنيفة إن ضاق الوقت قدموا القتال وأخّروا الصلاة ثم يقضونها، وتفاصيل هذه الأقسام مبينة عند أرباب المذاهب. قوله: **(وتتأخر طائفة)** أي بإزاء العدو. قوله: **(أي صلوا)** أي شرعوا في الصلاة.

قوله: **﴿طَائِفَةٌ أُخْرَى﴾** أي وهي الواقعة تجاه العدو. قوله: **﴿فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ﴾** أي صلاة ثانية، أو يتمموا معك الصلاة فالأولى. قوله: **﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾** إنما زاد هنا الأمر بالحذر لكونها مظنة تنبه الكفرة على تلك الطائفة، وأما في الطائفة الأولى فلم يتنبهوا لهم. قوله: **(ببطن نخل)** سببه أن رسول الله ﷺ صلى مع أصحابه جميعاً الظهر، فتنبه المشركون وقال بعضهم لبعض إنا نظفر بهم في أوقات الصلاة، وتحزب المشركون على ذلك، فنزل جبريل على رسول الله بالآية، وعلمه صلاة القسمة ففعلها في

الصلاة ﴿عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾ بأن يحملوا عليكم فيأخذوكم وهذا علة الأمر بأخذ السلاح ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾ فلا تحملوها وهذا يفيد إيجاب حملها عند عدم العذر وهو أحد قولين للشافعي والثاني أنه سنة ورجح ﴿وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ من العدو أي احترزوا منه ما استطعتم ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ﴿١٠٢﴾ ذا إهانة ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ فرغتم منها ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالتهليل والتسبيح ﴿قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ مضطجعين أي في كل حال ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ﴾ أمنتم ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أدوها بحقوقها ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا﴾ مكتوباً أي مفروضاً ﴿مَّوْقُوتًا﴾ ﴿١٠٣﴾ أي مقدراً وقتها فلا تؤخر عنه. ونزل لما بعث ﷺ طائفة في طلب أبي

صلاة العصر، وقد مشى المفسر على أن هذه الآية في صلاة بطن نخل، وهو موضع من نجد إلى أرض غطفان، بينه وبين المدينة يومان. وقال غيره إنها في صلاة أرض عسفان، وقال آخرون إنها في ذات الرقاع.

قوله: ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الخ، سبب نزولها كما قال ابن عباس، أن رسول الله ﷺ غزا بني محارب وبني أنمار، فنزلوا ولا يرون من العدو أحداً، فوضع الناس السلاح، فخرج رسول الله ﷺ لحاجته حتى قطع الوادي، والسماء ترش بالمطر، فسال الوادي فحال السيل بين رسول الله وبين أصحابه فجلس تحت شجرة، فبصر به غورث بن الحرب المحاربي فقال: قتلني الله إن لم أقتله، ثم انحدر من الجبل ومعه السيف، ولم يشعر به رسول الله إلا وهو قائم على رأسه، وقد سل سيفه من غمده وقال: يا محمد من يمنعك مني الآن، فقال رسول الله ﷺ: الله، ثم قال: اللهم اكفني غورث بن الحرب بما شئت، فأهوى غورث بالسيف ليضرب رسول الله، فأكب بوجهه من زلخة زلخها فندر السيف من يده فقام رسول الله وأخذ السيف ثم قال: يا غورث من يمنعك مني الآن، فقال: لا أحد، فقال: أتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فقال: لا ولكن أشهد أن لا أقاتلك ولا أعين عليك عدواً فأعطاه رسول الله سيفه، فقال غورث: أنت خير مني، فقال رسول الله: أنا أحق بذلك منك، فرجع غورث إلى أصحابه فقالوا له: ويلك يا غورث ما منعك منه، فقال: والله لقد أهويت إليه بالسيف لأضربه به، فوالله ما أدري من زلخني بين كتفي فخررت، وذكر لهم حاله مع رسول الله. قال وسكن الوادي، فقطع رسول الله الوادي إلى أصحابه وأخبرهم الخبر وقرأ هذه الآية، والزلخة الدفعة. قوله: ﴿لَوْ تَغْفُلُونَ﴾ أي غفلتكم.

قوله: ﴿فَيَمِيلُونَ﴾ أي يشتدون. قوله: ﴿مِنْ مَطَرٍ﴾ أي لأنه يفسد بالماء. قوله: ﴿أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ أي لا طاقة لكم على حمله.

قوله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ أي صلاة الخوف أي تممتموها على الوجه المبين. قوله: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ الأمر للندب لأنه في الفضائل، وقوله: (**بالتهليل والتسبيح**) أي والتحميد والتكبير. قوله: (**في كل حال**) أي فالمراد من قوله: ﴿قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾ الأحوال. قوله: ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي التي دخل وقتها حينئذ، ومعنى إقامتها أداؤها بالشروط والأركان. قوله: (**مقدراً وقتها**) أي مفروضاً وقتاً بعد وقت. قوله: (**لما بعث**) المناسب أن يقول لما خرج رسول الله ﷺ وأمر من حضر بالخروج لطلب أبي

سفيان وأصحابه لما رجعوا من أحد فشكوا الجراحات ﴿وَلَا تَهِنُوا۟﴾ تضعفوا ﴿فِى ٱبْتِغَآءِ﴾ طلب ﴿ٱلْقَوْمِ﴾ الكفار لتقاتلوهم ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ﴾ تجدون ألم الجراح ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ أي مثلكم ولا يجنبوا عن قتالكم ﴿وَتَرْجُونَ﴾ أنتم ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ من النصر والثواب عليه ﴿مَا لَا يَرْجُونَ﴾ هم فأنتم تزيدون عليهم بذلك فينبغي أن تكونوا أرغب منهم فيه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بكل شيء ﴿حَكِيمًا﴾ ﴿١٠٤﴾ في صنعه وسرق طعمة بن أبيرق درعاً وخبأها عند يهودي فوجدت عنده فرماه طعمة بها وحلف أنه ما سرقها فسأل قومه النبي ﷺ أنه يجادل عنه ويبرئه فنزل ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ القرآن ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بأنزل ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ﴾ أعلمك ﴿ٱللَّهُ﴾ فيه ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ﴾ كطعمة ﴿خَصِيمًا﴾ ﴿١٠٥﴾ مخاصماً عنهم ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ مما هممت به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ

سفيان وأصحابه، وقوله: **(طائفة)** أي وهي جميع من حضر أحداً من المؤمنين الخالصين وكانوا ستمائة وثلاثين. قوله: **(لما رجعوا من أحد)** أي فرغوا من وقعتها، والضمير عائد على الصحابة، فحينئذٍ همَّ أبو سفيان وتشاور مع أصحابه في العود إلى المدينة ليستأصلوا المسلمين، فبلغ ذلك رسول الله، فنادى في اليوم الثاني من وقعة أحد، ليخرج من كان معنا بالأمس ولا يخرج معنا غيرهم، فخرجوا حتى بلغوا إلى حمراء الأسد، وتقدم ذلك في آل عمران.

قوله: **﴿وَلَا تَهِنُوا۟﴾** الجمهور على كسر الهاء، وقرىء شذوذاً بفتحها من وهن بالكسر أو الفتح قوله: **﴿فِي ٱبْتِغَاءِ ٱلْقَوْمِ﴾** أي قتالهم. قوله: **﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾** تعليل للنهي وتشجيع لهم، والمعنى ليس الألم مختصاً بكم بل هم كذلك. قوله: **(ولا يجبنوا)** المناسب يجبنون بالنون إلا أن يقال حذفت تخفيفاً. قوله: **(والثواب عليه)** أي على الجهاد، فإنكم تقاتلون في سبيل الله، وهم يقاتلون في سبيل الطاغوت، فأنتم أحق بالشجاعة والقدوم عليهم. قوله: **(وسرق طعمة)** بتثليث الطاء والكسر أفصح **(أبيرق)** بضم الهمزة وفتح الباء بعدها راء مكسورة تصغيراً برق، وطعمة من الأنصار من بني ظفر سرق الدرع من دار جاره قتادة، وكان في جراب فيه دقيق فصار الدقيق يتناثر منه، فاتهم طعمة بها، فحلف كاذباً أنه ما أخذها وما له بها علم، وكان ودعها عند يهودي يقال له زيد بن السمين، فقال أصحاب الدرع نتبع أثر الدقيق فتتبعوه حتى وصل إلى دار اليهودي، فأخبر أنه ودعه عنده طعمة وشهد به قومه، فقال قوم طعمة نذهب إلى رسول الله ﷺ نشهد أن اليهودي هو السارق، فذهبوا وشهدوا زوراً ولم يظهروا زوراً، ولم يظهر ﷺ قادح فيهم، فهم بقطع اليهودي فنزلت الآية، فأراد أن يقطع طعمة فهرب إلى مكة وارتد، فنقب حائطاً ليسرق متاع أهله فوقع عليه فمات مرتداً. قوله: **(وخبأها)** أي الدرع. قوله: **(عند يهودي)** أي واسمه زيد بن السمين. قوله: **(متعلق بأنزل)** أي على أنه حال منه.

قوله: **﴿لِتَحْكُمْ﴾** متعلق بأنزلنا. قوله: **﴿بِمَا أَرَاكَ﴾** أي عرفانية تتعدى بالهمزة لمفعولين الكاف مفعول، والمفعول الثاني محذوف تقديره إياه إذا علمت ذلك، فالمناسب للمفسر أن يقول عرفك. قوله: **﴿لِلْخَائِنِينَ﴾** اللام للتعليل، ومفعول **﴿خَصِيماً﴾** محذوف تقديره شخصاً بريئاً، فاللام على بابها لا بمعنى عن، فقول المفسر: **(مخاصماً عنهم)** إيضاح للمعنى. قوله: **(مما هممت به)** أي من القضاء على اليهودي فإنه ذنب صورة على حد: (وعصى آدم ربه فغوى) فهو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين. قوله:

غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ ﴿١٠٦﴾ ﴿ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾ يخونونها بالمعاصي لأن وبال خيانتهم عليهم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا ﴾ كثير الخيانة ﴿ أَثِيمًا ﴾ ﴿١٠٧﴾ أي يعاقبه ﴿ يَسْتَخْفُونَ ﴾ أي طعمة وقومه حياء ﴿ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ بعلمه ﴿ إِذْ يُبَيِّتُونَ ﴾ يضمرون ﴿ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ من عزمهم على الحلف على نفي السرقة ورمي اليهودي بها ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ ﴿١٠٨﴾ علماً ﴿ هَٰٓأَنتُمْ ﴾ يا ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ خطاب لقوم طعمة ﴿ جَٰدَلْتُمْ ﴾ خاصمتم ﴿ عَنْهُمْ ﴾ أي عن طعمة وذويه وقرىء عنه ﴿ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ إذا عذبهم ﴿ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ ﴿١٠٩﴾ يتولى أمرهم ويذب عنهم أي لا أحد يفعل ذلك ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا ﴾ ذنباً يسوء به غيره كرمي طعمة اليهودي ﴿ أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ﴾ بعمل ذنب قاصر عليه ﴿ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ﴾ منه أي يتب ﴿ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا ﴾ له ﴿ رَّحِيمًا ﴾ ﴿١١٠﴾ به ﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا ﴾ ذنباً ﴿ فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ لأن وباله عليها ولا يضر غيره ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ ﴿١١١﴾ في صنعه ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً ﴾ ذنباً صغيراً ﴿ أَوْ إِثْمًا ﴾ ذنباً كبيراً ﴿ ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا ﴾ منه ﴿ فَقَدِ ٱحْتَمَلَ ﴾ تحمل ﴿ بُهْتَٰنًا ﴾ برميه ﴿ وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ ﴿١١٢﴾ بيناً بكسبه ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ ﴾ يا محمد ﴿ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾ بالعصمة ﴿ لَهَمَّت ﴾ أضمرت ﴿ طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ ﴾ من قوم طعمة ﴿ أَن يُضِلُّوكَ ﴾ عن

﴿عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ﴾ أي كطعمة وقومه المعينين فإنهم شركاء في الإثم. قوله: ﴿مَنْ كَانَ خَوَّاناً﴾ صيغة مبالغة بمعنى كثير الخيانة، لأنه وقعت منهم خيانات كثيرة، أولاً السرقة، ثم اتهام اليهودي، ثم الحلف كاذباً، ثم الشهادة زوراً. إن قلت: إن مقتضى الآية إن الله يحب من كان عنده أصل الخيانة مع أنه ليس كذلك. أجيب: بأن ذلك بالنظر لمن نزلت فيهم وهو طعمة وقومه، فالواقع أن عندهم خيانات كثيرة. قوله: (أي يعاقبه) تفسير لعدم محبة الله له. قوله: ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ أي يطلبون الخفاء والستر، وهذه الجملة مستأنفة بيان لطلبهم الستر من الناس. قوله: ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ الجملة حالية. قوله: (يضمرون) هذا هو المراد من التبييت هنا، وإلا فهو في الأصل تدبير الأمر ليلاً. قوله: (علماً) تمييز محول عن الفاعل.

قوله: ﴿هَا أَنْتُمْ﴾ ها للتنبيه أي تنبهوا يا مخاطبون في المجادلة عن السارق. قوله: (وقرىء) أي شذوذاً. قوله: (أي لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً﴾ حث وتحريض لطعمة على التوبة، ومع ذلك لم يتب. قوله: (اليهودي) مفعول لرمي وطعمة فاعلة. قوله: (قاصر عليه) كاليمين الكاذبة. قوله: (أي يتب) المراد التوبة الصادقة بشروطها، فليس المراد مجرد الاستغفار باللسان مع الإصرار، فإنه توبة الكذابين. قوله: (ذنباً) أي متعلقاً به أو بغيره. قوله: (ولا يضر غيره). إن قلت: إن معصية طعمة أصابت قومه فضرتهم. أجيب: بأن ضررهم إنما جاء من كسبهم، لمعاونتهم له، وشهادتهم الزور معه، وعزمهم على الحلف كذباً. قوله: ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ﴾ أي بالخطيئة والإثم، وإنما أفرد الضمير لأن العطف بأو. قوله: ﴿بَرِيئاً﴾ صفة لموصوف محذوف، أي شخصاً بريئاً.

قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ﴾ الخ جوابها قوله: ﴿لَهَمَّتْ﴾. واستشكل بأن الوهم قد وقع منهم،

القضاء بالحق بتلبيسهم عليك ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ﴾ لأن وبال إضلالهم عليهم ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ من الأحكام والغيب ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾ بذلك وغيره ﴿عَظِيمًا﴾ ﴿١١٣﴾ ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ أي الناس أي ما يتناجون فيه ويتحدثون ﴿إِلَّا﴾ نجوى ﴿مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ عمل بر ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿ابْتِغَاءَ﴾ طلب ﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ لا غيره من أمور الدنيا ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾ بالنون والياء أي الله

والمأخوذ من لولا أنه لم يقع لوجود فضل الله ورحمته، وأجيب بأن المراد هم يحصل معه الإضلال، فالمعنى انتفى إضلالك الذي هموا به لوجود فضل الله ورحمته. قوله: **(بالعصمة)** أي الحفظ من المعاصي والمخالفات صغيرها وكبيرها. قوله: (زائدة) أي في مفعول **﴿يَضُرُّونَكَ﴾** المطلق. قوله: **(والغيب)** أي علم الغيب وهو ما غاب عنا. قوله: **(بذلك)** أي بإنزال الكتاب والحكمة، وتعليمه ما لم يكن يعلم، وقوله: **(وغيره)** أي كالفضائل التي اختص بها مما لا يعلم كنهه إلا الله تعالى.

قوله: **﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ﴾** لا نافية للجنس وخير اسمها، وفي كثير متعلق بمحذوف خبرها، وقوله: **﴿مِنْ نَجْوَاهُمْ﴾** بمحذوف حال من متعلق الخبر. قوله: **(أي الناس)** أشار بذلك إلى أن الآية عامة وليست مخصوصة بقوم طعمة المتقدم. قوله: **(أي ما يتناجون فيه ويتحدثون)** أشار بذلك إلى أن معنى النجوى المحادثة من بعض القوم لبعض اثنان ففوق، قال تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ الآية، والنجوى ضد السر، وهو محادثة الإنسان نفسه، وعطف قوله: **(يتحدثون)** على **(يتناجون)** للتفسير.

قوله: **﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ﴾** يحتمل أنه استثناء منقطع إن أبقينا الكلام على ظاهره، لأن المستثنى الشخص، والمستثنى منه الكلام، ولا شك أنه غيره، ويحتمل أنه متصل وهو على حذف مضاف، وإليه يشير المفسر بقوله: **﴿إِلَّا﴾ (نجوى)** الخ. قوله: **﴿بِصَدَقَةٍ﴾** أي واجبة أو مندوبة. قوله: **﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾** المراد به كل طاعة لله، فيدخل فيه جميع أعمال البر، فهو من عطف العام على الخاص، وقوله: **﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾** معطوف على قوله: **﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾** من عطف الخاص على العام اعتناءً بشأنه واهتماماً به، وإنما خصت الثلاثة لأن الأمر المرضي لله، إما إيصال نفع وهو إما جسماني أو روحاني، فالأول كالصدقات، والثاني كالأمر بالمعروف، أو دفع ضرر كالإصلاح بين الناس، لأن المفاسد مترتبة على التشاحن، وبالإصلاح يحصل الخير والبركة ودفع الشرور، ولذا حثّ عليه ﷺ بقوله: «امش ميلاً عد مريضاً، امش ميلين أصلح بين اثنين» وبالجملة فكثرة الكلام لا خير فيها، قال بعضهم: من كثر لغطه كثر سقطه، وفي الحديث: «وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم». قوله: **﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾** اسم الإشارة عائد على الثلاثة، وإنما أفرد لأن العطف بأو إن قلت مقتضى السياق ومن يأمر بذلك، أجيب بأن هذا راجع للمأمور به، فاسم الإشارة عائد على المأمور به تقديره ومن يفعل المأمور به من صدقة أو معروف أو إصلاح، فاستفيد من الآية أولاً وآخراً ثواب الأمر والفاعل، وفي الحديث: «الدال على الخير كفاعله». وأجيب أيضاً بأنه عبر عن الأمر بالفعل لأنه فعل لساني والأقرب الأول. قوله: **(لا غيره من أمور الدنيا)** أي لأن ثواب الأعمال الصالحة منوط بالإخلاص كان من الآمر والفاعل، فلو

﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿١١٤﴾ ﴿وَمَن يُشَاقِقِ﴾ يخالف ﴿الرَّسُولَ﴾ فيما جاء به ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾ ظهر له الحق بالمعجزات ﴿وَيَتَّبِعْ﴾ طريقاً ﴿غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي طريقهم الذي هم عليه من الدين بأن يكفر ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ نجعله والياً لما تولاه من الضلال بأن نخلي بينه وبينه في الدنيا ﴿وَنُصْلِهِۦ﴾ ندخله في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ﴾ فيحترق فيها ﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿١١٥﴾ مرجعاً هي ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ ﴿١١٦﴾ عن الحق ﴿إِن﴾ ما ﴿يَدْعُونَ﴾ يعبد المشركون ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي الله أي غيره ﴿إِلَّآ إِنَٰثًا﴾ أصناماً مؤنثة كاللات والعزى ومناة ﴿وَإِن﴾ ما ﴿يَدْعُونَ﴾ يعبدون بعبادتها ﴿إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا﴾ ﴿١١٧﴾

كان الفعل أو الأمر رياء وسمعة أو لغرض دنيوي لم يستحق به عند الله أجراً. قوله: (بالنون والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان، وفي قراءة النون التفات من الغيبة للتكلم، لأن الاسم الظاهر من قبيل الغيبة. قوله: ﴿أجراً عظيماً﴾ أي وهو الجنة وما فيها، قال تعالى: ﴿وللذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ وفي التعبير بسوف إشارة إلى أن جزاء الأعمال الصالحة في الآخرة لا الدنيا، لأنها ليست دار جزاء، بل عطاء الدنيا لكل من وجد فيها أطاع أو عصى كلف أو لا.

قوله: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ الخ، لما ذكر سبحانه وتعالى المطيعين وما أعد لهم في الآخرة، ذكر وعيد الكفار وعاقبه أمرهم على عادته سبحانه في كتابه. قوله: (فيما جاء من الحق) أي من الأمور التكليفية والأحكام الشرعية. قوله: ﴿وَيَتَّبِعْ﴾ عطف لازم على ملزوم. قوله: (أي طريقهم) أي اعتقاداً وعملاً. قوله: ﴿نُوَلِّهِ﴾ هو ﴿وَنُصْلِهِ﴾ إما بسكون الهاء أو كسرها بدون إشباع، وهو المسمى بالاختلاس أو بالإشباع، فالقراءات ثلاث وكلها سبعية. قوله: (بأن نخلي بينه) أي المشاقق، وقوله: (وبينه) أي الضلال، والمعنى أن من خالف ما أمر الله به، فإن الله يستدرجه بالنعم ويمهله ولا يعجل عقوبته، قال تعالى: ﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً﴾ الآية.

قوله: ﴿وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ ساء كبئس للذم فاعلها مستتر وجوباً يعود على جهنم ومصيراً تمييز، والمخصوص بالذم محذوف قدره المفسر بقوله هي. قوله: ﴿أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ أي إذا مات على ذلك لقوله تعالى: ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾. قوله: ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أي إن مات من غير توبة. قوله: ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً﴾ أي فالشرك أعظم أنواع الضلال، إن قلت قد قال فيما سبق فقد افترى إثماً عظيماً، وهنا فقد ضل ضلالاً بعيداً، فما الحكمة في ذلك؟ قلت: إن ما تقدم في شأن أهل الكتاب وهم عندهم علم بأن رسول الله ﷺ على الحق، وإنما كفرهم عناد، فسماه الله افتراء أي كذباً، وما هنا في شأن مشركي العرب وهم ليس لهم علم بذلك إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل، فلذا سماه الله ضلالاً بعيداً.

وقوله: ﴿إِنْ يَدْعُونَ﴾ هذا كالدليل، والتعليل لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ قوله: (ما) ﴿يَدْعُونَ﴾ أشار بذلك إلى أن إن نافية بمعنى ما. قوله: (يعبد المشركون) أطلق الدعاء على العبادة لأنه منها، وكثيراً ما يطلق الدعاء عليها. قوله: (أصناماً مؤنثة) أي لتأنيث أسمائها، ورد أنه ما من مشرك إلا وكان له صنم قد سماه باسم أنثى من العرب، وحلاه بأنواع الحلي، وكانوا يقولون هم بنات الله. قوله:

خارجاً عن الطاعة لطاعتهم له فيها وهو إبليس ﴿لَعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ أبعده عن رحمته ﴿وَقَالَ﴾ أي الشيطان ﴿لَأَتَّخِذَنَّ﴾ لأجعلن لي ﴿مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا﴾ حظاً ﴿مَّفْرُوضًا﴾ ﴿١١٨﴾ مقطوعاً أدعوهم إلى طاعتي ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ عن الحق بالوسوسة ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ ألقى في قلوبهم طول الحياة وأن لا بعث ولا حساب ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ﴾ يقطعن ﴿ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ وقد فعل ذلك بالبحائر ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ دينه بالكفر وإحلال ما حرم الله وتحريم ما أحل ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا﴾ يتولاه ويطيعه ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ ﴿١١٩﴾ بيناً لمصيره إلى النار المؤبدة عليه ﴿يَعِدُهُمْ﴾ طول العمر ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾ نيل الآمال في الدنيا وأن لا بعث ولا جزاء ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ بذلك ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ ﴿١٢٠﴾ باطلاً ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ ﴿١٢١﴾ معدلاً ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ أي وعدهم الله ذلك وعداً وحقه حقاً ﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد

(كاللات والعزى ومناة) اللات مأخوذ من إله والعزى من العزيز، ومناة من المنان، فاقتطعوها وسموا بها أصنامهم. قوله: **(بعبادتها)** الباء سببية أي فالمسؤول لهم على عبادتها الشيطان، فعبادتها لازمة لعبادة الشيطان لأنه يحضر عندهم، فهم في الصورة يعبدون الأصنام، وفي الحقيقة العبادة للشيطان. قوله: **﴿مريداً﴾** أي متمرداً بمعنى بلغ الغاية في العتو والفجور لخروجه عن طاعة ربه، حتى أمر الناس بعبادة غير الله. قوله: **﴿لعنَهُ اللَّهُ﴾** صفة ثانية لشيطاناً. قوله: **(عن رحمته)** أي جنته وما فيها.

قوله: **﴿وَقَالَ﴾** الخ، الجملة إما صفة لشيطاناً أو حال منه، أي ما يدعون إلا شيطاناً بكونه مريداً، وبكونه مطروداً عن رحمته، بكونه قائلاً أو حال كونه قائلاً، وهذا القول قد وقع منه عند قول الله تعالى: ﴿فاخرج إنك من الصاغرين﴾. قوله: **﴿نَصِيباً مَفْروضاً﴾** ورد أنهم تسعمائة وتسعة وتسعون من كل ألف، لما في الحديث: «ما أنتم فيمن سواكم إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود» وورد أن يوم القيامة يقول الله لآدم: أخرج من ذريتك بعث النار، فيقول: يا رب وما بعث النار، فيقول الله تعالى: أخرج من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فعند ذلك تشيب الأطفال من شدة الهول.

قوله: **﴿ولأُضِلَّنَّهُمْ﴾** **(عن الحق)** أي أميلن قلوبهم عن طريق الهدى والرشاد. قوله: **(وقد فعل ذلك بالبحائر)** جمع بحيرة وهي أن تلد الناقة أربعة بطون وتأتي في الخامس بذكر، فكانوا لا يحملون عليها، ولا يأخذون نتاجها، ويجعلون لبنها للطواغيت، ويشقون آذانها علامة على ذلك. قوله: **﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾** أي ما خلقه، ومن ذلك تغيير صفات نبينا الواقع من اليهود والنصارى، وتغيير كتبهم، ومن ذلك تغيير الجسم بالوشم، وتغيير للشعر بالوصل، لما في الحديث: «لعن الله الواشمة والمستوشمة والواصلة والمستوصلة». قوله: **﴿خُسْراناً مُبيناً﴾** أي لأنه ضيع رأس ماله وهي طاعة الله وعبادته. قوله: **﴿إلّا غُروراً﴾** أي مزين الظاهر فاسد الباطن. قوله: **﴿أولٰئِكَ﴾** أي أولياء الشيطان. قوله: **(معدلاً)** أي منفذاً ومهرباً.

قوله: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾** بيان لوعد المؤمنين إثر بيان وعيد الكفار. قوله: **(أي وعدهم الله ذلك وعداً)** أشار بذلك إلى أن وعداً وحقاً منصوبان بفعلين محذوفين من لفظهما، ويصح أن يكون حقاً صفة

﴿ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴾ ﴿١٢٢﴾ أي قولاً. ونزل لما افتخر المسلمون وأهل الكتاب ﴿ لَّيۡسَ ﴾ الأمر منوطاً ﴿ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ ﴾ بل بالعمل الصالح ﴿ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ ﴾ إما في الآخرة أو في الدنيا بالبلاء والمحن كما ورد في الحديث ﴿ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي غيره ﴿ وَلِيّٗا ﴾ يحفظه ﴿ وَلَا نَصِيرٗا ﴾ ﴿١٢٣﴾ يمنعه منه ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ ﴾ شيئاً ﴿ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ﴾ بالبناء للمفعول والفاعل ﴿ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴾ ﴿١٢٤﴾ قدر نقرة النواة

لوعداً. قوله: **(أي لا أحد)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي، وهو كالدليل لما قبله: قوله: **(لما افتخر المسلمون وأهل الكتاب)** أي حيث قال المسلمون: نبينا خاتم الأنبياء، وكتابنا يقضي على سائر الكتب، ونحن آمنّا بكتابكم ولم تؤمنوا بكتابنا، فنحن أولى بالله منكم، وقال أهل الكتاب: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم فنحن أولى منكم، وقيل سبب نزول الآية افتخار أهل الكتاب ومشركي العرب، وعليه فلا يحتاج لتأويل في قوله: **﴿يُجْزَ بِهِ﴾** بل يحمل الجزاء لكل من الفريقين على الخلود في النار.

قوله: **﴿لَيْسَ﴾ (الأمر منوطاً)** أشار بذلك إلى أن اسم ليس ضمير عائد على الأمر، وقوله: **﴿بِأَمَانِيِّكُمْ﴾** متعلق بمحذوف خبرها أي منوطاً بمعنى متعلقاً ومرتبطاً. قوله: **﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً﴾** أي من مؤمن أو كافر. قوله: **(إما في الآخرة)** أي وهو محتم في حق من مات كافراً، وأما من مات عاصياً ولم يتب فتحت المشيئة. قوله: **(كما ورد في الحديث)** أي وهو أن أبا بكر لما نزلت قال: يا رسول الله وأينا لم يعمل السوء، وإنا لمجزيون بكل سوء عملناه، فقال ﷺ: «أما أنت وأصحابك المؤمنون فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله وليس عليكم ذنوب، وأما الآخرون فيجمع لهم ذلك حتى يجزوا به يوم القيامة»، وفي رواية قال أبو بكر: فمن ينجو من هذا؟ فقال عليه الصلاة والسلام: أما تمرض أو يصيبك البلاء؟ قال: بلى، قال: هو ذلك.

قوله: **﴿وَمَنْ يَعْمَلْ﴾** هذا مقابل قوله: **﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾** قوله: **(شيئاً)** أشار بذلك إلى أن من للتبعيض، لأنه لا يمكن استيفاء جميع الأعمال الصالحة. قوله: **﴿مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾** الجار والمجرور متعلق بشيئاً الذي قدره المفسر. قوله: **﴿مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾** حال من الضمير في **﴿يَعْمَلْ﴾** وكذا قوله: **﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾** وأما الكافر فأعماله الصالحة ضائعة، قال تعالى: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾ قوله: **﴿فَأُولَئِكَ﴾** هذه الجملة جواب الشرط. قوله: **(بالبناء للمفعول)** أي والجنة مفعول ثان، والواو نائب الفاعل مفعول أول، لأنه من أدخل الرباعي فهو ينصب مفعولين، وقوله: **(والفاعل)** أي من دخل فهو ينصب مفعولاً واحداً فمفعوله الجنة والواو فاعله، وهما قراءتان سبعيتان. قوله: **﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً﴾** أي لا ينقصون شيئاً أبداً لا قليلاً ولا كثيراً، ويؤخذ من الآية أن جزاء الأعمال الصالحة في الآخرة، وأما النعم التي يعطاها المؤمن في الدنيا من عافية ورزق وغير ذلك، فليست جزاء لأعماله الصالحة، بل تكفل الله بها لكل حي في الدنيا مسلماً أو كافراً، بل بعض العبيد من أهل المحبة في الله لا ينتظر بعمله الجنة، بل يقول إنما عبدناك لذاتك لا لشيء آخر، قال العارف بن الفارض حين كشف له عن الجنة وما أعد له فيها في مرض موته:

﴿ وَمَنْ ﴾ أي لا أحد ﴿أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ﴾ أي انقاد وأخلص عمله ﴿لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ موحد ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ الموافقة لملة الإسلام ﴿حَنِيفًا﴾ حال أي مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿وَاتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ صفياً خالص المحبة له ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾ علماً وقدرة أي لم يزل متصفاً بذلك ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾ يطلبون منك الفتوى ﴿فِي﴾ شأن ﴿ٱلنِّسَآءِ﴾ وميراثهن ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن من آية الميراث ويفتيكم أيضاً ﴿فِي يَتَٰمَى

إِنْ كَـانَ مَنْـزِلَتِي فِي الحُبِّ عِنْـدَكُـمْ   مَـا قَـدْ رَأَيْتُ فَقَـدْ ضَيَّعْتُ أَيَّـامِي

قوله: (أي لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: ﴿مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ أي نفسه وذاته، وعبر عنها بالوجه لأنه أشرف أعضاء الإنسان. قوله: (وهو محسن) الجملة حال من ضمير أسلم. قوله: ﴿وَاتَّبَعَ﴾ إما عطف لازم على ملزوم، وعلة على معلول، أو حال ثانية، والقصد بذلك إقامة الحجة على المشركين جميعاً في عدم اتباعهم لمحمد ﷺ، لأن إبراهيم متفق على مدحه حتى من اليهود والنصارى، فالمعنى ما تقولون فيمن اتبع ملة إبراهيم، فيقولون لا أحد أحسن منه، فيقال لهم إن محمداً على ملة إبراهيم فلِمَ لم تتبعوه وتتركوا ما أنتم عليه من عبادة غير الله. قوله: (حال) أي إما من ضمير اتبع أو من إبراهيم، ولصحة هذين المعنيين أجمل المفسر في الحال. قوله: (خالص المحبة له) أي لم يجعل في قلبه غير محبة ربه، لتخللها في حشاشته وانطباعها في مهجته، وقوله: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ كالدليل لما قبله، أي من اتخذه الله خليلاً فهو جدير بأن تتبع ملته.

قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ هذا دليل ما تقدم، أي حيث كانت السموات وما فيها، والأرض وما فيها لله وحده ولا مشارك له في شيء من ذلك، فما معنى إشراك من لا يملك لنفسه شيئاً، مع من له جميع المخلوقات، وهو آخذ بناصيتها، وقيل أتى بهذه الآية دفعاً لما يتوهم أن اتخاذ ابراهيم خليلاً عن احتياج كما هو شأن الآدميين، بل ذلك من فضله وكرمه. قوله: (علماً وقدرة) أشار بذلك لقولين في تفسير قوله: ﴿مُحِيطاً﴾ قيل علماً وقيل قدرة وكل صحيح. قوله: (أي لم يزل) أشار بذلك إلى أن كان للاستمرار لا للانقطاع. قوله: (يطلبون منك الفتوى) أي بيان ما حكم الله به في شأنهن، والفتوى بالواو فتفتح الفاء والياء فتضم وجمعها فتاوي بكسر الواو، ويجوز الفتح للخفة. قوله: ﴿فِي﴾ (شأن) ﴿النِّسَاءِ﴾ أي ما يتعلق بهن من دفع المهر لهن وعدم إيذائهن. قوله: (وميراثهن) عطف خاص رداً على من كان يمنعه من الجاهلية. قوله: ﴿يُفْتِيكُمْ﴾ أي يبين لكم تلك الأحكام. قوله: ﴿وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ يحتمل أن ما معطوف على لفظ الجلالة، أو على الضمير المستتر في يفتيكم، والفاصل موجود وهو الكاف، لقول ابن مالك:

وَإِنْ عَـلَى ضَـمِـيرِ رَفْـعٍ مُـتَّـصِـلْ   عَـطفت فَـافْصِـلْ بِـالضَّمِـيرِ المُنْفَصِلْ

أو فاصل ما، وعلى كل فيكون المفتي اثنين: الله سبحانه وتعالى وكتابه والتغاير بالاعتبار، فالمعنى يفتيكم بنفسه على لسان نبيه، وبكتابه على لسان نبيه، فتأمل، وفيه مزيد اعتناء بتلك الفتوى. قوله: (من آية الميراث) أي وهي قوله تعالى:.﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾الآيات، وكذلك الوصية التي تقدمت في

﴿ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ﴾ فرض ﴿لَهُنَّ﴾ من الميراث ﴿وَتَرْغَبُونَ﴾ أيها الأولياء عن ﴿أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ لدمامتهن وتعضلوهن أن يتزوجن طمعاً في ميراثهن أي يفتيكم أن لا تفعلوا ذلك ﴿وَ﴾ في ﴿ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ الصغار ﴿مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ﴾ أن تعطوهم حقوقهم ﴿وَ﴾ يأمركم ﴿أَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل في الميراث والمهر ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾﴾ فيجازيكم به ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ﴾ مرفوع بفعل يفسره ﴿خَافَتْ﴾ توقعت ﴿مِنۢ بَعْلِهَا﴾ زوجها

أوائل السورة كقوله: ﴿وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾ فالمناسب للمفسر أن لا يقتصر على آية الميراث. قوله: **(ويفتيكم أيضاً)** أشار بذلك إلى أن قوله: **﴿فِي يَتَامَى النِّسَاءِ﴾** متعلق بمحذوف معطوف على الضمير في قوله: **﴿فِيهِنَّ﴾** العاطف محذوف، التقدير الله وكتابه يفتيكم في شأن النساء عموماً، والله وكتابه يفتيكم في يتامى النساء، فهو من عطف الخاص على العام والنكتة الاعتناء بشأنهن.

قوله: **﴿فِي يَتَامَى النِّسَاءِ﴾** الإضافة على معنى من أي اليتامى من النساء، أو من إضافة الصفة للموصوف أي النساء اليتامى. قوله: **(من الميراث)** أي وباقي الحقوق كالمهور. قوله: **(عن) ﴿أَنْ تَنْكَحُوهُنَّ﴾** معلوم أن حذف الجار مع أن وإن مطرد، وإنما قدر عن إشارة إلى أن الرغبة بمعنى الزهد فتعدى بعن، وبعضهم قدر في إشارة إلى أن الرغبة بمعنى الحب، والمعنى تحبون وترغبون في نكاحهن لمالهن، ولولا ذلك ما تزوجتموهن، وهو مذموم أيضاً، بل الواجب تقوى الله فيهن، فإن أكل مال اليتيم فيه الوعيد الشديد، فضلاً عن كون اليتيم امرأة لا ناصر لها، روى مسلم عن عائشة قالت: هذه اليتيمة تكون في حجر وليها، فيرغب في جمالها ومالها، ويريد أن ينقص صداقها. فنهوا عن نكاحهن إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق، وأمروا بنكاح من سواهن، قالت عائشة رضي الله عنها: فاستفتى الناس رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل: **﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾** إلى قوله: **﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكَحُوهُنَّ﴾** فبين لهم أن اليتيمة إذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها، ولم يلحقوا بسنتها في إكمال الصداق، وإذا كانت مرغوباً عنها في قلة المال والجمال والتمسوا غيرها قال: فكما يتركونها حين يرغبون عنها، فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها، إلا أن يقسطوا لها ويعطوها حقها الأوفى من الصداق، وقد تقدم بسط ذلك أول السورة. قوله: **(لدمامتهن)** أي فقرهن. قوله: **(وتعضلوهن)** أي تمنعوهن، وهذا التخويف للأولياء كما هو مقتضى المفسر، وفي الحقيقة هو عام للأولياء، ومن يتزوج بها فتخويف الولي من حيث عضلهن عن الزواج لأخذ مالهن، وتخويف الزوج من حيث تزوجها لأخذ مالها، أو بغير مهر مثلها وعدم إعطائها إياه، وبالجملة فلا يجوز لولي ولا زوج أكل مال اليتيم ميراثاً أو مهراً.

قوله: **﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾** معطوف على يتامى عطف عام على خاص. قوله: **﴿مِنَ الْوِالِدَانِ﴾** أي ذكوراً أو إناثاً، وكانوا في الجاهلية لا يورثون الصبيان مطلقاً ولا النساء، وإنما كانوا يقولون: لا نورث إلا من يحمي الحوزة ويذب عن الحرم، فيحرمون المرأة والصبي. قوله: **﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى﴾** معطوف على قوله: **﴿فِي يَتَامَى﴾** من عطف العام أيضاً، ويصح نصبه بإضمار فعل، وهو الذي مشى عليه المفسر بقوله: **﴿وَ﴾ (يأمركم)** وهو خطاب للأولياء والحكام، والمراد باليتامى مطلقاً ذكوراً أو إناثاً. قوله: **﴿مِنْ خَيْرٍ﴾** بيان لما. قوله: **(مرفوع بفعل يفسره) ﴿خَافَتْ﴾** أي فهو من باب الاشتغال، ولا يصح جعله

﴿نُشُوزًا﴾ ترفعاً عليها بترك مضاجعتها والتقصير في نفقتها لبغضها وطموح عينه إلى أجمل منها ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ عنها بوجهه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد وفي قراءة يصلحا من أصلح ﴿بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ في القسم والنفقة بأن تترك له شيئاً طلباً لبقاء الصحبة فإن رضيت بذلك وإلا فعلى الزوج أن يوفيها حقها أو يفارقها ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ من الفرقة والنشوز والإعراض قال تعالى في بيان ما جبل عليه الإنسان ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ شدة البخل أي جبلت عليه فكأنها حاضرته لا تغيب عنه والمعنى أن المرأة لا تكاد تسمح بنصيبها من زوجها

مبتدأ، لأن أداة الشرط لا يليها إلا الفعل ولو تقديراً، ونظيره وإن أحد من المشركين استجارك.

قوله: ﴿خَافَتْ﴾ الخوف توقع الأمر المكروه، فقوله: **(توقعت)** أي انتظرته. قوله: **(زوجها)** أي ويقال له سيد أيضاً، قال تعالى: ﴿وألفيا سيدها﴾ والسيد والبعل مختصان بالرجل، والزوج كما يطلق على الرجل يطلق على المرأة. قوله: **(بترك مضاجعتها)** الباء سببية، والمراد بالترك التقليل من ذلك. قوله: **(والتقصير في نفقتها)** أي التقليل منها، مع كونه لم يكن ترك الحقوق الواجبة، وإلا فصلحه بالمال على ترك الحقوق الواجبة يحرم عليه ولا يحل له أخذه، مع أن الموضوع أنه لا جناح عليه ولا عليها فيه فتأمل. قوله: **(وطموح عينه)** أي تلفته ونظره إلى غيرها قوله: **(إلى أجمل منها)** أي ولو بحسب ما عنده. قوله: ﴿**أَوْ إِعْرَاضاً**﴾ معطوف على ﴿**نُشُوزاً**﴾ والمراد بالإعراض عنها بوجهه عدم البشاشة معها ولقاؤها بوجه عبوس، قال الشاعر:

وَلِلْغَدْرِ عَيْنٌ لَنْ تَزَالَ عبوسةً ... وَعَيْنُ الرِّضَا مَصْحُوبَةٌ بِالتَّبَسُّمِ

قوله: ﴿**فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا**﴾ أي لا إثم في ذلك على المرأة إذا صالحته على ترك القسم أو النفقة أو الكسوة، ولا على الرجل في قبول ذلك منها، ونفي الجناح على الرجل ظاهر لأنه يأخذ منها شيئاً، فهو مظنة الجناح، وأما نفي الجناح عن المرأة فمن حيث دفع ذلك، لأنه ربما يقال إنه كان كالربا، فإنه حرام على الدافع والآخذ. قوله: **(فيه إدغام التاء)** أي بعد قلبها صاداً وتسكينها. قوله: **(وفي قراءة يصلحا)** أي وهي سبعية، وقوله: ﴿**صُلْحاً**﴾ مفعول مطلق على كلا القراءتين، ويصح على القراءة الثانية جعله مفعولاً به إن ضمن يصلحا معنى يوفقا، وقوله: ﴿**بَيْنَهُمَا**﴾ حال من قوله: ﴿**صُلْحاً**﴾ لأنه نعت نكرة قدم عليها، وأقحمه إشارة إلى أنه ينبغي أن يكون ذلك الصلح سراً لا يطلع عليه إلا أهلهما. قوله: **(بأن تترك له شيئاً)** أي بما لها عليه من الحقوق، كالنفقة والكسوة والمبيت، قوله: **(فإن رضيت بذلك)** جواب الشرط محذوف تقديره لزمها ذلك، قوله: ﴿**وَالصُّلْحُ خَيْرٌ**﴾ هذه الجملة كالتي بعدها معترضة بين جملة الشرط الأولى والثانية، وقوله: ﴿**خَيْرٌ**﴾ اسم تفضيل والمفضل عليه محذوف، قدره المفسر بقوله: **(من الفرقة)** لا يقال الفرقة لا خير فيها إلا أن يقال قد يكون في الفرقة خير أيضاً لكنه متوهم، وأما خيرية الصلح فمحققة، وقيل إنه ليس على بابه، بل على الصلح خير من الخيور، كما أن النشوز شر من الشرور. قوله: ﴿**وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ**﴾ الأنفس نائب فاعل، أحضرت مفعول أول، والشح مفعول ثان، والمعنى أحضر الله الأنفس الشح أي كل ما عليه، فمتى تعلقت الأنفس بشيء فلا ترجع عنه إلا بمشقة. قوله:

والرجل لا يكاد يسمح عليها بنفسه إذا أحب غيرها ﴿وَإِن تُحْسِنُوا﴾ عشرة النساء ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الجور عليهن ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (١٢٨) فيجازيكم به ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا أَن تَعْدِلُوا﴾ تسووا ﴿بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ في المحبة ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ على ذلك ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ إلى التي تحبونها في القسم والنفقة ﴿فَتَذَرُوهَا﴾ أي تتركوا الممال عليها ﴿كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾ التي لا هي أيم ولا ذات بعل ﴿وَإِن تُصْلِحُوا﴾ بالعدل في القسم ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الجور ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لما في قلبكم من الميل ﴿رَّحِيمًا﴾ (١٢٩) بكم في ذلك ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾ أي الزوجان بالطلاق ﴿يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا﴾ عن صاحبه ﴿مِّن سَعَتِهِۦ﴾ أي فضله بأن يرزقها زوجاً غيره ويرزقه غيرها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا﴾ لخلقه في الفضل ﴿حَكِيمًا﴾ (١٣٠) فيما دبره لهم ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ﴾ بمعنى الكتب ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي اليهود والنصارى ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ يا أهل القرآن ﴿أَنِ﴾ أي بأن ﴿ٱتَّقُوا ٱللَّهَ﴾ خافوا عقابه بأن تطيعوه ﴿وَ﴾ قلنا لهم ولكم ﴿إِن تَكْفُرُوا﴾ بما وصيتم به ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً وعبداً فلا يضره كفركم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا﴾ عن خلقه وعبادتهم ﴿حَمِيدًا﴾ (١٣١) محموداً في صنعه بهم ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كرره تأكيداً لتقرير موجب التقوى ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ (١٣٢) شهيداً بأن ما فيهما له ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يا ﴿أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ﴾ بدلكم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾ (١٣٣) ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ﴾

(والمعنى) أي المراد من **المعنى** في ذلك ترغيب في الصلح، وترك هوى النفس. قوله: **(عشرة النساء)** قدره إشارة إلى أن مفعول **﴿تُحْسِنُوا﴾** محذوف. قوله: **﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾** أي بعلمكم مع النساء خيراً أو شراً. قوله: **(في المحبة)** أي والمحادثة والمضاجعة. قوله: **﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ المَيْلِ﴾** أي فلا تعرضوا كل الإعراض، بل يلزمكم العدل في المبيت وتركه حرام لما في الحديث: «من لم يعدل بين نسائه جاء يوم القيامة وشقه ساقط» وأما الميل القلبي إلى إحداهما فلا حرج فيه، ولذا قال عليه الصلاة والسلام: «اللّهم إن هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما لا أملك». قوله: **(الممال عنها)** على بمعنى عن، أي الممال عنها بمعنى المبغوضة. قوله: **﴿كَالمُعَلَّقَةِ﴾** الكاف بمعنى مثل مفعول ثان لتذروا، والهاء مفعول أول، لأنها إذا كانت بمعنى ترك تنصب مفعولين. قوله: **(التي لا هي أيم)** الأيم هي التي لا زوج لها، كأن سبق لها زواج أو لم تتزوج أصلاً. قوله: **﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا﴾** مقابل قوله: **﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصَالِحَا﴾**. بقوله: **(بأن يرزقها زوجاً غيره)** أي وإن كان لأحدهما عشق في الآخر، يغنيه الله بأن يبرد قلبه من ذلك. قوله: **(في الفضل)** متعلق بواسعاً. قوله: **(﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ﴾** الخ، هذا كالعلة والدليل لقوله: **﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعاً حَكِيماً﴾**. قوله: **(فلا يضره كفركم)** أي فليس أمرهم بالطاعة عن احتياج تنزه الله عن أن يصل له نفع من طاعتهم أو ضر من كفرهم، وهذا هو جواب الشرط، وقوله: **﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾** دليل الجواب قوله: **﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾** أي يستأصلكم بالمرة، وقوله: **﴿وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾** أي يقوم آخرين دفعة مكانكم.

بعمله ﴿ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ ﴾ لمن أراده لا عند غيره فلم يطلب أحدهما الأخس وهلا طلب الأعلى بإخلاصه له حيث كان مطلبه لا يوجد إلا عنده ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾ ﴿١٣٤﴾ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ ﴾ قائمين ﴿ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ بالعدل ﴿ شُهَدَآءَ ﴾ بالحق ﴿ لِلَّهِ وَلَوۡ ﴾ كانت الشهادة ﴿ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ ﴾ فاشهدوا عليها بأن تقروا بالحق ولا تكتموه ﴿ أَوِ ﴾ على ﴿ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ ﴾ المشهود عليه ﴿ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ ﴾ منكم وأعلم بمصالحهما ﴿ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴾ في شهادتكم بأن تحابوا الغني لرضاه أو الفقير رحمة له ﴿أَن﴾ لا

قوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ جواب الشرط محذوف تقديره فقد ساء عمله وخاب نظره، وقوله: ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ مرتب على محذوف التقدير، فلا يقصر نظره وطلبه على إحداهما فعند الله الخ، قوله: **(لمن أراده)** متعلق بقوله: ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ وهذا معنى قوله تعالى: ﴿فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق﴾ الآية. قوله: **(وهلا طلب الأعلى بإخلاصه)** أي فالواجب على المكلف أن لا يطلب بعمله الصالح إلا الآخرة، لأن الدنيا مضمونة لكل حيوان.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قيل سبب نزولها أن غنياً وفقيراً اختصما إلى رسول الله ﷺ وكان النبي ﷺ يرى أن الفقير لا يظلم الغني، فنزلت الآية، فالخطاب للنبي وأمته. قوله: **(قائمين)** هذا بيان لأصل المادة، وإلا فالمراد مد يمين القيام، لأن صيغة المبالغة لا تتحقق إلا بالدوام على القيام بالقسط، يقال قسط يقسط، جار وعدل، والمراد هنا العدل بقرينة المقام، وأما أقسط فمعناه عدل لا غير، واسم الفاعل من الأول قاسط، ومن الثاني مقسط. وقوله: ﴿شُهَدَاءَ﴾ خبر ثان لكونوا، والواو اسمها، وقوامين خبر أول. قوله: **(بالحق)** أي لا بالباطل فلا تجوز الشهادة به، وقوله الله أي لمحض وجهه لا لغرض آخر. قوله: ﴿وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر لكان المحذوفة، لأن حذف كان مع اسمها بعد لو كثير، قال ابن مالك:

وَيَحْذِفُونَهَا وَيُبْقُونَ الخَبَرْ ... وَبَعْدَ أَنْ وَلَوْ كَثِيراً ذَا اشْتَهَرْ

أي هذا إذا كانت الشهادة على الغير، بل ولو على النفس. قوله: ﴿بأن تقروا بالحق﴾ أي فالمراد بالشهادة الإقرار، ويحتمل أن تكون الشهادة على حقيقتها، وهي الإخبار عن الغير بأمر، كأن يكون شاهداً على ابنه مثلاً بحق، فالواجب اداؤها ولو حصل منها ضرر للنفس. قوله: ﴿وَالْوَالِدَيْنِ﴾ في حيز المبالغة، ولا عبرة بغضبهما حينئذٍ إذا كان الولد شاهداً عليهما بحق. قوله: ﴿إِنْ يَكُنْ﴾ **(المشهود عليه)** أي من الوالدين والأقربين والأجانب. قوله: ﴿فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا﴾ استشكل تثنية الضمير مع كون العطف بأو، أجيب بأن الضمير ليس عائداً على الغني والفقير المتقدمين، بل هو عائد على جنسهما المدلول عليه بالمذكورين، ويدل على ذلك قراءة أبي فالله أولى بهم، وأجيب أيضاً بأن أو للتقسيم للمشهود له والمشهود عليه، لأنهما إما أن يكونا غنيين أو فقيرين، والمشهود له غنياً، والمشهود عليه فقيراً، أو بالعكس، فالضمير في الحقيقة عائد على المشهود له والمشهود عليه، وقد يجاب أيضاً بأن أو بمعنى الواو. قوله: **(لرضاه)** أي الغني فربما واساكم. وقوله: **(بأن تحابوا)** تصوير للمنفي.

﴿تَعۡدِلُواْۚ﴾ تميلوا عن الحق ﴿وَإِن تَلۡوُۥٓاْ﴾ تحرفوا الشهادة وفي قراءة بحذف الواو الأولى تخفيفاً ﴿أَوۡ تُعۡرِضُواْ﴾ عن أدائها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٣٥﴾ فيجازيكم به ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾ داوموا على الإيمان ﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ محمد ﷺ وهو القرآن ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ﴾ على الرسل بمعنى الكتب وفي قراءة بالبناء للفاعل في الفعلين ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ عن الحق ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بموسى وهم اليهود ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ بعبادة العجل ﴿ثُمَّ ءَامَنُواْ﴾ بعده ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ بعيسى ﴿ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا﴾ بمحمد ﴿لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ﴾ ما أقاموا عليه ﴿وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ

قوله: ﴿أَنْ﴾ (لا) ﴿تَعْدِلُوا﴾ تعليل للنهي، لأن من اتّبع الهوى فقد اتصف بالجور، ومن ترك أتباعه فلا يتصف به فيصير المعنى انتهوا عن اتباع الهوى لأجل أن لا يحصل منكم جور، وهذا ما مشى عليه المفسر، من أن العدل بمعنى الجور، فاحتاج إلى تقدير لا، وقال في الكشاف أن العدل ضد الجور، وعليه فليس فيه تقدير لا، ولا يصير المعنى انتهوا عن اتباع الهوى لأجل اتصافكم بالعدل وكل صحيح، والثاني أقرب لعدم لكلفة. قوله: (تحرفوا الشهادة) أي بأن يشهد على خلاف ما يعلم من الدعوى. قوله: (وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضاً، وأصل تلووا تلويون استثقلت الضمة على الياء، فنقلت للواو قبلها بعد سلب حركتها، حذفت الياء التي هي لام الكلمة، وحذفت النون للجازم، فصار وزنه تفعوا، وعلى القراءة الثانية حذفت عين الكلمة التي هي الواو الأولى بعد نقل ضمتها إلى اللام، فصار وزنه تفوا، وفيه إجحاف، لأنه لم يبق إلا فاؤها.

قوله: ﴿أَوْ تُعْرِضُوا﴾ أي بأن تنكروها من أصلها، فالعطف مغاير خلافاً لمن قال بالترادف. قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾ دليل الجواب، والجواب محذوف تقديره يعاقبكم على ذلك لأن الله كان بما تعلمون خبيراً. قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الخ، ذكر هذه الآية بعد الأمر بالعدل من ذكر السبب بعد المسبب، لأن الإيمان سبب للعدل. قوله: (داوموا) الخ دفع بذلك ما يقال إن فيه تحصيل الحاصل والمعنى داوموا على الإيمان بفعل الطاعات، لأن فعلها يزيد في الإيمان، ولا تكونوا ممن بدل وغير ممن سيأتي ذكرهم والتشنيع عليهم. قوله: (بمعنى الكتب) أي فأل للجنس. قوله: (في الفعلين) أي نزل وأنزل، وفاعل الإنزال هو الله تعالى.

قوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ﴾ أي بشيء من ذلك بأن أنكر صفة من صفات الله أو سب ملائكته، أو أنكر الكتب السماوية، أو سبّ رسله أو أنكر رسالتهم أو لم يصدق باليوم الآخر، فالكفر بواحد من هذه المذكورات كاف في استحقاق الوعيد، لأن الإيمان بكل واحد أصل من أصول الدين. قوله: (بعده) أي بعد رجوعه إليهم من المناجاة. قوله: (أقاموا عليه) أي مدة إقامتهم عليه، ودفع بذلك ما يقال إن ظاهر الآية يقتضي عدم المغفرة لهم ولو تابوا فأفاد أن عدم المغفرة لهم مقيد بمدة إقامتهم على الكفر، أما إن تابوا ورجعوا عنه فإن الله يقبل توبتهم، قال تعالى: ﴿وقل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾ وخبر كان في الآية محذوف وهو متعلق اللام تقديره لم يكن الله مريداً ليغفر لهم، والفعل

سَبِيلًا﴾ ﴿١٣٧﴾ طريقاً إلى الحق ﴿بَشِّرِ﴾ أخبر يا محمد ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿١٣٨﴾ مؤلماً هو عذاب النار ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل أو نعت للمنافقين ﴿يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لما يتوهمون فيهم من القوة ﴿أَيَبْتَغُونَ﴾ يطلبون ﴿عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾ استفهام إنكاري أي لا يجدونها عندهم ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ ﴿١٣٩﴾ في الدنيا والآخرة ولا ينالها إلا أولياؤه ﴿وَقَدْ نَزَّلَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن في سورة الأنعام ﴿أَنْ﴾ مخففة واسمها محذوف أي أنه ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ﴾ أي الكافرين والمستهزئين ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا﴾ إن قعدتم معهم ﴿مِّثْلُهُمْ﴾ في الإثم ﴿إِنَّ

منصوب بأن مضمرة بعد هذه اللام لأنها لام الجحود، والفعل تأويل مصدر مفعول لمريد التقدير لم يكن الله مريداً غفران كفرهم.

قوله: ﴿بَشِّرِ﴾ البشارة في الأصل هي الخبر السار، سمي بذلك لأنه يغير البشرة أي الجلدة. قوله: **(أخبر)** أشار بذلك إلى أن المراد بالبشارة هنا مطلق الإخبار، وسماه بشارة تهكماً بها وإشارة إلى أن وعيدهم بالعذاب لا يخلف، كما أن وعيد المؤمن بالخير لا يخلف، وفي الكلام استعمل تبعية، حيث شبهت النذارة بالبشارة، واستعير اسم المشبه به للمشبه، واشتق من البشارة بشر بمعنى أنذر، والجامع التأثر في كل، لأن من سمع الخبر الضار تأثر به، ومن سمع الخبر السار تأثر به. قوله: ﴿**المُنَافِقِينَ**﴾ أي وهم الذين يسرون الكفر، ويظهرون الإسلام، والنفاق قسمان: عملي واعتقادي. فالعملي أشار له ﷺ بقوله: «إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان». والاعتقادي هو إظهار الإسلام وإخفاء الكفر. قوله: ﴿**أَوْلِيَاءَ**﴾ أي أصحاباً يوالونهم ويستعزون بهم، لزعمه أن الكفار لهم اليد العليا، وأن الإسلام سيهدم لقلة أهله. قوله: **(استفهام إنكاري)** أي بمعنى النفي. قوله: **(إلا أولياءه)** أي المؤمنون، قال تعالى: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾.

قوله: ﴿**وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ**﴾ أي يا أيها المؤمنون، والذي نزل هو قوله تعالى: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ وهذا نزل بمكة، لأن المشركين كانوا يخوضون في القرآن يستهزؤون به، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، صار اليهود يفعلون مثل المشركين وكان المنافقون يجلسون إليهم، ويسمعون منهم الخوض، ويستهزؤون معهم، فنهى الله تعالى المؤمنين عن مجالستهم والقعود معهم. قوله: **(بالبناء للفاعل)** أي والفاعل ضمير يعود على الله تعالى، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعوله وهذا على كونه مشدداً، وقرىء بالبناء للفاعل مخففاً، فأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر فاعل، وقوله: **(والمفعول)** أي مشدداً، وأن ما دخلت عليه في تأويل مصدر نائب فاعل.
قوله: ﴿**يُكْفَرُ بِهَا**﴾ أي إما من غير استهزاء وهو الواقع من المشركين واليهود، أو مع الاستهزاء وهو الواقع من المنافقين. قوله: **(أي الكافرين)** أي كالمشركين واليهود، وقوله: **(والمستهزئين)** أي وهم المنافقون، وسموا مستهزئين لقولهم: **(إذا خلوا بشياطينهم إنا معكم إنما نحن مستهزؤون)**. قوله: ﴿**فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ**﴾ أي غير الحديث المتقدم من الكفر والاستهزاء قوله: ﴿**إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ**﴾ أي مشاركون لهم في الإثم، قال بعضهم:

﴿اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ ﴿١٤٠﴾ كما اجتمعوا في الدنيا على الكفر والاستهزاء ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من الذين قبله ﴿يَتَرَبَّصُونَ﴾ ينتظرون ﴿بِكُمْ﴾ الدوائر ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ﴾ ظفر وغنيمة ﴿مِّنَ اللَّهِ قَالُوا﴾ لكم ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ في الدين والجهاد فاعطونا من الغنيمة ﴿وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ من الظفر عليكم ﴿قَالُوا﴾ لهم ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ﴾ نستول ﴿عَلَيْكُمْ﴾ ونقدر على أخذكم وقتلكم فأبقينا عليكم ﴿وَ﴾ ألم ﴿نَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أن يظفروا بكم بتخذيلهم ومراسلتكم بأخبارهم فلنا عليكم المنة قال تعالى ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ وبينهم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بأن يدخلكم الجنة ويدخلهم النار ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ ﴿١٤١﴾ طريقاً بالاستئصال ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ بإظهارهم خلاف ما أبطنوه من الكفر ليدفعوا عنهم أحكامه الدنيوية ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ مجازيهم على خداعهم فيفتضحون في الدنيا باطلاع الله نبيه على ما أبطنوه ويعاقبون في الآخرة ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ﴾ مع المؤمنين ﴿قَامُوا كُسَالَىٰ﴾ متثاقلين

وَسَمعكَ صَنّ عَنْ سِمَاعِ القَبِيحِ ... كَصَوْنِ اللِّسَانِ عَنِ النُّطْقِ بِهِ
فَإِنَّكَ عِنْدَ سِمَاعِ القَبِيحِ ... شَرِيكٌ لِقَائِلِهِ فَانْتَبِهِ

قوله: (في الإثم) أي كفر أو غيره، فالراضي بالكفر كافر، والراضي بالمحرم عاص، وبالجملة فجليس الطائع مثله، وجليس العاصي مثله. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ﴾ الخ، هذا كالعلة والدليل لقوله: ﴿إِذاً مِثْلُهُمْ﴾. قوله: (من الذين قبله) أي وهو قوله: (الذين يتخذون الكافرين أولياء) والأحسن أنه نعت ثان للمنافقين. قوله: ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ﴾ أي بأن كانت الغلبة للمؤمنين، والخذلان للكفار. قوله: (من الظفر عليكم) أي كما وقع في أحد. قوله: ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ﴾ الاستحواذ الاقتدار والاستيلاء. قوله: (فأبقينا عليكم) أي رفقنا بكم ورحمناكم. قوله: (فلنا عليكم المنة) أي فأعطونا نصيباً من الدنيا، فهم لا حظ لهم غير أخذ المال. قوله: (بالاستئصال) دفع بذلك ما يقال إن الكفار بالمشاهدة لهم سبيل على المؤمنين في الدنيا، فأجاب المفسر: بأن معنى ذلك أن الكفار لا يستأصلون المؤمنين ويجاب أيضاً: بأن المراد في القيامة فلا يطالبونا بشيء يوم القيامة، أو المراد سبيلاً بالشرع، فإن شريعة الإسلام ظاهرة إلى يوم القيامة، فمن ذلك أن الكافر لا يرث المسلم، وليس له أن يملك عبداً مسلماً، ولا يقتل المسلم بالذمي.

قوله: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ أي رسوله، وهذا بيان لبعض قبائحهم. قوله: (بإظهارهم خلاف ما أبطنوه) أي من إظهار الإيمان وإخفاء الكفر. قوله: (فيفتضحون في الدنيا) أي يفتضحون في الآخرة أيضاً لما روي أنه يوم القيامة حين يمتاز الكفار من المؤمنين، تبقى هذه الأمة وفيها منافقوها فيتجلى الله لهم، فيخرّ المؤمنون سجداً، والمنافقون يصير ظهورهم طبقاً، فلا يستطيعون السجود، وروي أنهم يعطون على الصراط نوراً كما يعطى المؤمنون، فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم، ويبقى نور المؤمنين فينادون المؤمنين: انظرونا نقتبس من نوركم، وهو معنى قوله تعالى: ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم﴾ الآية. قوله: ﴿كُسَالَى﴾ أي لعدم الداعية في قلوبهم وهو نصب على الحال، والكسل

﴿ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ بصلاتهم ﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ ﴾ يصلون ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ﴿١٤٢﴾ رياء ﴿ مُّذَبْذَبِينَ ﴾ مترددين ﴿ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ الكفر والإيمان ﴿ لَآ ﴾ منسوبين ﴿ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ أي الكفار ﴿ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ أي المؤمنين ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ﴾ ـه ﴿ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ ﴿١٤٣﴾ طريقاً إلى الهدى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ بموالاتهم ﴿ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾ ﴿١٤٤﴾ برهاناً بيناً على نفاقكم ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ﴾ المكان ﴿ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ وهو قعرها ﴿ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ ﴿١٤٥﴾ مانعاً من العذاب ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ ﴾ من النفاق ﴿ وَأَصْلَحُواْ ﴾ عملهم ﴿ وَٱعْتَصَمُواْ ﴾ وثقوا ﴿ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾ من الرياء ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ ﴾ فيما يؤتونه ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ﴿١٤٦﴾ في الآخرة هو الجنة ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ ﴾ نعمه ﴿ وَءَامَنتُمْ ۚ ﴾ به والاستفهام بمعنى النفي أي لا يعذبكم ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا ﴾ لأعمال المؤمنين بالإثابة ﴿ عَلِيمًا ﴾ ﴿١٤٧﴾ بخلقه ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ من

الفتور والتواني، قوله: ﴿**يُرَاؤُونَ النَّاسَ**﴾ أي النبي وأصحابه، والمعنى أنهم يقصدون بصلاتهم النجاة من النبي وأصحابه، والجملة حال من كسالى. قوله: (**يصلون**) إنما سميت الصلاة ذكراً، لأنها اشتملت عليه. قوله: ﴿**مُذَبْذَبِينَ**﴾ حال من فاعل يراؤون، وحقيقة المذبذب ما يذب ويدفع عن كلا الجانبين مرة بعد أخرى، وقد أفاده المفسر بقوله: (**مترددين**) قوله: ﴿**لَا إِلَى هٰؤُلَاءِ**﴾ الخ، متعلق في الموضعين بمحذوف حال من مذبذبين، قدره المفسر بقوله: (**منسوبين**). قوله: (**أي الكفار**) أي فيقتلون ويترتب عليهم أحكامه. وقوله: (**أي المؤمنين**) أي فينجون في الدنيا والآخرة.

قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ خطاب للمؤمنين الخلص. قوله: ﴿**لَا تَتَّخِذُوا الكَافِرِينَ**﴾ أي كما فعل المنافقون، فيترتب عليه الوعيد العظيم فاحذروا ذلك. قوله: ﴿**أَتُرِيدُونَ**﴾ الاستفهام إنكاري بمعنى النفي، أي لا تريدون ذلك. قوله: ﴿**فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ**﴾ الدركات بالكاف منازل أهل النار، والدرجات بالجيم منازل أهل الجنة. قوله: (**وهو قعرها**) أي لأنها سبع طبقات، العليا لعصاة المؤمنين وتسمى جهنم، والثانية لظى للنصارى، والثالثة الحطمة لليهود، والرابعة السعير للصابئين، والخامسة سقر للمجوس، والسادسة الجحيم للمشركين، والسابعة الهاوية للمنافقين وفرعون وجنوده، لقوله تعالى: ﴿أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾.

قوله: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ**﴾ استثناء من قوله: ﴿**إِنَّ المُنَافِقِينَ**﴾. قوله: ﴿**مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ**﴾ ما استفهامية، الباء سببية، والاستفهام إنكاري بمعنى النفي. أي لا **يفعل** بعذابكم شيئاً حيث حسنت توبتكم، ويصح أن تكون ما نافية والباء زائدة ومدخولها مفعول لقوله **يفعل**، والمعنى ما **يفعل** عذابكم، أي لا **يعذبكم** حين صدقت التوبة، فالمآل في المعنيين واحد. قوله: ﴿**وَآمَنْتُمْ**﴾ عطف خاص على عام، أو مسبب على سبب، لأن الشكر سبب في الإيمان، فإن الإنسان إذا تذكر نعم الله حملته على الإيمان.

قوله: ﴿**لَا يُحِبُّ اللَّهُ الجَهْرَ بِالسُّوءِ**﴾ هذا مرتب على ما تقدم من ذكر أحوال المنافقين، أي فلا تتوهم أيها العاقل من تقبيح الله لبعض عبيده، إنه يجوز لكل أحد التقبيح لمن علم منه سوءاً، أو ظنه فيه،

أحد أي يعاقب عليه ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ فلا يؤاخذه بالجهر به بأن يخبر عن ظلم ظالمه ويدعو عليه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا﴾ لما يقال ﴿عَلِيمًا﴾ ﴿١٤٨﴾ بما يفعل ﴿إِن تُبْدُواْ﴾ تظهروا ﴿خَيْرًا﴾ من أعمال البر ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ تعملوه سراً ﴿أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ﴾ ظلم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ ﴿١٤٩﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ بأن يؤمنوا به دونهم ﴿وَيَقُولُونَ

وسبب نزولها: أن رجلاً استضاف قوماً فلم يحسنوا ضيافته، فلما خرج تكلم فيها جهراً بسوء، وقيل إن سبب نزولها أن رجلاً نال من أبي بكر والنبي ﷺ حاضر، فسكت عنه مراراً ثم رد عليه فقام النبي ﷺ، فقال أبو بكر: يا رسول الله شتمني فلم تقل شيئاً، حتى إذا رددت عليه قمت، فقال له إن ملكاً كان يجيب عنك، فلما رددت عليه ذهب الملك وجاء الشيطان فقمت فنزلت، وقوله: ﴿بِالسُّوءِ﴾ هو اسم جامع لكل فحش، كالبر فإنه اسم جامع لكل خير، وقوله: ﴿مِنَ الْقَوْلِ﴾ بيان للجهر بالسوء ومثل القول الفعل، فلا مفهوم للجهر ولا للقول، وإنما خصا لأنهما سبب النزول ولكونهما الغالب. قوله: **(من أحد)** قدره إشارة إلى أن فاعل المصدر محذوف، وهو من المواضع التي ينقاس فيها حذف الفاعل، وقد جمعها بعضهم بقوله:

عِنْـدَ النِّيَـابَـةِ مَصْـدَرٌ وَتَعَجُّب ... وَمُفْرِغٌ يَنْقَاسُ حَذْفَ الْفَاعِلِ

قوله: **(أي يعاقب)** دفع بذلك ما يقال إن الحب والبغض معنى قائم بالقلب وهو مستحيل على الله تعالى، فأجاب بأن المراد لازمه وهو العقاب، لأن من غضب من أحد عاقبه، ودخل في الجهر بالسوء التعريض والسخرية به والغيبة والنميمة، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾ إلى غير ذلك، وفي الحديث: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة الواحدة يهوي بها في النار سبعين خريفاً». قوله: **(بأن يخبر عن ظلم ظالمه)** أي لمن ينصفه بأن يقول: شتمني، أو غصبني، أو أخذ مالي، أو ضربني مثلاً. قوله: **(ويدعو عليه)** أي بدعاء جائز مثل: اللهم خلِّص حقي منه، أو جازه، أو انتقم ممن ظلمني، أو خذ لي بثاري منه، ولا يجوز الدعاء على الظالم بسوء الخاتمة على المعتمد، ولو بلغ في الظلم مهما بلغ، ولا بخراب دياره أو هلاكه مثلاً، والصبر وعدم الدعاء أجمل، وهو مقام عظيم، ولذا أمر به ﷺ بقوله تعالى: ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ وقوله: ﴿إِلاَّ مَنْ ظُلِمَ﴾ أي مثلاً، ومثله المستفتي والمستغيث والمحذر والمعرف والمتجاهر، وقد جمعها بعضهم بقوله:

تـظلم واستغث واستفت حـذر ... وعـرف بـدعـة فسق المجـاهـر

وجمعت أيضاً في قول بعضهم:

لـقب ومـستفت وفسقٌ ظـاهـر ... مُـتَـظلِّم ومـعـرف ومحـذر

قوله: **(لما يقال)** أي من الظالم والمظلوم. وقوله: **(بما يفعل)** أي من الظالم والمظلوم. قوله: **(من أعمال البر)** أي كالصلاة والصدقة وفعل المعروف وحسن الظن. قوله: ﴿أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾ هذا هو محط الفائدة بدليل قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيراً﴾ وهذا بيان للخلق الكامل، فالعفو والمسامحة أجل وأعلى من الانتصار. قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾ الخ، دليل الجواب، والجواب محذوف تقديره يعفو عنكم. قوله: ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا﴾ الخ، عطف سبب على مسبب، أي فكفرهم بالتفرقة لا باعتقاد للشريك لله

نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ﴾ من الرسل ﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ منهم ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ الكفر والإيمان ﴿سَبِيلًا﴾ ﴿١٥٠﴾ طريقاً يذهبون إليه ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ﴿١٥١﴾ ذا إهانة هو عذاب النار ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ كلهم ﴿وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ﴾ بالنون والياء ﴿أُجُورَهُمْ﴾ ثواب أعمالهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لأوليائه ﴿رَّحِيمًا﴾ ﴿١٥٢﴾ بأهل طاعته ﴿يَسْأَلُكَ﴾ يا محمد ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ اليهود ﴿أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ جملة كما أنزل على موسى تعنتاً فإن استكبرت ذلك ﴿فَقَدْ سَأَلُوا﴾ أي آباؤهم ﴿مُوسَىٰ أَكْبَرَ﴾ أعظم ﴿مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ عياناً ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ الموت عقاباً لهم ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾ حيث تعنتوا في السؤال ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾

مثلاً. قوله: **(من الرسل)** أي كموسى وعيسى. قوله: **﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾** أي كمحمد. قوله: **(طريقاً يذهبون إليه)** أي واسطة بين الإيمان والكفر، وهو الإيمان ببعض الأنبياء والكفر ببعض. قوله: **(مصدر مؤكد)** أي وعامله محذوف ويقدر مؤخراً عن الجملة المؤكدة لها تقديره أحقه حقاً، نظير زيد أبوك عطوفاً. قال ابن مالك:

وَإِنْ تُؤَكِّدْ جُمْلَةً فَمُضْمَرُ عَامِلُهَا وَلَفْظُهَا يُؤَخَّرُ

ويصح أن يكون حالاً من قوله: **﴿هُمُ الْكَافِرُونَ﴾** أي حال كون كفرهم حقاً أي لا شك فيه. قوله: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾** مقابل قوله: **﴿الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾** وقوله: **﴿وَلَمْ يُفَرِّقُوا﴾** مقابل قوله: **﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا﴾**. قوله: **﴿بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾** أي في الإيمان بأن يؤمنوا بجميعهم. قوله: **(بالنون والياء)** أي فهما قراءتان سبعيتان، وعلى النون فيكون فيه التفات من الغيبة للتكلم، لأن الاسم الظاهر من قبيل الغيبة.

قوله: **﴿يَسْأَلُكَ﴾** أي سؤال تعنت ذو عناد، فلذا لم يبلغهم الله مرادهم، ولو كان سؤالهم لطلب الاسترشاد لأجيبوا. قوله: **(اليهود)** أي أحبارهم. قوله: **﴿أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ﴾** أي فقالوا إن كنت نبياً فائتنا بكتاب محرر بخط سماوي في ألواح كما نزلت التوراة. قوله: **(تعنتاً)** مفعول لأجله أي فالحامل لهم على السؤال التعنت والعناد لا الاسترشاد، وإلا لأجيبوا. قوله: **(فإن استكبرت ذلك)** قدره إشارة إلى أن قوله: **﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى﴾** جواب شرط محذوف، والمعنى إن استعظمت سؤالهم، فقد وقع من أصولهم ما هو أعظم من ذلك. قوله: **(أي آباؤهم)** أي وإنما نسب السؤال لهم لأنهم راضون بها فكأنها وقعت منهم. قوله: **﴿فَقَالُوا﴾** تفسير لسألوا على حد توضأ فغسل وجهه. قوله: **(عياناً)** أي معاينين له، وذلك أن موسى عليه السلام اختار من قومه سبعين من بني إسرائيل، فخرج معهم إلى الجبل ليستغفروا لقومهم حيث عبدوا العجل **﴿فقالوا أرنا اللَّهَ جَهْرَةً﴾**. قوله: **﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾** أي ثم أحيوا بعد ذلك حين قال موسى: رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي.

قوله: **﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾** ثم للترتيب الذكري الإخباري، لأن عبادة العجل كانت قبل ذلك

إلهاً ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ ﴾ المعجزات على وحدانية الله ﴿ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ ﴾ ولم نستأصلهم ﴿ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴾ ﴿١٥٣﴾ تسلطاً بيناً ظاهراً عليهم حيث أمرهم بقتل أنفسهم توبة فأطاعوه ﴿ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ ﴾ الجبل ﴿ بِمِيثَٰقِهِمۡ ﴾ بسبب أخذ الميثاق عليهم ليخافوا فيقبلوه ﴿ وَقُلۡنَا لَهُمُ ﴾ وهو مظل عليهم ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ ﴾ باب القرية ﴿ سُجَّدٗا ﴾ سجود انحناء ﴿ وَقُلۡنَا لَهُمۡ لَا تَعۡدُواْ ﴾ وفي قراءة بفتح العين وتشديد الدال وفيه إدغام التاء في الأصل في الدال أي لا تعتدوا ﴿ فِي ٱلسَّبۡتِ ﴾ باصطياد الحيتان فيه ﴿ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴾ ﴿١٥٤﴾ على ذلك فنقضوه ﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم ﴾ ما زائدة والباء للسببية متعلقة بمحذوف أي لعناهم بسبب نقضهم ﴿ مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ ﴾ النبي ﷺ ﴿ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ ﴾ لا تعي كلامك ﴿ بَلۡ طَبَعَ ﴾ ختم ﴿ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ ﴾ فلا تعي وعظاً ﴿ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ ﴿١٥٥﴾ منهم كعبد الله

قوله: (المعجزات) أي كالعصا واليد البيضاء والسنين وفلق البحر. قوله: ﴿فعفونا عن ذلك﴾ أي قبلنا توبتهم، فتوبوا أنتم أيضاً حتى يعفو عنكم. قوله: ﴿سُلْطَاناً﴾ أي قهراً عظيماً وسلطنة جليلة. قوله: (فأطاعوه) أي فقتل منهم سبعون ألفاً في يوم واحد.

قوله: ﴿بِمِيثَاقِهِمْ﴾ أي حين جاءهم موسى بالتوراة، وفيها الأحكام فامتنعوا من قبولها، فرفع الله فوقهم الطور، فخافوا من وقوعه عليهم فقبلوه وسجدوا على جبينهم وأعينهم تنظر له، فصار ذلك فيهم إلى الآن. قوله: (فيقبلوه) أي الميثاق ولا ينقضوه. قوله: (وهو مظل عليهم) أي مرفوع عليهم، والتقييد بذلك سبق قلم، لأن القول لهم حين دخول القرية كان بعد مدة التيه، وتلك القرية قيل هي بيت المقدس وقيل أريحا، والقول قيل على لسان يوشع بن نون وهي قرية الجبارين، وأما رفع الجبل فكان قبل دخولهم التيه حين جاءتهم التوراة فلم يؤمنوا بها. قوله: (سجود انحناء) أي خضوع وتذلل، فخافوا ودخلوا يزحفون على أستاههم، وتقدم بسط ذلك في البقرة. قوله: ﴿لَا تَعْدُوا﴾ بسكون العين وضم الدال من عدا يعدو بمعنى جار، وأصله تعدووا بضم الواو الأولى وهي لام الكلمة، استثقلت الضمة عليها فحذفت فالتقى ساكنان، حذفت الواو لالتقائهما ووزنه تفعوا. قوله: (وفي قراءة بفتح العين) أي فأصله تعتدوا قلبت التاء دالاً ثم أدغمت في الدال، والمعنى أنهم نهوا عن الاعتداء في السبت بصيد السمك، فخالف بعضهم واصطاد وامتنع بعضهم من غير نهي للآخرين وامتنع بعضهم مع نهي من اصطاد، فحل بمن اصطاد العذاب ونجا من نهي، وسيأتي بسط ذلك في سورة الأعراف. قوله: ﴿مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾ أي أنهم إن خالفوا عذبهم الله بأي نوع من العذاب أراده. قوله: ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أي القرآن أو كتابهم. قوله: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ أي حق في زعمهم، أي فهم مقرون بأن القتل بغير وجه.

قوله: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا﴾ أي غشيت وغطيت بغطاء معنوي لا حسي كما قالوا تهكماً، بمعنى أنهم صم بكمٌ عمي لا يهتدون للحق ولا يعونه. قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلاً﴾ قيل إنه مستثنى من فاعل ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ ورد بأن من آمن لم يطبع على قلبه، والأحسن أنه مستثنى من الهاء في قوله: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا﴾ أي إلا قليلاً

ابن سلام وأصحابه ﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾ ثانياً بعيسى وكرر الباء للفصل بينه وبين ما عطف عليه ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾ ﴿١٥٦﴾ حيث رموها بالزنا ﴿وَقَوْلِهِمْ﴾ مفتخرين ﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ في زعمهم أي بمجموع ذلك عذبناهم قال تعالى تكذيباً لهم في قتله ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ المقتول والمصلوب وهو صاحبهم بعيسى أي ألقى الله عليه شبهه فظنوه إياه ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ أي في عيسى ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ من قتله حيث قال بعضهم لما رأوا المقتول: الوجه وجه عيسى والجسد ليس بجسده فليس به. وقال آخرون بل هو هو ﴿مَا لَهُم بِهِۦ﴾ بقتله ﴿مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ استثناء منقطع أي لكن يتبعون فيه الظن الذي تخيلوه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ ﴿١٥٧﴾ حال مؤكدة لنفي القتل ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ في ملكه ﴿حَكِيمًا﴾ ﴿١٥٨﴾ في صنعه ﴿وَإِن﴾ ما ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أحد ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ بعيسى ﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ أي الكتابي حين يعاين ملائكة الموت فلا ينفعه إيمانه أو قبل موت عيسى لما ينزل قرب

فلم يطبع على قلوبهم. قوله: **(ثانياً بعيسى)** أي وأولاً بموسى. قوله: **(وكرر الباء)** أي في قوله: **﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾**. قوله: **(للفصل)** أي بأجنبي وهو قوله: **﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ﴾**. قوله: **(حيث رموها بالزنا)** أي منكرين تعلق قدرة الله تعالى بخلق ولد من غير والد، ومعتقد ذلك كافراً لأنه يلزم عليه القول بقدم العالم، لأن كل ولد لا بد له من والد وهكذا.

قوله: **﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾** إن قلت: أنهم لم يعترفوا برسالته! بل كفروا به وقالوا هو ساحر ابن ساحرة. وأجيب: بأنهم قالوا ذلك تهكّماً به، نظير قول فرعون لموسى إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون، وقول مشركي العرب في حق محمد: يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون. وأجيب أيضاً: بأنه من كلامه تعالى مدحاً له وتنزيهاً له عن مقالتهم، فيكون منصوباً بفعل محذوف، أي أمدح رسول الله. قوله: **(في زعمهم)** متعلق بقوله: **﴿قَتَلْنَا﴾** والمناسب حذفه لأن تكذيبهم في القتل معلوم من قوله بعد: **﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾** وفي نسخة في زعمه بالإفراد، ويكون متعلقاً بقوله: **﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾** وهي أولى.

قوله: **﴿وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾** روي أن رهطاً من اليهود سبوه وأمه! فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير، فاجتمعت اليهود على قتله، فأخبره الله بذلك، وكان له صاحب منافق، فقالوا له: اذهب إلى عيسى وأخرجه لنا، فلما دخل دار عيسى ألقى شبهه عليه، ورفع عيسى إلى السماء، فلما خرج إليهم قتلوه. قوله: **(بعيسى)** متعلق بشبه، وقوله: **(عليه)** أي الصاحب، وقوله: **(شبهه)** أي شبه عيسى. قوله: **(استثناء منقطع)** أي لأن إتباع الظن ليس من جنس العلم. قوله: **(مؤكدة لنفي القتل)** أي انتفى قتلهم له انتفاءً يقيناً لا شك فيه، فيلاحظ القيد بعد وجود النفي، فهو من باب تيقن العدم لا من عدم التيقن، ومحصله أنه نفي للقيد الذي هو اليقين، والمقيد الذي هو القتل، ويصح أن يكون حالاً من فاعل قتلوه أي ما فعلوا القتل في حال تيقنهم له، بل فعلوه شاكين فيه، وقيل منصوب بما بعد بل من قوله: **﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾** ورد بأن ما بعد بل لا يعمل فيما قبلها. قوله: **﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾** أي إلى محل رضاه وانفراد حكمه وهو السماء الثالثة، كما في الجامع الصغير، أو الثانية كما في بعض المعاريج. قوله: **(حين يعاين**

الساعة كما ورد في الحديث ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ ﴾ عيسى ﴿ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ ﴿١٥٩﴾ بما فعلوه لما بعث إليهم ﴿ فَبِظُلْمٍ ﴾ أي فبسبب ظلم ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ هم اليهود ﴿ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَـٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ هي التي في قوله تعالى حرمنا كل ذي ظفر الآية ﴿وَبِصَدِّهِمْ ﴾ الناس ﴿ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ دينه صداً ﴿ كَثِيرًا ﴾ ﴿١٦٠﴾ في التوراة ﴿ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ ﴾ في التوراة ﴿ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ ﴾ بالرشا في الحكم ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ﴿١٦١﴾ مؤلماً ﴿ لَّـٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ ﴾ الثابتون ﴿ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ ﴾ كعبد الله بن سلام ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ المهاجرون والأنصار ﴿ يُؤْمِنُونَ بِمَآ

ملائكة الموت) روي أن اليهودي إذا حضره الموت ضربت الملائكة وجهه ودبره وقالوا له: يا عدو الله أتاك عيسى نبياً فكذبت به، فيقول آمنت بأنه عبد الله ورسوله، ويقال للنصراني: أتاك عيسى نبياً فزعمت أنه الله وابن الله، فيقول آمنت بأنه عبد الله، فأهل الكتاب يؤمنون به، ولكن لا ينفعهم إيمانهم لحصوله وقت معاينة العذاب. قوله: **(أو قبل موت عيسى)** هذا تفسير آخر وهو صحيح أيضاً، والمعنى أن عيسى حين ينزل إلى الأرض ما من أحد يكون من اليهود أو النصارى، أو ممن يعبد غير الله إلا آمن بعيسى، حتى تصير الملة كلها إسلامية. قوله: **﴿شَهِيداً﴾** أي فيشهد على اليهود بالتكذيب، وعلى النصارى بأنهم اعتقدوا فيه أنه ابن الله.

قوله: **﴿فَبِظُلْمٍ﴾** الجار والمجرور متعلق بحرمنا والباء سببية. قوله: **(هم اليهود)** سموا بذلك لأنهم هادوا بمعنى تابوا، ورجعوا عن عبادة العجل. قوله: **﴿أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾** صفة لطيبات، أي طيبات كانت حلال لهم، فلما حرمت عليهم، صاروا يقولون: لسنا بأول من حرمت عليه، بل كانت حراماً على من قبلنا! فرد الله عليهم بقوله: (كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه) الآية. قوله: **﴿وَبِصَدِّهِمْ﴾** هذا تفصيل لبعض أنواع الظلم، وكرر الجار للفصل بين العاطف والمعطوف بقوله: **﴿حَرَّمْنَا﴾** ولم يكرره في قوله: ﴿وأخذهم الربا وأكلهم أموال الناس﴾ لعدم الفاصل. قوله: **(صداً) ﴿كَثِيراً﴾** أشار بذلك إلى أن كثيراً صفة لموصوف محذوف مفعول مطلق لقوله صدهم، ويصح أن يكون المحذوف مفعولاً به والتقدير خلقاً كثيراً.

قوله: **﴿وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾** الجملة حالية. قوله: **(بالرشا في الحكم)** جمع رشوة، وهي ما يعطيه الشخص للحاكم ليحكم له؟ والمقصود من ذكر هذه الأمور الاتعاظ بها؟ وبيان أنها حرام في شرعنا أيضاً، ففي الحديث: «كل لحم نبت من السحت فالنار أولى به، قالوا: وما السحت؟ قال: الرشوة في الحكم» فالحاكم لا يجوز له أن يأخذ شيئاً على حكمه، ومثله الضامن، وذو الجاه، والمقرض، ففي الحديث: «ثلاثة لا تكون إلا لله: القرض، والضمان، والجاه». قوله: **﴿مِنْهُمْ﴾** أي وممن حذا حذوهم. قوله: **﴿عَذَاباً أَلِيماً﴾** أي وهو الخلود في النار.

قوله: **﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ﴾** استدراك على قوله: ﴿وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً﴾ والمعنى من كان من اليهود، وفعل تلك الأفعال المتقدمة، وأصر على الكفر، ومات عليه، أعتدنا لهم عذاباً أليماً، وأما من كان من اليهود، غير أنه رسخ في العلم، وآمن وعمل صالحاً، فأولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً، و **﴿الرَّاسِخُونَ﴾** مبتدأ، و **﴿فِي الْعِلْمِ﴾** متعلق به، وقوله: **﴿مِنْهُمْ﴾** متعلق بمحذوف حال من

أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ من الكتب ﴿ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ نصب على المدح وقرىء بالرفع ﴿ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ ﴾ بالنون والياء ﴿ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ﴿١٦٢﴾ هو الجنة ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَ ﴾ كما ﴿ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ ابنيه ﴿ وَيَعْقُوبَ ﴾ ابن اسحاق ﴿ وَٱلْأَسْبَاطِ ﴾ أولاده ﴿ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ

الراسخون. وقوله: ﴿أُولٰئِكَ﴾ مبتدأ، و ﴿سَنُؤْتِيهِمْ﴾ خبره، والجملة خبر الراسخون.

قوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ عطف على الراسخون عطف مفصل على مجمل، لأن الإيمان وما بعده متنوع ولازم للرسوخ في العلم، فنزل التغاير الاعتباري منزلة التغاير الذاتي، وهذا على أن المراد المؤمنون منهم وأما على أن المراد المؤمنون من غيرهم، أو ما هو أعم، فالمغايرة ظاهرة، وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ الخ حال من المؤمنون والراسخون. قوله: ﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ أي وهو القرآن، وهذه الصفات للإيمان الكامل، فلا يكون الإنسان كامل الإيمان حتى يتصف بجميعها. قوله: **(نصب على المدح)** أي فتكون جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه، وإنما نصبهم تعظيماً لشأنهم، وما قاله المفسر هو أحسن الأجوبة عن الآية، ويصح أنه معطوف على الكاف في إليك، ويكون المراد بالمقيمين الأنبياء، ويصح أنه معطوف على ما أنزل، ويكون المراد بالمقيمين الأنبياء والملائكة، ويصح أن يكون معطوفاً على الهاء في منهم، أي لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين. قوله: **(وقرىء بالرفع)** أي وعليها، فلا إشكال وهي شاذة وإن وردت عن كثير.

قوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ أي المصدقون بأن الله يجب له كل كمال، ويستحيل عليه كل نقص، وقوله: ﴿وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ أي يصدقون بأنه حق وما يقع فيه صدق. قوله: **(هو الجنة)** أي الخلود فيها، وهو مقابل قوله: **(واعتدنا لهم عذاباً أليماً)**.

قوله: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ قيل سبب نزولها أن مسكيناً وعدي بن زيد قالا: يا محمد ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شيء من بعد موسى، وقيل هو جواب لقولهم: ﴿لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتاباً من السماء جملة واحدة﴾ فالمعنى أنكم تقرون بنبوة نوح وجميع الأنبياء المذكورين في الآية ولم ينزل على أحد من هؤلاء كتاباً جملة مثل ما أنزل على موسى، فقدم إنزال الكتاب جملة ليس قادحاً في نبوتهم، فكذلك محمد ﷺ.

قوله: ﴿كَمَا أَوْحَيْنَا﴾ يحتمل أن تكون ما مصدرية، والمعنى كوحينا، وأن تكون اسم موصول والعائد محذوف، والتقدير كالذي أوحيناه أي الأحكام التي أوحيناها إلى نوح الخ. قوله: ﴿إِلَى نُوحٍ﴾ قدمه لأنه أول نبي أرسله الله لينذر الناس من الشرك، وعاش ألف سنة وخمسين عاماً وهو صابر على أذى قومه، لم يشب فيها ولم تنقص قواه، وهو أول الأنبياء أولي العزم، وكان أبا البشر بعد آدم لانحصار الناس في ذريته. قوله: ﴿إِلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ خصه بعد نوح، لأن أكثر الأنبياء من ذريته وهو ابن تارخ، وقيل هو آزر، وقيل هو أخوه فآزر عم ابراهيم. قوله: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾ كان نبياً ورسولاً بمكة، ثم لما مات نقل إلى الشام. قوله: ﴿وَإِسْحٰقَ﴾ كان رسولاً بالشام بعد اسماعيل ومات بها.

قوله: ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ هو إسرائيل، ثم يوسف ابنه، ثم شعيب بن نويب، ثم هود بن عبد الله، ثم

﴿وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ وَءَاتَيْنَا﴾ أباه ﴿دَاوُۥدَ زَبُورًا ۝١٦٣﴾ بالفتح اسم للكتاب المؤتى وبالضم مصدر بمعنى مزبوراً أي مكتوباً ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿رُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَۚ﴾ روي أنه تعالى بعث ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس قاله الشيخ في سورة غافر ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ﴾ بلا واسطة ﴿تَكْلِيمًا ۝١٦٤﴾ ﴿رُّسُلًا﴾ بدل من رسلاً قبله

صالح بن آسف، ثم موسى وهارون ابنا عمران، ثم أيوب، ثم الخضر، ثم داود بن أيشا، ثم سليمان بن داود، ثم يونس بن متى، ثم الياس، ثم ذو الكفل، وكل نبي ذكر في القرآن فهو من ولد ابراهيم غير إدريس ونوح وهود ولوط وصالح، ولم يكن نبي من العرب إلا خمسة: هود وصالح واسماعيل وشعيب ومحمد ﷺ. قوله: **(ابنيه)** أي ابراهيم، اسماعيل من هاجر وإسحاق من سارة. قوله: **(أولاده)** أي أولاد يعقوب منهم يوسف نبي ورسول باتفاق وباقيهم فيه اختلاف، والصحيح نبوتهم وليسوا رسلاً مشرعين، ولذلك وقع منهم ما يخالف الشرع الظاهر للمصالح التي ترتبت على تلك المخالفة، وسيأتي ذلك في سورة يوسف.

قوله: **﴿وَيُونُسُ﴾** أي ابن متى، وفيه لغات ست بالواو والهمزة مع تثليث النون، والذي قرىء به في السبع ضم النون أو كسرها مع الواو، وقوله: **﴿وَهَٰرُونَ﴾** أي أخي موسى. قوله: **(اسم للكتاب المؤتى)** أي وهو مائة وخمسون سورة، ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام، بل هو تسبيح وتقديس وتحميد وثناء ومواعظ، وكان داود عليه السلام يخرج إلى البرية فيقوم ويقرأ الزبور، وتقوم علماء بني إسرائيل خلفه، ويقوم الناس خلف العلماء، وتقوم الجن خلف الناس، والشياطين خلف الجن، وتجيء الدواب التي في الجبال فيقمن بين يديه، وترفرف الطيور على رؤوس الناس هم يستمعون لقراءة داود ويتعجبون منها، لأن الله أعطاه صوتاً حسناً، وقد ورد أن أبا موسى الأشعري كان يقرأ القرآن ليلاً بصوت حسن، فلما أصبح قال له رسول الله ﷺ قد أعجبتني قراءتك الليلة، كأنك أعطيت مزماراً من مزامير داود، فقال أبو موسى: لو علمت بك لحبرته لك تحبيراً. قوله: **(وبالضم)** أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: **﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ﴾** الخ، هذا رد لقول اليهود للمصطفى عليه الصلاة والسلام: إنك لم تذكر موسى مع ما عددته من الأنبياء، فهذا دليل على عدم رسالتك، فرد ذلك الله بهذه الآية وبما بعدها. قوله: **(روي أنه تعالى الخ)** هذه الرواية ضعيفة، فلذا تبرأ منها المفسر، والرواية المشهورة أن الأنبياء مائة ألف، وفي رواية مائتا ألف وأربعة وعشرون ألفاً الرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر أو أربعة عشر أو خمسة عشر، وبعد ذلك فالحق أنه لم يبلغنا عددهم على الصحيح، وإنما هي أحاديث مختلفة تقبل الطعن كما أفاده الأشياخ. قوله: **(قاله الشيخ)** أي الجلال المحلي، وقوله: **(في سورة غافر)** أي في قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك﴾.

قوله: **﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى﴾** أي أزال عنه الحجاب فسمع كلام الله، وليس المراد أن الله كان ساكناً ثم تكلم، لأن ذلك مستحيل على الله تعالى. قوله: **﴿تَكْلِيماً﴾** مصدر مؤكد لقوله كلم، وإنما أكد رفعاً لاحتمال المجاز، لأن الله كلم موسى بكلامه الأزلي القديم، من غير حرف ولا صوت ولا كيف ولا انحصار، ولا يعلم الله إلا الله. قوله: **﴿لِئَلَّا يَكُونَ﴾** هذه اللام لام كي متعلقة بمنذرين وأضمر في الأول

﴿ مُّبَشِّرِينَ ﴾ بالثواب من آمن ﴿ وَمُنذِرِينَ ﴾ بالعقاب من كفر أرسلناهم ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ ﴾ تقال ﴿ بَعْدَ ﴾ إرسال ﴿ الرُّسُلِ ﴾ إليهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين فبعثناهم لقطع عذرهم ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا ﴾ في ملكه ﴿ حَكِيمًا ﴾ ﴿١٦٥﴾ في صنعه. ونزل لما سئل اليهود عن نبوته ﷺ فأنكروه ﴿ لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ ﴾ يبين نبوتك ﴿ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ ﴾ من القرآن المعجز ﴿ أَنزَلَهُ ﴾ ملتبساً ﴿ بِعِلْمِهِ ﴾ أي عالماً به أو وفيه علمه ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ

وحذف، وهذا هو الأولى، ويحتمل أنه متعلق بمحذوف تقديره (**أرسلناهم**) وعلى ذلك درج المفسر، إلا أن يقال إنه حل معنى لا حل إعراب. قوله: ﴿**حُجَّةٌ**﴾ أي معذرة يعتذرون بها، وسماها الله حجة تفضلاً منه وكرماً، فأهل الفترة ناجون ولو بدلوا وغيروا، قال تعالى: ﴿وما كنّا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ وقال تعالى: ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً﴾ الآية، وما ورد من تعذيب بعض أفراد من أهل الفترة، فأحاديث آحاد لا تقاوم القطعيات، كما أفاده أشياخنا المحققون.

قوله: ﴿**بَعْدَ الرُّسُلِ**﴾ أي وإنزال الكتب، والمعنى لو لم يرسل الله رسولاً لكان للناس عذر في ترك التوحيد فقطع الله عذرهم بإرسال الرسل، والظرف متعلق بالنفي، أي انتفت حجتهم واعتذارهم بعد إرسال الرسل، وأما قبل الإرسال فكانوا يعتذرون، فإن قلت: كيف يكون للناس حجة قبل الرسل، مع قيام الأدلة التي تدل على معرفة الله ووحدانيته كما قيل:

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَة　　تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِد

أجيب: بأن الله لا يكلفنا بذلك بمجرد العقل، بل لا بد من ضميمة الرسل التي تنبه على الأدلة، وشاهده هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ فلذلك قال أهل السنة: إن معرفة الله لا تثبت إلا بالشرع، خلافاً للمعتزلة. قوله: (**لولا أرسلت**) لولا للتحضيض وهو الطلب بحث وإزعاج، ولكن المراد بها هنا العرض وهو الطلب بلين ورفق. قوله: ﴿**عَزِيزاً**﴾ أي غالباً قاهراً لغيره منفرداً بالإيجاد والإعدام، وقوله: ﴿**حَكِيماً**﴾ أي يضع الشيء في محله. قوله: (**ونزل لما سئل اليهود**) أي حين قال النبي ﷺ لليهود: «أنتم تشهدون بأني مذكور في كتبكم»، فقالوا: لا نشهد بذلك، وما نعلم من بشر أوحي إليه بعد موسى، وقيل إن السائل مشركو العرب حيث قالوا للنبي: إنّا نسأل اليهود عنك وعن صفتك في كتابهم، فزعموا أنهم لا يعرفونك فنزلت، والمعنى أن أنكروك وكفروا ما أنزل إليك، فقد كذبوا فيما قالوا، لأن الله يشهد لك بالنبوة والرسالة، ويشهد بما أنزل إليك.

قوله: ﴿**لٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ**﴾ استدراك على ما ذكر في سبب النزول. قوله: (**من القرآن المعجز**) أي لكل مخلوق، ولم ينزل كتاب معجز يتحدى به على نبي من الأنبياء غير نبينا. قوله: ﴿**أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ**﴾ أشار المفسر إلى أن الباء للملابسة أو بمعنى في، والمعنى على الأول أنزله ملتبساً بعلمه، أي وهو عالم به، لأن التأليف يحسن على قدر علم مؤلفه، فحيث كان هذا القرآن ناشئاً عن علم الله التام المتعلق بكل شيء، كان في أعلى طبقات البلاغة، فلا يمكن أحداً غيره الإتيان بشيء منه، والمعنى على الثاني أنزله، والحال أن فيه علمه أي معلوماته الغيبية، بمعنى أنه مشتمل على المغيبات، وعلى مصالح الخلق وما يحتاجون إليه، فحيث اشتمل على ذلك فهو شاهد صدق على

﴿يَشْهَدُونَ﴾ لك أيضاً ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ ﴿١٦٦﴾ على ذلك ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله ﴿وَصَدُّوا﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دين الإسلام بكتمهم نعت محمد ﷺ وهم اليهود ﴿قَدْ ضَلُّوا ضَلَٰلًا بَعِيدًا﴾ ﴿١٦٧﴾ عن الحق ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله ﴿وَظَلَمُوا﴾ نبيه بكتمان نعته ﴿لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ ﴿١٦٨﴾ من الطرق ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ أي الطريق المودي إليها ﴿خَٰلِدِينَ﴾ مقدرين الخلود ﴿فِيهَآ﴾ إذا دخلوها ﴿أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ ﴿١٦٩﴾ هيناً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ ﴿بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا﴾ به واقصدوا ﴿خَيْرًا لَّكُمْ﴾ مما أنتم فيه ﴿وَإِن تَكْفُرُوا﴾ به ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً فلا يضره كفركم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ ﴿١٧٠﴾ في صنعه بهم ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الإنجيل ﴿لَا تَغْلُوا﴾ تتجاوزوا الحد ﴿فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا﴾ القول ﴿ٱلْحَقَّ﴾ من تنزيهه عن الشريك والولد ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ﴾

أنه من عند الله، وإنما خص القرآن بالذكر لأن إنكارهم وتعرضهم كان له، ولأنه أكبر معجزاته.

قوله: ﴿**وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً**﴾ لفظ الجلالة فاعل كفى، والباء زائدة، وشهيداً حال، وقوله: **(على ذلك)** أي على صحة نبوتك، والمعنى أن شهادة الله تغنيك وتكفيك. قوله: ﴿**وَصَدُّوا عن سبيل الله**﴾ أي منعوا الناس من طريق الهدى. قوله: ﴿**ضَلالاً بَعِيداً**﴾ أي لأنهم ضلوا في أنفسهم وأضلوا غيرهم، ومن كان هذا وصفه يبعد عنه الهدى. قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا**﴾ أي وهم اليهود. قوله: ﴿**لَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ**﴾ أي مريداً ليغفر لهم حيث ماتوا على الكفر. قوله: ﴿**إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ**﴾ استثناء متصل لأنه مستثنى من عموم الطرق، والمراد بجهنم الدار المسماة الحطمة، والمعنى أنهم لا يهتدون إلى طريق الرشاد أبداً، بل دائماً أعمالهم تجرهم إلى طريق جهنم. قوله: ﴿**وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً**﴾ رد بذلك عليهم حيث زعموا وقالوا: ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ ولا يهون عليه أن يعذب أحباؤه. قوله: **(أي أهل مكة)** جري على القاعدة، وهو أن المخاطب بيا أيها الناس أهل مكة، ولكن المراد العموم.

قوله: ﴿**بِالْحَقِّ**﴾ متعلق بجاء، وقوله: ﴿**مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ متعلق بمحذوف حال من الحق، أي جاءكم بالحق حال كونه من ربكم. قوله: **(واقصدوا)** ﴿**خَيْراً**﴾ أشار بذلك إلى أن قوله خيراً مفعول لمحذوف، ويصح أن يكون خبراً لكان المحذوفة، والتقدير آمنوا يكن الإيمان خيراً وهو الأقرب. وقوله: **(مما أنتم فيه)** أي وهو الكفر على حسب زعمكم أن فيه خيراً، وإلا فالكفر لا خير فيه. قوله: **(لا يضره كفركم)** قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف، وقوله: ﴿**فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمواتِ وَالأَرْضِ**﴾ دليل الجواب. قوله: ﴿**حَكِيماً**﴾ **(في صنعه)** أي لا يصنع شيئاً إلا محكماً متقناً. قوله: **(الإنجيل)** أي فالخطاب للنصارى فقط، ويحتمل أنه خطاب لليهود والنصارى، لأن غلو اليهود بتنقيص عيسى حيث قالوا إنه ابن زانية، وغلو النصارى بالمبالغة في تعظيمه حيث جعلوه ابن الله. قوله: ﴿**إِلَّا**﴾ **(القول)** ﴿**الْحَقَّ**﴾ أشار بذلك إلى أنه صفة لمصدر محذوف.

أوصلها الله ﴿إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ﴾ أي ذو روح ﴿مِّنْهُ﴾ أضيف إليه تعالى تشريفاً له وليس كما زعمتم أنه ابن الله أو إلهاً معه أو ثالث ثلاثة لأن ذا الروح مركب والإله منزه عن التركيب وعن نسبة المركب إليه ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ﴾ الآلهة ﴿ثَلَٰثَةٌۚ﴾ الله وعيسى وأمه ﴿ٱنتَهُواْ﴾ عن ذلك وائتوا ﴿خَيْرًا لَّكُمْۚ﴾ منه وهو التوحيد ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾ تنزيهاً له عن ﴿أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ﴾ خلقاً وملكاً وعبيداً والملكية تنافي النبوة ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ ﴿١٧١﴾ شهيداً على ذلك ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ﴾ يتكبر ويأنف ﴿ٱلْمَسِيحُ﴾ الذي زعمتم أنه إله عن ﴿أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَۚ﴾ عند الله لا يستنكفون أن يكونوا عبيداً وهذا من أحسن الاستطراد ذكر للرد على من زعم أنها آلهة أو بنات الله كما رد بما قبله على النصارى الزاعمين ذلك

قوله: ﴿إِنَّمَا المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ المسيح مبتدأ، وعيسى بدل أو عطف بيان عليه، وابن مريم صفته، ورسول الله خبره. قوله: ﴿وَكَلِمَتُهُ﴾ أي أنه نشأ بكلمة كن، من غير واسطة أب ولا نطفة، وقوله: ﴿أَلْقَاهَا﴾ أي بنفخ جبريل في جيب درعها، فحصل النفخ إلى فرجها فحملت به. قوله: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ سمي بذلك لأنه حصل من الريح الحاصل من نفخ جبريل، روي أن الله تعالى لما خلق أرواح البشر جعلها في صلب آدم عليه السلام، وأمسك عنده روح عيسى، فلما أراد الله أن يخلقه، أرسل بروحه مع جبريل إلى مريم، فنفخ في جيب درعها فحملت بعيسى. قوله: ﴿مِنْهُ﴾ أي نشأت وخلقت، فمن ابتدائية لا تبغيضية كما زعمت النصارى. حكي أن طبيباً حاذقاً نصرانياً جاء للرشيد، فناظر علي بن الحسين الواقدي ذات يوم، فقال له: إن في كتابكم ما يدل على أن عيسى جزء من الله وتلا هذه الآية، فقرأ الواقدي له: ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه﴾ فقال: إذن يلزم أن تكون جميع الأشياء جزءاً منه سبحانه، فبهت النصراني وأسلم، وفرح الرشيد فرحاً شديداً، وأعطى الواقدي صلة فاخرة. قوله: (أنه ابن الله الخ) أشار بذلك إلى أنهم فرق ثلاثة: فرقة تقول إنه ابن الله، وفرقة تقول إنهما إلهان الله وعيسى، وفرقة تقول الآلهة ثلاثة: الله وعيسى وأمه. قوله: (لأن ذا الروح مركب) أشار بذلك إلى قياس من الشكل الأول، وتقريره أن تقول عيسى ذو روح، وكل ذي روح مركب، وكل مركب لا يكون إلهاً ينتج عيسى لا يكون إلهاً. قوله: (الآلهة) ﴿ثَلَاثَةٌ﴾ أشار بذلك إلى أن ثلاثة خبر لمحذوف، والجملة مقول القول. قوله: (وائتوا) ﴿خَيْراً﴾ أي اقصدوه، ويصح أن يكون خبراً لكان المحذوفة، أي يكن الانتهاء خيراً قوله: (منه) أي مما ادعيتموه، وقوله: (وهو التوحيد) بيان للخير.

قوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ أي فإذا كان يملك جميع ما فيهما ومن جملة ذلك، عيسى، فكيف يتوهم كون عيسى ابن الله، فهذه الجملة تعليل لقوله سبحانه. قوله: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ﴾ سبب نزولها أن وفد نجران قالوا يا محمد إنك تعيب صاحبنا فتقول إنه عبد الله، فقال رسول الله: إنه ليس بعار على عيسى أن يكون عبد الله، فنزلت. قوله: (عن) ﴿أَنْ يَكُونَ﴾ أشار بذلك إلى أنه حذف الجار من أن، والمعنى لن يستنكف المسيح عن كونه عبد الله. قوله: (وهذا من أحسن الاستطراد) أي قوله: ﴿وَلَا المَلَائِكَةُ المُقَرَّبُونَ﴾ لأن الاستطراد ذكر الشيء في غير محله لمناسبة، والمناسبة هنا الرد على النصارى في عيسى، فناسب أن يرد على المشركين في قولهم الملائكة بنات الله.

المقصود خطابهم ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ ﴿١٧٢﴾ في الآخرة ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ ثواب أعمالهم ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن عبادته ﴿فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً هو عذاب النار ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿وَلِيًّا﴾ يدفعه عنهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ﴿١٧٣﴾ يمنعهم منه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ﴾ حجة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ عليكم وهو النبي ﷺ ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ ﴿١٧٤﴾ بيناً وهو القرآن ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا﴾ طريقاً ﴿مُّسْتَقِيمًا﴾ ﴿١٧٥﴾ هو دين الإسلام ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ في الكلالة ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ إِنِ

قوله: ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ﴾ من اسم شرط، ويستنكف فعل الشرط، ويستكبر معطوف عليه، وقوله: ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً﴾ جوابه، ولكن لما كان فيه إجمال فصله بما بعده، وجميعاً حال من الهاء في يحشرهم، والمعنى أنه يحشر المستنكفين وغيرهم. قوله: ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي فوق مضاعفة أعمالهم. قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ العبرة بعموم اللفظ، وإن كان السياق لأهل مكة. قوله: ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لبرهان، أو ظرف لغو متعلق بجاء. قوله: (عليكم) أي إن خالفتم ولكم إن أطعتم. قوله: (وهو القرآن) أي فالعطف مغاير، ويصح أن يراد بالبرهان النبي وما جاء به، ويراد بالنور المبين القرآن، ويكون عطف خاص على عام، والنكتة الاعتناء بشأن القرآن، وما مشى عليه المفسر أسهل لعدم الكلفة.

قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الخ، أي فمنهم من آمن ومنهم من كفر، فأما الذين آمنوا الخ، وترك الشق الثاني لأنهم مهملون ولا يعتني بهم، وأيضاً قد تقدم ذكرهم فتركهم اتكالاً على ما تقدم، وأعاد ذكر المؤمنين ثانياً تعجيلاً للمسرة والفرح، وتعظيماً لشأنهم. قوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِهِ﴾ أي تمسكوا به. قوله: ﴿فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ﴾ أي وهي الجنة، من باب تسمية المحل باسم الحال فيه، وقوله: ﴿وَفَضْلٍ﴾ أي إحسان وإكرام وزيادة إنعام، وهو رؤية وجه الله الكريم ودوام رضاه. قوله: ﴿وَيَهْدِيهِمْ﴾ عطف سبب على مسبب، لأن سبب الجنة هو الهدى في الدنيا.

قوله: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ ختم هذه السورة بهذه الآية لاشتمالها على الميراث، كما ابتدأها بذلك للمشاكلة بين المبدأ والختام، وجملة ما ذكر في هذه السورة من المواريث ثلاثة مواضع، الأول: في ميراث الأصول والفروع وهو قوله: ﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾ إلى آخر الربع. الثاني: ميراث الزوجين والإخوة والأخوات للأم وهو قوله: ﴿ولكم نصف ما ترك﴾ إلى قوله: ﴿غير مضار﴾. الثالث: ميراث الإخوة والأخوات الأشقاء أو لأب وهو هذه الآية، وأما أولو الأرحام فسيأتي ذكرهم في آخر الأنفال. وسبب نزول هذه الآية أن جابر بن عبد الله تمرض، فذهب رسول الله ﷺ وأبو بكر ليعوداه ماشيين، فلما دخلا عليه وجداه مغمى عليه، فتوضأ رسول الله ثم صب عليه من وضوئه فأفاق، فقال: يا رسول الله كيف أصنع في مالي: فلم يرد عليه حتى نزلت الآية، وكان له تسع أخوات وقيل سبع. قوله: ﴿فِي الكَلَالَةِ﴾ تنازعه

﴿امرؤٌ﴾ مرفوع بفعل يفسره ﴿هَلَكَ﴾ مات ﴿لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ أي ولا والد وهو الكلالة ﴿وَلَهُۥٓ أُخْتٌ﴾ من أبوين أو أب ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ﴾ أي الأخ كذلك ﴿يَرِثُهَآ﴾ جميع ماتركت ﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ﴾ فإن كان لها ولد ذكر فلا شيء له أو أنثى فله ما فضل عن نصيبها ولو كانت الأخت أو الأخ من أم ففرضه السدس كما تقدم أول السورة ﴿فَإِن كَانَتَا﴾ أي الأختان ﴿ٱثْنَتَيْنِ﴾ أي فصاعداً لأنها نزلت في جابر وقد مات عن أخوات ﴿فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ الأخ ﴿وَإِن كَانُوٓا۟﴾ أي الورثة ﴿إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ﴾ منهم ﴿مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ شرائع دينكم ﴿أَن﴾ لا ﴿تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ ﴿١٧٦﴾ ومنه الميراث روى الشيخان عن البراء أنها آخر آية

كل من يستفتونك ويفتيكم فأعمل الثاني وأضمر في الأول وحذف، وهكذا كل ما جاء في القرآن من التنازع كقوله تعالى: ﴿أتوني أفرغ عليه قطراً﴾ ﴿هاؤم اقرؤوا كتابيه﴾ وبهذا أخذ البصريـون، وتقدم أن الكلالة هي أن يموت الميت وليس له فرع ولا أصل، وهو أصح الأقوال فيها.

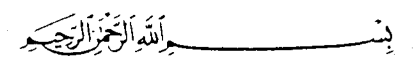
قوله: **﴿إنَّ امْرُؤٌ﴾** هذه الجملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر تقديره وما تفسير الكلالة وما الحكم فيها، فالوقف على الكلالة. قوله: **(مرفوع بفعل يفسره) ﴿هَلَكَ﴾** أي فهو من باب الاشتغال، وإنما لم يجعل امرؤ مبتدأ أو جملة هلك خبره، لأن إن الشرطية لا يليها إلا الفعل ولو تقديراً. قوله: **﴿لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾** الجملة في محل رفع صفة لامرؤ، ولا يصح أن تكون حالاً منه لأنه نكرة، ولم يوجد له مسوغ لأن هلك ليس صفة له، وإنما هو مفسر للفعل المحذوف فتأمل. قوله: **(أي ولا والد)** أخذ هذا من توريث الأخت لأنها لا ترث مع وجوده. قوله: **(من أبوين)** أي وهي الشقيقة. قوله: **﴿وَهُوَ﴾** الضمير عائد على لفظ امرؤ لا على معناه، على حد: عندي درهم ونصفه، والمعنى أن ذلك على سبيل الفرض والتقدير، أي أن فرض موته دونها فلها النصف، وإن فرض موتها دونه فله المال كله، إن لم يكن لها فرع وارث. قوله: **(أو أنثى)** أي واحدة أو متعددة، وقوله: **(فله ما فضل عن نصيبها)** أي وهو النصف في الأولى والثلث في الثانية. قوله: **(كما تقدم أول السورة)** أي في قوله: ﴿وإن كان رجل يورث كلالة﴾ الآية. قوله: **(وقد مات عن أخوات)** جملة مستأنفة مقيدة لما قبلها لا أنها حالية، لأن جابراً عاش بعده ﷺ، بل قيل إنه آخر الصحابة موتاً بالمدينة، وقوله: **(عن أخوات)** قيل تسع وقيل سبع.

قوله: **﴿وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً﴾** أي وأخوات ففيه تغليب الذكور على الإناث. قوله: **(شرائع دينكم)** قدره إشارة إلى أن مفعول **﴿يُبَيِّنُ﴾** محذوف. قوله: **﴿أَنْ﴾ (لا) ﴿تَضِلُّوا﴾** إشارة بذلك إلى أنه مفعول لأجله ولا مقدرة، والمعنى يبين لكم الشرائع لأجل عدم ضلالكم، نظير قوله تعالى: ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾ أي لئلا تزولا، ويصح أن يكون المحذوف مضافاً، والتقدير كراهة أن تضلوا. قوله: **﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾** كالعلة لما قبله، وقد ختم هذه السورة ببيان كمال العلم وسعته، كما ابتدأها بسعة قدرته وكمال تنزهه، وذلك يدل على اختصاصه بالربوبية والألوهية. قوله: **(أي من الفرائض)** دفع بذلك ما يقال إن آخر آية نزلت على الإطلاق (واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله) فإنها نزلت

نزلت أي من الفرائض.

قبل موت رسول الله بأحد وعشرين يوماً، ونزل قبلها آية الربا، وقبلها ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ وقبلها آية الكلالة فهي من الأواخر، إذا علمت ذلك فقول المفسر: **(أي من الفرائض)** غير متعين، بل يصح أن يكون آخراً نسبياً.

* * *





مدنيّة

وآياتها عشرون ومائة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ العهود المؤكدة التي بينكم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة المائدة مدنية
مائة وعشرون أو وثنتان أو وثلاث آية

وجه المناسبة بينها وبين ما قبلها أنه حيث وعدنا الله بالبيان كراهة وقوع الضلال منا، تمّم ذلك الوعد بذكر هذه السورة، فإن فيها أحكاماً لم تكن في غيرها، قال البغوي عن ميسرة قال: إن الله تعالى أنـزل في هذه السـورة ثمانية عشر حكماً، لم تنزل في غيرها من سورة القرآن، وهي: ﴿المنخنقة والموقـوذة والمتردية وما أكل السبع إلا مـا ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بـالأزلام﴾، ﴿وما علمتم من الجـوارح مكلبين﴾، ﴿وطعـام الذين أوتوا الكتاب حل لكم﴾، ﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب﴾، وتمام بيان الطهـر في قولـه: ﴿إذا قمتم إلى الصلاة﴾، ﴿والسارق والسارقة﴾، ﴿ولا تقتلوا الصيد وأنتم حرم﴾، ﴿مـا جعل الله من بحـيرة ولا سائبـة ولا وصيلة ولا حام﴾، وقوله: ﴿شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت﴾.

قوله: **(مدنية)** أي نزلت بعد الهجرة، وإن كان بعضها نزل بمكة، كقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله﴾ فإنها نزلت عام الفتح، وقوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ فإنها نزلت بعرفة في حجة الوداع، والنبي ﷺ واقف بعرفة فقرأها النبي في خطبته وقال: «يا أيها الناس إن سورة المائدة من آخر القرآن نزولاً، فأحلوا حلالها، وحرموا حرامها»، وإنما خصها بذلك، وإن كان كل سورة يجب تحليل حلالها، وتحريم حرامها اعتناء بشأنها.

قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ العبرة بعموم اللفظ، وإن كان الخطاب لأهل المدينة. قوله: ﴿**أَوْفُوا بِالْعُقُودِ**﴾ أي ما عقده الله وعهده عليكم من التكاليف والأحكام الدينية، ومن هنا قالوا أمـور الدين أربعة: الصحة في العقد، والصدق في القصد، والوفاء بالعهد، واجتناب الحد. قوله: **(العهود)** أشار بذلك إلى أن المراد بالعقد، العقد المعنوي، وهو العهد المشبه بعقد الحبل، وقوله: **(المؤكدة)** أخذ ذلك

وبين الله والناس ﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ الإبل والبقر والغنم أكلاً بعد الذبح ﴿إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ تحريمه في حرمت عليكم الميتة الآية فالاستثناء منقطع ويجوز أن يكون متصلاً والتحريم لما عرض من الموت ونحوه ﴿غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ﴾ أي محرمون ونصب غير على الحال من ضمير لكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١﴾ من التحليل وغيره لا اعتراض عليه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

من قوله العقود، لأن معنى العقد هو العهد المؤكد. قوله: **(التي بينكم وبين الله)** أي كالمأمورات والمنهيات، فالوفاء بالمأمورات فعلها، والوفاء بالمنهيات تركها، ودخل في قوله: **(وبين الله)** العهد الواقع بين العبد وبين رسول الله ﷺ، فيجب على الإنسان الوفاء به، بأن يؤمن به، ويصدق بما جاء به، ويعظمه ويحترمه، ولا يخالف ما أمره به أصلاً. قوله: **(وبين الناس)** أي كالمعاملات: من بيع وشراء ونكاح وطلاق وتمليك وتخيير وعتق ودين ووديعة وصلح، ومن ذلك أيضاً: احترام المؤمنين وتعظيمهم وعدم غيبتهم وإيذائهم والنميمة والكذب عليهم، ومن ذلك أيضاً: وفاء المريدين بعهود المشايخ على مصطلح الصوفية.

قوله: **﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأنْعَامِ﴾** كلام مستأنف مسوق لبيان امتنان الله علينا، حيث أحل لنا أشياء لم تكن لليهود، وبنى الفعل للمجهول للعلم بفاعله وهو الله، وإضافة بهيمة للأنعام على معنى من كثوب خز، لأن البهيمة كما في القاموس كل ذات أربع قوائم، ولو من حيوان الماء أو كل حي لا يميز. قوله: **(بعد الذبح)** مراده ما يشمل النحر، ولو قال بعد التزكية لكان أشمل.

قوله: **﴿إلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾** أي وهو عشرة أشياء، أولها الميتة، وآخرها وما ذبح على النصب فقوله: **(الآية)** أي إلى قوله وما ذبح على النصب. قوله: **(فالاستثناء منقطع)** أي لأن ما قبل إلا فيما أحل، وما بعدها فيما حرم، وقوله: **(والتحريم لما عرض)** أي فهو كان حلالاً بحسب الأصل، فهو استثناء حلال من حلال، هكذا يؤخذ من عبارة المفسر، وفيه أنه يلزم عليه أن كل استثناء منقطع لأن ما بعد إلا دائماً مخالف لما قبلها، منقطعاً أو متصلاً، مع أنهم قالوا إن الاستثناء المتصل أن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه، والمنقطع أن يكون من غير جنسه، والمخالفة في الحكم لا بد منها على كل، فالأحسن أن يقال إن الانقطاع من حيث إن المستثنى لفظ وهو قوله: **﴿مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾** المستثنى منه ذات وهو بهيمة الأنعام، ولا شك أنه من غير جنسه، ويمكن أن يكون متصلاً بتقدير مضاف، والتقدير إلا محرم ما يتلى.

قوله: **﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾** أي غير محلين للصيد بمعنى معتقدين حله، وقوله: **(أي محرمون)** أي أو في الحرم، فيحرم صيد الأنعام الوحشية، بل الصيد مطلقاً أنعاماً أو غيرها، وهو تقييد لقوله: **﴿أَحَلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأنعامِ﴾** كأن الله قال أحل الله لكم بهيمة الأنعام كلها، والوحشية أيضاً، من الظباء والبقر والحمر، إلا صيد الوحشي منها أو من غيرها وأنتم محرمون، فلا يجوز فعله ولا اعتقاد حله. قوله: **(ونصب غير على الحال من ضمير لكم)** أي وقوله: **﴿وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾** حال من الضمير في **﴿مُحِلِّي﴾**.

قوله: **﴿إنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾** كالعلة لما قبله، أي فالأحكام صادرة من الله على حسب إرادته، فلا اعتراض عليه، ولا معقب لحكمه، وهذا مما يرد على المعتزلة القائلين بوجوب الصلاح والأصلح.

لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾ جمع شعيرة أي معالم دينه بالصيد في الإحرام ﴿ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ ﴾ بالقتال فيه ﴿ وَلَا ٱلْهَدْىَ ﴾ ما أهدى إلى الحرم من النعم بالتعرض له ﴿وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ ﴾ جمع قلادة وهي ما كان يقلد به شجر الحرم ليأمن أي فلا تتعرضوا لها ولا لأصحابها ﴿ وَلَآ ﴾ تحلوا ﴿ ءَآمِّينَ ﴾ قاصدين ﴿ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ ﴾ بأن تقاتلوهم ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا ﴾ رزقاً ﴿ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ بالتجارة ﴿ وَرِضْوَٰنًا ﴾ منه بقصده بزعمهم الفاسد وهذا منسوخ بآية براءة ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ ﴾ من الإحرام ﴿ فَٱصْطَادُوا۟ ﴾ أمر

قوله: **(أي معالم دينه)** أي العلامات الدالة على دينه من مأمورات ومنهيات، والمعنى لا تتهاونوا بمعالم دينه، وقوله: **(بالصيد في الإحرام)** خصه لقرينة ما قبله وما بعده، وإلا فاللفظ عام كقوله: (أوفوا بالعقود) فأولاً أمرنا بالوفاء بها، وثانياً نهانا عن التفريط والتهاون بالشعائر، وهي كناية عن معالم الدين والإحلال، تارة يكون بالفعل أو الاعتقاد.

قوله: ﴿**وَلَا الشَّهْرَ الحَرَامَ**﴾ هو وما بعده من عطف الخاص على العام، اعتناء بشأن تلك الأمور. قوله: **(بالقتال فيه)** سيأتي للمفسر أنه منسوخ بآية براءة، وإن حمل على غير القتال كالظلم مثلاً فليس بمنسوخ، قال تعالى: ﴿فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾. قوله: **(ما أهدى إلى الحرام)** إن حمل على هدايا الكفار فهو منسوخ بقوله تعالى: ﴿فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾ وبقوله: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ وسبب ذلك أن رجلاً من ربيعة يقال له الحطم سريح بن هند أتى المدينة وترك خيله وجيوشه، وجاء رسول الله بنفسه، وقد كان أخبرهم النبي به فقال: الوجه وجه كافر والقفا قفا غادر، فلما وصل النبي ﷺ قال له: يا محمد ما تأمرنا به؟ فقال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة». فقال حسن إلا أن لي أمراء لا أقطع أمراً دونهم، ولعلي أسلم وآتي بهم، فلما خرج استاق جملة من غنم أهل المدينة وإبلهم، فلما كان في العام القابل، جاء ومعه تلك الإبل والغنم قد ساقها وهو مع بني بكر، وهم أصحاب حلف للنبي عليه الصلاة والسلام، فأحب أصحاب رسول الله أن يأخذوها منه، فنزلت الآية. قوله: **(أي فلا تتعرضوا لها)** أي للقلائد، وهي ما قلد به من شجر الحرم، وقوله: **(ولا لأصحابها)** أي الهدايا المقلدات، والنهي عن التعرض للقلائد مبالغة عن التعرض للهدايا على حد، ولا يبدين زينتهن، لأنه إذا نهى عن إبداء الزينة، فما بالك بالجسم الموضع فيه الزينة، ويحتمل أن معنى قوله أو لأصحابها أي الرجال المقلدين، لأنهم كانوا في الجاهلية إذا أرادوا الخروج من الحرم، قلدوا أنفسهم بخشبة من شجر الحرم فلا يتعرض لهم، فتحصل أن المعنى لا تتعرضوا للهدي وإن لم يكن مقلداً، ولا للقلادة من المقلد، بل ولا للمقلد من الهدايا أو الرجال. قوله: ﴿آمِّينَ﴾ أي قوماً آمين.

قوله: ﴿**يَبْتَغُونَ فَضْلاً**﴾ حال من الضمير في آمين. قوله: **(وهذا منسوخ)** أي قوله: ولا الشهر الحرام، ولا الهدي، ولا القلائد، ولا آمين البيت الحرام. وقوله: **(بآية براءة)** أي جنسها، إذ الناسخ أكثر من آية، فالمنسوخ ما عدا قوله: ﴿لا تحلوا شعائر الله﴾ فليست منسوخة إن حملت على معالم دينه كما تقدم، وأما إن حملت على شعائر الكفار وإحرامهم، بمعنى لا تبطلوه ولا تهدموه كان أيضاً منسوخاً، وليس

إباحة ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ يكسبنكم ﴿شَنَآنُ﴾ بفتح النون وسكونها بغض ﴿قَوْمٍ﴾ لأجل ﴿أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾ عليهم بالقتل وغيره ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ﴾ فعل ما أمرتم به ﴿وَالتَّقْوَىٰ﴾ بترك ما نهيتم عنه ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا﴾ فيه حذف إحدى التاءين في الأصل ﴿عَلَى الْإِثْمِ﴾ المعاصي ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ التعدي في حدود الله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ خافوا عقابه بأن تطيعوه ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٢﴾ لمن خالفه ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ أي أكلها ﴿وَالدَّمُ﴾ أي المسفوح كما في الأنعام ﴿وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ بأن ذبح على اسم غيره ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ الميتة خنقاً ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾

في المائدة منسوخ غير هذه الآية. قوله: (**أمر إباحة**) دفع بذلك ما يقال إن الأمر يقتضي الوجوب على المحرم إذا حل من إحرامه أن يصطاد.

قوله: ﴿**وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ**﴾ هذه الآية نزلت عام الفتح حين تمكن النبي ﷺ وأصحابه من مكة وأهلها، فنهاهم الله تعالى عن التعرض للكفار بالقتال والإيذاء، والمعنى لا تعاملوهم مثل ما كانوا يعاملونكم به، ولذا ورد أن رسول الله لما دخل مكة قال: «اذهبوا أنتم الطلقاء. أنا قائل لكم كما قال أخي يوسف لإخوته: ﴿لا تثريب عليكم اليوم﴾». وبسبب ذلك صاروا مؤمنين، ولذا قال البوصيري:

وَلَوْ أَنَّ انْتِقَامَهُ لِهَوَى النَّفْـ ... ـسِ لَدَامَتْ قَطِيعَةٌ وَجَفَاءُ

وقرأ الجمهور بفتح الياء من جرم الثلاثي واختلفوا في معناه، فقيل معناه لا يكسبنكم، وقيل معناه لا يحملنكم. قوله: (**بفتح النون وسكونها**) أي فهو مصدر شنىء كعلم فهو سماعي، ومن المادة قول العرب: مشنوء من يشنؤك، أي مبغوض من يبغضك، وقوله تعالى: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ أي باغضك. قوله: (**لأجل**) ﴿**أَنْ صَدُّوكُمْ**﴾ أشار بذلك إلى أنه مفعول لأجله، فهو علة للشنآن، أي لا يحملنكم بغضكم لقوم لأجل صدهم إياكم عن المسجد الحرام. قوله: ﴿**أَنْ تَعْتَدُوا**﴾ أي بأن تعتدوا وعلى أن تعتدوا، فمتى أسلموا فهم إخوانكم فلا تتعرضوا لهم. قوله: (**فعل ما أمرتم به**) قال ابن عباس: البر متابعة السنة. قوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ في الآية وعيد وتهديد عظيم.

قوله: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ**﴾ هذا شروع في بيان ما أجمل أولاً في قوله: ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ وذكر في هذه الجملة العظيمة أحد عشر كلها محرمة، منها عشرة مطعومة وواحد غير مطعوم، وهو قوله وأن تستقسموا بالأزلام. قوله: ﴿**الْمَيْتَةُ**﴾ فيه رد على جاهلية العرب حيث قالوا كما حكى الله عنهم، وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا، وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء، وعلى المشركين حيث أحلّوا أكلها مطلقاً. قوله: (**أي المسفوح**) أي السائل. قوله: (**كما في الأنعام**) أي في قوله تعالى: ﴿إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً﴾ الآية، وأما غير المسفوح كالكبد والطحال والدم الباقي في العروق فهو طاهر، ويجوز أكله.

قوله: ﴿**وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ**﴾ أي ولو ذكي وهو نجس كله، ما عدا الشعر إن جز، عند مالك، فهو طاهر ويجوز استعماله. قوله: ﴿**وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ**﴾ الإهلال رفع الصوت، والأظهر أن اللام بمعنى الباء، والباء بمعنى عند، والمعنى وما رفع الصوت عند ذكاته بغير الله، أي باسم غير الله، كما إذا قال باسم

المقتولة ضرباً ﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾ الساقطة من علو إلى سفل فماتت ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾ المقتولة بنطح أخرى لها ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ منه ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ أي أدركتم فيه الروح من هذه الأشياء فذبحتموه ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى﴾ اسم ﴿ٱلنُّصُبِ﴾ جمع نصاب وهي الأصنام ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ﴾ تطلبوا القسم والحكم ﴿بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾ جمع زلم بفتح الزاي وضمها مع فتح اللام قدح بكسر القاف صغير لا ريش له ولا

اللات أو العزى، قال تعالى: ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق﴾ فإن جمع بين اسم الله واسم غيره غلب اسم الله وتؤكل، لأنه يعلو ولا يعلى عليه، والموضوع أن ذلك وقع من كتابي، وأما من مسلم فهو مرتد لا تؤكل ذبيحته، وهذا مذهب مالك بن أنس، ومراد مالك بأهل الكتاب الذين تؤكل ذبيحتهم، إن لم يذكروا اسم غير الله عليه اليهود والنصارى، ولو غيروا وبدلوا. قوله: **(بأن ذبح على اسم غيره)** المناسب أن يقول بأن صرح عند ذبحها باسم غيره، ليندفع التكرار بين ما هنا وبين ما يأتي في قوله: **﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾**.

قوله: **﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾** كانوا في الجاهلية يخنقون الشاة، حتى إذا ماتت أكلوها، فحرم الله ذلك. قوله: **﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾** كانوا في الجاهلية يضربون الشاة بنحو العصا حتى تموت ويأكلونها. قوله: **﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾** فعيلة بمعنى مفعولة. قوله: **﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾** كانوا في الجاهلية إذا جرح السبع شيئاً وأكل منه أكلوا ما بقي، والسبع اسم لكل ما يفترس من ذي الناب، كالأسد والذئب ونحوهما وقوله: **(أي أدركتم فيه الروح)** أي مع بقاء الحياة المستقرة، بحيث يتحرك بالاختيار أو يبصر بالاختيار، ولو نفذت مقاتله، وهذا مذهب الشافعي، ومذهب مالك لا بد من استقرار الحياة مع عدم إنفاذ المقاتل، فما أدرك بذكاة وهو مستقر الحياة، وكان قبل إنفاذ مقتله أكل، وإلا فلا يؤكل، ولو ثبتت له حياة مستقرة، والمقاتل هي: قطع النخاع، ونثر الدماغ، وفري الودج، وثقب المصران، ونثر الحشوة. وفي شق الودج قولان، والاستثناء راجع للمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة، وما أكل السبع وهو متصل على كلا المذهبين مع مراعاة الشرط المتقدم عند كل.

قوله: **﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾** أي ذكر اسم الصنم على ذلك المذبوح، فإن فعل ذلك مسلم لولي، وقصد التقريب له كما يتقرب لله فهو مرتد لا تؤكل ذبيحته، وأما إن قصد أن الذبح لله وثوابه للولي فلا بأس بذلك، فإن نذر ذبيحته لولي ميت كالسيد البدوي مثلاً، فإن قصد انتفاعه بها كالحي فهو نذر باطل، وأما إن قصد أنها تذبح في محله من غير قصد فقراء ذلك المحل، فلا يسوقها لذلك المحل، بل يذبحها بأي محل شاء، قال مالك: سوق الهدايا لغير مكة ضلال، وأما إن قصد بسوقها فقراء ذلك المحل لزمه سوقها. قوله: **(وهي الأصنام)** سميت الأصنام نصباً، لأنها تنصب وترفع لتعظم وتعبد. قوله: **(تطلبوا القسم)** بالكسر ما قسم لكم من خير أو شر، وبالفتح أي تمييزه، لأن القسم بالفتح تمييز الأنصباء، وبالكسر الحظ والنصيب. قوله: **(مع فتح اللام)** راجع لكل منهما. قوله: **(وكانت سبعة)** أي وكانت أزلامهم سبعة قداح مستوية، مكتوب على واحد منها أمرني ربي، وعلى واحد منها نهاني ربي، وعلى واحد منكم، وعلى واحد من غيركم، وعلى واحد ملصق، وعلى واحد العقل، وواحد غفل، أي ليس عليه شيء، وكانوا في الجاهلية إذا أرادوا أمراً من سفر أو غيره، جاؤوا إلى هبل، وهو أعظم صنم بمكة،

نصل وكانت سبعة عند سادن الكعبة عليها أعلام وكانوا يحكمونها فإن أمرتهم ائتمروا وإن نهتهم انتهوا ﴿ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ﴾ خروج عن الطاعة. ونزل يوم عرفة عام حجة الوداع ﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ ﴾ أن ترتدوا عنه بعد طمعهم في ذلك لما رأوا من قوته ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ أحكامه وفرائضه فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام ﴿ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ

وكان في الكعبة، وأعطوا صاحب القداح مائة درهم، فإن خرج أمرني ربي فعلوا ذلك الأمر، وإن خرج نهاني ربي لم يفعلوا، وإذا كان ذلك لنسب، فإن خرج منكم، ألحقوا بهم، وإن خرج من غيركم لم يلحقوه، وإن خرج ملصق، كان على حاله، وإن اختلفوا في العقل وهو الدية، فمن خرج عليه العقل تحمله، وإن خرج الغفل فعلوا ثانياً حتى يخرج المكتوب، فنهاهم الله عن ذلك. قوله: **(عند سادن الكعبة)** أي خادمها. قوله: **(عليها أعلام)** أي كتابة. قوله: **(وكانوا يحكمونها)** في نسخة يجيبونها أي يجيبون حكمها.

قوله: **﴿ذٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾** أي الاستقسام المذكور خروج عن طاعة الله. إن قلت: إن هذه بعينها هي القرعة الجائزة في الإسلام. أجيب بأن تحريم هذه إنما جاء من إحالتها للصنم وتفويض الأمر له، ولذا وقعت القرعة بحضرة ولي ميت مثلاً، وفوض الأمر له، لكان الحكم الحرمة، كالاستقسام بالأزلام، واسم الإشارة مبتدأ، وفسق خبر، وهو راجع إلى الاستقسام بالأزلام، كما هو مروي عن ابن عباس، وقيل راجع إلى جميع ما تقدم، وكل صحيح. قوله: **(ونزل يوم عرفة)** أي والنبي قائم يخطب بها فأل في اليوم للعهد الحضوري، والمعنى اليوم الحاضر، وهو يوم عرفة، وكان يوم جمعة، وعاش النبي ﷺ بعد نزولها أحداً وثمانين يوماً. قوله: **﴿يَئِسَ﴾** اليأس ضد الرجاء، والمعنى انقطع طمع الكفار في إبطال دينكم لما شاهدوا من دخول الناس فيه أفواجاً، وذلك أن قبل الوداع حجة أبو بكر بالناس، وأرسل النبي ﷺ علياً خلفه ينادي: لا يحج بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ففي حجة الوداع تفرد النبي وأصحابه بالحج، فحينئذ نزلت الآية المشرفة. قوله: **(لما رأوا)** علة لقوله يئس، وقوله: **(بعد طمعهم)** متعلق بيئس أيضاً. قوله: **﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾** أي لا تخافوهم لا ظاهراً ولا باطناً. قوله: **﴿وَاخْشَوْنِ﴾** بحذف الياء وصلاً ووقفاً، بخلاف واخشوني في البقرة فإنها بثبوت الياء وصلاً ووقفاً اتفاقاً، وبخلاف الآتية في﴿يا أيها الرسول لا يحزنك﴾ ففيها الحذف والإثبات، والمعنى لا تخافوا من الكفار وخافون، لأني مالك الدنيا والآخرة عزاً وذلاً، ولا يملك ذلك غيري، فمن شهد ذلك وكمل دينه، فلا يخاف إلا مولاه، ولا يرجو سواه، فإنه المعطي المانع، الضار النافع.

قوله: **﴿الْيَوْمَ﴾** بدل من اليوم قبله. قوله: **(أحكامه وفرائضه)** دفع بذلك ما يقال إنه قد نزل بعدها ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾ فيكون حينئذٍ الكمال نسبياً. فأجاب بأن المراد إكمال الأحكام والفرائض التي أرسل بها رسول الله، وأما آية﴿واتقوا يوماً﴾فهي موعظة ولا حكم فيها. إن قلت إن قوله: **﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾** يقتضي نقصانه قبل ذلك. وأجيب: بأن القرآن نزل جملة في بيت العزة في سماء الدنيا، وصار ينزل بعد ذلك مفرقاً، فحين نزول هذه كأن الله تعالى يقول لا تنتظروا بعد ذلك حكماً، فإني قد أتممت لكم ما قدرته لكم وادخرته عندي، ولذلك حين نزلت بكى عمر، فقال له رسول الله: «ما

نِعۡمَتِي﴾ بإكماله وقيل بدخول مكة آمنين ﴿وَرَضِيتُ﴾ أي اخترت ﴿لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ﴾ مجاعة إلى أكل شيء مما حرم عليه فأكله ﴿غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ﴾ مائل ﴿لِّإِثۡمٖ﴾ معصية ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ له ما أكل ﴿رَّحِيمٞ ۝٣﴾ به في إباحته له بخلاف المائل لإثم أي الملتبس به كقاطع الطريق والباغي مثلاً فلا يحل له الأكل ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ﴾ من الطعام ﴿قُلۡ

يبكيك»؟فقال: إذا تم شيء بدا نقصه. فقال له: صدقت، فكانت هذه الآية نعي رسول الله ﷺ. روي عن عمر بن الخطاب أن رجلاً يهودياً قال له: يا أمير المؤمنين آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، فقال له: أي آية؟ قال: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ الآية، فقال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي أنزلت فيه على رسول الله ﷺ وهو قائم بعرفة يوم الجمعة بعد العصر ا هـ. وقد تضمن جواب عمر أنهم جعلوا صبيحتها عيداً. قوله: (**بإكماله**) أي الدين، والأحسن أن يراد بإتمام النعمة ما هو أعم.

قوله: ﴿**وَرَضِيتُ**﴾ هذه الجملة مستأنفة لبيان الحال، وليست معطوفة على أكملت، لأنه يقتضي أنه لم يرض الإسلام ديناً إلا اليوم، ولم يرضه قبل ذلك، وليس كذلك، لأن الإسلام لم يرض مرضياً لله وللنبي وأصحابه منذ أرسله، ورضي متعد لواحد، الإسلام مفعوله وديناً تمييز. قوله: ﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ**﴾ مفرع على حرمت عليكم الميتة، فقوله اليوم: ﴿وبئس الذين كفروا من دينكم﴾ إلى قوله: ﴿**دِيناً**﴾ معترض بينهما لبيان أن الإسلام حنيفية سمحاء لا صعوبة فيه كالأديان المتقدمة، ومن اسم شرط، واضطر فعل الشرط، وجوابه محذوف تقديره فلا إثم عليه، وقد صرح به في آية البقرة. قوله: (**إلى أكل شيء**) أي بقدر الضرورة وسد الرمق، وبذلك قال الشافعي، وقال مالك: يأكل المضطر من الميتة ويشبع ويتزود، فإن استغنى عنها طرحها وقدم مال الغير على الميتة، عند مالك إن لم يخف الضرر وقدم المختلف فيه على المتفق على حرمته.

قوله: ﴿**غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ**﴾ أي بأن كان اضطراره ناشئاً عن إثمه، فلا يجوز له الأكل، هكذا حمل الآية مالك. وقال الشافعي غير متجانف لإثم، بأن كان عاصياً بسفره كالآبق وقاطع الطريق، فقول المفسر كقاطع الطريق والباغي أي المسافرين. وأما الحاضرون فيباح لهم أكل الميتة، وأما عند مالك فلا فرق بين العاصي بالسفر والطائع به فإنهما كالحاضر، فيأكلان منها إذا اضطرا، حيث لم يكن إصراره على المعصية موقعاً له في الاضطرار.

قوله: ﴿**يَسْأَلُونَكَ**﴾ هذه الآية مرتبة على قوله: ﴿حرمت عليكم الميتة الخ﴾ فلما بين المحرمات سألوا عن الحلال، وصورة السؤال ماذا أحل الله لنا، وروي في سبب نزولها أن جبريل أتى رسول الله ﷺ يستأذن عليه، فأذن له، فلم يدخل، فقال له النبي: قد أذنا لك يا رسول الله، قال: أجل ولكنا لا ندخل بيتاً فيه كلب، فأمر ﷺ أبا رافع بقتل كل كلب في المدينة ففعل، حتى انتهى إلى امرأة عندها كلب ينبح عليها فتركه رحمة لها، ثم جاء رسول الله ﷺ فأمره بقتله فرجع إلى الكلب فقتله، فجاؤوا إلى رسول الله فقالوا له: ما يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها، قال: فسكت رسول الله، فنزل ﴿**يَسْئَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ**﴾ الآية، فعند ذلك أذن رسول الله في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها، ونهى عن إمساك ما لا نفع

﴿أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ المستلذات ﴿وَ﴾ صيد ﴿مَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾ الكواسب من الكلاب والسباع والطير ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ حال من كلبت الكلب بالتشديد أي أرسلته على الصيد ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ حال من ضمير مكلبين أي تؤدبوهن ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ من آداب الصيد ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ وإن قتلنه بأن لم يأكلن منه بخلاف غير المعلمة فلا يحل صيدها وعلامتها أن تسترسل إذا أرسلت وتنزجر إذا زجرت وتمسك الصيد ولا تأكل منه وأقل ما يعرف به ذلك ثلاث مرات فإن أكلت منه فليس مما أمسكن على صاحبها فلا يحل أكله كما في حديث الصحيحين وفيه أن صيد السهم إذا أرسل وذكر اسم الله عليه كصيد المعلم من الجوارح ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ عند

فيه منها، وروى الشيخان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من أمسك كلباً فـإنه ينقص من عمله كل يوم قيراط»، وفي رواية قيراطان، إلا كلب حرث أو ماشية، ويؤخذ من هذا الحديث أن قتل غير النافع من الكلاب مندوب، إن لم يكن عقوراً يخشى منه الضرر ولا يندفع إلا بالقتل، وإلا وجب قتله عند مالك. قوله: **(المستلذات)** أي الشرعية وهي ما لم يثبت تحريمها بكتاب أو سنة، فلا يرد لحم الخنزير مثلاً إذا أتقن طبخه. قوله: **﴿وَ﴾** **(صيد)** **﴿مَا عَلَّمْتُمْ﴾** قدره إشارة إلى أن ما معطوف على الطيبات لكن على حذف مضاف، وصيد بمعنى مصيد، ومن الجوارح بيان لما.

قوله: **﴿مُكَلِّبِينَ﴾** حال أي من التاء في علمتم. قوله: **(من كلبت)** أي مـأخوذ من كلبت. قوله: **(أرسلته على الصيد)** أي فمعنى مكلبين مرسلين بمعنى قاصدين إرساله احترازاً عما لو ذهبت من غير إرسال وأتى بصيد فلا يؤكل، وفسره غيره بالتعليم، فيكون حالاً مؤكدة لعاملها، وما قاله المفسر أوجه، وإن رد بأنه لا مستند له في ذلك، لأن المفسر حجة، وعبر عن الإرسال بالتكليب، إما إشارة إلى أن ذلك غالب في الكلاب، أو أن الكلب يطلق على كل ما يصاد به سبع وطير. قوله: **(حال من ضمير مكلبين)** أي مؤكدة إن فسر مكلبين بمعلمين، ومؤسسة إن فسر بمرسلين، ويصح أن يكون جملة مستأنفة موضحة لما قبلها. قوله: **﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾** من للتبعيض، وقوله: **(من آداب الصيد)** بيان لما.

قوله: **﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾** نتيجة قوله: **﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾** وقوله: **﴿عَلَيْكُمْ﴾** أي لكم قوله: **(بأن لم يأكلن منه)** أي فإن أكلن منه فلا يؤكل وهو داخل في قوله ما أكل السبع، وهذا الشرط اعتبره الشافعي، وعند مالك يؤكل، ولو أكل منه الجارح، فـإن أدرك حياً فـلا بد من ذكـاته الشرعية، فقوله: **(بأن لم يأكلن)** تفسير لقوله: **﴿أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾** لأنه إن أكل منه فليس ممسكاً لصاحبه بل لنفسه، وقد علمت أن هذا التقييد مذهب الشافعي، وسيأتي إيضاحه في آخر عبارة المفسر، قوله: **(وعلامتها الخ)** ذكر أربع علامات وهي معتبرة في الكلب والسبع، وأما في الطير كالصقر فلا يعتبر فيه إلا قيدان، أن لا يأكل منه، وأنه إذا أرسل استرسل. والحاصل أن المدار عند مالك في الصقر أنه إذا أرسل استرسل، وزاد الشافعي فيه أن لا يأكل مما أمسك، وأما في الكلب والسبع ففيه القيود الأربعة التي ذكرها المفسر، ما عدا الأكل عند مالك قوله: **(كما في حديث الصحيحين)** أي ولكن هذا الحديث لم يأخذ به مالك قوله: **(وفيه)** أي في الحديث قوله: **(وذكر اسم الله عليه)** أي وهو سنّة عند الشافعي، وعند مالك واجب مع الذكر والقدرة، وأما النية فلا بد منها لأنها شرط صحة قوله: **(كصيد المعلم من الجوارح)** ألحق

إرساله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝٤ ﴾ ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ المستلذات ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي ذبائح اليهود والنصارى ﴿حِلٌّ﴾ حلال ﴿لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ﴾ إياهم ﴿حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ الحرائر ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ حل لكم أن تنكحوهن ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿مُحْصِنِينَ﴾ متزوجين ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ معلنين بالزنا بهن ﴿وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ منهن تسرون بالزنا بهن ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ﴾ أي يرتد ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ الصالح قبل ذلك فلا يعتد به ولا يثاب عليه ﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝٥﴾ إذا مات عليه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ﴾ أي أردتم القيام ﴿إِلَى الصَّلَاةِ﴾

مالك بالسهم ما صيد ببندق الرصاص، لأن قوته تقوم مقام حد السهم. قوله: ﴿**عَلَيْهِ**﴾ اختلف في مرجع الضمير، فقيل عائد على ما علمتم من الجوارح، وإليه يشير المفسر بقوله عند إرساله، وقيل عائد على ما أمسكن عليكم، أي سموا الله إذا أدركتم ذكاته.

قوله: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ**﴾ أي امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه، حيث بيّن لكم الحلال والحرام قوله: ﴿**سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾ ورد أنه يحاسب الخلق في قدر نصف يوم من أيام الدنيا. قوله: ﴿**الْيَوْمَ**﴾ يحتمل أن المراد باليوم المتقدم في قوله: ﴿اليوم يئس الذين كفروا﴾ وهو يوم عرفة، ويحتمل أن المراد يوم نـزولها، ويحتمل أن المراد به الزمن مطلقاً. قوله: (**أي ذبائح اليهود والنصارى**) أي إن ذبح ما هو حل لهم في شرعنا، ولم يذكر اسم غير الله عليه وتؤكل ذبائحهم، ولو غيروا اليهودية بالنصرانية وعكسه عند مالك، واشترط الشافعي عدم التغيير والتبديل. قوله: ﴿**وَطَعَامُكُمْ**﴾ (**إياهم**) أي بمعنى إطعامكم إياهم، ومعنى (**حل لهم**) أي لا يحرم عليهم بشرعهم، ولا يحرم علينا أن نطعمهم من ذبائحنا.

قوله: ﴿**وَالْمُحْصِنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ**﴾ أي الحرائر منهن، وأما الإماء فتقدم أنهن حل بالشروط. قوله: (**الحرائر**) أي وأما الإماء فلا يحل نكاحهن إلا بالملك، وأما حرائرنا فلا يحل لهم نكاحهن، بل ولا إماؤنا، فتحصل أن طعامنا حل لهم، وطعامهم حل لنا، ونساؤهم حل لنا، ونساؤنا لسن حلالهم. **قوله**: ﴿**إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ**﴾ بيان للأكمل، واحترز عن الدخول على إسقاطه فلا يحل، **والظرف متعلق** بالخبر المحذوف الذي قدره المفسر بقوله حل لكم.

قوله: ﴿**مُحْصِنِينَ**﴾ حال من ﴿**آتَيْتُمُوهُنَّ**﴾ أي حال كونكم محصنين، وقوله: ﴿**غَيْرَ مُسَافِحِينَ**﴾ نعت لمحصنين. قوله: ﴿**أَخْدَانٍ**﴾ جمع خدن وهو الخليل والصاحب الذي يـزني بالمرأة سراً. قـوله: ﴿**بِالإِيمَانِ**﴾ الباء بمعنى عن، والكفر بمعنى الردة، أي يرتد عن الإيمان. قوله: ﴿**حَبِطَ عَمَلُهُ**﴾ (**الصالح**) أي والسيىء إن عاد للإسلام بمعنى بطل كـل منهما، فلو عـاد للإسـلام فلا عقـاب عليـه في السيىء، ولا ثـواب له في الصالح، والمرتد لا يقضي الصلاة ولا الصوم ولا الزكاة، إذا فاته جميع ذلك في زمن الردة أو قبل زمنها ما لم يرتد بقصد إسقاط ذلك، ولا يقضي إلا ما أسلم في وقته لعموم آية ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾ عند مالك، وعند الشافعي يقضي جميع ذلك، وأما الحج فوقته وهو العمر باق فيقضيه. قوله: (**إذا مات عليه**) أي الكفر وهو راجع لقوله: ﴿**وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ لا لما قبله، فإنه يحبط عمله زمن الردة مطلقاً، مات على الكفر أو الإسلام.

وأنتم محدثون ﴿فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ أي معها كما بينته السنة ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ﴾ الباء للإلصاق أي ألصقوا المسح بها من غير إسالة ماء وهو اسم جنس فيكفي أقل ما يصدق عليه وهو مسح بعض شعره وعليه الشافعي ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بالنصب عطفاً على أيديكم

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إنما وجه الخطاب للمؤمنين، وإن كان الكفار مخاطبين بفروع الشريعة أيضاً على الصحيح لعدم صحتها منهم إلا بالإسلام. قوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ﴾ أي اشتغلتم بها قولاً وفعلاً من قيام أو غيره. قوله: **(أي أردتم القيام)** دفع بذلك ما يقال إن مقتضى الآية أن الطهارة لا تجب إلا بعد الشروع في الصلاة، فأجاب بأن المراد أردتم القيام، أي قصدتموه وعزمتم عليه، وشرعت الطهارة قبل الصلاة، لأن المصلي يناجي ربه وهو في حضرته، فيحتاج قبل ذلك للنظافة من الحدثين الأصغر والأكبر، ومن الخبثين الحسي والمعنوي كالذنوب، ليترتب على ذلك قبول طاعته. قوله: **(وأنتم محدثون)** أي حدثاً أصغر، وأخذ المفسر هذا من قوله فيما يأتي ﴿وإن كنتم جنباً﴾ وفيه إشارة للجواب عن إشكال البيضاوي حيث قال ظاهر الآية أن كل قائم إلى الصلاة يجب عليه الوضوء وإن لم يكن محدثاً، وقوله: **(وأنتم محدثون)** أي ممنوعون من الصلاة لعدم وجود الطهارة فيشمل من ولد، ولم يحصل منه ما يوجب الوضوء إلى أن بلغ فيجب عليه الوضوء، لأنه كان ممنوعاً من الصلاة قبل ذلك لعدم وجود الطهارة، ولذا علق الوضوء بالقيام للصلاة. قوله: ﴿وُجُوهَكُمْ﴾ أي ليغسل كل منكم وجهه ولو تعدد وحده، طولاً من منابت شعر الرأس المعتاد لآخر الذقن، وعرضاً ما بين وتدي الأذنين، ويخلل لحيته إن كانت خفيفة وإلا غسل ظاهرها فقط، ويتتبع أسارير جبهته والوترة ولا يلزمه غسل داخل العينين، وأما المضمضة والاستنشاق ومسح الأذنين فسنة. قوله: **(أي معها)** أشار بذلك إلى أن إلى بمعنى مع، وهذا أسهل ما قيل، وقيل إن إلى على بابها من الانتهاء، والغاية داخلة، وقيل خارجة، وقيل إن كان ما بعدها من جنس ما قبلها دخلت وإلا فلا، والأصح أن إلى لا يدخل ما بعدها فيما قبلها عكس حتى، قال سيدي علي الأجهوري:

وَفِي دُخُولِ الْغَايَةِ الأَصَحّ لاَ   تَدْخُل مَع إِلَى وَحَتَّى دَخَلاَ

وأما في الآية فإما أن يقال إنها بمعنى مع، أو الغاية داخلة على خلاف القاعدة لوجود القرينة، فغسل المرافق واجب لذاته، وليس من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. قوله: **(كما بينته السنة)** أي فبينت السنة أن المرافق تغسل مع الأيدي، ويجب تخليل أصابع الأيدي عند مالك لوجوب الدلك عنده. قوله: **(الباء للإلصاق)** وقيل للتبعيض لدخولها على متعدد، وأما في وليطوفوا بالبيت فللإلصاق، لدخولها على غير متعدد، وأورد على ذلك آية التيمم، فإن قيل إنها للإلصاق يقال أي فرق بينهما، ولما كان هذا المعنى معترضاً، عدل عنه المفسر وجعلها للإلصاق في كل، وأحال بيان ذلك للسنّة. قوله: **(أي ألصقوا المسح بها)** لعل في كلام المفسر تسامحاً، لأن المسح معنى من المعاني لا يلصق، لأن الإلصاق لا يكون إلا بين جسمين، إلا أن يقال المراد بالمسح آلته وهو اليد. قوله: **(من غير إسالة ماء)** بيان لحقيقة المسح من حيث هو، لا لما لا يكفي في الوضوء، فإن الغسل يكفي أيضاً. قوله: **(وهو)** أي المسح. قوله: **(وهو مسح بعض شعره)** وقال أبو حنيفة يجب مسح ربع الرأس، وقال مالك وأحمد يجب مسح الجميع، كما يجب مسح الوجه في التيمم. قوله: **(بالنصب)** أي لفظاً وهي قراءة نافع وابن عامر والكسائي وحفص

وبالجر على الجوار ﴿إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ أي معهما كما بينته السنة وهما العظمان الناتئان في كل رجل عند مفصل الساق والقدم والفصل بين الأيدي والأرجل المغسولة بالرأس الممسوح يفيد وجوب الترتيب في طهارة هذه الأعضاء وعليه الشافعي ويؤخذ من السنة وجوب النية فيه كغيره من العبادات ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ﴾ فاغتسلوا ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ مرضاً يضره الماء ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي مسافرين ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ أي أحدث ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ سبق مثله في آية النساء ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾ بعد طلبه ﴿فَتَيَمَّمُواْ﴾ اقصدوا ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ تراباً طاهراً ﴿فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم﴾ مع المرفقين ﴿مِّنْهُ﴾ بضربتين والباء للإلصاق وبينت السنة أن المراد استيعاب العضوين بالمسح ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ ضيق بما فرض عليكم

عن عاصم، وقوله: **(والجر)** أي وهي لباقي السبعة. قوله: **(على الجوار)** أي فهو في المعنى منصوب بفتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المجاورة، واعترض هذا الحمل بأنه لم يرد الجر بالمجاورة إلا في النعت، ومع ذلك هو ضعيف، والأولى أن يقال إنه مجرور لفظاً، ومعنى معطوف على الرؤوس والمسح مسلط عليه، ويحمل على حالة لبس الخف، أو يقال إن المراد بالمسح الغسل الخفيف، وسماه مسحاً رداً على من يتبع الشك ويسرف في الماء وهو بعيد. قوله: **(وهما)** أي الكعبان. قوله: **(عند مفصل)** بفتح الميم وكسر الصاد، وأما بكسر الميم وفتح الصاد فهو اللسان، ويجب على الإنسان في غسل رجليه أن يتتبع العقب بالغسل لما في الحديث: «ويلٌ للأعقاب من النار» وتسن الزيادة على محل الفرض عند الشافعي، وفسر بها الغرة والتحجيل الواردين في الحديث، وكره مالك ذلك، وفسر الغرة والتحجيل بإدامة الطهارة. قوله: **(والفصل)** هو مبتدأ وخبره **(يفيد)** وقصده بذلك تتميم الفرائض السنة عند الشافعي، ومحصل ذلك أن الواو وإن كانت لا تقتضي ترتيباً لكن وجدت قرينة تفيد الترتيب وهو الفصل بين المغسولات بالرأس الممسوح، لكن يقال إن ذلك ظاهر في غير الوجه مع الأيدي، وعند مالك ليس الترتيب فرضاً. وإنما هو سنة إبقاء للواو على ظاهرها ولم يعتبر تلك القرينة. قوله: **(وجوب النية فيه)** أي لأنه عبادة، وكل عبادة تحتاج لنية، فتحصل أن فرائض الوضوء عند الإمام الشافعي ستة: الأربعة القرآنية، والنية، والترتيب. وعند مالك سبعة: الأربعة، والنية، والموالاة بأن لا يفرق بين أجزائه تفريقاً متفاحشاً، والتدليك وهو إمرار باطن الكف على الأعضاء. وعند الحنفية الأربعة القرآنية لا غير.

قوله: **﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً﴾** أي بمغيب الحشفة، أو خروج المني بلذة معتادة في اليقظة، أو مطلقاً في النوم، أو الحيض، أو النفاس، لأن الخطاب عام للذكور والإناث. قوله: **(أي أحدث)** أي فالمجيء من الغائط كناية عن الحدث، وعبر عنه بالغائط، لأن العادة قضاء الحاجة في الغائط، بمعنى المكان المنخفض. قوله: **(سبق مثله)** أي فيقال هنا جامعتم أو جسستم باليد. قوله: **(مع المرفقين)** أي فهو فرض عند الشافعي حملاً على آية الوضوء، وعند مالك مسح المرفقين سنّة، وإنما الفرض للكوعين. قوله: **(بضربتين)** أي فهما فرض عند الشافعي، وعند مالك الأولى فرض والثانية سنّة. قوله: **(وبينت السنة**

من الوضوء والغسل والتيمم ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ من الأحداث والذنوب ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ببيان شرائع الدين ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٦﴾ نعمه ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ﴿وَمِيثَٰقَهُ﴾ عهده ﴿ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾ عاهدكم عليه ﴿إِذْ قُلْتُمْ﴾ للنبي ﷺ حين بايعتموه ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ في كل ما تأمر به وتنهي عما نحب ونكره ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في ميثاقه أن تنقضوه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٧﴾ بما في القلوب فبغيره أولى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ﴾ قائمين ﴿لِلَّهِ﴾ بحقوقه ﴿شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ يحملنكم

الخ) جواب من الشافعية والحنفية عن التعارض الواقع بين آية الوضوء وآية التيمم. قوله: **(من الوضوء والغسل والتيمم)** أي فأوجب ما ذكر عند القدرة عليه، ووجود الماء أو الصعيد، فإن فقدا معاً سقطت عنه الصلاة، وقضاؤها على المعتمد عند مالك، ويصلي ويقضي عند الشافعي. قوله: **(من الأحداث والذنوب)** أي فإذا تطهر الإنسان فقد خلص من الحدث والذنوب، لأنه ورد أن الذنوب تتساقط مع غسل الأعضاء. قوله: **(بالإسلام)** الباء للتعدية، والجار والمجرور متعلق بنعمة، فهو أعظم النعم، لأنه به ينال كل خير.

قوله: **﴿إِذَا قُلْتُمْ﴾** ظرف لقوله: **﴿وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾**. قوله: **(حين بايعتموه)** أي عند العقبة سنة الهجرة، لما جاءه سبعون من الأنصار، ورئيسهم إذ ذاك البراء بن معرور، وكان له اليد البيضاء في الميثاق، حتى أنه قال: والذي بعثك بالحق، لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا، فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أبناء الحرب كابراً عن كابر، وبايعوه على أن يقاتلوا معه الأسود والأبيض، وكذلك بيعة الرضوان تحت الشجرة، حين صده المشركون عن البيت، أشاع إبليس أن عثمان قتل، فبايع النبي ﷺ الصحابة على عدم الرجوع حتى يقتلوا أو يدخلوا مكة، وهكذا حمل المفسر على عهد النبي أصحابه، ويحتمل أن المراد العهد الواقع يوم ألست بربكم، فيكون المعنى: اذكروا نعمة الله عليكم، حيث خلقكم على التوحيد في عالم الأرواح، وجعل عالم الأجساد موافقاً له، فالإيمان نعمة عظيمة لموافقته للإجابة الواقعة يوم ألست بربكم، وكل صحيح، لكن إن كان المراد عهد الله الأزلي فالنسبة له ظاهرة، وإن كان المراد عهد النبي لأصحابه، فإسناد العهد لله، لأنه هو المعاهد حقيقة، قال تعالى: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾ الآية.

قوله: **﴿سمِعْنَا﴾** أي سماع قبول. قوله: **(مما نحب)** أي بأن كان موافقاً لما تهواه نفوسهم، وقوله: **(ونكره)** أي بأن لم يكن موافقاً، كالجهاد وأداء الزكاة مثلاً. قوله: **(بما في القلوب)** أي من الإخلاص وغيره، فذات الصدور صفة لموصوف محذوف تقديره الأمور الخفية صاحبات الصدور التي لا يطلع عليها إلا الله.

قوله: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا الخ﴾** شروع في بيان الحقوق الواجبة على العباد، وهي قسمان: متعلق بالخالق وهو قوله: **﴿قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾** وبالمخلوق وهو قوله: **﴿شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾**، وقد تقدمت هذه الآية في النساء، وكررها اعتناء بشأنها، فإن مقام القيام بحق الله وحق عباده عظيم، وهو حقيقة التوفيق، فليس كل من آمن قام بالحقين، وقوله قوامين خبر لكونوا، وشهداء خبر ثان. قوله: **(بحقوقه)** أي الخاصة به،

﴿شَنَـَٔانُ﴾ بغض ﴿قَوۡمٍ﴾ أي الكفار ﴿عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ﴾ فتنالوا منهم لعداوتهم ﴿ٱعۡدِلُواْ﴾ في العدو والولي ﴿هُوَ﴾ أي العدل ﴿أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ فيجازيكم به ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وعداً حسناً ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٩﴾﴾ هو الجنة ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٠﴾﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ

كالصلاة والصوم والحج وغير ذلك. قوله: ﴿**شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ**﴾ أي فلا تشهدوا بخلاف الواقع، بل بما في نفس الأمر، وهو المراد بقوله: (**بالعدل**). قوله: (**يحملنكم**) هو معنى ﴿**يَجْرِمَنَّكُمْ**﴾ ومن ثم عداه بعلى، ويجوز أن يفسر بيكسبنكم وهما متقاربان. قوله: ﴿**شَنَآنُ**﴾ بفتح النون وسكونها سبعيتان. قوله: (**أي الكفار**) أشار به إلى أنها نزلت في قريش لما صدوا النبي ﷺ عن المسجد الحرام، ولكن العبرة بعموم اللفظ.

قوله: ﴿**عَلَى أَنْ لَا تَعْدِلُوا**﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بعلى، أي على عدم العدل، كنقض العهد، وإيذاء من أسلم منهم. قوله: (**فتنالوا منهم**) أي مقصودكم من القتل وأخذ المال. قوله: (**في العدو والولي**) أي فسووا بين المحب والمبغض في العدل، ولا تؤثروا المحب. قوله: ﴿**اعْدِلُوا**﴾ تصريح بما علم من النهي عن ترك العدل، اعتناء بشأن العدل. قوله: (**أي العدل**) أي المأخوذ من قوله: ﴿**اعْدِلُوا**﴾ فإن الضمير لا بد أن يرجع لمذكور، ولو ضمناً كما هنا.

قوله: ﴿**أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾ أي أقرب ما يدل على التقوى لأنها في القلب، والعدل أكبر دليل عليها، فعند القدرة يظهر الحال، فمن ظهر العدل على يديه، كان دليلاً على تقواه، ومن لا فلا، ومنه ما ورد: الظلم كمين في النفس، القوة تظهره، والعجز يخفيه. قوله: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ**﴾ أي امتثلوا أوامره، واجتنبوا نواهيه. قوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ فيه وعد ووعيد، وبين الوعد بقوله: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾، وبين الوعيد بقوله: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ الخ.

قوله: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ تفصيل لما أجمل في قوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ والذين مفعول أول لوعد، وقدر المفسر المفعول الثاني بقوله: (**وعداً حسناً**) أي موعوداً، فأطلق المصدر، وأراد اسم المفعول. وقوله: (**لهم مغفرة وأجرٌ عظيم**) جملة مستأنفة بيان للموعود به الحسن. قوله: (**الجنة**) تفسير للأجر العظيم، فيكون عطف الأجر العظيم على المغفرة من عطف المسبب على السبب. قوله: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ مبتدأ، و ﴿**أُولَئِكَ**﴾ مبتدأ ثان، ﴿**وَأَصْحَابُ**﴾ خبر الثاني، والثاني وخبره خبر الأول، والجملة مستأنفة لبيان وعيد الكفار، ولم يقل في جانب الكفار لهم عذاب الجحيم مثلاً قطعاً لرجائهم، لأن صاحب الشيء لا ينفك عنه.

قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ سبب نزولها أن رسول الله ﷺ لما خرج هو وأصحابه لعسفان في غزوة ذي أنمار، وهي غزوة ذات الرقاع، قاموا إلى الظهر جميعاً، فلما صلوا ندم المشركون على عدم المكر بهم في الصلاة، فقالوا إن لهم بعدها صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم، يعنون بها صلاة العصر، وهموا أن يقعوا بهم إذا قاموا إليها، فرد الله كيدهم بنزول آية صلاة الخوف، وقيل ما روي أن رسول الله ﷺ أتى بني قريظة، ومعه أبو بكر وعمر وعلي، يستقرض منهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمري خطأ

نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ﴾ هم قريش ﴿أَن يَبۡسُطُوٓاْ﴾ يمدوا ﴿إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ﴾ ليفتكوا بكم ﴿فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ﴾ وعصمكم مما أرادوا بكم ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ ﴿١١﴾ ﴿وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ بما يذكر بعد ﴿وَبَعَثۡنَا﴾ فيه التفات عن الغيبة أقمنا ﴿مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ﴾ من كل سبط نقيب يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بالعهد توثقة عليهم ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿ٱللَّهُ

بحسبهما مشركين، فقالوا: يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونعطيك ما سألت، فأجلسوه في صفة وهموا بالفتك به، وعمد عمرو بن جحاش إلى رحى عظيمة يطرحها عليه، فأمسك الله تعالى يده ونزل جبريل عليه وأخبره، فخرج هو وأصحابه ونقض عهدهم حينئذٍ، وأقام الحرب عليهم، وقيل هو ما روي أن رسول الله ﷺ نزل منزلاً، وتفرق أصحابه في الشجر يستظلون به، فجلس رسول الله ﷺ تحت شجرة وعلق سيفه بها ونام، فجاء أعرابي وأخذ السيف من الشجرة وسله، فاستيقظ النبي ﷺ فوجده في يده، فقال له الأعرابي: يا محمد من يمنعك مني؟ فقال: الله، فسقط السيف من يده، فأخذه رسول الله ﷺ وقال له: «من يمنعك مني»؟ فقال: لا أحد، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، والأحسن أن يراد بقوله: ﴿**إِذْ هَمَّ قَوْمٌ**﴾ ما هو أعم فيشمل هذه الوقائع وغيرها كواقعة السم. قوله: ﴿**أَنْ يَبْسُطُوا**﴾ الخ، يقال بسط إليه يده إذا بطش به، وبسط إليه لسانه إذا شتمه، والمراد مدوا إليكم أيديهم بالقتل.

قوله: ﴿**واتَّقُوا اللَّهَ**﴾ أي دوموا على امتثال أوامره واجتناب نواهيه. قوله: ﴿**وَعَلَى اللَّهِ**﴾ أي لا على غيره، فلا يعتمد الإنسان على سبب ولا غيره، بل يثق بالله ويفوض أمره إليه. قوله: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان تحريض المؤمنين على الوفاء بالعقود، فإن المقصود من ذكر الأمم السابقة، ونقضهم عهود أنبيائهم، تذكير هذه الأمة بأن الوفاء بالعهود أمره عظيم وأجره جسيم، ونقضه فيه الوبال الكبير، ولذا قال العارف أبو الحسن الشاذلي: فالويل لمن لم يعرفك، بل الويل ثم الويل لمن أقر بوحدانيتك ولم يرض بأحكامك. قوله: (**بما يذكر بعد**) أي من قوله: ﴿إني معكم لئن أقمتم الصلاة﴾ الخ، فعهد الله هو امتثال المأمورات واجتناب المنهيات، والدال على ذلك تجب مطاوعته، فالشيخ المتمسك بشرع رسول الله، القائم بحقوق الله وحقوق عباده، إذا أخذ العهد بذلك على إنسان، وجب عليه اتباعه ونقض عهده، إما كفر إذا قصد نقض ما هو عليه من التوحيد وغيره، أو ضلال مبين إذا قصد عدم الإلتزام بأوراده، وأما من خالف الشرع، واتبع هوى نفسه، فالواجب نقض عهده، لأن من لا عهد له مع الله، لا عهد له مع خلقه، قال تعالى: ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ هكذا ينبغي. قوله: (**فيه التفات عن الغيبة**) أي وكان مقتضى الظاهر وبعث، وإنما التفت اعتناء بشأن البعث قوله: (**أقمنا**) أشار بذلك إلى أن المراد بالبعث الجعل والإقامة، لا الإرسال، إلا لكانوا معصومين من النقض.

قوله: ﴿**مِنْهُمْ**﴾ إما متعلق ببعثنا، أو بمحذوف حال من اثني عشر، وقوله: ﴿**نَقِيباً**﴾ تمييزه، والنقيب فعيل، إما بمعنى فاعل لأنه يفتش على أحوال القوم، أو بمعنى مفعول لأنهم فتشوا عليه، واختاروه نقيباً عليهم مشتق من التنقيب وهو التفتيش، ومنه فنقبوا في البلاد، سمي بذلك لأنه يفتش عن أحوال القوم ويسعى في مصالحهم. قوله: (**من كل سبط نقيب**) أي فالنقباء على عدد الأسباط، وهم أولاد يعقوب، وكانوا اثني عشر كل واحد منهم سبط. قوله: (**توثقة عليهم**) أي تأكيداً عليهم.

﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ بالعون والنصرة ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَقَمْتُمُ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ نصرتموهم ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بالانفاق في سبيله ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الميثاق منكم ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ ﴿١٢﴾ أخطأ طريق الحق والسواء في الأصل الوسط فنقضوا الميثاق قال الله تعالى ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ ما زائدة ﴿مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ﴾ أبعدناهم عن رحمتنا ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ لا تلين

قوله: ﴿وَقَالَ﴾ (لهم) أي للنقباء، وعهد النقباء هو عهد بني إسرائيل، أو الضمير عائد على بني إسرائيل عموماً، وسبب ذلك أن بني إسرائيل لما رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون، أمرهم الله تعالى بالسير إلى أريحاء بأرض الشام، وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون، وقال لهم: إني كتبتها لكم داراً وقراراً، فأخرجوا من فيها وإني ناصركم، وأمر موسى أن يأخذ من كل سبط نقيباً أميناً يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بما أمروا به، فاختار النقباء، وأخذ الميثاق على بني إسرائيل وسار بهم، فلما دنا من أرض كنعان، بعث النقباء إليهم يتجسسون أحوالهم، فرأوا خلقاً أجسامهم عظيمة، ولهم قوة وشوكة فهابوهم فرجعوا، وكان موسى قد نهاهم أن يتحدثوا بما يرون من أحوال الكنعانيين، فنكثوا الميثاق وتحدثوا، إلا اثنين منهم، قيل لما توجه النقباء لتجسس أحوال الجبارين، لقيهم عوج بن عنق، وعنق أمه إحدى بنات آدم لصلبه، وكان عمره ثلاثة آلاف سنة، وطوله ثلاثة آلاف وثلثمائة وثلاثين ذراعاً، وكان على رأسه حزمة حطب، فأخذ النقباء وجعلهم في الحزمة، وانطلق بهم إلى امرأته، فطرحهم بين يديها، وقال اطحنيهم بالرحى، فقالت لا بل نتركهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا، فجعلوا يتعرفون أحوالهم، وكان من أحوالهم أن عنقود العنب عندهم لا يحمله إلا خمسة رجال منهم، وأن قشرة الرمانة تسع خمسة منهم، فلما خرج النقباء من أرضهم، قال بعضهم لبعض: إن أخبرتم بني إسرائيل بخبر القوم، ارتدوا عن نبي الله، ولكن اكتموه إلا عن موسى وهارون، ثم انصرفوا إلى موسى، وكان معهم حبة من عنبهم، فنكثوا عهدهم، وجعل كل واحد منهم ينهي سبطه عن القتال ويخبره بما رأى، إلا كالب ويوشع، وكان عسكر موسى فرسخاً في فرسخ، فجاء عوج بن عنق حتى نظر إليهم، فجاء إلى جبل وأخذ منه صخرة على قدر عسكر موسى، ثم حملها على رأسه ليطبقها عليهم، فبعث الله الهدهد فنقر وسط الصخرة المحاذي لرأسه، فوقعت في عنقه وطوقته فصرعته، وأقبل موسى فقتله، فأقبلت جماعته حتى حزوا رأسه، وهذه القصة ذكرها كثير من المفسرين، قال المحققون: إنه لا عوج ولا عنق، وإنما الصحيح من القصة وجود الجبارين وقريتهم، وأنهم عظام الأجسام، وبالجملة فالصحيح هو ما قصه الله علينا فيما يأتي في هذا الربع. قوله: **(لام قسم)** أي والله، وجوابه هو قوله لأكفرن، وحذف جواب الشرط لتأخره عن القسم اكتفاء بجواب القسم، قال ابن مالك: واحذف لدى اجتماع شرط وقسم، جواب ما أخرت.

قوله: ﴿وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي﴾ أخره عن الصلاة والزكاة، مع أنهما من الفروع، لأن بعضهم كان يفعلهما مع كونه يكذب ببعض الرسل، فأفاد الله تعالى أن عدم الإيمان لا ينفع مع فعل الطاعات قوله: ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ من التعزيز، يطلق على التعذيب، وعلى التعظيم والتوقير والنصرة، وهو المراد هنا. قوله: **(بالإنفاق في سبيله)**، أي واجباً أو مندوباً، وهو أعم من الزكاة. قوله: **(فنقضوا الميثاق)** أي بتكذيبهم الرسل، وقتلهم الأنبياء، وتضييعهم الفرائض.

لقبول الإيمان ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ الذي في التوراة من نعت محمد وغيره ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ التي وضعه الله عليها أي يبدلونه ﴿وَنَسُوا۟﴾ تركوا ﴿حَظًّا﴾ نصيباً ﴿مِّمَّا ذُكِّرُوا۟﴾ أمروا ﴿بِهِۦ﴾ في التوراة من اتباع محمد ﴿وَلَا تَزَالُ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿تَطَّلِعُ﴾ تظهر ﴿عَلَىٰ خَآئِنَةٍ﴾ أي خيانة ﴿مِّنْهُمْ﴾ بنقض العهد وغيره ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ ممن أسلم ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ وهذا منسوخ بآية السيف ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾ متعلق بقوله ﴿أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ﴾ كما أخذنا على بني إسرائيل اليهود ﴿فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ في الإنجيل من الإيمان وغيره ونقضوا الميثاق ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾ أوقعنا ﴿بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بتفرقهم واختلاف أهوائهم فكل فرقة تكفر الأخرى ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ﴾ في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾ فيجازيهم عليه ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ اليهود والنصارى ﴿قَدْ جَآءَكُمْ

قوله: ﴿**يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ**﴾ بيان لقسوة قلوبهم. قوله: (**تركوا**) أشار بذلك إلى أن المراد بالنسيان، الترك من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم. قوله: (**خيانة**) أشار بذلك إلى أن خائنة بمعنى خيانة، فالتاء للتأنيث بدليل القراءة الأخرى خيانة. قوله: (**وهذا**) أي الأمر بالعفو والصفح، منسوخ إن أريد مع بقائهم على الكفر، وأما إن أريد إن تابوا فلا نسخ.

قوله: ﴿**وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى**﴾ شروع في بيان قبائح النصارى إثر بيان قبائح اليهود، والحكمة في قوله قالوا، ولم يقل ومن النصارى، أن هذه التسمية واقعة منهم لأنفسهم، ولم يسمهم الله تعالى بذلك، والجار والمجرور متعلق بأخذنا، والأصل وأخذنا من الذين قالوا إنا نصارى ميثاقهم وهو الأحسن، ولذا مشى عليه المفسر، وقدم الجار والمجرور على قوله: ﴿**مِيثَاقَهُمْ**﴾ هروباً من عود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة، وهو غير جائز إلا في مواضع ليس هذا منها، ونصارى نسبة للنصر، لأنهم يزعمون أنهم أنصار الله، ومفرده نصران ونصرانة، ولكن ياء النسب لا تفارقه، وقيل نسبة لقرية اسمها نصرة، فيكون مفرده نصرى، ثم أطلق على كل من تعبد بهذا الدين. قوله: ﴿**مِيثَاقَهُمْ**﴾ أي عهدهم المؤكد.

قوله: ﴿**فَنَسُوا حَظًّا**﴾ أي تركوه. قوله: (**من الإيمان**) أي بمحمد وبجميع الأنبياء، وقوله: (**وغيره**) أي غير الإيمان كبشارة عيسى بمجيء محمد بعده رسولاً. قوله: (**ونقضوا الميثاق**) أي تكذيب الأنبياء، وتحريف ما في الإنجيل، وهذا مرتب على قوله: ﴿**فَنَسُوا حَظًّا**﴾ وكذا قوله: ﴿**فَأَغْرَيْنَا**﴾ وهو من غرا بالشيء إذا لصق به، يقال غروت الجلد ألصقته بالغراء، وهو كناية عن إيقاع العداوة بينهم، والتعبير بالإغراء أبلغ كأن العداوة لاصقة بهم كالغراء اللاصق بالجلد. قوله: ﴿**بَيْنَهُمْ**﴾ متعلق بأغرينا والضمير عائد على اليهود والنصارى، أي ألقينا العداوة بين اليهود والنصارى، فكل من الفرقتين تلعن الأخرى، وقيل الضمير عائد على النصارى فقط باعتبار فرقهم، لأنهم ثلاث فرق: الملكانية واليعقوبية والنسطورية فكل فرقة تلعن الأخرى، وإنما لم يظهروا ذلك بين المسلمين، خوفاً من الشماتة بهم فكل فرقة تكفر الأخرى، أي في الدنيا وفي الآخرة ﴿كلما دخلت أمة لعنت أختها﴾. قوله: ﴿**وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ**﴾ (**في الآخرة**) أي بقوله يوم القيامة: ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾ الآية.

رَسُولُنَا ﴾ محمد ﴿ يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ ﴾ تكتمون ﴿ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ التوراة والانجيل كآية الرجم وصفته ﴿وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ﴾ من ذلك فلا يبينه إذا لم يكن فيه مصلحة إلا افتضاحكم ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ ﴾ هو نور النبي ﷺ ﴿ وَكِتَابٌ ﴾ قرآن ﴿ مُّبِينٌ ﴾ ﴿١٥﴾ بينٌ ظاهر ﴿ يَهْدِي بِهِ ﴾ أي بالكتاب ﴿ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ ﴾ بأن آمن ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾طرق السلامة ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿ إِلَى النُّورِ ﴾ الايمان ﴿ بِإِذْنِهِ ﴾ بإرادته ﴿ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ﴿١٦﴾ دين الاسلام ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ حيث جعلوه إلهاً وهم اليعقوبية فرقة من النصارى ﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ ﴾ أن يدفع ﴿ مِنَ ﴾ عذاب ﴿ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ أي لا أحد يملك ذلك ولو كان المسيح إلهاً لقدر عليه ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ شاءه ﴿ قَدِيرٌ ﴾ ﴿١٧﴾ ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ ﴾ أي كل منهما ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ ﴾ أي كأبنائه في القرب والمنزلة وهو كأبينا في الرحمة والشفقة ﴿ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ ﴾ لهم يا محمد ﴿ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴾ إن صدقتم في ذلك ولا يعذب

قوله: ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ﴾ خطاب للفريقين جميعاً، بعد أن ذكر كل فرقة على حدة. قوله: **(كآية الرجم وصفته)** أي فقد أخفوهما، وأطلع الله نبيه على أنهما في التوراة، فبين ذلك وأظهره، وهو معجزة لرسول الله ﷺ، لأنه لم يقرأ كتابهم، ولم يجلس بين يدي معلم، وهذا مثال لما في التوراة، ولم يمثل لما في الإنجيل، ولو مثل له لقال: وكبشارة عيسى بمحمد.

قوله: ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ أي من قبائحهم كسبه فيما بينهم، والكلام في شأنه هو والقرآن، فلم يتعرض لهم في ذلك. قوله: **(هو نور النبي)** أي وسمي نوراً لأنه ينوّر البصائر ويهديها للرشاد، ولأنه أصل كل نور حسي ومعنوي. قوله: ﴿مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ أي من سبق في علم الله أنه يتبع رضوانه. قوله: **(طرق السلامة)** أي من العذاب والنجاة من العقاب، و ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾ منصوب بنزع الخافض وإنما حقه أن يتعدى إلى المفعول الثاني بإلى أو باللام، قال تعالى: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾. قوله: **(وهم اليعقوبية)** أي القائلون بالاتحاد. قوله: ﴿وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾ هذا ترق في الرد عليهم. قوله: **(أي لا أحد)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي.

قوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ترق في الرد عليهم أيضاً. قوله: **(شاءه)** أي تعلقت به إرادته وهي الممكنات، خرج بذلك ذاته وصفاته والمستحيلات فلا تتعلق القدرة والإرادة بشيء من ذلك. قوله: **(أي كأبنائه في القرب)** أي فالمعنى على التشبيه، وهذا هو الصحيح، وقيل المعنى أبناء أنبياء الله، فالكلام على حذف مضاف. وسبب نزولها أن رسول الله ﷺ دعا جماعة من اليهود إلى الإسلام، وخوفهم بعقاب الله تعالى، فقالوا: كيف تخوفنا به ونحن أبناء الله وأحباؤه؟ وهذه مقالة اليهود، وأما النصارى فقالوا مثلهم، زاعمين أن الله قال في الإنجيل: إن المسيح قال لهم إني ذاهب إلى أبي وأبيكم. قوله: ﴿قُلْ﴾ **(لهم يا محمد)** أي إلزاماً لهم وتبكيتاً، إن صح ما زعمتم، فلأي شيء يعذبكم في الدنيا بالقتل

الأب ولده ولا الحبيب حبيبه وقد عذبكم فأنتم كاذبون ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ﴾ من جملة من ﴿خَلَقَ﴾ من البشر لكم ما لهم وعليكم ما عليهم ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ المغفرة له ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ تعذيبه لا اعتراض عليه ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ ﴿١٨﴾ المرجع ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ شرائع الدين ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ﴾ انقطاع ﴿مِّنَ الرُّسُلِ﴾ إذ لم يكن بينه وبين عيسى رسول ومدة ذلك خمسمائة وستون سنة ﴿أَن﴾ لا ﴿تَقُولُوا﴾ إذا عذبتم ﴿مَا جَاءَنَا مِن﴾ زائدة ﴿بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ فلا عذر لكم إذاً ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٩﴾ ومنه تعذيبكم إن لم تتبعوه ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ﴾ أي منكم ﴿أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ أصحاب خدم وحشم ﴿وَآتَاكُم مَّا

والمسخ، وقد اعترفتم بأنه تعالى سيعذبكم في الآخرة بالنار أياماً بعدد أيام عبادة العجل، ولو كان الأمر كما زعمتم، لما صدر منكم ما صدر، ولما وقع عليكم ما وقع. قوله: (**لا اعتراض عليه**) أي لأنه القادر الفعال بالاختيار.

قوله: ﴿**عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ**﴾ أي في وقت لا تعرفون فيه توحيداً، فعليكم باتباعه. قوله: (**إذا لم يكن بينه وبين عيسى رسول الخ**) هذا هو الصحيح، وقيل كان بين محمد وعيسى أربعة رسل، ثلاثة من بني إسرائيل، وواحد من حمير، وهو خالد بن سنان. قوله: (**ومدة ذلك خمسمائة وستون سنة**) وقيل خمسمائة وخمسة وستون، وقيل خمسمائة وأربعون، وقيل أربعمائة وبضع وثلاثون، والصحيح أنها ستمائة ومدة ما بين موسى وعيسى ألف وسبعمائة سنة، لكنها ليست فترة لبعثة كثيرين من الأنبياء بينهما ويتعبدون بشريعة موسى، كداود وسليمان وزكريا ويحيى. قوله: ﴿**أَنْ**﴾ (**لا**) ﴿**تقولوا**﴾ أشار بذلك إلى أنَّ ﴿**أَنْ**﴾ المصدرية دخلت عليها اللام ولا النافية مقدرة بعدها، والتقدير لعدم قولكم ما جاءنا الخ. قوله: (**زائدة**) أي في فاعل جاء.

قوله: ﴿**وَ**﴾ (**اذكر**) ﴿**إِذْ قَالَ مُوسَى**﴾ أشار بذلك إلى أن إذ ظرف لمحذوف، قدره المفسر بقوله اذكر، والمقصود من ذلك توبيخ اليهود الذين في زمنه ﷺ وتسليته على عدم إيمانهم به وبيان نقضهم العهد تفصيلاً، والمعنى تسل ولا تحزن من عدم إيمانهم بك ومن تكذيبك، فإنهم كذبوا من يدعون أنه نبيهم إلى الآن. قوله: ﴿**وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ**﴾ أي تذكّروها واشكروا عليها. قوله: ﴿**إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ**﴾ أي بكثرة ولم تكن في غيركم.

قوله: ﴿**جَعَلَكُمْ مُلُوكاً**﴾ أي ببسط الدنيا لكم، وذلك بعد إغراق فرعون. قوله: (**خدم**) جمع خادم، وهو صادق بالذكر والأنثى، وقوله: (**وحشم**) هم الخدم لكن من الرجال، ورد أن أول من ملك الخدم بنو إسرائيل، وكان يقال عندهم من كانت عنده دابة وجارية وزوجة فهو ملك، وقيل الملك من اتسعت داره وكان فيها النهر يجري، وقيل جعلكم ملوكاً أي أحراراً بعد استرقاق فرعون لكم. قوله:

﴿لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ من المن والسلوى وفلق البحر وغير ذلك ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ المطهرة ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أمركم بدخولها وهي الشام ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ﴾ تنهزموا خوف العدو ﴿فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ ﴿٢١﴾ في سعيكم ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ من بقايا عاد طوالاً ذوي قوة ﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ لها ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ مخالفة أمر الله وهما يوشع وكالب من النقباء الذين بعثهم موسى في كشف أحوال الجبابرة ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالعصمة فكتما ما اطلعا عليه من حالهم إلا عن موسى بخلاف بقية النقباء فأفشوه فجبنوا ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ باب

﴿مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ أي مطلقاً، لأن فلق البحر والمن والسلوى لم يكن لأحد غيرهم، ولا لأمة محمد ﷺ، ولا حاجة هنا للتأويل بعالمي زمانهم. قوله: **(من المن والسلوى)** بيان لما. إن قلت: إن هذه المقالة وقعت حين أخذ الميثاق عليهم في قتال الجبارين، فلا يظهر قول المفسر من المن والسلوى، لأنه لم ينزل عليهم إلا في التيه، وذلك بعد توجههم من مصر لقتال الجبارين، فحينئذٍ كان المناسب للمفسر أن يقول من النبوة والملك وفلق البحر، وقد يجاب: بأنه لا مانع من ذكر هذه الكلمة في التيه أيضاً.

قوله: ﴿**يَا قَوْمِ**﴾ الجمهور على كسر الميم من غير ياء، وقرىء بضم الميم إجراء له مجرى المفرد، وبالباء مفتوحة لأنه منادى مضاف لياء المتكلم، قال ابن مالك:

واجْعَلْ مُنَادِي صَحَّ أَنْ يَضِفِ لِيَا كَعَبْدَ عَبْدِي عَبْدَ عَبْداً عَبْدِيَا

قوله: **(المطهرة)** إنما سميت مطهرة لسكنى الأنبياء المطهرين فيها، فشرفت وطهرت بهم، فالظرف طاب بالمظروف، إن قلت: إن الجبارين كانوا فيها وهم غير مطهرين أجيب: بأن الخير يغلب الشر، والنور يغلب الظلمة. قوله: **(أمركم بدخولها)** دفع بذلك ما يقال: كيف الجمع بين الكتابة التي تفيد تحتم الدخول، وبين قوله قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة، فأجاب: بأن المراد بالكتب الأمر بالدخول، وأجيب أيضاً بأن قوله التي كتب الله لكم أي قدرها في اللوح المحفوظ، إن لم تقع منكم مخالفة، وقد وقعت فحرمت عليهم أربعين سنة، فهو قضاء معلق.

قوله: ﴿**وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ**﴾ أي ترجعوا إلى مصر، فإنهم لما سمعوا بأخبار الجبارين، قالوا تجعل لنا رئيساً ينصرف بنا إلى مصر، وصاروا يبكون ويقولون ليتنا متنا بمصر. قوله: ﴿**فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ**﴾ أي لأن الفرار من الزحف من الكبائر. قوله: ﴿**قَالَ رَجُلَانِ**﴾ وصفهما بصفتين: الأولى قوله: ﴿**مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ**﴾ والثانية قوله: ﴿**أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا**﴾ وهو حسن، لأن فيه الوصف بالجملة بعد الوصف بالجار والمجرور، وهو من قبيل المفرد. قوله: **(وهما يوشع)** أي ابن نون وهو الذي نبيء بعد موسى، وقوله: **(وكالب)** بكسر اللام وفتحها ابن يوقنا. قوله: **(بقية النقباء)** أي الاثني عشر، وقوله: **(فأفشوه)** أي خبر الجبارين، وقوله: **(فجبنوا)** أي بنو إسرائيل.

قوله: ﴿**ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ**﴾ أي امنعوهم من الخروج، لئلا يجدوا في أنفسهم قوة للحرب،

القرية ولا تخشوهم فإنهم أجساد بلا قلوب ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ﴾ قالا ذلك تيقناً بنصر الله وإنجاز وعده ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٣﴾ ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾ هم ﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ۝٢٤﴾ عن القتال ﴿قَالَ﴾ موسى حينئذ ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَ﴾ إلا ﴿أَخِي﴾ ولا أملك غيرهما فأجبرهم على الطاعة ﴿فَٱفْرُقْ﴾ فافصل ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٢٥﴾ ﴿قَالَ﴾ تعالى له ﴿فَإِنَّهَا﴾ أي الأرض المقدسة ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ أن يدخلوها ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ﴾ يتحيرون ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وهي تسعة فراسخ قاله ابن عباس ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ تحزن ﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٢٦﴾ روي أنهم كانوا يسيرون الليل جادين فإذا أصبحوا إذا هم في الموضع الذي ابتدؤوا منه ويسيرون النهار كذلك حتى انقرضوا كلهم إلا من لم يبلغ العشرين قيل وكانوا ستمائة ألف ومات هارون وموسى في التيه وكان

بخلاف ما إذا دخلتم عليهم القرية بغتة، فإنهم لا يقدرون على الكر والفر. قوله: **(بلا قلوب)** أي قوية نافعة. قوله: **(تيقنا بنصر الله)** أي فإنهما مصدقان بذلك، لإخبار موسى لهما بذلك. قوله: **﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾** أي بعد ترتيب الأسباب، ولا تعتمدوا عليها فإنها غير مؤثرة. قوله: **﴿مَا دَامُوا فِيهَا﴾** أي مدة إقامتهم فيها. قوله: **﴿أَنْتَ وَرَبُّكَ﴾** قيل إن الواو للعطف، وربك معطوف على الضمير المستتر في اذهب، وقد وجد الفاصل بالضمير المنفصل، قال ابن مالك:

وَإِنْ عَلَى ضَمِيرِ رَفْعٍ مُتَّصِلٍ ... عَطَفْت فَافْصل بِالضَّمِيرِ الْمُنْفَصِلِ

أي ليذهب ربك، واختلف في الرب، فقيل هو المولى جل وعلا، فإسنادهم الذهاب إليه على حقيقته، لأنهم كانوا يعتقدون التجسيم، وقيل المراد به هارون وسموه رباً لأنه كان أكبر من موسى بسنة، وهو الأحسن، ويدل عليه السياق، وقيل الواو للحال، وربك مبتدأ خبره محذوف تقديره يعينك. قوله: **(لا أملك غيرهما)** إن قلت: إن يوشع وكالب كانا في طاعته أيضاً. أجيب بأنه لم يثق بهما. قوله: **﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا﴾** أي احكم لنا بما نستحقه، واحكم لهم بما يستحقونه، وكان الأمر كذلك، فصار التيه رحمة لموسى وهارون، وعذاباً على بني إسرائيل. قوله: **﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾** يصح أن يكون ظرفاً لقوله: **﴿يَتِيهُونَ﴾** وعلى هذا فهي محرمة عليهم أبداً لأنهم انقرضوا، وما دخلها إلا من لم يبلغ العشرين حين الميثاق، وقيل ظرف لقوله: **﴿مُحَرَّمَةٌ﴾** وعلى هذا فالتحريم مقيد بتلك المدة، وقيل ظرف لهما معاً. قوله: **(وهي تسعة فراسخ)** أي عرضاً، وطولها ثلاثون فرسخاً.

قوله: **﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾** أي وذلك أنه ندم على دعائه عليهم، فقيل له لا تأس فإنهم أحق بذلك. قوله: **(ومات هارون وموسى في التيه)** ومات موسى بعد هارون بسنة، وقيل إن موسى هو الذي ملك الشام، وكان يوشع على مقدمته، وعاش فيها زمناً طويلاً، ومات ولم يعلم له قبر، وهما طريقتان: قيل إن موسى وهارون توجها إلى البرية، فمات هارون فدفنه أخوه موسى، ثم رجع إلى قومه فقالوا قتله لحبنا إياه، فتضرع موسى إلى ربه، فأوحى الله إليه أن انطلق بهم إلى هارون فإني باعثه، فانطلق بهم إلى قبره، فناداه يا هارون فخرج من قبره ينفض رأسه، قال: أنا قتلتك؟ قال: لا، ولكنني

رحمة لهما وعذاباً لأولئك وسأل موسى ربه عند موته أن يدنيه من الأرض المقدس رمية بحجر فأدناه كما في الحديث ونبىء يوشع بعد الأربعين وأمر بقتال الجبارين فسار بمن بقي معه وقاتلهم وكان يوم الجمعة ووقفت له الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم وروى أحمد في مسنده حديث إن

مت، قال: فعد إلى مضجعك. وروي أن موسى خرج ليقضي حاجته، فمر برهط من الملائكة يحفرون قبراً لم ير شيئاً أحسن منه، ولا مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة، فقال لهم: يا ملائكة الله لِمَ تحفرون هذا القبر؟ فقالوا: لعبد كريم على ربه، فقال: إن هذا العبد لمن الله بمنزلة ما رأيت كاليوم أحسن منه مضجعاً، فقالت الملائكة: يا صفي الله أتحب أن يكون لك؟ قال: وددت، قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجّه إلى ربك، قال: فنزل فاضطجع فيه وتوجه إلى ربه، ثم تنفس أسهل نفس، فقبض الله تعالى روحه، ثم سوت عليه الملائكة التراب، وقيل إن ملك الموت أتاه بتفاحة من الجنة فشمّها فقبض الله روحه، وقيل إنه روي أن ملك الموت جاءه وقال له: أجب أمر ربك، فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها، فقال ملك الموت: يا رب إنك أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت وقد فقأ عيني، قال فرد الله تعالى عينه وقال له ارجع إلى عبدي فقل له: الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة، فضع يدك على متن ثور، فما وارت يدك من شعره فإنك تعيش بكل شعرة سنة، قال: ثم ماذا؟ قال: ثم تموت، قال: فالآن من قريب، قال: رب أدنني من الأرض المقدسة رمية حجر، قال رسول الله ﷺ: لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطور عند الكثيب الأحمر. ورواية فقء عين ملك الملك متكلم فيها، وعلى فرض ورودها، ففقء عين الملك من خصوصيات موسى، لأن الملك لا تحكم عليه الصورة، ولا يقال إن هذا جناية حرام، لأننا نقول إنه فقأ عين الصورة المتشكل فيها، لا الصورة الأصلية، وقصده بتلك الفعلة نهيه عن أن يأتي للمؤمن في صورة فظيعة، كما قرره أشياخنا قوله: **(وكان رحمة لهما)** أي وكذا يوشع وكالب، وذلك كنار إبراهيم، فإنها جعلت عليه برداً وسلاماً. قوله: **(وعذاباً لأولئك)** أي من حيث السير، وقد أنعم الله عليهم في التيه بنعم عظيمة، منها أنهم شكوا لموسى حالهم من الجوع والعري، فدعا الله تعالى فأنزل عليهم المن والسلوى، وأعطاهم من الكسوة ما يكفيهم كل واحد على مقدار هيئته، وشكوا له العطش، فأتى موسى بحجر من جبل الطور، فكان يضربـه بعصاه فيخرج منه اثنتا عشرة عيناً، وشكوا الحرّ، فأرسل الله عليهم الغمام يظلهم، وكان يطلع عمود من نور يضيء لهم بالليل ولا تطول شعورهم، وإذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر، يطول بطوله ويتسع بقدره. قولـه: **(أن يدنيـه)** أي يقربـه من الأرض المباركة، أي يدفن بقربها لكونها مطهرة مباركة، ويؤخذ من ذلك، أن الإنسان ينبغي له أن يتحرى الدفن في الأرض المباركة بقرب نبي أو ولي، وإنما لم يسأل الدفن فيها خوفاً من أن يعرف قبره فيفتتن به الناس. قوله: **(بعد الأربعين)** أي مدة التيه. قوله: **(بمن بقي)** أي وهم أولادهم الذين لم يبلغوا العشرين سنة حين أخذ الميثاق. قوله: **(وقاتلهم)** روي أن الله نبأ يوشع بعد موت موسى، وأخبرهم أن الله قد أمرهم بقتال الجبابرة فصدقوه وبايعوه، فتوجه ببني إسرائيل إلى أريحا ومعه تابوت الميثاق، وأحاط بمدينة أريحا ستة أشهر، وفتحوها في الشهر السابع ودخلوها، فقاتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم، وكانت العصابة من بني إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها، وكان القتال يوم الجمعة، فبقيت منهم بقية، وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت، فقال: اللهم أردد الشمس علي، وقال للشمس: إنك

الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس ﴿وَٱتۡلُ﴾ يا محمد ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ على قومك ﴿نَبَأَ﴾ خبر ﴿ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ﴾ هابيل وقابيل ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ متعلق باتل ﴿إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانًا﴾ إلى الله وهو كبش لهابيل وزرع لقابيل ﴿فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا﴾ وهو هابيل بأن نزلت نار من السماء فأكلت قربانه

في طاعة الله، وأنا في طاعة الله، فسأل الشمس أن تقف، والقمر أن يقيم، حتى ينتقم من أعداء الله قبل دخول السبت، فردت عليه الشمس وزيد في النهار ساعة حتى قتلهم أجمعين، ثم تتبع ملوك الشام فقتل منهم إحدى وثلاثين ملكاً، حتى غلب على جميع أرض الشام، وصارت الشام كلها لبني إسرائيل، وفرق عماله في نواحيها، ثم مات يوشع ودفن بجبل إبراهيم، وكان عمره مائة وستاً وعشرين سنة، وتدبيره أمر بني إسرائيل بعد موسى سبعاً وعشرين سنة. قوله: **(لم تحبس على بشر)** أي قبل يوشع، وإلا فقد حبست لنبينا مرتين يوم الخندق، حين شغل هو وأصحابه عن صلاة العصر حتى غربت الشمس، فردها الله عليه حتى صلى العصر، وصبيحة ليلة الإسراء حين انتظر قدوم العير، وزيد في رواية مرة لعلي بن أبي طالب حين كان النبي نائماً على فخذه، ولم يكن صلى العصر، فما استيقظ حتى غربت الشمس، فقال النبي ﷺ: «اللهم علياً في طاعتك وطاعة رسولك، فاردد عليه الشمس حتى يصلي العصر». قوله: **(ليالي سار)** أي أيام سيره، أي توجهه لقتالهم.

قوله: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ**﴾ معطوف على العامل المحذوف في قوله: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق بني إسرائيل﴾ عطف قصة على قصة، أي اذكر ما وقع من بني إسرائيل، واتل عليهم نبأ ابني آدم الخ. قوله: **(على قومك)** أي سواء كانوا يهوداً أو نصارى أو مشركين. قوله: **(خبر)** ﴿**ابْنَيْ آدَمَ**﴾ أي قصتهما وما وقع لهما. قوله: **(هابيل)** هو السعيد المقتول، وقابيل هو الشقي القاتل، وظاهر الآية أنهما من أولاد آدم لصلبه وهو التحقيق، ويؤيده قوله فيما يأتي، فبعث الله غراباً، وقيل لم يكونا لصلبه بل هما رجلان من بني إسرائيل، بدليل قوله في آخر القصة، : ﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل﴾، والأول هو الصحيح، وقابيل هو أول أولاده، وهابيل بعده بسنة، وكلاهما بعد هبوطه إلى الأرض بمائة سنة، وقيل إن قابيل هو وأخته ولدا في الجنة، ولم تر حواء لهما وحماً ولا وصباً ولا دم نفاس، وأما بقية أولاده فبالأرض، ولذا كان يفتخر قابيل على هابيل ويقول له: إني ابن الجنة وأنت ابن الأرض، فأنا خير منك، وحاصل ذلك أن حواء ولدت لآدم عشرين بطناً في كل بطن ذكر وأنثى، فصار الذكور عشرين والإناث كذلك، فلما قتل قابيل هابيل، نقصت الذكور عن الإناث فرزقه الله بشيث ومعناه هبة الله، فتماثل الذكور مع الإناث.

قوله: ﴿**بِالْحَقِّ**﴾ الجار والمجرور ويحتمل أن يكون متعلقاً بمحذوف صفة لمصدر محذوف تقديره اتل تلاوة ملتبسة بالحق، أو حال من فاعل أتل عليهم حال كونك ملتبساً بالحق أي الصدق أو حال من المفعول وهو نبأ أي اتل نبأهما حال كونه ملتبساً بالحق، وكل صحيح، والمقصود من ذكر هذه القصص الأخبار بما في الكتب القديمة، لتقوم الحجة على أربابها وغيرهم، فالأخبار بها من جملة المعجزات.

قوله: ﴿**إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً**﴾ أي قرب كل واحد قرباناً، والقربان ما يقرب به إلى الله. وذلك أنه كان في شرع آدم، إذا كبر أولاده زوج ذكر هذه البطن لأنثى بطن أخرى، فأمره الله أن يزوج قابيل أخت هابيل وكانت دميمة، وهابيل أخت قابيل وكانت جميلة، فرضي هابيل وأبى قابيل، وقال: إنك تأمرنا برأيك لا

﴿ وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ ﴾ وهو قابيل فغضب وأضمر الحسد في نفسه إلى أن حج آدم ﴿ قَالَ ﴾ له ﴿ لَأَقْتُلَنَّكَ ﴾ قال لم قال لتقبل قربانك دوني ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿ لَئِنۢ ﴾ لام قسم ﴿ بَسَطتَ ﴾ مددت ﴿ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿٢٨﴾ في قتلك ﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ ﴾ ترجع ﴿ بِإِثْمِي ﴾ بإثم قتلي ﴿ وَإِثْمِكَ ﴾ الذي ارتكبته من قبل ﴿ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾ ولا أريد أن أبوء بإثمك إذا قتلتك فأكون منهم قال تعالى ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿ فَطَوَّعَتْ ﴾ زينت ﴿ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ ﴾ فصار ﴿ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ ﴿٣٠﴾ بقتله ولم يدر ما يصنع به لأنه أول ميت على وجه الأرض من بني آدم فحمله على ظهره ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ ينبش في التراب بمنقاره وبرجليه ويثيره على غراب

من عند الله. فقال لهما: قربا قرباناً، فأيكما تقبل منه فهو أحق بالجميلة، فذهب هابيل وأخذ كبشاً من أحسن غنمه وقربه، وذهب قابيل لصبرة قمح من أردأ ما عنده، وقيل قت رديء، حتى أنه وجد سنبلة جيدة ففركها وأكلها، وكان علامة قبول القربان نزول نار من السماء تحرقه، فنزلت على كبش هابيل فأحرقته، وقيل رفع إلى السماء حتى نزل فداء للذبيح ولم يتقبل من قابيل. قوله: **(فغضب)** أي لأمرين: فوزه بالجميلة وبقبول قربانه. قوله: **﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾** أي ولم يكن عندك تقوى لعقوقك لأبيك، وعدم إخلاصك في القربان. قوله: **﴿لِتَقْتُلَنِي﴾** اللام للتعليل أي لأجل قتلي. قوله: **﴿مَا أَنَا بِبَاسِطٍ﴾** جواب للقسم لتقدمه، وحذف جواب الشرط لتأخره، قال ابن مالك:

وَاحْذُفْ لَدَى اجْتِمَاعِ شَرْطٍ وَقَسَمٍ ... جَوَابَ مَا أَخرت فَهُوَ مُلْتَزَم

والباء في بباسط زائدة في خبر ما، على أنها حجازية، وفي خبر المبتدأ على أنها تميمية. قوله: **﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾** أي فالمانع لي من قتلك خوف الله، وكان في شرعهم لا يجب دفع الصائل بل يجب الاستسلام له، وما في شرعنا فعند الشافعي يسنّ الاستسلام للمسلم الصائل، ويجب قتل الكافر، وعند مالك دفع الصائل واجب ولو بالقتل مسلماً أو كافراً. قوله: **﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي﴾** هذا تخويف من هابيل لقابيل لعله ينزجر. إن قلت: إنه لا تحل إرادة المعصية من الغير. أجيب بأجوبة منها: أن الهمزة محذوفة والاستفهام للإنكار، والأصل إني أريد، والمعنى لا أريد، ويؤيده هذا قراءة أني بفتح النون بمعنى كيف. ومنها: أن لا محذوفة أي أن لا تبوء على حد: ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾. قوله: **(والذي ارتكبته)** أي كالحسد ومخالفة أمر أبيه.

قوله: **﴿وَذَلِكَ﴾** أي المذكور وهو النار. قوله: **(زينت)** أي سهلت عليه القتل. قوله: **﴿فَقَتَلَهُ﴾** قيل لما قصد قتله لم يدر كيف يقتله، فتمثل له إبليس وقد أخذ طيراً فوضع رأسه على حجر ثم رضخه بحجر آخر، وقابيل ينظر فتعلم القتل، فوضع قابيل رأس هابيل بين حجرين وهو صابر، واختلف في موضع قتله، فقيل على عقبة حراء، وقيل بالبصرة عند مسجدها الأعظم. قوله: **(فحمله على ظهره)** أي في جراب، قيل أربعين يوماً وقيل سنة، روي لما قتل ابن آدم أخاه، رجفت بمن عليها سبعة أيام، وشربت الأرض دم المقتول كما تشرب الماء، فناداه الله: يا قابيل أين أخوك هابيل؟ فقال: ما أدري ما كنت عليه

ميت معه حتى وأراه ﴿لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي﴾ يستر ﴿سَوۡءَةَ﴾ جيفة ﴿أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ﴾ عن ﴿أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ۝٣١﴾ على حمله وحفر له وواراه ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ﴾ الذي فعله قابيل ﴿كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ﴾ أي الشأن ﴿مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ﴾ قتلها ﴿أَوۡ﴾ بغير ﴿فَسَادٖ﴾ أتاه ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من كفر أو زنا أو قطع طريق أو نحوه ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا﴾ بأن امتنع من قتلها ﴿فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ﴾ قال ابن عباس من حيث انتهاك حرمتها وصونها ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ﴾ أي بني إسرائيل ﴿رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ۝٣٢﴾ مجاوزون الحد بالكفر والقتل وغير ذلك ونزل في العرنيين لما قدموا المدينة وهم مرضى فأذن لهم

رقيباً، فقال الله له: إن دم أخيك ليناديني من الأرض، فلم قتلت أخاك؟ فقال: فأين دمه إن كنت قتلته، فحرم الله على الأرض من يومئذٍ أن تشرب دماً بعده أبداً. ويروى أنه لما قتل قابيل هابيل كان آدم بمكة، فاشتاك الشجر أي ظهر له شوك، وتغيرت الأطعمة وحمضت الفواكه، واغبرت الأرض، فقال آدم: قد حدث في الأرض حادث، فلما رجع آدم سأل قابيل عن أخيه فقال: ما كنت عليه وكيلاً، فقال: بل قتلته ولذلك اسود جلدك، فغضب عليه فذهب قابيل مطروداً، فأخذ أخته وهرب بها إلى عدن، فأتاه إبليس وقال له: إنما أكلت من النار قربان هابيل لأنه كان يعبد النار، فانصب أنت ناراً تكون لك ولعقبك، فبنى بيت النار فهو أول من عبد النار، وكان قابيل لا يمر به أحد إلا رماه بالحجارة، فأقبل ابن لقابيل أعمى ومعه ابنه، فقال ابن الأعمى لأبيه: هذا أبوك قابيل، فرماه بحجارة فقتله، فقال ابن الأعمى لأبيه: قتلت أباك قابيل، فرفع الأعمى يده ولطم ابنه فمات، فقال الأعمى: ويل لي قتلت أبي برميتي، وابني بلطمتي، واستمرت ذرية قابيل يفسدون في الأرض، إلى أن جاء طوفان نوح فأغرقهم جميعاً، فلم يبق منهم أحد ولله الحمد، وأبقى الله ذرية شيث إلى يوم القيامة، وما مات آدم حتى رأى من ذريته أربعين ألفاً. قوله: **(ويثيره على غراب ميت معه)** أي بعد أن وضعه في الحفرة التي نبشها.

قوله: ﴿**يَا وَيْلَتِي**﴾ كلمة تحسر، والألف بدل من ياء المتكلم، أي هذا أوانك فاحضري. قوله: ﴿**أَعَجَزْتُ**﴾ تعجب من عدم اهتدائه إلى ما اهتدى إليه الغراب. قوله: ﴿**فَأَصْبَحَ**﴾ أي صار من النادمين على حمله، أي أو على عدم اهتدائه للدفن أو لا، فلا يقال إن الندم توبة، فيقتضي أنه تاب فلا يخلد في النار. قوله: **(الذي فعله قابيل)** أي من الفساد. قوله: ﴿**كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ إنما خصهم بالذكر، وإن كان القصاص في كل ملة، لأن اليهود مع علمهم بهذه المبالغة العظيمة، أقدموا على قتل الأنبياء والأولياء، وذلك يدل على قسوة قلوبهم.

قوله: ﴿**وَمَنْ أَحْيَاهَا**﴾ أي تسبب في بقائها، إما بنهي قاتلها عن قتلها، أو بإطعامها وحفظها من الأسباب المهلكة. قوله: **(أي من حيث انتهاك حرمتها)** أي النفوس المقتولة، ولذا ورد في الحديث: «من سنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة» فقابل عليه وزر كل من وقع منه القتل من بني آدم لتسببه في ذلك، فإنه أول من وقع منه القتل. قوله: **(ونزل)** وجه المناسبة بينها وبين قصة ابني آدم ظاهرة، لأن قابيل قتل وأفسد في الأرض هو وذريته. قوله: **(في العرنيين)** جمع عرني نسبة لعرينة قبيلة من العرب، كجهني نسبة لجهينة، وكانوا ثمانية رجال قدموا المدينة وأظهروا الإسلام وكانوا مرضى، فاشتكوا

النبي ﷺ أن يخرجوا إلى الإبل ويشربوا من أبوالها وألبانها فلما صحوا قتلوا راعي النبي ﷺ واستاقوا الإبل ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بمحاربة المسلمين ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ بقطع الطريق ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ أي أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى ﴿أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أو لترتيب الأحوال فالقتل لمن قتل فقط والصلب لمن قتل وأخذ المال والقطع لمن أخذ المال ولم يقتل والنفي لمن أخاف فقط قاله ابن عباس وعليه الشافعي وأصح قوليه أن الصلب ثلاثاً بعد القتل وقيل قبله قليلاً ويلحق بالنفي ما أشبهه

له ﷺ من مرضهم، فأمرهم أن يخرجوا إلى إبل الصدقة، وكانت خمسة عشر ترعى في الجبل مع عتيق للمصطفى يقال له يسار النوبي، فلما صحوا قتلوا الراعي واستاقوا الإبل وارتدوا عن الإسلام، **فقد وقع** منهم المحاربة والقتل والسرقة والارتداد، فبلغ رسول الله خبرهم، فأرسل خلفهم نحو عشرين **فارساً**، فأتوا بهم فأمر رسول الله ﷺ بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وسمر أعينهم أي كحلهم بالنار، وتركهم بالحرة يعضون الحجارة ويستسقون فلم يسقهم أحد. إن قلت: تسمير الأعين وموتهم بالجوع والعطش مثلة ورسول الله نهى عنها. أجيب بأجوبة منها: أنهم فعلوا بالراعي كذلك، ومنها أن ذلك خصوصية له ﷺ فيهم، ومنها أن ذلك كان جائزاً ثم نسخ. قوله: **(ويشربوا من أبوالها)** أخذ مالك من ذلك طهارة فضلة مأكول اللحم. قوله: **(بمحاربة المسلمين)** أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف تقديره يحاربون أولياء الله وأولياء رسوله وهم المسلمون، وأفاد به أن هذا الأمر مستمر إلى يوم القيامة.

قوله: **﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ﴾** هذا تصوير للمحاربة، وقوله: **﴿فَسَاداً﴾** مفعول لأجله، أي يسعون لأجل الفساد. قوله: **(بقطع الطريق)** أي لأخذ المال أو هتك الحريم أو قتل النفوس. قوله: **﴿أَنْ يُقَتَّلُوا﴾** أي من غير صلب، وقوله: **﴿أَوْ يُصَلَّبُوا﴾** أي مع القتل في محل مشهور لزجر غيره، والتفعيل للتكثير لكثرة المحاربين.

قوله: **﴿أَوْ يُنْفَوا مِنَ الأَرْضِ﴾** أي إلى مسافة القصر فما فوقها. قوله: **(أو لترتيب الأحوال)** أي التقسيم فيها، والمعنى أن هذه العقوبات على حسب أحوال المحاربين، وبيَّن المفسر ذلك، قال بعض العلماء أوفى جميع القرآن للتخيير إلا هذه الآية. قوله: **(وعليه الشافعي)** أي موافقاً في الاجتهاد لابن عباس لا مقلداً له، وعند مالك أو على بابها للتخيير لكن بحسب ما يراه الحاكم، فحدود المحارب أربعة لا يجوز الخروج عنها، وإنما الإمام مخير في فعل أيها شاء بالمحارب ما لم يقتل المحارب مسلماً مكافئاً ولم يعف وليه فإنه يتعين قتله، فإن عفا الولي رجع التخيير للإمام، فما أوجبه الشافعي استحسنه مالك للإمام وجاز غيره، مثلاً يجب على الإمام قتل القاتل، ولا يجوز غيره من الصلب والقطع من خلاف عند الشافعي، واستحسنه مالك للإمام ويجوز غيره من الحدود. قوله: **(إن الصلب ثلاثاً)** أي لا أقل إلا أن يخاف التغيير، وقيل يطال به حتى ينقطع جسده. قوله: **(وقيل قبله قليلاً)** أي بحيث يحصل الزجر به، وهذا مشهور مذهب مالك وأبي حنيفة وعليه فيقتل وهو مصلوب. قوله: **(ويلحق بالنفي ما أشبهه)** أي لأن المقصود من النفي البعد عن الخلق، وذلك كما يحصل بإبعاده من الأرض التي هو بها يحصل بحبسه، ولو في الأرض التي هو بها، وهذا مذهب الشافعي ووافقه أبو حنيفة، وقال مالك النفي إبعاده من الأرض على مسافة القصر، ولا يكفي حبسه بأرضه.

في التنكيل من الحبس وغيره ﴿ذَٰلِكَ﴾ الجزاء المذكور ﴿لَهُمْ خِزْيٌ﴾ ذل ﴿فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٣٣﴾ هو عذاب النار ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ من المحاربين والقطاع ﴿مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم ما أتوا ﴿رَّحِيمٌ﴾ ﴿٣٤﴾ بهم عبر بذلك دون فلا تحدوهم ليفيد أنه لا يسقط عنه بتوبته إلا حدود الله دون حقوق الآدميين كذا ظهر لي ولم أر من تعرض له والله أعلم فإذا قتل وأخذ المال يقتل ويقطع ولا يصلب وهو أصح قولي الشافعي ولا تفيد توبته بعد القدرة عليه شيئاً وهو أصح قوليه أيضاً ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ خافوا عقابه بأن تطيعوه ﴿وَابْتَغُوا﴾ اطلبوا ﴿إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ ما يقربكم اليه من طاعته ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾

قوله: ﴿**ذٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ**﴾ اسم الإشارة مبتدأ، ولهم خبر مقدم، وخزي مبتدأ مؤخر، والجملة خبر المبتدأ، و ﴿**فِي الْدُّنْيَا**﴾ صفة الخزي، وهذا أحسن الأعاريب. قوله: ﴿**وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ هذا محمول على من مات كافراً، وأما حدود المسلمين فالمعتمد أنها جوابر. قوله: ﴿**إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا**﴾ استثناء منقطع أي لكن التائب يغفر له. قوله: (**ليفيد إنه لا يسقط الخ**)حاصل ذلك أنه إن كان كافراً أو تاب، سقطت عنه جميع التبعات حدوداً أو غيرها، وأما إن كان مسلماً سقط عنه حقوق الله لا حقوق الآدميين، مثلاً إن قتل وجاء تائباً، فالنظر للولي إن شاء عفا وإن شاء اقتص. قوله: (**كذا ظهر لي**) أي فهمه من الآية، وقوله: (**ولم أر من تعرض له**) أي من المفسرين وإن كان مذكوراً في كتب الفقه. قوله: (**يقتل ويقطع**) هذا سبق قلم والمناسب حذف قوله ويقطع، والحاصل عند الشافعي أنه إذا قتل وتاب، فإن عفا الولي سقط القتل وإلا فيقتل فقط، وأما إن كان أخذ المال وتاب، فإنه يؤخذ منه المال ولا يقطع، خلافاً لما ذكره المفسر من أنه إذا قتل وأخذ المال ثم تاب فإنه يجمع له بين القتل والقطع، وإنما المنفي عنه الصلب، وما ذكرناه من المعتمد عند الشافعي يوافقه مالك. قوله: (**وهو أصح قولي الشافعي**) أي ومقابله أنه يصلب.

قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ**﴾ لما ذكر سبحانه وتعالى أن التوبة من الذنوب نافعة، وكانت التوبة من جملة التقوى حث على طلبها هنا. قوله: ﴿**إِلَيْهِ**﴾ متعلق بابتغوا. قوله: (**ما يقربكم إليه**) أي يوصلكم إليه، وقوله: (**من طاعته**) بيان لما، سواء كانت تلك الطاعة فرضاً أو نفلاً لما في الحديث: «وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به» الحديث. فالتقوى هنا ترك المخالفات، وابتغاء الوسيلة فعل المأمورات، ويصحّ أن المراد بالتقوى امتثال المأمورات الواجبة وترك المنهيات المحرمة، وابتغاء الوسيلة ما يقربه إليه مطلقاً، ومن جملة ذلك: محبة أنبياء الله وأوليائه، والصدقات، وزيارة أحباب الله، وكثرة الدعاء، وصلة الرحم، وكثرة الذكر وغير ذلك، فالمعنى كل ما يقربكم إلى الله فالزموه، واتركوا ما يبعدكم عنه، إذا علمت ذلك، فمن الضلال البين والخسران الظاهر، تكفير المسلمين بزيارة أولياء الله، زاعمين أن زيارتهم من عبادة غير الله، كلا بل هي من جملة المحبة في الله التي قال فيها رسول الله ﷺ: «ألا لا إيمان لمن لا محبة له والوسيلة له التي قال الله فيها وابتغوا إليه الوسيلة».

قوله: ﴿**وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ**﴾ عطف خاص على عام، إشارة إلى أن الجهاد من أعظم الطاعات،

لإعلاء دينه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ﴿٣٥﴾ تفوزون ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ﴾ ثبت ﴿أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿يُرِيدُونَ﴾ يتمنون ﴿أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ ﴿٣٧﴾ دائم ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ أل فيهما موصولة مبتدأ ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ أي يمين كل منهما من الكوع وبينت السنة أن الذي يقطع فيه ربع دينار فصاعداً وأنه إذا عاد قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم ثم اليد اليسرى ثم الرجل اليمنى وبعد ذلك يعزر

وهو قسمان: أصغر وهو قتال المشركين، وأكبر وهو الخروج عن الهوى والنفس والشيطان، وكان قتال المشركين جهاداً أصغر لأنه يحضر تارة ويغيب أخرى، وإذا قتلك الكافر كنت شهيداً، وإن قتلته صرت سعيداً، بخلاف النفس فلا تغيب عنك وإذا قتلتك صرت من الأشقياء، نسأل الله السلامة. قوله: **(تفوزون)** أي تظفرون بسعادة الدارين.

قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ هذا كالدليل لما قبله، كأن الله يقول الزموا التقوى ليحصل لكم الفوز، لأن من لم تكن عنده التقوى كالكفار، لا ينفعه الفداء من العذاب الخ. قوله: ﴿**لَوْ أَنَّ لَهُمْ**﴾ لو شرطية، وفعل الشرط محذوف قدره المفسر بقوله: **(ثبت)** ﴿**أَنَّ**﴾ وما دخلت عليه فاعل ثبت، و ﴿**لَهُمْ**﴾ خبر أن مقدم، و ﴿**مَا فِي الْأَرْضِ**﴾ اسمها مؤخر، و ﴿**جَمِيعاً**﴾ توكيد له أو حال منه، و ﴿**مِثْلَهُ**﴾ معطوف على اسم ﴿**أَنَّ**﴾ وقوله: ﴿**لِيَفْتَدُوا**﴾ علة له، وقوله: ﴿**بِهِ**﴾ أي بما ذكر وهو ﴿**مَا فِي الْأَرْضِ**﴾ ومثله أو حذفه من الأول لدلالة الثاني عليه على حد: فإني وقيار بها لغريب، والتقدير لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ليفتدوا به، ومثله معه ليفتدوا به، وقوله: ﴿**مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ**﴾ جواب الشرط، و ﴿**لَوْ**﴾ مع مدخولها في محل رفع خبر أن الأولى. والمعنى لو ثبت أن للكفار ما في الأرض جميعاً، ومثله معه، ويريدون الافتداء بذلك من العذاب ما نفعهم ذلك، وهو كناية عن عدم قبولهم، وعدم نفع عز الدنيا لهم. قوله: **(يتمنون)** أي حيث يقولون يا مالك ليقض علينا ربك. قوله: ﴿**وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ**﴾ دفع بذلك ما يتوهم من قوله: ﴿**وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ أنه ربما ينقطع.

قوله: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ**﴾ جمهور القراء على الرفع على الابتداء، ولا يصح النصب على الاشتغال، لأن ما بعد فاء الجزاء لا يعمل فيما قبلها، وما لا يعمل لا يفسر عاملاً، وهذه الفاء تشبه فاء الجزاء، وصرح بالسارقة لكون السرقة معهودة منهن أيضاً، وقدم سبحانه وتعالى السارق على السارقة هنا، وقدم الزانية على الزاني في سورة النور، لأن الرجال في السرقة أقوى من النساء، والزنا من النساء أقوى من الرجال. قوله: **(أل فيهما موصولة)** أي وصلتها الصفة الصريحة، أي الذي سرق والتي سرقت. قوله: **(مبتدأ)** أي وهو مرفوع بضمة ظاهرة، لأن إعرابها ظهر فيما بعدهما. قوله: **(دخلت الفاء في خبره وهو)** ﴿**فَاقْطَعُوا**﴾ أي فجملة ﴿**فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا**﴾ خبر المبتدأ، ولا يضر كونه جملة طلبية على المعتمد، وقيل الخبر محذوف وتقديره مما يتلى عليكم حكمها، وما بعد الفاء تفصيل له. قوله: **(ربع دينار)** أي أو ثلاثة دراهم شرعية، أو مقوم بها، ويشترط في القطع إخراجه من حرز مثله، غير مأذون له في دخوله، ويثبت القطع ببينة أو بإقراره طائعاً، فإن أقر ثم رجع لزمه المال دون القطع، فإن سرق ولم تثبت عليه

﴿جَزَآءً﴾ نصب على المصدر ﴿بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا﴾ عقوبة لهما ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ ﴿٣٨﴾ في خلقه ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ﴾ رجع عن السرقة ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٣٩﴾ في التعبير بهذا ما تقدم فلا يسقط بتوبته حق الآدمي من القطع ورد المال نعم بينت السنة أنه إن عفا عنه قبل الرفع إلى الامام سقط القطع وعليه الشافعي ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ الاستفهام فيه للتقرير ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ تعذيبه ﴿وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ المغفرة له ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٤٠﴾ ومنه التعذيب والمغفرة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ﴾ صنع ﴿ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ يقعون فيه بسرعة أي يظهرونه إذا وجدوا فرصة ﴿مِنَ﴾ للبيان ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ بألسنتهم متعلق بقالوا ﴿وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾

السرقة، وجب عليه الستر على نفسه ورد المال والتوبة منه، وكذا كل معصية، فمن الجهل قول بعض من يدعي التصوف: لو اطلعتم علي لرجمتموني، وبالجملة من ستر على نفسه ستره الله. قوله: **(نصب على المصدر)** أي والعامل محذوف تقديره جازاه الله جزاء، ويصح أن يكون مفعولاً لأجله، أي اقطعوا أيديهما لأجل الجزاء، وقوله: **﴿بِمَا كَسَبَا﴾** الباء سببية أي بسبب كسبهما، وقوله: **﴿نَكَالاً﴾** علة للعلة فالعامل فيه جزاء. قوله: **(غالب على أمره)** أي فلا معقب لحكمه، لأنه القاهر على كل شيء. قوله: **(حكيم)** أي يضع الشيء في محله، فلا يحكم بقطع يده ظلماً لأن السارق لما خان هان، ولذا أورد بعض اليهود على القاضي عبد الوهاب البغدادي سؤالاً حيث:

يَـدٌ بِخَمْس مئـين عَـسْجَـدٍ وديـت   مَـا بَـالهَـا قـطعَت فِي رُبْـعِ دِينَـار

فأجابه رضي الله عنه بقوله:

عِـزُّ الأَمَـانَـةُ أَغْـلاَهَـا وَأَرْخَصَهَـا   ذلُّ الخِيَانَـةِ فَـافْهَمْ حِكْمَـةَ البَـارِي

قوله: **﴿مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾** أي من بعد تعديه وأخذه المال وظلمه للناس. قوله: **(في التعبير بهذا)** أي قوله: **﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾** دون أن يقول فلا تحدوه. قوله: **(وعليه الشافعي)** أي وعند مالك فلا ينفع عفوه عنه مطلقاً قبل الرفع أو بعده، حيث ثبتت السرقة ببينة أو إقرار، ولم يرجع بل يقطع لأنه حق الله، وقوله: (قبل الرفع) أي وأما بعده فلا بد من قطعه اتفاقاً. قوله: **﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾** أي إن لم يتب فالميت المصر على الذنب تحت المشيئة خلافاً للمعتزلة. قوله: **(ومن التعذيب والمغفرة)** أي من الشيء المقدور عليه.

قوله: **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾** أل للعهد الحضوري، أي الرسول الحاضر وقت نزول القرآن وهو محمد ﷺ، ولم يخاطب بيا أيها الرسول إلا في موضعين هذا وما يأتي في هذه السورة. قوله: **﴿لَا يَحْزُنْكَ﴾** قرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي، والباقون بفتح الياء وضم الزاي، والمقصود نهي النبي ﷺ عن الحزن الناشىء عن مسارعتهم إلى الكفر، رفقاً به وتسلية له. قوله: **(إذا وجدوا فرصة)** أي زمناً يتمكنون فيه من الظفر بمطلوبهم، فالكفر حاصل منهم على كل حال، غير أنهم إذا وجدوا زمناً أو مكاناً يتمكنون فيه من إظهاره فعلوا قال تعالى: ﴿قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر﴾ قوله: **﴿مِنَ﴾ (للبيان)** أي لقوله: **﴿الَّذِينَ يُسَارِعُونَ﴾** على حد: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾. قوله: **(متعلق بقالوا)**

وهم المنافقون﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾قوم﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾الذي افترته أحبارهم سماع قبول ﴿سَمَّٰعُونَ﴾منك﴿لِقَوْمٍ﴾لأجل قوم﴿ءَاخَرِينَ﴾من اليهود﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾وهم أهل خيبر زنى فيهم محصنان فكرهوا رجمهما فبعثوا قريظة ليسألوا النبي ﷺ عن حكمهما ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ الذي في التوراة كآية الرجم﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ التي وضعه الله عليها أي يبدلونه ﴿يَقُولُونَ﴾ لمن أرسلوهم ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا﴾ الحكم المحرف أي الجلد أي أفتاكم به محمد ﴿فَخُذُوهُ﴾ فاقبلوه ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ﴾ بل أفتاكم بخلافه ﴿فَٱحْذَرُواْ﴾ أن تقبلوه ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ﴾ إضلاله ﴿فَلَن

أي لا بآمنا، والمعنى أن إيمانهم لم يجاوز أفواههم، وقوله: ﴿وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ الجملة حالية. قوله: (وهم المنافقون) أي ويسمون الآن زنادقة.

قوله: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ يحتمل أنه معطوف على ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا﴾ فيكون بياناً للذين يسارعون في الكفر أيضاً وهو الأقرب، وعليه فقوله: ﴿سَمَّاعُونَ﴾ حال من الذين ﴿هَادُوا﴾ ويحتمل أنه خبر مقدم، وقوله ﴿سَمَّاعُونَ﴾ صفة لموصوف محذوف هو المبتدأ المؤخر، فيكون كلاماً مستأنفاً، وقد مشى عليه المفسر، وعلى كل فقوله: ﴿لهم في الدنيا خزي﴾ الخ راجع للفريقين.

قوله: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ أي من أحبارهم، وسبب نزولها أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة، وقع بينه وبين قريظة صلح، فصاروا يترددون عليه، وبينه وبين يهود خيبر حرب، فاتفق أنه زنى منهم محصنان شريف بشريفة، فأفتوهم الأحبار بأنهما يجلدان مائة سوط، ويسودان بالفحم، ويركبان على حمار مقلوبين، ثم إنهم بعثوا قريظة للنبي ﷺ يسألونه عن ذلك، وقالوا لهم: إن قال لكم مثل ذلك فهو صادق، وقوله حجة لنا عند ربنا، وإلا فهو كذاب. فأتوه فأخبرهم بأنهما يرجمان، وفي التوراة كذلك، فقالوا إن أحبارنا أخبرونا بأنهما يجلدان، فقال جبريل للنبي ﷺ اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له، فقال النبي ﷺ: هل تعرفون شاباً أبيض أعور يقال له ابن صوريا؟ قالوا: نعم هو أعلم يهودي على وجه الأرض بما في التوراة، قال: فأرسلوا إليه فأحضروه، ففعلوا فأتاهم، فقال له النبي ﷺ: أنت ابن صوريا؟ قال: نعم، قال: وأنت أعلم اليهود؟ قال: كذلك يزعمون، قال النبي: أترضون به حكماً؟ قالوا: نعم، قال النبي: أنشدك الله الذي لا إله إلا هو الذي فلق البحر وأنجاكم وأغرق آل فرعون؛ هل تجدون في كتابكم الرجم على من أحصن؟ قال: نعم والذي ذكرتني به لولا خشيت أن تحرقني التوراة إن كذبت أو غيّرت ما اعترفت، فوثب عليه سفلة اليهود، فقال: أنا خفت إن كذبت ينزل علينا العذاب، ثم سأل النبي عن أشياء كان يعرفها من أعلامه، فأجابه عنها فأسلم، وأمر النبي بالزانيين فرجما عند باب المسجد. هكذا ذكر شيخنا الشيخ الجمل عن أبي السعود ولم نرها فيه، ولكن تقدم لنا أن ابن صوريا أتى بالتوراة وقرأ ما قبل آية الرجم وما بعدها ووضع يده عليها ولم يقرأها، فنبهه عليها عبد الله بن سلام فافتضح هو وأصحابه، فلعلهما روايتان في إسلامه وعدمه. قوله: (أي يبدلونه) أي بأن يضعوا مكانه غيره.

قوله: ﴿يَقُولُونَ﴾ أي يهود خيبر، وقوله: (لمن أرسلوهم) أي وهم قريظة. قوله: (الحكم المحرف)

تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ في دفعها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ من الكفر ولو أراده لكان ﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ ذل بالفضيحة والجزية ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ هم ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ بضم الحاء وسكونها أي الحرام كالرشا ﴿فَإِن جَآءُوكَ﴾ لتحكم بينهم ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ هذا التخيير منسوخ بقوله وأن احكم بينهم الآية فيجب الحكم بينهم إذا ترافعوا إلينا وهو أصح قولي الشافعي فلو ترافعوا إلينا مع مسلم وجب إجماعاً ﴿وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا وَإِنْ حَكَمْتَ﴾ بينهم ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ العادلين في الحكم أي يثيبهم ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ بالرجم استفهام تعجيب أي لم يقصدوا بذلك معرفة الحق بل ما هو أهون عليهم ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ﴾ يعرضون عن حكمك بالرجم الموافق لكتابهم ﴿مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ التحكيم ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَنُورٌ﴾ بيان للأحكام ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾ من بني إسرائيل ﴿ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾ انقادوا لله ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾

أي في الواقع وليس المراد أنهم يقولون لهم ذلك، بل التحريف واقع من الأحبار سراً. قوله: **﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئاً﴾** فيه رد على المعتزلة القائلين بأن العبد يخلق أفعال نفسه. قوله: **(ذل بالفضيحة)** أي للمنافقين بظهور نفاقهم بين المسلمين، وقوله: **(والجزية)** أي لليهود.

قوله: **﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾** خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هم وكرره تأكيداً. قوله: **(بضم الحاء وسكونها)** أي فيها قراءتان سبعيتان، وسمي سحتاً لأنه يسحت البركة أي يمحقها ويذهبها. قوله: **(كالرشا)** أي والربا. قوله: **﴿أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾** أي بأن تردهم لأهل دينهم. قوله: **(منسوخ الخ)** وليس في هذه السورة منسوخ إلا هذا، وقوله: ﴿ولا آمين البيت الحرام﴾. قوله: **(وهو أصح قولي الشافعي)** أي ومقابله التخيير باق وليس بمنسوخ، وهو مشهور مذهب مالك. قوله: **(مع مسلم)** أي بأن كانت الدعوى بين مسلم وكافر. قوله: **(وجب إجماعاً)** أي بإجماع الأئمة. قوله: **﴿فَلَنْ يضُرُّوكَ شَيْئاً﴾** أي لأن الله عاصمك وحافظك من الناس. قوله: **﴿وَعِنْدَهُمُ﴾** خبر مقدم، و **﴿التَّوْرَاةُ﴾** مبتدأ مؤخر، والجملة حال من الواو في **﴿يُحَكِّمُونَكَ﴾**. قوله: **(استفهام تعجيب)** أي إيقاع للمخاطب في العجب. قوله: **(بل ما هو أهون عليهم)** أي وهو الجلد. قوله: **﴿وَمَا أُولٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾** أي لا بكتابهم لإعراضهم عنه وتحريفه، ولا بك لعدم الانقياد لك في أحكامك. قوله: **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ﴾** كلام مستأنف مسوق لبيان فضل التوراة، وأنها كتاب عظيم كله هدى ونور. قوله: **﴿فِيهَا هُدَى﴾** أي لمن أراد الله هدايته، وأما من أراد الله شقاوته فلا تنفعه التوراة ولا غيرها، قال البوصيري:

وإذا ضلت العقول على علـ ـم فماذا تقوله النصحاء

قوله: **﴿وَنُورٌ﴾** في الكلام استعارة مصرحة، حيث شبهت الأحكام بالنور بجامع الاهتداء في كل، واستعير اسم المشبه به للمشبه، وحيث أريد بالنور الأحكام، فالمراد بالهدى التوحيد، فالعطف مغاير. قوله: **﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾** كلام مستأنف لبيان المنتفع بالتوراة، وهم الأنبياء والعلماء والمراد بالأنبياء ما

العلماء منهم ﴿ وَٱلۡأَحۡبَارُ ﴾ الفقهاء ﴿ بِمَا ﴾ أي بسبب الذي ﴿ ٱسۡتُحۡفِظُواْ ﴾ استودعوه أي استحفظهم الله إياه ﴿ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ أن يبدلوه ﴿ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ ﴾ أنه حق ﴿ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ ﴾ أيها اليهود في إظهار ما عندكم من نعت محمد ﷺ والرجم غيرهما ﴿ وَٱخۡشَوۡنِ ﴾ في كتمانه ﴿ وَلَا تَشۡتَرُواْ ﴾ تستبدلوا ﴿ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ ﴾ من الدنيا تأخذونه على كتمانها ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ ﴿٤٤﴾ به ﴿ وَكَتَبۡنَا ﴾ فرضنا ﴿ عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ ﴾ أي التوراة ﴿ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ ﴾ تقتل ﴿ بِٱلنَّفۡسِ ﴾ إذا قتلتها ﴿ وَٱلۡعَيۡنَ ﴾ تفقأ ﴿ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ ﴾ يجدع ﴿ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ ﴾

يشمل المرسلين، فحكم المرسلين ظاهر، وحكم الأنبياء بالقضاء بها لا على أنها شرع لهم. قوله: ﴿**الَّذِينَ أَسْلَمُوا**﴾ أي كمل إسلامهم، وهو وصف كاشف، لأن كل نبي منقاد لله، وحكمة الوصف بذلك التعريض باليهود، حيث افتخروا بأصولهم ولم يسلموا، بل حرفوا التوراة وبدلوها.

قوله: ﴿**لِلَّذِينَ هَادُوا**﴾ اللام للاختصاص، أي أحكام التوراة مختصة بالذين هادوا، أعم من أن تكون أحكاماً لهم أو عليهم. قوله: ﴿**وَالرَّبَّانِيُّونَ**﴾ معطوف على ﴿**النَّبِيُّونَ**﴾. قوله: (**العلماء منهم**) وقيل **الزهاد**، وقيل الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره، وهذا لا ينافي كلام المفسر، بل يقال سموا ربانيين لكونهم منسوبين للرب لزهدهم ما سواه، أو للتربية لكونهم يربون الخلق.

قوله: ﴿**وَالأَحْبَارُ**﴾ جمع حبر بالفتح والكسر، وأما المداد فبالكسر لا غير من التحبير وهو التحسين، يقال حبره إذا حسنه، سموا بذلك لأنهم يزينون الكلام ويحسنونه، وهو عطف على النبيون أيضاً، وقد وسط بين المعطوفات الذين هم الحكام بالمحكوم لهم، وذكر الأحبار بعد الربانيين من ذكر العام بعد الخاص، لأن الحبر العالم كان ربانياً أو لا. قوله: (**أي بسبب الذي**) أشار بذلك إلى أن الباء سببية، وما اسم موصول بمعنى الذي، والعائد محذوف أي بسبب الذي استحفظوه، وفاعل الحفظ هو الله أي بسبب الشرع الذي أمرهم الله بحفظه، وقوله: ﴿**مِنْ كِتَابِ اللَّهِ**﴾ بيان لما فالأنبياء والعلماء أمناء الله على خلقه، يحكمون بين الناس بأحكام الله التي علمها الله لهم، ومن لم يحكم بذلك فقد خان الله في أمانته وكذب على ربه، فحينئذٍ يستحق الوعيد.

قوله: ﴿**فَلَا تَخْشَوا النَّاسَ**﴾ تفريع على قوله: ﴿**وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ**﴾ والخطاب لعلماء اليهود الذين في زمنه ﷺ. قوله: (**وغيرهما**) أي كقوله تعالى: ﴿**أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ**﴾ فغيروها وقالوا ما لم يكن القاتل شريفاً وإلا فلا يقتل بالوضيع. قوله: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ نزلت في قريظة وبني النضير، فكان الواحد من بني النضير إذا قتل واحداً من قريظة أدى إليهم نصف الدية، وإذا قتل الواحد من قريظة واحداً من بني النضير أدى إليهم الدية كاملة، فغيروا حكم الله الذي أنزله في التوراة، وكل آية وردت في الكفار تجرّ بذيلها على عصاة المؤمنين.

قوله: ﴿**وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا**﴾ هذا شرع من قبلنا وهو شرع لنا ولم يرد ما ينسخه، ففي هذه الآية دليل لمذهب مالك حيث قال: شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد ناسخ. قوله: ﴿**أَنَّ النَّفْسَ**﴾ أن حرف توكيد ونصب، والنفس اسمها، وقوله: ﴿**بِالنَّفْسِ**﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر أن، قدره المفسر بقوله: (**تقتل**) وهو حل معنى لا حل إعراب، لأن الخبر يقدر كوناً عاماً لا خاصاً، فالمناسب تقديره

تقطع ﴿بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ﴾ تقلع ﴿بِٱلسِّنِّ﴾ وفي قراءة بالرفع في الأربعة ﴿وَٱلْجُرُوحَ﴾ بالوجهين ﴿قِصَاصٌ﴾ أي يقتص فيها إذا أمكن كاليد والرجل والذكر ونحو ذلك وما لا يمكن فيه الحكومة وهذا الحكم وإن كتب عليهم فهو مقرر في شرعنا ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ﴾ أي بالقصاص بأن مكن من نفسه ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ لما أتاه ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ في القصاص وغيره ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿وَقَفَّيْنَا﴾ أتبعنا ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ أي النبيين ﴿بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله ﴿مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَنُورٌ﴾ بيان للأحكام

تؤخذ ليصلح للجميع، والجملة من أن واسمها وخبرها في محل نصب على المفعولية بكتبنا، واعلم أنه قرىء بنصب الجميع وهو ظاهر لأنه معطوف على اسم أن، وقرىء برفع الأربعة مبتدأ وخبر معطوف على جملة أن واسمها وخبرها ويؤول كتبنا بقلنا، فالجمل كلها في محل نصب مقول القول وهو الأحسن، وقرىء بنصب الجميع ما عدا الجروح فبالرفع مبتدأ وخبر معطوف على أن واسمها وخبرها.

قوله: ﴿وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ﴾ بضم الذال وسكونها قراءتان سبعيتان. قوله: **(بالوجهين)** أي الرفع والنصب عند نصب الجميع، وأما عند رفع ما قبله فبالرفع لا غير. قوله: **(وما لا يمكن)** ما اسم موصول مبتدأ، وقوله: **(فيه الحكومة)** خبر قوله: **(فيه الحكومة)** أي بأن يقدر رقيقاً سالماً من العيوب، ثم ينظر لما نقصه فيؤخذ بنسبته من الدية، وظاهر المفسر أن كل ما لا يمكن فيه القصاص فيه الحكومة ولعله مذهبه، وإلا فمذهب مالك الحكومة في كل ما لم يرد فيه شيء مقرر في الخطأ، وإلا ففيه ما قرر في الخطأ كرض الأنثيين وكسر الصلب ففيه الدية كاملة، وفي نحو الجائفة والآمة ثلثها على ما هو مبين في المذاهب. قوله: **(بأن مكن)** أي القاتل من نفسه للقصاص، ويحتمل أن المعنى فمن تضدق به أي القصاص بأن عفا الولي عن القاتل فهو كفارة لما عليه من الذنوب، والحاصل أن القاتل تعلق به ثلاث حقوق: حق لله وحق للولي وحق للمقتول، فإن سلم القاتل نفسه طوعاً تائباً سقط حق الله وحق الولي ويرضي الله المقتول من عنده، وأما إن أخذ القاتل كرهاً وقتل من غير توبة فقد سقط حق الولي وبقي حق الله وحق المقتول، هكذا ذكره ابن القيم وهو مبني على أن الحدود زواجر، أما على ما مشى عليه مالك من أن الحدود جوابر، فمتى قتل ولو من غير توبة فقد سقطت الحقوق كلها، لأن السيف يجب ما قبله.

قوله: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي لمخالفة شرع الله مع عدم استحلاله لذلك، وعبر فيما تقدم بالكافرون لتبديلهم وتغييرهم ما أنزل الله واستحلالهم لذلك. قوله: ﴿وَقَفَّيْنَا﴾ شروع في ذكر ما يتعلق بفضل عيسى وكتابه، بعد ذكر فضل موسى وكتابه، وقفينا من التقفيه وهي الإتيان في القفا، ومعناه العقب، وقد ضمن قفينا معنى جئنا فلا يقال يلزم عليه أن التضعيف كالهمزة، فمقتضاه أن يتعدّى لمفعولين، بأن يقال مثلاً وقفيناهم عيسى. قوله: **(أتبعنا)** أي جئنا بعيسى تابعاً لآثارهم. قوله: **(أي النبيين)** أي المتقدم ذكرهم في قوله يحكم بها النبيون، فالأنبياء الذين بين موسى وعيسى يعملون بالتوراة ويحكمون بها بين الناس، فلما جاء عيسى نسخ العمل بالتوراة، وصار الحكم للإنجيل قوله: ﴿مُصَدِّقاً﴾ حال من عيسى، وقوله: ﴿مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ بيان لما. قوله: ﴿وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ﴾ معطوف على قفينا. قوله: ﴿فِيهِ﴾ خبر مقدم، و ﴿هُدًى﴾ مبتدأ مؤخر ﴿وَنُورٌ﴾ معطوف عليه، والجملة حال من الإنجيل، والمراد

﴿ وَمُصَدِّقًا ﴾ حال ﴿ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ لما فيها من الأحكام ﴿ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ وَ ﴾ ﴿٤٦﴾ قلنا ﴿ لِيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ﴾ من الأحكام وفي قراءة بنصب يحكم وكسر لامه عطفاً على معمول آتيناه ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ﴾ يا محمد ﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ القرآن ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ متعلق بأنزلنا ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ قبله ﴿ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا ﴾ شاهداً ﴿ عَلَيْهِ ﴾ والكتاب بمعنى الكتب ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُم ﴾ بين أهل الكتاب إذا ترافعوا إليك ﴿ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ إليك ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ عادلاً ﴿ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا

بالهدى التوحيد، وبالنور الأحكام، فالعطف مغاير.

قوله: ﴿وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي معترفاً بأنها من عند الله وإن نسخت أحكامها، لأن الله سبحانه وتعالى كلف أمة كل عصر بأحكام تناسبها، فالنسخ في الأحكام الفرعية لا الأصول، كالتوحيد فلا نسخ فيه، بل ما كان عليه آدم من التوحيد، هو ما عليه باقي الأنبياء. قوله: ﴿وَهُدًى﴾ أي ذو هدى، أو يولغ فيه حتى جعل نفس الهدى مبالغة، على حد زيد عدل، وعبر أولاً بقوله فيه هدى وثانياً بقوله وهدى مبالغة. قوله: ﴿وَمُوعِظَةً﴾ أي أحكام يتعظون بها، والحكمة في زيادة الموعظة في الإنجيل دون التوراة، لأن التوراة كان فيها الأحكام الشرعية فقط، وإنما المواعظ كانت في الألواح وقد تكسرت، وأما الإنجيل فهو مشتمل على الأحكام والمواعظ.

قوله: ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ خصهم لأنهم المنتفعون بذلك. قوله: ﴿وَ﴾ **(قلنا)** قدره المفسر إشارة إلى أن الواو حرف عطف، والمعطوف محذوف، وقوله: ﴿لِيَحْكُمْ﴾ اللام لام الأمر والفعل مجزوم بها، والجملة مقول القول، والمحذوف معطوف على آتينا، والمعنى آتينا عيسى ابن مريم الإنجيل وأمرناه ومن تبعه بالحكم به. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: **(بنصب يحكم)** أي بأن مضمرة بعد لام كي. قوله: **(عطفاً على معمول آتيناه)** فيه شيء لأنه إن أراد معموله الذي هو الإنجيل فهو غير ظاهر، وإن أراد معموله الذي هو قوله هدى وموعظة، والمعنى آتيناه الإنجيل لأجل الهدى والموعظة، ولحكم أهل الإنجيل فهو صعب التركيب، والأحسن أن قوله ليحكم متعلق بمحذوف، والواو للاستئناف، والمعنى وآتيناه ذلك ليحكم. قوله: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ عبر بالفسق هنا لأنه خروج عن أمره تعالى وطاعته، لأنه تقدمه أمر وهو قوله ليحكم، وفي الحقيقة الفسق يرجع للظلم لأنه مخالفة الأمر، فتعبيره بالظلم أولاً، وبالفسق ثانياً تفنن.

قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ معطوف على أنزلنا التوراة. قوله: **(متعلق بأنزلنا)** المناسب أن يقول متعلق بمحذوف حال من الكتاب، وقوله: ﴿مُصَدِّقاً﴾ حال ﴿مِنَ الكِتَابِ﴾ أيضاً. قوله: ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ بيان لما وأل في الكتاب للجنس، فيشمل جميع الكتب السماوية. قوله: ﴿وَمُهَيْمِناً﴾ المهيمن معناه الحاضر الرقيب، فالقرآن شاهد على سائر الكتب، وعلى من آمن من أصحابها ومن كفر. قوله: **(والكتاب بمعنى الكتب)** أي فأل للجنس.

قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ الخطاب للنبي والمراد غيره، والمعنى لا يميل الحاكم بين الناس

﴿مِنكُمْ﴾ أيها الأمم ﴿شِرْعَةً﴾ شريعة ﴿وَمِنْهَاجًا﴾ طريقاً واضحاً في الدين يمشون عليه ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على شريعة واحدة ﴿وَلَٰكِن﴾ فرقكم فرقاً ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم ﴿فِي مَا آتَاكُمْ﴾ من الشرائع المختلفة لينظر المطيع منكم والعاصي ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ سارعوا إليها ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ مرجعكم جميعاً بالبعث ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (٤٨) من أمر الدين ويجزي كلا منكم بعمله ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ﴾ ﴿أَن﴾ لا ﴿يَفْتِنُوكَ﴾

لأهوائهم بأن يحكم بها ويترك ما أنزل الله. قوله: ﴿مِنَ الْحَقِّ﴾ بيان لما. قوله: (أيها الأمم) أي من لدن آدم إلى محمد، فكل أمة لها شرع مختص بها، والاختلاف إنما هو في الفروع لا الأصول، فكل ما ورد دالاً على اختلاف الشرائع كهذه الآية، فباعتبار الفروع وما ورد دالاً على الاتحاد، كقوله: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً﴾وقوله: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ فمحمول على الأصول. قوله: ﴿شِرْعَةً﴾ أي أحكاماً شرعها وبيَّنها للتعبد بها، والشريعة في كلام العرب مورد الماء الذي يقصد للشرب منه، استعير للطريقة الإلهية، قال بعضهم: للشريعة والمنهاج عبارة عن معنى واحد، التكرار للتأكيد. قوله: ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي جماعة متفقة على دين واحد من غير نسخ.

قوله: ﴿وَلَٰكِنْ لِيَبْلُوكُمْ﴾ هذا هو حكمة تفرق الشرائع في الفروع. قوله: (لينظر المطيع) أي ليظهر أمر المطيع من العاصي. قوله: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ أي بادروا إلى وجوه البر والطاعات قوله: (جميعاً) حال من الكاف في مرجعكم، ولا يقال هو حال من المضاف إليه وهو لا يجوز، لأنه يقال المضاف مقتض للعمل في المضاف إليه، قال ابن مالك:

وَلَا تُجِزْ حَالاً مِنَ الْمُضَافِ لَهُ ... إِلَّا إِذَا اقْتَضَى الْمُضَافُ عَمَلَهُ

قوله: ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ﴾ أي يخبركم بالذي كنتم تختلفون فيه، فيترتب على ذلك الثواب للمطيع والعقاب للعاصي. قوله: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ﴾ الواو حرف عطف، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر معطوف على الكتاب، التقدير وأنزلنا إليك الكتاب والحكم والفعل وإن كان أمراً لفظاً، إلا أنه في معنى المضارع ليفيد استمرار الحكم، وليس هذا مكرراً مع قوله فاحكم بينهم بما أنزل الله، لأن ما تقدم في شأن رجم المحصنين، وما هنا في شأن الدماء والديات، لأن سبب نزولها، أن بني النضير كانوا إذا قتلوا من قريظة قتيلاً أعطوهم سبعين وسقاً من تمر، وإذا قتلت قريظة قتيلاً من بني النضير أعطوهم مائة وأربعين وسقاً، فقال لهم رسول الله: «أنا أحكم أن دم القرظي كدم النضري، ليس لأحدهم فضل على الآخر في دم ولا عقل ولا جراحة»، فغضب بنو النضير وقالوا لا نرضى بحكمك فإنك تريد صغارنا.

قوله: ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ﴾ سبب نزولها، أن كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس قال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه، فأتوه فقالوا يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأشرافهم وساداتهم، وأنا إن اتبعناك اتبعنا اليهود ولم يخالفونا، وأن بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم إليك، فاقض لنا عليهم نؤمن بك ونصدقك، فأبى رسول الله، فنزلت الآية، وقوله: ﴿أَنْ يَفْتِنُوكَ﴾ مفعول لأجله على تقدير لام العلة ولا النافية، وهو ما مشى عليه المفسر، ويحتمل أنه بدل اشتمال من الهاء في احذرهم، والمعنى احذرهم فتنتهم، والخطاب له ﷺ، والمراد غيره لعصمته من الفتنة.

يضلوك ﴿ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ ﴾ عن الحكم المنزل وأرادوا غيره ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم ﴾ بالعقوبة في الدنيا ﴿ بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ ﴾ التي أتوها ومنها التولي ويجازيهم على جميعها في الأخرى ﴿ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ ﴾ بالياء والتاء يطلبون من المداهنة والميل إذا تولوا استفهام إنكاري ﴿ وَمَنۡ ﴾ أي لا أحد ﴿ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ ﴾ عند قوم ﴿ يُوقِنُونَ ﴾ ﴿٥٠﴾ به خصوا بالذكر لأنهم الذين يتدبرونه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ ﴾ توالونهم وتوادونهم ﴿ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾ لاتحادهم في الكفر ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾ من جملتهم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ﴿٥١﴾ بموالاتهم الكفار

قوله: ﴿بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ أي لا بجميعها، فعقابهم في الدنيا بالقتل والسبي والجلاء، إنما هو ببعض ذنوبهم، وأما في الآخرة فيجازيهم على الجميع كما قال المفسر، لأن العذاب المنقضي وإن طال لا يكفي جزاء لذنوب الكافر جميعها، كما أن نعيم الدنيا وإن كثر ليس جزاء لأعمال المؤمن الصالحة، وإن عذب في الدنيا بمرض أو غيره، فهو جزاء لأعمال المؤمن السيئة، والنعيم في الدنيا للكافر قد يكون جزاء لما عمل من الصالحات كالصدقات مثلاً. قوله: **(ومنها التولي)** أي الإعراض عن حكمه ﷺ.

قوله: ﴿وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ أي خارجون عن دائرة الحق، وتقدم أن بعث النار من كل ألف واحد ناج، والباقي خارج عن حدود الله، والمعنى تسل يا محمد فإن الغالب في الناس الفسق، فلا خصوصية لليهود بذلك. قوله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أيتولون عنك فيبتغون حكم الجاهلية، فحكم مفعول ليبغون. قوله: **(بالياء والتاء)** أي فيهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(استفهام إنكاري)** أي فهو بمعنى النفي، والمعنى لا يبغون حكم الجاهلية منك على سبيل الظفر به لعصمتك. قوله: **(أي لا أحد)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي، والآية كالدليل لما قبلها. قوله: **(عند قوم)** أشار بذلك إلى أن اللام بمعنى عند. قوله: ﴿بِهِ﴾ قدره إشارة إلى أن مفعول يوقنون محذوف، والضمير عائد على حكم الله.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا﴾ الخ، النهي لكل من أظهر الإيمان وإن كان في الباطن خالياً من الإيمان، وسبب نزولها أن عبادة بن الصامت رضي الله عنه وعبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين اختصما فقال عبادة إن لي أولياء من اليهود كثيراً عددهم، شديدة شوكتهم، وإني أبرأ إلى الله وإلى رسوله من ولاية اليهود ولا مولى لي إلا الله ورسوله، فقال عبد الله بن أبي إني لا أبرأ من ولاية اليهود، فإني أخاف الدوائر ولا بد لي منهم، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا الحباب ما نفست به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت هو لك دونه»، فقال إذاً أقبل فنزلت، واتخذ ينصب مفعولين: اليهود والنصارى مفعول أول، وأولياء مفعول ثان. قوله: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ جملة مستأنفة، والمعنى بعض كل فريق أولياء البعض الآخر من ذلك الفريق، لأن بين اليهود والنصارى العداوة الكبرى. قوله: ﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ أي لأنه لا يوالي أحد أحداً إلا وهو عنه راض، فإذا رضي عنه وعن دينه صار من أهل ملته، وأما معاملتهم مع كراهتهم فلا ضرر في ذلك.

﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ ضعف اعتقاد كعبد الله بن أبي المنافق ﴿ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ ﴾ في موالاتهم ﴿ يَقُولُونَ ﴾ معتذرين عنها ﴿ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ ﴾ يدور بها الدهر علينا من جدب أو غلبة ولا يتم أمر محمد فلا يميرونا قال تعالى ﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ ﴾ بالنصر لنبيه بإظهار دينه ﴿ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ ﴾ بهتك ستر المنافقين وافتضاحهم ﴿ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾ من الشك وموالاة الكفار ﴿ نَٰدِمِينَ ﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿ وَيَقُولُ ﴾ بالرفع استئنافاً بواو ودونها وبالنصب عطفاً على يأتي ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ لبعضهم إذا هتك سترهم تعجباً ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ ﴾ غاية اجتهادهم فيها ﴿ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ ﴾ في الدين قال تعالى ﴿ حَبِطَتۡ ﴾ بطلت ﴿ أَعۡمَٰلُهُمۡ ﴾ الصالحة

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ علة لكون من يواليهم منهم. قوله: **(كعبد الله بن أبي)** أي وأصحابه. قوله: **(معتذرين عنها)** أي الموالاة. قوله: ﴿دَائِرَةٌ﴾ أي أمر مكروه، فالدوائر هي حوادث الدهر وشروره، والدولة هي العز والنصر، فالمؤمن لا ينتظر إلا الدولة لا الدائرة. قوله: **(أو غلبة)** أي للكفار على المسلمين. قوله: **(فلا يميرونا)** أي يعطونا الميرة وهي الطعام. قوله: **(قال تعالى)** أي رداً لقول المنافقين: ﴿نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ وبشارة للمؤمنين لاعتقادهم أن الله ناصرهم، ففي الحديث: «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما يشاء».

قوله: ﴿أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ أو مانعة خلو تجوز الجمع، وقد حصل الأمران معاً، فقد روي أن رسول الله أمر وهو على المنبر بإخراجهم من المسجد واحداً واحداً، ونزلت سورة براءة بفضيحتهم وذمهم ظاهراً وباطناً، ولذا تسمى الفاضحة وعسى وإن كانت للترجي إلا أنها في كلام الله للتحقيق، لأن كلامه موافق لعلمه وهو لا يتخلف.

قوله: ﴿فَيُصْبِحُوا﴾ عطف على يأتي، وفاء السببية مغنية عن الربط. قوله: ﴿نَادِمِينَ﴾ أي على تخلف مرادهم وحسرتهم، من أجل نصر محمد وأصحابه، وخذلان الكفار، وليس المراد نادمين على ما تقدم منهم من الذنوب، تائبين من ذلك، وإلا فيكون حينئذٍ ندماً محموداً لغلبة رحمة الله على غضبه. قوله: **(بالرفع استئنافاً)** أي نحوياً أو بيانياً واقعاً في جواب سؤال مقدر تقديره ماذا يقول المؤمنون حينئذٍ بناء على جواز اقتران البياني بالواو، وأما على قراءة عدم الواو فيكون بيانياً لا غير قوله: **(عطفاً على يأتي)** أي مسلط عليه عسى، والمعنى فعسى الله أن يأتي بالفتح ويقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ تعجباً من كذب المنافقين، هكذا ذكر المفسر، والمناسب أن يقول عطفاً على فيصبحوا، لأنه نتيجة ما قبله، لأن تعجب المؤمنين ناشىء عن الفتح لهم والفضيحة للمنافقين.

قوله: ﴿أَهْؤُلَاءِ﴾ الهمزة للاستفهام التعجبي، والهاء للتنبيه، وأولاء اسم إشارة مبتدأ، و﴿الَّذِينَ﴾ خبره، و﴿أَقْسَمُوا﴾ صلته، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ جملة تفسيرية لمعنى أقسموا، لأن يمينهم إنا معكم. قوله: **(غاية اجتهادهم)** أشار بذلك إلى أن جهد صفة لمصدر محذوف مفعول مطلق لأقسموا، والتقدير إقساماً. ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي أغلظها. قوله: **(تعالى)** أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ من كلامه تعالى إخبار عن المنافقين، لا من كلام المؤمنين، لأنهم لا علم لهم بذلك. قوله: **(الصالحة)** أي بحسب الظاهر.

﴿فَأَصْبَحُواْ﴾ صاروا ﴿خَٰسِرِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ الدنيا بالفضيحة والآخرة بالعقاب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ﴾ بالفك والإدغام يرجع ﴿مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ إلى الكفر إخبار بما علم الله تعالى وقوعه وقد ارتد جماعة بعد موت النبي ﷺ ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ﴾ بدلهم ﴿بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ قال ﷺ هم قوم هذا

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هذا تحذير عام لكل مؤمن من موالاة الكفار، وبيان عاقبة من والاهم ومال إلى دينهم. قوله: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ﴾ من اسم شرط جازم، ويرتد فعل الشرط، وجوابه قوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ﴾ الخ، والجملة خبر المبتدأ. قوله: (**بالفك والإدغام**) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (**قد ارتدّ جماعة بعد موت النبي**) أي وهم ثمان فرق: سبعة في خلافة أبي بكر، وفرقة في زمن عمر، وارتد ثلاث فرق أيضاً في زمن رسول الله، بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار لقب به لأنه كان له حماراً يأتمر بأمره وينتهي بنهيه، وهو الأسود العنسي بفتح العين وسكون النون، وكان كاهناً تنبأ باليمن واستولى على بلاده، وأخرج عمال رسول الله، فكتب رسول الله ﷺ إلى معاذ بن جبل وسادات اليمن، فأهلكه الله تعالى على يد فيروز الديلمي فبيته وقتله، فأخبر رسول الله بقتله ليلة قتله، فسُرَّ المسلمون بذلك، وقبض رسول الله من الغد، وأتى خبر قتله في آخر ربيع الأول، وبنو حنيفة وهم قوم مسيلمة الكذاب، تنبأ وكتب إلى رسول الله: من مسيلمة رسول الله، إلى محمد رسول الله، أما بعد فإن الأرض نصفها لي، ونصفها لك، فكتب إليه رسول الله: من محمد رسول الله، إلى مسيلمة الكذاب، أما بعد، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين، وهلك في خلافة أبي بكر على يد وحشي غلام مطعم بن عدي قاتل حمزة فكان يقول قتلت خير الناس في الجاهلية، وشر الناس في الإسلام، وبنو أسد وهم قوم طلحة بن خويلد تنبأ، فبعث إليه رسول الله خالد بن الوليد فقاتله، فانهزم بعد القتال إلى الشام ثم أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، والسبع اللاتي في خلافة أبي بكر الصديق هم: فزارة قوم عيينة بن حصن الفزاري، وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري، وبنو سليم وبنو يربوع قوم مالك بن بريدة اليربوعي، وبعض تميم وكندة قوم الأشعث بن قيس الكندي، وبنو بكر بن وائل، فكفى الله أمرهم على يد أبي بكر الصديق حين خرج لقتالهم حيث منعوا الزكاة، فكره ذلك الصحابة وقالوا هم أهل القبلة فكيف نقاتلهم؟ فتقلد أبو بكر سيفه وخرج وحده، فلم يجدوا بداً من الخروج على أثره، فقال ابن مسعود: كرهنا ذلك في الابتداء وحمدناه في الانتهاء، وقال بعض الصحابة: ما ولد بعد النبيين أفضل من أبي بكر، لقد قام مقام نبي من الأنبياء في قتال أهل الردة. والفرقة التي ارتدت في زمن عمر بن الخطاب هم غسان، فكفى الله أمرهم على يد عمر رضي الله عنه. قوله: (**بدلهم**) أي بدل المرتدين، فالضمير عائد على من باعتبار معناها، وأشار به إلى الرابط بين المبتدأ وخبره، وهذا لا يحتاج له إلا على قول بأن الجزاء وحده هو الخبر، وأما على القول بأن الخبر هو مجموع فعل الشرط والجزاء أو الفعل وحده، فلا حاجة لتقديره، لأنه موجود في يرتد. قوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ معنى محبة الله لهم إقامتهم له في خدمته مع الرضا والإنابة، ومعنى محبتهم لله موالاة طاعته وتقديم خدمته على كل شيء، ولما كانت محبتهم لله ناشئة عن محبة الله لهم، قدم محبة الله لهم. قال العارف رضي الله عنه على لسان الحضرة العلية:

أَيُّهَا المُعْرِضُ عَنَّا إِنَّ أَعْرَاضَكَ مِنَّا
لَوْ أَرَدْنَاكَ جَعَلْنَا كُلَّ مَا فِيكَ يُرِدْنَا

وأشار إلى أبي موسى الأشعري رواه الحاكم في صحيحه ﴿ أَذِلَّةٍ ﴾ عاطفين ﴿ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ ﴾ أشداء ﴿ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ فيه كما يخاف المنافقون لوم الكفار ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ المذكور من الأوصاف ﴿ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ ﴾ كثير الفضل ﴿ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٥٤﴾ بمن هو أهله ونزل لما قال ابن سلام يا رسول الله إن قومنا هجرونا ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ ﴿٥٥﴾ خاشعون أو يصلون صلاة التطوع ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ فيعينهم وينصرهم ﴿ فَإِنَّ حِزْبَ

قوله: (وأشار إلى أبي موسى الأشعري) أي فالقوم الأشعريون، وقيل هم أبو بكر وأصحابه الذين باشروا قتال المرتدين، والأقرب أن الآية عامة لأصحاب رسول الله ومن كان على قدمهم إلى يوم القيامة بقرينة التسويف. قوله: ﴿أَذِلَّةٍ﴾ جمع ذليل وقوله: (عاطفين) أشار به إلى أن أذلة مضمن معنى عاطفين لتعديته بعلى، والمعنى متواضعين لأنهم مغلظين على الكفار، ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾. قوله: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي لإعلاء دينه. قوله: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ تعريف بالمنافقين، فإنهم كانوا إذا خرجوا في جيش المسلمين خافوا أولياءهم اليهود لئلا يحصل منهم اللوم لهم. قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ (المذكور) أي من الأوصاف الستة. قوله: (ونزل لما قال ابن سلام الخ) أي لما أسلم هجره قومه قريظة وبنو النضير.

قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ﴾ الخطاب لعبد الله بن سلام وأتباعه الذين هداهم الله إلى الإسلام، فلما نزلت هذه الآية، قال عبد الله بن سلام: رضيت بالله رباً، وبرسوله نبياً، وبالمؤمنين أولياء، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فكل من انتسب لله فهو وليه، قال تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾. قوله: ﴿وَرَسُولُهُ﴾ أي لأنه الواسطة العظمى في كل نعمة، وقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي لكونهم الإخوان، فمن تخلى عنه رسول الله أو المؤمنون فهو هالك، لأن موالاة الثلاثة شرط في صحة الإيمان. قوله: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ بدل من الذين قبله، ومعنى إقامة الصلاة أداؤها بشروطها وأركانها وآدابها. قوله: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ أي الحقوق التي عليهم في أموالهم.

قوله: ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ الجملة حالية من يقيمون ويؤتون، وقوله: (خاشعون) أي فأطلق الركوع وأراد لازمه وهو الخشوع. قوله: (أو يصلون صلاة التطوع) أي فالمراد بالركوع صلاة النوافل وخصها بالذكر، لأن نفل الصلاة أفضل من نفل غيرها، وعليه فجملة وهم راكعون معطوفة على ما قبلها، فتحصل أنه وصفهم بأوصاف ثلاثة: إقامة صلاة الفرائض، وإيتاء الزكاة، وصلاة النوافل، وقيل قوله وهم راكعون حال من فاعل يؤتون الزكاة، والمراد بها ما يشمل صدقة التطوع والركوع على حقيقته، والمراد كمال رغبتهم في الإحسان ومسارعتهم إليه، روي أنها نزلت في علي كرّم الله وجهه حين سأله سائل وهو في الصلاة فنزع خاتمه وأعطاه له.

قوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ من اسم شرط، يتول فعله، والله مفعول يتول والمعنى يختار الله ولياً يعبده ويلتجىء إليه، ويختار رسوله ولياً بأن يؤمن به ويتوسل به ويعظمه ويوقره، ويختار الذين آمنوا أولياء بأن يعينهم وينصرهم ويوقرهم إذا حضروا ويحفظهم إذا غابوا، وقوله: ﴿فَإِنَّ

ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ ﴿٥٦﴾ لنصره إياهم أوقعه موقع فإنهم بياناً لأنهم من حزبه أي أتباعه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا ﴾ مهزوءاً به ﴿ وَلَعِبًا مِّنَ ﴾ للبيان ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ ﴾ المشركين بالجر والنصب ﴿ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ بترك موالاتهم ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٥٧﴾ صادقين في إيمانكم ﴿ وَ ﴾ الذين ﴿ إِذَا نَادَيْتُمْ ﴾ دعوتم ﴿ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ بالأذان ﴿ ٱتَّخَذُوهَا ﴾ أي الصلاة ﴿ هُزُوًا وَلَعِبًا ﴾ بأن يستهزؤوا بها ويتضاحكوا ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الاتخاذ ﴿ بِأَنَّهُمْ ﴾ أي بسبب أنهم ﴿ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٥٨﴾ ونزل لما قال اليهود للنبي ﷺ بمن تؤمن من الرسل فقال بالله

حِزْبَ اللَّهِ﴾ الخ، يحتمل أنها جواب الشرط، وإنما أوقع الظاهر موقع المضمر لنكتة التشريف، ويؤخذ ذلك من عبارة المفسر، ويحتمل أنها دليل الجواب، والجواب محذوف تقديره يكن من حزب الله. قوله: ﴿هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ أي القاهرون لأعدائهم.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا﴾ لا ناهية، وتتخذوا مجزوم بلا الناهية، والذين مفعول أول للاتتخذوا الأولى، واتخذوا الثانية صلة الذين، ومفعولها الأول قوله دينكم، ومفعولها الثاني هزواً ولعباً، وقوله: ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ مفعول ثان للاتتخذوا الأولى. قله: ﴿مِنْ﴾ (للبيان) أي فهو بيان للذين اتخذوا دينكم، فالمعنى لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً وهم الذين أوتوا الكتاب. قوله: (المشركين) إنما اقتصر عليهم وإن كان الجميع كفاراً، لتحصل المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه. قوله: (بالجر) أي عطف على مجرور من، وقوله: (والنصب) أي عطف على الذين الواقع مفعولاً به، فعلى الأول الاستهزاء واقع من الفريقين، وعلى الثاني واقع من أهل الكتاب فقط، وثبوت الاستهزاء لغيرهم مأخوذ من آية أخرى له.
قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي فاتركوا موالاتهم، فيؤخذ من الآية أن من والاهم فليس بمؤمن، فهو وعيد عظيم لمن اتخذ الكفار أولياء من دون المؤمنين. قوله: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ﴾ يحتمل أنه معطوف على الذين المجرور بمن، وعليه فالمستهزؤون ثلاث فرق، ويحتمل أنه معطوف على الذين الواقع مفعولاً به، فيكون من جملة أوصاف الفريق الأول. قوله: (بالأذان) ورد أن المنافقين والكفار كانوا إذا سمعوا الأذان ضحكوا وقالوا: يا محمد لقد ابتدعت شيئاً لم يسمع بمثله فيما مضى قبلك من الأمم، فإن كنت تدعي النبوة فقد خالفت الأنبياء قبلك، ولو كان فيك خير لكان أولى الناس به الأنبياء، فمن أين لك صياح العير، فما أقبح هذه الصوت وهذا الأمر، فنزلت آية ﴿ومن أحسن قولاً﴾ وهذه الآية.

قوله: ﴿لاَ يَعْقِلُونَ﴾ أي لا يعون ولا يتأملون جلال الله وهيبته، ولو عقلوه ما ساعهم الاستهزاء، ولذا ورد أن رسول الله كان إذا نودي بالصلاة تغيرت حالته، قال بعض الصحابة، كأنه لا يعرفنا ولا نعرفه، وكان علي إذا سمع للنداء ينتقع لونه، وهذا الوعيد يجر بذيله على من يتعاطى الضحك وأسبابه في الصلاة، ولذلك جعله أبو حنيفة من مبطلات الوضوء والصلاة، وجعله غيره من مبطلات الصلاة فقط، وإنما لم يكفروا فاعله، لأنه لم يكن مستهزئاً بأمر الله حقيقة، وإلا كان كافراً إجماعاً وداخلاً في عموم الكفار. قوله: (ونزل لما قال اليهود) أي سبب نزولها، قول طائفة من اليهود، كأبي يسار ورافع بن أبي رافع وآزر بن آزر، وقصدهم بهذا السؤال اختباره ﷺ، قل هو مؤمن بعيسى فيخالفوه، أولاً فيتبعوه لكراهتهم له. قوله: (بمن تؤمن من الرسل) أي بأي رسول تؤمن؟ قوله: (فقال بالله) متعلق بمحذوف

وما أُنزل إلينا الآية فلما ذكر عيسى قالوا لا نعلم ديناً شراً من دينكم ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ ﴾ تنكرون ﴿ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ ﴾ إلى الأنبياء ﴿ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ ﴿٥٩﴾ عطف على أن آمنا المعنى ما تنكرون إلا إيماننا ومخالفتكم في عدم قبوله المعبر عنه بالفسق اللازم عنه وليس هذا مما ينكر ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم ﴾ أخبركم ﴿ بِشَرٍّ مِّن ﴾ أهل ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الذي تنقمونه ﴿ مَثُوبَةً ﴾ ثواباً بمعنى جزاء ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ هو ﴿ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ﴾ أبعده عن رحمته

تقديره أؤمن بالله، وقوله: **(الآية)** أي إلى قوله: **(مسلمون)** وتلك الآية هي آية البقرة التي أولها (قولوا آمنا) الآية.

قوله: **﴿هَلْ تَنْقِمُونَ﴾** جمهور القراء على كسر القاف من نقم بفتحها وهو الفصيح، وقرىء شذوذاً بفتح القاف، وماضيه نقم بكسرها، وهو في الأصل النقض، ثم أطلق على الكراهية والإنكار، ولذا عدى بمن دون على. قوله: **﴿مِنَّا﴾** أي من أوصافنا وأخلاقنا. قوله: **﴿إِلَّا أَنْ آمَنَّا﴾** استثناء مفرغ، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول لتنقموا، والاستفهام إنكاري بمعنى النفي، والمعنى لا تنكرون ولا تكرهون من أوصافنا إلا إيماننا بالله الخ. قوله: **﴿وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلُ﴾** أي من سائر الكتب السماوية.

قوله: **﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ﴾** قرأ الجمهور بفتح الهمزة، وقرىء شذوذاً بكسرها على الاستئناف. قوله: **(عطف على أن آمنا)** أي فهو في محل نصب على حذف مضاف تقديره واعتقادنا أن أكثركم فاسقون، وإنما قدرنا المضاف لصحة العطف، فإن المعطوف على الصفة صفة، وكون أكثرهم فاسقين وصف لهم لا لنا، فقدر المضاف لذلك، ويصح أنه منصوب على المعية، والمعنى إلا إيماننا مع كون أكثركم فاسقين، مع تقدير المضاف، أي مع اعتقادنا أن أكثركم فاسقون، ويحتمل أنَّ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر في محل رفع مبتدأ، والخبر محذوف تقديره وفسق أكثركم ثابت عندنا، ويحتمل أنه في محل جر معطوف على لفظ الجلالة مسلَّط عليه آمنا، التقدير وما تكرهون منا إلا إيماننا بالله، وإيماننا بأن أكثركم فاسقون. قوله: **(المعنى ما تنكرون الخ)** إنما أتى بذلك جواباً عن سؤال مقدر، تقديره إن. قوله: **﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾** وصف لهم، وأما الإيمان فهو وصف لنا، فيشكل عطف ما ليس وصفاً لنا على ما هو وصف لنا، فلذلك حول المفسر العبارة. قوله: **(ومخالفتكم)** من إضافة المصدر لمفعوله، والفاعل محذوف تقديره مخالفتنا إياكم. قوله: **(المعبر عنه بالفسق)** أي فأطلق اللازم وهو الفسق، وأراد الملزوم وهو عدم قبول الإيمان، ثم أطلق وأريد لازمه، وهو مخالفتنا لهم في اتصافنا بقبول الإيمان وهم بعدمه، وقوله: **(في عدم قبوله)** أي الإيمان. قوله: **(وليس هذا مما ينكر)** تتميم للكلام، إشارة إلى أن الاستفهام إنكاري.

قوله: **﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ﴾** هذا الكلام من باب المقابلة، لأنه في مقابلة اليهود لا نعلم ديناً شراً من دينكم. قوله: **(الذي تنقمونه)** أي وهو ديننا. قوله: **﴿مَثُوبَةً﴾** تمييز لشر. قوله: **(بمعنى جزاء)** أي بالعقاب، وكان على المفسر أن يزيده، فتسمية الجزاء بالعقاب ثواباً تهكم بهم على حد (فبشرهم بعذاب أليم). قوله: **(هو)** **﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ﴾** أشار بذلك إلى أن قوله من لعنه خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هو، وهو جواب عن سؤال مقدر تقديره ومن الأشر.

﴿ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ ﴾ بالمسخ ﴿ وَ ﴾ من ﴿ عَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ بطاعته الشيطان وراعى في منهم معنى من وفيها قبله لفظها وهم اليهود وفي قراءة بضم باء عبد وإضافته إلى ما بعده اسم جمع لعبد ونصبه بالعطف على القردة ﴿ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾ تمييز لأن مأواهم النار ﴿ وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ ﴿٦٠﴾ طريق الحق وأصل السواء الوسط وذكر شر وأضل في مقابلة قولهم لا نعلم ديناً شراً من دينكم ﴿ وَإِذَا جَاءُوكُمْ ﴾ أي منافقو اليهود ﴿ قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا ﴾ إليكم متلبسين ﴿ بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا ﴾ من عندكم متلبسين ﴿ بِهِ ﴾ ولم يؤمنوا ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴾ ﴿٦١﴾ ـه من النفاق ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ ﴾ أي اليهود ﴿ يُسَارِعُونَ ﴾ يقعون سريعاً ﴿ فِي الْإِثْمِ ﴾ الكذب ﴿ وَالْعُدْوَانِ ﴾ الظلم ﴿ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ﴾ الحرام كالرشا ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٦٢﴾ عملهم هذا ﴿ لَوْلَا ﴾ هلا ﴿ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ ﴾ منهم ﴿ عَن قَوْلِهِمُ

قوله: ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ أي انتقم منه على سبيل الأبد. قوله: **(بالمسخ)** أي فجعل شبابهم قردة ومشايخهم خنازير. قوله: **(الشيطان)** تقدم أنه أحد تفاسير في الطاغوت، وقيل هو كل ما أوقع في الضلال، وعابده هو التابع له في الضلال. قوله: **(وفيها قبله)** أي وهو لعنه وغضب عليه، وكذلك راعى لفظها في ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾. قوله: **(وفي قراءة)** أي سبعية لحمزة، وقوله: **(اسم جمع لعبد)** أي لا جمع له بل جمعه أعبد، قال ابن مالك: لفعل اسماً صح عيناً أفعل. قوله: **(ونصبه بالعطف على القردة)** أي فتكون الصلات ثلاثاً وهي: لعنه، وغضب عليه، وجعل الرابعة على القراءة الأولى عبد. قوله: **(تمييز)** أي تمييز نسبة، ونسب الشر للمكان، وحقه لأهله كناية عن نهايتهم في ذلك. قوله: **(وذكر شر)** أي المجرور في قوله بشر، والمرفوع في قوله أولئك شر، وقوله: **(في مقابلة قولهم الخ)** جواب عن سؤال مقدر، تقديره كيف ذلك مع أن المؤمنين لا شر عندهم، فأجاب بما ذكر، وأجيب أيضاً بأن شر المؤمنين باعتبار تعبهم في الدنيا، فعذاب الآخرة للكفار، أشر من ضيق الدنيا على المؤمنين، وأجيب أيضاً: بأن المفضل عليه جماعة من الكفار، فيكون المعنى: هؤلاء المتصفون بتلك الأوصاف، شر من غيرهم من الكفرة الذين لم يجمعوا بين هذه الخصال.

قوله: ﴿وإِذْ جَاؤُكُمْ﴾ الخطاب للنبي، فجمعه للتعظيم أوله، ومن عنده من المؤمنين، فالجمع ظاهر. قوله: ﴿وَقَدْ دَخَلُوا﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿قَالُوا﴾، وكذا. قوله: ﴿وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾. قوله: **(متلبسين)** قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿بِالْكُفْرِ﴾ متعلق بمحذوف حال من فاعل دخلوا، وكذا قوله به حال من فاعل خرجوا.

قوله: ﴿وَتَرَى كَثِيراً﴾ رأى بصرية تنصب مفعولاً واحداً وهو قوله كثيراً، وقوله: ﴿يُسَارِعُونَ﴾ حال من قوله كثيراً. قوله: **(كالرشا)** بضم الراء وكسرها من الرشوة بضم وكسر، فالمضموم للمضموم، والمكسور للمكسور، وأدخلت الكاف الربا. قوله: **(عملهم هذا)** قدره إشارة للمخصوص بالذم. قوله: **(هلا)** أشار بذلك إلى أن لولا للتخضيض والتوبيخ لعلمائهم، حيث لم ينهوهم عما ارتكبوه من المخالفات. قوله: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ عبر في جانب العوام بيعملون، وفي جانب العلماء بيصنعون، لأن

﴿ٱلْإِثْمَ﴾ الكذب ﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾ ـه ترك نهيهم ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ لما ضيق عليهم بتكذيبهم النبي ﷺ بعد أن كانوا أكثر الناس مالاً ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ مقبوضة عن إدرار الرزق علينا كنوا به عن البخل تعالى الله عن ذلك قال تعالى ﴿غُلَّتْ﴾ أمسكت ﴿أَيْدِيهِمْ﴾ عن فعل الخيرات دعاء عليهم ﴿وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ مبالغة في الوصف بالجود وثني اليد لإفادة الكثرة إذا غاية ما يبذله السخي من ماله أن يعطي بيديه ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ من

الصنع أبلغ من العمل، إذ هو عمل مع إتقان، فذمهم بأبلغ وجه، وكل آية وردت في الكفار فإنها تجر بذيلها على عصاة المؤمنين، قال ابن عباس: هذه أشد آية في القرآن، يعني في حق العلماء. وقال الضحاك: ما في القرآن أخوف آية عندي منها.

قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ أي بعضهم وهو فنحاص بن عازوراء، وإنما نسب القول لهم عموماً لرضاهم به ولم ينهوا عنه. قوله: **(بتكذيبهم)** الباء سببية. قوله: **(بعد أن كانوا أكثر الناس مالاً)** أي وأخصب أرضاً. قوله: **(مقبوضة)** أي ممسوكة عن بسط العطاء لنا. قوله: **(كنوا به عن البخل)** أي لأنه يلزم من قبض اليد عن الإعطاء للمستحقين البخل. قوله: **(تعالى الله عن ذلك)** أي تنزه سبحانه عن ما وصفوه به من البخل، لأن البخل هو منع المستحق من حقه، وليس لأحد حق على الله تعالى، بل هو الكريم الحقيقي الذي عم عطاؤه والطائع والعاصي لا لغرض ولا لعوض. قوله: **(دعاء)** إما بالرفع خبر لمحذوف والتقدير هو دعاء، أي طلب من نفسه بنفسه غلول أيديهم، ويصح النصب على أنه مفعول لأجله، أي قال تعالى لأجل الدعاء عليهم.

قوله: ﴿وَلُعِنُوا۟﴾ معطوف على ﴿غُلَّتْ﴾ فهو في حين الدعاء، فبسبب هذه المقالة صاروا أشقياء آيسين من رحمة الله، فلم يوفقوا لفعل خير بعد ذلك أبداً، وطردوا عن رحمة الله في الدنيا والآخرة. قوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ﴾ إضراب إبطالي، ويداه مبتدأ، و﴿مَبْسُوطَتَانِ﴾ خبره، وجملة ينفق: إما خبر ثان أو استئناف بياني، وكيف اسم شرط، ويشاء فعل الشرط، ومفعوله محذوف تقديره الإنفاق له، وجوب الشرط محذوف دل عليه قوله ينفق. قوله: **(مبالغة في الوصف بالجود)** أي الإعطاء الكثير الذي عم الطائع والعاصي، واعلم أن معاملة الله للمؤمنين بالفضل إعطاء أو منعاً، لأنه ما منعهم عطاء الدنيا إلا لكونه ادخر لهم ما هو أعظم منه في الآخرة، وأما معاملته للكفار، فبالفضل عند الإعطاء، وبالعدل عند المنع، فلا يوصف بالبخل على كل حال تنزه الله عنه، لأن البخل هو منع المستحق من حقه، وتعالى الله عن أن يكون لأحد حق عليه. قوله: **(وثني اليد الخ)** أي فذكر اليدين مشاكلة، والتثنية كناية عن كثرة العطاء، لكن على مراده هو، لا على مراد عبيده، لأنه ليس لأحد حق عليه يطلبه منه، ثم في إطلاق اليد على الله طريقتان: طريقة السلف أن اليد صفة من صفاته أزلية، كالسمع والبصر، ينشأ عنها الخير لا الشر، فهي أخص من القدرة، لأن القدرة ينشأ عنها جميع الممكنات، إيجاداً وإعداماً، خيراً أو شراً، ولا يعلمها إلا هو، ويشهد لما قلنا. قوله تعالى: ﴿قال ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ أي اصطفيته، ولم يقل بقدرتي، وطريقة الخلف أن اليد تطلق بمعنى الجارحة، وهي مستحيلة على الله، وتطلق على القدرة والنعمة والملك، ويصح إرادة كل منها في حق الله. إن قلت: على تفسيرها بالقدرة أو النعمة، فلم ثنيت

توسيع وتضييق لا اعتراض عنيه ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ من القرآن ﴿طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ لكفرهم به ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فكل فرقة منهم تخالف الأخرى ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ﴾ أي لحرب النبي ﷺ ﴿أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ أي كلما أرادوه ردهم ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ أي مفسدين بالمعاصي ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ بمعنى أنه يعاقبهم ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟﴾ بمحمد ﷺ ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ الكفر ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ بالعمل بما فيهما ومنه الإيمان بالنبي ﷺ ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم﴾ من الكتب ﴿مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ بأن يوسع عليهم الرزق ويفيض من كل جهة ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿مُّقْتَصِدَةٌ﴾ تعمل به ومنهم من

ثانياً بعد إفرادها أولاً؟ أجيب: بأن التثنية لإفادة كثرة الكرم والعطاء كما قال المفسر إن قلت: على تفسيرها بالنعمة فمقتضاه جمعها لأن النعم كثيرة، قال تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ أجيب: بأن التثنية بحسب الجنس، لأن النعم جنسان مثل: نعمة الدنيا ونعمة الدنيا، ونعمة الظاهر ونعمة الباطن، ونعمة الإعطاء ونعمة المنع، وتحت كل واحد من الجنسين أنواع كثيرة، وما قلناه عقائد المؤمنين، وعقيدة اليهود أنها الجارحة لأنهم مجسمة. قوله: **(من توسيع وتضييق)** أي على مقتضى المصلحة والحكمة الإلهية، ففي الحديث «إن من عبادي من لا يصلح له إلا الفقر، فلو أغنيته لفسد حاله، وإن من عبادي من لا يصلح له إلا الغنى، فلو أفقرته لفسد حاله». قوله: **(فكل فرقة منهم)** أي اليهود كالجبرية والقدرية والمشبهة والمرجئة، والنصارى كذلك فرق كالملكانية والنسطورية واليعقوبية والماردانية. إن قلت: إن المسلمين فرق أيضاً؟ أجيب: بأن افتراق المسلمين في الفروع لا الأصول، وكلهم على خير مسلمين لبعضهم، وأما من خرج عن ذلك فهو ضال مضل.

قوله: ﴿**كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ**﴾ أي بتعاطي أسبابه ومبادئه. قوله: **(ردهم)** أي قهرهم وجعلهم أذلة خاشعين. قوله: **(أي مفسدين)** أشار بذلك إلى أنه حال من فاعل يسعون، ويصح أن يكون مصدراً مؤكداً ليسعون من معناه.

قوله: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ**﴾ بيان لحالهم في الآخرة، فهو تردد لهم لعلهم يهتدون، ومن هنا لا يجوز لعن كافر معين حي، لأنه يحتمل أنه يهتدي. قوله: **(من الكتب)** أي ككتاب شعياء، وكتاب دانيال، وكتاب أرمياء، ففي هذه الكتب أيضاً ذكر محمد ﷺ، فالمراد بإقامة الكتب الإيمان به ﷺ، وقيل المراد بما أنزل إليهم من ربهم القرآن، لأنهم مأمورون بالإيمان به، لأنهم من جملة أمته ﷺ، ولعل هذا هو الأقرب. قوله: **(بأن يوسع عليهم الرزق)** أي بأن يفيض عليهم بركات السماء والأرض، ويؤخذ من هذه الآية أن طاعة الله سبب في الرزق، ومعاصيه سبب في قبضه، قال تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ وقال تعالى: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾. وقال عليه الصلاة والسلام: «إذا رأيت قساوة في قلبك وحرماناً في رزقك ووهناً في بدنك فاعلم أنك تكلمت فيما لا يعنيك». قوله: ﴿**مُقْتَصِدَةٌ**﴾ أي معتدلة ليست مفرطة ولا مفرطة، وقوله: **(تعمل به)**

آمن بـالنبي ﷺ كعبـد الله بن سـلام وأصحـابـه ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ﴾ بئس ﴿مَا﴾ شيئـاً ﴿يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ جميع ﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ ولا تكتم شيئاً خوفاً أن تنال بمكروه ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾ أي لم تبلغ جميع ما أنزل إليك ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ بالإفراد والجمع لأن كتمان بعضها ككتمان كلها ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أن يقتلوك وكان ﷺ يحرس

أي بالقرآن أو بما ذكر من التوراة وما بعدها. قوله: (ومنهم من آمن) الأوضح أن يحذف قوله ومنهم من آمن، ويقتصر على قوله كعبد الله الخ، كما قال غيره من المفسرين، وفي نسخة وهم من آمن وهي الصواب. قوله: ﴿وَكَثِيرٌ﴾ مبتدأ وجملة ﴿سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ خبره، وساء كلمة ذم. وما مميز وقيل فاعل. وجملة يعملون: إما صلة إن جعلت ما موصولة أو صفة إن جعلت نكرة، والعائد محذوف قدره المفسر.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ سبب نزولها: أن رسول الله ﷺ لما بعث ضاق ذرعاً لعلمه أن قوماً يكذبونه ولا بد، فنزلت الآية تسلية له، وفي ندائه بيا أيها الرسول شهادة له بالرسالة، وأل في الرسول للعهد الحضوري، أي الرسول الحاضر وقت نزولها، وهو محمد ﷺ. قوله: (جميع) قدره إشارة إلى أن ما اسم موصول بمعنى الذي، ولا يصح تقديرها نكرة، لأنه يصدق بتبليغ البعض مع أنه غير مكلف، واعلم أن ما أوحي إلى رسول الله، ينقسم إلى ثلاثة أقسام: ما أمر بتبليغه وهو القرآن والأحكام المتعلقة بالخلق عموماً فقد بلغه ولم يزد عليه حرفاً ولم يكتم منه حرفاً ولو جاز عليه الكتم لكتم آيات العتاب الصادرة له من الله، كـآية عبس وتولى، وآية ما كان لنبي أن يكون له أسرى، وسورة تبت يدا أبي لهب، ولفظ قل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، وقد شهد الله له بتمام التبليغ، حيث أنزل قبيل وفاته ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ وورد أنه قال لعزرائيل حين قبض روحه: اقبض فقد بلغت، وما أمر بكتمه فقد كتمه ولم يبلغ منه حرفاً، وهو جميع الأسرار التي لا تليق بالأمة، وما خير في تبليغه وكتمه، فقد كتم البعض وبلغ البعض، وهو الأسرار التي تليق بالأمة، ولذا ورد عن أبي هريرة أنه قال: أعطاني حبيبي جرابين من العلم، لو بثثت لكم أحدهما لقطع مني هذا الحلقوم. قوله: (خوفاً أن تنال بمكروه) أي يمنعك عن مطلوبك، كالقتل والأسر ومنع الخلق عنك فإنك معصوم من ذلك، وأما مثل السب فتحمله، ولا يكن مانعاً لك من التبليغ، وهذا إخبار من الله بأن رسوله لم يكتم شيئاً، فهو معصوم من الكتمان لاستحالته عليه. قوله: (بالإفراد والجمع) أي فهما قراءتان سبعيتان، وعلى كل فهو مفعول لبلغت، فعلى الإفراد منصوب بالفتحة الظاهرة، وعلى الجمع منصوب بالكسرة لأنه جمع مؤنث سالم، والمعنى واحد على كل، لأن المفرد المضاف يفيد العموم. قوله: (لأن كتمان بعضها الخ) أشار بذلك إلى دفع سؤال ورد على الآية. وحاصله أن ظاهر قوله: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ اتحاد الشرط، والجواب لأنه ينحل المعنى إن لم تبلغ فما بلغت. وحاصل الجواب أن المعنى وإن تركت شيئاً مما أمرت بتبليغه ولو حرفاً، فقد تركت الكل وصار ما بلغته غير معتد به، لأن كتمان بعضه ككتمان كله.

قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ﴾ أي يحفظك وهو من تمام الأمر بالتبليغ. قوله: (أن يقتلوك) دفع ما قيل إنه أوذي أشد الإيذاء قولاً فأجاب بأن المراد العصمة من القتل، وما في معناه من كل ما يعطل عليه التبليغ وهكذا كل نبي أمر بالقتال، وما ورد من قتل بعض الأنبياء، فلم يكونوا مأمورين بالقتال. قوله:

حتى نزلت فقال انصرفوا فقد عصمني الله رواه الحاكم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ من الدين معتد به ﴿ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ بأن تعملوا بما فيه ومنه الإيمان بي ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ من القرآن ﴿ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾ لكفرهم به ﴿ فَلَا تَأْسَ ﴾ تحزن ﴿ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ﴿٦٨﴾ إن لم يؤمنوا بك أي لا تهتم بهم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ هم اليهود مبتدأ ﴿ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ ﴾ فرقة منهم ﴿ وَٱلنَّصَٰرَىٰ ﴾ ويبدل من المبتدأ ﴿ مَنْ ءَامَنَ ﴾ منهم ﴿ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ﴿٦٩﴾ في الآخرة خبر المبتدأ ودال على خبر إن ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ

(وكان ﷺ يحرس الخ) عن عائشة رضي الله عنها قالت: سهر رسول الله ﷺ في مقدمة المدينة ليلة فقال: «ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة»، قال فبينما نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح، قال من هذا؟ قال سعد بن أبي وقاص، فقال له رسول الله ﷺ: ما جاء بك؟ فقال وقع في نفسي خوف على رسول الله ﷺ فجئت أحرسه، فدعا له رسول الله ثم نام، وفي رواية إن الذي جاء سعد وحذيفة بن اليمان قالا: جئنا نحرسك، فنام عليه السلام حتى سمعت غطيطه، ونزلت هذه الآية فأخرج رأسه من قبة آدم وقال: انصرفوا أيها الناس فقد عصمني الله، ورد أنه كان يحفظه سبعون ألف ملك، لا يفارقونه في نوم ولا يقظة. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ أي لبلوغ مطلوبهم فيك لعصمتك منهم، ولذلك في بعض الغزوات حين احتاطت به الأعداء صار يقول: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، ويرميهم بالتراب في وجوههم، وكان يمر بين صفي القتال على بغلة لا تصلح لكر ولا فر.

قوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ أي اليهود والنصارى. قوله: (معتد به) أي عند الله وهو الهدى والخير، وهذا جواب عن سؤال: كيف يقول لستم على شيء، مع أنهم على شيء وهو الدين الباطل. قوله: ﴿حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ﴾ أي تأتمرون بأمرهما وتنتهون بنهيهما، لأن فيهما بيان أن دينه هو الدين القيم، وأن وجوده ناسخ لجميع الشرائع. قوله: ﴿كَثِيراً مِنْهُمْ﴾ أي كعلمائهم ورؤسائهم، وأما القليل منهم كعبد الله بن سلام والنجاشي وأضرابهما، فقد زادهم القرآن اهتداء ونوراً. قوله: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ نسب الإنزال أولاً إليهم، لأنهم مأمورون بإتباعه، ونسب الإنزال ثانياً إليه، لأنه منزّل إليه حقيقة، فيصح نسبة الإنزال إليهم باعتبار أنهم مأمورون بالعمل به وإليه باعتبار أنه يبلغه. قوله: ﴿طُغْيَاناً وَكُفْراً﴾ قيل الطغيان والكفر مترادفان، وقيل الطغيان أعم لأنه مجاوزة الحد.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إن حرف توكيد ونصب، والذين اسمها، وآمنوا صلته، وخبرها محذوف دل عليه قوله: ﴿فَلاَ خَوْفَ عَلَيْهِمْ﴾ الخ، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ الواو للاستئناف أو عطف جمل، والذين مبتدأ ﴿وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى﴾ معطوفان عليه، وقوله: ﴿مَنْ آمَنَ﴾ بدل من الذين هادوا، وما عطف عليه بدل بعض من كل، وقوله: ﴿فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ خبر المبتدأ، وهذا أحد أوجه تسعة وهو أحسنها، ولذا درج عليه المفسر. قوله: ﴿آمَنُوا﴾ أي حقيقة بقلوبهم وألسنتهم خرج المنافقون. قوله: (فرقة منهم) أي اليهود، وقيل من النصارى، وقيل طائفة يعبدون الكواكب السبعة، وقيل يعبدون الملائكة. قوله: (وعمل صالحاً) أي فإن مات ولم يكن عمل صالحاً غير الإيمان فهو تحت المشيئة. قوله:

﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ على الإيمان بالله ورسله ﴿وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ﴾ منهم ﴿بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ﴾ من الحق كذبوه ﴿فَرِيقًا﴾ منهم ﴿كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا﴾ منهم ﴿يَقْتُلُونَ﴾ ﴿٧٠﴾ كزكريا ويحيى والتعبير به دون قتلوا حكاية للحال الماضية للفاصلة ﴿وَحَسِبُوٓاْ﴾ ظنوا ﴿أَلَّا تَكُونَ﴾ بالرفع فأن مخففة والنصب فهي ناصبة أي تقع ﴿فِتْنَةٌ﴾ عذاب بهم على تكذيب الرسل وقتلهم ﴿فَعَمُواْ﴾ عن الحق فلم يبصروه ﴿وَصَمُّواْ﴾ عن استماعه ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ لما تابوا ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ﴾

(منهم) قدره إشارة إلى أن العائد محذوف. قوله: **﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾** أي في التوراة، والمقصود من ذلك إقامة الحجة على من كان في زمنه ﷺ من اليهود والنصارى، وتقدم أن الميثاق هو العهد المؤكد باليمين.

قوله: **﴿وَأَرْسَلْنَا﴾** معطوف على أخذنا. قوله: **﴿رُسُلاً﴾** أي كشعياء وأرمياء ويوشع. قوله: **﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾** كلما شرطية وجاءهم فعل الشرط، وقوله: **﴿بِمَا لاَ تَهْوَى﴾** متعلق بجاء وما اسم موصول، وقوله: **﴿لاَ تَهْوَى﴾** صلته، والعائد محذوف تقديره لا تهواه، وجواب الشرط محذوف قدره المفسر بقوله: **(كذبوه)** والأوضح له أن يقول عادوه وعصوه، وقوله: **﴿فَرِيقاً كَذَّبُوا﴾** الخ مستأنف بيان لوجه العصيان والمعاداة. قوله: **(منهم)** قدره إشارة إلى أن الجملة الشرطية صفة لرسلاً، والعائد محذوف ولو جعلت استئنافية لما احتيج لتقديره. قوله: **(من الحق)** بيان لما. قوله: **﴿كَذَّبُوا﴾** أي غير قتل، كداود وسليمان ويوشع وعيسى ومحمد. قوله: **(كزكريا ويحيى)** أي وشعياء. قوله: **(دون قتلوا)** أي لمراعاة كذبوا. قوله: **(حكاية للحال الماضية)** أي كأنها حاصلة الآن. قوله: **(للفاصلة)** أي المحافظة على رؤوس الآي وتناسبها مع بعضها، ولعل فيه حذف الواو ويكون علة ثانية.

قوله: **﴿وَحَسِبُوا﴾** سبب هذا الحسبان، أنهم كانوا يعتقدون أنهم يقربون لكونهم من ذرية الأنبياء، فلا يضرهم تكذيب الأنبياء وقتلهم إياهم، بل سلفهم يدفعون عنهم عذاب الآخرة. قوله: **(بالرفع فأن مخففة)** أي واسمها محذوف تقديره أنه، وقوله: **﴿لاَ تَكُونَ﴾** خبرها، قال ابن مالك:

وَإِنْ تُخَفَّفْ أَنْ فَاسْمُهَا اسْتَكَنْ ... وَالخَبَرَ اجْعَلْ جُمْلَةً مِنْ بَعْدِ أَنْ

قوله: **(والنصب)** أي فهما قراءتان سبعيتان. واعلم أن أن إن وقعت بعد ما يفيد اليقين، كانت مخففة من الثقيلة لا غير، نحو علم أنه سيكون، وإن وقعت بعد ما يفيد الظن، كانت ناصبة لا غير، نحو ﴿وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه﴾، وإن وقعت بعد ما يحتملهما كان فيه الأمران كهذه الآية، فالرفع على تأويل حسب بمعنى علم، والنصب على تأويلها بالظن. إن قلت: مقتضى هذه القاعدة أن كل ما يفيد الأمرين يجوز فيه الرفع والنصب، مع أنه لم يسمع في أحسب الناس أن يتركوا الرفع ولا النصب في أفلا يرون أن لا يرجع. أجيب بأن القراءة سنّة متّبعة، لأنه ليس كلما جاز نحواً جاز قراءة، وجملة **﴿أَنْ لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾** في محل نصب سدت مسد مفعولي حسب على كلا القراءتين عند جمهور البصريين، وقيل مسد مفعولها الثاني محذوف تقديره حاصلة. قوله: **﴿فِتْنَةٌ﴾** بالرفع فاعل تكون لأنها بمعنى توجد فهي تامة.

قوله: **﴿فَعَمُوا وَصَمُّوا﴾** معطوف على حبسوا، وهذا إشارة إلى ما وقع منهم في المرة الأولى من الفساد والقتل في زمن شعياء وأرمياء، حتى قتلوا شعياء وحبسوا أرمياء، فسلط الله عليهم بختنصر، ففرق

ثانياً ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ بدل من الضمير ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾﴾ فيجازيهم به ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ سبق مثله ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ فإني عبد ولست بإله ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ في العبادة غيره ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ منعه أن يدخلها ﴿وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ﴾ زائدة ﴿أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ يمنعونهم من عذاب الله ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ﴾ آلهة ﴿ثَلَاثَةٍ﴾ أي أحدها والآخران عيسى وأمه وهم فرقة من النصارى ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من التثليث ويوحدوا ﴿لَيَمَسَّنَّ

جمعهم وأسرهم، وخرب بيت المقدس، وصاروا في غاية الذل والهوان، فلما تابوا توجه ملك من ملوك فارس، فعمر بيت المقدس، وقتل بختنصر، وردهم إلى وطنهم، فكثروا وكانوا أحسن ما كانوا عليه، فمكثوا ثلاثين سنة ثم عموا وصموا ثانياً وقتلوا زكريا ويحيى، وإلى هذه القصة الإشارة بقوله تعالى في سورة الإسراء ﴿لتفسدن في الأرض مرتين﴾ الآيات، وهذا هو الصحيح، فالمراد بني إسرائيل من كان في زمن شعياء وأرمياء، لا من كان في زمن موسى وهارون قوله: **(بدل من الضمير)** أي قوله: **﴿وَعَمُوا وَصَمُّوا﴾** والضمير هو الفاعل، وهذا هو هروب من تخريج الآية على لغة أكلوني البراغيث فإنها ضعيفة، ودفع بقوله **﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾** ما يتوهم أنهم عموا وصموا جميعهم وعطف قوله **﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا﴾** بثم المفيدة للتراخي، لأن بين التوبة والعمى ثلاثين سنة.

قوله: **﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا﴾** وهم اليعقوبية من النصارى، وهو شروع في ذكر قبائح النصارى بعد ذكر قبائح اليهود. قوله: **﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ﴾** معنى ذلك عندهم أن الله حل في ذات عيسى واتحد بها. قوله: **﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ﴾** الجملة حالية من الواو في قالوا، وهو رد لما ادعوه من ألوهيته، أي فلا عذر لهم في تلك الدعوة، فإن تبرأ منها وبين لهم طريق الهدى.

قوله: **﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾** كالعلة لقوله: **﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾**. قوله: **(منعه أن يدخلها)** أي فالمراد بالتحريم مطلق المنع. قوله: **﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾** أي المشركين. قوله: **﴿أَنْصَارٍ﴾** أي أعوان يحفظونهم من غضب الله. قوله: **(والآخران عيسى الخ)** هذا وجه في التثليث عندهم، وهناك وجه آخر عندهم وهو أن الإله مركب من ثلاثة: الأب والابن وروح القدس، فمرادهم بالأب ذات الله، وبالابن صفة الكلام، وبروح القدس الحياة، فاختلطت صفة الكلام بجسد عيسى كاختلاط الماء باللبن، وزعموا أن الأب إله، والابن إله، والروح إله، والكل إله واحد. واعلم أن النصارى في اعتقاد التثليث على أربع فرق، واحدة تقول: كل من ذات الله تعالى وذات عيسى وذات مريم إله، وأخرى تقول: الإله مجموع صفات ثلاث: الوجود والعلم والحياة وعيسى ابنه، وأخرى تقول: الإله مجموع ذات وصفتين، ذات الله ويسمونها الأب وصفة كلامه ويسمونها الابن وصفة الحياة ويسمونها روح القدس، والكل إله واحد، وأخرى تقول: الإله مجموع ذاتين وصفة الله وذات عيسى والحياة الحالة في جسد عيسى. قوله: **(وهم فرقة من النصارى)** أي وهم النسطورية والمرقوسية.

قوله: **﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾** الواو إما حالية أو استئنافية، وما نافية، ومن زائدة لاستغراق النفي، وإله مبتدأ والخبر محذوف تقديره كائن في الوجود، وإلا ملغاة، وإله بدل من الضمير في الخبر نظير لا إله إلا الله، والمقصود من ذلك التشنيع والرد عليهم في دعواهم التثليث، لأن حقيقة الإله هو المستغني

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي ثبتوا على الكفر ﴿مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٣﴾ مؤلم وهو النار ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ﴾ مما قالوه استفهام توبيخ ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لمن تاب ﴿رَّحِيمٌ ۝٧٤﴾ به ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ فهو يمضي مثلهم وليس بإله كما زعموا وإلا لما مضى ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ مبالغة في الصدق ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ كغيرهما من الحيوانات ومن كان كذلك لا يكون إلهاً لتركبه وضعفه وما ينشأ منه من البول والغائط ﴿ٱنظُرْ﴾ متعجباً ﴿كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ على وحدانيتنا ﴿ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يُؤْفَكُونَ ۝٧٥﴾ يصرفون عن الحق مع قيام البرهان ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالكم ﴿ٱلْعَلِيمُ ۝٧٦﴾ بأحوالكم والاستفهام للإنكار ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ اليهود والنصارى ﴿لَا تَغْلُوا۟﴾ تجاوزوا الحد ﴿فِى دِينِكُمْ﴾ غلواً ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ بأن تضعوا عيسى أو ترفعوه

عما سواه، المفتقر إليه كل ما عداه، وليس شيء من ذلك وصفاً لعيسى ولا لأمه، ولا لأحد أبداً سواه سبحانه وتعالى. قوله: ﴿لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جواب لقسم محذوف، وجواب الشرط محذوف لدلالة هذا عليه، والتقدير والله إن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا الخ، نظير قوله تعالى: ﴿وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾. قوله: (أي ثبتوا على الكفر) أشار بذلك إلى أن من في ﴿مِنْهُمْ﴾ للتبعيض لأن كثيراً منهم تابوا. قوله: (توبيخ) أي وإنكار وهذا استدعاء لهم إلى التوبة. قوله: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ الجملة حالية كالتعليل لما قبلها.

قوله: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ الخ، هذا استئناف مسوق لبيان إقامة الحجة عليهم وبطلان دعاويهم الباطلة، وما نافية والمسيح مبتدأ، وإلا أداة حصر ورسول خبره، وهو من حصر المبتدأ في الخبر، أي أن عيسى محصور في وصف الرسالة وليس بإله، فالمقصود من ذلك نفي الألوهية عنه. قوله: ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ أي ذهبت وفنيت. قوله: ﴿صِدِّيقَةٌ﴾ أي ملازمة للصدق، وهذان الوصفان لعيسى وأمه، مختصان بهما شرفهما الله بهما، ثم وصفهما بعد ذلك بوصف البشر الذين لا يميزهم عن الحيوانات الغير العاقلة فضلاً عن العاقلة. قوله: ﴿كَيْفَ نُبَيِّنُ﴾ كيف معمول لنبين لا لأنظر، لأن اسم الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله لأن له الصدارة. قوله: ﴿ثُمَّ انْظُرْ﴾ هذا ترق في التعجب، ولذا أتى بثم المفيدة للتراخي. قوله: (مع قيام البرهان) أي الدليل الواضح على باهر قدرتنا وكمال صفاتنا.

قوله: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ﴾ هذا تبكيت لهم وإلزامهم الحجة. قوله: ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ أي وهو عيسى، والمعنى لا يملك بذاته شيئاً أصلاً لا ضراً ولا نفعاً، وأما إجراء النفع أو الضر على يديه فبخلق الله لذلك ولو شاء لم يخلقه. قوله: ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أي فهو أحق بالعبادة. قوله: (للإنكار) أي مع التوبيخ.

قوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ شروع في ذكر قبائحهم جميعاً، بعد أن ذكر كل فريق منهم على حدة. قوله: (غلوا) قدره المفسر إشارة إلى أن غير الحق صفة لمصدر محذوف مفعول مطلق لقوله ﴿تَغْلُوا﴾، ويصح أن يكون غير الحق حالاً من فاعل تغلوا. قوله: ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ أي وأما الغلوا في الحق كالتشديد

فوق حقه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ﴾ بغلوهم وهم أسلافهم ﴿وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا﴾ من الناس ﴿وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝٧٧﴾ عن طريق الحق والسواء في الأصل الوسط ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ﴾ بأن دعا عليهم فمسخوا قردة وهم أصحاب أيلة ﴿وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ﴾ بأن دعا عليهم فمسخوا خنازير وهم أصحاب المائدة ﴿ذَٰلِكَ﴾ اللعن ﴿بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨﴾ ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ﴾ أي لا ينهى بعضهم بعضاً ﴿عَن﴾ معاودة ﴿مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۝٧٩﴾ ـه فعلهم هذا ﴿تَرَىٰ﴾ يا محمد ﴿كَثِيرٗا

على النفس، بأن يصوم النهار ويقوم الليل مثلاً فليس بحرام ولا ضلال. قوله: **(بأن تضعوا عيسى)** أي تنقصوه عن مرتبته، كقول اليهود إنه ابن زنا. وقوله: **(أو ترفعوه فوق حقه)** كقول النصارى إنه ابن الله، أو هو الله، فكل من الفريقين قد غلا في دينه غير الحق. قوله: **﴿أَهْوَاءَ قَوْمٍ﴾** الأهواء جمع هوى وهو ما تدعو شهوة النفس إليه، وما ذكر في القرآن إلا على وجه الذم، لأنه لا يقال فلان يهوى الخير، وإنما يقال يحبه ويريده. قوله: **﴿مِنْ قَبْلُ﴾** أي من قبل بعثة النبي ﷺ فالخطاب لمن كان في زمنه. قوله: **(بغلوهم)** الباء سببية أي بسبب غلوهم في عيسى حيث رفعوه جداً ووضعوه جداً. قوله: **(وهم أسلافهم)** جمع سلف وهو المتقدم عليهم في الزمن وهم اليهود والنصارى.

قوله: **﴿وَأَضَلُّوا كَثِيراً﴾** أي بهذا الاعتقاد الفاسد. قوله: **﴿عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾** السواء في الأصل الوسط، والسبيل الطريق، والمراد الدين الحق، فشبه التمسك بالدين الحق بالمشي في وسط الطريق بجامع أن كلاً سالم من العطب. قوله: **(عن طريق الحق)** أي وهو دين الإسلام. إن قلت: إنه قد تقدم ضلالهم في قوله: **﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾** أجيب: بأنه يحمل الضلال الأول على الكفر بموسى وعيسى، والضلال الثاني على الكفر بمحمد.

قوله: **﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** أي اليهود والنصارى، فلعن اليهود على لسان داود، ولعن النصارى على لسان عيسى. قوله: **﴿عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ﴾** اختلف في المراد باللسان، فقيل هو الجارحة فداود وعيسى صرحا بلعنهم وقيل هو الكتاب، والمعنى أنزل الله لعنتهم في كتاب داود وعيسى وهو الأقرب، وكلام المفسر يفيد الأول. قوله: **(فمسخوا قردة)** أي وخنازير. وقوله: **(وهم أصحاب أيلة)** الذين اعتدوا في السبت واصطادوا السمك فيه، وستأتي قصتهم في سورة الأعراف. قوله: **(فمسخوا خنازير)** أي وقردة، فقد حذف من كل نظير ما أثبته في الآخر، وهذا على المشهور من أن كلاً مسخوا قردة وخنازير، وقيل أصحاب السبت مسخوا قردة، وأصحاب المائدة مسخوا خنازير وهو ظاهر المفسر. قوله: **(وهم أصحاب المائدة)** أي وسيأتي أنهم ثلثمائة وثلاثون رجلاً. قوله: **﴿بِمَا عَصَوْا﴾** الباء سببية وما مصدرية، وقوله: **﴿وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾** معطوف على عصوا، والمعطوف على الصلة صلة، والمعنى ذلك بسبب عصيانهم وكونهم معتدين. قوله: **﴿عَنْ﴾ (معاودة) ﴿مُنْكَرٍ﴾** إنما قدر المفسر هذا المضاف لدفع ما أورد بأن المنكر الذي فعل لا معنى للنهي عنه، لأن رفع الواقع محال، فأجاب بأن المعنى النهي عن المعاودة. قوله: **(فعلهم)** هذا هو المخصوص بالذم.

﴿مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ﴾ من أهل مكة بغضاً لك ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ من العمل لمعادهم الموجب لهم ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ﴾ محمد ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ﴾ أي الكفار ﴿أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ ﴿٨١﴾ خارجون عن الإيمان ﴿لَتَجِدَنَّ﴾ يا محمد ﴿أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ۖ﴾ من أهل مكة لتضاعف كفرهم وجهلهم وانهماكهم في اتباع الهوى ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ﴾ أي قرب مودتهم للمؤمنين ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أن ﴿مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ﴾ علماء ﴿وَرُهْبَانًا﴾ عباداً ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ عن

قوله: ﴿تَرَى﴾ أي تبصر وقوله: ﴿كَثِيراً مِنْهُمْ﴾ أي أهل الكتاب. قوله: ﴿يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي يوالونهم ويصادقونهم. قوله: (بغضاً لك) مفعول لأجله أي من أجل بغضك. قوله: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ﴾ اللام موطئة للقسم وبئس كلمة ذم وما فاعل قدمت صلته، والعائد محذوف أي قدمته، وأنفسهم فاعل قدمت، وقوله: ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ هو المخصوص بالذم، لكن على حذف مضاف تقديره موجب أن سخط الله، والمعنى أن ما قدمت لهم أنفسهم من الضلال تسبب عن سخط الله، وتسبب عن سخط الله الخلود في النار. قوله: (من العمل) بيان لما. قوله: ﴿وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ هذه الجملة معطوفة على جملة أن سخط الله عليهم، فهي من جملة المخصوص بالذم، فالمعنى موجب سخط الله والخلود في النار.

قوله: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ﴾ أي وهو القرآن. قوله: ﴿مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ أي أنصاراً يوالونهم وقد فعلوا ذلك، فكانوا يأخذون الهدايا لكفار مكة ويصادقونهم ويتوددون إليهم خوفاً من زوال عزهم ورياستهم. قوله: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً﴾ كلام مستأنف سيق للتقبيح على اليهود والتشنيع عليهم، واللام موطئة لقسم محذوف، وأشد مفعول أول لتجدن، وعداوة منصوب على التمييز، و ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ متعلق بعداوة أو بمحذوف صفة لعداوة، واليهود مفعول ثان هكذا أعربوا، والأقرب أن أشد مفعول ثان مقدم، واليهود مفعول أول مؤخر. قوله: ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ معطوف على اليهود. وقوله: (لتضاعف كفرهم) علة لقوله أشد. وقوله: (وجهلهم) أي وتضاعف جهلهم. قوله: (وانهماكهم في اتباع الهوى) عطف على تضاعف عطف علة على معلول، والهوى بالقصر ما تهواه النفس وتميل إليه.

قوله: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ﴾ يقال في إعرابه ما قيل في الذي قبله من أن أقرب مفعول ثان، والذين قالوا مفعول أول، ومودة تمييز، وللذين صفة للمودة أو متعلق به. قوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ أي أنصار دين الله. إن قلت: مقتضى الآية مدح النصارى وذم اليهود، مع أن كفر النصارى أشد لأنهم ينازعون في الربوبية واليهود أخف منهم لأنهم ينازعون في النبوة، أجيب بأن مدح النصارى من جهة قرب مودتهم للمسلمين، وذم اليهود من حيث إنهم أشد عداوة للمسلمين، وذلك لا يقتضي شدة الكفر ولا عدمها، وأيضاً الحرص في اليهود دون النصارى، وأيضاً مذهب اليهود أن إيصال الشر والأذى إلى من خالفهم في الدين قربة، ومذهب النصارى أنه حرام. قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ اسم الإشارة مبتدأ، و ﴿بِأَنَّ مِنْهُمْ﴾ خبر، و ﴿قِسِّيسِينَ﴾ اسم إن، ومنهم متعلق بمحذوف خبر إن ﴿وَرُهْبَاناً﴾ معطوف على قسيسين

اتباع الحق كما يستكبر اليهود وأهل مكة نزلت في وفد النجاشي القادمين عليهم من الحبشة قرأ ﷺ سورة

وقوله: ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ معطوف على قسيسين. قوله: (أي قرب مودتهم) أشار بذلك إلى مرجع اسم الإشارة. قوله: (بسبب) أشار بذلك إلى أن الباء سببية.

قوله: ﴿قِسِّيسِينَ﴾ جمع قسيس من يقيس الشيء إذا تتبعه، يقال قس الأثر وقصه فهو أعجمي معرب، ويقال قس، وقس بفتح القاف وكسرها وهو عالم النصارى. قوله: ﴿وَرُهْبَانًا﴾ جمع راهب وهو الزاهد التارك للدنيا وشهواتها. قوله: (نزلت في وفد النجاشي) أي واسمه أصحمة وقيل صحمة. وحاصل ذلك: أنه سنة خمس من البعثة، اشتد أذى الكفار لرسول الله ﷺ ولمن أسلم، ولم يكن أمر بجهاد، فأمر الصحابة الذين لا غزوة لهم بالخروج إلى أرض الحبشة، وهي الهجرة الأولى، وقال إن بها ملكاً صالحاً لا يظلم عنده أحد، فأخرجوا إليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجاً، فخرج إليها أحد عشر رجلاً وأربع نسوة سراً، منهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ فخرجوا إلى البحر، وأخذوا سفينة بنصف دينار إلى أرض الحبشة، وذلك في رجب، ثم تتابع المسلمون فكانوا اثنين وثمانين رجلاً سوى النساء والصبيان، فلما كانت وقعة بدر وقتل فيها صناديد الكفار، قال كفار قريش: إن ثأركم بأرض الحبشة فأهدوا إلى النجاشي، وابعثوا إليه رجلين من ذوي رأيكم لعله يعطيكم من عنده لتقتلوهم بمن قتل منكم ببدر، فبعث كفار قريش عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة، فقالا له: أيها الملك إنه قد خرج فينا رجل سفه عقول قريش وأحلامهم وزعم أنه نبي، وأنه قد بعث إليك برهط من أصحابه ليفسدوا عليك قومك، فأحببنا أن نأتيك ونخبرك خبرهم، وإن قومنا يسألونك أن تردهم إليهم، فقال: حتى نسألهم، فأمر بهم فاحضروا، فلما أتوا باب النجاشي قالوا يستأذن أولياء الله فقال: ائذنوا لهم فمرحباً بأولياء الله، فلما دخلوا عليه سلموا، فقال الرهط من المشركين أيها الملك ألا ترى أنا صدقناك إنهم لم يحيوك بتحيتك التي تحيا بها، فقال لهم الملك: ما منعكم أن تحيوني؟ قالوا: إنا حييناك بتحية أهل الجنة وتحية الملائكة، فقال لهم النجاشي: ما يقول صاحبكم في عيسى وأمه؟ فقال جعفر بن أبي طالب: يقول هو عبد الله ورسوله وكلمة الله وروح منه ألقاها إلى مريم العذراء، ويقول في مريم إنها العذراء البتول، قال فأخذ النجاشي عوداً من الأرض وقال: والله ما زاد صاحبكم على ما قال عيسى قدر هذا العود فكره المشركون قوله وتغيرت وجوههم، فقال: هل تعرفون شيئاً مما أنزل على صاحبكم؟ قالوا نعم، قال: اقرؤوا فقرأ جعفر سورة مريم، وهناك قسيسون ورهبانيون وسائر النصارى، فعرفوا ما قرأ فانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق، فأنزل الله تعالى فيهم ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ﴾ الخ الآيتين، فقال النجاشي لجعفر وأصحابه: اذهبوا فأنتم بأرضي آمنون، وفي بعض الروايات أن عمراً أسلم على يد النجاشي. وبذلك يلغز فيقال صحابي أسلم على يد تابعي، لأن النجاشي لم يجتمع برسول الله ﷺ وعمرو اجتمع به بعد مقدمه من الحبشة، وأقام المسلمون عند النجاشي بخير دار وخير جوار، إلى أن هاجر رسول الله إلى المدينة وعلا أمره وقهر أعداءه، وذلك سنة ست من الهجرة، وكتب رسول الله ﷺ إلى النجاشي على يد عمرو بن أمية الضمري أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت هاجرت مع زوجها ومات عنها، فأرسل النجاشي جارية يقال لها أبرهة إلى أم حبيبة يخبرها أن رسول الله قد خطبها فسرت بذلك وأعطت الجارية أوضاحاً كانت لها، وأذنت لخالد بن سعيد في نكاحها فأنكحها لرسول الله على

يس فبكوا وأسلموا وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى قال تعالى ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ ﴾ من القرآن ﴿ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا ﴾ صدقنا بنبيك وكتابك ﴿ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ﴿٨٣﴾ المقرين بتصديقهما ﴿ وَ ﴾ قالوا في جواب من غيرهم بالإسلام من اليهود ﴿ مَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ ﴾ القرآن أي لا مانع لنا من الإيمان مع وجود مقتضيه ﴿ وَنَطْمَعُ ﴾ عطف على نؤمن ﴿ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴾ ﴿٨٤﴾ المؤمنين الجنة قال تعالى ﴿ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ

صداق مبلغه أربعمائة دينار، وكان الخاطب لرسول الله النجاشي، فأرسل إليها بجميع الصداق على يد جاريته أبرهة، فلما جاءتها بالدنانير وهبتها منها خمسين ديناراً فلم تأخذها وقالت إن الملك أمرني أن لا آخذ منك شيئاً، وقالت أنا صاحبة ذهب الملك وثيابه، وقد صدَّقت بمحمد وآمنت به، وحاجتي إليك مني أن تقرئيه مني السلام، قالت: نعم، وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بما عندهن من دهن وعود، وكان رسول الله ﷺ يحاصر خيبر، قالت أم حبيبة: فخرجنا إلى المدينة ورسول الله بخيبر، فخرج من قدم معي وأقمت بالمدينة حتى قدم رسول الله فدخلت عليه، فكان يسألني عن النجاشي فقرأت عليه السلام من أبرهة جارية الملك، فرد رسول الله عليها السلام، وأنزل الله ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة﴾ يعني أبا سفيان وذلك بتزوج رسول الله أم حبيبة ولما بلغ أبا سفيان تزوج رسول الله بأم حبيبة قال: ذلك الفحل لا يجدع أنفه، وبعث النجاشي بعد خروج جعفر وأصحابه إلى رسول الله ابنه أزهى في ستين من أصحابه وكتب إليه: يا رسول الله، إني أشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك جعفراً وأسلمت لله رب العالمين، وقد بعثت إليك ابني أزهى، وإن شئت أن آتيك بنفسي فعلت، والسلام عليك يا رسول الله، فركبوا في سفينة في أثر جعفر. حتى إذا كانوا في وسط البحر غرقوا، ووافى جعفر وأصحابه رسول الله وهو بخيبر، ووافى جعفر في سبعين رجلاً، عليهم الثياب الصوف، منهم اثنان وستون رجلاً من الحبشة وثمانية من الشام، فقرأ عليهم رسول الله سورة يس إلى آخرها، فبكى القوم حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام، فأنزل الله هذه الآية فيهم، ولذلك قال قتادة: نزلت في ناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء بها عيسى عليه السلام، فلما بعث ﷺ آمنوا به وصدقوه فأثنى الله عليهم.

قوله: **﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾** صنيع المفسر يقتضي أنه مستأنف حيث قال: قال تعالى ولذلك جعله بعضهم أول الربع، ويصح أن يكون عطفاً على لا يستكبرون. قوله: **﴿تَفِيضُ﴾** أي تمتلىء بالدمع حتى يسيل. قوله: **﴿مِنَ الدَّمْعِ﴾** من ابتدائية. قوله: **﴿مِمَّا عَرَفُوا﴾** من تعليلية و **﴿مِنَ الْحَقِّ﴾** بيانية. قوله: **﴿يَقُولُونَ﴾** استئناف مبني على سؤال، كأنه قيل فماذا يقولون. قوله: **﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾** جملة مستأنفة جواباً للسؤال الوارد عليهم. قوله: **﴿وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾** معطوف على لفظ الجلالة، أي لا مانع لنا من الإيمان بالله وبما جاءنا من الحق، ويراد بالحق القرآن. قوله: **(عطف على نؤمن)** أي مسلطة عليه لا على سبيل الاستفهام الإنكاري، والمعنى أي شيء ثبت لنا في كوننا لا نؤمن بالله ولا بالقرآن، ولا نطمع في أن يدخلنا ربنا الخ، مع وجود مقتضى ما ذكر. قوله: **﴿بِمَا قَالُوا﴾** أي بسبب

﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٨٥﴾ بالإيمان ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ ﴿٨٦﴾ ونزل لما هم قوم من الصحابة أن يلازم الصوم والقيام ولا يقربوا النساء والطيب ولا يأكلوا اللحم ولا يناموا على الفراش ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾ تتجاوزوا أمر الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا﴾ مفعول والجار والمجرور قبله حال متعلق به ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ﴾ الكائن ﴿فِىٓ

قولهم، ورتب الثواب على القول، لأنه قد سبق بما يدل على إخلاصهم فيه.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لما ذكر الله تعالى الوعد لمؤمني النصارى، وذكر الوعيد لمن بقي منهم على الكفر جمعاً بين الترغيب والترهيب. قوله: (ونزل لما هم قوم) أي وهم عشرة اجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون الجمحي، وسبب اجتماعهم أن رسول الله ﷺ، وعظ الناس يوماً حتى أبكاهم، فرقت أفئدتهم وعزموا على الترهب، وهم: أبو بكر وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وأبو ذر الغفاري وسالم مولى أبي حذيفة والمقداد بن الأسود وسلمان الفارسي ومعقل بن مقرن وعثمان بن مظعون، فتشاوروا واتفقوا على أنهم يلبسون المسوح، ويجبون مذاكيرهم، ويصومون الدهر، ويقومون الليل، ولا ينامون على الفراش، ولا يأكلون اللحم والودك ولا يقربون النساء ولا الطيب، وأن يسيحوا في الأرض، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه، فقال لامرأته: أحق ما بلغني عن زوجك وأصحابه؟ فكرهت أن تكذب، وكرهت أن تفشي سر زوجها، فقالت: يا رسول الله إن كان قد أخبرك عثمان فقد صدق، فانصرف رسول الله ﷺ فلما جاء عثمان أخبرته بذلك فأتى هو وأصحابه العشرة إلى رسول الله ﷺ فقال لهم: ألم أخبر أنكم اتفقتم على كذا وكذا؟ فقالوا: يا رسول الله وما أردنا إلا الخير، فقال رسول الله: «إني لم أؤمر بذلك ثم قال ﷺ: إن لأنفسكم عليكم حقاً، فصوموا وافطروا، وقوموا وناموا، فإني أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وآكل اللحم والدسم، وآتي النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني، ثم جمع الناس وخطبهم فقال: ما بال أقوام حرموا النساء والطعام والطيب وشهوات الدنيا، وإني لست آمركم أن تكونوا قسيسين ورهباناً، فإنه ليس في ديني ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع، وإن سياحة أمتي ورهبانيتهم الجهاد، واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وحجوا واعتمروا، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، وصوموا رمضان، واستقيموا يستقم لكم، فإنما هلك من كان قبلكم بالتشديد، شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الديارات والصوامع»، فنزلت تلك الآية.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هذا هو فاعل نزل. قوله: ﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي لا تجعلوها حراماً على أنفسكم، فمن حرم حلالاً فلا يحرم عليه إلا الزوجة، لأن الله جعل بيده تحريمها وتحليلها دون ما سواها، واعتقاد التحريم من غير إنشاء منه كفر. قوله: (تتجاوزوا أمر الله) أي ونهيه فلا تفعلوا ما نهى الله عنه، ولا تفرطوا فيما أمر به. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ أي المتجاوزين الحد، ومن جملة ذلك قطع المذاكير والشهوة والإسراف في المطاعم والمشارب قال تعالى: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾. قوله: (حال) أي من حلالاً لأنه في الأصل نعت نكرة قدم عليها وطيباً صفته.

قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه، فتقوى الله لا تتوقف على الرهبانية كما كان

﴿أَيْمَٰنِكُمْ﴾ هو ما يسبق اليه اللسان من غير قصد الحلف كقول الإنسان لا والله وبلى والله ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ﴾ بالتخفيف والتشديد وفي قراءة عاقدتم ﴿ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ عليه بأن حلفتم عن قصد ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ﴾ أي اليمين إذا حنثتم فيه ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ لكل مسكين مد ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ﴾ منه ﴿أَهْلِيكُمْ﴾ أي أقصده وأغلبه لا أعلاه ولا أدناه ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ بما يسمى كسوة كقميص وعمامة وإزار ولا يكفي دفع ما ذكر إلى مسكين واحد وعليه الشافعي ﴿أَوْ تَحْرِيرُ﴾ عتق

في الأمم السابقة. قوله: ﴿**لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ**﴾ هذا مرتب على قوله: ﴿**لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ**﴾ لأن بعض الصحابة حلف على الترهب لظن أنه قربة، فلما نزلت الآية شكوا لرسول الله ﷺ من اليمين، فنزلت هذه الآية. قوله: (**هو ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف**) أي بل بقصد التبرر أو لا قصد له وهذا مذهب الشافعي، وأما عند مالك وأبي حنيفة فاللغو أن يحلف على ظنه فيتبين خلافه. وهذا في غير الطلاق، وأما هو فلا ينفع فيه اللغو واللغو عند مالك وأبي حنيفة تكفر إن تعلقت بمستقبل فقط، لا إن تعلقت بحال أو ماض. والحاصل أنه إن قصد باليمين التبرر فهو لغو عند الشافعي لا عند مالك وأبي حنيفة، وأما إن سبق لسانه باليمين من غير قصد أصلاً فهو لغو اتفاقاً، والحلف على ظن شيء فتبين خلافه اتفاقاً أيضاً. قوله: (**وفي قراءة عاقدتم**) والثلاث سبعيات، فالتخفيف ظاهر، والتشديد للمبالغة، وما مصدرية أي بتعقيدكم الأيمان.

قوله: ﴿**فَكَفَّارَتُهُ**﴾ مبتدأ، و﴿**إِطْعَامُ**﴾ خبره وهو مضاف لمفعوله الأول، والمفعول الثاني قوله: ﴿**مِنْ أَوْسَطِ**﴾ والفاعل محذوف قياساً يعود على الحالف تقديره إطعامه عشرة مساكين. قوله: (**أي اليمين**) إن قلت: إن اليمين مؤنثة فلم عاد الضمير عليها مذكراً؟ أجيب: بأنها تذكر بمعنى الحلف. قوله: (**إذا حنثتم فيه**) أي وهو الحلف بالله أو بصفة من صفاته القديمة، وأما الحلف بغير ذلك فلا حنث فيه، ثم هو إن كان مما يعظم شرعاً كالكعبة والنبي فقيل مكروه وقيل حرام، وإلا فهو ممنوع لما في الحديث: «من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت». قوله: ﴿**عَشْرَةِ مَسَاكِينَ**﴾ المراد ما يشمل الفقراء، والفقير هو من لا يملك قوت عامه، والمسكين من التصقت يده بالتراب عند مالك. قوله: (**لكل مسكين مد**) أي وهو رطل وثلث بالبغدادي، وبالمصري رطل وأوقيتان وربع أوقية.

قوله: ﴿**مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ**﴾ قدر المفسر المفعول الثاني بقوله منه والأوضح أن يقدره متصلاً به وأهليكم مفعوله الأول. قوله: (**أغلبه**) هذا تفسير لأوسط، فإن كان القمح غالب اقتياتهم مثلاً أخرج منه. ولو كان هو يفتات ذرة مثلاً. وهل المراد بالغالب وقت الإخراج وهو مذهب مالك أو في السنة وهو مذهب الشافعي. وقوله: (**لا أعلاه ولا أدناه**) أي لا تفهم أن المراد بالأوسط ما قابل الأعلى كالقمح. والأدنى كالدخن. بل المراد به الغالب في الاقتيات. كان هو في نفسه أعلى أو أدنى أو أوسط. ويكفي بدل الإمداد عند مالك، لكل واحد رطلان من خبز، لو إطعام العشرة غداء وعشاء. أو غداءين أو عشاءين. قوله: (**بما يسمى كسوة**) أي وإن لم يكن من غالب كسوة الناس لأن قيد الأوسطية مخصوص بالإطعام. واشترط مالك كون الكسوة تستر البدن للرجل ثوب، وللمرأة درع وخمار. قوله: (**وعمامة وإزار**) الواو

﴿رَقَبَةٍ﴾ أي مؤمنة كما في كفارة القتل والظهار حملاً للمطلق على المقيد ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ واحداً مما ذكر ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾ كفارته وظاهره أنه لا يشترط التتابع وعليه الشافعي ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ وحنثتم ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ أن تنكثوها ما لم تكن على فعل بر أو إصلاح بين الناس كما في سورة البقرة ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل ما يبين لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٨٩﴾ ـه على ذلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ﴾ المسكر الذي يخامر العقل ﴿وَٱلْمَيْسِرُ﴾ القمار ﴿وَٱلْأَنصَابُ﴾ الأصنام ﴿وَٱلْأَزْلَٰمُ﴾ قداح الاستقسام ﴿رِجْسٌ﴾ خبيث مستقذر

بمعنى أو، ويكفي المنديل عند الشافعي. قوله: **(وعليه الشافعي)** أي ومالك. قوله: **(كما في كفارة القتل والظهار)** أي كما ثبت عند الفقهاء في كفارة القتل بالتصريح بمؤمنة، والظهار بحمل المطلق على المقيد، وهذا مذهب مالك والشافعي، وعند أبي حنيفة لا يحمل المطلق على المقيد إلا إذا اتحد السبب، وأما هنا فقد اختلف السبب فلا حمل فيكفي في اليمين والظهار عنده عتق الكافرة.

قوله: **﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾** أي بأن لم يكن عنده ما يباع على المفلس بأن لم يكن عنده أزيد من قوت يومه، وهو مذهب مالك والشافعي في القديم، وقال في الجديد ينتقل للصيام إن لم يكن عنده ما يكفيه العمر الغالب. قوله: **﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾** أي فالكفارة مخير فيها ابتداء في الثلاثة مرتب انتهاء في الصيام، وأفضلها في التخيير عند مالك الإطعام ثم الكسوة ثم العتق، وعند الشافعي العتق ثم الكسوة ثم الإطعام. قوله: **(كفارته)** أشار بذلك إلى أن صيام مبتدأ خبره محذوف، والأوضح أن يقدر المحذوف هو المبتدأ. قوله: **(وعليه الشافعي)** أي ومالك خلافاً لأبي حنيفة في اشتراطه التتابع. قوله: **(ما لم يكن على فعل بر)** أي فالحنث أفضل. قوله: **(كما في سورة البقرة)** أي في قوله تعالى: ﴿ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس﴾ فمن حلف على شيء، وكان فعله خيراً من تركه، فالأفضل حنثه كما كان رسول الله ﷺ يفعل ذلك. قوله: **(ما ذكر)** أي وهو حكم اليمين. قوله: **(على ذلك)** أي البيان فإنه من أعظم النعم.

قوله: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾** سبب نزولها دعاء عمر رضي الله عنه بقوله: اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً، وذلك أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾ الآية أحضر رسول الله عمر وقرأها عليه فقال: اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً ثم نزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ فأحضره رسول الله وقرأها عليه فقال: اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت هذه الآية، فأحضره وقرأها عليه فقال: انتهينا يا رب، وذكرت عقب ما قبلها، لأنه لما نهي فيما قبلها عن تحريم الطيبات مما أحلّ الله، وكانت الخمر والميسر مما يستطاب عندهم، ربما يتوهم أنهما داخلان في جملة الطيبات، فأفاد أنهما ليسا كذلك. قوله: **(الذي يخامر العقل)** أي يستره ويغطيه ولو كان متخذاً من غير العنب. قوله: **(القمار)** من المقامرة وهي المغالبة، لأن كلاً يريد المغالبة لصاحبه، والمراد بالقمار اللعب بالملاهي، كالطاب والطولة والمنقلة، فيحرم اللعب بذلك إذا كان بمال إجماعاً، وبغيره ففيها الخلاف بين العلماء بالكراهة والحرمة ما لم يضيع بسببها الفرائض، وإلا فحرام إجماعاً، وسمي ميسراً، لأن فيه أخذ المال بيسر.

﴿مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ الذي يزينه ﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾ أي الرجس المعبر به عن هذه الأشياء أن تفعلوه ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ﴾ إذا أتيتموهما لما يحصل فيهما من الشر والفتن ﴿وَيَصُدَّكُمۡ﴾ بالاشتغال بهما ﴿عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ﴾ خصها بالذكر تعظيماً لها ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ ﴿٩١﴾ عن إتيانهما أي انتهوا ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ﴾ المعاصي ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ عن الطاعة ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ ﴿٩٢﴾ الإبلاغ البين وجزاؤكم علينا ﴿لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾ أكلوا من الخمر والميسر قبل التحريم ﴿إِذَا مَا ٱتَّقَواْ﴾ المحرمات ﴿وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ

قوله: ﴿وَالأَنْصَابُ﴾ جمع نصب، سميت بذلك لأنها تنصب وترفع للعبادة. قوله: **(قداح الاستقسام)** تقدم أنها سبعة. قوله: ﴿رِجْسٌ﴾ خبر عن كل واحد مما تقدم من الخمر وما بعده، وحيث قرن الخمر والميسر بالأنصاب والأزلام، فهو دليل على أنهما من الكبائر، وقوله: **(خبيث مستقذر)** تفسير للرجس، وأما الرجز فهو العذاب، وأما الركس فهو العذرة والشيء النتن. قوله: **(الذي يزينه)** أي يأمر به ويحسنه، وليس المراد من عمل يده. قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الترجي في كلام الله تعالى للتحقيق. قوله: ﴿فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ إنما أعادهما ثانياً لأنها اللذان كانا في المسلمين، بخلاف الأنصاب والأزلام، وذكرهما أولاً لمزيد التنفير عنهما، وأكد التحريم بأمور، وإنما جمعهما مع الأنصاب والأزلام، وكونهما رجساً من عمل الشيطان، وكون اجتنابهما موجباً للفلاح، وكونهما يصدان عن ذكر الله وعن الصلاة، ويوقعان في العداوة والبغضاء والاستفهام التهديدي. قوله: **(خصها بالذكر)** أي الصلاة مع دخولها في الذكر. قوله: **(أي انتهوا)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام بمعنى الأمر، وهو استفهام تهديدي، وهو أبلغ من الأمر صريحاً كأنه قيل: قد بينت لكم ما في هذه الأمور من القبائح، فهل أنتم منتهون عنها، أم أنتم مقيمون عليها فلكم الوعيد.

قوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ﴾ معطوف على معنى الاستفهام، أي انتهوا وأطيعوا. قوله: ﴿وَاحْذَرُوا﴾ **(المعاصي)** أي فإنها تجر إلى الكفر. قوله: ﴿إِنَّما عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ أي وقد فعله، فلم ينتقل رسول الله ﷺ للرفيق الأعلى، حتى بلغ ما أمر بتبليغه، ففي الحديث: «تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، ونهارها كليلها، لا يضل عنها إلا هالك». قوله: **(وجزاؤكم علينا)** أشار بذلك إلى أن جواب الشرط محذوف.

قوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ سبب نزولها أنه لما نزل تحريم الخمر والميسر، قال أبو بكر وبعض الصحابة: يا رسول الله كيف بإخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر وفعلوا القمار فنزلت. قوله: **(أكلوا من الخمر والميسر)** أي تناولوا ذلك شرباً للخمر وانتفاعاً بمال القمار عاشوا أو ماتوا. قوله: ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾ ظرف لقوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ﴾ والحاصل أنه كرر سبحانه وتعالى قوله اتقوا ثلاثاً، فقيل الأول محمول على مبدأ العمر، والثاني على وسطه، والثالث على آخره، وقيل الأول اتقوا المحرمات خوف الوقوع في الكفر، والثاني الشبهات خوف الوقوع في المحرمات، والثالث بعض المباحات

ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ﴾ ثبتوا على التقوى والإيمان ﴿ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ﴾ العمل ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿٩٣﴾ بمعنى أنه يثيبهم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ﴾ ليختبرنكم ﴿ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ ﴾ يرسله لكم ﴿ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ ﴾ أي الصغار منه ﴿ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ ﴾ الكبار منه وكان ذلك بالحديبية وهم محرمون فكانت الوحش والطير تغشاهم في رحالهم ﴿ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ﴾ علم ظهور ﴿ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ﴾ حال أي غائباً لم يره فيجتنب الصيد ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ النهي عنه فاصطاده ﴿ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾ محرمون بحج أو عمرة ﴿ وَمَن

خوف الوقوع في الشبهات. وقيل الأول تقوى العبد بينه وبين ربه، والثاني تقوى العبد بينه وبين نفسه، والثالث تقوى العبد بينه وبين الناس، لأن العبد لا يكمل إلا إذا كان طائعاً فيما بينه وبين ربه، مجاهداً فيما بينه وبين نفسه، محافظاً على حقوق العباد. قوله: **(ثبتوا على التقوى)** هذا إشارة للمعنى الأول، وهو أن المراد بالأول التقوى في أول العمر الخ.

قوله: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾** نزلت عام الحديبية حين أحرم رسول الله ﷺ وأصحابه، وكانوا ألفاً وأربعمائة بالعمرة من ذي الحليفة، وأرسل عثمان لأهل مكة يخبرهم بأن رسول الله قاصد زيارة بيت الله، فجلسوا ينتظرون عثمان، فكانت وحوش البر والطيور تأتي إليهم من كل فج، فنزلت الآية. قوله: **(ليختبرنكم)** أي يعاملكم معاملة المختبر. قوله: **﴿مِنَ الصَّيْدِ﴾** أي المصيد وهو وحوش البر والطيور، وهذا الابتلاء نظير ابتلاء قوم موسى بتحريم صيد السمك يوم السبت، ولكن الله حفظ الأمة المحمدية من الوقوع فيما يخالف أمر ربهم، فتم له السعد والعز في الدنيا والآخرة، وأما أمة موسى فتعدوا واصطادوا فمسخوا قردة وخنازير، قوله: **﴿أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾** هو على التوزيع، فالأيدي راجع للصغار والرماح راجع للكبار. قوله: **(بالحديبية)** أي سنة ست، وقوله: **(وهم محرمون)** أي بالعمرة، وأشيع قتل عثمان فبايع النبي أصحابه تحت الشجرة على أنهم يدخلون مكة حرباً ثم حصل صلح بين الكفار وبين رسول الله، فأمرهم رسول الله بالتحلل من العمرة بالحلاق وذبح الهدايا. قوله: **(علم ظهور)** أي للخلق أي ليظهر لهم المطيع من العاصي. قوله: **(حال)** أي من فاعل يخاف، أي حال كون العبد غائباً عن الله أي محجوباً عنه لم يره. قوله: **﴿بَعْدَ ذٰلِكَ﴾** **(النهي)** أي المستفاد من قوله: **﴿لِيَبْلُوَنَّكُمْ﴾** مع علته التي هي قوله: **﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾**.

قوله: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾** لما كان قتل الصيد في حال الإحرام مشدداً في النهي عنه، كرر في هذه الصورة أربع مرات أولها في قوله: ﴿غير محلي الصيد وأنتم حرم﴾ ثانيها ﴿ليبلونكم الله بشيء من الصيد﴾ الآية. ثالثها ﴿لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم﴾. رابعها ﴿وحرم عليكم صيد البر﴾ الاية. قوله: **﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ﴾** أتى به وإن علم من قوله: **﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** ليرتب عليه قوله: **﴿مَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً﴾** الآية. قوله: **﴿وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾** الجملة حالية من فاعل تقتلوا، وحرم جمع حرام، يقع على المحرم وإن كان في الحل، وعلى من في الحرام وإن كان حلالاً، فهما سيان في النهي عن قتل الصيد.

قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ﴾ بالتنوين ورفع ما بعده أي فعليه جزاء هو ﴿مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ أي شبهه في الخلقة وفي قراءة بإضافة جزاء ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ﴾ أي بالمثل رجلان ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ لهما فطنة يميزان بها أشبه الأشياء به وقد حكم ابن عباس وعمر وعلي رضي الله عنهم في النعامة ببدنة، وابن عباس وأبو عبيدة في بقر الوحش وحماره ببقرة، وابن عمر وابن عوف في الظبي بشاة، وحكم بها ابن عباس وعمر وغيرهما في الحمام لأنه يشبهها في العب ﴿هَدْيًۢا﴾ حال من جزاء ﴿بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ أي يبلغ به الحرم فيذبح فيه ويتصدق به على مساكينه ولا يجوز أن يذبح حيث كان ونصبه نعتاً لما قبله وإن أضيف لأن إضافته لفظية لا تفيد تعريفاً فإن لم يكن للصيد مثل من النعم كالعصفور والجراد فعليه قيمته ﴿أَوْ﴾ عليه ﴿كَفَّٰرَةٌ﴾ غير الجزاء وإن وجده هي ﴿طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾ من غالب قوت البلد ما يساوي قيمة الجزاء لكل مسكين مد وفي قراءة بإضافة كفارة لما بعده وهي للبيان ﴿أَوْ﴾ عليه ﴿عَدْلُ﴾ مثل ﴿ذَٰلِكَ﴾ الطعام ﴿صِيَامًا﴾ يصومه عن كل مد يوماً وإن وجده

قوله: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ﴾ من اسم شرط جازم، وقتل فعل الشرط، وقوله: ﴿فَجَزَاءٌ﴾ مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله: **(فعليه)** وقوله: ﴿مِثْلُ﴾ خبر لمحذوف تقديره هو مثل، والجملة جواب الشرط، والمعنى أن ما قتله المحرم أو من في الحرم، أو له مدخل في قتله، فعليه جزاؤه، وهو ميتة لا يجوز أكله، ويقدم المضطر ميتة غيره عليه. قوله: ﴿مُتَعَمِّداً﴾ سيأتي للمفسر أنه لا مفهوم وله، بل الخطأ والنسيان كذلك، إلا أن الحرمة مختصة بالمتعمد. قوله: ﴿مِنَ النَّعَمِ﴾ أي الإنسية وهي الإبل والبقر والغنم، والجار والمجرور حال من مثل أو صفة له. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: **(بإضافة جزاء)** إن قلت على هذه القراءة يقتضي أن الجزاء لمثل المقتول لا للمقتول نفسه مع أنه ليس كذلك. أجيب بأجوبة منها: أن الإضافة بيانية، ومنها أن مثل زائدة، ومنها أن جزاء مصدر مضاف لمفعوله، أي أن يجازى القاتل مثل المقتول حال كون المثل من النعم. قوله: **(رجلان)** قدره إشارة إلى أن ذوا صفة لموصوف محذوف.

قوله: ﴿ذَوَا عَدْلٍ﴾ أي عدل شهادة. قوله: **(يميزان بها)** أي بتلك الفطنة أي العقل الزكي قوله: **(وقد حكم ابن عباس)** أي وحكم الصحابة المذكور بين أصول المماثلة، وأما جزئيات الوقائع، فلا بد لكل واحدة من حكم إلى يوم القيامة، لاختلاف الصيد بالكبر والصغر، ولا بد من كون الجزاء المحكوم به يجزىء ضحية عند مالك. قوله: **(في النعامة)** أي ومثلها الزرافة والفيل، وقوله: **(في الظبي)** أي ومثله الضب. قوله: **(لأنه يشبهها في العب)** أي شرب الماء بلا مص، وهذا التعليل للإمام الشافعي، وقال مالك بوجوب الشاة في خصوص حمام مكة ويمامة تعبداً، فإن لم يكن شاة فصيام عشرة أيام من غير تقويم ولا حكم، وحمام غيرها وسائر الطيور ليس فيه إلا قيمته طعاماً أو عدله صياماً. قوله: **(حال من جزاء)** ويصح أن يكون تمييزاً، وأن يكون مفعولاً مطلقاً والتقدير يهديه هدياً. قوله: **(فعليه)** أي طعاماً لكل مسكين مد، أو يصوم عن كل مد يوماً، فهو مخير بين أمرين فيما لا مثل له، وبين ثلاثة فيما له مثل. قوله: **(وإن وجده)** أي الجزاء وهو مبالغة في الكفارة، أي الكفارة عليه، هذا إذا لم يجد الجزاء، بل وإن وجده. قوله: **(لكل مسكين)** أي من مساكين المحل الذي هو به، وأما الصيام فلا يختص بزمان ولا مكان. قوله:

وجب ذلك عليه ﴿ لِيَذُوقَ وَبَالَ ﴾ ثقل جزاء ﴿ أَمْرِهِۦ ﴾ الذي فعله ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ﴾ من قتل الصيد قبل تحريمه ﴿ وَمَنْ عَادَ ﴾ إليه ﴿ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ﴾ غالب على أمره ﴿ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ ﴿٩٥﴾ ممن عصاه وألحق بقتله متعمداً فيما ذكر الخطأ ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ ﴾ أيها الناس حلالاً كنتم أو محرمين ﴿ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ ﴾ أن تأكلوه وهو ما لا يعيش إلا فيه كالسمك بخلاف ما يعيش فيه وفي البر كالسرطان ﴿ وَطَعَامُهُۥ ﴾ ما يقذفه ميتاً ﴿ مَتَٰعًا ﴾ تمتيعاً ﴿ لَّكُمْ ﴾ تأكلونه ﴿ وَلِلسَّيَّارَةِ ﴾ المسافرين منكم يتزودونه ﴿ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ ﴾ وهو ما يعيش فيه من الوحش المأكول أن تصيدوه ﴿ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ﴾ فلو صاده حلال فللمحرم أكله كما بينته السنة ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ ﴾ المحرم ﴿ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾ يقوم به أمر دينهم بالحج إليه ودنياهم

(وجب ذلك) أي الجزاء بأقسامه الثلاثة، وقوله: ﴿لِيَذُوقَ﴾ متعلق بقوله: (وجب) وكان المناسب أن يأتي بالواو ليفيد أنه كلام مستأنف، وليس جواباً لقوله فإن وجده لفساد ذلك. قوله: ﴿وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ أي جزاء ذنبه الصادر منه، ويؤخذ من ذلك أن قتل الصيد متعمداً للمحرم أو من في الحرم كبيرة، ولو أخرج الجزاء فيحتاج لتوبة. قوله: (ثقل جزاء) ﴿أَمْرِهِ﴾ أي لأن إخراج المال ثقيل على النفس، والصوم فيه إنهاك للبدن فهو ثقيل أيضاً.

قوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ أي لا يؤاخذ به، فلا يرد أن ما قبل التحريم لا ذنب في قتله. قوله: ﴿فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ أي يعاقبه. قوله: (فيما ذكر) أي في لزوم الجزاء، وإن كان لا إثم فيه. قوله: (الخطأ) أي والغلط والنسيان. قوله: (كالسمك) أي وغيره من دواب البحر، وإن كان على صورة آدمي أو خنزير. قوله: (كالسرطان) أي والضفدع والتمساح. قوله: (وهو ما يعيش فيه) الأولى ما لا يعيش إلا فيه. قوله: (من الوحش) استثنى الشارع الفأرة والحية والعقرب والكلب العقور والحدأة والعادي من السباع. قوله: (فلو صاده حلال) أي لنفسه أو لحلال، وأما ذبحه لمحرم من غير دلالة من المحرم عليه، فميتة عند مالك، وعند الشافعي ليس بميتة. قوله: (كما بينته السنة) أي كما روي عن أبي قتادة الأنصاري قال: كنت جالساً مع رجال أصحاب النبي ﷺ في منزل في طريق مكة، ورسول الله ﷺ أمامنا، والقوم محرمون، وأنا غير محرم، وذلك عام الحديبية، فأبصروا حماراً وحشياً، وأنا مشغول أخصف النعل، فلم يؤذنوني وأحبوا لو أبصرته، فالتفت فأبصرته، فقمت إلى الفرس فأسرجته ثم ركبت، ونسيت السوط والسرع والرمح، فقلت لهم: ناولوهما لي، فقالوا: لا والله لا نعينك عليه، فغضبت ونزلت فأخذتهما ثم ركبت، فشددت على الحمار فعقرته، ثم جئت به وقد مات، فوقعوا فيه يأكلون، ثم إنهم شكوا في أكلهم إياه وهم حرم، فرحنا وخبأت العضد، فأدركنا رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك فقال: هل معكم شيء منه؟ فقلت نعم، فناولته العضد فأكل منها وهو محرم، زاد في رواية أن النبي قال لهم إنما هي طعمة أطعمكموها الله. قوله: ﴿الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أي لا إلى غيره، فلا أحد غير الله يُلتجأ إليه حتى يتوهم الفرار من وعيد الله.

قوله: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ﴾ يحتمل أن جعل بمعنى صير، فيكون قوله الكعبة مفعول أول، وقياماً مفعول ثاني، ويحتمل أنها بمعنى خلق فيكون قياماً حالاً، والبيت الحرام عطف

بأمن داخله وعدم التعرض له وجبي ثمرات كل شيء إليه، وفي قراءة قيماً بلا ألف مصدر قام غير معل ﴿وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾ بمعنى الأشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب قياماً لهم بأمنهم القتال فيها ﴿وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَ﴾ قياماً لهم بأمن صاحبهما من التعرض له ﴿ذَٰلِكَ﴾ الجعل المذكور ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٩٧﴾ فإن جعله

بيان على الكعبة. إن قلت. . إن عطف البيان إنما يكون مبيناً أو موضحاً، وهنا ليس كذلك، إذ من المعلوم أن الكعبة هي البيت الحرام. أجيب بأنه للاحتراز عن بيت خثعم الذي سموه الكعبة اليمانية، فهو هنا للتوضيح لدفع الإلباس بغيره. وأجيب أيضاً بأنه جيء به لمجرد المدح، إذ الكعبة عند العرب لا تنصرف إلّا للبيت الحرام على حد ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ إذ من المعلوم أن الله هو رب العالمين. إن قلت: إن البيت جامد والمدح لا يكون إلا بمشتق. أجيب بأنه وصف بمشتق وهو الحرام، والكعبة لغة بيت مربع، فسميت الكعبة بذلك.

قوله: ﴿قِيَاماً﴾ أصله قواماً وقعت الواو بعد كسرة قلبت ياء. قوله: **(بالحج إليه)** أي فهو أحد أركان الدين، فلا يكمل إلا به، لأن من أتى بأركان الدين ما عداه مع القدرة عليه، فلم يكمل دينه، وقد حرم نفسه من الرحمات المشار إليها بقوله ﷺ: «ينزل من السماء كل يوم وليلة مائة وعشرون رحمة، ستون للطائفين، وأربعون للمصلين، وعشرون للناظرين». قوله: **(بأمن داخله)** أي الحرم لا خصوص الكعبة. قوله: **(وعدم التعرض له)** أي للداخل عاقلاً أو غيره. قوله: **(وجبى ثمرات كل شيء إليه)** أي نقلها له وذلك بدعوة ابراهيم عليه السلام حين قال: ﴿وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ وقال تعالى في مقام الامتنان ﴿يجبى إليه ثمرات كل شيء﴾. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: **(قيماً)** أي على وزن عنب. قوله: **(مصدر قام)** أي أيضاً إذ قياماً مصدر له أيضاً. قوله: **(غير معل)** أي الآن بقلب واوه ياء، فلا ينافي أن أصله معل وهو قياماً، فالياء الثابتة في قياماً هي الموجودة في قيماً غير أن ألفه حذفت، فيلاحظ أن قيماً فرع عن قياماً، فلم يحصل فيه تغير إلا حذف الألف.

قوله: ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ معطوف على الكعبة، وأل فيه للجنس فيشمل الأشهر الأربعة، ولهذا أشار المفسر بقوله: **(يعني الأشهر الخ)**. قوله: **(قياماً)** قدره إشارة إلى أنه محذوف من الثاني لدلالة الأول عليه. قوله: **(بأمنهم القتال فيها)** أي فكانت العرب يغير بعضهم على بعض، ويقتل بعضهم بعضاً، إلا في الأشهر الحرم. قوله: ﴿وَالْهَدْيَ﴾ أي فهو من مصالح الدين لجبره نقص الحج، والدنيا لحصول البركة فيما بقي من ماله بسبب إنفاقه الهدي في سبيل الله، وهكذا كل صدقة بها مصالح الدين بتكفير الذنوب، ومصالح الدنيا بنمو المال، ووقاية صاحبها مصارع السوء. قوله: ﴿وَالْقَلَائِدَ﴾ أي التي كانوا يقلدون بها أنفسهم إذا خرجوا من مكة لمصالحهم، فكانوا يأخذون من شجر الحرم شيئاً ويضعونه في عنقهم إذا خرجوا، ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم.

قوله: ﴿ذٰلِكَ لِتَعْلَمُوا﴾ اسم الإشارة مبتدأ، ولتعلموا خبره، وأن واسمها وخبرها في محل نصب سدت مسد مفعولي تعلموا، وقوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ معطوف على أن الأولى من عطف العام

ذلك لجلب المصالح لكم ودفع المضار عنكم قبل وقوعها دليل على علمه بما هو في الوجود وما هو كائن ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ لأعدائه ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لأوليائه ﴿رَّحِيمٌ ۝٩٨﴾ بهم ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ الإبلاغ لكم ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ﴾ تظهرون من العمل ﴿وَمَا تَكۡتُمُونَ ۝٩٩﴾ تخفون منه فيجازيكم به ﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ﴾ الحرام ﴿وَٱلطَّيِّبُ﴾ الحلال ﴿وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ﴾ أي سرك ﴿كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في تركه ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝١٠٠﴾ تفوزون. ونزل لما أكثروا سؤاله ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ﴾ تظهر ﴿لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾ لما فيها من المشقة ﴿وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ أي في زمن

على الخاص. قوله: **(فإن جعله ذلك)** أي المتقدم ذكره وهو الكعبة والشهر الحرام والهدي والقلائد. قوله: **(لجلب المصالح)** علة لما قبله، وقوله: **(دليل الخ)** خبر إن. قوله: **(وما هو كائن)** أي الآن أو في المستقبل. قوله: **﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** **(لأعدائه)** أي الذين بطروا نعمته، وسماهم أعداء لمخالفتهم أمره، فكل من خالفه فهو كالعدو له، والمعنى يعامله معاملة العدو. قوله: **(لأوليائه)** أي أحبابه الذين يشكرون نعمه، وإنما قدم شديد العقاب لأنه تقدم ذكر النعم، فحذر من الاغترار بها والطغيان فيها، لأن الفقر مع الشكر خير من الغنى مع البطر.

قوله: **﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾** هو بالرفع فاعل لفعل محذوف، أو مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله، والمعنى ليس على الرسول إلا تبليغ أمر دينكم لا جزاؤكم. قوله: **(الإبلاغ)** أشار بذلك إلى أنه استعمل مصدر المجرد موضع المزيد في الآية لمزيد البلاغة، لأن زيادة البنية تدل على زيادة المعنى، ففيه الإشارة إلى أنه بلغ البلاغ الكامل. قوله: **(فيجازيكم به)** أي إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، قوله: **﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾** معطوف على محذوف تقديره هذا إذا لم يعجبك بل ولو أعجبك، وجواب الشرط محذوف تقديره فلا يستويان، لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، والمقصود من ذلك أمره ﷺ أن يخاطب بذلك أمته، فليس الخطاب له، لأنه قد زهد الحلال، فضلاً عن كونه يعجبه كثرة الحرام.

قوله: **﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾** **(في تركه)** أي ولا تتعرضوا لأخذ الحرام، فإنه يورث غضب الله، ولا لأخذ الشبهات أيضاً، فإنها تورث قسوة القلب. قوله: **(تفوزون)** أي تظفرون برضا الله، فإن العز كل العز للمتقي. قوله: **(ونزل لما أكثروا سؤاله)** أي عن أمور لو أجابهم عنها لشق عليهم، وعن أمور لو أجابهم بها لساءتهم. فالأول كسؤالهم عن الحج، هل هو واجب في العمر مرة أو كل عام مرة؟ والثاني كسؤال رجل عن أبيه بعد موته أين هو؟ فقال له رسول الله ﷺ: إنه في النار. قوله: **﴿عَنْ أَشْيَاءَ﴾** أصله شيآء على وزن فعلاء كحمراء استثقلت العرب النطق في كلمة يكثر استعمالها بألف بين همزتين، خصوصاً قبل الهمزة الأولى ياء فقلبوها قلباً مكانياً، فقدموا الهمزة الأولى التي هي لام الكلمة قبل الشين فصار وزنه لفعاء، وهو ممنوع من الصرف لألف التأنيث الممدودة. قوله: **(لما فيها من المشقة)** علة لقوله: **﴿تَسُؤْكُمْ﴾** والمشقة إما لحصول التكليف بها، أو لحصول الإساءة والفضيحة بها ففي الحديث: «إن الله أحل لكم أشياء وحرم أشياء وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها».

قوله: **﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا﴾** إن حرف شرط، وتسألوا فعل الشرط، وعنها متعلق بتسألوا، والضمير

النبي ﷺ ﴿تُبۡدَ لَكُمۡ﴾ المعنى إذا سألتم عن أشياء في زمنه ينزل القرآن بإبدائها ومتى أبداها ساءتكم فلا تسألوا عنها قد ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ﴾ عن مسألتكم فلا تعودوا ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾ ﴿١٠١﴾ ﴿قَدۡ سَأَلَهَا﴾ أي الأشياء ﴿قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ﴾ أنبياءهم فأجيبوا ببيان أحكامها ﴿ثُمَّ أَصۡبَحُواْ﴾ صاروا ﴿بِهَا كَٰفِرِينَ﴾ ﴿١٠٢﴾ بتركهم العمل بها ﴿مَا جَعَلَ﴾ شرع ﴿ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ﴾ كما كان أهل الجاهلية يفعلونه روى البخاري عن سعيد بن المسيب قال البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس، والسائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم فلا يحمل

عائد على الأشياء المتقدمة، وقوله: ﴿حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ﴾ ظرف متعلق بتسألوا، وقوله: ﴿تُبْدَ لَكُمْ﴾ جواب الشرط. قوله: **(المعنى إذا سألتم الخ)** حاصل ما أفاده المفسر أن هنا جملتين شرطيتين ونهي، فالأصل تأخير النهي عن الجملتين، وتأخير الجملة الأولى عن الثانية، وإنما قدم النهي ونتيجته وهي الإساءة اعتناء بزجر عباده، وهذا التقديم والتأخير باعتبار المعنى، وإلا قالوا ولا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً.

قوله: **(إذا سألتم عن أشياء)** هو معنى الجملة الثانية، وقوله: **(متى أبداها ساءتكم)** هو معنى الجملة الأولى، وقوله: **(فلا تسألوا عنها)** هو معنى النهي، وما ذكره المفسر أحد احتمالات في الآية وهو أحسنها، قوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ أي لم يؤاخذكم بذلك. قوله: **(عن مسألتكم)** أي عن جوابها، والمعنى لم يجبكم بالتشديد مع استحقاقكم إياه بالسؤال عما لا يعنيكم، فضلاً منه ولطفاً بكم. قوله: **(فلا تعودوا)** أي لمثل هذه الأسئلة.

قوله: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ في معنى العلة لقوله ﴿عفا الله عنها﴾ أي عفا عنها، لأنه غفور يستر الذنوب ويمحوها، حليم لا يعجل بالعقوبة على من عصاه. قوله: **(قد سألها)** هذا امتنان من الله تعالى على هذه الأمة، حيث لم يشدد عليهم كما شدد على من قبلهم، رحمة منه وزجراً لهم عن وقوع مثل ذلك منهم. قوله: **(أي الأشياء)** أي نوع الأشياء وهو ما فيه الإساءة، كسؤال قوم صالح أن يأتي لهم من الجبل بناقة، وكسؤال قوم عيسى المائدة، وكسؤال قوم موسى رؤية الله جهرة، فأجاب سؤالهم بالتشديد عليهم في التكاليف فخالفوا فحل بهم ما حل من العذاب، وإنما قال هنا قد سألها ولم يقل عنها إشارة إلى أن السؤال كما يتعدى بالحرف يتعدى بنفسه. قوله: **(بيان أحكامها)** أي أحكام الأشياء التي سألوها مع التشديد عليهم. قوله: **(بتركهم العمل)** أشار بذلك إلى أن الكفر إنما هو بترك العمل لا بنفس تلك الأشياء، فالكلام على حذف مضاف.

قوله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ﴾ رد إبطال لما كان عليه الجاهلية. قوله: **(شرع)** إن قلت إنه لم يرد في اللغة بمعنى شرع، فالمناسب أن يفسرها بصير، ويكون المفعول الثاني محذوفاً، والتقدير مشروعاً. قوله: ﴿مِنْ بَحِيرَةٍ﴾ من زائدة في المفعول، ووجد شرطها، وهو كون مدخولها نكرة في سياق نفي. قوله: **(درها)** أي لبنها، وقوله: **(للطواغيت)** أي خدمتها وهذا أحد أقوال في تفسير البحيرة وما بعدها وهو أصحها، وقيل البحيرة هي الناقة متى تنتج خمسة أبطن في آخرها ذكر، فتشق أذنها وتترك، فلا تركب ولا تحلب ولا تطرد عن مرعى ولا ماء، وإذا لقيها الضعيف لم يركبها، وقيل هي الأنثى الخامسة في النتاج، وقيل هي بنت السائبة، وسبب هذا الاختلاف اختلاف العرب في البحيرة، فبعضهم يطلقها على واحد من الأمور

عليها شيء والوصيلة الناقة البكر تبكر في أول نتاج الإبل بأنثى ثم تثني بعد بأنثى وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بأخرى ليس بينهما ذكر، والحام فحل الإبل يضرب الضراب المعدود فإذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل عليه فلا يحمل عليه شيء وسموه الحامي ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ في ذلك ونسبته إليه ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ﴿١٠٣﴾ أن ذلك افتراء لأنهم قلدوا فيه آباءهم ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ ﴾ أي إلى حكمه من تحليل ما حرمتم ﴿ قَالُواْ حَسْبُنَا ﴾ كافينا ﴿ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾ من

المتقدمة، وبعضهم على واحد آخر منها وهكذا. قوله: **(والسائبة كانوا الخ)** وقيل هي الناقة تنتج عشر إناث، فلا تركب ولا يشرب لبنها إلا ضعيف أو ولد، وقيل هي الناقة تترك ليحج عليها حجة. قوله: **(والوصيلة الناقة البكر الخ)** وقيل هي الشاة التي تنتج سبعة أبطن عناقين عناقين، فإذا ولدت في آخرها عناقاً وجدياً قيل وصلت أخاها فجرت مجرى السائبة وقيل هي الشاة تنتج سبعة أبطن، فإذا كان السابع أنثى لم ينتفع النساء منها بشيء إلا أن تموت، فيأكلها الرجال والنساء، وإن كان ذكراً ذبحوه وأكلوه جميعاً، وإن كان ذكراً وأنثى قالوا وصلت أخاها فيتركونها معه، فلا ينتفع بها إلا الرجال دون النساء، وقالوا خالصة لذكورنا، ومحرم على أزواجنا، وقيل هي الشاة تنتج عشر إناث متواليات في خمسة أبطن، ثم ما ولدت بعد ذلك فللذكور دون الإناث، وقيل غير ذلك. قوله: **(والحام فحل الإبل)** وقيل هو الفحل ينتج له سبع أناث متواليات فيحمي ظهره، وقيل هو الفحل الذي ينتج من بين أولاده ذكورها وإناثها عشر إناث، وقيل غير ذلك، وقد علمت أن اختلاف تلك الأقوال لاختلاف اصطلاح الجاهلية فيها، ولم يجعل الله سبحانه وتعالى شيئاً منها في دين الإسلام على جميع الأقوال. قوله: **(الضراب المعدود)** أي وهو عشر مرات ينشأ عن كل مرة حمل.

قوله: **﴿وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** أي علماؤهم، وقوله: **﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾** أي عوامهم، فهم كالأنعام بل هم أضل. قوله: **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾** الضمير عائد على قوله وأكثرهم الذين هم عوامهم، والقائل يحتمل أنه النبي ﷺ أو أصحابه. قوله: **﴿تَعَالَوْا﴾** فعل أمر بمعنى أقبلوا، وأصله تعالوون، تحركت الواو الأولى وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً فصار تعالاون التقى ساكنان حذفت الألف لالتقائهما، وحذفت النون لأن فعل الأمر يبنى على ما يجزم به مضارعه وهو يجزم بحذف النون، وهو بفتح اللام لكل مخاطب ولو أنثى، قال تعالى: ﴿فتعالين﴾. قوله: **﴿إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾** أي إلى الذي أنزله الله وهو القرآن، وقوله: **﴿وَإِلَى الرَّسُولِ﴾** معطوف على ما، أي وتعالوا إلى الرسول، أي ليبين لكم أحكام الله. قوله: **(أي إلى حكمه)** أشار بذلك إلى أن قوله: **﴿وَإِلَى الرَّسُولِ﴾** على حذف مضاف، وقوله: **(من تحليل ما حرمتم)** بيان لحكمه، وهو البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ومثل ذلك في الحرمة ما يفعله بعض سفهاء العوام، من كونهم يرسلون عجلاً أو شاة على اسم ولي من الأولياء تأكل من أموال الناس ولا يتعرض لهما أحد، فإذا نصحهم إنسان وقال لهم إن ذلك حرام، أساؤوا الظن وقالوا إنه لا يحب الأولياء، فإذا اعتقدوا أن ذلك قربة وطاعة فقد كفروا، وإلا فهو من جملة المحرمات ويحسبون أنهم على شيء إلا أنهم هم الكاذبون.

الـدين والشريعة قـال تعـالى ﴿أَ﴾ حسبهم ذلـك ﴿وَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ ﴿١٠٤﴾ إلى الحق والاستفهام للأنكار ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي احفظوها وقوموا بصلاحها ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ قيل المراد لا يضركم من ضـل من أهل الكتاب وقيل المراد غيرهم لحديث أبي ثعلبه الخشني سألت عنها رسـول الله ﷺ فقال ائتمـروا

قوله: ﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا﴾ حسبنا مبتدأ وما وجدناه خبره. قوله: ﴿أَ﴾ (حسبهم ذلك) ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ الخ الواو في أو لو للحال، وهمزة الإنكار الواقعة قبلها داخلة على محذوف قـدره المفسر والمعنى أكافيهم دين آبائهم ولو كانوا الخ، ويصح أن تكون للعطف على جملة شرطية مقدرة قبلها، والتقدير أيقولون ذلك ولو كان آباؤهم يعلمون شيئاً ويهتدون، بل ولو كانوا لا يعلمون الخ، نظيـر أحسن إلى فلان وإن أساء إليك، أي أحسن إليه في حال عدم إساءته، بل ولو في حال إساءته. قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً﴾ عبر هنا بيعلمون، وفي البقرة بيعقلون، وقال هنا ما وجدنا، وهناك ما ألفينا تفنناً. قوله: (للإنكار) أي والتوبيخ.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ قيل إنه مرتبط بما قبله فيكون قوله لا يضركم من ضل يعني من أهل الكتاب، والمعنى أن الله كلفنا بقتال الكفار حتى يسلموا أو يؤيدوا الجزية، فإذا أدوها كففنا أنفسنا عنهم ولا يضرنا كفرهم، وقيل مستأنفة نزلت في العصاة، فالمعنى عليك بحفظ نفسك ولا تتعرض لغيرك، فلا يضرك ضلال من ضل. إن قلت: إن هذا يوهم أن المدار على هدى الإنسان في نفسه، ولا يلزمه الأمر بالمعـروف ولا النهي عن المنكر، وهـو خلاف النصـوص الشرعية من الآيـات والأحاديث النبوية. وأجيب: يحمل ذلك على من عجز عن ذلك، وإلى هذين القولين أشار المفسر فيما يأتي بقوله قيل المراد الخ، وفي الحقيقة المراد ما هو أعم، فإذا امتثل العبد ما أمره الله به وترك ما نهاه عنه فلا يضره مخالفة من خالف.

قوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ بنصب أنفسكم على الإغراء، لأن عليكم اسم فعـل بمعنى الزمـوا، والفاعل مستتر وجوباً تقديره أنتم، والمعنى الزموا حفظ أنفسكم وهدايتها ووقايتها من النار، والكاف في عليكم ونظيره من أسماء الأفعال كإليك ولديك، قيل في محل جر بعلى بحسب الأصل، وقيل في محل نصب ولا وجه له، وقيل في محل رفع توكيد للضمير المستتر، وذهب ابن بأبشاذ إلى أنها حرف خطاب، وقرىء شذوذاً برفع أنفسكم، وخرجت على أحد وجهين: الأول كونها مبتدأ وعليكم خبر مقدم، والمعنى على الإغراء على كل حال، فإن الإغراء جاء بالجملة الابتدائية، ومنه قراءة بعضهم ﴿ناقة الله وسقياها﴾. والرفع الثاني أنه توكيد للضمير المستتر في عليكم وإن كان خلاف القياس، لأن القياس لا يؤكد بالنفس الضمير المتصل إلا بعد الضمير المنفصل لقول ابن مالك:

وَإِنْ تُـؤَكِّـدِ الضَّمِـيرَ المُـتَّصِـل ... بِـالنَّفْسِ وَالعَيْنِ فَبَعْـدَ المُنْفَصِـل

قوله: (وقيل المراد غيرهم) أي غير أهل الكتاب من العصاة، ليس فيها دليـل على تـرك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ قد ورد أن الصديق قال يوماً على المنبر: يا أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية، وتضعونها في غير موضعها، ولا تدرون ما هي، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا

بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك رواه الحاكم وغيره ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٠٥﴾ فيجازيكم به ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ أي أسبابه ﴿ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ خبر بمعنى الأمر أي ليشهد وإضافة شهادة لبين على الإتساع وحين بدل من إذا أو ظرف لحضر ﴿ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ أي غير ملتكم ﴿ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ ﴾ سافرتم

رأوا منكراً فلم يغيروه عمهم الله بعقاب، فامروا بالمعروف وأنهوا عن المنكر، ولا تغتروا بقول الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾ فيقول أحدكم علي نفسي، والله لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليستعملن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب، ثم ليدعون خياركم فلا يستجاب لهم» وعنه ﷺ قال: «ما من قوم عمل فيهم منكر وسن فيهم قبيح فلم يغيروه ولم ينكروه إلا وحق الله أن يعمهم بالعقوبة جميعاً ثم لا يستجاب لهم». وقال الصديق أيضاً إن هذه الآية تعدونها رخصة، والله ما أنزل آية أشد منها. قوله: **(سألت عنها)** أي عن هذه الآية، وقوله: **(فقال)** أي في بيان معناها. قوله: **(شحاً مطاعاً)** الشح نهاية البخل، وقوله مطاعاً أي يطيعه صاحبه. قوله: **(وهوى)** بالقصر ما تميل إليه النفس من القبائح. قوله: **(متبعاً)** أي يتبعه صاحبه. قوله: **(ودنيا مؤثرة)** بهمزة ودونها، أي يقدمها صاحبها على الآخرة. قوله: **(وإعجاب كل ذي رأي برأيه)** أي فلا يعجبه رأي غيره، ولا يقبل نصيحته، زاد الخائن في تلك الرواية بعد قوله فعليك بنفسك: ردع العوام فإن من ورائكم أيام الصبر، فمن صبر فيهن قبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم ا هـ. قوله: **﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً﴾** فيه وعد لمن أطاع ووعيد لمن اغتر وعصى.

قوله: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾** لما بين سبحانه ما يتعلق بمصالح الدين شرع يبين ما يتعلق بمصالح الدنيا، إشارة إلى أن الإنسان ينبغي له أن يضبط مصالح دينه ودنياه لأنه مكلف بحفظهما. قوله: **﴿شَهَادَةُ﴾** مبتدأ، وبينكم مضاف إليه، إذا ظرف بشهادة، وحضر فعل ماض، واحكم مفعول مقدم، والموت فاعل مؤخر، وحين بدل من الظرف قبله، وقوله اثنان خبره. إن قلت: إن الذات لا يخبر بها عن المعنى ولا عكسه. أجيب: بأن الكلام على حذف مضاف، أما في الأول تقديره ذوا شهادة أحدكم اثنان أو في الثاني تقديره شهادة اثنين، وقوله ذوا عدل صفة لاثنان، والعدل هو الذكر البالغ غير مرتكب كبيرة ولا صغيرة خسة وغير مصر على صغيرة غيرها. قوله: **(خبر بمعنى الأمر)** أي فهي جملة خبرية لفظاً إنشائية معنى. قوله: **(أي ليشهد)** بضم الياء من أشهد الرباعي، وتلك الشهادة يحتمل أن تكون حقيقية، واشتراط العدالة ظاهرة، ويحتمل أن المراد بالشهادة الوصية، المعنى إذا حضر أحدكم الموت فليوص اثنين، وعلى هذا فاشتراط العدالة من حيث الوصية، أي كونه عدلاً في الوصية، بأن يحسن التصرف فيما ولي عليه، وأما كونهما اثنين فشرط كمال، ولكون سبب النزول كذلك كما سيأتي. قوله: **(على الاتساع)** أي التسمح والتجوز، وكان حقها أن تضاف إلى الأموال، وإنما أضيفت إلى البين لأن الشهادة على الأموال تمنع فساد البين. قوله: **(بدل من إذا)** أي فكل منها ظرف لشهادة، وقوله: **(أو ظرف لحضر)** أي فقوله إذا ظرف لشهادة، أي فعلى هذا تغاير متعلق الظرفين.

قوله: **﴿أَوْ آخَرَانِ﴾** معطوف على اثنان، أي فإن لم يجد العدلين لكون رفقته في السفر كفاراً كما هو

﴿ فِي ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا ﴾ توقفونهما صفة آخران ﴿ مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ أي صلاة العصر ﴿ فَيُقْسِمَانِ ﴾ يحلفان ﴿ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ ﴾ شككتم فيها ويقولان ﴿ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ﴾ بالله ﴿ ثَمَنًا ﴾ عوضاً نأخذه بدله من الدنيا بأن نحلف به أو نشهد كذباً لأجله ﴿ وَلَوْ كَانَ ﴾ المقسم له أو المشهود له ﴿ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ قرابة منه ﴿ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ ﴾ التي أمرنا بها ﴿ إِنَّآ إِذًا ﴾ إن كتمناها ﴿ لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴾ ﴿١٠٦﴾ ﴿ فَإِنْ عُثِرَ ﴾ اطلع بعد حلفهما ﴿ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا ﴾ أي فعلاً ما يوجبه من خيانة أو كذب في الشهادة بأن وجد عندهما مثلاً ما اتهما به وادعيا أنهما ابتاعاه من الميت أو وصى لهما به ﴿ فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا ﴾ في توجه اليمين عليهما ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ﴾ الوصية وهم

سبب النزول فليشهد أو يوص آخرين، وحاصله لأجل اتضاح المعنى، أن بزيلا السهمي مولى عمرو بن العاص وقيل بديل بالدال، وعدي بن بداء، وتميماً الداري، سافروا من المدينة إلى الشام بتجارة، فحضرت بزيلا السهمي الوفاة وكان مسلماً، وعدي وتميم نصرانيان، فكتب متاعه في وثيقة، ومن جملة ما كتب في الوثيقة: جام من الفضة قدره ثلثمائة مثقال مخوص بالذهب، وأمرهما أن يسلما متاعه لورثته، ثم قضي عليه، ففتشا متاعه فوجدا ذلك الجام فأخذاه وباعاه بألف درهم، فلما حضرا سلما متاعه لورثته فوجدوا فيه صحيفة مكتوباً فيها جميع المتاع، ومن جملته جام من فضة، ففتشوا عليه فلم يجدوه، فجاؤوهما فقالوا لهما صاحبنا قد تمرض وأنفق على نفسه، قالا لا، قالوا: فهل باع من متاعه شيئاً، قالا: لا قالوا: فأين الجام؟ قالا: لا علم لنا به، فارتفع أقارب بزيل إلى رسول الله ﷺ وأخبروه بالواقعة، فأحضر عدياً وتميماً فسألهما عنه فقالا: لا علم لنا به، فنزلت الآية، فأحضرهما بعد صلاة العصر عند المنبر وحلفهما، ثم بعد ذلك ظهر الجام، قيل بمكة مع رجل وقيل بيدهما، فأخبروا رسول الله ﷺ بذلك، فنزلت الآيتان الأخيرتان، فأحضر رسول الله عمرو بن العاص والمطلب بن أبي وداعة وحلفهما، فحلفا لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا، فأعطي الجام لهما.

قوله: ﴿إِنْ أَنْتُمْ﴾ شرط في المعطوف، وقوله أنتم فاعل بفعل محذوف يفسره قوله: ﴿ضَرَبْتُمْ﴾ فجملة ضربتم لا محل لها من الإعراب، لأنها مفسرة للمحذوف، وقوله: ﴿فَأَصَابَتْكُمْ﴾ معطوف على ضربتم. قوله: **(صفة آخران)** أي وجملة الشرط، وجوابه معترضة بين الصفة والموصوف. قوله: **(أي صلاة العصر)** أي فأل للعهد لأن وقت العصر معظم في جميع الملل، وإنما كان معظماً لأنه وقت نزول ملائكة الليل وصعود ملائكة النهار. قوله: ﴿إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ شرط في تحليفهما. قوله: **(ويقولان)** ﴿لَا نَشْتَرِي﴾ الخ، بيان لكيفية يمينهما. قوله: **(بأن نحلف به أو نشهد الخ)** أشار بذلك إلى قولين: قيل قالوا لا علم لنا به، وقيل قالوا أوصى به لغيركم وأعطيناه له، وسياق الآية في يمينهما يشهد للثاني. قوله: **(كاذباً)** المناسب كذباً.

قوله: ﴿وَلَا نَكْتُمُ﴾ معطوف على لا نشتري. قوله: **(بأن وجد عندهما)** أي وقيل عند رجل مكي باعاه له بألف درهم كما سيأتي. قوله: **(وادعيا أنهما ابتاعاه الخ)** إشارة لوجهين في دعواهما، وسيأتي الثالث في قوله ودفعه إلى شخص زعما أن الميت أوصى له به. قوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ أي لهم ونائب

الورثة ويبدل من آخران ﴿ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ﴾ بالميت أي الأقربان إليه وفي قراءة الأولين جمع أول صفة أو بدل من الذين ﴿فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ على خيانة الشاهدين ويقولان ﴿لَشَهَٰدَتُنَآ﴾ يميننا ﴿أَحَقُّ﴾ أصدق ﴿مِن شَهَٰدَتِهِمَا﴾ يمينهما ﴿وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ﴾ تجاوزنا الحق في اليمين ﴿إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿١٠٧﴾ المعنى ليشهد المحتضر على وصيته اثنين أو يوصي إليهما من أهل دينه أو غيرهم إن فقدهم لسفر ونحوه فإن ارتاب الورثة فيهما فادعوا أنهما خانا بأخذ شيء أو دفعه إلى شخص زعماً أن الميت أوصى له به فليحلفا إلى آخره فإن اطلع على امارة تكذيبهما فادعيا دافعاً له حلف أقرب الورثة على كذبهما وصدق ما ادعوه والحكم ثابت في الوصيين منسوخ في الشاهدين وكذا شهادة غير أهل الملة منسوخة واعتبار صلاة العصر للتغليظ وتخصيص الحلف في الآية باثنين من أقرب الورثة لخصوص الواقعة التي نزلت لها وهي ما رواه البخاري أن رجلاً من بني سهم خرج مع تميم الداري وعدي ابن بداء أي وهما نصرانيان فمات السهمي بأرض ليس فيها مسلم فلما قدما بتركته فقدوا جاماً من فضة مخوصاً بالذهب فرفعا إلى النبي ﷺ فنزلت فأحلفهما ثم وجد الجام بمكة فقال ابتعناه من تميم وعدي فنزلت الآية الثانية فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا وفي رواية الترمذي فقام عمرو ابن العاص ورجل آخر منهم فحلفا وكانا أقرب إليه وفي رواية فمرض فأوصى إليهما وأمرهما أن يبلغا ما ترك أهله فلما مات أخذا الجام ودفعا إلى أهله ما بقي ﴿ذَٰلِكَ﴾ الحكم المذكور من رد

الفاعل قدره المفسر بقوله الوصية أي الإيصاء. قوله: ﴿الأَوْلَيَانِ﴾ تثنية أولى بمعنى أقرب كما قال المفسر. قوله: (جمع أول) بمعنى أسبق وهي بمعنى أسبق، وهي بمعنى القراءة الأولى من حيث إنهم أقارب الميت. قوله: ﴿فَيُقْسِمَانِ﴾ عطف على ﴿يَقُومَانِ﴾. قوله: (يميننا) أي فالمراد بالشهادة اليمين.

قوله: ﴿وَمَا اعْتَدَيْنَا﴾ هذا من جملة اليمين. قوله: (المعنى) أي معنى الآيتين. قوله: (أو يوصي) إشارة إلى التفسير الثاني. قوله: (إن فقدهم) أي أهل دينه. قوله: (بأخذ شيء) أي وقد ادعيا أنهما اشترياه من الميت أو أنه أوصى لهما به. قوله: (دافعاً له) أي لما الشهود ادعى عليهما به من الخيانة. قوله: (منسوخ في الشاهدين) أي عند من يشترط الشاهد في الإسلام، ولو عند فقد المسلمين، وأما عند من لم يشترط ذلك عند الفقد فلا نسخ. قوله: (للتغليظ) أي لأن اليمين تغلظ بالزمان ككونها بعد العصر، والمكان ككونها في المسجد في الحقوق المهمة من الأموال وغيرها. قوله: (وتخصيص الحلف في الآية باثنين) أي مع أنه يصح من واحد أو أكثر ممن يظن به العلم من المستحقين. قوله: (أنّ رجلاً) تقدم أن اسمه بزيل وقيل بديل بالزاي أو الدال. قوله: (مع تميم) أي وقد أسلم بعد ذلك، وصار من مشاهير الصحابة، وكان يحدث بالواقعة. قوله: (وعدي بن بداء) ولم يثبت إسلامه، وبداء بفتح الموحدة والدال المشددة بعدها ألف ثم همزة. قوله: (جاماً) الجام في الأصل الكأس، ولكن المراد به هنا إناء كبير من فضة وزنه ثلثمائة مثقال. قوله: (مخوصاً بالذهب) أي منقوشاً به. قوله: (فأحلفهما) أي بعد العصر عند المنبر. قوله: (فقال) أي الرجل، وقوله: (ابتعناه) أي بألف درهم. قوله: (فقام رجلان) سيأتي في الرواية الأخرى

اليمين على الورثة ﴿ أَدْنَىٰٓ ﴾ أقرب إلى ﴿ أَن يَأْتُوا۟ ﴾ أي الشهود أو الأوصياء ﴿ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ ﴾ الذي تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة ﴿ أَوْ ﴾ أقرب إلى أن ﴿ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾ على الورثة المدعين فيحلفون على خيانتهم وكذبهم فيفتضحون ويغرمون فلا يكذبوا ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ بترك الخيانة والكذب ﴿ وَٱسْمَعُوا۟ ﴾ ما تؤمرون به سماع قبول ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ ﴿١٠٨﴾ الخارجين عن طاعته إلى سبيل الخير اذكر ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ ﴾ هو يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ﴾ لهم توبيخاً لقومهم ﴿ مَاذَآ ﴾ أي الذي ﴿أُجِبْتُمْ﴾ به حين دعوتم إلى التوحيد ﴿ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ﴾ بذلك ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ ﴿١٠٩﴾ ما غاب عن العباد وذهب عنهم علمه

اسم أحدهما وهو عمرو بن العاص، والثاني هو المطلب بن وداعة. قوله: (من رد اليمين على الورثة) أي توجهها عليهم بعد أن حلف تميم وعدي وظهر كذبهما.

قوله: ﴿أَنْ يَأْتُوا﴾ المقام للتثنية، وكذا قوله: ﴿أَوْ يَخَافُوا﴾ أيضاً وإنما جمع لأن المراد ما يعم الشاهدين المذكورين وغيرهما، وإنما ردت اليمين على الوارث، مع أن حقها أن تكون من الوصي لا غير، لأنه مدعى عليهما، إما لظهور خيانتهما فبطل تصديقهما باليمين، أو لتغير الدعوى أي انقلابها لأنه صار المدعى عليه مدعياً حيث ادعى الملك. قوله: (فلا يكذبوا) أي فلا يأتوا باليمين كاذبة، والمعنى أنه إنما شرع الله رد اليمين على الورثة في مثل هذه الواقعة، ليتحفظ الشاهد أو الوصي من اليمين الكاذبة أو يبنى على حصول الفضيحة. قوله: (إلى سبيل الخير) متعلق بيهدي، وفي بعض النسخ إلى سبيل الشر، فيكون متعلقاً بالخارجين.

ـ تنبيه ـ ما كتبناه في تفسير تلك الآيات الثلاث هو جهد المقل، وإلا فلم يزل العلماء يستشكلونها، إعراباً وتفسيراً وأحكاماً، وقالوا إنها من أصعب آي القرآن وأشكله.

قوله: (اذكر) قدره المفسر إشارة إلى أن يوم ظرف متعلق بمحذوف. قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ أي الثلثمائة وثلاثة عشر أو أربعة عشر، أو خمسة، والحق أنه لا يعلم عدتهم إلا الله تعالى. قوله: ﴿فَيَقُولُ﴾ مقتضى الآية أنه يجمعهم في سؤال واحد، ولكن يرى كل واحد منهم أنه المسؤول لا غيره، وترى كل أمة أن رسولها هو المسؤول، ولا مانع من ذلك، فإن الله يحول بين المرء وقلبه. قوله: (توبيخاً لقومهم) دفع بذلك ما يقال: كيف يسأل الله الرسل مع أنه العالم بالحقيقة؟ فأجاب: بأن حكمة السؤال توبيخ الأمم على ما وقع منهم من الكفر والعصيان، وليس المقصود أن الله يعلم شيئاً لم يكن عالماً به من قبل، تنزه الله عن ذلك، يوضح هذا الجواب قوله تعالى: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد﴾ إلى أن قال: ﴿يومئذٍ يودّ الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً﴾. قوله: (أي الذي) أشار بذلك إلى أن ما اسم استفهام مبتدأ، وذا اسم موصول خبر، وأجبتم صلته، والعائد محذوف قدره المفسر بقوله به، قال ابن مالك:

وَمِثْلُ مَاذَا بَعْدَ مَا اسْتِفْهَامِ ... أَوْ مَنْ إِذَا لَمْ تُلْغَ فِي الْكَلَامِ

قوله: (بذلك) أي بما أجبنا به. قوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ علة لما قبله، أي فعلمنا في

لشدة هول يوم القيامة وفزعهم ثم يشهدون على أممهم لما يسكتون اذكر ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾ بشكرها ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ﴾ قويتك ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ جبريل ﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ﴾ حال من الكاف في أيدتك ﴿فِى ٱلْمَهْدِ﴾ أي طفلاً ﴿وَكَهْلًا﴾ يفيد نزوله قبل الساعة لأنه رفع قبل الكهولة كما سبق في آل عمران ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ

جانب علمك كل شيء، لأنك تعلم ما غاب عنا وما ظهر، وأما علمنا فهو قاصر على بعض ما ظهر، قوله: **(وذهب عنهم علمه الخ)** جواب عما يقال كيف يقولون لا علم لنا مع أنهم عالمون بذلك، فيلزم عليه الإخبار بخلاف الواقع. فأجاب: بأن في ذلك الوقت يتجلى الله بالجلال على كل أحد حتى ينسى الرسل العصمة والمغفرة، وتذهل كل مرضعة عما أرضعت، وأما قوله تعالى: ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ أي انتهاء، وأما في ابتداء الموقف فلشدة الهول يكونون جثياً على الركب يقولون رب سلم سلم ثم يحصل لهم ذهول ونسيان لما أجيبوا به، فإذا آمنوا وسكن روعهم شهدوا على أممهم فلا منافاة، وأجيب أيضاً: بأن معنى قولهم: ﴿**لَا عِلْمَ لَنَا**﴾ تفويض الحكم والعلم لله تعالى، كأنهم يقولون: أنت الحكم العدل وهم عبيدك فلا علاقة لنا بهم، وأجيب أيضاً: بأن المراد نفي العلم الحقيقي، إذ هو لا يكون إلا لله تعالى، لأنه المطلع على السرائر والظواهر، وأما نحن فإنما نعلم منهم ما ظهر، وما ذكره المفسر من أن الأنبياء يحصل لهم الفزع ابتداء حتى يذهلوا عن جواب أممهم لهم ثم يسكنون أحد الطريقين، والطريق الثانية وعليها المحققون أن الرسل ومن كان على قدمهم آمنون ابتداء وانتهاء، وإنما الفزع والهول للكفار والفساق، وأما قول الرسل حينئذ نفسي نفسي لا أملك غيرها، فلا يقتضي حصول الفزع، وإنما معنى ذلك أنه يقول ليست الشفاعة العظمى لي وإنما هي لغيري، فلا أملك إلا نفسي، ولم يجعل الله لي الشفاعة العامة، وذهاب الأمم للرسل وردهم إياهم إنما هو إظهار لفضله ﷺ وذلك هو المقام المحمود، فالأحسن الجواب الثاني أو الثالث. قوله: **(اذكر)** قدره إشارة إلى أن إذ ظرف متعلق بمحذوف وليس متعلقاً بما قبله، لأن هذه قصة مستقلة.

قوله: ﴿**يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ**﴾ يا حرف نداء، وعيسى منادى مبني على ضم مقدر على الألف منع من ظهوره التعذر في محل نصب، وابن نعت له باعتبار المحل. قوله: ﴿**اذْكُرْ نِعْمَتِي**﴾ المقصود من ذلك توبيخ الكفرة حيث فرطوا في حقه وأفرطوا، وليس المراد تكليفه بالشكر في ذلك اليوم لانقطاع التكليف بالموت. قوله: **(قويتك)** ﴿**بِرُوحِ الْقُدُسِ**﴾ أي فكان يسير معه حيث سار، يعينه على الحوادث التي تقع ويلهمه العلوم والمعارف. قوله: ﴿**فِي الْمَهْدِ**﴾ تقدم أن المهد فراش الصبي، ولكن المراد منه الطفولية، فتكلم بقوله ﴿إني عبدالله﴾ إلى آخر ما في سورة مريم. قوله: ﴿**وَكَهْلًا**﴾ إنما ذكر ذلك إشارة إلى أن كلامه على نسق واحد في ذكاء العقل وغزارة العلم. قوله: **(كما سبق في آل عمران)** الذي سبق له فيها أنه رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وهو سن الكهولة، لأن من الثلاثين للأربعين هو سن الكهولة، فقول الله تعالى: ﴿**وَكَهْلًا**﴾ صادق بكلامه قبل الرفع وبعده، فلا يصح قوله هنا لأنه رفع قبل الكهولة، ولكن الذي تقدم لنا أنه بعث على رأس الأربعين كغيره، ومكث ثمانين بعد البعثة، ورفع وهو ابن مائة وعشرين سنة، فإذا نزل عاش أربعين، فيكون مدة عمره مائة وستين سنة، فيكون معنى قوله: ﴿**فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا**﴾ صغيراً أو كبيراً، فعلى هذا ليس في الآية دليل على نزوله، وإنما نزوله مأخوذ من غير هذا المحل. قوله: ﴿**الْكِتَابَ**﴾

وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ﴾ كصورة ﴿ٱلطَّيۡرِ﴾ والكاف اسم بمعنى مثل مفعول ﴿بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ﴾ بإرادتي ﴿وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ من قبورهم أحياء ﴿بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ﴾ حين هموا بقتلك ﴿إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات ﴿فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ﴾ ما ﴿هَٰذَآ﴾ الذي جئت به ﴿إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ ﴿١١٠﴾ وفي قراءة ساحر أي عيسى ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ﴾ أمرتهم على لسانه ﴿أَنۡ﴾ أي بأن ﴿ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي﴾ عيسى ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ بهما ﴿وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ﴾ ﴿١١١﴾ اذكر ﴿إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ﴾ أي يفعل ﴿رَبُّكَ﴾ وفي قراءة بالفوقانية ونصب ما بعده أي تقدر أن تسأله ﴿أَن يُنَزِّلَ

أي الكتابة، وقوله: ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ أي العلم النافع، وقوله: ﴿وَالتَّوْرَاةَ﴾ أي كتاب موسى ﴿وَالإِنْجِيلَ﴾ كتابه هو، وهو ناسخ لبعض ما في التوراة، وهو مكلف بالعمل بما في التوراة، ما عدا ما نسخه الإنجيل منها، فيكون العمل بما في الإنجيل. قوله: ﴿كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ تقدم أنه الخفاش. قوله: ﴿الأَكْمَهَ﴾ هو من خلق من غير بصر.

قوله: ﴿وَإِذَا تُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ تقدم أنه أحيا سام بن نوح ورجلين وامرأة قيل وجارية، فيكون جميع من أحياهم خمسة. قوله: (حين هموا) أي اليهود بقتلك، فرفعتك إلى السماء، وألقيت شبهك على صاحبهم فقتلوه. قوله: (الذي جئت به) أي ويحتمل أن اسم الإشارة عائد على عيسى مبالغة على حد زيد عدل. قوله: (أمرتهم على لسانه) دفع بذلك ما يقال إن الإيحاء لا يكون إلا للرسل، والحواريون ليسوا رسلاً، فأجاب بأن المراد بالوحي الأمر على لسان عيسى، وأجاب غيره بأن المراد بالوحي الإلهام على حد وأوحينا إلى أم موسى. قوله: ﴿أَنْ آمِنُوا﴾ أن تفسيرية بمعنى أي لأنه تقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه.

قوله: ﴿إِذْ قَالَ﴾ ظرف لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر، وهو كلام مستأنف لا ارتباط له بما قبله، لأن المقصود مما تقدم تعداد النعم على عيسى، والمقصود مما هنا إعلام هذه الأمة بما وقع لأمة عيسى من التعنت في السؤال وما ترتب عليه، وإن كان فيها نعمة لعيسى أيضاً، لكنها غير مقصودة بالذكر. قوله: ﴿الحَوَارِيُّونَ﴾ هم أول من آمن بعيسى. قوله: (أي يفعل) أي فأطلق اللازم وهو الاستطاعة، وأراد الملزوم وهو الفعل، ودفع بذلك ما يقال إن الحواريين مؤمنون، فكيف يشكون في قدرة الله تعالى. وشذ من قال بكفرهم كالزمخشري. قوله: (وفي قراءة) وهي سبعية أيضاً. قوله: (ونصب ما بعده) أي على التعظيم. قوله: (أي تقدر أن تسأله) أي فالكلام على حذف مضاف في هذه القراءة الثانية، والتقدير هل تستطيع سؤال ربك، وإنما قالوا ذلك خوفاً من أن تكون هذه المسألة كسؤال موسى الرؤية فلم تحصل، وكسؤال قومه الرؤية أيضاً فأخذتهم الصاعقة، وهذه القراءة للكسائي وكانت عائشة رضي الله عنها تقرأ بها وتقول جل الحواريون عن كونهم يشكون في قدرة الله تعالى.

قوله: ﴿مَائِدَةً﴾ هي ما يبسط على الأرض من المناديل ونحوها، وأما الخوان فهو ما يوضع على

عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ﴾ لهم عيسى ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في اقتراح الآيات ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿١١٢﴾ ﴿قَالُواْ نُرِيدُ﴾ سؤالها من أجل ﴿أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ﴾ تسكن ﴿قُلُوبُنَا﴾ بزيادة اليقين ﴿وَنَعْلَمَ﴾ نزداد علماً ﴿أَن﴾ مخففة أي أنك ﴿قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ في ادعاء النبوة ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ ﴿١١٣﴾ ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا﴾ أي يوم نزولها ﴿عِيدًا﴾ نعظمه ونشرفه ﴿لِّأَوَّلِنَا﴾ بدل من لنا بإعادة الجار ﴿وَءَاخِرِنَا﴾ ممن يأتي بعدنا ﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾ على قدرتك ونبوتي ﴿وَٱرْزُقْنَا﴾ إياها ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ ﴿١١٤﴾ ﴿قَالَ ٱللَّهُ﴾ مستجيباً له ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ﴾ أي بعد نزولها ﴿مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿١١٥﴾ فنزلت الملائكة بها من السماء عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات

الأرض وله قوائم، وأما السفرة فهي ما كانت من جلد مستدير، فالخوان فعل الملوك، والمناديل فعل العجم، والسفرة فعل العرب، والمقصود هنا الطعام الذي يؤكل كل على خوان أو غيره، والمائدة إما من الميد وهو التحرك كأنها تميد بما عليها من الطعام، وعليه فهي اسم فاعل على أصلها، أو من مادة بمعنى أعطاه فهي فاعلة بمعنى مفعولة أي معطاة. قوله: ﴿ٱتَّقُوا﴾ أي تأدبوا في السؤال، ولا تخترعوا أموراً خارجة عن العادة، فإن الأدب في السؤال أن تسأل أمراً معتاداً، ومن هنا حرم العلماء الدعاء بما تحيله العادة. قوله: (في اقتراح الآيات) أي اختراعها. قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ جواب الشرط محذوف دل عليه قوله: ﴿ٱتَّقُوا ٱللهَ﴾ . قوله: ﴿أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا﴾ قيل اقتياتاً وقيل تبركاً وهو المتبادر. قوله: (بزيادة اليقين) أي لأن الانتقال من علم اليقين إلى عين اليقين أقوى في الإيمان. قوله: (أي أنك) ﴿قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ قدر المفسر اسم أن غير ضمير شأن وهو شاذ، فالمناسب أن يقول أي أنه أن أن إذا خففت كان اسمها ضمير شأن. قوله: ﴿عَلَيْهَا﴾ متعلق بالشاهدين والمعنى ونكون من الشاهدين عليها عند من لم يحضرها ليزداد من آمن بشهادتنا يقيناً وطمأنينة. قوله: ﴿قَالَ عِيسَى﴾ أي حين أبدوا هذه الأمور، فقام واغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين فطأطأ رأسه وغض بصره وقال اللهم ربنا الخ، وهذه الآداب لا تخص عيسى، بل ينبغي لكل داع فعلها، لأن إظهار الذل والفاقة في الدعاء من أسباب الإجابة. قوله: (أي يوم نزولها) أي وقد نزلت يوم الأحد فاتخذه النصارى عيداً. قوله: ﴿عِيداً﴾ هو مشتق من العود وهو الرجوع لأنه يعود، وجمعه أعياد، وتصغيره عييد، وكان قياسه أعواداً وعويداً، وإنما فعلوا ذلك فرقاً بينه وبين عود الخشب. قوله: (بدل من لنا) أي بدل كل من كل. قوله: ﴿وارزقنا﴾ أي انفعنا بها، وهو مغاير لما قبله لأنه لا يلزم من الإنزال انتفاعهم بها. قوله: ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ تتميم لما قبله على وجه الاستدلال، كأنه قال وارزقنا لأنك خير الرازقين، واسم التفضيل على بابه من حيث إن أسباب الرزق كثيرة والله خير من يأتي بالرزق لأنه الخالق والموجد له، وأما غيره فهو رازق باعتبار أنه سبب في الرزق وجار على يديه. قوله: ﴿قَالَ ٱللهُ﴾ أي على لسان ملك أو إلهاماً له. قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿بَعْدَ﴾ مبني على الضم لحذف المضاف إليه ونية معناه. قوله: (بعد نزولها) إشارة إلى تقدير المضاف إليه. قوله: ﴿لَا أُعَذِّبُهُ﴾ الضمير عائد على العذاب، والمعنى لا يكون ذلك العذاب لأحد من العالمين من حيث شدته وقبحه، والجملة صفة لعذاباً. قوله: ﴿مِنَ ٱلْعَالَمِينَ﴾ أي

فأكلوا منها حتى شبعوا قاله ابن عباس وفي حديث أنزلت المائدة من السماء خبزاً ولحماً فأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا فمسخوا قردة وخنازير ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ﴾ أي يقول ﴿ٱللَّهُ﴾ لعيسى في القيامة توبيخاً لقومه ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ﴾ عيسى وقد أرعد ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيهاً لك عما لا يليق بك من الشريك وغيره

عالمي زمانهم أو مطلقاً، والشدة في الدنيا والآخرة، لما قيل إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المنافقون، ومن كفر من أصحاب المائدة، وآل فرعون. قوله: **(فنزلت الملائكة)** روي أنها نزلت سفرة حمراء مدورة وعليها منديل بين غمامتين: غمامة من فوقها، وغمامة من تحتها، وهم ينظرون إليها حتى سقطت بين أيديهم، فبكى عيسى وقال: اللهم اجعلني من الشاكرين، ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال: بسم الله خير الرازقين كلوا مما سألتم، فقالوا يا روح الله كن أنت أول من يأكل منها، فقال معاذ الله أن آكل منها يأكل منها ما سألها، فخافوا أن يأكلوا منها، فدعا لها أهل الفاقة والمرض والبرص والجذام والمقعدين فقال: كلوا من رزق الله، لكم الهناء ولغيركم البلاء، فأكلوا منها وهم ألف وثلثمائة رجل وامرأة، وفي رواية سبعة آلاف وثلثمائة، فلما أتموا الأكل طارت المائدة وهم ينظرون حتى توارت عنهم، ولم يأكل منها مريض أو زمن أو مبتلي إلا عوفي، ولا فقيراً إلا استغنى، وندم من لم يأكل منها، فمكثت تنزل أربعين صباحاً متوالية، وقيل يوماً بعد يوم. قوله: **(عليها سبعة أرغفة الخ)** هذه أشهر الروايات، وفي رواية خمسة أرغفة، على واحد زيتون، وعلى الثاني عسل، وعلى الثالث سمن، وعلى الرابع جبن، وعلى الخامس قديد وسمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك، تسيل دسماً، وعند رأسها ملح، وعند ذنبها خل، وحولها من أصناف البقول ما خلا الكراث، فقال شمعون رأس الحواريين: يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة؟ قال ليس منهما، ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة العالية، وفي رواية نزلت سمكة من السماء فيها طعم كل شيء. قوله: **(خبزاً ولحماً)** جمع بأن اللحم لحم سمك. قوله: **(فخانوا وادخروا الخ)** أي فسبب مسخهم خيانتهم وادخارهم أي مع كفرهم، وفي رواية إن سبب مسخهم أنه بعد تمام الأربعين يوماً من نزولها، أوحى الله إلى عيسى أن اجعل مائدتي هذه للفقراء دون الأغنياء، فتمارى الأغنياء في ذلك وعادوا الفقراء. قوله: **(فمسخوا)** أي فمسخ الله منهم ثلثمائة وثلاثين رجلاً باتوا ليلتهم مع نسائهم ثم أصبحوا خنازير، فلما أبصرت الخنازير عيسى بكت وجعل يدعوهم بأسمائهم فيشيرون برؤوسهم ولا يقدرون على الكلام، فعاشوا ثلاثة أيام وقيل سبعة وقيل أربعة ثم هلكوا. قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾ معطوف على قوله: ﴿إذا قال الحواريون﴾ عطف قصة على قصة، وفي الحقيقة هو من أفراد سؤال الرسل فهو داخل تحت قوله ﴿يوم يجمع الله الرسل﴾ الخ، وإنما خصه بالذكر تقبيحاً وتشنيعاً عليهم لبشاعة عقيدتهم في نبيهم. قوله: **(في القيامة)** مشى المفسر والجمهور على أن ذلك القول إنما يقع يوم القيامة، وعليه فإذا بمعنى إذا، وقال بمعنى يقول، وإنما عبر بالماضي لاستواء الأزمان في علمه حالها وماضيها ومستقبلها، لأنه أحاط بكل شيء علماً، فلذا أتى بالماضي الذي يدل على تحقق الحصول، وقيل إن السؤال وقع في الدنيا بعد رفعه إلى السماء، وعليه فإذ، وقال على بابهما. قوله: **(توبيخاً لقومه)** جواب عما يقال إن الله تعالى عالم بكل شيء، فلم كان هذا السؤال؟ فأجاب بأن المقصود منه توبيخ من كفر، وهذا يؤيد ما قاله الجمهور، ويضعف الاحتمال الثاني. قوله: ﴿مِنْ دُونِ ٱللَّهِ﴾ متعلق بمحذوف صفة

﴿ مَا يَكُونُ ﴾ ما ينبغي ﴿ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ ﴾ خبر ليس ولي للتبيين ﴿ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا ﴾ أخفيه ﴿ فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ ﴾ أي ما تخفيه من معلوماتك ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾ ﴿١١٦﴾ ﴿ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ ﴾ وهو ﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ﴾ رقيباً أمنعهم مما يقولون ﴿ مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي ﴾ قبضتني بالرفع إلى السماء

لإلهين، أي إلهين كائنين من غير الله، فالله ثالثهما، وليس المعنى أن عيسى وأمه إلهان فقط، والله ليس بإله، فإنهم لم يقولوا ذلك. قوله: (قد أرعد) أي أخذته الرعدة حتى خرج من كل شعرة عين دم كما في رواية. قوله: (من الشريك وغيره) أي كالصاحبة والولد. قوله: **﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾** ما نافية، ويكون فعل مضارع، ولي جار ومجرور خبرها مقدم، وأن أقول في محل رفع اسمها مؤخر، وما اسم موصول وليس فعل ماض ناقص، واسمها مستتر هو عائد الموصول تقديره هو، وبحق خبرها، ولي للتبيين على حد سقياً لك ورعياً، والمعنى لا ينبغي ولا يجوز علي لأنك عصمتني أن أقول ما ليس حقاً منسوباً لي، وهذا أحسن الأعاريب. قوله **﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾** إن قلت: إن مدخول إن لا بد من كونه مستقبلاً، والقول والعلم متعلقهما ماض. أجيب: بأن الكلام على التقدير والمعنى أن يثبت أني قلته فقد تبين وظهر أن علمك متعلق به، لأنه يستحيل وقوع شيء لم يتعلق علم الله به، فحيث لم يتعلق علمه بما قال فلم يحصل ذلك منه، لأنه لا يقع شيء في ملكه إلا وهو عالم به. قوله: **﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾** ليست علم هنا عرفانية، لأن المعرفة تستدعي سبق الجهل فهي هنا على بابها، ومفعولها الثاني محذوف تقديره منطوياً وثابتاً، والنفس بمعنى الذات، والمعنى تعلم حقيقة ذاتي وما انطوت عليه. قوله: **﴿وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾** أي لا أعلم حقيقة ذاتك وما احتوت عليه من الصفات، لأن من جهل ما قام بالذات فقد جهل الذات، فلا يعلم الله إلا الله، واعلم أنهم اختلفوا في إطلاق النفس على الله تعالى، فقيل لا يجوز إطلاقها عليه إلا في مقام المشاكلة، والحق أنه يجوز إطلاق النفس على الله من غير مشاكلة، إذ ورد إطلاقها في غير المشاكلة، قال تعالى: ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة ويحذركم الله نفسه﴾. قوله: (أي ما تخفيه من معلوماتك) أي كذاتك وصفاتك، فإن معلومات الله منها ما هو ظاهر لنا كالحوادث، ومنها ما هو خفي عنا، ولا يحيط بجميع ذلك إلا الله تعالى. قوله: **﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ ٱلْغُيُوبِ﴾** دليل لمدليل، لأن قوله: **﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَد عَلِمْتَهُ﴾** دعوى من عيسى ثم استدل عليها بقوله: **﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾** ودليل هذا أنه علام الغيوب، وأكد هذه الجملة بأن والضمير المنفصل وصيغة المبالغة والجمع مع أل الاستغراقية. قوله: **﴿إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾** هذا استثناء مفرغ، وما اسم موصول في محل نصب هي وصلتها بالقول. قوله: (وهو) **﴿أَنِ اعْبُدُوا ٱللَّهَ﴾** أشار بذلك إلى أن قوله أن اعبدوا الله في محل رفع خبر لمحذوف تقديره وهو أن اعبدوا. قوله: **﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾** الجملة حالية. قوله: (أمنعهم مما يقولون) أي فلم تقع هذه المقالة منهم وهو بينهم وإنما ابتدعوها بعد رفعه. قوله: **﴿مَا دُمْتُ فِيهِم﴾** ما مصدرية ظرفية تقدر بمصدر مضاف إلى زمان وصلتها دام، ويجوز فيها التمام والنقصان، فإن كانت تامة كان معناها الإقامة، وفيهم متعلق بها وإن كانت ناقصة يكون قوله فيهم خبرها، فعلى الأول يصير المعنى وكنت عليهم شهيداً مدة إقامتي فيهم، وعلى الثاني وكنت عليهم شهيداً مدة دوامي مستقراً فيهم. قوله: **﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾** يستعمل التوفي في أخذ الشيء وافياً أي كاملاً، والموت

﴿ كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ الحفيظ لأعمالهم ﴿ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ من قولي لهم وقولهم بعدي وغير ذلك ﴿شَهِيدٌ﴾ ﴿١١٧﴾ مطلع عالم به ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ ﴾ أي من أقام على الكفر منهم ﴿ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ وأنت مالكهم تتصرف فيهم كيف شئت لا اعتراض عليك ﴿ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ أي لمن آمن منهم ﴿ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ الغالب على أمره ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ﴿١١٨﴾ في صنعه ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا ﴾ أي يوم القيامة ﴿ يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ في الدنيا كعيسى ﴿ صِدْقُهُمْ ﴾ لأنه يوم الجزاء ﴿ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ بطاعته ﴿ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾ بثوابه ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ ﴿١١٩﴾ ولا ينفع الكاذبين في الدنيا صدقهم فيه كالكفار لما يؤمنون عند رؤية العذاب ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ خزائن المطر والنبات والرزق وغيرها ﴿ وَمَا فِيهِنَّ ﴾ أتى بما تغليباً لغير

نوع منه، قال تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾ وليس المراد الموت، بل المراد الرفع كما قال المفسر. قوله (**قبضتني بالرفع إلى السماء**) حاصل ما في المقام، أن هذه العقيدة، وقعت منهم بعد رفعه إلى السماء وتستمر إلى نزوله، ولم تقع منهم قبل رفعه، وأما بعد نزوله فلم يبق نصراني أبداً، بل إما الإسلام أو السيف، فتعين أن يكون معنى توفيتني رفعتني إلى السماء، ولو على القول بأن هذا السؤال واقع يوم القيامة، بل ذلك مما يؤيده تأمل. قوله: (**أي لمن آمن منهم**) دفع بذلك ما يقال إن المغفرة لا تكون للمشركين، فأجاب بأن المعنى وإن تغفر لمن آمن منهم، ولذا قال عيسى فيما تقدم: بأنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار. قوله: ﴿**يَوْمُ يَنْفَعُ**﴾ قرأ الجمهور برفعه من غير تنوين، وقرأ نافع بنصبه من غير تنوين، ونقل عن الأعمش النصب مع التنوين، وعن الحسن الرفع مع التنوين، فتوجيه القراءة الأولى: أن هذا مبتدأ، ويوم خبره، وجملة ينفع الصادقين صدقهم في محل جر بإضافة يوم إليها، وكذا القراءة الثانية، غير أن الظرف مبني لإضافته إلى الجملة الفعلية، وهو مذهب الكوفيين، ومذهب البصريين أنه منصوب على الظرفية متعلق بمحذوف خبره تقديره يقع يوم ينفع، وأما قراءة التنوين فالرفع على الخبرية والنصب على الظرفية كما قال البصريون، والجملة في محل رفع على الأول أو نصب على الثاني صفة لما قبلها. قوله: ﴿**الصَّادِقِينَ**﴾ (**في الدنيا**) أي فالصدق في الدنيا نافع في الآخرة، وأما الصدق في الآخرة فلا يفيد شيئاً، لتقدم الكذب في الدنيا كما سيأتي. قوله (**بطاعته**) أي بإقامته لهم في الطاعة، أو بسبب تلبسهم بامتثال مأموراته واجتناب منهياته، فالطاعة سبب لرضا الله ودليل عليه. قوله: ﴿**ورضوا عنه**﴾ أي بأن شكروا على نعمائه وصبروا على بلوائه، فرضا الله على عبد، توفيقه لخدمته في الدنيا وإدخاله جنته في الآخرة، ورضا العبد عن ربه في الدنيا صبره على أحكام ربه، وفي الآخرة قناعته بما أعطاه له من النعيم الدائم. قوله: (**بثوابه**) أي برؤية ثوابه لهم في الجنة، حيث أعطاهم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. قوله: ﴿**ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ اسم الإشارة يعود على الجنات وما بعدها. قوله: (**لما يؤمنون الخ**) أي كما في قوله تعالى: ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده﴾.

قوله: ﴿**مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ تنبيه على فساد زعم الكفار أن لله شريكاً، فالمعنى أن الله مالك للسماوات والأرض وما فيهن فأين الشريك له، ولا يليق أن يكون شيء من ملكه شريكاً له. قوله:

العاقل ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿١٢٠﴾ ومنه إثابة الصادق وتعذيب الكاذب وخص العقل ذاته فليس عليها بقادر.

(تغليباً لغير العاقل) أي وإشارة إلى أن ما سواه في رتبة العبودية سواء﴿إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً﴾ فلا فرق بين عاقل وغيره في كونه مملوكاً لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً. قوله: **(وخص العقل ذاته الخ)** دفع بذلك ما يقال إن من جملة الأشياء ذاته فيقتضي أنه قادر على ذاته. فأجاب بذلك لأن القدرة إنما تتعلق بالممكنات لا بالواجبات ولا بالمستحيلات، فالمراد بالشيء الموجود الممكن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ



مكيّة

إلا (وما قدروا الله) الآيات الثلاث وإلا (قل تعالوا) الآيات الثلاث
وهي مائة وخمس أو ست وستون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿الْحَمْدُ﴾ وهو الوصف بالجميل ثابت ﴿لِلَّهِ﴾ وهل المراد

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأنعام مكية

إلا (وما قدروا الله) الآيات الثلاث وإلا (قل تعالوا) الآيات الثلاث
وهي مائة وخمس أو ست وستون آية

سميت بذلك لذكر الأنعام فيها، من باب تسمية الكل باسم الجزء، وهذه السورة نزلت جملة واحدة ما عدا الست آيات، ونزل معها سبعون ألف ملك، ولهم زجل بالتسبيح، ونزلت ليلاً فأمر ﷺ بكتابتها حينئذ، وحين نزولها صار ﷺ يسبح ويسجد حينئذ وكل ذلك تعظيماً لشأنها، لأن ما اشتملت عليه من التوحيد، وعدة جملة من الرسل تبين الحلال من الحرام في الأنعام لم يوجد في غيرها وورد أنها فاتحة التوراة، وخاتمتها قيل آخر هود، وقيل آخر الإسراء، وفيها آية نزلت ومعها أربعون ألف ملك وهي ﴿وعنده مفاتح الغيب﴾ الآية. وعن جابر أن رسول الله ﷺ قال: من قرأ ثلاث آيات من أول سورة الأنعام إلى ﴿ويعلم ما تكسبون﴾، وكل الله له أربعين ألف ملك يكتبون له مثل عبادتهم إلى يوم القيامة، وينزل ملك من السماء السابعة ومعه مرزبة من حديد، فإذا أراد الشيطان أن يوسوس له أو يوحي في قلبه شيئاً ضربه ضربة فيكون بينه وبينه سبعون حجاباً، فإذا كان يوم القيامة قال الله: امش في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي، وكل من ثمار جنتي، واشرب من الكوثر، واغتسل من السلسبيل، فأنت عبدي وأنا ربك. قوله: **(الآيات الثلاث)** أي إلى قوله ﴿تستكبرون﴾. قوله: **(وإلا)** ﴿قل تعالوا﴾ أي إلى قوله ﴿لعلكم تتقون﴾ هكذا مشى المفسر.

﴿**الْحَمْدُ**﴾. قوله: **(وهو)** أي الحمد بالمعنى اللغوي، وأما بالمعنى الاصطلاحي، فهو فعل ينبىء

الإعلام بذلك للإيمان به أو الثناء به أو هما احتمالات أفيدها الثالث قاله الشيخ في سورة الكهف ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ خصهما بالذكر لأنهما أعظم المخلوقات للناظرين ﴿ وَجَعَلَ ﴾ خلق ﴿ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ أي كل ظلمة ونور وجمعها دونه لكثرة أسبابها وهذا من دلائل وحدانيته ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ مع قيام هذا الدليل ﴿ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ ① يسوون غيره في العبادة ﴿ هُوَ ٱلَّذِى

عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعماً على الحامد أو غيره. قوله: **(الوصف بالجميل)** زاد بعضهم على جهة التعظيم والتبجيل لإخراج التهكم كقوله تعالى: ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾. قوله: **(ثابت)** قدره إشارة إلى أن ﴿لله﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر المبتدأ الذي هو الحمد. قوله: **(وهل المراد به الإعلام بذلك)** أي فتكون الجملة خبرية لفظاً ومعنى، وقوله **(أو الثناء به)** أي فهي خبرية لفظاً إنشائية معنى. قوله: **(أو هما)** أي فهي مستعملة في حقيقتها ومجازها، فالقصد إعلام العبيد للإيمان به، وإنشاء الثناء به، وهذا هو حمد القديم للقديم، وأل في الحمد يصح أن تكون للاستغراق أو الجنس أو العهد، واللام في لله للاستحقاق. قوله: **(قاله الشيخ)** أي الجلال المحلي.

قوله: ﴿**الَّذِي خَلَقَ**﴾ صفة لله، وتعليق الحكم بالمشتق يؤذن بالعلية، كأنه قيل الوصف بالجميل ثابت له لأنه الخالق للسماوات والأرض، والمراد بالسماوات ما علا، فيشمل العرش، والمراد بالأرض ما سفل، فيشمل ما تحتها، وقدم السماوات لأنها أشرف من الأرض، لكونها مسكن المطهرين لا غير، والأرض وإن كان فيها الأنبياء لكنها احتوت على الأشرار والمفسدين، ولأنها سابقة على الأرض كما في سورة النازعات، قال تعالى: ﴿أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها﴾ إلى أن قال: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ ولا منافاة بين آية فصلت، وبين آية النازعات، فإن الأرض خلقت أولاً كرة، ثم خلقت السماوات من دخان كما دلت عليه آية فصلت، ثم بنى السماء ورفعها، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها، والأرض بعد ذلك دحاها، وإنما جمع السماوات لاختلاف أجناسها، فإن الأولى من موج مكفوف، والثانية مرمرة بيضاء، والثالثة من حديد، والرابعة من نحاس، والخامسة من فضة، والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة حمراء. وأما الأرض وإن كانت سبعاً أيضاً إلا أنها من جنس واحد. واختلف هل الأرض مداد وهو الصحيح، فالتعداد باعتبار أقطارها، وقيل طباق كالسماء، وأما السماء فهي طباق باتفاق. قوله: **(خلق)** أشار بذلك إلى أن ﴿جَعَلَ﴾ بمعنى خلق، فتنصب مفعولاً واحداً. قوله: **(أي كل ظلمة)** أي حسية كظلمة الليل والأجرام الكثيفة أو معنوية كالشرك والمعاصي. قوله: **(ونور)** أي حسي كالشمس والقمر والنجوم ومعنوي كالإسلام. قوله: **(لكثرة أسبابها)** أي الظلمة وأما النور فسببه واحد لا يتعدد، لأنه إما معنوي وسببه الإسلام، أو حسي وسببه النار.

قوله: ﴿**ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ ثم للترتيب الرتبي أي فبعد أن عرفوا الحق سووا به غيره فهو استبعاد لما وقع منهم. قوله: ﴿**بِرَبِّهِمْ**﴾ يحتمل أنه متعلق بكفروا، وقوله ﴿**يَعْدِلُونَ**﴾ مفعوله محذوف قدره المفسر بقوله غيره ومعناه التسوية كما قاله المفسر، ويحتمل أن بربهم متعلق بيعدلون والباء بمعنى عن، والتقدير يميلون عن ربهم لغيره، من العدول وهو الميل عن طريق الهدى.

خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ بخلق أبيكم آدم منه ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ لكم تموتون عند انتهائه ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ مضروب ﴿عِندَهُۥ﴾ لبعثكم ﴿ثُمَّ أَنتُمْ﴾ أيها الكفار ﴿تَمْتَرُونَ﴾ ﴿٢﴾ تشكون في البعث بعد علمكم أنه ابتدأ خلقكم ومن قدر على الإبتداء فهو على الإعادة أقدر ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾ مستحق للعبادة

قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ هذا من جملة الأدلة على كونه مستحقاً للحمد، كأنه قيل الوصف بالجميل لله لا لغيره، لأنه خلق السماوات والأرض والظلمات والنور، ولأنه خلقكم الخ. قوله: ﴿مِنْ طِينٍ﴾ من لابتداء الغاية، أي مبتدئاً نشأتكم من الطين. قوله: **(بخلق أبيكم آدم منه)** دفع بذلك ما يقال إنهم مخلوقون من النطفة لا من الطين، فأجاب بأن الكلام على حذف مضاف، وذلك الطين الذي خلق منه آدم فيه من كل لون، وعجن بكل ماء، فخلق الله أولاده مختلفة الألوان والأخلاق، فاختلاف الألوان من اختلاف ألوان طينة أبيهم، واختلاف الأخلاق من اختلاف المياه التي عجنت بها تلك الطينة، فما من أحد إلا وله جزء سرى له من أبيه، فالطبائع والأخلاق أصلها من آدم، فنسبة الطين لأولاده باعتبار نشأتها منه وسريانها فيهم، وقيل لا حذف في الآية بل كل إنسان مخلوق من الطين، لأنه ورد ما من مولود إلا ويذر على نطفته شيء من تراب تربته، فالنطفة عجنت بذلك التراب، فصدق على كل إنسان أنه مخلوق من الطين، وقيل إنه من الطين باعتبار أن النطفة ناشئة عن الغذاء، وهو ناشىء عن الطين.

قوله: ﴿ثُمَّ قَضَى﴾ يصح أن يكون بمعنى أظهر، فثم للترتيب الزماني، أي فبعد تمام خلقه يظهر أجله للملك الموكل بالرحم، أو بمعنى قدر فثم للترتيب الذكري، لأن للتقدير هو الإرادة المتعلقة بالأجل أزلاً فهي متقدمة على وجوده فالترتيب في الذكر فقط، واعلم أن كل إنسان له أجلان، أجل ينقضي بموته، وأجل ينقضي ببعثه، فابتداء أجل الموت من حين وجوده، وابتداء أجل البعث من حين موته، ومجموع الأجلين محتم لا يزيد ولا ينقص، وما ورد من زيادة العمر للبار الواصل للرحم، ونقصه للعاصي القاطع للرحم، قيل محمول على البركة وعدمها، وقيل بتداخل أحدهما في الآخرة، فالطائع يزداد له في أجل الدنيا وينقص من أجل البرزخ، وبالعكس للعاصي، وبه فسر قوله تعالى ﴿وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب﴾ ويؤيد ذلك ما حكي أن داود عليه السلام كان له صديق قد دنا أجله، فأخبره جبريل بأنه لم يبق من أجله إلا خمسون يوماً، فأخبر داود صديقه بذلك، فتأهب حتى إذا جاء اليوم المتمم للخمسين، أخذ غداءه وذهب لداود ليودعه، فمر بفقير فأعطاه غداءه، فنزل جبريل على داود وأخبره بأن الله زاد في عمره خمسين سنة بسبب صدقته في ذلك اليوم، فلما ذهب إليه وجده مسروراً فأخبره بذلك.

قوله: ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ أجل مبتدأ ومسمى صفته وعنده خبره، وأضيف له سبحانه لأنه لا يعلم انتهاءه أحد غيره، وأما أجل الدنيا فهو في علم الملك، وبانقضائه يظهر للمخلوقات أيضاً. قوله: **(لبعثكم)** أي ينتهي اليه، وراء ذلك لا نهاية له. قوله: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ أي ثم بعد ظهور تلك الآيات العظيمة، تشكون في البعث وتنكرونه، وأفاد المفسر أن هذه الآية رد لما أنكروه من البعث، وما قبلها رد للشرك الواقع من الكفار. قوله: **(فهو على الإعادة أقدر)** هذا بحسب العادة الجارية بأن القادر على الإبتداء قادر على الإعادة بالأولى، وإلا فالكل في قبضة قدرته سواء لا مزية للإعادة على الابتداء، لأنه إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون.

﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ ما تسرون وما تجهرون به بينكم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ ﴿٣﴾ تعملون من خير وشر ﴿وَمَا تَأْتِيهِم﴾ أي أهل مكة ﴿مِّنْ﴾ زائدة ﴿ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ من القرآن ﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ ﴿٤﴾ ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ بالقرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟﴾ عواقب ﴿مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ﴿٥﴾ ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟﴾ في أسفارهم إلى الشام وغيرها ﴿كَمْ﴾ خبرية بمعنى كثيراً ﴿أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ أمة من الأمم الماضية ﴿مَّكَّنَّٰهُمْ﴾

قوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾ مبتدأ وخبر، والضمير عائد على المتصف بالأوصاف المتقدمة، و﴿فِي السَّمٰوَاتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ متعلق بوصف تضمنه ذلك العلم، لأن الله موضوع للذات الواجبة الوجود المستحقة لجميع المحامد، فيكون المعنى والله المستحق للعبادة في السماوات الخ، وهذا ما درج عليه المفسر، وبذلك يجاب عن آية﴿وهو الذي في السماء إله في الأرض إله﴾وقيل متعلق بنعت محذوف تقديره وهو الله المعبود في السماوات الخ، على حد قول ابن مالك: ومن المنعوت والنعت عقل.

يجوز حذفه. وقيل متعلق بيعلم والتقدير: يعلم سركم في السماوات والأرض وقيل متعلق بسركم وجهركم، ولكن يلزم عليه تقديم معمول المصدر عليه، إلا أن يقال يغتفر في الظروف والمجرورات ما لا يغتفر في غيرها. قوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ إن قلت إن الكسب لا يخرج عن السر والجهر والعطف يقتضي المغايرة أجيب: بأن المراد بالكسب ما يترتب عليه من الثواب والعقاب، والمعنى يعلم أفعالكم وأقوالكم السرية والجهرية، ويعلم جزاءها من ثواب وعقاب.

قوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِن آيَةٍ﴾ كلام مستأنف بيان لزيادة قبحهم وكفرهم بعد ظهور الآيات البينات. قوله: ﴿مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ من تبعيضية والآيات يحتمل أن يكون المراد بها القرآن، فإتيانها نزولها على رسول الله وعليه اقتصر المفسر أو الكونية كالمعجزات فالمراد بإتيانها ظهورها، والأحسن أن يراد ما هو أعم. قوله: ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ الجملة حالية من الضمير في تأتيهم، وقوله معرضين ضمنه معنى غافلين فعداه بعن، وإلا فالإعراض بمعنى الترك لا يتعدى بعن. قوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ تفريع على ما قبله وتفصيل لبعضه. قوله (بالقرآن) أي وغيره من بقية المعجزات.

قوله: ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ ظرف لقوله كذبوا. قوله: ﴿فَسَوْفَ يَـأْتِيهِمْ﴾ وعيد عظيم مرتب على تكذيبهم وهو لا يتخلف، لأن وعيد الكفار وعد حسن للمؤمنين فهو وعد باعتبار، ووعيد باعتبار آخر فعدم تخلفه باعتبار كونه وعداً، قال تعالى﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾. قوله: ﴿أَنْبَاءُ﴾ جمع نبأ وهو الخبر العظيم المزعج، وجمعه إشارة إلى تكرر الجزاء لهم في الدنيا ويوم القيامة. قوله: ﴿مَا كَـانُوا بِـهِ يَسْتَهْزِؤُنَ﴾ ما اسم موصول وكانوا صلته، والمعنى فسوف يأتيهم جزاء الذي كانوا يستهزؤون به في العاجل بالقتل والأسر، والآجل بالعذاب الدائم في النار.

قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ هذا إخبار من الله ببذل النصح لهم، ومع ذلك فلم يهتدوا، والهمزة داخلة على محذوف تقديره أعموا ورأى إما بصرية، وعليه درج المفسر حيث قال في أسفارهم إلى الشام وغيرها، وعليه فقوله ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ سدت مسد مفعولها أو علمية فتكون الجملة سدت مسد مفعوليها، والأحسن

أعطيناهم مكاناً ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بالقوة والسعة ﴿مَا لَمْ نُمَكِّن﴾ نعط ﴿لَّكُمْ﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ المطر ﴿عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾ متتابعاً ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ﴾ تحت مساكنهم ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ بتكذيبهم الأنبياء ﴿وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ ﴿٦﴾ ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا﴾ مكتوباً ﴿فِى قِرْطَاسٍ﴾ رق كما اقترحوه ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أبلغ من عاينوه لأنه أنفى للشك ﴿لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٧﴾ تعنتاً وعناداً ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﷺ ﴿مَلَكٌ﴾ يصدقه ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا﴾ كما اقترحوا فلم يؤمنوا

الأول. قوله: (وغيرها) أي كاليمن، فإنه كان لهم رحلتان: رحلة في الصيف للشام، ورحلة في الشتاء لليمن، كما يأتي في سورة قريش. قوله: (خبرية) أي وهي مفعول مقدم لأهلكنا. قوله: ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي قبل وجودهم أو قبل زمانهم، فالكلام على حذف مضاف. قوله: ﴿مِنْ قَرْنٍ﴾ بيان لكم، والقرن يطلق على الأمة وعليه درج المفسر، ويطلق على الزمان، واختلف في حده، فقيل مائة سنة وهو الأشهر، وقيل مائة وعشرون، وقيل ثمانون، وقيل ستون، وقيل أربعون، وقيل غير ذلك.

قوله: ﴿مَكَّنَّاهُمْ﴾ وصف للقرن، وجمعه باعتبار معناه، لأن القرن اسم جمع كرهط، وقوم لفظه مفرد، ومعناه جمع. قوله: (بالقوة والسعة) أي في الدنيا حتى صاروا ذوي شهامة وغنى عظيم، ومع ذلك فلم تغن عنهم أموالهم ولا أنفسهم من الله شيئاً. قوله: (فيه التفات عن الغيبة) أي ونكتته الاعتناء بشأن المخاطبين حيث خاطبهم مشافهة. قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً﴾ وصف ثان للقرن. قوله: ﴿وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ﴾ وصف ثالث له، والمعنى أن من مضى من قبلكم من الأمم أعطيناهم القوة الشديدة في الجسم والسعة في الأموال والأولاد ومع ذلك فلم ينفعهم من ذلك شيء، فلا تأمنوا سطوتي بالأولى منهم. وقال الشاعر:

لا يأمن الدهر ذو بغي ولو ملكاً ... جنوده ضاق عنها السهل والجبل

قوله: ﴿وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً﴾ كلام مستأنف دفع به ما يقال حيث هلك من هلك فقد خرب الكون، فأجاب بأنه كلما أهلك جماعة أتى بغيرهم، فإنه قادر على ذلك والقادر لا يعجزه شيء. قوله: ﴿قَرْناً﴾ هنا بالأفراد، وفي بعض الآيات بالجمع، والمعنى واحد، فإن المراد به الجنس وجمع آخرين باعتبار معنى القرن. قوله: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا﴾ شروع في بيان زيادة كفرهم وتسلية له ﷺ على عدم إيمانهم به، وهو رد لقول النضر بن الحرث، وعبد الله بن أبي أمية، ونوفل بن خويلد ﴿لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه﴾ ومعه أربعة من الملائكة يشهدون بأنك صادق. قوله: (مكتوباً) إشارة إلى أنه أطلق المصدر، وأراد اسم المفعول. قوله: ﴿قِرْطَاسٍ﴾ القراءة بكسر القاف لا غير، ويجوز في غير القرآن فتح القاف وضمها؛ ويقال قرطس كجعفر ودرهم، ما يكتب فيه مطلقاً رقاً أو غيره، فتفسيره له بالرق بفتح الراء على الأفصح تفسير بالأخص. قوله: (كما اقترحوه) أي اخترعوه من الآيات. قوله: ﴿إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ إن نافية بمعنى ما، وهذا مبتدأ، وسحر خبره، ومبين صفته، والجملة مقول القول.

قوله: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ هذا من جملة عنادهم وكفرهم. قوله: (فلم يؤمنوا) مرتب على قوله: ﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا﴾ فهو من تتمة الشرط، والمعنى أن الله لو أجابهم بإنزال ملك ولم يؤمنوا لأهلكهم

﴿لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ بهلاكهم ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾﴾ يمهلون لتوبة أو معذرة كعادة الله فيمن قبلهم من إهلاكهم عند وجود مقترحهم إذا لم يؤمنوا ﴿وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ﴾ أي المنزل إليهم ﴿مَلَكًا لَّجَعَلْنَـٰهُ﴾ أي الملك ﴿رَجُلًا﴾ أي على صورته ليتمكنوا من رؤيته إذ لا قوة للبشر على رؤية الملك ﴿وَ﴾ لو أنزلناه وجعلناه رجلاً ﴿لَلَبَسْنَا﴾ شبهنا ﴿عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾ على أنفسهم بأن يقولوا ما هذا إلا بشر مثلكم ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾ وهو العذاب فكذا يحيق بمن استهزأ بك ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ الرسل من هلاكهم بالعذاب ليعتبروا ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ﴾ إن لم يقولوه لا جواب غيره ﴿كَتَبَ﴾ قضى ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾

كمن قبلهم مع أنه قال ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ فعدم إجابتهم رحمة بهم. قوله: ﴿**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً**﴾ رد لقوله هلا كان رسولنا من الملائكة لا من البشر. قوله: (**أي على صورته**) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف أي صورة رجل، فالشبه في الصورة فقط. قوله: (**إذ لا قوة للشر على رؤية الملك**) أي ولذلك كان يأتي الأنبياء على صورة رجل، ولم ير الملك على صورته الأصلية أحد من البشر إلا رسول الله ﷺ مرتين: مر في الأرض عند غار حراء، ومرة في السماء عند سدرة المنتهى ليلة الإسراء. قوله: ﴿**وَلَلَبَسْنَا**﴾ جعله المفسر جواب شرط محذوف والواو داخلة على فعل الشرط المحذوف قدره بقوله: (**ولو جعلناه رجلاً**) والمناسب للمفسر الاقتصاد على ذلك، ويحذف قوله ﴿**وَ**﴾ (**لو أنزلناه**) ولبس بفتح الباء يلبس بكسرها، خلط يخلط والتبس اختلط واشتبه، وأما لبس بكسر الباء يلبس بفتحها سلك الثوب في العنق.

قوله: ﴿**وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ**﴾ فلا تحزن واصبر على أذاهم، فإن الله كافيك شرهم. قوله: (**فكذا يحيق بمن استهزأ بك**) أي لكن لا على الوجه الذي حاق بهم من عموم العذاب، بل بأخذ المتمرد بخصوصه، وقد فعل الله له ذلك. قال تعالى: ﴿وإنا كفيناك المستهزئين﴾. قوله: ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي ٱلأَرْضِ**﴾ هذا استشهاد على ما تقدم، كأنه قيل إن لم تصدقوا خبر ربكم بأنه حاق بالذين سخروا وكذبوا أنبياءهم العذاب فسيروا وعاينوا آثارهم. قوله: ﴿**ثُمَّ ٱنْظُرُوا**﴾ أتى بثم لأنه لا يحسن التفكر والاستدلال، ولا بثم إلا بعد تمام السير ومعاينة الآثار. قوله: ﴿**كَيْفَ**﴾ اسم استفهام خبر كان وعاقبة اسمها، وإنما قدم الخبر عليها وعلى اسمها، لأن اسم الاستفهام له الصدارة. قوله: (**ليعتبروا**) أي يتعظوا فبالسير والتفكر يحصل الاستدلال والنور التام، ومن هنا أخذت الصوفية السياحة، لأن من جملة ما يعين على الوصول إلى الله والترقي إلى المعارف النظر والتفكر في مصنوعاته، قال تعالى ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾.

قوله: ﴿**قُلْ لِمَنْ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ**﴾ الجار والمجرور خبر مقدم، وما اسم موصول مبتدأ مؤخر، وفي السماوات والأرض صلة الموصول والأصل قل ما في السماوات والأرض لمن، وإنما قدم الخبر لأن اسم الاستفهام له الصدارة، وهذه حجة قاطعة لا يمكن ردها أبداً. قوله: ﴿**قُلْ لِلَّهِ**﴾ أي تقرير لهم وتنبيه على أنه المتعين للجواب بالإتفاق لقوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن

فضلاً منه وفيه تلطف في دعائهم إلى الإيمان ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ليجازيكم بأعمالكم ﴿لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بتعريضها للعذاب مبتدأ خبره ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٢﴾ ﴿وَلَهُ﴾ تعالى ﴿مَا سَكَنَ﴾ حل ﴿فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي كل شيء فهو ربه وخالقه ومالكه ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿الْعَلِيمُ﴾ ﴿١٣﴾ بما يفعل ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ أعبده ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مبدعهما ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ﴾ يرزق ﴿وَلَا يُطْعَمُ﴾ يرزق، لا ﴿قُلْ إِنِّي

الله﴾. قوله: **(لا جواب غيره)** في معنى التفريع أو التعليل، فالمناسب أن يقول فلا، أو لأنه لا جواب غيره.

قوله: **﴿كَتَبَ ربكم عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾** أي ألزم الرحمة لأنه وعد بها، ووعده لا يتخلف، فهي واجبة شرعاً لا عقلاً والرحمة هي النعمة، وهي عامة لكل مخلوق في الدنيا، قال تعالى ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ فمن رحمته إمهال العصاة والكفار، وترادف الرزق عليهم، وأما بعد استقرار الخلق في الدارين فتختص الرحمة بأهل الجنة، ويختص غضب الله بأهل النار. قوله: **(فضلاً منه)** رد بذلك على المعتزلة القائلين بأن الرحمة واجبة عقلاً على الله يستحيل تخلفها، إذ هو نقص، والنقص عليه محال. قوله: **(وفيه تلطف في دعائهم إلى الإيمان)** أي في ذكر الرحمة بهذا العنوان، فلا تقنطوا بل إذا تبتم قبلكم.

قوله: **﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾** اللام موطئة لقسم محذوف، وهو كلام مستأنف مؤكد بالقسم والنون إشارة إلى أن ذلك الأمر لا بد منه. قوله: **﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾** يحتمل أن إلى على بابها متعلقة بمحذوف تقديره ليجمعنكم في القبور ويحشرنكم إلى يوم القيامة، ويحتمل أنها بمعنى اللام أو في أو زائدة. قوله: **﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾** أي في الجمع يوم القيامة، أو في يوم القيامة الذي يحصل فيه الجمع. قوله: **﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾** الذين مبتدأ، وخسروا صلته، وأنفسهم مفعول لخسروا، وقوله: **﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾** مبتدأ وخبر، والجملة خبر المبتدأ. إن قلت: إن ظاهر الآية أن عدم الإيمان مسبب عن الخسران، مع أن الخسران مسبب عن عدم الإيمان. أجيب: بأن المعنى الذين خسروا أنفسهم في علم الله أي قضى عليهم بالخسران أزلاً، فهم لا يؤمنون فيما لا يزال، فالآية باعتبار ما في علم الله، وأما تسبب الخسران عن عدم الإيمان فبحسب ما يظهر للعباد. قوله: **﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ﴾** هذا أيضاً من جملة أدلة التوحيد، زيادة في التشنيع على من كفر. قوله: **(حل)** أشار بذلك إلى أنه لا حذف في الآية، وعليه جمهور المفسرين، فمعنى حل وجد فيشمل الساكن والمتحرك، وقيل إن سكن من السكون ضد الحركة، وعليه ففي الآية حذف تقديره وما تحرك.

قوله: **﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ﴾** رد لقولهم له كيف تترك دين آبائك، وغير مفعول أول لاتخذوا قدمه اعتناء بنفي الغيرية، ووليا مفعول ثان. قوله: **(أعبده)** تفسير لأتخذ، فالمراد بالولي هنا المعبود، ويطلق باشتراك على معان منها المعبود ولا يكون إلا الله، وهو قوله تعالى: ﴿فالله هو الولي﴾، ﴿الله ولي الذين آمنوا﴾ ويطلق على القريب والصاحب وعلى المنهمك في طاعة الله.

قوله: **﴿فَاطِرِ﴾** بدل من لفظ الجلالة أو نعت. إن قلت إن فاطر اسم فاعل وإضافته لفظية لا تفيده التعريف، ولفظ الجلالة أعرف المعارف، وشرط النعت موافقته لمنعوته في التعريف. أجيب بأن محل كون

أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ لله من هذه الأمة ﴿وَ﴾ قيل لي ﴿لَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾ به ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ بعبادة غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ هو يوم القيامة ﴿مَّن يُصْرَفْ﴾ بالبناء للمفعول أي العذاب وللفاعل أي الله والعائد محذوف ﴿عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ تعالى أي أراد له الخير ﴿وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ النجاة الظاهرة ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ بلاء كمرض وفقر ﴿فَلَا كَاشِفَ﴾ رافع ﴿لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ كصحة وغنى ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ

إضافته لفظية إن كان معناه التجدد والحدوث، وأما هنا فهو من قبيل الصفة المشبهة، فيكون وصفاً ثابتاً له، وهذه الجملة كالدليل لما قبلها. قوله: (مبدعهما) أي موجدهما على غير مثال سبق، ففاطر من الفطرة وهي الخلقة، وفطر خلق وأنشأ، قال ابن عباس: ما كنت أدري ما معنى فطر وفاطر، حتى اختصم إلي أعرابيان في بئر، فقال أحدهما أنا فطرتها أي أنشأتها وابتدأتها. قوله: (أي يرزق) تفسير بالأعم، لأن المعنى يرزق مطعوماً أو غيره، فليس المراد من الآية قصره على المطعوم.

قوله: ﴿وَلَا يُطْعَمُ﴾ أي لأن المرزوق محتاج لمن يرزقه، وتنزه الله عن الاحتياج. قوله: ﴿أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ يحتمل أن من نكرة موصوفة، فجملة أسلم صفة. والمعنى أن أكون أول فريق أسلم، أو اسم موصول وما بعدها صلة، والتقدير أول الفريق الذي أسلم. وقوله: ﴿أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ﴾ الخ أي أمرني ربي أن أكون أول المسلمين، لأنه يجب عليه الإيمان بأنه رسول، وبما جاء به من الشرع والأحكام، فهو أول المسلمين على الاطلاق. قوله: ﴿وَ﴾ (قيل لي الخ) أشار بذلك إلى أن قوله ﴿وَلَا تَكُونَنَّ﴾ معمول لقول محذوف، والجملة معطوفة على جملة أمرت، والمعنى أمرني ربي بأن أكون أول من أسلم، ونهاني بقوله ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، وهذه الجملة لازمة لما قبلها. قوله: ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ معمول لأخاف، وجملة ﴿إِنْ عَصَيْتُ﴾ شرطية وجوابها محذوف دل عليه قوله: ﴿أَخَافُ﴾ وهي معترضة بين الفعل وهو أخاف، ومعموله وهو عذاب.

قوله: ﴿من يصرف عنه﴾ من اسم شرط، ويصرف فعل الشرط، ونائب الفاعل مستتر يعود على العذاب على القراءة الأولى، والفاعل الله على القراءة الثانية، وعنه جار ومجرور متعلق بيصرف. وقوله: ﴿فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ جواب الشرط، وهو معنى قوله تعالى: ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾. قوله: (وللفاعل) أي والمفعول محذوف تقديره العذاب، والمعنى من يصرف الله العذاب عنه يوم القيامة فقد رحمه، في ذلك تعريض بأن الكفار لا يرحمون لأنه لا يصرف عنهم العذاب قوله: (والعائد محذوف) الأوضح أن يقول والمفعول محذوف، وهو ضمير يعود على العذاب، لأن الضمير العائد على من مذكور بقوله عنه، وأيضاً لا يحتاج للعائد إلا الموصول، ومن هنا شرطية لا موصولة. قوله: ﴿وَذَٰلِكَ﴾ أي النجاة يوم القيامة.

قوله: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ﴾ هذا تأييد من الله لرسوله، فالمعنى لا تخش لومهم بل بلغ ما انزل اليك من ربك، فإن الله متولي أمرك، بيده الضر والنفع والمنع والإعطاء، فهم عاجزون ولا يقدرون على إيصال ضر ولا جلب نفع. قوله: (كمرض وفقر) أي وغلبة واحتياج. قوله: ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ﴾ جواب الشرط، وفعله قوله يمسسك، ولا نافية للجنس، وكاشف اسمها مبني معها على الفتح في محل نصب،

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿١٧﴾ ومنه مسك به ولا يقدر على رده عنك غيره ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ﴾ القادر الذي لا يعجزه شيء مستعلياً ﴿ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ﴾ في خلقه ﴿ ٱلْخَبِيرُ ﴾ ﴿١٨﴾ ببواطنهم كظواهرهم. ونزل لما قالوا للنبي ﷺ إيتنا بما يشهد لك بالنبوة فإن أهل الكتاب أنكروك ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ﴾ تمييز محول عن المبتدأ ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ إن لم يقولوه لا جواب غيره هو ﴿ شَهِيدُۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾ على صدقي ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم ﴾ أخوفكم يا أهل مكة ﴿ بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ عطف على ضمير أنذركم أي بلغه القرآن من الإنس والجن ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ﴾

وخبرها محذوف تقديره أحد. قوله: ﴿إِلَّا هُوَ﴾ إلا أداة حصر وهو بدل من الضمير المستتر. قوله: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ جواب الشرط محذوف تقديره فلا راد لفضله، كما في آية يونس وإن يردك بخير فلا راد لفضله.

قوله: ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ دليل لكل من الجملتين. قوله: (ومنه مسك به) أي من النبوة وغيرها. قوله: (مستعلياً) أشار بذلك إلى أن قوله ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ ظرف متعلق بمحذوف حال من القاهر. قوله: ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ أي فوقية مكانة لا مكان، والمعنى أن صفاته فوق صفات غيره، لأن أوصافه كمالية، وأوصاف غيره ناقصة، فوصفه العز والعلم والاقتدار، ووصف غيره الذل والجهل والعجز، فكل وصف شريف كامل فهو لله، وكل وصف خسيس ناقص فهو لغيره. قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ (في خلقه) أي يضع الشيء في محله. قوله: ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ أي فيعامل كل شخص بما يليق به. قوله: (ونزل لما قالوا) أي أهل مكة، فقالوا يا محمد ارنا من يشهد لك بالرسالة، فإننا سألنا اليهود والنصارى عنك فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر. قوله: (إيتنا) بقلب الهمزة الثانية ياء، قال ابن مالك:

ومدا ابدل ثاني الهمزين من　　كلمة إن يسكن كآثر وائتمن

قوله: (تمييز محول عن المبتدأ) أي والأصل شهادة أي شيء ما أكبر، فحذف المضاف، وأقيم المضاف اليه مقامه، وجعل مبتدأ وجعل المضاف تمييزاً. قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ مبتدأ خبره محذوف أي أكبر شهادة. وقوله: ﴿شَهِيدٌ﴾ خبر لمحذوف قدره المفسر فالكلام جملتان، ويحتمل أن الله مبتدأ خبره شهيد، فالكلام جملة واحدة. قوله: ﴿شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ المراد بشهادة الله إظهار المعجزات على يده، فإن المعجزات منزلة منزلة قول الله صدق عبدي في كل ما يبلغ عني.

قوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْآنُ﴾ هذا دليل لشهادة الله، والمعنى أن الله شهيد، لأن القرآن ناطق بالحجج القاطعة، وهو من عنده فلا يرد كيف اكتفى منه عليه الصلاة والسلام بقوله الله شهيد، مع أن ذلك لا يكفي من غيره والاقتصار على الانذار لأن الكلام مع الكفار، وبنى اوحي للمجهول للعلم بفاعله. قوله: (عطف على ضمير أنذركم) أي ﴿وَمَنْ﴾ موصولة، و ﴿بَلَغَ﴾ صلتها، والتقدير وأنذر الذي بلغه القرآن. (من الانس والجن) أي إلى يوم القيامة، وفيه دلالة على عموم رسالته، واستمرارها من غير ناسخ إلى يوم القيامة.

استفهام إنكاري ﴿ قُل ﴾ لهم ﴿ لَّآ أَشۡهَدُۚ ﴾ بذلك ﴿ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾ ﴿١٩﴾ معه من الأصنام ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ ﴾ أي محمداً بنعته في كتابهم ﴿ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾ منهم ﴿ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ ﴿٢٠﴾ به ﴿ وَمَنۡ ﴾ أي لا أحد ﴿ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ بنسبة الشريك إليه ﴿ أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ ﴾ القرآن ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ أي الشأن ﴿ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ ﴿٢١﴾ بذلك ﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿ يَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ ﴾

قوله: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ﴾ اللام لام الابتداء زحلقت الخبر. قوله: (استفهام إنكاري) أي والمعنى لا يصح منكم هذه الشهادة لأن المعبود واحد. قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ إنما أداة حصر، وما كافة، وهو مبتدأ، وإله خبره، وواحد صفته، وهو زيادة في الرد عليهم، وهو من حصر المبتدأ في الخبر.

قوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ أي اليهود والنصارى، فالمراد بالكتاب التوراة والإنجيل. قوله: (أي محمداً) تفسير للضمير في ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾، ويصح أن يرجع الضمير للقرآن أو لجميع ما جاء به رسول الله من التوحيد وغيره. قوله: ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ أي معرفة كمعرفتهم لأبنائهم، وهذا من التنزلات الربانية، وإلا فهم يعرفونه أشد من معرفتهم لأبنائهم لما روي أن عمر بن الخطاب سأل عبد الله ابن سلام بعد إسلامه عن هذه المعرفة، فقال: يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني، ولأنا أشد معرفة بمحمد مني بابني، فقال عمر: كيف ذلك؟ فقال أشهد أنه رسول الله حقاً ولا أدري ما تصنع النساء. قوله: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ مبتدأ والجملة نعت للذين آتيناهم الكتاب، ويؤيده قول المفسر منهم.

قوله: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ خبر المبتدأ وقرن بالفاء لما في المبتدأ من معنى الشرط وهو العموم، والمعنى أن من سبق في علم الله خسرانه، فلا يتأتى له الإيمان في الدنيا، وذلك أن الله جعل لكل إنسان منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار، فإذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل أهل النار في الجنة، ولأهل النار منازل أهل الجنة في النار، وقد علمت مما تقدم أن المؤمن واحد من ألف، فتكون منازل الكفار التي يرثها المؤمنون في الجنة لكل واحد تسعمائة منزل وتسعة وتسعون تضم لمنزله، ومنازل المؤمنين التي تركت لأهل النار منزل من ألف يزاد لهم، فيؤخذ منه أن الجنة واسعة جداً، وأن النار ضيقة جداً لا سيما مع عظم جسم الكافر فيها، حيث يكون ضرسه كأحد. قال تعالى ﴿وجنة عرضها السموات والأرض﴾ وقال تعالى: ﴿وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين﴾. قوله: (به) أي بمحمد أو بالله أو بالقرآن أو بما جاء به محمد. قوله: (أي لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي، والمعنى ليس أحد أظلم ممن فعل واحداً من الأمرين الافتراء والتكذيب، فما بالك بمن جمع بينهما كالمشركين وأهل الكتاب، فإن كلاً منهما وقع منه الأمران. قوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ أي لا يفوزون بمطلوبهم. وقوله: (بذلك) أي بسبب ما ذكر وهو الافتراء أو التكذيب.

قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ ظرف متعلق بمحذوف قدره المفسر، والضمير في نحشرهم عائد على الخلق مسلمهم وكافرهم، ويصح عوده على المشركين، فقوله بعد ذلك ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ إظهار في محل الإضمار زيادة في التشنيع عليهم. قوله: ﴿جَمِيعاً﴾ حال من ضمير نحشرهم. قوله: ﴿ثُمَّ نَقُولُ﴾ أتى

توبيخاً ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ ﴿٢٢﴾ أنهم شركاء لله ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن ﴾ بالتاء والياء ﴿ فِتْنَتُهُمْ ﴾ بالنصب والرفع أي معذرتهم ﴿ إِلَّآ أَن قَالُواْ ﴾ أي قولهم ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا ﴾ بالجر نعت والنصب نداء ﴿ مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ ﴿٢٣﴾ قال تعالى ﴿ ٱنظُرْ ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ بنفي الشرك عنهم ﴿ وَضَلَّ ﴾ غاب ﴿ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ ﴿٢٤﴾ ـه على الله من الشركاء ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ إذا قرأت ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾ أغطية لـ ﴿ أَن ﴾ لا ﴿ يَفْقَهُوهُ ﴾ يفهموا

بثم إشارة إلى أن السؤال بعد الحشر، والحشر يطول على الكفار قدر خمسين ألف سنة والمقصود من ذلك ردعهم وزجرهم لعلهم يؤمنون في الدنيا فتأمنون من ذلك اليوم وهوله، والقول إن كان على ألسنة الملائكة فظاهر، وإن كان من الله مباشرة ورد علينا قوله تعالى: ﴿ولا يكلمهم الله يوم القيامة﴾ وقد يجاب بأن المعنى لا يكلمهم كلام رضا ورحمة. **قوله**: ﴿**أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ**﴾ إن قلت: مقتضى هذه الآية أن الشركاء ليسوا حاضرين معهم، ومقتضى قوله تعالى ﴿واحشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله﴾ أنهم حاضرون معهم، فكيف الجمع بينهما؟ اجيب بأن السؤال واقع بعد التبري الكائن من الجانبين، وانقطاع ما بينهم من الأسباب والعلائق وأضيفوا لهم، لأن شركتها بتسميتهم وتقولهم. قال تعالى: ﴿وما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم﴾ الآية. قوله: (**أنهم شركاء لله**) قدره إشارة إلى أن مفعولي ﴿**تَزْعُمُونَ**﴾ محذوفان، وهذه الجملة سدت مسدهما. قوله: (**بالتاء والياء**) فعلى قراءة التاء يصح رفع ﴿**فِتْنَتُهُمْ**﴾ اسم تكن، و ﴿**إِلَّا أَنْ قَالُوا**﴾ خبرها ونصبها خبر تكن مقدم، وإلا أن قالوا اسمها مؤخر، ويتعين جر ﴿**رَبِّنَا**﴾ وعلى قراءة الياء إلا نصب فتنتهم خبر يكن مقدم، وإلا أن قالوا اسمها مؤخر، ويتعين نصب ربنا، فالقراءات ثلاث وكلها سبعية، خلافاً لما توهمه المفسر. قوله: (**أي معذرتهم**) أي جوابهم، وسماه فتنة لأنه كذب محض لا نفع به، بل به الفضائح.

قوله: ﴿**مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ**﴾ إن قلت: كيف الجمع بين ما هنا وبين قوله ولا يكتمون الله حديثاً. قلت: أولا ينكرون الإشراك ويحلفون على عدم وقوعه منهم، ثم يستشهد الله الأعضاء فتنطق الجوارح، فحينئذ يودون لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً، فهم أولاً يظنون أن إنكارهم نافع، فحين تشهد أعضاؤهم يتمنون أن لو كانوا أتراباً ولم يكتموا شيئاً. قوله: ﴿**عَلَى أَنْفُسِهِمْ**﴾ إنما نسبه لهم وإن كان في الحقيقة كذباً على الله، لأن ضرره عاد إليهم. قوله: (**من الشركاء**) بيان لما.

قوله: ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ**﴾ سبب نزولها: أنه اجتمع أبو سفيان وأبو جهل والوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأمية بن خلف والحرث بن عامر، يستمعون القرآن فقالوا للنضر: يا أبا قتيبة ما يقول محمد؟ قال ما أدري ما يقول، غير أني أراه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين، مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية، وكان النضر كثير الحديث عن القرون الماضية وأخبارها، فقال أبو سفيان: إني أرى بعض ما يقول حقاً، فقال أبو جهل: كلا لا نقر بشيء من هذا، وفي رواية الموت أهون علينا من هذا. وأفرد يستمع مراعاة للفظ من، وسيأتي في يونس مراعاة معناها، والحكمة في مراعاة لفظها هنا، أن ما هنا في قوم قليلين، وفيما يأتي في الكفار جميعاً. قوله: ﴿**أَكِنَّةً**﴾ جمع كنان وهو الوعاء

القرآن ﴿ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرًاۚ ﴾ صمماً فلا يسمعونه سماع قبول ﴿ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ ﴾ ما ﴿ هَٰذَآ ﴾ القرآن ﴿ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ﴾ أكاذيب ﴿ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ ﴿٢٥﴾ كالأضاحيك والأعاجيب جمع أسطور بالضم ﴿ وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ ﴾ الناس ﴿ عَنۡهُ ﴾ عن اتباع النبي ﷺ ﴿ وَيَنۡـَٔوۡنَ ﴾ يتباعدون ﴿ عَنۡهُۖ ﴾ فلا يؤمنون به وقيل نزلت في أبي طالب كان ينهى عن أذاه ولا يؤمن به ﴿ وَإِن ﴾ ما ﴿ يُهۡلِكُونَ ﴾ بالنأي عنه ﴿ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ ﴾ لأن ضرره عليهم ﴿ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾ ﴿٢٦﴾ بذلك ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ ﴾ يا محمد ﴿ إِذۡ وُقِفُواْ ﴾ عرضوا ﴿ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا ﴾ للتنبيه ﴿ لَيۡتَنَا نُرَدُّ ﴾ إلى الدنيا ﴿ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ ﴿٢٧﴾ برفع الفعلين استئنافاً

الجامع الذي يحفظ فيه الشيء ويجمع على أكنان، والمراد بها هنا الغطاء الساتر. قوله: **(فلا يسمعونه)** أي القرآن. قوله: **﴿حَتَّى إِذَا جَاؤُكَ﴾** حتى ابتدائية. وقوله: **﴿يُجَادِلُونَكَ﴾** حال من الواو في جاؤوك. وقوله: **﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** جواب إذا. قوله: **(كالأضاحيك)** جمع أضحوكة بالضم، وكذا **(الأعاجيب)** أي فالمشهور أن أساطير في جمعه ومفرده كالأضاحيك والأعاجيب. قوله: **﴿هُمْ يَنْهَوْنَ﴾** أي الكفار ينهون عن اتباع النبي، أو عن سماع القرآن. قوله: **(أي عن اتباع النبي)** أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: **(وقيل نزلت في أبي طالب)** أي وعليه فجمع الضمير باعتبار اتباعه. قوله: **(كان ينهى عن أذاه)** أي وكان يخاطب النبي عليه الصلاة والسلام بقوله:

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... حتى أوسد في التراب رهينا

وهذا القول لابن عباس وعمرو بن دينار وسعيد بن جبير، والقول بأنها نزلت في المشركين لجماعة منهم الكلبي والحسن، والأقرب لسياق ما قبلها وما بعدها المعنى الأولى فتأمل. قوله: **(بذلك)** أي بإهلاكهم أنفسهم، قوله: **﴿وَلَوْ تَرَى﴾** المقصود من ذلك حكاية ما سيقع من الكفار يوم القيامة وتسلية للنبي وأصحابه، والمعنى لو تبصر بعينك يا محمد ما يقع لهؤلاء في الآخرة، لرأيت أمراً عظيماً تتسلى به عن الدنيا، فالخطاب لسيدنا محمد كما قال المفسر. إن قلت: هذا يقتضي أن رسول الله لم يطلع على ذلك، مع أنه لم يخرج من الدنيا حتى أحاط بوقائع الدنيا والآخرة. أجيب: بأن هذا قبل إعلام الله له بالآخرة. وأجيب أيضاً بأن الخطاب له والمراد غيره، ورأى إما بصرية وهو الأقرب أو قلبية، والمعنى لو صرفت فكرك الصحيح في تدبير حالهم لازددت يقيناً، ولو يحتمل أنها حرف امتناع، فيكون قوله ترى بمعنى رأيت، وإذ على بابها من المعنى، فيكون عبر بالماضي لتحقق الحصول، ويحتمل أنها بمعنى إن الشرطية وإذ بمعنى إذا، فيكون مستقبلاً، والأقرب الأول. قوله: **(للتنبيه)** أي لدخولها على الحرف.

قوله: **﴿لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾** ليت حرف تمنٍ، ونا اسمها، وجملة نرد خبرها. قوله: **(برفع الفعلين استئنافاً)** أي واقع في جواب سؤال مقدر تقديره ماذا تفعلون لو رددتم، فقوله **﴿وَلَا نُكَذِّبَ﴾** خبر محذوف تقديره

ونصبهما في جواب التمني ورفع الأول ونصب الثاني وجواب لو رأيت أمراً عظيماً قال تعالى ﴿ بَلْ ﴾ للإضراب عن إرادة الإيمان المفهوم من التمني ﴿ بَدَا ﴾ ظهر ﴿ لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ﴾ يكتمون بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين بشهادة جوارحهم فتمنوا ذلك ﴿ وَلَوْ رُدُّوا ﴾ إلى الدنيا فرضاً ﴿ لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ من الشرك ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٢٨) في وعدهم بالإيمان ﴿ وَقَالُوا ﴾ أي منكر والبعث ﴿ إِنْ ﴾ ما ﴿ هِيَ ﴾ أي الحياة ﴿ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ (٢٩) ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا ﴾ عرضوا ﴿ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ لرأيت أمراً عظيماً ﴿ قَالَ ﴾ لهم على لسان الملائكة توبيخاً ﴿ أَلَيْسَ هَٰذَا ﴾ البعث والحساب ﴿ بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ﴾ إنه لحق ﴿ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (٣٠) به في الدنيا ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ﴾ بالبعث ﴿ حَتَّىٰ ﴾ غاية للتكذيب ﴿ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ ﴾ القيامة ﴿ بَغْتَةً ﴾ فجأة ﴿ قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا ﴾ هي شدة التألم ونداؤها مجاز أي

ونحن لا نكذب، وكذا قوله ﴿وَنَكُونَ﴾. قوله: (**وبنصبهما في جواب التمني**) أي بأن مضمرة بعد واو المعية، أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر معطوف على مصدر مصيد من الكلام السابق، وتقدير الكلام فقالوا نتمنى على الله ردنا مع عدم تكذيب منا وحصول إيمان. قوله: (**ورفع الأول**) أي على الاستئناف. وقوله:(**ونصب الثاني**) أي بأن مضمرة وجوباً بعد واو المعية في جواب التمني، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر معطوف على مصدر مصيد من الكلام السابق، تقديره نتمنى على الله مع كوننا من المؤمنين، وجملة ولا نكذب معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه، فهذه قراءات ثلاث وكلها سبعية، وقرىء شذوذاً بنصب الأول ورفع الثاني وتوجيهه كما علمت. قوله: (**للإضراب**) أي الإبطالي، والمعنى ليس الأمر كما قالوا من أنهم لو ردوا لآمنوا، بل إنما حملهم على ذلك فضيحتهم بشهادة أعضائهم. قوله: ﴿**مَا كَانُوا يُخْفُونَ**﴾ أي وهو الشرك. قوله: (**بقولهم**) الباء سببية. قوله: (**بشهادة جوارحهم**) متعلق ببدا. قوله: (**فتمنوا ذلك**) أي فراراً من العذاب لا محبة في الإيمان.

قوله: ﴿**لَعَادُوا**﴾ جواب لو. قوله: (**في وعدهم بالإيمان**) أي الذي وقع منهم بالتمني. قوله: ﴿**وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا**﴾ يحتمل أنه معطوف على لعادوا، فهو من جملة جواب له، ويحتمل أنه كلام مستأنف في خصوص منكري البعث وهذا هو المتبادر من المفسر، وإن نافية بمعنى ما، وهي مبتدأ، وحياتنا خبره والمعنى أنهم قالوا ليس لنا حياة غير هذه الحياة التي نحن فيها، وما نحن بمبعوثين بعد الموت. قوله: ﴿**عَلَىٰ رَبِّهِمْ**﴾ أي على حسابه وسؤاله، فالكلام على حذف مضاف.

قوله: ﴿**قَالَ**﴾ (**لهم**) أي لمنكري البعث الذين قالوا ﴿**إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا**﴾. قوله: (**على لسان الملائكة**) دفع بذلك ما يقال إن الله لا ينظر اليهم ولا يكلمهم. قوله: ﴿**قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا**﴾جواب مؤكد باليمين. قوله: ﴿**بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾ أي بسبب الذي كنتم تكفرون به أو بسبب كفركم. قوله: (**غاية للتكذيب**) أي لا للخسران فإنه لا غاية له. قوله ﴿**السَّاعَةُ**﴾ المراد بها مقدمات الموت، فالمراد أن حزنهم الدائم يحصل لهم عند خروج أرواحهم. قوله: ﴿**بَغْتَةً**﴾ حال من فاعل جاءتهم، والتقدير جاءتهم مباغتة، أو من مفعوله، والتقدير جاءتهم حال كونهم مبغوتين. قوله: ﴿**يَا حَسْرَتَنَا**﴾ يا حرف نداء،

هذا أوانك فاحضري ﴿ عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا ﴾ قصرنا ﴿ فِيهَا ﴾ أي الدنيا ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ﴾ بأن تأتيهم عند البعث في أقبح صورة وأنتنه ريحاً فتركبهم ﴿ أَلَا سَاءَ ﴾ بئس ﴿ مَا يَزِرُونَ ﴾ ﴿٣١﴾ يحملون حملهم ذلك ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ أي الاشتغال بها ﴿ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ وأما الطاعات وما يعين عليها فمن أمور الآخرة ﴿ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ ﴾ وفي قراءة ولدار الآخرة أي الجنة ﴿ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ الشرك ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٣٢﴾ بالياء والتاء ذلك فيؤمنون ﴿ قَدْ ﴾ للتحقيق ﴿ نَعْلَمُ إِنَّهُ ﴾ أي الشأن ﴿ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ﴾ لك من التكذيب ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ في

وحسرتنا منادى منصوب بفتحة ظاهرة لأنه مضاف لنا. قوله: **(هي شدة التألم)** أي التلهف والتحسر على ما فات. قوله: **(ونداؤها مجاز)** أي تنزيلاً لها منزلة العاقل، لأنه لا ينادى حقيقة إلا العاقل، والمقصود التنبيه على أن هذا الكافر من شدة هوله لم يفرق بين خطاب العاقل وغيره، ومثله، يا ويلنا فتأمل.

قوله: **﴿عَلَى مَا فَرَّطْنَا﴾** أي من الأعمال الصالحة في الدنيا. قوله: **﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾** لجملة حالية من الواو في قالوا. قوله: **(بأن تأتيهم الخ)** ورد أن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله أحسن شيء صورة وأطيب ريحاً، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول لا، فيقول أنا عملك الصالح فاركبني فقد طال ما ركبتك في الدنيا، فذلك قوله تعالى﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً﴾يعني ركباناً، وأما الكافر فيستقبله أقبح شيء صورة وأنتنه ريحاً، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول لا فيقول أنا عملك الخبيث طالما ركبتني في الدنيا فأنا أركبك فذلك قوله تعالى﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم﴾. قوله: **(أي الاشتغال فيها)** أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، والمعنى أن الاشتغال في الحياة الدنيا عن خدمة الله وطاعته لعب ولهو، وليس المراد أن مطلق الحياة الدنيا لعب ولهو، بل ما قرب منها إلى الله فهو مزرعة للآخرة، وما أبعد منها عنه فهو حسرة وندامة.

قوله: **﴿خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾** أي لأن منافعها خالصة من الكدورات وعزها دائم. قوله: **﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾** الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير ألا يتفكرون فلا يعقلون. قوله: **(بالياء والتاء)** أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: **﴿قَدْ نَعْلَمُ﴾** المقصود من هذه الآية وما بعدها تسلية النبي ﷺ على ما وقع من الكفار من التكذيب وغيره، وتهديد لهم لعلهم يرجعون، وقد للتحقيق، نظير قوله تعالى﴿قد يعلم الله المعوقين﴾. قوله: **﴿إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ﴾** بكسر الهمزة لدخول اللام المعلقة لنعلم عن العمل في حيزها، قال ابن مالك:

وكسروا من بعد فعل علقا ... باللام كاعلم إنه لذو تقى

وإن حرف توكيد، والهاء اسمها، واللام لام الابتداء زحلقت للخبر لئلا يتوالى حرفاً تأكيد، ويحزنك خبرها، و ﴿الَّذِي﴾ فاعل يحزن و ﴿يَقُولُونَ﴾ صلتها، والعائد محذوف تقديره يقولونه، والجملة من إن واسمها وخبرها في محل نصب سدت مسد مفعولي نعلم، فإن التعليق إبطال العمل لفظاً لا محلاً كما هو مقرر. قوله: **﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾** الفاء للتعليل، والمعنى لا تحزن من تكذيبهم لك، واصبر ولا تكن في ضيق مما يمكرون، فإنهم لا يكذبونك في الباطن، بل يعتقدون صدقك، وإنما تكذيبهم عناد

السر لعلمهم أنك صادق وفي قراءة بالتخفيف أي لا ينسبونك إلى الكذب ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وضعه موضع المضمر ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿يَجۡحَدُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ يكذبون ﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ﴾ بإهلاك قومهم فاصبر حتى يأتيك النصر بإهلاك قومك ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ مواعيده ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ ﴿٣٤﴾ ما يسكن به قلبك ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ﴾ عظم ﴿عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ﴾ عن الإسلام

وجحود. قوله: (في السر) دفع بذلك ما يقال إن بين ما هنا وبين قوله: ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ تنافياً، وحاصل الجواب أن المنفي التكذيب في السر، والمثبت التكذيب في العلانية. قوله: (وفي قراءة بالتخفيف) أي مع ضم الياء وسكون الكاف وهي سبعية أيضاً. قوله: (أي لا ينسبونك إلى الكذب) هذا يناسب كلاً من القراءتين، والمعنى لا يعتقدون تكذيبك باطناً، ولذا قال أبو جهل للنبي ﷺ: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب الذي جئت به. قوله: (وضعه موضع المضمر) أي زيادة في التقبيح والتشنيع عليهم. قوله: ﴿يَجْحَدُونَ﴾ الجحد الإنكار مع العلم، والمعنى أنهم أنكروا آيات الله مع علمهم بأن ما جاء به صدق. قوله: (يكذبونك) أي في العلانية قوله: (فيه تسلية) وذلك لأن البلوى إذا عمت هانت.

قوله: ﴿فَصَبَرُوا﴾ الفاء سببية، وصبروا معطوف على ﴿كُذِّبَتْ﴾. قوله: ﴿عَلَى مَا كُذِّبُوا﴾ متعلق بصبروا، والمعنى صبروا على تكذيبهم. قوله: ﴿وَأُوذُوا﴾ يصح عطفه على كذبت، والمعنى كذبت وأوذوا فصبروا، ويصح عطفه على صبروا، والمعنى كذبت رسل فصبروا وأوذوا مع حصول الصبر منهم، ويصح عطفه على قوله ما كذبوا، والمعنى صبروا على تكذيبهم وإيذائهم. قوله: ﴿حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ غاية في الصبر، والمعنى غاية صبرهم نصر الله لهم. قوله: (مواعيده) أي مواعيد الله بالنصر، قال تعالى: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون﴾، وقال تعالى: ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي﴾.

قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ﴾ اللام موطئة لقسم محذوف، وجاء فعل ماض، والفاعل محذوف يعلم من السياق قدره المفسر بقوله ما يسكن به قلبك، وقوله ﴿مِنْ نَّبَإِي ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ بيان للمحذوف، ويحتمل أن من زائدة على مذهب الأخفش ونبأ المرسلين فاعل، ويحتمل أن من اسم بمعنى بعض هي الفاعل، والمعنى ولقد جاءك بعض أخبار المرسلين الذين كذبوا أوذوا فصبروا، فتسل ولا تحزن فإن الله ناصرك كما نصرهم.

قوله: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ سبب نزولها: أن الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف جاء رسول الله ﷺ في نفر من قريش، فقالوا يا محمد ائتنا بآية من عند الله كما كانت الأنبياء تفعل فإنا نصدقك، فأبى الله أن يأتيهم بآية مما اقترحوا فأعرضوا عنه، فشق ذلك عليه لما أنه شديد الحرص على إيمان قومه، فكان إذا سألوه آية يود أن ينزلها الله طمعاً في إيمانهم فنزلت. وإن حرف شرط، وكان فعل ماض فعل الشرط، واسمها ضمير الشأن، وكبر فعل ماض، وإعراضهم فاعله، والجملة خبر كان، والأقرب أن إعراضهم اسم كان مؤخراً، وجملة كبر خبرها مقدم، وفاعل كبر ضمير يعود على إعراضهم، وهو وإن كان مؤخراً لفظاً إلا أنه مقدم رتبة.

لحرصك عليهم ﴿ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا ﴾ سرباً ﴿ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا ﴾ مصعداً ﴿ فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ﴾ مما اقترحوا فافعل المعنى أنك لا تستطيع ذلك فاصبر حتى يحكم الله ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ هدايتهم ﴿ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ ولكن لم يشأ ذلك فلم يؤمنوا ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (٣٥) بذلك ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ﴾ دعاءك إلى الإيمان ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ سماع تفهم واعتبار ﴿ وَٱلْمَوْتَىٰ ﴾ أي الكفار شبههم بهم في عدم السماع ﴿ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ في الآخرة ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (٣٦) يردون

قوله: ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ﴾ هذه الجملة شرطية، وجوابها محذوف تقديره فافعل، والشرط وجوابه جواب الشرط الأول، والمعنى إن عظم عليك إعراضهم، ولم تكتف بالمعجزات التي ظهرت على يديك فإن استطعت أن تأتيهم بآية فافعل. قوله: (سرباً) بفتحات شق في الأرض، والنفق السرب النافذ في الأرض، ومنه النافقاء أحد أبواب حجرة اليربوع، وذلك أن اليربوع يحفر في الأرض سرباً ويجعل له بابين أو ثلاثة، النافقاء والقاصعاء والراميا‌ء، ثم يدقق بالحفر ما يقارب وجه الأرض، فإذا نابه أمر، دفع تلك القشرة الدقيقة وخرج. والمعنى إن شئت أن تتحيل على إتيان آية لقومك على طبق ما اقترحوا فافعل، وهذا عتاب لرسول الله على التعلق بإيمانهم، وترق له إلى المقام الأكمل الذي هو التسليم له.

قوله: ﴿فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾ أي من تحت الأرض أو من فوق السماء. قوله: (هدايتهم) أي جمعهم على الهدى. قوله: (ولكن لم يشأ ذلك) هذا استثناء نقيض المقدم، فينتج نقيض التالي إن كان بينهما تساوٍ كما هنا، نظير لو كانت الشمس طالعة كان النهار موجوداً، وقد أشار لمعنى النتيجة بقوله فلم يؤمنوا، وإلا فالنتيجة فلم يجمعهم على الهدى. قوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَاهِلِينَ﴾ أي الذين لا تسليم لهم، فلا تتعب نفسك في تطلب ما اقترحوه فإنهم لا يؤمنون.

قوله: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ هذا من جملة التسلية لرسول الله، والمعنى لا تحزن على عدم إيمانهم، فإنما يستجيب لك ويمتثل أمرك، ويقبل المواعظ الذين يسمعون سماع قبول، والذين لا يسمعون يبعثهم الله فيجازيهم على ما صدر منهم، فللنار أهل، وللجنة أهل، فمن خلق الله فيه الهدى انتفع بالمواعظ وآمن، ومن خلق فيه الضلال فلا تزيده المواعظ والآيات إلا ضلالاً، وهذه الآية في الحقيقة استدراك على قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَى﴾. فالمعنى لم يشأ جمعهم على الهدى، بل قسم الخلق قسمين: قسم للجنة، وقسم للنار. قوله: (دعاءك إلى الإيمان) هذا هو مفعول يستجيب، والسين والتاء لتأكيد الإجابة، والمراد بالذين يسمعون من سبقت لهم السعادة في الأزل، فما يظهر منهم من الإيمان هو على طبق ما سبق. قوله: (أي الكفار) أشار بذلك إلى أن قوله ﴿وَٱلْمَوْتَى﴾ مقابل قوله ﴿ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾.

قوله: ﴿يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي يحييهم، وقوله (في الآخرة) إشارة للحشر، أن المراد بالبعث الإحياء بعد الموت، وهذا هو الأقرب، وقيل معنى يبعثهم يحيي قلوبهم بالإيمان، فهو بشارة لرسول الله بأن أعداءه يؤمنون، ولكن يرده الحصر المتقدم، وأيضاً من آمن فهو داخل في قوله الذين يسمعون. قوله: (بأعمالهم) الباء إما سببية أو بمعنى على، والمراد بالأعمال الكفر والمعاصي، وقوله: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ أي يوقفون

فيجازيهم بأعمالهم ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي كفار مكة ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ كالناقة والعصا والمائدة ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿ءَايَةً﴾ مما اقترحوا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ أن نزولها بلاء عليهم لوجوب هلاكهم إن جحدوها ﴿وَمَا مِن﴾ زائدة ﴿دَآبَّةٍ﴾ تمشي ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ﴾ في الهواء ﴿بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ في تدبير خلقها ورزقها وأحوالها ﴿مَّا فَرَّطْنَا﴾ تركنا ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿مِن﴾ زائدة ﴿شَىْءٍ﴾ فلم

للحساب والجزاء، وأما البعث فهو الإحياء بعد الموت فتغايرا. قوله: ﴿**وَقَالُوا**﴾ هذا إنكار منهم لما جاء به من المعجزات الباهرة، حيث جعلوا ما جاء به سحراً وكهانة وطلبوا غيره. قوله: (**كالناقة والعصا**) أي والنار لإبراهيم، وإلانة الحديد لداود، وغير ذلك من معجزات الأنبياء الظاهرة، فنزلوا معجزاته ﷺ منزلة العدم، حتى طلبوا معجزة على صدقه، ولكنهم من عمى قلوبهم، لم يفرقوا بين معجزاته ومعجزات غيره، فإن معجزاته أعلى وأجل، قال العارف البرعي:

وإن قابلت لفظه لن تراني ... بما كذب الفؤاد فهمت معنى

وقال أيضاً:

وإن يك خاطب الأموات عيسى ... فإن الجذع حن له وأنَّ

إلى آخر ما قال. قوله: (**بالتشديد والتخفيف**) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (**أن نزولها الخ**) هذه الجملة في محل نصب مفعول يعلمون. قوله: (**بلاء عليهم**) أي لعدم إيمانهم وانتفاعهم بها. قوله: (**لوجوب هلاكهم**) أي بحسب جري عادة الله، بأن من اقترح آية وجاءته ولم يؤمن بها أهلكه الله، فعدم إجابتهم لما اقترحوا رحمة بالأمة المحمدية جميعاً لأن الله منَّ على نبيه ببقائها إلى يوم القيامة، ولو أجاب المتعنتين بعين ما طلبوا، لانقرضت الأمة كما انقرض من تعنت قبلهم.

قوله: ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ**﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان كمال قدرته تعالى وسعة علمه وتدبيره. قوله: (**تمشي**) قدره خاصاً لدلالة مقابلة وهو قوله يطير عليه، قال العلماء: جميع ما خلقه الله عز وجل لا يخرج عن المشي والطيران، وألحقوا حيوان البحر بالطير لأنه يسبح في الماء، كما أن الطير يسبح في الهواء. قوله: ﴿**فِي الْأَرْضِ**﴾ خصها بالذكر لأن المشاهد أقطع لحجة الخصم، وإلا فسكان السماء كذلك. قوله: ﴿**بِجَنَاحَيْهِ**﴾ صفة كاشفة، نظير قوله: نظرت بعيني وسمعت بأذني.

قوله: ﴿**إِلَّا أُمَمٌ**﴾ أي طوائف وجماعات أمثالكم، أي كل نوع على صفة وطريقة وشكل كما أنكم كذلك، فمن الدواب العزيز والذليل والمرزوق بسهولة وبتعب والقوي والضعيف والكبير والصغير والمتحيل في الرزق وغير المتحيل كبني آدم. قوله: (**في تدبير خلقها**) أي وتصريفه فيها في كل لحظة، بجلب المنافع لها، ودفع المضار عنها، ولطفه بها، فلا يشغله شأن عن شأن، قال تعالى: ﴿**ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة**﴾. قوله: (**وأحوالها**) أي من إحيائها وإماتتها وإعزازها وإذلالها ونحو ذلك، وكذلك تعرف ربها وتوحده، كما أنتم تعرفونه وتوحدونه، ولم يوجد كافر إلا من الجن والآدميين، وإلا فجميع المخلوقات عقلاء، وغيرهم مجبولون على التوحيد، قال تعالى: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾

نكتبه ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ ٣٨ فيقضي بينهم ويقتص للجماء من القرناء ثم يقول لهم كونوا تراباً ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ القرآن ﴿ صُمٌّ ﴾ عن سماعها سماع قبول ﴿ وَبُكْمٌ ﴾ عن النطق بالحق ﴿ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ الكفر ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ ﴾ إضلاله ﴿ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ ﴾ هدايته ﴿ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ ﴾ طريق ﴿ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ٣٩ دين الإسلام ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿ أَرَءَيْتَكُمْ ﴾ أخبروني ﴿ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ ﴾ في الدنيا ﴿ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ ﴾ القيامة المشتملة عليه بغتة ﴿ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ ﴾ لا ﴿ إِن

وإنما كفر من كفر من الجن والإنس عناداً. قوله: (اللوح المحفوظ) أي من الشيطان، ومن التغيير والتبديل، وهو من درة بيضاء فوق السماء السابعة، طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، فحيث أريد بالكتاب اللوح المحفوظ، فالعموم ظاهر، فإن فيه تبيان كل شيء ما كان وما يكون وما هو كائن، وقيل المراد بالكتاب القرآن، وعليه فالمراد بقوله: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي ويحتاج إليه الخلق في أمورهم.

قوله: ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ أي يجمعون، وهذا بيان لأحوالهم في الآخرة إثر بيان أحوالهم في الدنيا. قوله: (فيقضي بينهم) أي الأمم عقلاء أو غيرهم. قوله: ﴿للجماء﴾ أي وهي معدومة القرون، وهذا كله لإظهار العدل، فحيث لم يترك غير العقلاء فكيف بالعقلاء، فلا بد من الحشر والحساب والجزاء، إما بالعدل، وإما بالفضل. قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي أعرضوا عنها ولم يؤمنوا بها. قوله: ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ هو معنى قوله في الآية الأخرى، عمي فهم صم القلوب عميها بكمها، فلا يتأتى منهم انتفاع ولا اعتبار، ولا يصل اليهم نور أبداً. قوله: (الكفر) أي فهو ظلمات معنوية، فمثل الكافر كمثل رجل أعمى أصم أبكم في ظلمات فلا يهتدي إلى مقصوده، كما أن الكافر كذلك.

قوله: ﴿مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ﴾ هذا دليل لما قبله، ومفعول يشأ في كل محذوف قدره المفسر بقوله إضلاله وبقوله هدايته، والمعنى أن الاضلال والاهتداء بتقدير الله، فمن أراد الله هدايته، سهل له أسبابها، وجعله منهمكاً في طاعته، وإن وقعت منه معصية وفق للتوبة منها، ومن أراد الله إضلاله، حجبه عن نوره، وتعسرت عليه أسباب الطاعة، حتى لو وقعت منه طاعة، تكون معلولة غير مقبولة، وما في هذه الآية هو معنى قوله تعالى في الآية الأخرى﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾ الآية. ﴿قُلْ﴾ (يا محمد) أي على سبيل التخويف والتوبيخ على الكفر بالله. قوله: (أخبروني) هكذا فسرت الرؤية في هذه الآية ونظائرها بالإخبار، والأصل في الرؤية العلم أو الإبصار، فأطلق العلم أو الإبصار، وأريد لازمه وهو الإخبار، لأن الإنسان لا يخبر إلا بما علمه أو أبصره، واستعملت الهمزة التي هي في الأصل لطلب العلم أو الإبصار في طلب الإخبار ففيه مجازان، ورأى فعل ماض، والتاء فاعل، والكاف مفعول أول على حذف مضاف، والجملة الاستفهامية في محل المفعول الثاني، والتقدير أرأيتم عبادتكم غير الله هل تنفعكم، والمعنى أخبروني يا أهل مكة، إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة بسرعة، أتدعون إلهاً غير الله يكشف عنكم ما نزل بكم، وجواب الاستفهام لا يدعون غير الله، فإذا كان كذلك فهو أحق بأن يفرد بالعبادة.

قوله: ﴿إِنْ أَتَاكُمْ﴾ جواب الشرط محذوف تقديره فمن تدعون. قوله: (في الدنيا) أي كالصاعقة

﴿كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ﴿٤٠﴾ في أن الأصنام تنفعكم فادعوها ﴿بَلْ إِيَّاهُ﴾ لا غيره ﴿تَدْعُونَ﴾ في الشدائد ﴿فَيَكْشِفُ﴾ الله ﴿مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ أن يكشفه عنكم من الضر ونحوه ﴿إِن شَآءَ﴾ كشفه ﴿وَتَنسَوْنَ﴾ تتركون ﴿مَا تُشْرِكُونَ﴾ ﴿٤١﴾ معه من الأصنام فلا تدعونه ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن﴾ زائدة ﴿قَبْلِكَ﴾ رسلاً فكذبوهم ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ﴾ شدة الفقر ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ المرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ ﴿٤٢﴾ يتذللون فيؤمنون ﴿فَلَوْلَآ﴾ فهلا ﴿إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿تَضَرَّعُوا۟﴾ أي لم يفعلوا ذلك مع قيام المقتضي له ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فلم تلن للإيمان ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ من المعاصي فأصروا عليها ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟﴾ تركوا ﴿مَا ذُكِّرُوا۟﴾ وعظوا وخوفوا ﴿بِهِۦ﴾ من البأساء والضراء فلم يتعظوا ﴿فَتَحْنَا﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من النعم استدراجاً لهم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟﴾ فرح بطر ﴿أَخَذْنَٰهُم﴾ بالعذاب ﴿بَغْتَةً﴾

والصيحة. قوله: **(المشتملة عليه)** أي على العذاب، لأن الكافر لا يشاهد من حين موته إلا العذاب الدائم، وأسهله خروج الروح. قوله: **(بغتة)** أي سرعة.

قوله: **﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾** الهمزة للاستفهام الإنكاري وغير معمول لتدعون وهو صفة لموصوف محذوف والتقدير أتدعون إلهاً غير الله. قوله: **(فادعوها)** قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف. قوله: **﴿بَلْ إِيَّاهُ﴾** اضراب انتقالي عن النفي الذي علم من الاستفهام. قوله: **(في الشدائد)** أي كالمرض والفقر وغير ذلك.

قوله: **﴿إِنْ شَاءَ﴾** جوابه محذوف لفهم المعنى ودلالة ما قبله عليه، أي إن شاء أن يكشفه كشفه، وإن لم يشأ كشفه فلا يكشفه، فليست إجابة الدعاء وعداً لا يخلف، وهذا مخصوص بدعاء الكفار، وأما دعاء المؤمنين فهو مجاب بالوعد الذي لا يخلف، لكن على ما يريد الله، إما بعين المطلوب أو بغيره، فلا منافاة بين ما هنا وبين قوله تعالى: ﴿أدعوني أستجب لكم﴾. قوله: **﴿وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾** أي حين نزول الشدائد بهم لا يلتفتون إلى أصنامهم، بل لا يدعون إلا الله.

قوله: **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾** هذا تسلية لرسول الله ﷺ. قوله: **(فكذبوهم)** قدره إشارة إلى أن قوله **﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾** مرتب على محذوف. قوله: **﴿يَتَضَرَّعُونَ﴾** من التضرع وهو التذلل والخضوع. قوله: **(فهلا)** أشار بذلك إلى أن لولا للتحضيض. قوله: **(أي لم يفعلوا ذلك)** أي التضرع، وأشار بذلك إلى أن التحضيض بمعنى النفي. قوله: **(مع قيام المقتضى له)** أي وهو البأساء والضراء. قوله: **﴿وَلَٰكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾** أي لم يقع منهم تضرع ولا خضوع، بل ظهر منهم خلاف ذلك بسبب قسوة قلوبهم. قوله: **(فلم تلن للإيمان)** أشار إلى أن القسوة نشأ عنها الكفر، كما أن التضرع ينشأ عنه الإيمان.

قوله: **﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** أي الذين كانوا يعملونه أو عملهم. قوله: **(فأصروا عليها)** أي على المعاصي، ولم يتعظوا بما نزل بهم من الباساء والضراء. قوله: **(بالتخفيف والتشديد)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا﴾** غاية للفتح، والمعنى أن من خالف أمر الله وطغى يستدرجه الله بالنعم ويمده بالعطايا الدنيوية، فإذا فرح بذلك كان عاقبة أمره أخذه أخذ عزيز

فجأة ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ ﴿٤٤﴾ آيسون من كل خير ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أي آخرهم بأن استؤصلوا ﴿ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٤٥﴾ على نصر الرسل وإهلاك الكافرين ﴿ قُلْ ﴾ لأهل مكة ﴿ أَرَأَيْتُمْ ﴾ أخبروني ﴿ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ ﴾ أصمكم ﴿ وَأَبْصَارَكُمْ ﴾ أعماكم ﴿ وَخَتَمَ ﴾ طبع ﴿ عَلَىٰ قُلُوبِكُم ﴾ فلا تعرفون شيئاً ﴿ مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ﴾ بما أخذه منكم بزعمكم ﴿ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ﴾ نبين ﴿ الْآيَاتِ ﴾ الدلالات على وحدانيتنا ﴿ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ ﴿٤٦﴾ يعرضون عنها فلا يؤمنون ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً ﴾ ليلاً أو نهاراً ﴿ هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ﴿٤٧﴾ الكافرون أي ما يهلك إلا هم ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ ﴾ من آمن

مقتدر. قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ إذا فجائية أي فاجأهم الإبلاس بمعنى اليأس من كل خير. قوله: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ الدابر التابع من خلف، يقال دبر الولد، والده، ودبر فلان القوم، تبعهم، فمعنى دابرهم آخرهم، وهو كناية عن الاستئصال، فلذلك قال بأن استؤصلوا، أي فلم يبق منهم أحد. قوله: ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هذا حمد من الله لنفسه على هلاك الكفار ونصر الرسل، وفيه تعليم للمؤمنين أنهم يشكرون الله على ذلك، إذ هو نعمة عظيمة.

قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ هذا تنزل من الله سبحانه وتعالى لكفار مكة لإقامة الحجة عليهم قبل أخذهم. قوله: (أخبروني) تقدم أن استعمال رأى في الإخبار مجاز، وأصل استعمالها في العلم أو في الإبصار، وتقدم أنها تطلب مفعولين: الأول محذوف لدلالة مفعولي أخذ وهو سمعكم وأبصاركم عليه، فهو من باب التنازع أعمل الثاني وأضمر في الأول وحذف لأنه فضلة، والمفعول الثاني هو قوله ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ الخ. قوله: ﴿سَمْعَكُمْ﴾ أفرده وجمع ما بعده، لأن السمع مصدر لا يثنى ولا يجمع كما تقدم في البقرة. قوله: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ المراد بالقلوب العقول أي أذهب عقولكم وصيركم كالبهائم فلا تعقلون شيئاً. قوله: (بما أخذه) أشار بذلك إلى أنه أفرد باعتبار ما ذكر، والمعنى من إله غير الله بزعمكم يأتيكم بأي واحد مما أخذ منكم. قوله: (بزعمكم) متعلق بقوله من إله غير الله فالمناسب تقديمه.

قوله: ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ هذا تعجيب لرسول الله من عدم اعتبارهم بتلك الآيات الباهرة وكيف منصوب على التشبيه بالحال، والمعنى أنظر يا محمد تصريفنا الآيات على أي كيفية. قوله: ﴿أَرَأَيْتَكُمْ﴾ أي أخبروني، والمفعول الأول الكاف على حذف مضاف أي أنفسكم، والمفعول الثاني جملة الاستفهام. قوله: ﴿عَذَابُ اللَّهِ﴾ أي كالصيحة والصواعق. قوله: (ليلاً أو نهاراً) لف ونشر مرتب، وهذا التفسير لابن عباس، وقيل البغتة الذي يأتي من غير سبق علامة، والجهر الذي يأتي مع سبق علامة كان كل بالليل أو النهار. قوله: (الكافرون) أشار بذلك إلى أن المراد هلاك سخط وغضب، فاندفع ما يقال إن المصيبة إذا أتت فلا تخص الكافر بل تعم الطائع، فالجواب أن هلاك الكفار سخط وغضب، وهلاك المؤمن إثابة ورفع درجات، والاستثناء مفرغ، والاستفهام إنكاري بمعنى النفي كما أشار له المفسر.

قوله: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ﴾ هذا بيان لوظائف المرسلين، والمعنى أن المرسلين منصبهم البشارة لمن آمن، والنذارة لمن كفر، وليسوا قادرين على إيجاد نفع أو ضر، وإنما جعلهم الله سبباً لذلك. قوله:

بالجنة ﴿ وَمُنذِرِينَ ﴾ من كفر بالنار ﴿ فَمَنْ ءَامَنَ ﴾ بهم ﴿ وَأَصْلَحَ ﴾ عمله ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٤٨) في الآخرة ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (٤٩) يخرجون عن الطاعة ﴿ قُل ﴾ لهم ﴿ لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ اللَّهِ ﴾ التي منها يرزق ﴿ وَلَآ ﴾ أني ﴿ أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾ ما غاب عني ولم يوح إلي ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ﴾ من الملائكة ﴿ إِنْ ﴾ ما ﴿ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الْأَعْمَىٰ ﴾ الكافر ﴿ وَالْبَصِيرُ ﴾ المؤمن لا ﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٥٠) في ذلك فتؤمنون ﴿ وَأَنذِرْ ﴾ خوف ﴿ بِهِ ﴾ أي القرآن ﴿ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ ﴾ أي غيره ﴿ وَلِىٌّ ﴾ ينصرهم ﴿ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ يشفع لهم وجملة النفي حال من ضمير يحشروا وهي محل الخوف والمراد بهم المؤمنون العاصون ﴿ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (٥١) الله بإقلاعهم عما هم فيه وعمل الطاعات ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِىِّ يُرِيدُونَ ﴾ بعبادتهم ﴿ وَجْهَهُۥ ﴾

(في الآخرة) احتراز لبيان أن عدم الخوف والحزن هو في الآخرة فقط، وأما الدنيا فهي محل الخوف والحزن لأنها سجن المؤمن. قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ مقابل قوله فمن آمن كأنه قال فالذين آمنوا وأصلحوا الخ، وهذا يؤيد أن من موصولة. قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ الباء سببية وما مصدرية، أي بسبب فسقهم، والفسق الخروج عن الطاعة كلاً أو بعضاً، فالكافر فاسق لخروجه عن طاعة الله بالكلية.

قوله: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ هذا مرتب على قوله ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ كأنه قال ليس على الرسول إلا البشارة والنذارة، وليس من وظيفته إجابتهم عما سألوه عنه ولا فعل ما طلبوه منه لأنه ليس عنده خزائن الله الخ. قوله: ﴿خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ أي لا أدعي أن مقدرات الله من أرزاق وغيرها مفوضة إلي حتى تطلبوا مني قلب الجبال ذهباً وغير ذلك. قوله: ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ أي ما غاب عني من أفعال الله حتى تسألوني عن وقت الساعة أو وقت نزول العذاب.

قوله: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ أي حتى تكلفوني بصفات الملائكة، كالصعود للسماء، وعدم المشي في الأسواق، وعدم الأكل والشرب. وهذه الآية نزلت حين قالوا له: إن كنت رسولاً فاطلب منه أن يوسع علينا ويغني فقرنا، فأخبر أن ذلك بيد الله لا بيده بقوله: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾، وقالوا له أيضاً: أخبرنا بمصالحنا ومضارنا في المستقبل حتى نتهيأ لذلك، فنحصل المصالح وندفع المضار، فقال لهم: ولا أعلم الغيب فأخبركم بما تريدون، وقالوا له: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ويتزوج النساء، فقال لهم: ولا أقول لكم إني ملك. قوله: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ الهمزة داخلة على المحذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير ألا تسمعون الحق فلا تتفكرون. قوله: (فتؤمنون) معطوف على تتفكرون وليس جواباً للنفي وإلا لنصب.

قوله: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ محط الأمر قوله لعلهم يتقون، والمعنى أن إنذارك لا ينفع إلا المؤمن العاصي الخائف، وأما الكافر المعاند فلا ينفع فيه إلا الإنذار، فلا ينافي أنه مأمور بإنذار كل مخالف أفاد الإنذار أو لا، وإنما ذلك بيان للذين ينفع فيهم الإنذار. قوله: (والمراد بهم) أي بالذين يخافون.

قوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ أي لا تبعدهم عن مجلسك ولا عن القرب منك. قوله:

تعالى لأشياء من أعراض الدنيا وهم الفقراء وكان المشركون طعنوا فيهم وطلبوا أن يطردهم ليجالسوه وأراد النبي ﷺ ذلك طمعاً في إسلامهم ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ﴾ إن كان باطنهم غير مرضي ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ﴾ جواب النفي ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ إن فعلت ذلك ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا﴾ ابتلينا ﴿بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أي الشريف

﴿يَدْعُونَ﴾ أي يعبدون. قوله: ﴿بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ خص هذين الوقتين لأن في الأول صلاة الصبح وفي الثاني صلاة العصر، وقد قيل إن كلاً هي الصلاة الوسطى. قوله: (**لأشياء**) مفعول لمحذوف تقديره لا يريدون شيئاً. قوله: (**من أعراض الدنيا**) يصح ضبطه بالعين المهملة وبالغين المعجمة، والثاني أولى لشموله للأموال وغيرها. قوله: (**وهم الفقراء**) أي كعمار بن ياسر وبلال وصهيب. قوله: (**وكان المشركون طعنوا فيهم**) هذا إشارة لسبب نزولها. وحاصلة كما قال الخازن: إنه جاء الأقرع بن حابس التيمي، وعتبة بن حصن الفزاري، وعباس بن مرداس، وهم من المؤلفة قلوبهم، فوجدوا النبي ﷺ جالساً مع ناس من ضعفاء المؤمنين، كعمار بن ياسر وصهيب وبلال، فلما رأوهم حوله حقروهم وقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المسجد وأبعدت عنا هؤلاء ورائحة جبابهم، وكانت عليهم جبب من صوف ولها رائحة كريهة لمداومة لبسها لعدم غيرها، لجالسناك وأخذنا عنك، فقال النبي ما أنا بطارد المؤمنين، قالوا فإنا نحب أن تجعل لنا مجلساً تعرف به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا مع هؤلاء الأعبد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت، قال نعم، قالوا فاكتب لنا عليك بذلك كتاباً، فأتى بالصحيفة ودعا علياً ليكتب، فنزل جبريل بقوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ﴾ الآية، فألقى رسول الله ﷺ الصحيفة ثم دعانا وهو يقول: سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة، فكنا نقعد معه، وإذا أراد أن يقوم قام وتركنا، فأنزل الله ﴿واصبر نفسك﴾ الآية، فكان يقعد معنا بعد ذلك وندنو منه، حتى كادت ركبنا تمس ركبته، فإذا بلغ الساعة التي يريد أن يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم اهـ.

قوله: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ هذ كالتعليل لما قبله، والمعنى لا تؤاخذ بذنوبهم ولا بما في قلوبهم إن أرادوا بصحبتك غير وجه الله، وهذا على فرض تسليم ما قاله المشركون، وإلا فقد شهد الله أولاً لهم بالإخلاص، وما نافية مهملة، وعليك جار ومجرور خبر مقدم، وشيء مبتدأ مؤخر، ومن صلة، ومن حسابهم متعلق بمحذوف حال، وهذا نظير قوله في الآية الأخرى ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾. قوله: ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ يقال في إعرابها ما قيل فيما قبلها، إلا أن قوله من حسابك بيان لقوله من شيء وليس حالاً، وفي هاتين الجملتين من أنواع البديع رد الصدر على العجز، كقولهم: عادات السادات سادات العادات والتتميم، وإلا فأصل التعليل قد حصل بالجملة الأولى. قوله: (**جواب النفي**) أي المرتب على النهي، وقوله: ﴿فَتَكُونَ﴾ معطوفاً على قوله: ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾. قوله: (**إن فعلت ذلك**) أي طردهم.

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ الكاف في محل نصب نعت لمصدر محذوف، والتقدير ومثل ذلك الفتون المتقدم

بالوضيع والغني بالفقير بأن قدمناه بالسبق إلى الإيمان ﴿لِّيَقُولُوٓاْ﴾ أي الشرفاء والأغنياء منكرين ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ الفقراء ﴿مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ﴾ بالهداية أي لو كان ما هم عليه هدى ما سبقونا إليه قال تعالى ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ۝٥٣﴾ له فيهديهم بلى ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ﴾ لهم ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ﴾ قضى ﴿رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ أَنَّهُۥ﴾ أي الشأن وفي قراءة بالفتح بدل من الرحمة ﴿مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ﴾ منه حيث ارتكبه ﴿ثُمَّ تَابَ﴾ رجع ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ بعد عمله عنه ﴿وَأَصۡلَحَ﴾ عمله ﴿فَأَنَّهُۥ﴾ أي والله ﴿غَفُورٞ﴾ له ﴿رَّحِيمٞ ۝٥٤﴾ به وفي قراءة بالفتح أي فالمغفرة له ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما بينا ما ذكر ﴿نُفَصِّلُ﴾ نبين ﴿ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ القرآن ليظهر الحق فيعمل به ﴿وَلِتَسۡتَبِينَ﴾ تظهر ﴿سَبِيلُ﴾ طريق ﴿ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٥٥﴾ فتجتنب وفي قراءة بالتحتانية وفي أخرى

من أخبار الأمم الماضية فتنا بعض هذه الأمة ببعض. قوله: (**والغني بالفقير**) أي ففتنة الغني بالفقير لسبق الفقير إلى الإيمان، وفتنة الفقير بالغني زينة الدنيا يتمتع فيها مع كفره. قوله: (**بأن قدمناه بالسبق إلى الإيمان**) بيان لفتنة الأغنياء بالفقراء. قوله: ﴿**لِيَقُولُوا**﴾ اللام يصح أن تكون لام كي أو لام الصيرورة والعاقبة. قوله: (**منكرين**) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي على سبيل التهكم. قوله: (**قال تعالى**) أي رداً عليهم. قوله: (**بلى**) جواب الاستفهام التقريري.

قوله: ﴿**وَإِذَا جَاءَكَ**﴾ هذا من تتمة ما نزل في الفقراء. قوله: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ**﴾ وصفهم أولاً بالعبادة وثانياً بالإيمان إظهاراً لمزاياهم. قوله: ﴿**فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ**﴾ الخ، أي اذكر لهم هذه الآية إلى قوله: ﴿**غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ في وقت مجيئهم إليك، وهذا السلام يحتمل أنه سلام التحية أمر أن يبدأهم به إذا قدموا عليه خصوصية لهم، وإلا فسنة السلام أن تكون أولاً من القادم، وعليه فتكون الجملة إنشائية، ويحتمل أنه سلام الله عليهم إكراماً لهم أمر بتبليغه لهم، وعليه فتكون الجملة خبرية لفظاً ومعنى، وسلام مبتدأ، وعليكم خبره، وسوغ الابتداء بالنكرة كونه دعاء، والدعاء من المسوغات.

قوله: ﴿**كَتَبَ رَبُّكُمْ**﴾ أي ألزم نفسه تفضلاً منه وإحساناً. قوله: (**وفي قراءة بالفتح**) أي وهي سبعية أيضاً، والحاصل أن القراءات ثلاث، فتحهما وكسرهما، وفتح الأولى وكسر الثانية، وكلها سبعية فأما الفتح فيهما فالأولى بدل من الرحمة، والثانية في محل رفع مبتدأ، والخبر محذوف، أي فغفرانه ورحمته حاصلان له، وأما الكسر فيهما فالأولى مستأنفة جيء بها كالتفسير لما قبلها، والثانية مستأنفة أيضاً بمعنى أنها في صدر جملة وقعت خبراً لمن الموصولة، وأما على فتح الأولى وكسر الثانية، فالأولى بدل، والثانية استئناف، فتأمل فإنه زبدة احتمالات كثيرة. قوله: (**بدل من الرحمة**) أي بدل شيء من شيء. قوله: ﴿**بِجَهَالَةٍ**﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من فاعل ﴿**عَمِلَ**﴾، والتقدير عمل سوءاً حال كونه جاهلاً بما يترتب على معاصيه من العقاب غافلاً عن جلال الله، وفيه إشارة إلى أن المؤمن لا يقع منه الذنب إلا في حال جهله وغفلته، وهذه الآية لا تخص الفقراء الذين كانوا في زمنه ﷺ، بل هي عامة لكل من تاب إلى يوم القيامة، ولعموم بشارتها افتتح بها أبو الحسن الشاذلي حزبه.

قوله: ﴿**وَلِتَسْتَبِينَ**﴾ معطوف على محذوف قدره المفسر بقوله ليظهر الحق، فطريق الهدى واضحة،

بالفوقانية ونصب سبيل خطاب للنبي ﷺ ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ ﴾ تعبدون ﴿ مِن دُونِ اللَّهِ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ ﴾ في عبادتها ﴿ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا ﴾ إن اتبعتها ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ ﴾ بيان ﴿ مِّن رَّبِّي وَ ﴾ قد ﴿ كَذَّبْتُم بِهِ ﴾ بربي حيث أشركتم ﴿ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ﴾ من العذاب ﴿ إِنِ ﴾ ما ﴿ الْحُكْمُ ﴾ في ذلك وغيره ﴿ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ﴾ القضاء ﴿ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ ﴿٥٧﴾ الحاكمين وفي قراءة يقص أي يقول ﴿ قُل ﴾ لهم ﴿ لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ بأن أعجله لكم وأستريح ولكنه عند الله ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٥٨﴾ متى يعاقبهم ﴿ وَعِندَهُ ﴾ تعالى ﴿ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ﴾ خزائنه أو الطرق الموصلة إلى

وطريق الضلال واضحة، لما في الحديث «تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ونهارها كليلها لا يضل عنها إلا هالك». قوله: **(وفي قراءة بالتحتانية)** أي ورفع سبيل، فالقراءات ثلاث وكلها سبعية، ففي الفوقانية الرفع والنصب، وفي التحتانية الرفع لا غير. قوله: **(خطاب للنبي)** أي والمعنى لتعلم سبيلهم فتعاملهم بما يليق بهم.

قوله: **﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ﴾** هذا أمر من الله لنبيه أن يخاطب الكفار الذين طمعوا في دخول رسول الله ﷺ في دينهم ويرد عليهم بذلك. قوله: **﴿نُهِيتُ﴾** أي نهاني ربي بواسطة الدليل العقلي والسمعي، لدلالة كل منهما على أن الله واحد لا شريك له، متصف بكل كمال مستحيل عليه كل نقص. قوله: **(تعبدون)** هذا أحد إطلاقات الدعاء، وبه فسر في غالب القرآن لأنه يشمل الطلب وغيره. قوله: **﴿قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾** جمع هوى سمي بذلك لأنه يهوى بصاحبه إلى المهالك، وهذه الجملة تأكيد لما قبلها. قوله: **﴿إِذاً﴾** حرف جواب وجزاء، ولا عمل لها لعدم وجود فعل تعمل فيه. قوله: **(إن اتبعتها)** أي الأهواء وهو بيان لمعنى إذاً. قوله: **﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾** تأكيد لما قبلها. قوله **﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ﴾** هذا زيادة في قطع طمعهم الفاسد، والمعنى لا تطمعوا في دخولي دينكم لأني على بينة من ربي، ومن كان كذلك كيف يخدع ويتبع الضلال، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه﴾ قوله: **(بيان)** أي دليل واضح. قوله: **﴿وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾** أي بوحدانيته، والجملة حالية، ويشير لذلك تقدير المفسر قد.

قوله: **﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾** ما الأولى نافية والثانية موصولة، وقوله: **(من العذاب)** بيان لما الثانية. وسبب نزولها أن رسول الله ﷺ كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم، وكانوا يستعجلون به استهزاء كما في آية الأنفال ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك﴾ الآية. قوله: **﴿يَقُصُّ الْحَقَّ﴾** قدر المفسر القضاء إشارة إلى أنه منصوب على أنه صفة لمصدر محذوف، ويحتمل أنه ضمنه معنى ينفذ فعداه إلى المفعول به، ويحتمل أنه منصوب بنزع الخافض أي بالحق. قوله: **(وفي قراءة يقص)** من قص الأثر تتبعه، وقص الحديث قاله.

قوله: **﴿لَوْ أَنَّ عِنْدِي﴾** أي لو كان الأمر مفوضاً إليَّ. قوله: **﴿مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾** أي من العذاب. قوله: **(بأن أعجله)** بيان قوله: **﴿لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾** والضمير عائد على ما تستعجلون. قوله: **(متى يعاقبهم)**

علمه ﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ وهي الخمسة التي في قوله: (إن الله عنده علم الساعة) الآية كما رواه البخاري ﴿وَيَعْلَمُ مَا﴾ يحدث ﴿فِى ٱلْبَرِّ﴾ القفار ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ القرى التي على الأنهار ﴿وَمَا تَسْقُطُ

أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضافين، والتقدير والله أعلم بوقت عقوبة الظالمين، فلا يستعجلوا ذلك، فإنه لا حق بهم إن لم يتوبوا، وإنما تأخيره من حلم الله عليهم، فلولا حلمه ما بقي أحد، قال تعالى: ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن﴾ فمن القبيح بعض العامة حلم الله يفتت الأكباد. إن قلت مقتضى هذه الآية أنه لو كان الأمر مفوضاً له في تعذيبهم لعجله واستراح، ومقتضى ما ورد من إتيان ملك الجبال يستشيره في أنه يطبق عليهم الأخشبين أنه لم يرض وقال أرجو أن يخرج من ذريتهم من يؤمن بالله فحصل التنافي. أجيب: بأن ما في الآية بالنظر لأصل البشرية، لأن البشر يتأثر بالضر والنفع، وما في الحديث إنما هو رحمة من الله ألقاها عليه فرحمهم الله بها، قال تعالى: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾ فرجع الأمر لله فتدبر.

قوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ لما بين سبحانه وتعالى أولاً أنه منفرد بايجاد كل شيء خيراً كان أو شراً لقوله: ﴿إن الحكم إلا لله﴾ الآية، بين ثانياً أنه منفرد بعلم الغيب بقوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ فهو كالدليل لما قبله كأنه قال العذاب والرحمة بقدرة الله، ولا يعلم وقت مجيء ذلك إلا الله لأن عنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو، وعنده خبر مقدم، ومفاتح الغيب مبتدأ مؤخر، وتقديم الظرف يؤذن بالحصر وهو منصب على الجميع، فلا ينافي أن بعض الأنبياء والأولياء يطلعه الله على بعض المنيبات الحادثة، قال تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبة أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾ وأما من قال إن نبينا أو غيره أحاط بالمغيبات علماً كما أحاط علم الله بها فقد كفر. قوله: **(خزائنه)** أشار بذلك إلى أن مفاتح جمع مفتح بفتح فكسر كمخزن وزنا ومعنى العلوم المخزونة، وقوله: **(أو الطرق)** أي فهو جمع مفتح بكسر ففتح بمعنى الطرق التي توصل إلى تلك العلوم المخزونة الغيبية ﴿لَا يَعْلَمُهَا﴾ أي الخزائن أو الطرق تفصيلاً إلا هو، وأما علمنا فيها فهو على سبيل الإجمال، وهو تأكيد لما علم من تقديم الظرف. قوله: (علم الساعة) أي وقت مجيئها وتفصيل ما يحصل فيها. قوله: **(الآية)** أي وهي: ﴿ينزل الغيث﴾ أي المطر، أي لا يعلم وقت مجيئه وعدد قطراته ونفع الناس به إلا الله، ﴿ويعلم ما في الأرحام﴾، أي من كونه ذكراً أو أنثى شقياً أو سعيداً يعيش أو يموت. ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً﴾ أي لا تعلم نفس ما يعرض لها في المستقبل من خير أو شر، وغير ذلك من الأحوال التي تطرأ على الأنفس، قال الشاعر:

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ... ولكنني عن علم ما في غد عمي

﴿وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾ أي بأي محل يكون قبض روحها فيه أو دفنها فيه، إن الله عليم خبير ببواطن الأشياء كظواهرها، وهذا التفسير لابن عباس، وقال الضحاك ومقاتل: مفاتح الغيب خزائنه الخفية في الأرض، والأقرب والأتم أن المراد بمفاتح الغيب الأمور المغيبة الخفية جميعها كانت الخمسة أو غيرها. قوله: ﴿مَا﴾ **(يحدث)** ﴿فِي ٱلْبَرِّ﴾ أي من خير أو شر. قوله: **(القرى التي على الأنهار)** أي فيعلم رزق أهلها وعددهم وغير ذلك، وقال جمهور المفسرين: المراد البر والبحر المعروفان، لأن جميع الأرض إما بر أو بحر، وفي كل عوالم وعجائب وسعها علمه وقدرته.

مِن ﴾ زائدة ﴿وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾ عطف على ورقة ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (٥٩) هو اللوح المحفوظ والاستثناء بدل اشتمال من الاستثناء قبله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ يقبض أرواحكم عند النوم ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم﴾ كسبتم ﴿بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ أي النهار برد أرواحكم ﴿لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ هو أجل الحياة ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ بالبعث ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٦٠) فيجازيكم به ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ﴾ مستعلياً ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾

قوله: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ﴾ أي من الشجر إلا يعلمها، أي وقت سقوطها والأرض التي تسقط عليها. قوله: ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ ٱلْأَرْضِ﴾ أي هي والتي يضعها والزارع للنبات فيعلم موضعها وهل تنبت أو لا، وقيل المراد بالحبة التي في الصخرة التي في الأرض التي قال فيها الله يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله وكل صحيح. قوله: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾ عطف عام، لأن جميع الأشياء إما رطبة أو يابسة. فإن قلت: إن جميع هذه الأشياء داخل تحت قوله وعنده مفاتح الغيب، فلم أفردها بالذكر؟ أجيب: بأنه من التفصيل بعد الإجمال، وقدم ذكر البر والبحر لما فيهما من جنس العجائب ثم الورقة لأنه يراها كل أحد، لكن لا يعلم عددها إلا الله، ثم ما هو أضعف من الورقة وهو الحبة، ثم ذكر مثالاً يجمع الكل وهو الرطب واليابس. قوله: **(عطف على ورقة)** أي الثلاثة معطوفة على ورقة، لكن لا يناسب تسليط السقوط عليها فيضمن السقوط بالنسبة للحبة والرطب واليابس معنى الثبوت. قوله: **(بدل اشتمال من الاستثناء قبله)** أي وهو قوله إلا يعلمها، وذلك لأن دائرة العلم أوسع من دائرة اللوح، فذات الله وصفاته أحاط بها العلم لا اللوح، والكائنات وما يتعلق بها أحاط بها اللوح والعلم، وهذا على أن المراد بالكتاب اللوح كما أفاده المفسر، وإن أريد بالكتاب علم الله يكون بدل كل من كل لزيادة التأكيد والإيضاح. قوله: **(يقبض أرواحكم)** ما ذكره المفسر بناء على أن الإنسان له روحان، روح تقبض بالنوم وتبقى روح الحياة فإذا أراد الله موته قبضهما جميعاً وعليه جملة من المفسرين ويشهد له آية الزمر، قال تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ الآية، ويقرب هذا أحوال الأولياء لأن لهم حالة تسرح فيها أرواحهم وترى العجائب كالنائم، والمشهور أنها روح واحدة، ويكون معنى يتوفاكم يذهب شعوركم لأنهم عرفوا النوم بأنه فترة طبيعية تهجم على الشخص قهراً عليه، تمنع حواسه الحركة وعقله الادراك. قوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾ أي لأنه الخالق للأفعال والحركات والسكنات، فهو المغير للأشياء ولا يتغير، قال العارف:

ولي في خيال الظل أكبر عبرة	لمن كان في بحر الحقيقة راقي
شخوص وأشكال تمر وتنقضي	فتفنى جميعاً والمحرك باقي

قوله: ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ﴾ ثم في كل للترتيب الرتبي، لأن بعد النوم البعث بالإيقاظ إلى انقضاء الأجل ثم بعده البعث بالإحياء من القبور ثم الإخبار بما وقع من العباد. قوله: ﴿لِيُقْضَى أَجَلٌ﴾ الجمهور على بناء يقضى للمجهول، وأجل نائب فاعل والفاعل محذوف إما عائد على الله أو على الشخص، ومعنى قضاء الشخص أجله استيفاؤه إياه، وقرىء بالبناء للفاعل، وأجلاً مفعوله، والفاعل مستتر عائدة على الله. قوله: **(فيجازيكم به)** أي إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ﴾ أي المستعلي الغالب على

﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ ملائكة تحصي أعمالكم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ﴾ وفي قراءة توفاه ﴿رُسُلُنَا﴾ الملائكة الموكلون بقبض الأرواح ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ ﴿٦١﴾ يقصرون فيما يؤمرون به

أمره الحاكم فلا معقب لحكمه، يعطي ويمنع، ويصل ويقطع، ويضر وينفع، فلا راد لما قضى، ولا ملجأ منه إلا إليه، فهو المتصرف في خلقه بجميع أنواع التصرفات، من إيجاد وإعدام، وإعزاز وإذلال، وغير ذلك. قوله: ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ أي فوقية مكانة أي شرف رفعة وعلو قدر تليق به، لا فوقية مكان لاستحالة اتصافه به.

قوله: ﴿وَيُرْسِلُ﴾ معطوف على صلة أل كأنه قال وهو الذي يقهر ويرسل، وهذا من جملة قهره سبحانه وتعالى. قوله: (ملائكة تحصي أعمالكم) أي من خير وشر، لما ورد أن كل إنسان له ملكان، ملك عن يمينه، وملك عن شماله، فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين حالاً، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال أصبر لعله يتوب منها، فإن لم يتب منها كتبها صاحب الشمال، قال العلماء يؤخر ست ساعات فلكية فإن تاب فيها لم تكتب هكذا، قال المفسر: وقيل المراد بالحفظة الملائكة الموكلون بحفظ ذوات العبيد من الحوادث والآفات، وهم عشرة بالليل وعشرة بالنهار، وقيل المراد ما هو أعم وهو الأتم. إن قلت: إن الله هو الحافظ فلم وكلت الملائكة بحفظ الشخص أجيب: بأن ذلك تكرمة لبني آدم وإظهاراً لفضلهم، والحكمة في كون الملائكة تكتب على الشخص ما صدر منه أنه إذا علم ذلك، ربما كان داعياً للخوف والانزجار عن فعل القبائح والمعاصي.

قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ﴾ حتى ابتدائية، والمعنى ينتهي حفظ الملائكة للأشخاص عند فراغ الأجل، فالملائكة مأمورون بحفظ ابن آدم حياً، فإذا فرغ أجله فقد انتهى حفظهم له. قوله: ﴿ٱلْمَوْتُ﴾ أي أسبابه. قوله: (وفي قراءة توفاه) أي بالامالة المحضة، وهي ما كانت للكسر أقرب، وهو إما ماض وحذفت التاء لأنه مجازي التأنيث، أو مضارع ويكون فيه حذف إحدى التاءين. قوله: ﴿رُسُلُنَا﴾ أي أعوان ملك الموت الموكلون بقبض الأرواح. إن قلت: قال تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ وقال في الآية الأخرى ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم﴾ فكيف الجمع بين هاتين الآيتين وهذه، أجيب: بأن الله هو المتوفي حقيقة، فإذا حضر أجل العبد، اشتغلت أعوان ملك الموت بانتزاعها من الجسد، فإذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت بيده، فهو القابض لجميع الأرواح، إن قلت: ورد في بعض الأحاديث وتول قبض أرواحنا عند الأجل بيدك أجيب: بأن معناه شهود الرب واستيلاء محبته على قلبه حتى يغيب عن إحساسه، فلا يشاهد ملك الموت حين قبض الروح، وإن كان هو القابض لها، وذلك في أهل محبة الله، ومن يموت شهيد حرب أو غريقاً أو حريقاً ونحوهم.

قوله: ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ هذه الجملة حالية من رسلنا، أي والحال أنهم لا يقصرون في ذلك. فقد ورد: ما من أهل بيت شعر ولا مدر، إلا وملك الموت يطوف بهم مرتين. وورد: أن الدنيا كلها بين ركبتي ملك الموت، وجميع الخلائق بين عينيه، ويداه يبلغان المشرق والمغرب، وكل من نفد أجله يعرفه بسقوط صحيفته من تحت العرش عليها اسمه، فعند ذلك يبعث أعوانه من الملائكة ويتصرفون بحسب ذلك. وورد: أن ملك الموت يقبض الروح من الجسد ويسلمها إلى ملائكة الرحمة إن كان مؤمناً، أو إلى ملائكة العذاب إن كان كافراً ويقال معه سبعة من ملائكة الرحمة، وسبعة من ملائكة العذاب، فإذا قبض

﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ ﴾ أي الخلق ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ﴾ مالكهم ﴿ ٱلْحَقِّ ﴾ الثابت العدل ليجازيهم ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ ﴾ القضاء النافذ فيهم ﴿ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾ ﴿٦٢﴾ يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ أهوالهما في أسفاركم حين ﴿ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا ﴾ علانية ﴿ وَخُفْيَةً ﴾ سراً تقولون ﴿ لَّئِنْ ﴾ لام قسم ﴿ أَنجَىٰنَا ﴾ وفي قراءة أنجانا أي الله ﴿ مِنْ هَٰذِهِۦ ﴾ الظلمات والشدائد ﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ ﴿٦٣﴾ المؤمنين ﴿ قُلِ ﴾ لهم ﴿ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ﴾ غم سواها ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ ﴿٦٤﴾ به ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ من السماء كالحجارة والصيحة ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ كالخسف ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ ﴾ يخلطكم ﴿ شِيَعًا ﴾ فرقاً مختلفة الأهواء ﴿ وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ بالقتال، قال ﷺ لما نزلت هذا أهون وأيسر ولما نزل

نفساً مؤمنة، دفعها إلى ملائكة الرحمة فيبشرونها بالثواب ويصعدن بها إلى السماء، وإذا قبض نفساً كافرة، دفعها إلى ملائكة العذاب فيبشرونها بالعذاب ويفزعونها، ثم يصعدون بها إلى السماء، ثم ترد إلى سجين، وروح المؤمن إلى عليين.

قوله: ﴿ثُمَّ رُدُّوا﴾ معطوف على توفته، وأفرد أولاً لأن التوفي يكون لكل شخص على حدة، وجمع ثانياً لأن الرد يكون للجميع. قوله: **(مالكهم)** دفع بذلك ما يقال إن بين هذه الآية وآية ﴿وأن الكافرين لا مولى لهم﴾ تنافياً فأجاب بأن المراد بالمولى هنا المالك وبه هناك الناصر. قوله: ﴿أَلَا لَهُ الحُكْمُ﴾ أي لا لغيره. قوله **(لحديث بذلك)** وفي رواية أنه تعالى يحاسب الكل في مقدار حلب شاة. قوله: ﴿قُلْ﴾ **(يا محمد)** أي توبيخاً لهم وردعاً. قوله: **(أهوالهما)** أي فالظلمات كناية عن الأهوال والشدائد التي تحصل في البر والبحر، وما مشى عليه المفسر أتم لشمولها للحقيقة وغيرها، وقيل المراد بالظلمات حقيقتها، فظلمات البر هي ما اجتمع من ظلمة الليل وظلمة السحاب، وظلمة البحر ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة الرياح العاصفة والأمواج الهائلة. قوله: ﴿وَخُفْيَةً﴾ الجمهور على ضم الخاء، وقرأ أبو بكر بكسرها، وقرأ الأعمش خيفة كالأعراف.

قوله: ﴿لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هٰذِهِ﴾ الجملة في محل نصب مقول القول كما قدره المفسر. قوله: **(والشدائد)** عطف تفسير. قوله: **(بالتخفيف والتشديد)** أي وكل منهما مع قراءة أنجيتنا بالتاء، وأما من قرأ أنجانا فيقرأ بالتشديد هنا لا غير، فالقراءات ثلاث وكلها سبعية.

قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱلقَادِرُ﴾ هذا بيان لكونه قادراً على الإهلاك إثر بيان أنه المنجي من المهالك. قوله: **(كالحجارة)** أي التي نزلت على أصحاب الفيل، وقوله **(والصيحة)** أي صرخة جبريل التي صرخها على ثمود قوم صالح. قوله: **(كالخسف)** أي الذي وقع لقارون. قوله: ﴿شِيَعاً﴾ منصوب على الحال جمع شيعة وهي من يتقوى بهم الإنسان ويجمع على أشياع. قوله: **(فرقاً)** جمع فرقة وهي الجماعة. قوله: **(لما نزلت)** أي آية ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾. قوله: **(أهون وأيسر)** أي مما قبله وهو

ما قبله أعوذ بوجهك رواه البخاري. وروى مسلم حديث سألت ربي أن لا يجعل بأس أمتي بينهم فمنعنيها. وفي حديث لما نزلت قال أما انها كائنة ولم يأت تأويلها بعد ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ﴾ نبين لهم ﴿ ٱلۡأٓيَٰتِ ﴾ الدلالات على قدرتنا ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ﴾ ﴿٦٥﴾ يعلمون أن ما هم عليه باطل ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ ﴾ بالقرآن ﴿ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ ﴾ الصدق ﴿ قُل ﴾ لهم ﴿ لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴾ ﴿٦٦﴾ فأجازيكم إنما أنا منذر وأمركم إلى الله وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٖ ﴾ خبر ﴿ مُّسۡتَقَرّٞ ﴾ وقت يقع فيه ويستقر ومنه عذابكم ﴿ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ ﴿٦٧﴾ تهديد لهم ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ

رضا بقضاء الله، وإلا فقد استعاذ منه أولاً فلم يفد. قوله: (ولما نزل ما قبله) أي قوله: ﴿عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ﴾ الخ. قوله: (أعوذ بوجهك) أي فقال مرتين: مرة عند نزول قوله: ﴿عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾، ومرة عند نزول قوله: ﴿أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾. قوله: (فمنعنيها) أي منعني هذه المسألة، بمعنى أنه لم يجبني في هذه الدعوة لما سبق في علمه من حصولها، فكان أول ابتداء إذاقة البعض بأس البعض بعد موته ﷺ بخمس وعشرين سنة في وقعة علي ومعاوية، وما زالت الفتن تتزايد إلى يوم القيامة. قوله: (لما نزلت) أي هذه الآية. قوله: (قال أما إنها) أما أداة استفتاح، وإنها بكسر الهمزة، والضمير عائد على الأمور الأربعة: عذاباً من فوقكم، وعذاباً من تحت أرجلكم، وتفريقكم شيعاً، ونصب القتال بينكم، فهذه الأربعة كائنة قبل يوم القيامة، لكن الأخيران قد وقعا من منذ عصر الصحابة، والأولان تفضل الله بتأخير وقوعهما إلى قرب قيام الساعة، هكذا ورد، ولكن قال العلماء وإن كان الأخيران يقعان قرب قيام الساعة، لكن العذاب بهما ليس عاماً كما وقع في الأمم الماضية. قوله: (ولم يأت تأويلها) الضمير يعود على الآية أو الأمور الأربعة، أي صرفها عن ظاهرها، بل هي باقية على ظاهرها، لكن بالوجه الذي علمته.

قوله: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ﴾ أي أنكره حيث قالوا: إنهُ سحر أو شر أو كهانة أو غير ذلك، وما ذكره المفسر من أن الضمير عائد على القرآن هو أحد أقوال وهو أقربها، وقيل الضمير عائد على العذاب، وقيل على الحق، وقيل على النبي وهو بعيد. قوله: (الصدق) أي لأنه منزل من عند الله وما كان من عند الله فهو صدق لا محالة. قوله: (وهذا قبل الأمر بالقتال) أشار بذلك إلى أنه منسوخ بآيات القتال، ولكن المناسب للمفسر أن يقول فأقاتلكم بدل قوله فأجازيكم. والحاصل أن في الآية تفسيرين الأول أن الآية محكمة، والمعنى لست مجازياً على أعمالكم في الآخرة، والثانية أنها منسوخة، والمعنى لست مقاتلاً لكم إن حصلت منكم المخالفة، إذا علمت ذلك فالمفسر لفق بين التفسيرين.

قوله: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞ﴾ نزلت رداً لاستعجالهم العذاب الذي كان يعدهم به، والمعنى لكل خبر من الأخبار رحمة وعذاباً، زمن يقع فيه إما الدنيا أو الآخرة أو فيهما لا يعلمه إلا الله: قوله: (وقت يقع فيه) أشار بذلك إلى أن مستقر اسم زمان، ويصح أن يكون مصدراً أو اسم مكان. قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ﴾ رأى بصرية والذين مفعولها، ويبعد كونها علمية، لأنه يقتضي أن المفعول الثاني محذوف، وحذفه إما شاذ أو ممنوع. قوله: ﴿يَخُوضُونَ﴾ الخوض في الأصل الدخول في الماء فيستعار للشروع والدخول في الكلام، فشبه آيات الله بالبحر، وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو الخوض، فإثباته تخييل، والجامع بينهما التعرض للهلاك في كل، فإن الخائض للبحر الغريق متعرض للهلاك، فكذلك المتعرض

فِيٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ القرآن بالاستهزاء ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ ﴾ ولا تجالسهم ﴿ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا ﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما المزيدة ﴿ يُنسِيَنَّكَ ﴾ بسكون النون والتخفيف وفتحها والتشديد ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ فقعدت معهم ﴿ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴾ أي تذكره ﴿ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ﴿٦٨﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر وقال المسلمون إن قمنا كلما خاضوا لم نستطع أن نجلس في المسجد وأن نطوف فنزل ﴿ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ الله ﴿ مِنۡ حِسَابِهِم ﴾ أي الخائضين ﴿ مِّن ﴾ زائدة ﴿ شَيۡءٖ ﴾ إذا جالسوهم ﴿ وَلَٰكِن ﴾ عليهم ﴿ ذِكۡرَىٰ ﴾ تذكرة لهم وموعظة ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾ ﴿٦٩﴾ الخوض ﴿ وَذَرِ ﴾ اترك ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ ﴾ الذي كلفوه ﴿ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا ﴾ باستهزائهم به ﴿ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ ﴾ فلا تتعرض لهم وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿ وَذَكِّرۡ ﴾ عظ ﴿ بِهِۦٓ ﴾ بالقرآن الناس لـ ﴿ أَن ﴾ لا ﴿ تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ ﴾ تسلم إلى الهلاك ﴿ بِمَا كَسَبَتۡ ﴾ عملت ﴿ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي غيره ﴿ وَلِيّٞ ﴾ ناصر ﴿ وَلَا شَفِيعٞ ﴾ يمنع عنها العذاب ﴿ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ ﴾ تفد كل

للأباطيل في كلام الله.

قوله: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ الخطاب له ولأصحابه، فالنهي عام وهو منسوخ بآية القتال. قوله: ﴿فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ الضمير عائد على الآيات وذكر باعتبار كونها حديثاً. قوله: ﴿وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ﴾ الخطاب له والمراد غيره، لأن إنساء الشيطان له مستحيل عليه. قوله: **(بسكون النون والتخفيف)** أي للسين من أنساه أوقعه في النسيان، وقوله **(وفتحها)** أي النون وقوله **(والتشديد)** أي للسين من نساه فيتعدى بالهمزة والتضعيف، وهما قراءتان سبعيتان، ومفعول ينسينك محذوف تقديره النهي أو ما أمرك الله به. قوله: **(فيه وضع الظاهر الخ)** أي زيادة في التشنيع عليهم، وأتى في جانب الرؤية بإذا المفيدة للتحقيق، وفي جانب الانساء بإن المفيدة إشارة إلى أن خوضهم في الآيات محقق، وإنساء الشيطان غير محقق، بل قد يقع وقد لا يقع. قوله: **(وقال المسلمون)** بيان لسبب نزول الآية.

قوله: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الجار والمجرور خبر مقدم، و ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ مبتدأ مؤخر. قوله: **(إذا جالسوهم)** أي فالجلوس مع الخائضين غير ممنوع لكن بشرط عدم مسايرتهم لما هم عليه وبشرط وعظهم ونهيهم عن المنكر، فهو تخصيص للنهي المتقدم. قوله: ﴿وَلَكِنْ﴾ **(عليهم)** ﴿ذِكْرَى﴾ أشار بذلك إلى أن ذكرى مبتدأ خبره محذوف، ويصح أن يكون مفعولاً لمحذوف تقديره ولكن يذكرونهم ذكرى. قوله **(الذي كلفوه)** أي وهو دين الإسلام، ودفع بذلك ما يقال المشركون لا دين لهم من الأديان المشروعة، فكيف أضيف إليهم دين، وأخبر عنه أنهم اتخذوه لعباً ولهواً. قوله: **(وهذا قبل الأمر بالقتال)** أي فهو منسوخ بآياته، ويدخل في عموم هذه الآية، من اتخذ دين الإسلام لهواً ولعباً، وأحدث فيه ما ليس منه، كالخوارج وبعض من يدعي الانتساب إلى الصالحين، حيث جعلوا الطريقة الموصلة إلى الله طبلاً وزمراً، وأحدثوا أموراً لا تحل في دين الله. قوله: ﴿أَنْ تُبْسَلَ﴾ علة لقوله: ﴿وَذَكِّرْ بِهِ﴾ على حذف لام العلة قدرها المفسر ولا مقدرة، والابسال هو تسليم النفس في الحرب للقتال، والباسل الشجاع الذي يلقي بنفسه للهلاك. قوله: ﴿لَيْسَ لَهَا﴾ إما إستئناف أو حال من نفس أو صفة لها. قوله: ﴿وَلِيٌّ﴾ اسم ليس، و ﴿لَهَا﴾ خبر مقدم و ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ حال من ولي. قوله: **(تفد كل فداء)** أي تفتد بكل فداء

فداء ﴿لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ ما تفدى به ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ ماء بالغ نهاية الحرارة ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ﴾ مؤلم ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ۝٧٠﴾ بكفرهم ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ﴾ أنعبد ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا﴾ بعبادته ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾ بتركها وهو الأصنام ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا﴾ نرجع مشركين ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ إلى الإسلام ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ﴾ أضلته ﴿ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ متحيراً لا يدري أين يذهب حال من الهاء ﴿لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ﴾ رفقة ﴿يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى﴾ أي ليهدوه إلى الطريق يقولون له ﴿ٱئْتِنَاۗ﴾ فلا يجيبهم فيهلك والاستفهام للإنكار وجملة التشبيه حال من ضمير نرد ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ الذي هو الإسلام ﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰۖ﴾ وما عداه ضلال ﴿وَأُمِرْنَا

قوله: (ما تفدى به) أشار بذلك إلى أن الضمير في لا يؤخذ عائد على الفداء بمعنى المفدى به، فهو مصدر أريد به اسم المفعول.

قوله ﴿أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ﴾ اسم الإشارة مبتدأ خبره الاسم الموصول، و﴿لَهُمْ شَرَابٌ﴾ مبتدأ وخبر والجملة إما خبر ثان أو حال من الضمير في أبسلوا، أو مستأنف بيان للإبسال. قوله: (ماء بالغ نهاية الحرارة) أي يقطع الأمعاء كما قال في الآية الأخرى﴿وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم﴾. قوله: (بكفرهم) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية، والفعل في تأويل مصدر مجرور بالباء. قوله: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا﴾ قيل سبب نزولها أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قبل إسلامه دعا والده إلى عبادة الأصنام، فنزلت الآية أمراً للنبي ﷺ أن يرد على عبد الرحمن ومن يقوله بقوله، وفيه اعتناء بشأن الصديق وإظهار لفضله، حيث وجه الأمر إلى رسول الله، وفي الواقع الأمر لأبي بكر، والمعنى لا يليق منا عبادة من لا ينفعنا إذا عبدناه، ولا يضرنا إذا تركناه. قوله: ﴿وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا﴾ معطوف على أندعوا، فهو داخل في حيز الاستفهام. قوله: ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ أي بعد وقت هداية الله لنا.

قوله: ﴿كَالَّذِي﴾ صفة لموصوف محذوف، أي نرد رداً مثل الذي استهوته، والاستهواء من الهوى وهو السقوط من علو إلى سفل، سمى الاضلال بذلك، لأن من سقط من علو إلى سفل ولم يجد محلاً يستند عليه هلك، فكذلك من ترك الدين القويم ولم يتبعه هلك ولا يجد ناصراً وقد صرح بالمراد من هذا التشبيه في قوله تعالى:﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾والحاصل أن المشرك بالله مع وجود من يدله على التوحيد، مثله مثل من اختطفته الشياطين وسارت به في المفاوز والمهالك، مع سماعه مناداة من يأخذ بيده ويخلصه منهم وهو مفرط وراض لنفسه بذلك، والمراد بالشياطين ما يشمل شياطين الإنس. قوله: ﴿فِي الأَرْضِ﴾ متعلق باستهوته. قوله: حال من الهاء) أي في استهوته.

قوله ﴿لَهُ أَصْحَابٌ﴾ جملة في محل نصب صفة لحيران قوله: (والاستفهام الخ) أي وهو قوله أندعوا، والمعنى لا ينبغي غير الله بعد هدايته لنا، لأن من عبد غير الله بعد إيمانه بالله، كان كمثل من أخذته الشياطين فصار حيران لا يدري أين يتوجه، مع كون أصحابه يدعونه إلى الطريق المستقيم فلا يجيبهم. قوله: ﴿هُوَ الْهُدَى﴾ أي التوفيق والاستقامة والجملة المعرفة الطرفين تفيد الحصر، فهو بمعنى إن

﴿لِنُسۡلِمَ﴾ أي بأن نسلم ﴿لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ﴿٧١﴾ ﴿وَأَنۡ﴾ أي بأن ﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ﴾ تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ ﴿٧٢﴾ تجمعون يوم القيامة للحساب ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ﴾ أي محقاً ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوۡمَ يَقُولُ﴾ للشيء ﴿كُن فَيَكُونُۚ﴾ هو يوم القيامة يقول للخلق قوموا فيقوموا ﴿قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ﴾ الصدق الواقع لا محالة ﴿وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ﴾ القرن النفخة الثانية من إسرافيل لا ملك فيه لغيره لمن الملك اليوم لله ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ﴾ ما غاب وما شوهد ﴿وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ﴾ في خلقه ﴿ٱلۡخَبِيرُ﴾ ﴿٧٣﴾ بباطن الأشياء كظاهرها ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذۡ

الدين عند الله الإسلام.

قوله: ﴿وَأُمِرۡنَا﴾ أي أمرنا الله بأن نسلم بمعنى نوحد وننقاد لرب العالمين. قوله: ﴿وَأَنۡ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ قدر المفسر الباء إشارة إلى أنه معطوف على أن نسلم، فهو داخل تحت الأمر أيضاً، وفيه التفات من التكلم للخطاب، وعطف التقوى عليه من عطف العام، وخص الصلاة بعد الإسلام لأنها أعظم أركانه. قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ هذا دليل للأمر المتقدم وموجب لامتثاله، والمعنى امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه، لأنكم تجمعون إليه ويحاسبكم. قوله: (أي محقاً) أشار بذلك إلى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال، أي حال كونه محقاً أي موصوفاً بالحقية وهو وجوب الوجود الذي لا يقبل الزوال، ويحتمل أن يكون المعنى محقاً لا هازلاً ولا عابثاً، بل خلقهما لحكم ومصالح لعباده، ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين﴾.

قوله: ﴿يَوۡمَ يَقُولُ﴾ معمول محذوف قدره المفسر بقوله اذكر والواو للاستئناف. قوله: ﴿يَقُولُ كُنۡ﴾ هذا كناية عن سرعة الإيجاد، وهو تقريب للعقول، وإلا فلا كاف ولا نون، قال تعالى: ﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب﴾. قوله: ﴿فَيَكُونُ﴾ كل من كن ويكون تام يكتفي بالمرفوع، و (هو) ضمير يعود على جميع ما يخلقه الله. قوله: (يقول للخلق) أي جميعهم من مبدأ الدنيا إلى منتهاها، من العالم العلوي والسفلي. قوله: ﴿ٱلۡحَقُّ﴾ يصح أن يكون مبتدأ وخبراً أو مبتدأ، والحق نعته خبره قوله يوم يقول. قوله: (لا محالة) أي لا بد من وقوعه وهو بفتح الميم مصدر ميمي، وأما بضم الميم فمعناه الباطل، وليس مراداً هنا. قوله: ﴿يَوۡمَ يُنۡفَخُ﴾ إما ظرف لقوله: ﴿وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ﴾ وخص بذلك وإن كان الملك لله مطلقاً، لأنه في ذلك الوقت لا يملك أحد شيئاً مما كان يملكه في الدنيا، قال تعالى: ﴿ولقد جئتموها فرادى كما خلقناكم أول مرة﴾ أو خبر عن الملك والتقدير ينفخ في الصورة له أو بدل من يوم يقول.

قوله: ﴿فِي الصُّورِ﴾ هو نائب الفاعل. قوله: (القرن) أي المستطيل، قال مجاهد: الصور قرن كهيئة البوق، وفيه جميع الأرواح وفيه ثقب بعددها، فإذا نفخ خرجت كل روح من ثقبة ووصلت لجسدها فتحله الحياة، فالإحياء يحصل بإيجاد الله عند النفخ لا بالنفخ، فهو سبب عادي. قوله: (النفخة الثانية) أي وأما الأولى فعندها يموت كل ذي روح. قال تعالى: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾. قوله: (وما غاب وما شوهد) أي بالنسبة، وإلا فالكل عند الله شهادة ولا يغيب عليه شيء، بل ما في تخوم الأرضين والسماوات بالنسبة له كما على ظهرها سواء بسواء. قوله: ﴿وَهُوَ الۡحَكِيمُ الۡخَبِيرُ﴾ كالدليل لما قبله.

﴿قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ هو لقبه واسمه تارخ ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ تعبدها استفهام توبيخ ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ﴾ باتخاذها ﴿فِي ضَلَٰلٍ﴾ عن الحق ﴿مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾ بين ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما أريناه إضلال أبيه وقومه ﴿نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ﴾ ملك ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ليستدل به على وحدانيتنا ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ بها وجملة وكذلك وما بعدها اعتراض وعطف على قال ﴿فَلَمَّا جَنَّ﴾

قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ الظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر، والجملة معطوفة على جملة﴿قل أندعوا من دون الله﴾، والمعنى قل يا محمد لكفار مكة أندعوا من دون الله ما ينفعنا ولا يضرنا، واحتج عليهم بما وقع لإبراهيم مع قومه حيث شنع على عبادة الأصنام. قوله: **(واسمه تاريخ)** يقرأ بالخاء المعجمة والحاء المهملة، وقيل إن آزر اسمه تارخ لقبه، وهو جمع بين قولين، وتارخ بدل أو عطف بيان، وآزر من الأزر وهو العيب، لأنه قام به العيب حيث عبد الأصنام أو العوج، ولا شك أنه قام به الأمران العيب والعوج. قوله: ﴿أَصْنَاماً﴾ المراد بها ما صور على هيئة الإنسان وعبد من دون الله، كانت من خشب أو حجر أو ذهب أو فضة أو غير ذلك، وأصناماً مفعول أول لتتخذ، وآلهة مفعول ثان. قوله: **(تعبدها)** أي أنت وقومك الذين هم الكنعانيون. قوله: **(استفهام توبيخ)** أي على سبيل الإنكار. قوله: ﴿إِنِّي أَرَاكَ﴾ أي أعلمك، فالكاف مفعول أول، وفي ضلال مبين مفعول ثان، ومقتضى هذه الآية وآية مريم، أن آزر أبا إبراهيم كان كافراً، وهو يشكل على ما قاله المحققون أن نسب رسول الله ﷺ محفوظاً من الشرك، فلم يسجد أحد من آبائه من عبد الله إلى آدم لصنم قط، وبذلك قال المفسر في قوله تعالى: ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ وقال البوصيري في الهمزية:

وبدا للوجوه منك كريم من كريم آباؤه كرماء

وأجيب عن ذلك بأن حفظهم من الإشراك ما دام النور المحمدي في ظهرهم، فإذا انتقل جاز أن يكفروا بعد ذلك، كذا قال المفسرون هنا، وهذا على تسليم أن آزر أبوه، وأجاب بعضهم أيضاً بمنع أن آزر أبوه بل كان عمه وكان كافراً وتارخ أبوه مات في الفترة ولم يثبت سجوده لصنم، وإنما سماه أباً على عادة العرب من تسمية العم أباً، وفي التوراة اسم أبي إبراهيم تارخ. قوله: **(بين)** أي ظاهر لا شك فيه. قوله: **(كما أريناه إضلال أبيه قومه)** أي بسبب تعليمه التوحيد وكونه مجبولاً عليه، لما ورد أنه حين نزل من بطن أمه قام على قدميه وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت، الحمد لله الذي هدانا لهذا. قوله: **(ملك)** أشار بذلك إلى أن المراد بالملكوت الملك، والتاء فيه للمبالغة كالرغبوت والرهبوت والرحموت، من الرغبة والرهبة والرحمة، وعلى هذا فالملكوت والملك واحد، وللصوفية فرق بين الملك والملكوت، فالملك ما ظهر لنا، والملكوت ما خفي عنا كالسماوات وما فيها إذ علمت ذلك، فالأولى إبقاؤه على ظاهره لما ورد أنه أقيم على صخرة وكشف له من السماوات حتى العرش والكرسي وما في السموات من العجائب، وحتى رأى مكانه في الجنة، فذلك قوله تعالى: ﴿وآتيناه أجره في الدنيا﴾ وكشف له عن الأرض حتى نظر إلى أسفل الأرضين ورأى ما فيها من العجائب، وهذا يفيد أن الرؤية بصرية لا علمية. قوله: **(ليستدل به على وحدانيتنا)** أي ليعلم قومه كيفية الاستدلال على ذلك لا لتوحيد نفسه، فإن توحيده بالمشاهدة لا بالدليل. قوله: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ معطوف على محذوف قدره المفسر بقوله ليستدل الخ. قوله: **(اعتراض)** أي بين قوله﴿وإذ قال إبراهيم﴾ وبين الاستدلال عليهم.

أظلم ﴿ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ ﴾ قيل هو الزهرة ﴿ قَالَ ﴾ لقومه وكانوا نجامين ﴿ هَٰذَا رَبِّيۖ ﴾ في زعمكم ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ غاب ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴾ ﴿٧٦﴾ أن أتخذهم أرباباً لأن الرب لا يجوز عليه التغيير والانتقال لأنها من شأن الحوادث فلم ينجع فيهم ذلك ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا ﴾ طالعاً ﴿ قَالَ ﴾ لهم ﴿ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي ﴾ يثبتني على الهدى ﴿ لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ ﴿٧٧﴾ تعريض لقومه بأنهم على ضلال فلم ينجع فيهم ذلك ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ

قوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ﴾ من الجنة وهي الستر، وحاصل ذلك أن نمروذ بن كنعان كان يدعو الناس إلى عبادته، وكان له كهان ومنجمون، فقالوا له إنه يولد في بلدك هذه السنة غلام يغير دين أهل الأرض، ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه، فأمر بذبح كل غلام يولد في تلك السنة، وأمر بعزل النساء عن الرجال، وجعل على كل عشرة رجلاً يحفظهم، فإذا حاضت المرأة خلوا بينها وبين زوجها، لأنهم كانوا لا يجامعون في الحيض فإذا طهرت من الحيض حالوا بينهما، فخرج نمروذ بالرجال في البرية وعزلهم عن النساء تخوفاً من ذلك المولود، فمكث بذلك ما شاء الله، ثم بدت له حاجة إلى المدينة فلم يأمن عليها أحداً من قومه إلا آزر، فبعث إليه فأحضره عنده وقال له: إن لي إليك حاجة أحب أوصيك بها، ولم أبعثك فيها إلا لثقتي بك، فأقسمت عليك أن لا تدنو من أهلك، فقال آزر أنا أشح على ديني من ذلك، فأوصاه بحاجته فدخل المدينة وقضى حاجة الملك، ثم دخل على أهله فلم يتمالك نفسه حتى واقع زوجته فحملت من ساعتها بإبراهيم، فلما دنت ولادتها خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها، فلما وضعته جعلته في نهر يابس، ثم لفته في خرقة وتركته، قيل أخبرت أباه به، وقيل لا، وكانت تختلف إليه لتنظر ما فعل، فتجده حياً وهو يمص من أصبع ماء، ومن أصبع لبناً، ومن أصبع سمناً، ومن أصبع عسلاً، ومن أصبع تمراً، وكان إبراهيم يشب في اليوم كالشهر، وفي الشهر كالسنة، فمكث خمسة عشر شهراً، قالوا فلما شب إبراهيم وهو في السرب قال لأمه من ربي قالت أنا، قال فمن ربك قالت أبوك، قال فمن رب أبي قالت اسكت، ثم رجعت إلى زوجها فقالت أرأيت الغلام الذي كنا نحدث أنه يغير دين أهل الأرض، ثم أخبرته بما قال، فأتاه أبوه آزر فقال إبراهيم: يا أبتاه من ربي قال أمك، قال فمن رب أمي قال أنا، قال فمن ربك قال نمروذ قال فمن رب نمروذ فلطمه لطمة وقال له اسكت. ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً﴾ الآية، واختلف في وقت هذا القول، هل كان قبل البلوغ والرسالة أو بعدهما، والصحيح أنه بعد البلوغ وإيتاء الرسالة، وما وقع من إبراهيم إنما هو مجاراة لقومه واستدراج لهم، لأجل أن يعرفهم جهلهم وخطأهم في عبادة غير الله، وليس إثباته الربوبية لهذه الأجرام على حقيقة حاشاه من ذلك، لأن الأنبياء معصومون من الجهل قبل النبوة وبعدها، لأن توحيدهم بالشهود على طبق ما جبلت عليه أرواحهم من يوم ألست بربك. قوله: (قيل هو الزهرة) خصها لأنها أضوأ الكواكب وهي في السماء الثالثة. قوله: (**وكانوا نجامين**) أي عالمين بالنجوم أو عابدين لها. قوله: (في زعمكم) أي فالجملة خبرية على حسب زعمهم، لا على حسب الواقع واعتقاد إبراهيم. قوله: (غاب) يقال أفل الشيء أفولاً. قوله: (**التغير والانتقال**) أي لأن الأفول حركة، الحركة تقتضي حدوث المتحرك وإمكانه، فيمتنع أن يكون إلهاً. قوله: (**فلم ينجع**) أي لم يؤثر ويفد، وهو من باب خضع، يقال نجع نجوعاً ظهر أثره. قوله: ﴿بَازِغاً﴾ حال

﴿قَالَ هَٰذَا﴾ ذكره لتذكير خبره ﴿رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ﴾ من الكوكب والقمر ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتۡ﴾ وقويت عليهم الحجة ولم يرجعوا ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ۝٧٨﴾ بالله من الأصنام والأجرام المحدثة المحتاجة إلى محدث فقالوا له ما تعبد قال ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ﴾ قصدت بعبادتي ﴿لِلَّذِي فَطَرَ﴾ خلق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ أي الله ﴿حَنِيفٗاۖ﴾ مائلاً إلى الدين القيم ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٧٩﴾ به ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ﴾ جادلوه في دينه وهددوه بالأصنام أن تصيبه بسوء إن تركها ﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي﴾ بتشديد النون وتخفيفها بحذف إحدى النونين وهي نون الرفع عند النحاة ونون الوقاية عند القراء

من القمر والبزغ الطلوع.

قوله: ﴿قَالَ هٰذَا رَبِّي﴾ أي بزعمكم كما تقدم. قوله: (يثبتني على الهدى) إنما قال ذلك لأن أصل الهدى حاصل للأنبياء بحسب الفطرة والخلقة فلا يتصور نفيه. قوله: (تعريض لقومه) إنما عرض بضلالهم في أمر القمر، لأنه أيس منهم في أمر الكوكب، ولو قاله في الأول لما أنصفوه، ولهذا صرح في الثالثة بالبراءة منهم وأنهم على شرك، أي فالتعريض هنا لاستدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم، قوله: (فلم ينجع فيهم ذلك) أي الدليل المذكور. قوله: (لتذكير خبره) أي وهو ربي وهذا كالمتعين، لأن المبتدأ والخبر عبارة عن شيء واحد، والرب سبحانه وتعالى مصان عن شبهة التأنيث، ألا تراهم قالوا في صفته علام ولم يقولوا علامة، وإن كان علامة أبلغ تباعداً عن علامة التأنيث.

قوله: ﴿هٰذَا أَكْبَرُ﴾ أي جرماً وضوءاً، وسعة جرم الشمس مائة وعشرون سنة كما قاله الغزالي وفي رواية أنها قدر الأرض مائة وستين مرة، والقمر قدرها مائة وعشرين مرة. قوله: ﴿مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ما مصدرية، أي بريء من إشراككم، أو موصولة أي من الذي تشركونه مع الله فحذف العائد. قوله: (والأجرام) عطف عام لأنها تشمل الأصنام والنجوم. قوله: (قصدت بعبادتي) أي فليس المراد بالوجه الجسم المعروف، بل المراد به القلب، وإنما عبر المفسر بالقصد، لأن القصد والنية محلها القلب، وإنما انتفى الوجه الحسي لاستحالة الجهة على الله. قوله: (خلق) ﴿السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي وما فيهما، ومن جملته معبوداتكم العلوية والسفلية، لقد أبطل السفلية بقوله إني أراك وقومك في ضلال مبين، والعلوية بقوله لما جن عليه الليل الخ. قوله: ﴿حَنِيفاً﴾ حال من التاء في وجهت.

قوله: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾ روي أنه لما شب إبراهيم وكبر، جعل آزر يصنع الأصنام ويعطيها له ليبيعها، فيذهب بها وينادي يا من يشتري ما يضره ولا ينفعه، فلا يشتريها أحد، فإذا بارت عليه ذهب بها إلى نهر وضرب فيه رؤوسها وقال لها اشربي استهزاء بقومه، حتى إذا فشا فيهم استهزاؤه جادلوه، وذلك قوله تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾ الخ. قوله: (وهددوه) عطف تفسير على (جادلوه) أي فمحاجتهم كانت بالتهديد لا بالبرهان لعدمه عندهم ومحاجة إبراهيم كانت بالبرهان ففرق بين المقامين. قوله: (أن تصيبه بسوء) أي كخبل وجنون.

قوله: ﴿قَالَ أَتُحَاجُّونِي﴾ الخ، استئناف وقع جواباً لسؤال نشأ من حكاية محاجتهم، كأنه قيل فماذا قال حين حاجوه. قوله: (بتشديد النون) أي لإدغام نون الرفع في نون الوقاية. وقوله: (تخفيفها) أي تخلصاً من اجتماع مشددين في كلمة واحدة وهما الجيم والنون. قوله: (عند النحاة) أي كسيبويه وغيره من

أتجادلوني ﴿فِي﴾ وحدانية ﴿ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۚ﴾ تعالى اليها ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ﴾ ـه ﴿بِهِۦٓ﴾ من الأصنام أن تصيبني بسوء لعدم قدرتها على شيء ﴿إِلَّآ﴾ لكن ﴿أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔاۗ﴾ من المكروه يصيبني فيكون ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۗ﴾ أي وسع علمه كل شيء ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٨٠﴾ هذا فتؤمنون ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾ بالله وهي لا تضر ولا تنفع ﴿وَلَا تَخَافُونَ﴾ أنتم من الله ﴿أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ﴾ في العبادة ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ﴾ بعبادته ﴿عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ﴾ حجة وبرهاناً وهو القادر على كل شيء ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ﴾ أنحن أم أنتم ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨١﴾ من الأحق به أي وهو نحن فاتبعوه قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ﴾ يخلطوا ﴿إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ أي شرك كما فسر بذلك في حديث الصحيحين ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾ من العذاب ﴿وَهُم

البصريين، مستدلين بأنها نائبة عن الضمة، وهي قد تحذف كما في قراءة أبي عمرو ينصركم ويأمركم بالإسكان، فكذا ما ناب عنها. قوله: **(عند القراء)** أي مستدلين بأن الثقل إنما حصل بها. قوله: **﴿وَقَدْ هَدَانِ﴾** يرسم بلا ياء لأنها من ياءات الزوائد، وفي النطق يجب حذفها في الوقف، ويجوز إثباتها وحذفها في الوصل، وجملة وقد هدان في محل نصب على الحال من الياء في أتحاجوني، والمعنى أتحاجوني في الله حال كوني مهدياً من عنده، وحجتكم لا تجدي شيئاً لأنها داحضة.

قوله: **﴿مَا تُشْرِكونَ بِهِ﴾** أشار إلى أن ما موصولة، فالهاء في به تعود على ما، والمعنى ولا أخاف الذي تشركون الله به أو تعود على الله، والمحذوف هو العائد على ما. قوله: **(لكن)** أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع، لأن المشيئة ليست مما يشركون به. قوله: **(يصيبني)** صفة ليشاء وهو إشارة إلى تقدير مضاف، أي إلا أن يشاء ربي إصابة شيء لي، وقوله: **(فيكون)** بالنصب عطف على مدخول أن أو بالرفع استئناف، أي فهو يكون محول عن الفاعل كما يفيده المفسر نحو﴿اشتعل الرأس شيباً﴾والجملة كالتعليل. قوله: **﴿عِلْماً﴾** تمييز محول عن الفاعل كما يفيده المفسر نحو﴿اشتعل الرأس شيباً﴾ والجملة كالتعليل للاستثناء قوله: **﴿أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ﴾** الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه، أي أتعرضون عن التأمل في أن آلهتكم جمادات لا تضر ولا تنفع فلا تتذكرون بطلانها.

قوله: **﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾** استئناف مسوق لنفي الخوف عنه بالطريق الإلزامي بعد نفيه بحسب الواقع في سابقاً﴿ولا أخاف ما تشركون به﴾والاستفهام للتعجب. قوله: **﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ﴾** مفعول لأشركتم. قوله: **﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾** أي من الموحد والمشرك. قوله: **﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** إن شرطية وجوابها محذوف، قدره المفسر بقوله فاتبعوه.

قوله: **﴿الَّذينَ آمَنُوا﴾** الخ، يحتمل أن يكون من كلام إبراهيم، أو من كلام قومه، أو من كلام الله تعالى، أقوال للعلماء، فإن قلنا إنها من كلام إبراهيم، كان جواباً عن السؤال في قوله فأي الفريقين الخ وكذا قلنا إنها من كلام قومه، ويكونون أجابوا بما هو حجة عليهم، وعلى هذين الاحتمالين فهو خبر لمحذوف، وإن كان من كلام الله تعالى لمجرد الإخبار، كان الموصول مبتدأ، وأولئك مبتدأ ثان، والأمن مبتدأ ثالث، ولهم خبره، والجملة خبر أولئك، وأولئك وخبره خبر الأول. قوله: **(في حديث الصحيحين)** أي ففيهما عن ابن مسعود قال: لما نزلت الذين **﴿آمَنُوا﴾** الخ، شق ذلك على المسلمين وقالوا أينا لم يظلم

﴿مُّهْتَدُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿وَتِلْكَ﴾ مبتدأ ويبدل منه ﴿حُجَّتُنَآ﴾ التي احتج بها إبراهيم على وحدانية الله من أفول الكواكب وما بعده والخبر ﴿ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أرشدناه لها حجة ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ بالإضافة والتنوين في العلم والحكمة ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ ﴿٨٣﴾ بخلقه ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ابنه ﴿كُلًّا﴾ منهما ﴿هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ أي قبل

نفسه، فقال رسول الله ﷺ ليس ذلك إنما هو للشرك، ألم تسمعوا قول لقمان لابنه: ﴿يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾ وهذا ما ذهب إليه أهل السنة، وذهب المعتزلة إلى أن المراد بالظلم في الآية المعصية لا الشرك، بناء على أن خلط أحد الشيئين بالآخر يقتضي اجتماعهما، ولا يتصور خلط الإيمان بالشرك، لأنهما ضدان لا يجتمعان، وأجاب أهل السنة بأن الإيمان قد يجامع الشرك، ويراد بالإيمان مطلق التصديق، سواء كان باللسان أو بغيره، وكذا إن أريد به تصديق القلب، لجواز أن يصدق المشرك بوجود الصانع دون وحدانيته، كما قال تعالى: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ أفاده زاده على البيضاوي.

قوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا﴾ أعرب المفسر اسم الاشارة مبتدأ، وحجتنا بدل منه، وجملة ﴿آتَيْنَاهَا﴾ خبر المبتدأ. وقوله: ﴿عَلَى قَوْمِهِ﴾ متعلق بمحذوف حال من الهاء في آتيناها، وهو أحسن الأعاريب وقيل إن تلك حجتنا مبتدأ وخبر، وآتيناها خبر ثان، وعلى قومه متعلق بحجتنا، واسم الإشارة عائد على قوله ﴿فلما جن عليه الليل﴾ إلى هنا، أو من قوله ﴿كذلك نرى إبراهيم﴾ إلى هنا. وقوله: (من أفول الكواكب) أي التي هي الزهرة والقمر والشمس. قوله: (وما بعده) أي وهو قوله ﴿وحاجه قومه﴾ الخ.

قوله: ﴿آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ﴾ أي بوحي أو الهام. قوله: (حجة) ﴿عَلَى قَوْمِهِ﴾ قدره المفسر إشارة إلى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الهاء في آتيناها. قوله: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾ مفعول نشاء محذوف تقديره رفعها. قوله: (بالإضافة والتنوين) أي فيهما قراءتان سبعيتان فعلى الإضافة المفعول به هو درجات وعلى التنوين هو من نشاء، ودرجات ظرف لنرفع، والتقدير نرفع من نشاء في درجات. قوله: (في العلم والحكمة) قيل هي النبوة، فالعطف مغاير، وقيل العلم النافع، فالعطف خاص على عام اعتناء بشرف نفع العلم وإظهاراً لفضله. قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ أي يضع الشيء في محله، وهو كالدليل لما قبله، والمعنى أن الله لا معقب لحكمه، فيرفع من يشاء، ويضع من يشاء، لا اعتراض عليه، فإنه ﴿حَكِيمٌ﴾ يضع الشيء في محله، ﴿عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليه شيء.

قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ﴾ الخ، لما أنعم الله على إبراهيم عليه السلام بالنبوة والعلم، ورفع درجاته حيث جاهد في الله حق جهاده، أتم الله عليه النعمة، بأن وهب له إسحاق ويعقوب وإسماعيل وجعل في ذريته النبوة إلى يوم القيامة، واسحاق هو من سارة، وجملة وهبنا معطوفة على قوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا﴾ عطف فعلية على اسمية، والمقصود من تلاوة هذه النعم على محمد تشريفه، لأن شرف الوالد يسري للولد. قوله: ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾ أي للشرع الذي أوتيه. قوله: ﴿وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ نوح هو ابن لمك بفتح اللام وسكون الميم وبالكاف، وقيل ملكان بفتح الميم وسكون اللام، وبالنون بعد الكاف ابن

إبراهيم ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ أي نوح ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ﴾ ابنه ﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ﴾ بن يعقوب ﴿وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٨٤﴾ ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ﴾ ابنه ﴿وَعِيسَىٰ﴾ ابن مريم يفيد أن الذرية تتناول أولاد البنت ﴿وَإِلْيَاسَ﴾ ابن أخي هارون أخي موسى ﴿كُلٌّ﴾ منهم ﴿مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿وَإِسْمَـٰعِيلَ﴾ بن إبراهيم ﴿وَٱلْيَسَعَ﴾ اللام زائدة ﴿وَيُونُسَ وَلُوطًا﴾ بن هاران أخي إبراهيم ﴿وَكُلًّا﴾ منهم ﴿فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ ﴿٨٦﴾ بالنبوة ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ﴾ عطف على كلاً أو نوحاً ومن للتبعيض لأن بعضهم لم يكن له ولد وبعضهم كان في ولده كافر ﴿وَٱجْتَبَيْنَـٰهُمْ﴾ اخترناهم ﴿وَهَدَيْنَـٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الدين الذي هدوا إليه ﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟﴾ فرضاً ﴿لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟

متوشلخ، بضم الميم وفتح التاء الفوقية والواو، وسكون الشين المعجمة وكسر اللام، وبالخاء المعجمة ابن ادريس.

قوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ يحتمل أن الضمير عائد على نوح، لأنه أقرب مذكور واختاره المفسر، ويحتمل أنه عائد على إبراهيم، لأنه المحدث عنه، ويبعده ذكر لوط في الذرية، مع أنه ليس ذرية إبراهيم، بل هو ابن هارون وهو أخو إبراهيم. قوله: ﴿وَأَيُّوبَ﴾ هو ابن أموص بن رازح بن عيص بن اسحاق. قوله: ﴿وَمُوسَى﴾ هو ابن عمران بن يصهر بن لاوي بن يعقوب، وقوله: ﴿وَهَٰرُونَ﴾ أي وهو أخو موسى وكان أسن منه بسنة. قوله: ﴿نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي المؤمنين، أي فمن اتبعهم في الإيمان ألحق بهم ورفع الله درجاته. قوله: (**يفيد أن الذرية الخ**) أي لأن عيسى لا أب له.

قوله: ﴿وَإِلْيَاسَ﴾ (**ابن أخي هرون**) وقيل هو إدريس فله اسمان وهو خلاف الصحيح، لأن إدريس أحد أجداد نوح وليس من الذرية، والياس بهمز أوله وتركه وهو ابن ياسين بن فنحاص بن عيزار ابن هارون بن عمران، وهذا هو الصحيح، فالصواب للمفسر حذف لفظة أخي. قوله: ﴿وَٱلْيَسَعَ﴾ الجمهور على أنه بلام واحدة ساكنة وفتح الياء، وقرىء بلام مشددة وياء ساكنة، وهو ابن أخطوب ابن العجوز.

قوله: ﴿وَيُونُسَ﴾ هو ابن متى وهي أمه. قوله: ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَالَمِينَ﴾ أي على سائر الأولين والآخرين. قوله: (**عطف على كلا**) أي والعامل فيه فضلنا، وقوله: (**أو نوحاً**) أي العامل فيه هدينا، والأقرب الأول. قوله: (**ومن للتبعيض**) هذا ظاهر في الآباء والأبناء لا الإخوان فإنهم كلهم مهديون. قوله: (**لأن بعضهم لم يكن له ولد الخ**) هذا تعليل لكون من للتبعيض، وقد خصه المفسر بالذرية، ويقال مثله في الآباء. والحاصل أنه ذكر في هذه الآيات من الأنبياء الذين يجب الإيمان بهم تفصيلاً ثمانية عشر، وبقي سبعة وهم محمد ﷺ وإدريس وشعيب وصالح وهود ذو الكفل وآدم، فتكون الجملة خمسة وعشرين مذكورين في القرآن يجب الإيمان بهم تفصيلاً، وبقي ثلاثة مذكورون في القرآن واختلف في نبوتهم، لقمان وذو القرنين والعزيز، من أنكر وجودهم كفر، ومن أنكر نبوتهم لا يكفر. قوله: (**الذي هدوا إليه**) أي وهو التوحيد. قوله: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا﴾ (**فرضاً**) أشار بذلك إلى الشرك مستحيل

يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ بمعنى الكتب ﴿ وَٱلْحُكْمَ ﴾ الحكمة ﴿ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا ﴾ أي بهذه الثلاثة ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ أي أهل مكة ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا ﴾ أرصدنا لها ﴿ قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ ﴿٨٩﴾ هم المهاجرون والأنصار ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ﴾ هم ﴿ ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ﴾ طريقهم من التوحيد والصبر ﴿ ٱقْتَدِهْ ۗ ﴾ بهاء السكت وقفاً ووصلاً وفي قراءة بحذفها وصلاً ﴿ قُل ﴾ لأهل مكة ﴿ لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ أي القرآن ﴿ أَجْرًا ۖ ﴾ تعطونيه ﴿ إِنْ هُوَ ﴾ ما القرآن ﴿ إِلَّا ذِكْرَىٰ ﴾ عظة ﴿ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿٩٠﴾ الإنس والجن ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ﴾ أي اليهود ﴿ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ أي ما عظموه حق

عليهم، فلو غير مقتضيه للوقوع أو هو خطاب لهم والمراد غيرهم.

قوله: ﴿**أُوْلَئِكَ**﴾ أي الأنبياء المتقدمون وهم الثمانية عشر. قوله: (**الحكمة**) أي العلم النافع أي المراد بالحكم الفصل بين الناس والقضاء بينهم. قوله: ﴿**فَقَدْ وَكَّلْنَا**﴾ أي وفقنا وأعددنا للقيام بحقوقها، وهذا التعليل لجواب الشرط محذوف تقديره فلا ضرر عليك لأننا قد وكلنا الخ، وفي هذه وعد من الله بنصره وإظهار دينه. قوله: ﴿**لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ**﴾ أي بل هم مستمرون على الإيمان بها، والمعنى لا تحزن يا محمد على كفر أهل مكة، فإن من كفر منهم فوباله على نفسه، وأما آيات الله فقد جعل لها أهلاً يؤمنون بها ويعملون إلى يوم القيامة. قوله: (**من التوحيد الخ**) دفع ذلك ما يقال إن هذه الآية تقتضي أن رسول الله تابع لغيره من الأنبياء، مع أن شرعه ناسخ لجميع الشرائع، وأن كلهم ملتمسون منه، فأجاب بأن الاقتداء في التوحيد الصبر على الأذى، لا في فروع الدين. قوله: (**وقفاً ووصلاً**) أما الوقف فظاهر، وأما الوصل فإجراء له مجرى الوقف، قال ابن مالك:

وربما أعطى لفظ الوصل ما لـلوقف نثراً وفشا منتظما

قوله: (**الإنس والجن**) أي ففي الآية دليل على عموم رسالته للعالمين إلى يوم القيامة، وقد احتج العلماء بهذه على أن رسول الله ﷺ أفضل من جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وبيانه أن جميع خصال الكمال وصفات الشرف كانت متفرقة فيهم، فكان نوح صاحب احتمال أذى على قومه وإبراهيم صاحب كرم وبذل ومجاهدة في سبيل الله عز وجل، وإسحاق ويعقوب وأيوب وأصحاب صبر على البلاء والمحن، وداود وسليمان أصحاب شكر على النعم، ويوسف جمع بين الصبر والشكر، وموسى صاحب الشريعة الظاهرة والمعجزات الباهرة، وزكريا ويحيى وعيسى والياس من أصحاب الزهد في الدنيا، واسماعيل صاحب صدق الوعد، ويونس صاحب تضرع وإخبات، ثم إن الله أمر نبيه أن يقتدي بهم في جميع تلك الخصال المحمودة المتفرقة فيهم، فثبت بهذا أنه أفضل الأنبياء لما اجتمع فيه من هذه الخصال والله أعلم اهـ من الخازن.

لكن قد يقال إن المزية لا تقتضي الأفضلية، ولذا قال أشياخنا المحققون إنه وإن كان جامعاً لجميع ما تفرق في غيره، لتفضيله من الله لا بتلك المزايا، فقد فاقهم فضلاً ومزايا.

ـ تتمة ـ بين آدم ونوح ألف ومائة سنة وعاش آدم تسعمائة وستين سنة وكان بين إدريس ونوح ألف سنة، وبعث نوح لأربعين سنة، ومكث في قومه ألف سنة إلا خمسين، وعاش بعد الطوفان ستين سنة،

عظمته أو ما عرفوه حق معرفته ﴿ إِذْ قَالُواْ ﴾ للنبي ﷺ وقد خاصموه في القرآن ﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ قُلْ ﴾ لهم ﴿ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ ﴾ بالياء والتاء في المواضع الثلاثة ﴿قَرَاطِيسَ﴾ أي يكتبونه في دفاتر مقطعة ﴿تُبْدُونَهَا﴾ أي ما يحبون إبداءه

وقيل بعث نوح وهو ابن ثلاثمائة وخمس وخمسين، وإبراهيم ولد على رأس ألفي سنة من آدم، وبينه وبين نوح عشرة قرون، وعاش إبراهيم مائة وخمساً وسبعين، وولده إسماعيل عاش مائة وثلاثين سنة، وكان له حين مات أبوه تسع وثمانون سنة، وأخوه إسحاق ولد بعده بأربع عشر سنة، وعاش مائة وثمانين سنة، ويعقوب بن اسحاق عاش مائة وسبعاً وأربعين، ويوسف بن يعقوب بن اسحاق عاش مائة وعشرين سنة، وبينه وبين موسى أربعمائة سنة، وبين موسى وإبراهيم خمسمائة وخمس وستون سنة، وولده سليمان عاش نيفاً وخمسين سنة، وبينه وبين مولد النبي ﷺ نحو ألف وسبعمائة سنة، وأيوب عاش ثلاثاً وستين سنة، وكانت مدة بلائه سبع سنين انتهى من التحبير في علم التفسير للسيوطي.

قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ استئناف مسوق لبيان أوصاف اليهود، وقدر من باب نصر، يقال قدر الشيء إذا سبره وحرزه ليعرف مقداره، والمعنى لم يعترفوا بقدر الله، وهذا الكلام إنما هو تنزل مع اليهود، وإلا فالخلائق لم يعظموا الله حق تعظيمه ولم يعرفوه حق معرفته. واعلم أن هنا معنيين: الأول أن معنى وما قدروا الله حق قدره، أي ما عرفوه المعرفة التي تليق به، وهذه لا يصل إليها أحداً أبداً، ففي الحديث: «سبحانك ما عرفناك حق معرفتك يا معروف لا أحصي ثنا عليك أنت كما أثنيت على نفسك» وهذا منتف في حق كل مخلوق، فلا خصوصية لليهود، الثاني أن معنى وما قدروا الله حق قدره، أنهم لم يعظموه ولم يعرفوه على حسب ما أمروا به، وهذا لم يقع من اليهود، وإنما هو واقع من المؤمنين وهذا هو المراد هنا.

قوله: ﴿إِذْ قَالُوا﴾ إما ظرف لقدروا أو تعليل له. قوله: **(وقد خاصموه في القرآن)** أي كفنحاص ابن عازوراء ومالك بن الصيف، فقد جاء يخاصم النبي ﷺ، فقال له النبي أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى، هل تجد فيها أن الله تعالى يبغض الحبر السمين أي العالم الجسيم، وكان مالك المذكور كذلك، وكان فيها ما ذكر، فقال نعم، وكان يجب إخفاء ذلك، لكن أقر لإقسام النبي عليه السلام، فقال له النبي أنت حبر سمين، فغضب وقال ما أنزل الله على بشر من شيء. فقال أصحابه الذين معه ويحك ولا على موسى، فقال والله ما أنزل الله على بشر من شيء، فلما سمعت اليهود تلك المقالة غضبوا عليه وقالوا أليس الله أنزل التوراة على موسى فلم قلت هذا، قال اغضبني محمد فقلته، فقالوا وأنت إذا غضبت تقول على الله غير الحق، فعزلوه من الحبرية وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف.

قوله: ﴿نُوراً﴾ حال إما من به والعامل فيها جاء، أو من الكتاب والعامل فيه أنزل، ومعنى نوراً بيناً في نفسه، وهدى مبيناً لغيره، وللناس متعلق بهدى. قوله: ﴿تَجْعَلُونَهُ﴾ حال ثانية، وجعل بمعنى صير، فالهاء مفعول أول، وقراطيس مفعول ثان على حذف مضاف، أي ذا قراطيس أو في قراطيس أو بولغ فيه. قوله: **(بالياء والتاء)** فعلى التاء يكون خطاباً لليهود، وعلى الياء التفات من الخطاب للغيبة. قوله: **(في المواضع الثلاثة)** أي يجعلون ويبدون ويخفون. قوله: **(مقطعة)** أي مفصولاً بعضها من بعض،

منها ﴿ وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ مما فيها كنعت محمد ﷺ ﴿ وَعُلِّمْتُم ﴾ أيها اليهود في القرآن ﴿ مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ﴾ من التوراة ببيان ما التبس عليكم واختلفتم فيه ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ أنزله إن لم يقولوه لا جواب غيره ﴿ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ ﴾ باطلهم ﴿ يَلْعَبُونَ ﴾ ﴿٩١﴾ ﴿ وَهَٰذَا ﴾ القرآن ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ قبله من الكتب ﴿ وَلِتُنذِرَ ﴾ بالتاء والياء عطف على معنى ما قبله أي أنزلناه للبركة والتصديق ولتنذر به ﴿ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ أي أهل مكة وسائر الناس ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ ﴿٩٢﴾ خوفاً من عقابها ﴿ وَمَنْ ﴾ أي لا أحد

ليتمكنوا من إخفاء ما أرادوا إخفاءه. قوله: ﴿وَتُخْفُونَ كَثِيراً﴾ أي لم يظهروه، بمعنى لم يكتبوه أصلاً أو كتبوه وأخفوه عن ملوكهم وسفلتهم، وجعلوا ذلك سراً بينهم. قوله: (**كنعت محمد**) أي وكآية الرجم، وآية إن الله يبغض الحبر السمين.

قوله: ﴿**وَعُلِّمْتُمْ**﴾ يحتمل أن الخطاب لليهود كما قال المفسر، وتكون الجملة حالية، والمعنى تبدونها وتخفون كثيراً. والحال أن محمداً أعلمكم في القرآن بأشياء في التوراة، ما لم تكونوا تعلموها أنتم ولا آباؤكم، ويحتمل أن الخطاب لقريش، وتكون الجملة مستأنفة معترضة بين السؤال والجواب. قوله: ﴿**قُلِ اللهُ**﴾ يحتمل أنه مبتدأ خبره محذوف تقديره أنزله، وعليه درج المفسر وهو الأولى، لأن السؤال جملة اسمية، فيكون الجواب كذلك، ويحتمل أنه فاعل بفعل محذوف تقديره أنزله الله، وقد صرح بالفعل في قوله تعالى: ﴿ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾. قوله: ﴿**فِي خَوْضِهِمْ**﴾ إما متعلق بذرهم أو بيلعبون، ومعنى يلعبون يستهزؤون ويسخرون.

قوله: ﴿**وَهٰذَا كِتَابٌ**﴾ مبتدأ وخبر، و ﴿**أَنْزَلْنَاهُ**﴾ صفة أولى، و ﴿**مُبَارَكٌ**﴾ صفة ثانية، و ﴿**مُصَدِّقُ الذِي بَيْنَ يَدَيْهِ**﴾ صفة ثالثة. قوله: (**القرآن**) لغة من القرء وهو الجمع، واصطلاحاً اللفظ المنزل على رسول الله ﷺ للإعجاز بأقصر سورة منه المتعبد بتلاوته، وهذا رد عليهم حيث قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء. قوله: ﴿**مُبَارَكٌ**﴾ أي كله خير لمن آمن به، وشر على من كفر به، ومن بركته بقاء الدنيا، وإنبات الأرض، وإمطار السماء، ولذا إذا رفع القرآن تأتي ريح لينة فيموت بها كل مؤمن ويبقى الكفار، فبقاء الخير في الأرض مدة بقاء القرآن فيها.

قوله: ﴿**مُصَدِّقُ الذِي بَيْنَ يَدَيْهِ**﴾ أي موافق للكتب التي قبله في التوحيد والتنزيه، والمعنى أنه دال على صدقها وأنها من عند الله. قوله: (**بالتاء والياء**) أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى التاء يكون خطاباً للنبي، وعلى الياء يكون الضمير عائد على القرآن. قوله: (**أي أنزلناه للبركة**) هذه العلة مأخوذة من الوصف بالمشتق، لأن تعليق الحكم به يؤذن بالعلية. قوله: (**أي أهل مكة**) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، أي أهل أم القرى وهي مكة. قوله: (**وسائر الناس**) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد بمن حولها ما قال ربها من البلاد، بل المراد جميع البلاد، لأن مكة وسط الدنيا، واقتصر على الانذار لأنه هو الموجود في صدر الإسلام، إذا ليس ثم مؤمن يبشر.

قوله: ﴿**وَالَّذِينَ**﴾ مبتدأ، و ﴿**يُؤْمِنُونَ**﴾ صلته، و ﴿**بِالآخِرَةِ**﴾ متعلق بيؤمنون، وقوله: ﴿**يُؤْمِنُونَ بِهِ**﴾ خبره، ولم يتحد المبتدأ والخبر لتغاير متعلقيهما، والمعنى والذين يؤمنون بالآخرة إيماناً معتداً به،

﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بادعاء النبوة ولم ينبأ ﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ نزلت في مسيلمة ﴿وَ﴾ من ﴿مَن قَالَ﴾ ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ وهم المستهزئون قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يا محمد ﴿إِذِ الظَّالِمُونَ﴾ المذكورون ﴿فِي غَمَرَاتِ﴾ سكرات ﴿الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾ اليهم بالضرب والتعذيب يقولون لهم تعنيفاً ﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾ إلينا

محصورون في الذين يؤمن بالقرآن، فخرجت اليهود فلا يعتد بإيمانهم بالآخرة لعدم إيمانهم بالقرآن قوله: ﴿وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ جملة حالية من فاعل يؤمنون، وخص الصلاة بالذكر لأنها أشرف العبادات. قوله: **(خوفاً من عقابها)** أي الآخرة. قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ من اسم استفهام مبتدأ، وأظلم خبره، و ﴿كَذِباً﴾ تمييز، وأشار بقوله: **(أي لا أحد)** إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي.

قوله: ﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ أو للتنويع والعطف مغاير، وليس من عطف الخاص على العام، ولا من عطف التفسير، لأن ذلك لا يكون بأو. قوله: ﴿وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ أي من قبل الله، بل استهوته الشياطين، وسلب الله عقله، وختم على سمعه وقلبه، وجعل على بصره غشاوة حيث قال لما نزلت سورة الكوثر، أنزلت علي سورة مثلها، إنا أعطيناك العقعق فصل لربك وازعق إن شانئك هو الأبلق، وغير ذلك من الخرافات التي قالها مسيلمة الكذاب، فإن الآية نزلت فيه كما قال المفسر، وقد ورد أنه أرسل لرسول الله ﷺ كتاباً مع رسولين يذكر فيه: من عند مسيلمة رسول الله، إلى محمد رسول الله، أما بعد، فإن الأرض بيننا نصفين، فلما وصله الكتاب قال للرسولين أتشهدان له بالرسالة؟ فقالا نعم، فقال رسول الله: لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما، وكتب له: من عند محمد رسول الله، إلى مسيلمة الكذاب، أما بعد، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

قوله: ﴿وَ﴾ (من) ﴿مَنْ قَالَ﴾ قدره المفسر إشارة إلى أنه معطوف على المجرور بمن. قوله: **(وهم المستهزئون)** أي كعقبة بن أبي معيط وأبي جهل وأضرابهما، وما ذكره المفسر هو المشهور، وقيل نزلت في عبد الله بن أبي سرح، كان من كتبة الوحي ثم ارتد وقال سأنزل مثل ما أنزل الله، ثم رجع للإسلام فأسلم قبل فتح مكة والنبي ﷺ نازل بمر الظهران، وقد دخل في حكم هذه الآية كل من افترى على الله كذباً في أي زمان إلى يوم القيامة. قوله: ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ لو حرف شرط وجوابها محذوف، قدره المفسر فيما يأتي بقوله لرأيت أمراً فظيعاً، وترى بصرية ومفعولها لمحذوف تقديره الظالمين، وإذ ظرف لترى، والتقدير ولو ترى الظالمين وقت كونهم في غمرات الموات الخ. قوله: **(المذكورون)** أي مسيلمة الكذاب المستهزئون، والأحسن أن يراد ما هو أعم. قوله: ﴿فِي غَمَرَاتِ﴾ جمع غمرة من الغمر وهو الستر، يقال غمرة الماء إذا ستره، سميت السكرة بذلك لأنها تستر العقل وتدهشه.

قوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ تقدم أن الكافر موكل به سبع من الملائكة يعذبونه عند خروج روحه، لأن الكافر يكره لقاء الله، فتأبى روحه الخروج فيخرجونها كرهاً. إن قلت: إن المؤمن يكره الموت أيضاً. أجيب: بأن المؤمن وإن أحب الحياة وكره الموت لكن ذلك قبل احتضاره ومعاينته ما أعد الله له من النعيم الدائم، وأما إذا شاهد ذلك هانت عليه الدنيا وأحب الموت ولقاء الله، وأما الكافر فعند خروج روحه حين يشاهد ما أعد له من العذاب الدائم يزداد كراهة في الموت، وعلى ذلك يحتمل ما ورد: من

لنقبضها ﴿ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ ﴾ الهوان ﴿ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ﴾ بدعوى النبوة والإيحاء كذباً ﴿ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ ﴿٩٣﴾ تستكبرون عن الإيمان بها وجواب لو: لرأيت أمراً فظيعاً ﴿ وَ ﴾ يقال لهم إذا بعثوا ﴿ لَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ ﴾ منفردين عن الأهل والمال والولد ﴿ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ أي حفاة عراة غرلا ﴿ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ ﴾ أعطيناكم من الأموال ﴿ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ ﴾ في الدنيا بغير اختياركم ﴿ وَ ﴾ يقال لهم توبيخاً ﴿ مَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ﴾ الأصنام ﴿ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ ﴾ أي في استحقاق عبادتكم ﴿ شُرَكَٰٓؤُاْۚ ﴾ لله ﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ ﴾ وصلكم أي تشتت جمعكم وفي قراءة بالنصب ظرف أي وصلكم بينكم ﴿ وَضَلَّ ﴾ ذهب ﴿ عَنكُم

أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه. قوله: (**يقولون لهم تعنيفاً**) أي لأن الإنسان لا يقدر على إخراج روحه، وإنما ذلك لأجل تعنيفهم، ويحتمل أن معنى ﴿**أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ**﴾ نحوها من العذاب الذي حل بكم تهكماً بهم.

قوله: ﴿**الْيَوْمَ**﴾ ظرف لقوله: ﴿**تُجْزَوْنَ**﴾ فالوقف ثم على قوله أنفسكم، وأل في اليوم للعهدي اليوم المعهود وهو يوم خروج أرواحهم، ويحتمل أن المراد باليوم يوم القيامة، والأحسن أن يراد ما هو أعم. قوله: (**الهوان**) أي الذل والصغار، لا عذاب التطهير كما يقع لبعض عصاة المؤمنين، لأن كل عذاب يعقبه عفو، فلا يقال له هون، وإنما يقال لعذاب الكافر. قوله: ﴿**بِمَا كُنْتُمْ**﴾ الباء سببية، وما مصدرية، أي بسبب كونكم تقولون الخ. قوله: (**بدعوى النبوة الخ**) هذا راجع لقوله: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء﴾. قوله: ﴿**وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ**﴾ أي وبسبب كونكم تستكبرون عن آياته، فالجار والمجرور متعلق بتستكبرون، وهو راجع لقوله ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله، ففيه لف ونشر مرتب، وهذا باعتبار سبب النزول، وإلا فكل كافر يقال له ذلك عند الموت.

قوله: ﴿**وَ**﴾ (**يقال لهم**) اختلف في تعيين القائل، فقيل الله سبحانه، وقيل الملائكة ترجماناً عن الله وهذا مرتب على الخلاف هل الله يكلمهم أو لا. قوله: ﴿**فُرَادَى**﴾ جمع فرداً وفريداً وفردان بمعنى منفردين خالين عن الدنيا ومتاعها. قوله: (**حفاة عراة**) أي وذلك عند الحساب، فلا ينفي أنهم يخرجون من القبور بالأكفان، فإذا حشروا ودنت الشمس من الرؤوس تطايرت الأكفان. قوله: (**غرلاً**) بضم الغين المعجمة وسكون الراء المهملة، جمع أغرل كحمر جمع أحمر، أي غير مقطوعين القلفة.

قوله: ﴿**وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ**﴾ الجملة حالية من فاعل جئتمونا، وقوله: ﴿**وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ**﴾ متعلق بتركتم. قوله: (**أي في استحقاق عبادتكم**) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضافين. قوله: ﴿**بَيْنَكُمْ**﴾ على قراءة الرفع هو فاعل تقطع، والبين بمعنى الوصل وهو المراد هنا، ويراد منه البعد من باب تسمية الأضداد. قوله: (**وفي قراءة بالنصب**) أي وهي سبعية أيضاً، والفاعل على هذه القراءة ضمير يعود على الوصل المفهوم من قوله: ﴿**شُفَعَاءَكُمْ**﴾ و ﴿**شُرَكَاءُ**﴾ لأن بين الشفيع والمشفوع له إيصال، و ﴿**بَيْنَكُمْ**﴾ ظرف له، والتقدير تقطع الوصل فيما بينكم فقول المفسر (**أي وصلكم**) تفسير للضمير

﴿مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ﴿٩٤﴾ في الدنيا من شفاعتها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ﴾ شاق ﴿ٱلْحَبِّ﴾ عن النبات ﴿وَٱلنَّوَىٰ﴾ عن النخل ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ كالإنسان والطائر من النطفة والبيضة ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ﴾ النطفة والبيضة ﴿مِنَ ٱلْحَيِّ ذَٰلِكُمُ﴾ الفالق المخرج ﴿ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ ﴿٩٥﴾ فكيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ مصدر بمعنى الصبح أي شاق عمود الصبح وهو أول ما يبدو من نور النهار عن ظلمة الليل ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾ يسكن فيه الخلق

المستتر. قوله: **﴿مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾** ما اسم موصول فاعل **﴿ضَلَّ﴾**، وكنتم تزعمون صلته، والعائد محذوف تقديره وضل عنكم الذي كنتم تزعمونه شفيعاً ونافعاً.

قوله: **﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾** لما تقدم ذكر التوحيد، وما يتعلق به أتبعه بذكر ما يدل على ذلك، والمراد بالحب ما لا نوى له يرمى، كالقمح والشعير والفول، وبالنوى ضد الحب، كالرطب والمشمش والنبق، فانحصر ما يخرج من الأرض في هذين النوعين، وإضافة فالق للحب يحتمل أنها محضة، ففالق بمعنى فلق، فهو بمعنى الصفة المشبهة وهو الأقرب، ويحتمل أنها لفظية، والمراد فالق في الحال والاستقبال. قوله: **(شاق)** فسر الفلق بالشق لأنه المشهور في اللغة، ولأنه أقرب عبرة وأكثر فائدة، وقال ابن عباس إن فالق بمعنى خالق. قوله: **(عن النخل)** مراده به كل ما له نوى.

قوله: **﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾** يحتمل أنه خبر ثان لأن، ويحتمل أنه كلام مستأنف كالعلة لما قبله، والمراد بالحي كل ما ينمو كان ذا روح أو لا كالحيوان والنبات، وبالميت ما لا ينمو كان أصله ذا روح أم لا كالنطفة والحبة، فتسمية النبات حياً مجاز بجامع قبول الزيادة في كل. قوله: **(من النطفة والبيضة)** لف ونشر مرتب، وأدخلت الكاف جميع ما يخرج من النطفة والبيضة، فجميع الحيوانات لا تخلو عن هذين الشيئين، فجميع الطيور من البيض وما عداها من النطفة.

قوله: **﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾** إنما عبر باسم الفاعل مع العطف، إشارة إلى أنه كلام آخر معطوف فالق وليس بياناً له، وإلا لأتى بالفعل. قوله: **﴿مِنَ ٱلْحَيِّ﴾** أي كالإنسان والطائر، ويشمل عموم هذه الآية المسلم والكافر، فيخرج الحي كالمسلم من الميت كالكافر وبالعكس. قوله: **﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾** أتى بذلك وإن علم من قوله إن الله فالق لأجل الرد على من كفر بقوله **﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾**. قوله: **(فكيف تصرفون عن الإيمان)** أي لا وجه لصرفكم عن الإيمان بالله مع اعترافكم بأنه الخالق لجميع الأشياء، فهو استفهام انكاري بمعنى النفي. قوله: **(مصدر)** أي لأصبح بمعنى الدخول في الصباح وليس مراداً، بل المراد الصبح نفسه، فلذا فسره حيث أطلق المصدر وهو الإصباح، وأراد أثره وهو الصبح، والإصباح بكسر الهمزة وقرىء شذوذاً بفتحها، وعليه يكون جمع صبح نحو قفل وأقفال، وبرد وأبراد، وظاهر الآية مشكل، لأن الانفاق يكون للظلمة لا للصبح. وأجيب: بأن الكلام على حذف مضاف، والأصل فالق ظلمة الإصباح بمعنى الصبح، أو يراد فالق الإصباح بمعنى عمود الصبح، وهو الفجر الكاذب عن ظلمة الليل، ثم يعقبه الفجر الصادق، فهو فالق الإصباح الأول عن ظلمة آخر الليل، وعن بياض النهار أيضاً، ويفيد هذا المفسر أو يفسر فالق بخالق، وسماه فلقاً مشاكلة لما قبله، وكل صحيح. قوله: **(وهو أول ما يبدو من النهار)** أي وهو الفجر الكاذب. قوله: **(عن ظلمة الليل)** متعلق بشاق.

من التعب ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ بالنصب عطفاً على محل الليل ﴿حُسۡبَانٗاۚ﴾ حساباً للأوقات أو الباء محذوفة وهو حال من مقدر أي يجريان كما في آية الرحمن ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلۡعَلِيمِ﴾ ﴿٩٦﴾ بخلقه ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ﴾ في الأسفار ﴿قَدۡ فَصَّلۡنَا﴾ بينا ﴿ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ الدلالات على قدرتنا ﴿لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ ﴿٩٧﴾ يتدبرون ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم﴾ خلقكم ﴿مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ هي آدم ﴿فَمُسۡتَقَرّٞ﴾ منكم في الرحم ﴿وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ﴾ منكم في الصلب وفي قراءة بفتح القاف أي مكان قرار لكم ﴿قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ﴾ ﴿٩٨﴾ ما يقال لهم ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا﴾ فيه التفات عن الغيبة

قولنا: ﴿سَكَناً﴾ أي محل واستراحة. قوله: (**يسكن فيه الخلق**) أي جميعها حتى الهوام والمياه. قوله: (**عطفاً على محل الليل**) أي وهو النصب حسباناً معطوف على سكناً ففيه العطف على معمولي عامل واحد وهو جاعل، والتقدير: وجاعل الشمس والقمر حسباناً وذلك جائز باتفاق. قوله: ﴿**حُسْبَاناً**﴾ مصدر حسب وكذا الحسبان بكسر الحاء والحساب فله ثلاثة مصادر. قوله: (**حساباً للأوقات**) أي ضبطاً لها، أي علامة ضبط، لكن الشمس يتم دورانها في سنة والقمر في شهر، وذلك لنفع العباد دنيا وديناً، قال تعالى (وهو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب﴾. قوله: (**أو الباء محذوفة**) أي فهو منصوب بنزع الخافض. قوله: (**وهو حال من مقدر**) لو قال متعلق بقدر لكان أحسن، لأنك إذا تأملت تجد المحذوف هو الحال، على أن جاعل بمعنى خالق، وأما إن جعل بمعنى صير فهو مفعول ثان، وهو إشارة لتقدير ثان في الآية. قوله: ﴿**ٱلْعَزِيزِ**﴾ أي الغالب على أمره. قوله: ﴿**ٱلْعَلِيمِ**﴾ أي ذو العلم التام.

قوله: ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ**﴾ أي خلق، و ﴿**لَكُمُ**﴾ متعلق بجعل، و ﴿**لِتَهْتَدُوا**﴾ بدل من لكم بدل اشتمال، فلم يلزم عليه تعلق جر في جر متحدي اللفظ، والمعنى بعامل واحد، ونظيره قوله تعالى ﴿لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة﴾ فلبيوتهم بدل من لمن يكفر بإعادة العامل. قوله: ﴿**أَنْشَأَكُمْ**﴾ إنما عبر به لموافقة ما يأتي في قوله (وأنشأنا من بعدهم)، وقوله ﴿وهو الذي أنشأ جنات﴾. قوله: (**هي آدم**) أي فكل أفراد النوع الإنساني منه.

قوله: ﴿**فَمُسْتَقَرٌّ**﴾ بالكسر اسم فاعل وصف، والمعنى منكم من استقر في الرحم، وعبر في جانبه بالاستقرار، لأن زمن بقاء النطفة في الرحم أكثر من زمن بقائها في الصلب. قوله: (**وفي قراءة بفتح القاف**) أي وأما مستودع فليس فيه إلا فتح الدال، لكن على قراءة الكسر يكون معنى مستودع شيء مودوع وهو النطفة، وعلى الفتح مكان استيداع وهو الصلب. قوله: ﴿**يَفْقَهُونَ**﴾ أي يفهمون الأسرار والدقائق، وعبر هنا يفقهون إشارة إلى أن أطوار الإنسان وما احتوى عليه الإنسان أمر خفي تتحير فيه الألباب، بخلاف النجوم فأمرها ظاهر مشاهد، فعبر فيها بيعلمون.

قوله: ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِي أَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً**﴾ لما امتن سبحانه وتعالى على عباده أولاً: بالإيجاد حيث قال ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِي أَنْشَأَكُم مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾ امتن ثانياً بإنزال الماء الذي به حياة كل شيء ونفعه، وهو الرزق المشار إليه بقوله تعالى ﴿وفي السماء رزقكم﴾. قوله: (**فيه التفات**) أي ونكتته الاعتناء بشأن ذلك المخرج،

﴿ بِهِۦ ﴾ بالماء ﴿ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ينبت ﴿ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ ﴾ أي النبات شيئاً ﴿ خَضِرًا ﴾ بمعنى أخضر ﴿ نُّخْرِجُ مِنْهُ ﴾ من الخضر ﴿ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا ﴾ يركب بعضه بعضاً كسنابل الحنطة ونحوها ﴿ وَمِنَ ٱلنَّخْلِ ﴾ خبر ويبدل منه ﴿ مِن طَلْعِهَا ﴾ أول ما يخرج منها والمبتدأ ﴿ قِنْوَانٌ ﴾ عراجين ﴿ دَانِيَةٌ ﴾ قريب بعضها من بعض ﴿ وَ ﴾ أخرجنا به ﴿ جَنَّٰتٍ ﴾ بساتين ﴿ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا ﴾ ورقهما حال ﴿ وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ﴾ ثمرهما ﴿ ٱنظُرُوٓاْ ﴾ يا مخاطبين نظر اعتبار ﴿ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ ﴾ بفتح الثاء والميم وبضمهما وهو جمع ثمرة كشجرة وشجر وخشبة وخشب ﴿ إِذَآ أَثْمَرَ ﴾ أول ما يبدو كيف هو ﴿ وَ ﴾ إلى ﴿ يَنْعِهِۦٓ ﴾ نضجه إذا أدرك كيف يعود ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَأَيَٰتٍ ﴾ دلالات على قدرته تعالى

إشارة إلى أن نعمه عظيمة. قوله: ﴿بِهِ﴾ الباء للسببية. قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ بيان لما أجمل أو لا. قوله: ﴿خَضِراً﴾ يقال خضر الشيء فهو خضر وأخضر، كعور فهو عور وأعور، وقدر المفسر **(شيئاً)** إشارة إلى أن خضراً صفة لموصوف محذوف.

قوله: ﴿وَمِنَ النَّخْلِ﴾ شروع في تفصيل حال الشجر، بعد ذكر عموم النبات، لمزيد الرغبة فيه. قوله: **(ويبدل منه)** أي بدل بعض من كل. قوله: **(أول ما يخرج منها)** أي قبل انفلاق الكيزان عنه، فإذا انفلقت عنه سمي عذقاً. قوله: ﴿قِنْوَانٌ﴾ جمع قنو كصنو وصنوان، وهذا الجمع يلتبس بالمثنى دون حالة الوقت، ويتميز المثنى بكسر نونه، والجمع بتوارد حركات الإعراب عليه وبالإضافة، فتحذف نون المثنى دون الجمع، فنقول هذا قنواك، وفي الجمع هذه قنوانك، وبالنسب فإذا نسبت إلى المثنى رددته إلى المفرد فقلت قنوي، وإذا نسبت إلى الجمع أبقيته على حاله فقلت قنواني. قوله: **(عراجين)** جمع عرجون قيل هي الشماريخ، وقيل هي السائط، ولا شك أن الشماريخ قريب بعضها من بعض، والسبائط كذلك، واعلم أن أطوار النخل سبع كالإنسان، يجمعها قولك طاب زبرت، فأولها الطلع، ثم الاغريض، ثم البلح، ثم الزهو، ثم البسر، ثم الرطب، ثم التمر، وفي الحديث «أكرموا عمتكم النخلة» ولهذه الأمور قدم على ما بعده.

قوله: ﴿وَجَنَّاتٍ﴾ معطوف على نبات، من عطف الخاص على العام، والنكتة مزيد الشرف لكونها من أعظم النعم، وكذا قوله: ﴿الزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ﴾ معطوفان على النبات. ويكون قوله: ﴿وَمِنَ النَّخْلِ﴾ الخ معترضاً بين المعطوف والمعطوف عليه اعتناء بشأن النخل لعظم منته، ويصح عطف جنات على خضر، وهذا على قراءة الجمهور، وقرى شذوذاً برفع جنات والزيتون والرمان، وخرج على أنه مبتدأ، والخبر محذوف تقديره ومن الكرم جنات. قوله: ﴿مُشْتَبِهاً﴾ يقال مشتبه ومتشابه بمعنى. قوله: **(نظر اعتبار)** أي تفكروا في مصنوعاته لتعلموا أن ربكم هو القادر المريد لما يشاء، فتفردوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئاً. قوله: **(وهو جمع ثمرة)** أي المفتوح والمضموم، وقوله: **(كشجرة وشجر)** راجع للمفتوح، وقوله: **(وخشبة وخشب)** راجع للمضموم، فهو لف ونشر مرتب. قوله: ﴿وَيَنْعِهِ﴾ مصدر ينع بكسر النون يينع بفتحها كتعب يتعب ويصح العكس، وقرىء بضم الياء، والمعنى تفكروا وتأملوا ابتداء الثمر، حيث يكون بعضه مراً وبعضه ملحاً لا ينتفع بشيء منه، وانتهاؤه إذا نضج فإنه يعود حلواً تسقى بماء واحد، ونفضل بعضها على بعض في الأكل.

على البعث وغيره ﴿لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ (٩٩) خصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها في الايمان بخلاف الكافرين ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ﴾ مفعول ثان ﴿شُرَكَآءَ﴾ مفعول أول ويبدل منه ﴿ٱلۡجِنَّ﴾ حيث أطاعوهم في عبادة الأوثان ﴿وَ﴾ قد ﴿خَلَقَهُمۡۖ﴾ فكيف يكونون شركاءه ﴿وَخَرَقُواْ﴾ بالتخفيف والتشديد أي اختلقوا ﴿لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ﴾ حيث قالوا عزير ابن الله والملائكة بنات الله ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهاً له ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١٠٠) بأن له ولداً هو ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ مبدعهما من غير مثال سبق ﴿أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ﴾ زوجة ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ﴾ من شأنه أن يخلق ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ (١٠١) ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾

قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ﴾ الإشارة إلى جميع ما تقدم من قوله ﴿إن الله فالق الحب والنوى﴾ إلى هنا. قوله: (**لأنهم المنتفعون بها**) أشار بذلك إلى أن ظهور الأدلة لا تفيد ولا تنفع، إلا إذا كان العبد مؤمناً، وأما من سبق له الكفر، فلا تنفعه الآيات ولا يهتدي بها. قوله: ﴿**وَجَعَلُوا**﴾ الضمير لعبدة الأصنام، وهذا إشارة إلى أنهم قابلوا نعم الله العظيمة بالإشراك. قوله: (**مفعول ثان**) هذه طريقة في الإعراب، وهناك طريقة أخرى وهي أن ﴿لِلَّهِ﴾ متعلق بمحذوف حال، والجن مفعول أول مؤخر، و (**شركاء**) مفعول ثان مقدم. قوله: ﴿**الْجِنَّ**﴾ قيل المراد بهم الشياطين، وإلى هذا يشير المفسر بقوله: (**حيث أطاعوهم الخ**). وقيل المراد بهم نوع من الملائكة كانوا يعبدونهم، لاعتقادهم أنهن بنات الله.

قوله: ﴿**وَخَلَقَهُمْ**﴾ الضمير يصح أن يكون عائداً على الجن، وعليها المفسر، ويصح أن يعود على الجميع، والجملة حال من الجن، ولذا قدر المفسر (**قد**). قوله: ﴿**وَخَرَقُوا**﴾ الضمير عائد على اليهود والنصارى ومشركي العرب، فاليهود والنصارى نسبوا له البنين، ومشركو العرب نسبوا له البنات، فالكلام على التوزيع. قوله: (**اختلفوا**) يقال اختلق وخلق وخرق وافترى وافتعل وخرص بمعنى كذب، وقرىء شذوذاً بالحاء المهملة والفاء من التحريف وهو التزوير لأن المحرف مزور مغير للحق بالباطل. قوله: (**حيث قالوا عزير ابن الله**) كان عليه أن يقول والمسيح ابن الله ليكون قد جمع مقالة الفرق الثلاثة، فاليهود قالوا عزير ابن الله، والنصارى قالوا المسيح ابن الله، والمشركون قالوا الملائكة بنات الله. قوله: ﴿**بَدِيعُ السَّمٰوَاتِ**﴾ خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هو.

قوله: ﴿**أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ**﴾ أنى منصوبة على التشبيه بالحال، وله خبر يكون مقدم وولد اسمها مؤخر، ويصح أن تكون تامة وولد فاعلها، والمعنى: كيف يوجد له ولد، والحال أنه لم تكن له صاحبة، مع كونه الخالق لكل شيء. قوله: (**من شأنه أن يخلق**) دفع بذلك ما يقال إن من جملة الشيء ذاته وصفاته، فيقتضي أنها مخلوقة مع أن ذلك مستحيل. فأجاب المفسر: بأن ذلك عام مخصوص بما من شأنه أن يخلق، وهو ما عدا ذاته وصفاته. قوله: ﴿**ذٰلِكُمُ**﴾ مبتدأ، و ﴿**اللهُ**﴾ خبر أول، و ﴿**رَبُّكُمْ**﴾ خبر ثان، و ﴿**لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ**﴾ خبر ثالث، و ﴿**خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ خبر رابع، وقوله: ﴿**فَاعْبُدُوهُ**﴾ مفرع على ما ذكر من هذه الأوصاف، فالمعنى أن المتصف بالألوهية، الخالق لكل شيء، هو أحق بالعبادة وحده. فقوله: ﴿**خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ توطئة لقوله: ﴿**فَاعْبُدُوهُ**﴾. وأما قوله: ﴿**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ فهو رد لما زعموه من

وحدوه ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ حفيظ ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أي لا تراه وهذا مخصوص لرؤية المؤمنين له في الآخرة لقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة وحديث الشيخين إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر وقيل المراد لا تحيط به ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ أي يراها ولا تراه ولا يجوز في غيره أو يدرك البصر وهو لا يدركه أو يحيط به علماً ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾ بأوليائه

الولد له سبحانه وتعالى. قوله: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ أي متصرف في خلقه ومتولي أمورهم، فالواجب قصر العبادة عليه، وتفويض الأمور إليه.

قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ جمع بصر وهو حاسة النظر، أي القوة الباصرة، ويطلق على العين نفسها من إطلاق الحال وإرادة المحل. قوله: **(وهذا مخصوص)** أي نفي الرؤية عام مخصوص برؤية المؤمنين ربهم في الآخرة، لأن الفعل إذا دخل عليه النفي يكون من قبيل العام. قوله: **(لرؤية المؤمنين)** علة لقوله مخصوص، وقوله: **(لقوله تعالى)** علة للعلة. قوله: **(ناصرة)** أي قامت بها النضارة، وهي البهجة والحسن، وقوله: **(ناظرة)** أي باصرة للذات المقدس. قوله: **(ليلة البدر)** أي ليلة أربعة عشر. قوله: **(وقيل المراد الخ)** أي وعلى هذا فالنفي باق على عمومه فلا يحيط به بصر أحد أبداً، لا في الدنيا ولا في الآخرة، فلا ينافي أن المؤمنين يرونه في الآخرة، لكن بلا كيف ولا انحصار لوجود أدلة عقلية ونقلية، أما النقلية فالكتاب والسنة والإجماع، والعقلية منها أن الله علق رؤيته على استقرار الجبل وهو جائز، والمعلق على الجائز جائز، ومنها لو كانت الرؤية ممتنعة لما سألها موسى عليه السلام، إذ لا يجوز على النبي سؤال المحال إذ هو جهل، ويستحيل على النبي الجهل، ومنها أن يقال الله موجود، فكل موجود يصح أن يرى، فالله يصح أن يرى، خلافاً للمعتزلة والمرجئة والخوارج حيث أحالوا الرؤية، مستدلين بظاهر هذه الآية وبقولهم إن الرؤية تستلزم المقابلة واتصال أشعة بصر الرائي بالمرئي، فيلزم أن يكون المرئي جسماً، وتعالى الله عن الجسمية، ورد كلامهم بما علمت، وبأن هذا التلازم عادي لا عقلي، ويجوز تخلف العادة. قوله: **(لا تحيط به)** أي لا تبلغ كنه حقيقة ذاته وصفاته أبصار ولا بصائر.

قوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ فيه تفسيران أيضاً، الأول يراها، والثاني يحيط بها على أسلوب ما تقدم. قوله: **(ولا يجوز في غيره الخ)** أي لأن رؤية كل منهما لصاحبه غير مستحيلة، وما جاز على أحد المثلين يجوز على الآخر. قوله: **(أو يحيط به علماً)** هذا هو التفسير الثاني. قوله: ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ من لطف بمعنى احتجب، فلا يحيط به بصر ولا بصيرة، فقوله راجع لقوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾، وقوله: ﴿الْخَبِيرُ﴾ راجع لقوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ فهو لف ونشر مرتب، وهذا هو المناسب هنا، فقول المفسر **(بأوليائه)** يقتضي أن معنى ﴿اللَّطِيفُ﴾ الرؤوف المحسن، وهو وإن كان مناسباً في نفسه، إلا أنه غير ملائم هنا. فتحصل مما تقدم أن الرؤية بالبصر في الآخرة للمؤمنين، وقع فيها خلاف بين المعتزلة وأهل السنة، وتقدم أن الحق مذهب أهل السنة، وأما رؤية قلوب العارفين له في الدنيا بمعنى شهود القلب له في كل شيء فهو جائز، بل هو مطلبهم وغاية مقصودهم ومناهم قال العارف:

أنلنا مع الأحباب رؤيتك التي   إليها قلوب الأولياء تسارع

﴿ ٱلْخَبِيرُ ﴾ ﴿١٠٣﴾ بهم قل يا محمد ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ ﴾ حجج ﴿ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ ﴾ ها فآمن ﴿ فَلِنَفْسِهِۦ ﴾ أبصر لأن ثواب إبصاره له ﴿ وَمَنْ عَمِىَ ﴾ عنها فضل ﴿ فَعَلَيْهَا ﴾ وبال إضلاله ﴿ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ ﴿١٠٤﴾ رقيب لأعمالكم إنما أنا نذير ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ كما بينا ما ذكر ﴿ نُصَرِّفُ ﴾ نبين ﴿ ٱلْءَايَٰتِ ﴾ ليعتبروا ﴿ وَلِيَقُولُواْ ﴾ أي الكفار في عاقبة الأمر ﴿ دَرَسْتَ ﴾ ذاكرت أهل الكتاب وفي قراءة درست أي كتب الماضين وجئت بهذا منها ﴿ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿١٠٥﴾ ﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ أي القرآن ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿١٠٦﴾ ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ

وكذا رؤياه في المنام. قوله: ﴿بَصَائِرُ﴾ جمع بصيرة وهي النور الباطني الذي ينشأ عنه العلوم والمعارف. قوله: (**حجج**) جمع حجة وهي الأدلة، وسميت الحجج بصائر، لأنها تنشأ عنها من باب تسمية المسبب باسم السبب. قوله: ﴿**فَمَنْ أَبْصَرَ**﴾ (**ها**) قدر المفسر الضمير إشارة إلى أن المفعول محذوف. قوله: ﴿**فَلِنَفْسِهِ**﴾ (**أبصر**) قدر المفسر متعلق الجار والمجرور فعلاً ماضياً مؤخراً، وهو غير مناسب للزوم زيادة الفاء، بل المناسب تقديره اسماً مبتدأ، والجار والمجرور خبره، والتقدير فابصاره لنفسه، وكذا يقال في قوله: ﴿**وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا**﴾. قوله: (**لأن ثواب إبصاره**) أي نفعه فلا يعود على الله من الطاعة نفع، ولا يصل له من المعصية ضر. قوله: ﴿**وَمَنْ عَمِيَ**﴾ (**عنها**) أي عن البصائر بمعنى الحجج.

قوله: ﴿**وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ**﴾ الكاف في محل نصب نعت لمصدر محذوف تقديره نصرف الآيات في غير هذه السور تصريفاً، مثل التصريف في هذه السورة. قوله: (**كما بينا ما ذكر**) أي الأحكام المذكورة. قوله: (**نبين**) ﴿**الآيَاتِ**﴾ هذا وعد من الله بإكمال الدين وإظهاره، فلذا كان نزول قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ من مبشرات الوفاء لرسول الله. قوله: (**ليعتبروا**) أي لتقوم بهم العبرة أي الاتعاظ، فيميزوا الحق من الباطل، وقدره المفسر لعطف قوله: ﴿**وَلِيَقُولُوا**﴾ عليه. قوله: (**في عاقبة الأمر**) أشار بذلك إلى أن اللام في ﴿**وَلِيَقُولُوا**﴾ لام العاقبة والصيرورة نظير قوله تعالى: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً﴾، وقيل إن اللام للعلة حقيقة، والمعنى نصرف الآيات ليعتبر الذين آمنوا ويزدادوا بها إيماناً، وليقول الذين كفروا درست ليزدادوا كفراً، ونظيره قوله تعالى: ﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم﴾. قوله: ﴿**دَارَسْتَ**﴾ كقاتلت، من المدارسة، والمعنى تذاكرت مع أهل الكتاب فتعلمت منهم تلك القصص. قوله: (**وفي قراءة درست**) أي قرأت الكتب، وبقي قراءة ثالثة سبعية أيضاً: وهي درست بفتح الدال والراء والسين، أي عفت وبليت وتكررت على الأسماع. قوله: (**وجئت بهذا منها**) راجع لكل من القراءتين.

قوله: ﴿**وَلِنُبَيِّنَهُ**﴾ أي الآيات، وذكر باعتبار معناها وهو القرآن. قوله: ﴿**اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ**﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى قبائح المشركين وتكذيبهم لرسول الله، أخذ يسلي رسوله بقوله: اتبع، أي دم على ذلك، ولا تبال بكفرهم، ولا تلتفت لقولهم، وما اسم موصول، والعائد محذوف، ونائب فاعل أوحي ضمير مستتر عائد على ما، وإليك متعلق بأوحي، ومن ربك متعلق بمحذوف حال، ومن لابتداء الغاية، والتقدير اتبع الذي أوحي إليك هو أي القرآن، حال كونه ناشئاً وصادراً من ربك، ويصح أن تكون

﴿ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ رقيباً فنجازيهم بأعمالهم ﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ ﴿١٠٧﴾ فتجبرهم على الإيمان وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾ ـهم ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي الأصنام ﴿ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا ﴾ اعتداء وظلماً ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ أي جهلاً منهم بالله ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ كما زينا لهؤلاء ما

مصدرية، ونائب الفاعل هو الجار والمجرور، والتقدير اتبع الإيحاء الجائي إليك من ربك.

قوله: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه لتأكيد التوحيد. قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي لا تتعرض لهم ولا تقاتلهم، وهذا على أنها منسوخة كما يأتي للمفسر، وقيل إن الآية محكمة، والمعنى لا تلتفت إلى رأيهم، ولا تغتظ من أقوالهم وإشراكهم، لأن ذلك بمشيئة الله، ومثل ذلك يقال: إذا أجمع خلق على ضلالة لا يستطاع ردها، ففي الحديث «إذا رأيتم الأمر لا تستطيعون رده فاصبروا حتى يكون الله هو الذي يغيره». قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ﴾ مفعول ثان محذوف تقديره عدم إشراكهم. قوله: ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ تأكيد لما قبله، أي لست حفيظاً مراقباً لهم فتجبرهم على الإيمان. قوله: (**وهذا قبل الأمر بالقتال**) أشار بذلك إلى أن الآية منسوخة، واسم الإشارة عائد على قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ الخ.

قوله: ﴿وَلَا تَسُبُّوا ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ سبب نزولها أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وإنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ كثر سب المسلمين للأصنام، فتحزب المشركون على كونهم يسبون الله نظير سب المسلمين لأصنامهم، فنزلت الآية، وقيل: إن أبا طالب حضرته الوفاة، فقالت قريش انطلقوا بنا لندخل على هذا الرجل، فلنأمره أن ينهى عنا ابن أخيه، فإنا نستحي أن نقتله بعد موته فتقول العرب كان عمه يمنعه، فلما مات قتلوه. فانطلق أبو سفيان، وأبو جهل، والنضر بن الحرث، وأمية وأبي ابنا خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعمرو بن العاص، والأسود بن أبي البحتري، إلى أبي طالب، فقالوا: يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا، وإن محمداً قد آذانا وآذى آلهتنا، فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا، وندعه وإلهه، فدعاه فجاء النبي ﷺ فقال له أبو طالب: إن هؤلاء قومك وبنو عمك، فقال رسول الله ﷺ: وما يريدون؟ قالوا: نريد أن تدعنا وآلهتنا، وندعك وإلهك، فقال له أبو طالب: قد أنصفك قومك فاقبل منهم، فقال النبي: أرأيتم إن أعطيتم هذا، فهل أنتم معطي كلمة، إن تكلمتم بها ملكتم العرب، ودانت لكم العجم، وأدت لكم الخراج؟ قال أبو جهل: نعم وأبيك لنعطينكها وعشرة أمثالها فما هي؟ فقال: قولوا لا إله إلا الله، فأبوا ونفروا، فقال أبو طالب قل غيرها يا ابن أخي، فقال: يا عم ما أنا بالذي أقول غيرها، ولو أتوني بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها، فقالوا لتكفن عن شتمك آلهتنا أو نسبن من يأمرك فنزلت. قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ أي يعبدون، وقدر المفسر الضمير إشارة إلى أن مفعول يدعون محذوف. قوله: ﴿فَيَسُبُّوا ٱللَّهَ﴾ أي فيترتب على ذلك سب الله فسب الأصنام وإن كان جائزاً، إلا أنه عرض له النهي بسبب ما ترتب عليه من سب الله، ففي الحقيقة النهي عن سب الله. قوله: (**اعتداء**) أشار بذلك إلى أن ﴿عَدْواً﴾ مصدر، ويصح أن يكون حالاً مؤكدة، لأن السب لا يكون إلا عدواناً. قوله: (**أي جهلاً منهم بالله**) أي بما يجب في حقه.

هم عليه ﴿ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴾ من الخير والشر فأتوه ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ ﴾ في الآخرة ﴿ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٠٨﴾ فيجازيهم به ﴿ وَأَقْسَمُوا ﴾ أي كفار مكة ﴿ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ أي غاية اجتهادهم فيها ﴿ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ ﴾ مما اقترحوا ﴿ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ ﴾ لهم ﴿ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ ﴾ ينزلها كما يشاء وإنما أنا نذير ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ ﴾ يدريكم بإيمانهم إذا جاءت أي أنتم لا تدرون ذلك ﴿ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿١٠٩﴾ لما سبق في علمي وفي قراءة بالتاء خطاباً للكفار وفي أخرى بفتح أن بمعنى لعل أو معمولة لما قبلها ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ ﴾ نحول قلوبهم عن الحق فلا يفهمونه

قوله: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا﴾ نعت لمصدر محذوف، أي زينا لهؤلاء أعمالهم تزييناً مثل تزييننا لكل أمة عملهم. قوله: **(من الخير والشر)** أشار بذلك إلى أن الآية رد على المعتزلة الزاعمين أن الله لا يريد الشرور ولا القبائح. قوله: **﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ﴾** مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله: **(فأتوه)**.

قوله: ﴿وَأَقْسَمُوا﴾ أي حلفوا. قوله: **(غاية اجتهادهم)** أي لأنهم كانوا يحلفون بآبائهم وآلهتهم، فإذا أرادون تغليظ اليمين حلفوا بالله. قوله: **﴿لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾** حكاية عنهم، وإلا فلفظهم لئن جاءتنا آية. قوله: **(مما اقترحوا)** أي طلبوا، وذلك أن قريشاً قالوا: يا محمد إنك تخبرنا أن موسى كان له عصا يضرب بها الحجر، فتنفجر منه اثنتا عشرة عيناً، وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى، فائتنا بآية حتى نصدقك ونؤمن بك، فقال رسول الله: أي شيء تحبون: قالوا تجعل لنا الصفا ذهباً، وابعث لنا بعض موتانا نسأله عنك، أحق ما تقول أم باطل؟ وأرنا الملائكة يشهدون لك، فقال رسول الله: إنْ فعلت ما تقولون تصدقونني؟ قالوا: نعم والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعين، وسأل المسلمون رسول الله أن ينزلها عليهم حتى يرضوا، فقام رسول الله يدعو أن يجعل الصفا ذهباً فقال جبريل: لك ما شئت إنْ شئت يصبح ذهباً، ولكن إن لم يصدقوك لنعذبنهم، وإن شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم، فقال رسول الله ﷺ بل يتوب تائبهم، فنزلت الآية.

قوله: **﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهَا﴾** جواب القسم، وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه. قوله: **﴿قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللهِ﴾** أي لا عندي، فالقادر على إنزالها هو الله، وينزلها على حسب ما يريد. قوله: **﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾** ما اسم استفهام مبتدأ، وجملة يشعر خبرها، والكاف مفعول أول، والثاني محذوف قدره المفسر بقوله: **﴿بإيمانهم﴾** والخطاب للمؤمنين، أي وما يعلمكم أيها المؤمنون بإيمانهم، وقوله: **﴿أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ﴾** بكسر استئناف مسوق لقطع طمع المؤمنين من إيمان المشركين، وتكذيب للمشركين في حلفهم. قوله: **(أي أنتم لا تدرون)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: **(وفي قراءة بالتاء)** ظاهره أن هذه القراءة مع كسر إن وليس كذلك بل هي مع الفتح، فالمناسب تأخيرها عن قوله: **(وفي أخرى بفتح أن)**، فالقراءات ثلاث: الكسر مع الياء لا غير، والفتح إما مع الياء أو التاء. قوله: **(بمعنى لعل)** أي ومجيء أي بمعنى لعل كثير شائع في كلام العرب، والترجي في كلام الله مثل التحقيق، فهي مساوية لقراءة الكسر. قوله: **(أو معمولة لما قبلها)** أي على أنها المفعول الثاني، ولا إما صلة أو داخلة على محذوف، والتقدير إذا جاءت لا تعلمون أنهم يؤمنون أو المقابل محذوف، والتقدير إذا جاءت لا يؤمنون أو يؤمنون، وهو إخبار عن الكفار عن قراءة الياء،

﴿وَأَبْصَـٰرَهُمْ﴾ عنه فلا يبصرونه فلا يؤمنون ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ﴾ أي بما أنزل من الآيات ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ﴾ نتركهم ﴿فِى طُغْيَـٰنِهِمْ﴾ ضلالهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ ﴿١١٠﴾ يترددون متحيرين ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ كما اقترحوا ﴿وَحَشَرْنَا﴾ جمعنا ﴿عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا﴾ بضمتين جمع قبيل أي فوجاً فوجاً وبكسر القاف وفتح الباء أي معاينة فشهدوا بصدقك ﴿مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ﴾ لما سبق في علم الله ﴿إِلَّآ﴾ لكن ﴿أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ إيمانهم فيؤمنون ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ ﴿١١١﴾ ذلك ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا﴾ كما جعلنا هؤلاء أعداءك ويبدل منه ﴿شَيَـٰطِينَ﴾ مردة

وخطاب لهم على قراءة التاء.

قوله: ﴿**وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ**﴾ باستئناف مسوق لبيان أن خالق الهدى والضلال هو الله لا غيره، فمن أراد له الهدى حول قلبه له، ومن أراد الله شقاوته حول قلبه لها. قوله: ﴿**كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ**﴾ مرتبط بمحذوف قدره المفسر بقوله فلا يؤمنون، والمعنى تحول قلوبهم عن الإيمان ثانياً، كما حولناها أولاً عند نزول الآيات لو نزلت، أي فهم لا يؤمنون على كل حال. قوله: ﴿**نَذَرُهُمْ**﴾ عطف على لا يؤمنون. قوله: ﴿**يَعْمَهُونَ**﴾ إما حال أو مفعول ثان، لأن الترك بمعنى التصيير، وعمه من باب تعب إذا ترددت متحيراً، مأخوذ من قولهم أرض عمهاء، إذا لم يكن فيها أمارات تدل على النجاة.

قوله: ﴿**وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا**﴾ هذه زيادة في الرد عليهم، وتفصيل ما أجمل في قوله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون. قوله: (**كما اقترحوا**) أي طلبوا بقولهم: لولا أنزل علينا الملائكة، وقولهم: فاتوا بآياتنا قوله: ﴿**كُلَّ شَيْءٍ**﴾ أي من أصناف المخلوقات، كالوحوش والطيور. قوله: (**بضمتين جمع قبيل**) أي كنصيب ونصب، وقضيب وقضب. قوله: (**أي فوجاً فوجاً**) تفسير لقبيل، وأما قبلاً فمعناه أفواجاً أفواجاً، وعلى هذه القراءة فنصب قبلاً على الحال. قوله: (**وبكسر القاف وفتح الباء**) أي وهي سبعية أيضاً. قوله: (**أي معاينة**) أي فيقال فلان قبل فلان، أي مواجهه ومعاينه وهو مصدر منصوب على الحال، أي معاينين ومشافهين لكل شيء، وصاحب الحال الهاء في عليهم.

قوله: ﴿**مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا**﴾ جواب لو، واللام في ليؤمنوا لام الجحود، ويؤمنوا منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد لام الجهود، وخبر كان محذوف تقديره ما كانوا أهلاً للإيمان. قوله: ﴿**إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ**﴾ قدر المفسر (**لكن**) إشارة إلى أن الاستثناء منقطع كما هو عادته، وذلك لأن المشيئة ليست من جنس إرادتهم، وقال بعضهم: إن الاستثناء متصل، والمعنى ما كانوا ليؤمنوا في حال من الأحوال، إلا في حال مشيئة الله لهم بالإيمان. قوله: ﴿**يَجْهَلُونَ**﴾ (**ذلك**) أي يجهلون أن ظهور الآيات يوجب الإيمان، لو لم تصحبه مشيئة الله، وهو توبيخ لهم حيث أقسموا بالله جهد أيمانهم، أنه إذا جاءتهم الآيات يؤمنون، مع أنه سبق في علم الله شقاؤهم، ومن هنا لا ينبغي ترك المشيئة والاعتماد على الأسباب، فقد يوجد السبب ولا يوجد المسبب.

قوله: ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا**﴾ هذا تسلية لرسول الله على ما وقع منهم من العداوة، والكاف داخلة على المشبه وهي بمعنى مثل. والمعنى مثل ما جعلنا لك أعداء من قومك، جعلنا لكل نبي عدواً الخ، فتسل ولا تحزن، وجعل بمعنى صير، فتنصب مفعولين: الأول ﴿**عَدُوًّا**﴾ مؤخراً، والثاني ﴿**لِكُلِّ نَبِيٍّ**﴾ مقدم،

﴿ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي ﴾ يوسوس ﴿ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ ﴾ مموهة من الباطل ﴿ غُرُورًا ﴾ أي ليغروهم ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ أي الايحاء المذكور ﴿ فَذَرْهُمْ ﴾ دع الكفار ﴿ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ ﴿١١٢﴾ من الكفر وغيره مما زين لهم وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ ﴾ عطف على غروراً أي تميل ﴿ إِلَيْهِ ﴾ أي الزخرف ﴿ أَفْـِٔدَةُ ﴾ قلوب ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ ﴾ يكسبوا ﴿ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ ﴿١١٣﴾ من الذنوب فيعاقبوا عليه. ونزل لما طلبوا من النبي ﷺ أن يجعل بينه وبينهم حكماً قل ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي ﴾ أطلب ﴿ حَكَمًا ﴾ قاضياً بيني وبينكم

و ﴿شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ بدل، وهذا ما درج عليه المفسر، وقيل إن عدواً مفعول ثان، وشياطين مفعول أول، ولكن نبي متعلق بمحذوف حال من عدواً. قوله: ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾ أي وإن لم يكن رسولاً، ولذا ورد أن الكفار قتلوا في يوم واحد سبعين نبياً. قوله: (مردة) جمع ما رد وهو المتمرد المستعد للشر، وقدم شياطين الإنس لأنها أقوى في الإيذاء، قال ابن مالك بن دينار: إن شيطان الإنس أشد علي من شيطان الجن، وذلك إذا تعوذت بالله ذهب عني شيطان الجن، وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي. وقال الغزالي: كن من شياطين الجن في أمان، واحذر من شياطين الإنس، فإن شياطين الإنس أراحوا شياطين الجن من التعب. وهذا على أن المراد شياطين من الإنس وشياطين من الجن، وقيل إن الشياطين كلهم من إبليس، وذلك أنه فرق أولاده فرقتين. ففرقة توسوس للإنس، وتسمى شياطين الإنس، وفرقة توسوس لصلحاء الجن، وتسمى شياطين الجن، وكل صحيح.

قوله: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ﴾ أي وهو شيطان الجن، وقوله: ﴿إِلَى بَعْضٍ﴾ أي وهو شيطان الإنس، قال تعالى: ﴿كمثل الشيطان إذ قال للانسان أكفر فلما كفر قال إني بريء منك﴾. قوله: (من الباطل) بيان لزخرف القول، وأشار به إلى أن المراد بالزخرف المموه الظاهر الفاسد الباطل. قوله: (أي ليغروهم) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿غروراً﴾ مفعول لأجله. قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾ مفعول شاء محذوف تقديره عدم فعلهم.

قوله: ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ ما اسم موصول أو نكرة موصوفة، وجملة يفترون صلة أو صفة، والعائد محذوف تقديره فذرهم والذي يفترونه، أو مصدرية والتقدير فذرهم وافتراءهم. قوله: (وهذا قبل الأمر بالقتال) أي فهي منسوخة. قوله: (عطف على غروراً) أي فاللام للتعليل، وما بين الجملتين اعتراض، والتقدير يوحي بعضهم إلى بعض للغرور قوله: ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾ أي يحبوه لأنفسهم. قوله: (من الذنوب) بيان لما، وقوله: (فيعاقبوا) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، والتقدير وليقترفوا عقاب ما هم مقترفون. قوله: (لما طلبوا) ﴿أن يجعل بينه وبينهم حكماً﴾ أي من أحبار اليهود، أو من أساقفة النصارى، ليخبرهم بما في كتابهم من أوصاف النبي وأمره.

قوله: ﴿أفغير الله﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أميل لزخارفكم التي زينها الشيطان. فغير الله أبتغي حكماً، وغير مفعول لأبتغي، وحكماً حال أو تمييز، أو حكماً مفعول وغير حال، والحكم أبلغ من الحاكم لأن الحكم من تكرر منه الحكم، وأما الحاكم فيصدق ولو

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ ﴾ القرآن ﴿ مُفَصَّلًاۚ ﴾ مبيناً فيه الحق من الباطل ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَـٰهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ ﴾ التوراة كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴾ ﴿١١٤﴾ الشاكين فيه والمراد بذلك التقرير للكفار أنه حق ﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ بالأحكام والمواعيد ﴿ صِدۡقًا وَعَدۡلًاۚ ﴾ تمييز ﴿ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦۚ ﴾ بنقض أو خلف ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لما يقال ﴿ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ ﴿١١٥﴾ بما يفعل ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِى ٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي الكفار ﴿ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ دينه ﴿ إِن ﴾ ما ﴿ يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾ في مجادلتهم لك في أمر الميتة إذا قالوا ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم ﴿ وَإِنۡ ﴾ ما ﴿ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴾ ﴿١١٦﴾ يكذبون في

بمرة، أو لأن الحكم لا يجوز أصلاً، والحاكم قد يجور. قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ﴾ الجملة حالية كأنه قال: أفغير الله أطلب حكماً، والحال أن الله هو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً، فالذي يشهد لي هو القرآن، وأما الكتب القديمة فإنها وإن كانت تشهد له أيضاً، لكن لما غيروا وبدلوا، صارت غير معول عليها. قوله: **(وأصحابه)** أي ممن أسلم من علماء اليهود.

قوله: ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّه﴾ أي الكتاب. قوله: **(بالتخفيف والتشديد)** أي فهما قراءتان سبعيتان، قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ متعلق بمحذوف حال، والتقدير أنه منزل من ربك حال كونه متلبساً بالحق. قوله: **(والمراد بذلك التقرير الخ)** دفع بذلك ما يقال إن الشك مستحيل على النبي، فكيف ينهى عما يستحيل وصفه به، فأجاب بما ذكر، وأجيب أيضاً بأنه من باب التعريض للكفار بأنهم هم الممترون، فالخطاب له والمراد غيره.

قوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾ أي القرآن وفيها قراءتان: الجمع والإفراد، فالجمع ظاهر، والإفراد على إرادة الجنس والماهية، وترسم بالتاء المجرورة على كل من القراءتين، وهكذا كل ما قرىء بالجمع والإفراد إلا موضعين: أحدهما في يونس في قوله تعالى: ﴿وإن الذين حقت عليهم كلمة ربك﴾ وثانيهما في غافر في قوله تعالى: ﴿وكذلك حقت كلمة ربك﴾ فاختلف فيها المصاحف، فبعضهم بالتاء المجرورة، وبعضهم بالتاء المربوطة. قوله: **(بالأحكام والمواعيد)** راجع لقوله: ﴿صِدْقاً وَعَدْلاً﴾ على سبيل اللف والنشر المشوش، ولو أخره لكان أحسن، والمعنى: تمت كلمات ربك من جهة الصدق، كالأخبار والمواعيد، والعدل كالأحكام فلا جور فيها، وهذا إخبار من الله بحفظ القرآن من التغيير والتبديل، كما وقع في الكتب المتقدمة، وذلك سر قوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ وقوله تعالى: ﴿وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث﴾. قوله: **(تمييز)** أي على التوزيع، أي صدقاً في مواعيده وعدلاً في أحكامه، ويصح أن يكون حالاً من ربك، ويؤول المصدر باسم الفاعل، أي حال كونه صادقاً وعادلاً.

قوله: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ هذا كالتوكيد لقوله: ﴿تَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾، وقوله: **(بنقض أو خلف)** راجع لقوله: ﴿صِدْقاً وَعَدْلاً﴾ على سبيل اللف والنشر المرتب. قوله: **(أي الكفار)** تفسير للأكثر. قوله: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ﴾ قدر المفسر ما إشارة إلى أن إن نافية بمعنى ما. قوله: **(إذ قالوا الخ)** إشارة لسبب نزول هذه الآية وما بعدها، وذلك أن المشركين قالوا للنبي: أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها؟ فقال:

ذلك ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ ﴾ أي عالم ﴿ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ ﴿١١٧﴾ فيجازي كلا منهم ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ أي ذبح على اسمه ﴿ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿١١٨﴾ ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ من الذبائح ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ ﴾ بالبناء للمفعول وللفاعل في الفعلين ﴿ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ في آية حرمت عليكم الميتة ﴿ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ منه فهو أيضاً حلال لكم المعنى لا مانع لكم من أكل ما ذكر وقد بين لكم المحرم أكله وهذا ليس منه ﴿وَإِنَّ

الله قتلها. قالوا: أنت تزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال، وما قتلها الكلب والصقر حلال، وما قتله الله حرام، فكيف تدعون أنكم تعبدون الله ولا تأكلون ما قتله ربكم؟ فما قتله الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم أنتم. قوله: ﴿إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ الخرص في الأصل الحزر والتخمين، ومنه خرص النخلة، وقوله: (**يكذبون**) سمى الخرص كذباً لأن فيه تتبع الظنون الكاذبة. قوله: (**في ذلك**) أي في قولهم ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم. قوله: (**أي عالم**) دفع بذلك ما يقال إن أفعل التفضيل بعض ما يضاف إليه، فأجاب: بأن اسم التفضيل مؤول اسم الفاعل. وأجيب أيضاً: بأن قوله: ﴿مَنْ يَضِلُّ﴾ مفعول لمحذوف تقديره يعلم من يضل، أو منصوب بنزع الخافض، والتقدير بمن **يضل** يدل عليه قوله بعد ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

قوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ﴾ هذا رد لقولهم المتقدم، فإن الميتة لم يذكر عليها اسم الله، فعند مالك الوجوب مع الذكر، وعند الشافعي السنية، والمراد بذكر اسم الله هنا، عدم ذكر اسم غيره كالأصنام، ليدخل ما إذا نسي التسمية فإنها تؤكل، وسيأتي إيضاح ذلك. قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا﴾ هذا تأكيد لإباحة ما ذبح على اسم الله، وما اسم استفهام مبتدأ، ولكم خبره، والتقدير أي شيء ثبت لكم في عدم أكلكم الخ.

قوله: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ﴾ أي بين وميز، والواو للحال. قوله: (**بالبناء للمفعول وللفاعل**) أي فهما قراءتان سبعيتان، وبقي ثالثة، وهي بناء الأول للفاعل، والثاني للمفعول. قوله: (**في الفعلين**) أي **فصل** وحرم. قوله: (**في آية حرمت عليكم الميتة**) أي التي ذكرت في المائدة، وفي المقام إشكال أورده فخر الدين الرازي، وهو أن سورة الأنعام مكية، وسورة المائدة مدنية، من آخر القرآن نزولاً بالمدينة. وأجيب: بأن الله علم أن سورة المائدة متقدمة على سورة الأنعام في الترتيب لا في النزول، فبهذا الاعتبار حسنت الحوالة عليها لسبقية علم الله بذلك، وقال بعضهم: الأولى أن يقال وقد فصل لكم الخ أي في قوله: ﴿قل لا أجد فيما أوحي إلي محرماً﴾ الآية، وهذه وإن كانت مذكورة بعد، إلا أنه لا يمنع الاستدلال بها للاتحاد في وقت النزول.

قوله: ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ استثناء منقطع، لأن ما اضطر إليه ليس داخلاً في المحرم. قوله: (**فهو أيضاً حلال لكم**) أي وهل يشبع ويتزود منها، ويقتصر على ما يسد الرمق، خلال بين العلماء. قوله: (**المعنى لا مانع الخ**) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري. قوله: (**وهذا ليس منه**) أي من المحرم، وأما ما لم ينص على حرمته ولا حله من قبيل الحل، لأنه ذكر أشياء واستثنى الحرام منها، فالحرام معدود معروف، فمثل القهوة والدخان غير محرم، إلا أن يطرأ له ما يحرمه، كالاسراف وتغييب العقل. وحاصل

كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ﴾ بفتح الياء وضمها ﴿بِأَهْوَآئِهِم﴾ بما تهواه أنفسهم من تحليل الميتة وغيرها ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يعتمدونه في ذلك ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ ﴿١١٩﴾ المتجاوزين الحلال إلى الحرام ﴿وَذَرُوا﴾ اتركوا ﴿ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ علانيته وسره والإثم قيل الزنا وقيل كل معصية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ﴾ في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ ﴿١٢٠﴾ يكتسبون ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ بأن مات أو ذبح على اسم غيره وإلا فما ذبحه المسلم ولم يسم فيه عمداً أو

ذلك أن يقال: إن اعتاد ذلك وصار دواء فهو جائز، ولكن بقدر الضرورة، وإن كان يضر جسمه أو يسرف فيه فهو حرام، وإن اشتغل به عن عبادة مندوبة فهو مكروه، فكثرته إما حرام أو مكروه. قوله: **(بفتح الياء)** أي من ضل اللازم، بمعنى قام به الضلال في نفسه، وقوله: **(وضمها)** أي من أضل الرباعي، بمعنى أوقع غيره في الضلال. قوله: **﴿بِأَهْوَائِهِمْ﴾** الباء سببية، وفي قوله: **﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾** متعلق بمحذوف حال، والمعنى يضلون في أنفسهم، أو يوقعون غيرهم في الضلال، بسبب اتباعهم أهواءهم، ملتبسين بغير علم. قوله: **(وغيرها)** أي كالدم ولحم الخنزير، إلى آخر ما ذكر في آية المائدة. قوله: **﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾** أي فيجازيهم على اعتدائهم.

قوله: **﴿وَذَرُوا﴾** الأمر للمكلفين من الإنس والجن وهو للوجوب. قوله: **(علانيته وسره)** لف ونشر مرتب. قوله: **(قيل الزنا)** أي وكان العرب يحبونه، وكان الشريف منهم يستحي من إظهاره فيفعله سراً، وغير الشريف لا يستحي من ذلك فيظهره، فأنزل الله تحريمه ظاهراً وباطناً. قوله: **(وقيل كل معصية)** أي فالظاهر منها: كالزنا والسرقة وبقية معاصي الجوارح الظاهرية، والباطن منها: كالكبر والحقد والحسد والعجب والرياء وحب الرياسة وغير ذلك من المعاصي القلبية، وهذا التفسير هو الأقرب، وإن كان الأول موافقاً لسبب النزول، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. قوله: **﴿سَيُجْزَوْنَ﴾** **(في الآخرة)** أي بالعذاب الدائم إن كان مستحلاً، أو بالعذاب مدة، ويخرج إن لم يكن مستحلاً، ومات من غير توبة ولم يعف الله عنه، فإن تاب الكافر قبل قطعاً، وإن تاب المسلم فقيل كذلك، وقيل تقبل ظناً. إن قلت: لأي شيء اختلف في توبة المسلم دون الكافر؟ وأجيب: بأن رحمة الله سبقت غضبه، فلو جاز عدم القبول لتوبة الكافر، لكان مخلداً في النار، مع أن رحمته غلبت غضبه. وأما المؤمن فهو مقطوع له بالجنة، فلو لم يقبل توبته وعذبه، فلا بد له من الرحمة، انتهاء غاية ما هناك عذابه تطهير له.

قوله: **﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾** اختلف في تفسير هذه الآية، فقال بعض المجتهدين غير الأربعة: الآية عامة في كل شيء، فأي شيء لم يذكر اسم الله عليه لا يجوز أكله، وقال بعضهم: الآية مخصوصة بالذبيحة، فمن ترك التسمية عمداً أو نسياناً لا تؤكل ذبيحته، وقال بعضهم: إن تركها عمداً لا تؤكل، وإن تركها نسياناً أو عجزاً كخرس أكلت، وبه قال مالك وأبو حنيفة، وقال بعضهم: التسمية سنة، فإن تركها عمداً أو نسياناً أكلت، وبه قال الإمام الشافعي، وعن الإمام أحمد روايتان: الأولى يوافق فيها مالكاً، والثانية يوافق فيها الشافعي، إذا علمت ذلك فمحمل الآية ما أهل به لغير الله فقط، لأنه المفسر به الفسق فيما يأتي في قوله تعالى: ﴿أو فسقاً أهل لغير الله به﴾. وأما حكم الميتة فمعلوم من غير هذا الموضع، وحملها المفسر عليهما معاً وهما طريقتان. قوله: **(أو ذبح على اسم غيره)** أي

نسياناً فهو حلال قاله ابن عباس وعليه الشافعي ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي الأكل منه ﴿لَفِسْقٌ﴾ خروج عما يحل ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ﴾ يوسوسون ﴿إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ الكفار ﴿لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ في تحليل الميتة ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ فيه ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ ونزل في أبي جهل وغيره ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾ بالكفر ﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ بالهدى ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ يتبصر به الحق من غيره وهو الإيمان ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ﴾ مثل زائدة أي كمن هو ﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ وهو الكافر لا ﴿كَذَٰلِكَ﴾

وإن لم يذكر اسم غير الله، وأما الكتابي إذا لم يذكر اسم الله ولم يهل به لغيره، فإنها تؤكل، فإن جمع الكتابي بين اسم الله واسم غيره أكلت ذبيحته عند مالك، لأن اسم الله يعلو ولا يعلى عليه، وأما المسلم إن جمع بينهما على وجه التشريك في العبودية، فهو مرتد لا تؤكل ذبيحته. قوله: **(وعليه الشافعي)** أي فالتسمية عنده سنة. قوله: **(أي الأكل منه)** أي المفهوم من لا تأكلوا على حد ﴿أعدلوا هو الأقرب للتقوى﴾ أي العدل المفهوم من اعدلوا.

قوله: **﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ﴾** أي إبليس وجنوده من الجن. قوله: **(الكفار)** أي وهم شياطين الإنس. قوله: **﴿لِيُجَادِلُوكُم﴾** تعليل **﴿لَيُوحُونَ﴾** وذلك أن المشركين قالوا يا محمد أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها؟ فقال: الله قتلها، قال: أتزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال، وما قتله الله حرام فنزلت. قوله: **﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾** أي لأن من أحل شيئاً مما حرم الله، أو حرم شيئاً مما أحل الله فهو مشرك، لأنه أثبت حاكماً غير الله، ولا شك أنه إشراك. قوله: **(وغيره)** أي كعمر بن الخطاب أو حمزة أو عمار بن ياسر أو النبي ﷺ، ولكن العبرة بعموم اللفظ فهذا المثل للكافر والمسلم، وسبب نزولها على القول بأنها في أبي جهل وحمزة، أن أبا جهل رمى النبي ﷺ بفرث؛ فأخبر حمزة بما فعل أبو جهل، وكان حمزة قد رجع من صيد وبيده قوس، وحمزة لم يكن مؤمناً إذ ذاك، فأقبل حمزة غضبان حتى علا أبا جهل وجعل يضربه بالقوس، وجعل أبو جهل يتضرع إلى حمزة ويقول: يا أبا يعلى ألا ترى ما جاء به؟ سفه عقولنا، وسب آلهتنا، وخالف أباءنا، فقال حمزة: ومن أسفه منكم عقولاً تعبدون الحجارة من دون الله، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فأسلم حمزة يومئذ فنزلت الآية.

قوله: **﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيْتاً﴾** الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف تقديره أيستويان، ومن كان ميتاً الخ، ومن اسم شرط مبتدأ، وكان فعل الشرط واسمها مستتر، وميتاً خبرها وقوله: **﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾** جواب الشرط، وقوله: **﴿كَمَنْ مَثَلُهُ﴾** خبر المبتدأ. قوله: **(بالهدى)** أي الإيمان. قوله: **(مثل زائدة)** أي لأن المثل هو الصفة، والمستقر في الظلمات ذواتهم لا صفاتهم. قوله: **﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾** هذا إخبار من الله بعدم إيمان أبي جهل رأساً، ولكن تقدم أن العبرة بعموم اللفظ. قوله: **(لا)** أي لا يستويان، وأشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري. قوله: **(كما زين للمؤمنين الإيمان)** أي لقوله تعالى: ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم﴾. قوله: **﴿زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** أي والمزين لهم حقيقة هو الله، ويصح نسبة التزيين إلى الشياطين من حيث الإغواء والوسوسة.

قوله: **﴿وَكَذَٰلِكَ﴾** الكاف اسم بمعنى مثل، والمعنى ومثل ما جعلنا في مكة كبراءها وعظماءها المجرمين، جعلنا في كل قرية كبراءها وعظماءها مجرميها، فذلك سنة الله أنه جعل أول من يقتدي بالرسل

كما زين للمؤمنين الإيمان ﴿زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٢٢﴾ من الكفر والمعاصي ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جعلنا فساق مكة أكابرها ﴿جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا﴾ بالصد عن الإيمان ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾ لأن وباله عليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿١٢٣﴾ بذلك ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ﴾ أي أهل مكة ﴿ءَايَةٌ﴾ على صدق النبي ﷺ ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ﴾ به ﴿حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ من الرسالة والوحي إلينا لأنا أكثر مالاً وأكبر سناً قال تعالى ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ

الضعفاء والمعارضين المنكرين الكبراء، ليكون عز الرسل بربهم ظاهراً وباطناً، وكل آية وردت في ذم الكفار تجر بذيلها على عصاة المؤمنين، فإن المباشر للظلم والفجور أكابر كل قرية ومدينة كما هو مشاهد. قوله: (فساق مكة) هو معنى مجرميها، وحل المفسر يفيد أن مجرميها مفعول أول مؤخر، وأكابر مفعول ثان مقدم، وفي كل قرية ظرف لغو متعلق بجعلنا، وهو أحد أعاريب أربعة، الثاني: أن قوله في كل قرية مفعول ثان مقدم، وأكابر مفعول أول مؤخر وهو مضاف لمجرميها، وأخر المفعول الأول لأن فيه ضميراً يعود على المفعول الثاني، فلو قدم لعاد الضمير على متأخر لفظاً ورتبة، وقد أشار ابن مالك لذلك بقوله:

كذا إذا عاد عليه مضمر ... مما به عنه مبيناً يخبر

فيصير المعنى وكذلك جعلنا عظماء المجرمين كائنين في كل قرية. الثالث: أن في كل مفعول ثان، وأكابر مفعول أول، ومجرميها بدل من أكابر، ولم يضف لئلا يلزم عليه إضافة الصفة للموصوف وهو لا يجوز عند البصريين. الرابع: أن أكابر مفعول أول مضاف لمجرميها، وفي كل قرية ظرف لغو متعلق بجعلنا، والمفعول الثاني محذوف تقديره فساقاً، ورد بأن هذا التقدير لا فائدة فيه ولا محوج له، فالأحسن الثلاثة الأول. قوله: ﴿لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ اللام إما لام العاقبة والصيرورة نظير ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً﴾، أو لام العلة بمعنى الحكمة، وأما قولهم تنزه الله عن العلة، فمعناه العلة الباعثة على الفعل ليتكمل به، وأما الحكم فلا تخلو أفعال الله عنها، ﴿سبحانك ما خلقت هذا عبثاً﴾ والمكر والخديعة والحيلة والغدر والفجور وترويج الباطل، وهذه الأشياء لا تقبل عادة إلا من الكبراء. قوله: **(بالصد عن الإيمان)** أي لما ورد أن كل طريق من طرق مكة كان يجلس عليه أربعة، يصرفون الناس عن الإيمان بالنبي ﷺ، ويقولون هو كذاب ساحر كاهن. قوله: **(لأن وباله عليهم)** أي وبال مكرهم لاحق بهم، قال تعالى: ﴿ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله﴾ وقال أيضاً: ﴿سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله﴾ الآية. قوله: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ **(بذلك)** أي لم يعلموا بأن وباله عليهم.

قوله: ﴿إِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ نزلت في الوليد بن المغيرة حيث قال للنبي: لو كانت النبوة حقاً لكنت أنا أولى بها منك، لأني أكبر سناً وأكثر منك مالاً، وقيل في أبي جهل حيث قال: زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف، حتى صرنا كفرسي رهان، قالوا منا نبي يوحى إليه، والله لا نؤمن به ولا نتبعه أبداً، إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه. قوله: ﴿آيَةٌ﴾ أي معجزة، كانشقاق القمر، وحنين الجذع، ونبع الماء. قوله: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ﴾ أي نصدق برسالته. قوله: ﴿مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ قال بعضهم: يسن الوقف عليه هنا، ويستجاب الدعاء بين هاتين الجلالتين، وذكر بعضهم له دعاء مخصوصاً وهو: اللهم من الذي دعاك فلم تجبه، ومن الذي استجارك فلم تجره، ومن الذي سألك فلم تعطه، ومن الذي استعان بك فلم تعنه،

رِسَالَتَهُۥ﴾ بالجمع والإفراد وحيث مفعول به لفعل دل عليه أعلم أي يعلم الموضع الصالح لوضعها فيه فيضعها وهؤلاء ليسوا أهلاً لها ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ﴾ بقولهم ذلك ﴿صَغَارٌ﴾ ذل ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ أي بسبب مكرهم ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ بأن يقذف في قلبه نوراً فينفسح له ويقبله كما ورد في حديث ﴿وَمَن يُرِدْ﴾ الله

ومن الذي توكل عليك فلم تكفه، يا غوثاه يا غوثاه يا غوثاه، بك أستغيث، أغثني يا مغيث، واهـدني هدايـة من عندك، واقض حوائجنا، واشف مرضانا، واقض ديوننا، واغفر لنا ولآبائنا ولأمهـاتنا، بحق القـرآن العظيم، والرسول الكريم، برحمتك يا أرحم الراحمين اهـ. قوله: **(قال تعالى)** أي رداً عليهم. قوله: **(لفعل دل عليه أعلم)** دفع بذلك ما يقال من أن حيث مفعول به وليست ظرفاً، لأنها كناية عن الذات التي قامت بها الرسالة، واسم التفضيل لا ينصب المفعول به، فأجاب بما ذكر. وأجيب أيضاً: بأن اسم التفضيل ليس على بابه بل هو مؤول باسم الفاعل وهذا أولى، لأن ما لا تقدير فيه خير مما فيه تقدير، وأيضاً يدفع توهم المشاركة بين علم القديم والحادث، والحاصل أن اسم التفضيل في أسماء الله وصفاته، كأكرم وأعلم وأعظم وأجل ليس على بابه. قوله: **(والموضع الصالح لوضعها فيه)** أي الذات تستحق الرسالة وهو محمد ﷺ. قوله: ﴿**الَّذِينَ أَجْرَمُوا**﴾ أي وماتوا على الكفر.

قوله: ﴿**صَغَارٌ**﴾ كسحاب مصدر صغر كتعب، معناه الذل والهوان، وأما الصغر ضد الكبر، فيقال فيه صغر بالضم فهو صغير. قوله: ﴿**عِنْدَ اللهِ**﴾ إما ظرف ليصيب أو لصغار، والعندية مجازية كناية عن الحشر، والوقوف بين يديه، والحساب والجزاء. قوله: **(أي بسبب مكرهم)** أشار بذلك إلى أن الياء سببية وما مصدرية.

قوله: ﴿**فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ**﴾ أعلم أن الله سبحانه وتعالى جعل خلقه في الأزل قسمين: شقي وسعيد، وجعل لكل أمة علامة تدل عليه، فعلامة السعادة شرح الصدر للإسلام، وقبوله لما يرد عليه من النور والأحكام، وعلامة الشقاوة ضيق الصدر، وعلامة قبوله لذلك، وجعل لكل قسم في الآخرة دار يسكنونها، فلأهل السعادة الجنة ونعيمها، ولأهل الشقاوة النار وعذابها، لما في الحديث «إن الله خلق خلقاً وقال هؤلاء للجنة ولا أبالي، وخلق خلقاً وقال هؤلاء للنار ولا أبالي» فذكر في هذه الآية علامة كل قسم، فإذا رزق الله العبد شرح الصدر وأسكنه حلاوة الإيمان، فليعلم أن الله أعظم عليه النعمة. وبضدها تتميز الأشياء. ومن اسم شرط، ويرد فعل الشرط، ويشرح جوابه. قوله: ﴿**يَهْدِيَهُ**﴾ أي يوصله للمقصود، وليس المراد الدلالة لأنها هي شرح الصدر.

قوله: ﴿**يَشْرَحْ صَدْرَهُ**﴾ الشرح في الأصل التوسيع، والمراد هنا لازمه، وهو أن يقذف الله في قلب الشخص النور، حتى تكون أحواله مرضية لله، لأنه يلزم من الوسع قبول ما يحل فيه. قوله: **(كما ورد في حديث)** أي وهو أنه لما نزلت هذه الآية، سئل رسول الله ﷺ عن شرح الصدر فقال: هو نور يقذفه الله في قلب المؤمن، فينشرح له وينفتح، قيل فهو لذلك أمارة؟ قال نعم الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزول الموت، وفي رواية قبل لقى الموت.

﴿أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا﴾ بالتخفيف والتشديد عن قبوله ﴿حَرَجًا﴾ شديد الضيق بكسر الراء صفة وفتحها مصدر وصف به مبالغة ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ﴾ وفي قراءة يصاعد وفيهما إدغام التاء في الأصل في الصاد في أخرى بسكونها ﴿فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾ إذا كلف الإيمان لشدته عليه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الجعل ﴿يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ﴾ العذاب أو الشيطان أي يسلطه ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ ﴿١٢٥﴾ ﴿وَهَٰذَا﴾ الذي أنت عليه يا محمد ﴿صِرَٰطُ﴾ طريق ﴿رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ﴾ لا عوج فيه ونصبه على الحال المؤكدة للجملة والعامل فيها معنى الإشارة ﴿قَدۡ فَصَّلۡنَا﴾ بينا ﴿ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ﴾ ﴿١٢٦﴾ فيه إدغام

قوله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ﴾ أي يمنعه عن الوصول، ويسكنه دار العقاب، ويطرده عن رحمته ومن اسم شرط، ويرد فعل الشرط، ويجعل جوابه، وجعل بمعنى صير، فصدره مفعول أول، وضيقاً مفعول ثان، وحرجاً صفته. والمعنى: أن من أراد الله شقاوته، وطرده عن رحمته، ضيق قلبه، فلا يقبل شيئاً من أصول الإسلام ولا من فروعه، ولو قطع إرباً إرباً، وعلامة ذلك إذا ذكر التوحيد نفر قلبه واشمأز، وإن نطق بلسانه كأهل النفاق، قال تعالى: ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ الآية. قوله: **(بالتخفيف والتشديد)** أي كميت وميت قراءتان سبعيتان. قوله: **(شديد الضيق)** أي زائدة، فلا يقبل شيئاً من الهدى أصلاً. قوله: **(بكسر الراء صفة)** أي اسم فاعل كفرح فهو فرح. قوله: **(وصف به مبالغة)** أي أو على حذف مضاف، أي ذا حرج على حد زيد عدل.

قوله: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ﴾ أي يتكلف الصعود فلا يستطيعه. قوله: **(وفيهما إدغام التاء في الأصل)** أي بعد قلبها صاداً فأصل الأولى يتصعد، وأصل الثانية يتصاعد، وهاتان القراءتان مع تشديد ضيقاً، وكسر راء حرجاً أو فتحها. وأما قوله: **(وفي أخرى بسكونها)** فهي قراءة من خفف ضيقاً ويفتح حرجاً فالمخفف للمخفف، والمشدد للمشددة. قوله: **(لشدته عليه)** أي لتعسر الإيمان عليه، فإن القلب بيد الله يسكن فيه أي الأمرين شاء، وليس مملوكاً لصاحبه، وحينئذ فلا ينبغي له أن يأمن لما هو في قلبه من الإيمان ومحبة الله ورسوله، ومن هنا علمنا الله طلب الهداية على سبيل الدوام مع كونها حاصلة بقوله: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ وبقوله: ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾ الآية، وقال رسول الله ﷺ: «اللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك». ولذا خاف العارفون ولم يسكنوا إلى علم ولا عمل، لما علموا أن القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء، ولا يأمنون حتى تقبض أرواحهم على الإيمان، ولكن شأن الكريم، أن من تمم له نعمة الإيمان لا يسلبها منه، لأنه وعد منه وهو لا يخلف. قوله: **(أي يسلطه)** أي الشيطان وهو تفسير للجعل على التفسير الثاني، وأما تفسيره على الأول فمعناه يلقى ويصيب. قوله: **(الذي أنت عليه)** أي وهو الإسلام. قوله: ﴿صِرَاطُ رَبِّكَ﴾ شبه دين الإسلام بالصراط المستقيم لا اعوجاج فيه، واستعار اسم المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية. قوله: **(ونصبه على الحال المؤكدة للجملة)** المناسب أن يقول المؤكدة لصراط، لأن الحال المؤكدة للجملة عاملها مضمر، قال ابن مالك:

وإن تؤكد جملة فمضمر عاملها ولفظها يؤخر

فينافيه قوله: **(والعامل فيها معنى الإشارة)**. قوله: **(معنى الإشارة)** المناسب أن يقول: والعامل

التاء في الأصل في الذال أي يتعظون وخصوا بالذكر لأنهم هم المتفعون ﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ أي السلامة وهي الجنة ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٢٧﴾ ﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ ﴾ بالنون والياء أي الله الخلق ﴿ جَمِيعًا ﴾ ويقال لهم ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ ﴾

فيها اسم الإشارة، باعتبار ما فيه من معنى الفعل وهو أسير. قوله: (**فيه إدغام التاء في الأصل**) أي بعد قلبها ذالاً. قوله: (**وخصوا بالذكر لأنهم المتفعون**) أي المؤتمرون بأمره، المنتهون بنهيه، وهم الصالحون المتقون، فبقاء القرآن دليل على بقاء جماعة على قدم النبي بدليل هذه الآية ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً﴾ ولا عبرة بمن يقول عدمت الصالحون، وربما قال أنا لم أر أحداً منهم. فقد قال ابن عطاء الله: أولياء الله عرائس مخدرة، ولا يرى العرائس المجرمون.

قوله: ﴿**لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ**﴾ الجار والمجرور خبر مقدم، ودار السلام مبتدأ مؤخر، والجملة يحتمل أن تكون مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر تقديره وما جزاء من ينتفع بالذكرى، فأجاب بقوله لهم دار السلام، ويحتمل أن يكون حالاً من القوم أو صفة لهم، والتقدير قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون، حال كونهم لهم دار السلام، أو موصوفين بكونهم لهم دار السلام. قوله: (**أي السلامة**) أي من جميع المخاوف والمكاره، لأن بدخولها يحصل الأمن التام من جميع المكاره حتى الموت ويصح المراد بالسلام التحية الواقعة من الله والملائكة، قال تعالى: ﴿تحيتهم فيها سلام﴾ وقال: ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم﴾ وقال: ﴿لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قيلا سلاماً سلاماً﴾. قوله: (**وهي الجنة**) أشار بذلك إلى أن المراد بدار السلام ما يعمل باقي الجنان، وليس المراد خصوص الدار المسماة بدار السلام.

قوله: ﴿**عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾ العندية عندية شرف، بمعنى أنها منسوبة لله خاصة وليس لأحد فيها منة، أو المعنى أن من دخلها كان في حضرة ربه، لا يشهد شيئاً سواه، ولا يحجب بنعيمها عن مولاه، بل كلما ازداد من الجنة نعيماً، ازداد قرباً من الله، وزالت الحجب عن قلبه بخلاف الدنيا، إذا اشتغل بشيء من زينتها بعد عن الله، فلكما ازداد فيها شغلاً، ازداد فيها بعداً عن الله، فلا يخلص منها إلا من جاهد نفسه وخرج عن هواه. قوله: ﴿**وَهُوَ وَلِيُّهُمْ**﴾ الجملة حالية، والمعنى ناصرهم ومتولي أمورهم، وقوله: ﴿**بِما كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ الباء سببية وما مصدرية، والتقدير بسبب عملهم السابق، تولاهم وأدخلهم حضرة قربه. قوله: ﴿**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ**﴾ يوم ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر. قوله: (**بالنون والياء**) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (**أي الله**) تفسير للضمير على قراءة الياء والنون على القراءة الأخرى. قوله: (**الخلق**) أي جميع الحيوانات عقلاء وغيرهم. قوله: ﴿**جَمِيعاً**﴾ توكيد للضمير أو حال منه.

قوله: ﴿**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ**﴾ معمول المحذوف قدره المفسر بقوله: (**ويقال لهم**) وليس معمولاً لنحشرهم بل هما جملتان، وهذا الخطاب بعد جمع الخلائق في الموقف، وتصيير غير العاقل تراباً، وقوله: ﴿**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ**﴾ المعشر الجماعة والجمع معاشر، والمراد بالجن الشياطين. قوله: ﴿**قَدِ آسْتَكْثَرْتُمْ**﴾ السين والتاء لتأكيد الكثرة. قوله: (**باغوائكم**) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، والتقدير قد استكثرتم من إغواء الإنس.

باغوائكم ﴿ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم ﴾ الذين أطاعوهم ﴿ مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾ انتفع الإنس بتزيين الجن لهم الشهوات والجن بطاعة الإنس لهم ﴿ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ﴾ وهو يوم القيامة وهذا تحسر منهم ﴿ قَالَ ﴾ تعالى لهم على لسان الملائكة ﴿ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ ﴾ مأواكم ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ من الأوقات التي يخرجون فيها لشرب الحميم فإنه خارجها كما قال ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم وعن ابن عباس أنه فيمن علم الله أنهم يؤمنون فما بمعنى من ﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ ﴾ في صنعه ﴿ عَلِيمٌ ﴾ ﴿١٢٨﴾ بخلقه ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ كما متعنا عصاة الإنس والجن بعضهم ببعض ﴿ نُوَلِّى ﴾ من الولاية ﴿ بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا ﴾ أي على بعض ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ ﴿١٢٩﴾ من

قوله: ﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الإِنسِ﴾ لعل وجه الاقتصار على كلام الإنس، الإشارة إلى أن الجن بهتوا فلم يردوا جواباً، وقوله من الإنس في محل نصب على الحال. قوله: ﴿رَبَّنَا﴾ منادى حذف منه حرف النداء. قوله: **(انتفع الإنس بتزيين الجن لهم الشهوات)** أي التي تنوعت فيها الإنس من سحر وكهانة، ودعوى ألوهية، ودعوى نبوة، وسائر الأديان والعقائد الباطلة، ومن ذلك كان الرجل في الجاهلية، إذا سافر فنزل بأرض قفراء، خاف على نفسه من الجن فقال: أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت في جوارهم. قوله: **(بطاعة الإنس لهم)** أي في هذه الأمور المزينة، فاستمتاع الجن بالإنس بالسلطنة التي تولوها عليهم حيث امتثلوا أوامرهم، وكانوا من حزبهم ودخلوا في جاههم. قوله: ﴿الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾ أي الذي قدرته لنا. قوله: **(وهذا تحسر منهم)** أي ما وقع منهم من تلك المقالة تحسر وتحزن على ما سلف منهم، من طاعة الشيطان واتباع الهوى قوله: **(على لسان الملائكة)** مرور على القول بأن الله لا يكلمهم يوم القيامة أصلاً.

قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال من الكاف في مثواكم. قوله: **(من الأوقات التي يخرجون فيها)** تبع المفسر في ذلك شيخه الجلال المحلي في تفسير سورة الصافات، وهو مخالف لظاهر قوله تعالى: ﴿ويريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها﴾ والأحسن أن يقال إلا ما شاء الله من الأوقات التي ينقلون في فيها من النار إلى الزمهرير، فينقلون من عذاب النار، ويدخلون وادياً فيه الزمهرير، وهو شدة البرد، ما يقطع بعضهم من بعض، فيطلبون الرد إلى الجحيم، كما ذكر في حواشي البيضاوي. قوله: **(لشرب الحميم)** أي وهو ماء شديد الحرارة يقطع الأمعاء، وذلك حين يستغيثون من شر النار، يطلبون الماء ليبرد عنهم تلك الحرارة، قال تعالى: ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه﴾. وقوله: **(وعن ابن عباس الخ)** أي فيحمل على من مات مؤمناً وهو مصر على المعاصي، ونفذ فيه الوعيد، ويكون المراد من النار دار العذاب، وإن لم تكن دار خلود كجهنم لعصاة المؤمنين. قوله: ﴿حَكِيمٌ﴾ **(في صنعه)** أي يضع الشيء في محله. قوله: ﴿عَلِيمٌ﴾ **(بخلقه)** أي فيجازي كلًّا على عمله.

قوله: ﴿نُوَلِّي﴾ أي نسلط ونؤمر. قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ الباء سببية، وما مصدرية، والمعنى كما متعنا الإنس والجن بعضهم ببعض، نسلط بعض الظالمين على بعض، بسبب كسبهم من المعاصي، فيؤخذ الظالم بالظالم، لما في الحديث «ينتقم الله من الظالم بالظالم ثم ينتقم من كليهما» ولما في الحديث أيضاً «كما تكونوا يولى عليكم» ومن هذا المعنى قول الشاعر:

المعاصي ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ ﴾ أي من مجموعكم أي بعضكم الصادق بالإنس أو رسل الجن نذرهم، الذين يستمعون كلام الرسل فيبلغون قومهم ﴿ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ ﴾ أن قد بلغنا قال تعالى: ﴿ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا ﴾ فلم يؤمنوا ﴿ وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴾ (١٣٠) ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي إرسال الرسل ﴿أَن﴾ اللام مقدرة وهي مخففة أي لأنه ﴿لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ

وما من يد إلا يد الله فوقها وما ظالم إلا سيبلى بظالم

قوله: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ هذا زيادة في التوبيخ عليهم، لأن الله سبحانه وتعالى أولاً وبخ الفريقين بتوجيه الخطاب للجن، وثانياً خاطبهم جميعاً ووبخهم. قوله: (أي من مجموعكم) دفع بذلك ما يقال إن ظاهر الآية يقتضي أن من الجن رسلاً، مع أن الرسالة مختصة بالإنس، فليس من الجن بل ولا من الملائكة رسل، فأجاب: بأن المراد من مجموعكم الصادق بالإنس، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿ويخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ أي من أحدهما وهو الملح، وقوله تعالى: ﴿وجعل القمر فيهن نوراً﴾ أي في إحداهن وهي سماء الدنيا. قوله: (أو رسل الجن نذرهم) أشار بذلك إلى جواب آخر، وهو تسليم أن هناك رسلاً من الجن، لكنهم رسل الرسل الذين يسمعون من النبي المواعظ والأحكام، ويبلغون قومهم ذلك، قال تعالى: ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد﴾ الآيات، فيكون المعنى على ذلك: ألم يأتكم رسل منكم، أي من الإنس يبلغونكم عن الله، ومن الجن يبلغونكم عن الرسل؟ والمراد جنس الرسل الصادق بالواحد، وهو سيدنا محمد ﷺ لأنه لم يرسل لهم غيره، وأما حكم سليمان فيهم، فحكم سلطنة وملك لا حكم رسالة، وأما قوله تعالى حكاية عن الجن: ﴿يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى﴾ فلا يلزم من علمهم بموسى وسماعهم لكتابه، أن يكونوا مكلفين به.

قوله: ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ القص معناه الحديث، أي يحدثونكم بآياتي على وجه البيان. قوله: ﴿وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا﴾ أي يخوفونكم يوم القيامة، والمعنى يحذرونكم من مخالفة الله توجب الخوف يوم القيامة. قوله: ﴿أن قد بلغنا﴾ يصح بناؤه للفاعل والمفعول. قوله: ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ عطف سبب على مسبب، أو علة على معلول.

قوله: ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ كرر شهادتهم على أنفسهم لاختلاف المشهود به، فأولاً شهدوا بتبليغ الرسل لهم، وثانياً شهدوا بكفرهم زيادة في التقبيح عليهم، والمقصود من ذكر ذلك الاتعاظ به، والتحذير من فعل مثل ذلك. إن قلت: إن شهادتهم بكفرهم تدل على أنهم أقروا به، وهو مناف لقوله تعالى: ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ أجيب: بأن مواقف القيامة مختلفة فأولاً حين يرون المؤمنين توزن أعمالهم، ويمشون على الصراط لدخول الجنة، ينكرون الاشراك، طمعاً في دخولهم في زمرة المؤمنين، فحينئذ يختم على أفواههم، وتنطق أعضاؤهم قهراً عليهم وتقر بالكفر. قوله: ﴿ذٰلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ﴾ اسم الاشارة مبتدأ، وأن لم يكن خبره، واللام محذوفة، وأن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن كما قال

﴿بِظُلْمٍ﴾ منها ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ ﴿١٣١﴾ لم يرسل إليهم رسولاً يبين لهم ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من العاملين ﴿دَرَجَاتٌ﴾ جزاء ﴿مِمَّا عَمِلُوا﴾ من خير وشر ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٣٢﴾ بالياء والتاء ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه وعبادتهم ﴿ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يا أهل مكة بالإهلاك ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾ من الخلق ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾ أذهبهم ولكنه أبقاكم رحمة لكم ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ من الساعة والعذاب ﴿لَآتٍ﴾ لا محالة ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ﴿١٣٤﴾ فائتين عذابنا ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ حالتكم ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ على حالتي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ﴾ موصولة مفعول العلم ﴿تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ أي العاقبة

المفسر، والتقدير ذلك ثابت لأنه لم يكن الخ. قوله: ﴿**لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى**﴾ أي لغلبة رحمته، لا ينزل العذاب على من خالف وعصى، حتى يتكرر عليهم الانذار والتخويف. قوله: ﴿**بِظُلْمٍ**﴾ **(منها)** الباء سببية، وقدر المفسر قوله منها إشارة إلى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من القرى، والمعنى لم يكن **مهلك** أهل القرى بسبب وقوع ظلم منها، والحال أن أهلها لم يرسل لهم رسول. قوله: **(من العاملين)** أي طائعين أو عاصين. قوله: **(جزاء)** دفع بذلك ما يقال إن الدرجات بالجيم للطائعين فينا في العموم المتقدم. فأجاب بأن المراد بالدرجات الجزاء، وهو صادق بالدرجات والدركات. وأجيب أيضاً: بأن في الكلام اكتفاء أي ودركات على حد سرابيل تقيكم الحر أي والبرد. قوله: **(بالياء والتاء)** أي فيهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿**وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ**﴾ هذا مرتب على ما قبله، جواب عما يقال حيث كان لكل من الطائعين والعاصين جزاء لا مفر لهم منه، فما وجه إمهالهم وعدم تعجيل ذلك لهم؟ فأجاب: بأنه الغني، فلا ينتفع بطاعة الطائع، ولا تضره معصية العاصي، وربك مبتدأ، والغني خبره، و ﴿**ذُو الرَّحْمَةِ**﴾ خبر ثان ويصح أن يكون الغني وذو الرحمة صفتين له، وجملة: ﴿**إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ**﴾ خبره. قوله: ﴿**ذُو الرَّحْمَةِ**﴾ أي ومن أجل ذلك بقاء الخلق من غير استئصال الهلاك لهم. قوله: **(بالإهلاك)** أي جملة واحدة، بحيث لم يبق منهم أحد كعاد وثمود.

قوله: ﴿**وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ**﴾ أي ينشىء ويوجد بعد إذهابكم ما يشاء. قوله: ﴿**مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ**﴾ أي وهم أهل سفينة نوح وذريتهم من بعدهم من القرون إلى زمنكم. قوله: **(ولكنه أبقاكم رحمة لكم)** أي لوجود نبيكم، لأنه بعث رحمة لا عذاباً. قوله: **(من الساعة)** بيان لما. قوله: ﴿**لَآتٍ**﴾ خبر إن مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين كقاض.

قوله: ﴿**وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ**﴾ أي فارين من عذابنا، بل هو مدرككم لا محالة. قوله: ﴿**اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ**﴾ هذا أمر تهديد وزجر، نظير قوله تعالى: ﴿اعلموا ماشئتم﴾، وقوله عليه الصلاة والسلام «إذا لم تستح فاصنع ما شئت» والمكانة إما من التمكن وهو الاستطاعة فتكون الميم أصلية، أو من الكون بمعنى الحالة فتكون زائدة، والمفسر جعلها بمعنى الحالة. قوله: ﴿**مَنْ**﴾ **(موصولة مفعول العلم)** أي ﴿**وَتَكُونُ**﴾ صلتها، و ﴿**عَاقِبَةُ الدَّارِ**﴾ اسمها، و ﴿**لَهُ**﴾ خبرها، وعلم عرفانية متعدية لواحد، ويصح أن

المحمودة في الدار الآخرة أنحن أم أنتم ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ﴾ يسعد ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ ١٣٥﴾ الكافرون ﴿وَجَعَلُواْ﴾ أي كفار مكة ﴿لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾ خلق ﴿مِنَ ٱلۡحَرۡثِ﴾ الزرع ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا﴾ يصرفونه إلى الضيفان والمساكين ولشركائهم نصيباً يصرفونه إلى سدنتها ﴿فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ﴾ بالفتح والضم ﴿وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ﴾ فكانوا إذا سقط في نصيب الله من نصيبها التقطوه أو في نصيبها شيء من نصيبه تركوه وقالوا إن الله غني عن هذا كما قال تعالى ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ أي لجهته ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ﴾ بئس ﴿مَا يَحۡكُمُونَ ١٣٦﴾ حكمهم هذا ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما زين لهم ما ذكر ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ﴾

تكون من استفهامية مبتدأ، وجملة تكون مع اسمها وخبرها المبتدأ، والمبتدأ والخبر في محل نصب سدت مسد مفعول: ﴿تَعْلَمُونَ﴾. قوله: **(أي العاقبة المحمودة في الدار)** أشار بذلك إلى أن الإضافة على معنى في، والمراد بالعاقبة المحمودة الراحة التامة والسرور الكامل. قوله: **(أنحن أم أنتم)** هذا يناسب كون من استفهامية لا موصولة، وإلا لو جعلها موصولة لقال فسوف تعلمون الفريق الذي له عاقبة الدار. قوله: **﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾** استئناف كأنه واقع في جواب سؤال مقدر تقديره ما عاقبتهم، فقال إنه لا يفلح الظالمون.

قوله: **﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ﴾** هذا من جملة قبائحهم وخسران عقولهم، وجعل فعل ماض، والواو فاعل، و ﴿لِلَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف مفعول ثان مقدم، **﴿وَنَصِيباً﴾** مفعول أول مؤخر، **﴿وَمِمَّا ذَرَأَ﴾** متعلق بجعلوا. قوله: **﴿مِنَ الْحَرْثِ﴾** متعلق بمحذوف حال من مما ذرأ. قوله: **(الزرع)** أي ما يزرع كان حباً أو غيره. قوله: **﴿وَالْأَنْعَامِ﴾** أي الإبل والبقر والغنم. قوله: **(ولشركائهم)** متعلق بمحذوف تقديره وجعلوا لشركائهم، وأشار المفسر بذلك إلى أن في الآية اكتفاء بدليل التفصيل بعد ذلك بقوله وهذا لشركائنا. قوله: **(إلى سدنتها)** أي خدمتها.

قوله: **﴿فَقَالُوا﴾** هذا تفريع على الشق المذكور والشق المطوي. قوله: **﴿بِزَعْمِهِمْ﴾** الزعم الكذب ومصبه قوله بعد: **﴿وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا﴾** فمحط الكذب التنصيف، حيث جعلوا نصف ما خلق الله وأنشأه من الحرث والأنعام له، ونصفه لشركائهم، وحق الجميع أن يكون لله، ويحتمل أن الزعم من حيث ادعائهم الملك وإنشاء الجعل من عندهم، والملك في الحقيقة لله. قوله: **(بالفتح والضم)** أي فهما قراءتان سبعيتان: الأولى لغة أهل الحجاز، والثانية لغة بني أسد، وفي لغة بالكسر، لكن لم يقرأ بها، والكل بمعنى واحد. قوله: **(فكانوا إذا سقط في نصيب الله شيء من نصيبها التقطوه)** أي وكانوا إذا رأوا ما عينوه لله أزكى، بدلوه بما لآلهتهم، وإن رأوا ما لآلهتهم أزكى تركوه حباً لها، وإذا هلك ما جعلوه لها، أخذوا بدله مما جعلوه لله، ولا يفعلون ذلك فيما جعلوه لله. قوله: **(أي لجهته)** أي لجهة مراضيه، وإلا فيستحيل على الله الوصول والجهة. قوله: **﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾** ساء فعل ماض، وما اسم موصول فاعل، ويحكمون صلته، والمخصوص بالذم محذوف قدره المفسر بقوله حكمهم، وقوله: **(هذا)** بدل من حكمهم، لأن حكمهم مبتدأ، والجملة قبله خبره.

قوله: **﴿وَكَذَٰلِكَ﴾** الجملة معطوفة على الجملة قبلها، والكاف بمعنى مثل. قوله: **﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ**

بالوأد ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾ من الجن بالرفع فاعل زين وفي قراءة ببنائه للمفعول ورفع قتل ونصب الأولاد به وجر شركائهم بإضافته وفيه الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول ولا يضر وإضافة القتل إلى الشركاء لأمرهم به ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ يهلكوهم ﴿وَلِيَلْبِسُواْ﴾ يخلطوا ﴿عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ ﴿١٣٧﴾ ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ حرام ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾ من خدمة الأوثان وغيرهم ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ أي لا حجة لهم فيه ﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ فلا تركب كالسوائب

﴿ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ زين بالبناء للفاعل، ولكثير متعلق بزين، ومن المشركين صفة لكثير، و ﴿قَتْلَ﴾ بالنصب مفعول لزين، وهو مضاف لأولادهم، وشركاؤهم بالرفع فاعل زين، وقرأ ابن عامر من السبعة زين بالبناء للمفعول، وقتل بالرفع نائب فاعل زين، و ﴿أَوْلَادِهِمْ﴾ بالنصب مفعول المصدر الذي هو قتل، وقتل مضاف، وشركائهم مضاف إليه، ولا يضر الفصل بين المضاف والمضاف إليه بمعمول المضاف، لأنه ليس أجنبياً، والمضر الفصل بالأجنبي، وهذه القراءة متواترة صحيحة موافقة للنحو، خلافاً لمن شذ وعاب على من قرأ بها، كيف وهو أعلى القراءة سنداً، وأقدمهم هجرة، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي زين مبنياً للمفعول، وقتل نائب الفاعل، وأولادهم بالجر مضاف لقتل، وشركاؤهم بالرفع فاعل، قال ابن مالك:

وبعد جره الذي أضيف له كمثل بنصب أو برفع عمله

وقرأ أهل الشام كقراءة ابن عامر، إلا أنهم خفضوا الأولاد أيضاً، على أن شركاءهم صفة لهم، بمعنى أنهم يشركونهم في المال والنسب، وقرأ فرقة من أهل الشام، زين بكسر الزاي بعدها ياء ساكنة مبني للمفعول كقيل ربيع، وقتل نائب الفاعل، وأولادهم بالنصب، وشركائهم بالجر، وتوجيهها معلوم مما تقدم، فجملة القراءات خمس: اثنتان سبعيتان وهما اللتان مشى عليهما المفسر، وثلاثة شواذ. قوله: **(بالوأد)** هو دفن الإناث بالحياة مخافة الفقر والعار، قال تعالى ﴿وإذا المؤودة سئلت بأي ذنب قتلت﴾. قوله: **(من الجن)** أي الملابسين للأصنام. قوله: **(ولا يضر)** رد على من منع ذلك وعاب على ابن عامر. قوله: **(وإضافة القتل)** مبتدأ، وقوله: **(لأمرهم به)** خبره، ومباشر القتل هو كثير من المشركين. قوله: ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ علة للتزيين، وقوله: ﴿وَلِيَلْبِسُوا﴾ معطوف على ليردوهم، وهو من لبس بفتح الباء يلبس بكسرها لبساً بمعنى خلط. قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ مفعول محذوف تقديره عدم فعلهم، والمعنى لو أراد الله عدم التزيين والقتل ما فعلوه، لأن الله هو الموجد للخير والشر، وإنما الخلق أسباب ظاهرية في الخير والشر، وإلا فمرجع الكل إلى الله، ومن هنا قول سيدي إبراهيم الدسوقي: من نظر للخلق بعين الشريعة مقتهم، ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عذرهم، وقال بعض العارفين:

الكل تقديره مولانا وتأسيسه فاشكر لمن قد وجب حمده وتقديسه
وقل لقلبك إذا زادت وساويسه إبليس لما طغى من مكان إبليسه

قوله: ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ أي اتركهم وافتراءهم. قوله: ﴿وَقَالُوا﴾ هذا نوع آخر من أنواع قبائحهم، وقوله: ﴿هَٰذِهِ أَنْعَامٌ﴾ الخ الاشارة إلى ما جعلوه لآلهتهم. قوله: ﴿حِجْرٌ﴾ بمعنى محجور، كذبح بمعنى مذبوح أي ممنوعة. قوله: ﴿لَا يَطْعَمُهَا﴾ أي لا يأكلها، والضمير عائد على الأنعام والحرث. قوله: **(وغيرهم)** أي من الرجال دون النساء. قوله: ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ حال من فاعل قالوا. قوله:

والحوامي ﴿ وَأَنْعَمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ﴾ عند ذبحها بل يذكرون اسم أصنامهم ونسبوا ذلك إلى الله ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ ﴿١٣٨﴾ عليه ﴿ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ المحرمة وهي السوائب والبحائر ﴿خَالِصَةٌ ﴾ حلال ﴿لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ﴾ النساء ﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً ﴾ بالرفع والنصب مع تأنيث الفعل وتذكيره ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ سَيَجْزِيهِمْ﴾ الله ﴿ وَصْفَهُمْ ﴾ ذلك بالتحليل والتحريم أي جزاءه ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ ﴾ في صنعه ﴿ عَلِيمٌ ﴾ ﴿١٣٩﴾ بخلقه ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿أَوْلَٰدَهُمْ ﴾ بالوأد ﴿ سَفَهًۢا ﴾ جهلاً ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ مما ذكر ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾ ﴿١٤٠﴾ ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ ﴾ خلق ﴿جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿ مَّعْرُوشَٰتٍ ﴾ مبسوطات على الأرض كالبطيخ ﴿ وَغَيْرَ

(كالسوائب والحوامي) أي والبحائر. قوله: **(ونسبوا ذلك)** أي التقسيم إلى الأقسام الثلاثة، بأن قالوا: قسم حجر أي ممنوع منه بالكلية، وقسم لا يركب وإن كان يجوز أخذ لبه وأولاده، وقسم لا يذكر اسم الله عليه عند الذبح، وإنما يذكر اسم الصنم، وقوله: **﴿ٱفْتِرَاءً﴾** معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله ونسبوا ذلك. قوله: **﴿بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾** أي بسبب افترائهم.

قوله: **﴿وَقَالُوا﴾** هذا إشارة لنوع آخر من أنواع قبائحهم. قوله: **﴿مَا فِي بُطُونِ هٰذِهِ ٱلْأَنْعَامِ﴾** أي نتاج الأنعام والسوائب والبحائر، فما ولد منها حياً فهو حلال للذكور خاصة، وما ولد منها ميتاً فهو حلال للذكور والإناث. قوله: **﴿خَالِصَةٌ﴾** خبر عن ما باعتبار معناها، وقوله: **﴿وَمُحَرَّمٌ﴾** خبر عنها باعتبار لفظها. قوله: **(مع تأنيث الفعل)** أي باعتبار معنى ما وهو الأجنة، وهذا على النصب، وأما على الرفع فباعتبار تأنيث الميتة، وقوله: **(وتذكيره)** أي باعتبار لفظ ما على قراءة النصب، وباعتبار أن تأنيث الميتة مجازي على قراءة الرفع، فالقراءات أربع وكلها سبعية، وكان ناقصة في النصب، واسمها ضمير يعود على ما، وتامة في الرفع فاعلها ميتة. قوله: **﴿فَهُمْ فِيهِ﴾** أي ذكورهم وإناثهم يأكلون منه جميعاً. قوله: **﴿وَصْفَهُمْ﴾** أي جزاء وصفهم، والمراد بوصفهم التحليل والتحريم الذي اخترعوه، فالباء في قوله: **(بالتحليل والتحريم)** لتصوير الوصف. قوله: **﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾** تعليل لمجازاته إياهم، أي فمن أجل حكمته وعلمه لا يترك جزاءهم.

قوله: **﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوا﴾** أي في الدنيا باعتبار السعي في نقص عددهم وإزالة ما أنعم الله به عليهم، وفي الآخرة باستحقاق العذاب الأليم. قوله: **(بالتخفيف والتشديد)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(جهلاً)** روى البخاري عن ابن عباس قال: إذا سرك أن تعلم جهل العرب، فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من الأنعام: ﴿وقد خسر الذين﴾ إلى قوله ﴿وما كانو مهتدين﴾. قوله: **﴿وَحَرَّمُوا﴾** معطوف على قتلوا، فهو صلة ثانيه. قوله: **﴿ٱفْتِرَاءً﴾** معمول حرموا. قوله: **﴿قَدْ ضَلُّوا﴾** أي عن الطريق المستقيم، وقوله: **﴿مَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾** فيه إعلام بأن هؤلاء الذين فعلوا هذا الفعل، يموتون على الضلال، كأن الله يقول لنبيه: لا تعلق آمالك بهداهم.

قوله: **﴿وَهُوَ ٱلَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ﴾** هذا امتنان من الله على عباده وبيان أن كل نعمة منه. قوله: **﴿جَنَّاتٍ﴾** المراد بها جميع ما ينبت أعم من أن يكون بساتين، أو لا بدليل ما بعده من باب تسمية الكل

مَّعۡرُوشَٰتٖ﴾ بأن ارتفعت على ساق كالنخل ﴿وَ﴾ أنشأ ﴿ٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾ ثمره وحبه في الهيئة والطعم ﴿وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا﴾ ورقهما حال ﴿وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ﴾ طعمهما ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ قبل النضج ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ﴾ زكاته ﴿يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ﴾ بالفتح والكسر من العشر أو نصفه ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾ بإعطاء كله فلا يبقى لعيالكم شيء ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ ﴿١٤١﴾

باسم جزئه الأشرف، أو أطلق الخاص وأراد العام، فلا مفهوم لقول المفسر: **(بساتين)**. قوله: ﴿**كالبطيخ**﴾ أي والعنب إذا لم يوضع على عريش. قوله: **(كالنخل)** أي وغيره مما له ساق يرتفع به، كالجميز والنبق والعنب إذا وضع على عريش والحبوب، وقيل المعروشات المرتفعات على ساق، وغير المعروشات ما لا ساق له، عكس ما ذكر المفسر.

قوله: ﴿**وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ**﴾ قدر المفسر: **(أنشأ)** إشارة إلى أنه معطوف على جنات، عطف خاص على عام، والنكتة عموم النفع بالنخل والزرع لإقامتهما بنية الآدمي، فهما يغنيان عن غيرهما، وغيرهما لا يغني عنهما، والمراد بالزرع جمع الحبوب التي يقتات بها. قوله: ﴿**مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ**﴾ فالمعنى أنشأه مقدراً في علمه سبحانه أن أكله مختلف، والأكل بالضم المأكول، أي مأكول لكل منهما، مختلف في الصفة والطعم واللون والرائحة. قوله: **(ثمره وحبه)** لف ونشر مرتب.

قوله: ﴿**وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ**﴾ معطوف أيضاً على جنات، وخصهما لأنهما أشرف الثمار بعد النخل. قوله: ﴿**مُتَشَابِهاً**﴾ هو بمعنى مشتبهاً المتقدم، إلا أن القراءة سنة متبعة. قوله: **(طعمهما)** أي ولونهما وريحهما وجرمهما. قوله: ﴿**كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ**﴾ هذا أمر إباحة. قوله: **(قبل النضج)** أي استوائه ووجوب الزكاة فيه، فلا تتوقف إباحة الأكل على الوصول إلى حد وجوب الزكاة فيه، وهو النضج أو التهيؤ له، ولا يحسب عليه شيء للفقراء، أما بعد النضج فكل ما أكله حسبت عليه زكاته. قوله: **(زكاته)** هذا تفسير ابن عباس وأنس بن مالك، واستشكل بأن السورة مكية، وفرض الزكاة كان المدينة في السنة الثالثة من الهجرة. وأجب بأن الآية مدنية، وقيل المراد بالحق إطعام من حضر، وترك ما سقط من الزرع والثمر للفقراء، وهو قول الحسن وعطاء ومجاهد، وعلى هذا القول فقيل الأمر للوجوب، ويكون منسوخاً بآية الزكاة، وقيل للندب ويكون محكماً.

قوله: ﴿**يَوْمَ حَصَادِهِ**﴾ أي زمن تيسر الاخراج منه، وهو ظاهر فيما لا يتوقف على تصفية، كالعنب والزيتون والنخل، وأما ما يحتاج إلى تصفية كالحبوب فيقال إن يوم ظرف متسع، فيشمل مدة الحصاد والدراس، أو يقال إن يوم متعلق بمحذوف تقديره وآتوا حقه الذي وجب يوم حصاده، وهو لا ينافي أن إخراج الحق بعد التصفية إن توقف عليها. قوله: **(بالفتح والكسر)** أي فهما قراءتان سبعيتان بمعنى واحد. قوله: **(من العشر)** أي فيما سقي بالسيح، أو نصفه أي فيما سقي بآلة.

قوله: ﴿**وَلَا تُسْرِفُوا**﴾ أي تتجاوزوا الحد بإخراجه كله للفقراء أو بعد الاخراج من أصله، أو بإنفاقه في المعاصي، والأقرب الأول الذي اقتصر عليه المفسر، لأن سبب نزولها: أن ثابت بن قيس صرم خمسمائة نخلة يوم أحد ففرقها ولم يترك لأهله شيئاً. قوله: ﴿**إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾ أي يعاقبهم.

المتجاوزين ما حد لهم ﴿ وَ ﴾ أنشأ ﴿ مِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةً ﴾ صالحة للحمل عليها كالإبل الكبار ﴿ وَفَرۡشٗاۚ ﴾ لا تصلح له كالإبل الصغار والغنم سميت فرشاً لأنها كالفرش للأرض لدنوها منها ﴿ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ ﴾ طرائقه في التحريم والتحليل ﴿ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ ﴿١٤٢﴾ بين العداوة ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ ﴾ أصناف بدل من حمولة وفرشاً ﴿ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ﴾ زوجين ﴿ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ ذكر وأنثى ﴿ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ﴾ بالفتح والسكون ﴿ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ﴾ يا محمد لمن حرم ذكور الأنعام تارة وإناثها أخرى ونسب ذلك إلى الله ﴿ ءَآلذَّكَرَيۡنِ ﴾ من الضأن والمعز ﴿ حَرَّمَ ﴾ الله عليكم ﴿ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ ﴾ منهما ﴿ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ ﴾ ذكراً كان أو أنثى ﴿ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ ﴾ عن كيفية تحريم ذلك ﴿ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ ﴿١٤٣﴾ فيه المعنى من أين جاء التحريم فإن كان من قبل الذكورة

قوله: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَامِ﴾ معطوف على (جنات)، وإليه يشير المفسر حيث قدر (أنشأ)، وفي الحقيقة قوله: ﴿مِنَ ٱلۡأَنۡعَامِ﴾ متعلق بمحذوف حال من: ﴿حَمُولَةً﴾، لأنه نعت نكرة تقدم عليها، وحمولة هو المعطوف على جنات. قوله: (**صالحة للحمل عليها**) مشى المفسر على أن المراد بالحمولة الصالح للحمل والفرش وما عداه، والأحسن تفسير الحمولة بالكبار، أعم من أن تكون إبلاً أو بقراً أو غنماً، والفرش بالصغار منها، ويدل عليه قوله: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزۡوَاجٍ﴾، وقيل الحمولة كل ما حمل عليه من إبل وغيرها، والفرش ما اتخذ من الصوف والوبر والشعر. قوله: (**سميت**) أي الإبل الصغار والغنم.

قوله: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ﴾ أي من جمع الثمار والأنعام والحرث. قوله: (**في التحريم والتحليل**) أي في الحرث والأنعام، بأن تحللوا شيئاً وتحرموا آخر، كما تقول المشركون. قوله: ﴿إِنَّهُ لَكُمۡ عَدُوٌّ﴾ تعليل لما قبله. قوله: (**بين العداوة**) أي ظاهرها لوجود عداوته لأبينا آدم من قبل، واتصالها بأبنائه من بعده، ولذلك قيل: إن المولود في حال ولادته ينخسه الشيطان، فيصرخ عند ذلك من شدة عداوته.

قوله: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزۡوَاجٍ﴾ يطلق الزوج على الشيئين المتلازمين اللذين يحصل بينهما التناسل، وعلى أحدهما، وهو المراد هنا. قوله: (**بدل من حمولة وفرشاً**) أي بدل مفصل من مجمل. قوله: ﴿مِنَ الضَّأۡنِ﴾ بدل من ثمانية أزواج على جواز الابدال من البدل. قوله: ﴿ٱثۡنَيۡنِ﴾ أي وهما الكبش والنعجة. وقوله: ﴿وِمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ أي التيس والمعز. قوله: (**بالفتح والسكون**) أي فهما قراءتان سبعيتان قوله: (**لمن حرم ذكور الأنعام**) أي بعض ذكورها. وقوله: (**وإناثها**) أي بعض إناثها. قوله: ﴿ءَآلذَّكَرَيۡنِ﴾ بمد الهمزة الثانية مداً لازماً قدر ثلاث ألفات أو تسهيلها، وهو منصوب بالعامل الذي بعده وهو: ﴿حَرَّمَ﴾ قدم لأن مدخول الاستفهام له الصدارة. قوله: ﴿أَمِ ٱلۡأُنۡثَيَيۡنِ﴾ أم عاطفة على الذكرين، وكذلك أم الثانية عاطفة على الموصولة على ما قبلها، ومحلها نصب أيضاً تقديره أم الذي اشتملت عليه، وأم في كل منهما متصلة مقابلة لهمزة الاستفهام.

قوله: ﴿نَبِّئُونِي بِعِلۡمٍ﴾ أي أخبروني خبراً ملتبساً بعلم ناشىء عن إخبار من الله بأنه حرم ما ذكره وهي جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه، قصد بها إلزام الحجة لهم. قوله: (**عن كيفية تحريم ذلك**) أي جهته وسببه. قوله: (**فإن كان من قبل الذكورة الخ**) أي فإن كان سبب التحريم الذكورة، لزمكم تحريم

فجميع الذكور حرام أو الأنوثة فجميع الإناث أو اشتمال الرحم فالزوجان فمن أين التخصيص والاستفهام للإنكار ﴿ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ ﴾ بل ﴿ كُنتُمْ شُهَدَآءَ ﴾ حضوراً ﴿ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ ﴾ التحريم فاعتمدتم ذلك لا بل أنتم كاذبون فيه ﴿ فَمَنْ ﴾ أي لا أحد ﴿ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ بذلك ﴿ لِيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ﴿١٤٤﴾ ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ ﴾ شيئاً ﴿ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ ﴾ بالياء والتاء ﴿ مَيْتَةً ﴾ بالنصب وفي قراءة بالرفع مع التحتانية ﴿ أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا ﴾ سائلاً بخلاف غيره كالكبد والطحال ﴿ أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ ﴾ حرام ﴿ أَوْ ﴾ إلا

جميع الذكور، وإن كانت الأنوثة، لزمكم تحريم جميع الإناث، وإن كان ما اشتملت عليه الأرحام لزمكم تحريم الجميع، فلأي شيء خصصتم التحريم ببعض الذكور والإناث، فمن أين التخصيص، أي تخصيص تحريم البحائر والسوائب بالإبل، دون بقية النعم من البقر والغنم. قوله: **(والاستفهام للإنكار)** أي في المواضع الثلاثة. قوله: ﴿**أَمْ كُنتُمْ**﴾ أم منقطعة، فلذا فسرها ببل والهمزة، فمدخولها جملة مستقلة، والمقصود بها التهكم بهم، حيث نسبهم إلى الحضور في وقت الإبصار. قوله: **(حضوراً)** أي حاضرين ومشاهدين تحريم البعض وتحليل البعض. قوله: **(لا)** أي لم تكونوا حاضرين، ولم يدل دليل على تحريم البعض وتحليل البعض. قوله: **(أي لا أحد)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي.

قوله: ﴿**لِيُضِلَّ ٱلنَّاسَ**﴾ متعلق بافترى. قوله: ﴿**بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ متعلق بمحذوف حال من فاعل افترى، أي افترى حال كونه ملتبساً بغير علم بل جاهلاً. قوله: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ**﴾ تعليل لما قبله، والمعنى لا يرشد الذين تعدوا حدود الله بالتحليل والتحريم إلى الصراط المستقيم لسابق الشقاوة لهم. قوله: ﴿**قُلْ لَا أَجِدُ**﴾ لما ألزمهم الله الحجة بأن التحريم عند أنفسهم لا من عند الله، أخبرهم بما ثبت تحريمه عن الله، فهو نتيجة ما قبله وثمرته، والمعنى قل يا محمد لكفار مكة لا أجد فيما أوحي إلي الخ. قوله: ﴿**فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ**﴾ ما اسم موصول، وأوحي صلته، والعائد محذوف، والتقدير في الذي أوحاه الله إلي وهو القرآن. قوله: **(شيئاً)** ﴿**مُحَرَّماً**﴾ قدره المفسر إشارة إلى أن محرماً صفة لموصوف محذوف. قوله: ﴿**عَلَىٰ طَاعِمٍ**﴾ متعلق بمحرماً. وقوله: ﴿**يَطْعَمُهُ**﴾ من باب لهم، ومعنى طاعم آكل، ويطعمه يأكله. قوله: ﴿**إِلَّا أَنْ يَكُونَ**﴾ اسمها ضمير مستتر عائد على الشيء المحرم، و ﴿**مَيْتَةً**﴾ بالنصب خبرها، فذكر باعتبار ما عاد عليه الضمير، وهذا على قراءة الياء، وأما على التاء فالتأنيث باعتبار خبر يكون وهو ميتة، وهاتان قراءتان على نصب ميتة، وأما رفعها ففيه قراءة واحدة بالفوقانية فتكون تامة وميتة فاعل. إذا علمت ذلك فقول المفسر: **(وفي قراءة بالرفع مع التحتانية)** سبق قلم، والصواب الفوقانية، وهذا الاستثناء يصح أن يكون متصلاً باعتبار عموم الأحوال أو منقطعاً، لأنه مستثنى من محرماً وهو ذات، والمستثنى كونه ميتة، وهو معنى، فليس من جنس المستثنى منه، والأقرب كونه متصلاً.

قوله: ﴿**أَوْ دَماً**﴾ بالنصب عطف على ميتة في قراءة النصب، وعلى المستثنى في قراءة الرفع. قوله: ﴿**مَسْفُوحاً**﴾ من السفح هو السيلان أو الصب، والدم المسفوح نجس من سائر الحيوانات، ولو من سمك وذباب، وعند أبي حنيفة لا دم للسمك أصلاً، بدليل أنه إذا نشف صار أبيض. قوله: **(كالكبد**

أن يكون ﴿فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ أي ذبح على اسم غيره ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ إلى شيء مما ذكر فأكله ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ﴾ له ما أكل ﴿رَّحِيمٌ ١٤٥﴾ به ويلحق بما ذكر بالسنة كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ أي اليهود ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ وهو ما لم تفرق أصابعه كالإبل والنعام ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ الثروب وشحم الكلى ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ أي ما علق بها منه ﴿أَوِ﴾ حملته ﴿ٱلْحَوَايَآ﴾ الامعاء جمع

والطحال) أي فإنهما طاهران، لما في الحديث «أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال».
قوله: **﴿فَإِنَّهُ﴾** أي لحم الخنزير، وخص اللحم بالذكر، وإن كان باقيه كذلك لاعتنائهم به أكثر من باقيه.
قوله: **(حرام)** الأوضح أن يقول نجس، لأن التحريم علم من الاستثناء.

قوله: **﴿أَوْ فِسْقاً﴾** عطف على ميتة، وهو على حذف مضاف، أي ذا فسق، أو جعل نفس الفسق مبالغة، على حد زيد عدل. وقوله: **﴿لِغَيْرِ ٱللهِ بِهِ﴾** صفة لفسقاً. قوله: **(أي ذبح على اسم غيره)** أي قرباناً كما يتقرب إلى الله، كان ذلك الغير صنماً أو غيره. قوله: **﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾** أي أصابته الضرورة.
قوله: **(مما ذكر)** أي من الميتة وما بعدها. قوله: **﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾** تقدم في سورة البقرة، أنه فسر لنا الباغي بالخارج على المسلمين، والعادي بقاطع الطريق، لأن مع كل مندوحة وهي التوبة، فإذا تاب كل جاز له الأكل، وتقدم الخلاف في المضطر، هل له أن يشبع ويتزود، وهو مشهور مذهب مالك، أو يقتصر على سد الرمق، وهو مشهور مذهب الشافعي.

قوله: **﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ﴾** تعليل لجواب الشرط المحذوف تقديره فلا إثم عليه. قوله: **(ويلحق بما ذكر)** كان المناسب تقديمه على قوله: فمن اضطر. قوله: **(كل ذي ناب)** أي كالسبع والضبع والثعلب والهر والذئب، وقوله: **(ومخلب من الطير)** كالصقر والنسر والوطواط، وهذا مذهب الإمام الشافعي، وأما عند مالك: فجميع الطيور يجوز أكلها ما عدا الوطواط فيكره أكله، وجميع السباع مكروهة ما عدا الكلب الأنسي والقرد، ففيهما قولان بالحرمة والكراهة، وأما الخيل والبغال والحمير الانسية، فمشهور مذهب مالك أنها محرمة، ومشهور مذهب الشافعي إباحة الخيل دون البغال والحمير.

قوله: **﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا﴾** الجار والمجرور متعلق بحرمنا، وهادوا صلة الذين سموا بذلك، لأنهم هادوا بمعنى رجعوا عن عبادة العجل. قوله: **﴿كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾** القراء السبعة على ضم الظاء والفاء، وقرىء شذوذاً بسكون الفاء وبكسر الظاء والفاء وبسكون الفاء، وبقي في الظفر لغة خامسة لم يقرأ بها: أظفور وجمع الأولى أظفار، والأخيرة أظافير قياساً، وأظافر سماعاً. قوله: **(كالإبل)** أدخلت الكاف الأوز والبط. قوله: **﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ﴾** متعلق بحزمنا. قوله: **(الثروب)** جمع ثرب كفلس، شحم رقيق يغشى الكرش والامعاء، ولكن المراد بها هنا الشحم الذي على الكرش فقط، وإلا ناقض ما بعده. قوله: **(وشحم الكلى)** جمع كلوة أو كلية. قوله: **﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾** ما اسم موصول في محل نصب على الاستثناء أو نكرة موصولة وجملة حملت ظهورهما صلة أو صفة، والعائد محذوف.

قوله: **﴿أَوِ ٱلْحَوَايَا﴾** معطوف على ظهورهما، وسميت بذلك لأنها محتوية على الفضلات لأنها تنحل في الكرش، ثم إذا صفيت استقرت في الأمعاء، أو لأنها محتوية بمعنى ملتفة كالحلقة. قوله: **(الأمعاء)** أي

حاوياء أو حاوية ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ منه هو شحم الألية فإنه أحل لهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ التحريم ﴿جَزَيْنَٰهُم﴾ به ﴿بِبَغْيِهِمْ﴾ بسبب ظلمهم بما سبق في سورة النساء ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ في إخبارنا ومواعيدنا ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ فيما جئت به ﴿فَقُل﴾ لهم ﴿رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة وفيه تلطف بدعائهم إلى الإيمان ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ﴾ عذابه إذا جاء ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ نحن ﴿وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ فإشراكنا وتحريمنا بمشيئته فهو راض به قال تعالى ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما كذب هؤلاء ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ

المصارين، والمعنى أن الشحم الذي تعلق بالظهور، أو احتوت عليه المصارين، أو اختلط بعظم كلحم الألية جائز لهم. قوله: **(جمع حاوياء)** أي كقاصعاء وقواصع، وقوله: **(أو حاوية)** أي كزاوية وزوايا، وقيل جمع حوية كهدية. قوله: **(وهو شحم الألية)** بفتح الهمزة. قوله: **(بما سبق في سورة النساء)** أي في قوله: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله﴾ إلى أن قال: ﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم﴾. قوله: **(في إخبارنا ومواعيدنا)** أي بأن سبب ذلك التحريم هو بغيهم، لا كما قالوا حرمها إسرائيل على نفسه فنحن مقتدون به، فقد كذبوا في ذلك، بل لم يطرأ التحريم إلا بعد موسى، ولم يكن ذلك محرماً على أحد قبلهم، لا في شرع إبراهيم ولا غيره، وإنما حرم إسرائيل على نفسه بالخصوص الإبل من أجل شفائه من عرق النساء الذي كان به، وقد تقدم الرد عليهم أيضاً في قوله تعالى: ﴿كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل﴾. قوله: **(حيث لم يعاجلكم بالعقوبة)** أي فإمهاله للكافر من سعة رحمته، فإذا تاب خلده في الرحمة. قوله: **(وفيه تلطف الخ)** دفع ذلك ما يقال: إن مقتضى الظاهر فقل ربكم ذو عقاب شديد، فأجاب: بأنه تلطف بدعائهم إلى الإيمان ليطمع النائب ولا ييأس.

قوله: ﴿**وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ**﴾ هذا من جملة المقول أيضاً، والمعنى لا يرد عذابه عمن لم يتب ومات على الكفر، فأطمعهم في الرحمة بالجملة الأولى، وبقي الاغترار بالجملة الثانية. قوله: ﴿**سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا**﴾ هذا اخبار من الله لنبيه بما يقع منهم في المستقبل، وقد وقع كما حكاه الله عنهم في سورة النحل بقوله تعالى: ﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء﴾ الخ، وإنما قالوه إظهاراً لكونهم على الحق، لا اعتذاراً من ارتكاب هذه القبائح، مدعين أن المشيئة لازمة للرضا، فلا يشاء إلا ما يرضاه، وقد وقع الكفر بمشيئته فهو راض به، فكيف تقول يا محمد إنا نعذب على شيء أراده الله منا ورضيه؟ وحاصل رد تلك الشبه، أن تقول لا يلزم من المشيئة الرضا، بل يشاء القبيح ولا يرضاه، ويشاء الحسن ويرضاه، فكل شيء بمشيئته تعالى.

قوله: ﴿**لَوْ شَاءَ اللَّهُ**﴾ أي عدم إشراكنا، فمفعول المشيئة محذوف، وهذه المقدمة صادقة، لكنهم توصلوا بها إلى مقدمة كاذبة قدرها المفسر بقوله: **(فهو راض به)** قوله: ﴿**وَلَا آبَاؤُنَا**﴾ معطوف على الضمير في إشراكنا، والفاصل موجود وهو لا النافية، وتقدير المفسر نحن بيان للضمير في إشراكنا لا لصحة العطف، إذ يكفي أي فاصل، قال ابن مالك:

وإن على ضمير رفع متصل عطف فافصل بالضمير المنفصل

أو فاصل ما. قوله: **(فهو راض بـه)** هذا هو نتيجة قولهم: ﴿**لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا**﴾. قوله: **(قال**

﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم ﴿حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا﴾ عذابنا ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾ بأن الله راض بذلك ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾ أي لا علم عندكم ﴿إِن﴾ ما ﴿تَتَّبِعُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ﴾ ما ﴿أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ ﴿١٤٨﴾ تكذبون فيه ﴿قُلْ﴾ إن لم تكن لكم حجة ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ التامة ﴿فَلَوْ شَآءَ﴾ هدايتكم ﴿لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١٤٩﴾ ﴿قُلْ هَلُمَّ﴾ أحضروا ﴿شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾ الذي حرمتموه ﴿فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ ﴿١٥٠﴾ يشركون ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ﴾ أقرأ ﴿مَا حَرَّمَ

تعالى) أي تسلية له عليه الصلاة والسلام. قوله: **(كما كذب هؤلاء)** أي مثل ما كذبوك ولم يصدقوك بما جئت به، كذب الأمم السابقة أنبياءهم. قوله: **﴿حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾** غاية للتكذيب أي استمروا على التكذيب حتى ذاقوا الخ. قوله: **﴿مِنْ عِلْمٍ﴾** من زائدة، وعلم مبتدأ مؤخر، وعند ظرف خبر مقدم، والمعنى هل عندكم من شيء تحتجون به على ما زعمتم من أن الله راض بأفعالكم فتظهروه لنا؟. قوله: **(أي لا علم عندكم)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: **﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَالِغَةُ﴾** جواب شرط مقدر، قدره المفسر بقوله: **(إن لم يكن لكم حجة)**. قوله: **(التامة)** أي وهي إرسال الرسل وإنزال الكتب، ومعنى التامة الكاملة التي لا يعتريها نقص ولا خفاء. قوله: **(هدايتكم)** قدره إشارة إلى أن مفعول شاء محذوف. قوله: **﴿لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾** أي ولكنه لم يشأ ذلك فلم يحصل، ومحط التعليق على هداية الجميع، وأما هداية البعض فقد حصلت.

قوله: **﴿قُلْ هَلُمَّ﴾** فيها لغتان: لغة أهل الحجاز عدم إلحاقها شيئاً من العلامات، فهي بلفظ واحد للمذكر والمؤنث والمثنى والمجموع والقرآن جاء عليها، وعلى ذلك فهي اسم فعل بمعنى احضروا، ولغة تميم وهي إلحاقها العلامات، فتقول هلموا وهلمي وهلما وهلمن، وعليها فهي فعل أمر، وهذا الأمر لمزيد التبكيت لهم، وإقامة الحجة عليهم. قوله: **﴿فَإِنْ شَهِدُوا﴾** أي بعد مجيئهم وحضورهم. قوله: **﴿فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾** أي لا تصدقهم ولا تمل لقولهم، وهذا خطاب له والمراد غيره لاستحالته عليه. قوله: **﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾** معطوف على قوله: **﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾**. قوله: **﴿وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾** الجملة حالية ومعنى يعدلون يسوون به غيره، والمعنى لا تتبع الذين يجمعون بين التكذيب بآيات الله، وبين الكفر بالآخرة، وبين الإشراك بالله في أهوائهم.

قوله: **﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾** لما أقام الله سبحانه وتعالى الحجة على الكفار، بأنه لا تحليل ولا تحريم إلا بما أحله الله أو حرمه كأن سائلاً قال: وما الذي حرمه وأحله؟ فقال سبحانه: **﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾** الخ، وتعالوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، وهو في الأصل موضوع لطلب ارتفاع من مكان سافل إلى مكان عال، ثم استعمل في الاقبال والحضور مطلقاً، وآثرها إشارة إلى أنهم في أسفل الدركات، وهو يطلبهم للرفع والعلو من أخس الأوصاف إلى أكملها وأعلاها، كأنه قال اقبلوا إلى المعالي، لأن من سمع أحكام الله وقبلها بنصح، كان في أعلى المراتب. قوله: **﴿أَتْلُ﴾** جواب الأمر مجزوم بحذف الواو، والضمة دليل عليها، وقيل جواب لشرط محذوف تقديره إن تأتوا أتل، أي أقرأ ما حرم الله عليكم.

رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا ﴾ مفسرة ﴿ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَ ﴾ أحسنوا ﴿ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم ﴾ بالوأد ﴿ مِنْ ﴾ أجل ﴿ إِمْلَاقٍ ﴾ فقر تخافونه ﴿ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ ﴾ الكبائر كالزنا ﴿ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ أي علانيتها وسرها ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ كالقود وحد الردة ورجم المحصن ﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾ المذكور ﴿ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ

قوله: ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ ما اسم موصول، وحرم صلته، والعائد محذوف، وربكم فاعل حرم، وقوله: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ تنازعه كل من أتل وحرم، أعمل الثاني، واضمر في الأول وحذف لأنه فضلة. وحاصل ما ذكر في هاتين الآيتين عشرة أشياء: خمسة بصيغ النهي، وخمسة بصيغ الأمر، وقدم المنهي عنه لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، ولأن المنهي عنه مأمور باجتنابه مطلقاً، والمأمور به على حسب الاستطاعة لما في الحديث «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فائتوا منه ما استطعتم». ووسط بينهما الأمر ببر الوالدين اعتناء بشأنه، لكونه أعظم الواجبات بعد التوحيد، وهذه العشرة لا تختلف باختلاف الأمم والأعصار، بل أجمع عليها جميع أهل الأديان، قال ابن عباس: هذه آيات محكمات، لم ينسخهن شيء في جميع الكتب، وهن محرمات على بني آدم كلهم، وهن أم الكتاب، من عمل بهن دخل الجنة، ومن تركهن دخل النار. قوله: ﴿أَنْ﴾ (مفسرة) أي وضابطها موجود، وهو أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه، واستشكل بأن هذا يقتضي أن جميع ما يأتي محرم، مع أن بعضه مأمور بفعله على سبيل الوجوب. أجيب بأجوبة منها: أن التحريم في المنهي عنه ظاهر وفي المأمور به باعتبار أضدادها، فالمعنى حرم فعلاً وهي المنهيات، أو تركاً وهي المأمورات، ومنها أن في الكلام حذف الواو مع ما عطفت، والتقدير ما حرم ربكم عليكم وما أمركم به، ثم فرع بعد ذلك على المذكور والمحذوف، والأقرب الأول.

قوله: ﴿لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾ أي لا في الأقوال، ولا في الأفعال، ولا في الاعتقادات. قوله: ﴿إِحْسَاناً﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف قدره المفسر بقوله: (أحسنوا) والمراد بالوالدين الأب والأم وإن علياً. قوله: (بالوأد) تقدم أنه الدفن بالحياة. قوله: ﴿مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ يطلق بمعنى الفقر والافلاس والإفساد، والمراد هنا الأول. قوله: نحن ﴿نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ هذا في مغنى التعليل للنهي المتقدم، والمعنى لا تقتلوا أولادكم من أجل حصول فقر، لأن رزقكم ورزقهم علينا لا على غيرنا، وقال هنا: ﴿مِنْ إِمْلَاقٍ﴾، وقال في الإسراء: ﴿خشية إملاق﴾، لأن ما هنا في الفقر الحاصل بالفعل، وما في الإسراء في الفقر المتوقع، فهو خطاب للأغنياء، وقدم هنا خطاب الآباء، وهناك ضمير الأولاد قيل تفننا، وقيل قدم هنا خطاب الآباء تعجيلاً لبشارة الآباء الفقراء بأنهم في ضمان الله، وقدم هناك ضمير الأولاد، لتطمئن الآباء بضمان رزق الأولاد، فهذه الآية تفيد النهي للآباء عن قتل الأولاد، وإن كانوا متلبسين بالفقر، والأخرى عن قتلهم وإن كانوا موسرين، ولكن يخافون وقوع الفقر. قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾ هذا أعم مما قبله، لأن من جملة الفواحش قتل الأولاد. قوله: (أي علانيتها) أي كالقتل والزنا والسرقة وجميع المعاصي الظاهرية، وقوله: (وسرها) أي كالرياء والعجب والكبر والحسد وجميع المعاصي القلبية.

قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ﴾ عطف خاص على عام، ونكتته الاستثناء بعدة. قوله: ﴿الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ مفعول حرم محذوف أي قتلها. قوله: ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ في محل نصب على الحال، أو صفة لمصدر

﴿تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٥١﴾ تتدبرون ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي﴾ أي بالخصلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ وهي ما فيه صلاحه ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ بأن يحتلم ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل وترك البخس ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقتها في ذلك فإن أخطأ في الكيل والوزن والله يعلم صحة نيته فلا مؤاخذة عليه كما ورد في حديث ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ في حكم أو غيره ﴿فَاعْدِلُوا﴾ بالصدق ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ المقول له أو عليه ﴿ذَا قُرْبَى﴾ قرابة ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿١٥٢﴾ بالتشديد تتعظون والسكون ﴿وَأَنَّ﴾ بالفتح على تقدير اللام والكسر استئنافاً

محذوف، والتقدير ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا ملتبسين بالحق، أو قتلاً ملتبساً بالحق، وهو استثناء مفرع، أي لا تقتلوها في حال من الأحوال، إلا في حال ملابستكم بالحق. قوله: **(كالقود)** أي القصاص، وقوله: **(وحد الردة)** أي لما في الحديث «من بدل دينه فاقتلوه». وقوله: **(ورجم المحصن)** أي بشروطه، وهو وما قبله المذكورة في الفروع.

قوله: **﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ﴾** مبتدأ وخبر، وقوله: **(المذكور)** إشارة إلى أن اسم الإشارة عائد على ما تقدم من الأمور. قوله: **﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾** ختم هذه الآية بذلك، لأنها اشتملت على خمسة أشياء عظام، والوصية فيها أبلغ منها في غيرها، لعموم نفعها في الدين والدنيا، فختمها بالعقل الذي هو مناط التكليف. قوله: **(أي بالخصلة التي)** **﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾** أشار بذلك إلى أنه نعت لمصدر محذوف، والمعنى لا تقربوا مال اليتيم في حالة من الحالات، إلا في الحالة التي هي أحسن لليتيم.

قوله: **﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾** غاية لما يفهم من النهي، كأنه قال: احفظوه إلى بلوغ أشده، فسلموه له حينئذ. قوله: **(بأن يحتلم)** هذا تفسير لبلوغ الأشد، باعتبار أول زمانه، وسيأتي في الأحقاف تفسيره باعتبار آخره وهو ثلاث وثلاثون سنة، لأن الأشد هو قوة الإنسان وشدته ومبدؤه البلوغ، وينتهي لثلاث وثلاثين سنة. قوله: **﴿بِالْقِسْطِ﴾** متعلق بمحذوف إما حال من فاعل: **﴿أَوْفُوا﴾**، أو من مفعوله أي أوفوهما حال كونكم مقسطين، أو حال كونهما تامين. قوله: **(وترك البخس)** أي النقص في الكيل أو الوزن. قوله: **(فلا مؤاخذة عليه)** أي لا إثم، ولكنه يضمن ما أخطأ فيه، لأن العمد والخطأ في أموال الناس سواء.

قوله: **﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾** المراد بالقول ما يعم الفعل، وقوله: **﴿فَاعْدِلُوا﴾** **(بالصدق)** أي لا تتركوه في القول ولا في الفعل، وإنما خص القول تنبيهاً بالأدنى على الأعلى. قوله: **﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ﴾** إما مضاف لفاعله أي ما عهده إليكم، أو لمفعوله أي ما عاهدتم الله عليه. قوله: **﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾** ختمها بذلك لأن هذه الأمور خفية غامضة، لا بد فيها من الاجتهاد والتذكر. قوله: **(والسكون)** صوابه والتخفيف، إذ لم يقرأ بسكون الذال، فمن شدد قلب التاء ذالاً وأدغمها في الأخرى، ومن خفف حذف إحدى التاءين. قوله: **(بالفتح)** أي مع التشديد أو التخفيف، وقوله: **(والكسر)** أي مع التشديد لا غير، فالقراءات ثلاث وكلها سبعية. قوله: **(على تقدير اللام)** أي على كل من الوجهين، وحينئذ تكون الواو عاطفة من عطف العلة على المعلول، والتقدير كلفتم بهذا الذي وصاكم به من أول الربع إلى هنا، أو من أول السورة إلى هنا، لأن هذا صراطي. قوله: **(استئنافاً)** أي واقعاً في جواب سؤال مقدر، ومع ذلك فيها معنى التعليل، كأن

﴿هَٰذَا﴾ الذي وصيتكم به ﴿صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا﴾ حال ﴿فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ الطرق المخالفة له ﴿فَتَفَرَّقَ﴾ فيه حذف إحدى التاءين تميل ﴿بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ دينه ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة وثم لترتيب الأخبار ﴿تَمَامًا﴾ للنعمة ﴿عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ﴾ بالقيام به ﴿وَتَفْصِيلًا﴾ بياناً ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم﴾ أي بني إسرائيل ﴿بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث ﴿يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ ﴿وَهَٰذَا﴾ القرآن ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾

قائلاً قال: لأي شيء كلفنا بما تقدم؟ فقيل في الجواب: أن هذا صراطي مستقيماً، ثم أعلم أنه على قراءة التشديد، فاسم الإشارة اسم أن وصراطي خبرها، وعلى قراءة التخفيف فاسمها ضمير الشأن، واسم الإشارة مبتدأ، وصراطي خبره، والجملة خبر إن، ومستقيماً حال من صراطي على كل حال. قوله: ﴿وَأَنَّ هٰذَا﴾ يصح أن يرجع اسم الإشارة إلى ما تقدم من أول الربع أو من أول السورة. قوله: ﴿صِرَاطِي مُسْتَقِيماً﴾ أي ديني لا اعوجاج فيه، فشبه الدين القويم بالصراط، بمعنى الطريق بجامع أن كلاً يوصل للمقصود، واستعار اسم المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية.

قوله: ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ أي اسلكوه ولا تحودوا عنه فتقعوا في الهلاك، روى الدارقطني عن ابن مسعود قال: خط لنا رسول الله ﷺ يوماً خطاً ثم قال: هذا سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمينه وخطوطاً عن شماله ثم قال: هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها، ثم قرأ هذه الآية، وفي رواية أنه خط خطاً وخط خطين عن يمينه، وخط خطين عن شماله، ثم وضع يده في الخط الأوسط فقال: هذا سبيل الله ثم تلا هذه الآية. قوله: (**الطرق المخالفة**) أي الأديان المباينة له، فشبه الأديان الباطلة بالطرق المعوجة بجامع أن كلاً يوصل صاحبه إلى المهالك، واستعير اسم المشبه به للمشبه. قوله: ﴿فَتَفَرَّقَ﴾ بالنصب بأن مضمرة في جواب النهي.

قوله: ﴿ذٰلِكُمْ﴾ أي ما مر من اتباع دينه وترك غيره من الأديان. قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي تمتثلون المأمورات، وتجتنبون المنهيات، وأتى بالتقوى هنا، لأن الصراط المستقيم جامع للتكاليف، وقد أمر باتباعه، ونهى عن الطرق المعوجة، فناسب ذكر التقوى. قوله: (**وثم لترتيب الاخبار**) أي الترتيب في الذكر لا في الزمان، وهو جواب عما يقال إن إيتاء موسى الكتاب، كان قبل نزول القرآن، فكيف يعطف بثم المفيدة للترتيب والتراخي؟ وأجيب أيضاً: بأن ثم لمجرد العطف كالواو، فلا ترتيب فيها ولا تراخي. قوله: ﴿تَمَاماً﴾ مفعول لأجله، أي آتيناه الكتاب لأجل تمام النعمة الخ. قوله: (**للنعمة**) أي الدنيوية والأخروية.

قوله: ﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ متعلق بتماماً، ومعنى أحسن قام به الحسن وهو الصفات الجميلة، وقوله: (**بالقيام به**) سبب لكونه قام به الحسن، والمعنى تماماً على المحسن منهم بسبب قيامه به، أي اتباعه له، وامتثاله مأموراته واجتنابه منهياته. قوله: ﴿وَتَفْصِيلاً﴾ عطف على: ﴿تَمَاماً﴾. قوله: (**أي بني إسرائيل**) أي المدلول عليهم بذكر موسى والكتاب. قوله: ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ متعلق بيؤمنون، قدم عليه للفاصلة.

قوله: ﴿وَهٰذَا كِتَابٌ﴾ مبتدأ وخبر، وجملة ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ نعت أول لكتاب، و ﴿مُبَارَكٌ﴾ نعت ثان

﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ يا أهل مكة بالعمل بما فيه ﴿وَٱتَّقُواْ﴾ الكفر ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ ﴿١٥٥﴾ أنزلناه لـ ﴿أَن﴾ لا ﴿تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ﴾ اليهود والنصارى ﴿مِن قَبۡلِنَا وَإِن﴾ مخففة واسمها محذوف أي إنا ﴿كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ﴾ قراءتهم ﴿لَغَٰفِلِينَ﴾ ﴿١٥٦﴾ لعدم معرفتنا لها إذ ليست بلغتنا ﴿أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ﴾ لجودة أذهاننا ﴿فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ﴾ بيان ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞۚ﴾ لمن اتبعه ﴿فَمَنۡ﴾ أي لا أحد ﴿أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ﴾ أعرض ﴿عَنۡهَاۗ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ أي أشده ﴿بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ﴾ ﴿١٥٧﴾ ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ﴾ ما ينتظر المكذبون ﴿إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ﴾ بالتاء والياء ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم ﴿أَوۡ يَأۡتِيَ

له، أي كثير الخير والمنافع ديناً ودنياً، والمعنى: هذا القرآن العظيم، كتاب أنزلناه من اللوح المحفوظ ليلة القدر إلى سماء الدنيا في بيت العزة، ثم نزل مفرقاً على حسب الوقائع، مبارك كثير الخير والمنافع في الدنيا بالشفاء به، والأمن من الخسف والمسخ والضلال والآخرة، بتلقي السؤال عن صاحبه وشهادته له، وكونه ظلة على رأسه في حر الموقف، والرقي به إلى الدرجات العلا. قوله: **(يا أهل مكة)** قصر الخطاب عليهم لأنهم هم المعاندون في ذلك الوقت. قوله: **(بالعمل بما فيه)** بيان لاتباعه.

قوله: **﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾** أي تصيبكم الرحمة في الدنيا والآخرة. قوله: **﴿أَنْ تَقُولُوا﴾** مفعول لأجله، والعامل محذوف قدره المفسر بقوله: **(أنزلناه)**، ولا يصح أن يكون العامل أنزلناه المذكور، لأنه يلزم عليه الفصل بين العامل والمعمول بأجنبي، وهو لفظ مبارك، وقدر المفسر لا، لأن الإنزال علة لعدم القول لا للقول، وقال بعضهم: إن الكلام على حذف مضاف أي كراهة أن تقولوا وكل صحيح. قوله: **﴿إِنَّمَا أُنْزِلَ ٱلْكِتَابُ﴾** أي جنسه الصادق بالتوراة والإنجيل. قوله: **﴿وَإِنْ﴾** **(مخففة)** أي من الثقيلة. قوله: **(واسمها محذوف)** الخ فيه شيء، وذلك لأن إن المكسورة إذا خففت ودخلت على فعل ناسخ مثل كنا أهملت، فلا عمل لها، ووجب اقتران الخبر باللام، وذلك كما في هذه الآية. قوله: **(قراءتهم)** أي لكتبهم، والمعنى لا نفهم معانيها، لأنها بالعبرانية أو السريانية، ونحن عرب لا نفهم إلا اللغة العربية. قوله: **﴿لَغَافِلِينَ﴾** أي لا نعلمها، والمقصود قطع حجتهم وعذرهم بانزال القرآن بلغتهم، والمعنى نزلنا القرآن بلغتهم، لئلا يقولوا يوم القيامة إن التوراة والإنجيل أنزلا على طائفتين من قبلنا بلغتهما فلم نفهم ما فيهما.

قوله: **﴿أَوْ تَقُولُوا﴾** عطف على المنفي وهو قطع لعذرهم أيضاً. قوله: **﴿لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾** أي إلى الحق والطريق المستقيم. قوله: **﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ﴾** أي لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم قوله: **(أي لا أحد)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: **﴿سُوءَ ٱلْعَذَابِ﴾** أي العذاب السيىء بمعنى الشديد. قوله: **﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾** الباء سببية، وما مصدرية، أي بسبب إعراضهم وتكذيبهم بآيات الله.

قوله: **﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾** استفهام إنكاري بمعنى النفي، وهو مزيد تخويف وتحذير لمن بقي على الكفر. إن قلت: إن ظاهر الآية يقتضي أنهم مصدقون بهذه الأشياء حتى أثبت لهم انتظار أحدها، أجيب بأن هذه الأشياء لما كانت محتمة، عوملوا معاملة المنتظر، ولم يعول على اعتقادهم، فالمعنى لا مفر لهم من

رَبُّكَ﴾ أي أمره بمعنى عذابه ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ أي علاماته الدالة على الساعة ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ وهي طلوع الشمس من مغربها كما في حديث الصحيحين ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ الجملة صفة نفس ﴿أَوْ﴾ نفساً لم تكن ﴿كَسَبَتْ فِي إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾

ذلك. قوله: **(ما ينتظر المكذبون)** أي من أهل مكة وغيرهم. قوله: **(بالتاء والياء)** أي فهما قراءتان سبعيتان، لأن جمع التكسير يجوز تأنيثه وتذكيره، تقول: قام الرجال، وقامت الرجال. قوله: **﴿الْمَلَائِكَةُ﴾** أي عزرائيل وأعوانه، أو ملائكة العذاب، لما تقدم أن الكافر موكل بأخذ روحه سبع من ملائكة العذاب. قوله: **(أي أمره)** أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، ودفع بذلك توهم حقيقة الإتيان، وهو الانتقال من مكان إلى آخر، إذ هو مستحيل على الله تعالى. قوله: **(بمعنى عذابه)** أي المعجل لهم، إما بالسيف أو غيره. قوله: **(الدالة على الساعة)** أي على قربها، والعلامات الكبرى عشرة وهي: الدجال، والدابة، وخسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، والدخان، وطلوع الشمس من مغربها، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر.

قوله: **﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾** يوم معمول لينفع على الصحيح من أن ما بعد لا يعمل فيما قبلها. قوله: **(وهو طلوع الشمس من مغربها)** ورد أن رسول الله ﷺ قال يوماً: أتدرون أين تذهب هذه الشمس إذا غربت؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إنها تذهب إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة، فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي فارجعي من حيث جئت، فتصبح طالعة من مطلعها، وهكذا كل يوم، فإذا أراد الله أن يطلعها من مغربها حبسها، فتقول يا رب إن مسيري بعيد، فيقول لها اطلعي من حيث غربت، فقال الناس: يا رسول الله، هل لذلك من آية؟ فقال: آية تلك الليلة أن تطول قدر ثلاث ليال، فيستيقظ الذين يخشون ربهم، فيصلون ثم يقضون صلاتهم، والليل مكانه لم ينقض، ثم يأتون مضاجعهم فينامون، حتى إذا استيقظوا والليل مكانه خافوا أن يكون ذلك بين يدي أمر عظيم، فإذا أصبحوا أطال عليهم طلوع الشمس، فبينما هم ينتظرونها، إذا طلعت عليهم من قبل المغرب. قوله: **(كما في حديث الصحيحين)** أي وهو كما في البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها» وروي أن أول الآيات ظهور الدجال، ثم نزول عيسى، ثم خروج يأجوج ومأجوج، ثم خروج الدابة، ثم طلوع الشمس من مغربها، وهو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وذلك أن الكفار يسلمون في زمن عيسى، فإذا قبض ومن معه من المسلمين، رجع أكثرهم إلى الكفر، فعند ذلك تطلع الشمس من مغربها.

قوله: **(لَا يَنْفَعُ نَفْساً﴾** أي كافرة أو مؤمنة عاصية، ويكون قوله: **﴿لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ﴾** راجعاً للأولى، وقوله: **﴿أَوْ كَسَبَتْ﴾** راجعاً للثانية، ويكون التقدير لا ينفع نفساً كافرة لم تكن آمنت من قبل إيمانها الآن، ولا ينفع نفساً مؤمنة توبتها من المعاصي، فقوله: **﴿أَوْ كَسَبَتْ﴾** معطوف على: **﴿آمَنَتْ﴾**، وحينئذ فيكون في الكلام حذف قد علمته. قوله: **(الجملة صفة نفس)** أي جملة لم تكن آمنت من قبل، وجاز الفصل بين الصفة والموصوف لأنه بالفاعل وهو ليس بأجنبي. قوله: **﴿أَوْ﴾ (نفساً لم تكن) ﴿كَسَبَتْ﴾** أشار بذلك إلى

طاعة أي لا تنفعها توبتها كما في الحديث ﴿ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ ﴾ أحد هذه الأشياء ﴿ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ ﴿١٥٨﴾ ذلك ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ ﴾ باختلافهم فيه فأخذوا بعضه وتركوا بعضه ﴿ وَكَانُواْ شِيَعًا ﴾ فرقاً في

أن المعطوف في الحقيقة محذوف هو معطوف على المنفي. قوله: (كما في الحديث) روي عن صفوان بن عسال المرادي قال: قال رسول الله ﷺ: «باب من قبل المغرب، مسيرة عرضه أربعون أو سبعون سنة، خلقه الله تعالى يوم خلق السماوات والأرض مفتوحاً للتوبة، لا يغلق حتى تطلع الشمس منه». وورد أن من الاشراط العظام، طلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض، وهذان أيهما سبق الآخر، فالآخر على أثره». وورد «صبيحة تطلع الشمس من مغربها، يصير في هذه الأمة قردة وخنازير، وتطوى الدواوين، وتجف الأقلام، لا يزاد في حسنة، ولا ينقص من سيئة، ولا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً». وورد «لا تزال الشمس تجري من مطلعها إلى مغربها، حتى يأتي الوقت الذي جعله الله غاية لتوبة عباده، فتستأذن الشمس من أين تطلع، ويستأذن القمر من أين يطلع، فلا يؤذن لهما، فيحبسان مقدار ثلاث ليال للشمس، وليلتين للقمر، فلا يعرف مقدار حبسهما إلا قليل من الناس، وهم أهل الأوراد وحملة القرآن، فينادي بعضهم بعضاً، فيجتمعون في مساجدهم بالتضرع والبكاء والصراخ بقية تلك الليلة، ثم يرسل الله جبريل إلى الشمس والقمر، فيقول إن الرب تعالى يأمركما أن ترجعا إلى مغاربكما فتطلعا منه لا ضوء لكما عندنا ولا نور، فتبكي الشمس والقمر من خوف يوم القيامة وخوف الموت، فترجع الشمس والقمر فيطلعان من مغربهما، فبينما الناس كذلك يتضرعون إلى الله، والغافلون في غفلاتهم، إذ نادى مناد: ألا إن باب التوبة قد أغلق، والشمس والقمر قد طلعا من مغاربهما فينظر الناس وإذا بهما أسودين كالعكمين، أي الغرارتين العظميتين، لا ضوء لهما ولا نور، فذلك قوله: ﴿وجمع الشمس والقمر﴾ فيرتفعان مثل البعيرين المقرنين، ينازع كل منهما صاحبه استباقاً، ويتصايح أهل الدنيا، وتذهل الأمهات عن أولادها، وتضع كل ذات حمل حملها، فأما الصالحون والأبرار، فإنهم ينفعهم بكاؤهم يومئذ، ويكتب لهم عبادة، وأما الفاسقون والفجار، فلا ينفعهم بكاؤهم يومئذ، ويكتب عليهم حسرة، فإذا بلغت الشمس والقمر وسط السماء، جاءهما جبريل فأخذ بقرونهما فردهما إلى المغرب، فيغربهما في باب التوبة، ثم يرد المصراعين فيلتئم ما بينهما وتصيران كأنهما لم يكن فيهما صدع ولا خلل، فإذا أغلق باب التوبة، لم يقبل لعبد بعد ذلك توبة، ولا تنفعه حسنة يعملها بعد ذلك إلا ما كان قبل ذلك، فإنه يجري لهم». وورد: «أن الدنيا تمكث بعد طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرين سنة، يتمتع المؤمنون فيها أربعين سنة، لا يتمنون شيئاً إلا أعطوه، ثم يعود فيهم الموت ويسرع، فلا يبقى مؤمن، ويبقى الكفار يتهارجون في الطرق كالبهائم، حتى ينكح الرجل المرأة في وسط الطريق، يقوم واحد عنها وينزل واحد، وأفضلهم من يقول لو تنحيتم عن الطريق لكان أحسن، فيكونون على مثل ذلك، حتى لا يولد لأحد من نكاح، ثم يعقم الله النساء ثلاثين سنة، ويكون كلهم أولاد زنا، شرار الناس عليهم تقوم الساعة. قوله: ﴿قُلِ انْتَظِرُوا﴾ أمر تهديد على حد اعملوا ما شئتم.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ الأقرب كما قال المفسر، أنها نزلت في اليهود والنصارى لما ورد: قام فينا رسول الله فقال: «ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين، اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة وهي الجماعة، وفي رواية:

ذلك وفي قراءة فارقوا أي تركوا دينهم الذي أمروا به وهم اليهود والنصارى ﴿ لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ فلا تتعرض لهم ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ﴾ يتولاه ﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم ﴾ في الآخرة ﴿ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ ﴿١٥٩﴾ فيجازيهم به وهذا منسوخ بآية السيف ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ﴾ أي لا إله إلا الله ﴿ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ أي جزاء عشر حسنات ﴿ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾ أي جزاءه ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ﴿١٦٠﴾ ينقصون من جزائهم شيئاً ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ويبدل

«من كان على ما أنا عليه وأصحابي». قوله: (فأخذوا بعضه) أي كما حكاه الله عنهم بقوله في سورة النساء: ﴿ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض﴾. قوله: (وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضاً. قوله: ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي لست مأموراً بقتالهم، وهذا ما مشى عليه المفسر من أنها منسوخة، وقيل إنها محكمة، والمعنى أنت بريء منهم ومن أفعالهم، لقطع نسبهم منك بكفرهم. قوله: (فيجازيهم به) أي بفعلهم. قوله: (وهذا) أي قوله: ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾. قوله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ أي يوم القيامة. قوله: ﴿فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ هذا إخبار بأقل المضاعفة، وإلا فقد جاء مضاعفة الحسنة بسبعين وسبعمائة وبغير حساب، واعلم أن المضاعفة تابعة للإخلاص، فكل من عظم إخلاصه، كانت مضاعفة حسناته أكثر، ومن هنا قوله عليه الصلاة والسلام: «الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً من بعدي، فوالذي نفسي بيده، لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه». وفسر الحسنة بلا إله إلا الله، وهو أحد تفسيرين، والآخر أن المراد بها كل ما أمر الله به، فيشمل الذكر والصلاة والصدقة، وغير ذلك من أنواع البر، وهو الأولى، لأنه أراد خصوص ما ينجي من الشرك، فذلك جزاؤه دخول الجنة، وإن أراد الذكر بها فلا مفهوم لها، لأن العبرة بعموم اللفظ، وأفرد في الحسنة والسيئة، لأنه لو جمع لربما توهم أن الجزاء إجمالي، بحيث يعطي في نظير حسناته كلها عشرة أمثالها، بل الجزاء لكل فرد من أفراد الحسنات والسيئات، لأن الحسنات تتفاوت، فربما جوزي على بعضها عشراً وعلى بعضها أكثر. قوله: ﴿أَمْثَالِهَا﴾ جمع مثل إن قلت: إنه مذكر، فكان مقتضاه تأنيث العدد، قال ابن مالك:

ثلاثة بالتاء قل للعشرة في عد ما آحاده مذكره في الضد جرد الخ.

وأجيب بأنه جرد التاء مراعاة لإضافة مثل لضمير الحسنة، فكأنه اكتسب التأنيث من المضاف إليه، أو يقال إن أمثال صفة لموصوف محذوف تقديره عشر حسنات أمثالها، فجرد العدد من التاء مراعاة الموصوف المحذوف، وإلى هذا الثاني أشار المفسر بقوله: (أي جزاء عشر حسنات). قوله: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ أي الشرك على ما قال المفسر، حيث فسر الحسنة بلا إله إلا الله، أو ما هو أعم وهو الأولى. قوله: ﴿فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ أي إن مات غير تائب وجوزي، وإلا فأمره مفوض لربه، فإن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه، وأما إن مات تائباً فلا سيئة له، لأنه من المحبوبين لله والمحبوب لا سيئة له، قال تعالى: ﴿إن الله يحب التوابين﴾، وقال عليه الصلاة والسلام: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له». قوله: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي العاملون للحسنات والسيئات. قوله: (ينقصون من جزائهم) هذا بالنظر لجزاء الحسنات، أي ولا يزاد في سيئات أهل العقاب، فالظلم نقص المحسن والزيادة في المسيء، وتسميته ظلماً

من محله ﴿ دِينًا قِيَمًا ﴾ مستقيماً ﴿ مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿١٦١﴾ ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾ عبادتي من حج وغيره ﴿ وَمَحْيَايَ ﴾ حياتي ﴿ وَمَمَاتِي ﴾ موتي ﴿ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿١٦٢﴾ ﴿ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ﴾ في ذلك ﴿ وَبِذَٰلِكَ ﴾ أي التوحيد ﴿ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿١٦٣﴾ من هذه الأمة ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا ﴾ إلهاً أي لا أطلب غيره ﴿ وَهُوَ رَبُّ ﴾ مالك ﴿ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ ذنباً ﴿ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ ﴾ تحمل نفس ﴿ وَازِرَةٌ ﴾ آثمة ﴿ وِزْرَ ﴾ نفس ﴿ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم

تنزل منه سبحانه وتعالى، وإلا فالظلم التصرف في ملك الغير، ولا ملك لأحد منه تبارك وتعالى، وأما الزيادة في الحسنات فليس بظلم، بل هو تفضل منه وإحسان، واعلم: أن الحسنة تتفاوت، والسيئة كذلك، فليس من تصدق بدرهم كمن تصدق بدينار وهكذا، وليس من فعل صغيرة كمن فعل كبيرة وهكذا، فعشرة أمثال الحسنة من شكلها، ومثل السيئة من شكلها، واعلم أيضاً: أن هذا الجزاء لمن فعل الحسنة والسيئة، وأما من هم بحسنة ولم يعملها، كتبت له حسنة واحدة، ومن هم بسيئة ولم يعملها، فإن تركها خوف الله كتبت حسنة، وإن تركها لا لذلك، لم تكتب شيئاً، لما في الحديث: «قال الله تعالى: إذا تحدث عبدي بحسنة ولم يعملها، فأنا أكتبها له حسنة حتى يعملها، فإن عملها، فأنا أكتبها له بعشر حسنات، وإذا تحدث عبدي بسيئة ولم يعملها، فأنا أغفرها له حتى يعملها، فإن عملها فأنا أكتبها له بمثلها». قوله: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي﴾ إن حرف توكيد ونصب، والياء اسمها، وجملة هداني ربي خبرها، وهدى فعل ماض، والياء مفعول أول، و ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ مفعول ثان، و ﴿رَبِّي﴾ فاعل، والمعنى: قل يا محمد لكفار مكة، إنني أرشدني ربي ووصلني إلى دين مستقيم لا اعوجاج فيه. قوله: **(ويبدل من محله)** أي محل: إلى صراط مستقيم، وهو النصب، لأنه المفعول الثاني. قوله: ﴿قِيماً﴾ نعت لديناً، أي لا اعوجاج فيه. قوله: ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ بدل ﴿دِيناً﴾ أي دينه وشريعته وما أوحي به إليه. قوله: ﴿حَنِيفاً﴾ حال من إبراهيم، أي مائلاً عن الضلال إلى الاستقامة. قوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ عطف حال على أخرى، وفيه تعريض بخروج جميع من خالف دين الإسلام عن إبراهيم. قوله: **(عبادتي)** أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿وَنُسُكِي﴾ عطف عام على خاص.

قوله: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ قرأ نافع بسكون ياء محياي، وفتح ياء مماتي، والباقون بالعكس. قوله: ﴿لله رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر إن، ولكن يقدر بالنسبة للعبادة خالصة، وبالنسبة للحياة والموت مخلوقة. قوله: **(في ذلك)** أي الصلاة والنسك والمحيا والممات. قوله: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ أي المنقادين لله، واستشكل بأنه تقدمه الأنبياء وأممهم، وأجاب المفسر بأن الأولية بالنسبة لأمته. وأجيب أيضاً بأن الأولية بالنسبة لعالم الذر فهي حقيقة.

قوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾ نزلت لما قال الكفار: يا محمد ارجع إلى ديننا، وغير منصوب بأبغي، و ﴿رَبّاً﴾ تمييز، وقوله: **(إلهاً)** تفسير لرباً. قوله: **(أي لا أطلب)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ الجملة حالية، والمعنى لا يليق أن أتخذ إلهاً غير الله، والحال أنه مالك كل شيء. قوله: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ رد لقولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم،

مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ ﴿١٦٤﴾ ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴾ جمع خليفة أي يخلف بعضكم بعضاً فيها ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ﴾ بالمال والجاه وغير ذلك ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ ﴾ ليختبركم ﴿ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ أي أعطاكم إياه ليظهر المطيع منكم والعاصي ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ﴾ لمن عصاه ﴿ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ ﴾ للمؤمنين ﴿ رَّحِيمٌۢ ﴾ ﴿١٦٥﴾ بهم.

أي يكتب علينا ما عملتم من الخطايا. قوله: ﴿إِلَّا عَلَيْهَا﴾ أي إلا في حال كونه مكتوباً عليها لا على غيرها.

قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾ أي ولا غير وازرة، وإنما قيد بالوازرة موافقة لسبب النزول، وهو أن الوليد بن المغيرة كان يقول للمؤمنين: اتبعوا سبيلي أحمل عليكم أوزاركم، وهو وازر. قوله: ﴿وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ إن قلت: كيف هذا مع قوله تعالى: ﴿وليحملن أثقالكم وأثقالاً مع أثقالهم﴾، وقوله عليه الصلاة والسلام: «من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة»؟ أجيب بأن ما هنا محمول على من لم يتسبب فيه بوجه، وفي الآية الأخرى والحديث محمول على من تسبب فيه، فعليه وزر المباشرة، ووزر التسبب، ووزر الفاعل لا يفارقه. قوله: ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ﴾ أي يخبركم ويعلمكم. قوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ أي من الأديان والملل. قوله: (أي يخلف بعضكم بعضاً فيها) أشار بذلك إلى أن إضافة خلائف للأرض على معنى في.

قوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ﴾ أي خالف بين أحوالكم، حيث جعل منكم الحسن والقبيح، والغني والفقير، والعالم والجاهل، والقوي والضعيف، ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ﴾ وليس عجزاً عن مساواتكم، فإنه منزه عنه سبحانه. قوله: (ليختبركم) أي يعاملكم معاملة المختبر، وإلا فلا يخفى عليه شيء. قوله: (أي أعطاكم إياه) أي من الغنى والفقر، ليتبين الصابر والشاكر من غيرهما. قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ إن قلت: إن الله حليم لا يعجل بالعقوبة على من عصاه، فكيف وصف بكونه سريع العقاب؟ أجيب: بأن كل آت قريب، أو المعنى سريع العقاب إذا جاء وقته، وأكد الجملة الثانية هنا باللام، وفي الأعراف الجملتين، لأن الوعيد المتقدم هنا،أخف من الوعيد المتقدم هناك، فالوعيد هنا هو قوله: ﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها﴾، وأما في الأعراف فهو قوله: ﴿وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس﴾، وقوله: ﴿كونوا قردة خاسئين﴾، فالمقام هنا لغلبة الرحمة، فلذلك أكدت دون العقاب، وأما هناك فالمقام لهما، فلذلك أكدا معاً. قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ جعل خبر إن في هذه الآية من الصفات الذاتية الواردة على بناء المبالغة، وأكده باللام، وجعل خبر إن السابقة، صفة جارية على غير من هي له، للتنبيه على أنه تعالى غفور رحيم بالذات مبالغ فيهما، ومعاقب بالعرض، مسامح في العقوبة، ومعنى بالذات مغفرته ورحمته لا تتوقف على تأهل من العبد، ومعنى بالعرض أن عقابه لا يكون إلا بعد صدور ذنب فتأمل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الأَعْرَافِ

مكيّة

إلا (واسألهم عن القرية) الثمان أو الخمس آيات وهي مائتان وخمس أو ست آيات

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾ الله أعلم بمراده بذلك هذا ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾ ضيق ﴿مِّنْهُ﴾ أن تبلغه مخافة أن تكذب ﴿لِتُنذِرَ﴾ متعلق بأنزل أي للانذار ﴿بِهِۦ وَذِكْرَىٰ﴾ تذكرة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ به قل لهم ﴿اتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأعراف مكية

إلا (واسألهم عن القرية) الثمان أو الخمس آيات وهي مائة وخمس أو ست آيات

سميت بذلك لذكر أهل الأعراف فيها من باب تسمية الشيء بجزئه. قوله: **(مكية)** تقدم أن المكي ما نزل قبل الهجرة وإن بأرض المدينة. قوله: **(الثمان)** أي ومنتهاها: ﴿إنا لا نضيع أجر المصلحين﴾، وقوله: **(أو الخمس)** أي ومنتهاها: ﴿إنه لغفور رحيم﴾. قوله: **(الله أعلم بمراده بذلك)** هذا أحد أقوال تقدم جملة منها، وقد ذكر هذا القول في الخازن بقوله هي حروف مقطعة استأثر الله بعلمها، وهي سره في كتابه العزيز. قوله: **(هذا)** ﴿كِتَابٌ﴾ قدره إلى أن كتاب خبر لمحذوف، واسم الإشارة عائد على القرآن بمعنى القدر الذي نزل منه، وجملة: ﴿أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ نعت لكتاب قصد به تشريف النازل والمنزل عليه. قوله: ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾ لا ناهية، و ﴿يَكُنْ﴾ مجزوم بها، و ﴿فِي صَدْرِكَ﴾ خبرها مقدم، و ﴿حَرَجٌ﴾ اسمها مؤخر، و ﴿مِنْهُ﴾ صفة لحرج، وهو نهي عن المسبب، وفي الحقيقة النهي عن أسباب الحرج، والمعنى: لا تتعاط أسباباً توجب الحرج. قوله: **(أن تبلغه)** أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، أي من تبليغه، ويصح أن الضمير عائد على المنزل أو الانزال أو الانذار.

قوله: ﴿لِتُنْذِرَ﴾ من الإنذار، وهو التخويف من عذاب الله بسبب مخالفته. قوله: **(متعلق بأنزل)** أي واللام للتعليل، فهو مفعول لأجله، وإنما جر باللام لفقد بعض الشروط، لأنه اختلف مع عامله في الزمان والفاعل، لأن زمن الإنزال غير زمن الإنذار، فاعل الإنزال: الله تعالى، وفاعل الإنذار: النبي ﷺ. قوله: ﴿وَذِكْرَى﴾ إما في محل نصب عطف على تنذر، أو في محل رفع خبر لمحذوف

﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي القرآن ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا﴾ تتخذوا ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي الله أي غيره ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ تطيعونهم في معصيته تعالى ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ بالتاء والياء تتعظون وفيه إدغام التاء في الأصل في الذال وفي قراءة بسكونها وما زائدة لتأكيد القلة ﴿وَكَم﴾ خبرية مفعول ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ أريد أهلها ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾ أردنا إهلاكها ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيَٰتًا﴾ ليلاً ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ۝٤﴾ نائمون بالظهيرة والقيلولة استراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم أي مرة جاءها ليلاً ومرة نهاراً ﴿فَمَا

تقديره هو ذكرى، أو في محل جر عطف على المصدر المنسبك من أن المقدرة بعد اللام والفعل، والتقدير أنزل للإنذار والتذكير. ولما كان النبي مكلفاً بالتبليغ للكفار، وإن لم يتعظوا به، أسند الإنذار له، ولما كانت الموعظة والتذكر قائمة بالمؤمنين عند سماعه، أسندت لهم، فالواعظ للكفار من غيرهم، والواعظ للمؤمنين من أنفسهم، وحيث كان القرآن منزلاً لإنذار الكفار واتعاظ المؤمنين، فلا يحل إخراجه عما أنزل له، كأن يقرأه الشخص في الطرقات لطلب الدنيا، أو ليتغنى به حيث يكون المقصود من القرآن الدنيا أو التلذذ بالصوت الحسن كما يتلذذ بالغناء، فإن ذلك من الضلال المبين الموجب للعقوبة.

قوله: ﴿**ٱتَّبِعُوا**﴾ أمر لجميع المكلفين أو للكافرين. قوله: ﴿**مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ إما متعلق بأنزل أو بمحذوف حال من الموصول. قوله: ﴿**مِنْ دُونِهِ**﴾ إما متعلق بقوله: ﴿**لَا تَتَّبِعُوا**﴾، والمعنى لا تعدلوا عنه إلى غيره من الشياطين أو الكهان، أو حال من ﴿**أَوْلِيَاءَ**﴾، لأنه نعت نكرة قدم عليها، والمعنى لا تتولوا من دونه أحداً من شياطين الإنس والجن، ليحملوكم على الأهواء والبدع. قوله: (**بالتاء**) أي مع تشديد الذال بعدها، وقوله: (**والياء**) أي قبل التاء مع تخفيف الذال، وقوله: (**وفيه إدغام التاء**) راجع إلى القراءة الأولى، وقوله: (**وفي قراءة بسكونها**) صوابه بتخفيفها وفيه حذف إحدى التاءين فالقراءات ثلاث، وكلها سبعية. قوله: (**وما زائدة لتأكيد القلة**) أي وقليلاً نعت مصدر محذوف، أي تذكراً قليلاً أو نعت ظرف زمان محذوف، أي زماناً قليلاً، والمصدر أو الظرف منصوب بالفعل بعده. قوله: ﴿**وَكَمْ**﴾ (**خبرية**) أي بمعنى كثيراً، ولم ترد في القرآن إلا هكذا، ويجب لها الصدارة لكونها على صورة الاستفهامية. قوله: (**مفعول**) أي لفعل محذوف يفسره قوله: ﴿**أَهْلَكْنَاهَا**﴾ من باب الاشتغال، والتقدير وكم من قرية أهلكناها، ويصح أن يكون كم مبتدأ، وجملة ﴿**أَهْلَكْنَاهَا**﴾ خبر و ﴿**مِنْ قَرْيَةٍ**﴾ تمييز لكم على كل حال. قوله: (**أريد أهلها**) أي فأطلق المحل، وأريد الحال فيه، فهو مجاز مرسل. قوله: (**أردنا إهلاكها**) جواب عما يقال إن الإهلاك مسبب عن البأس الذي هو العذاب، وظاهر الآية يقتضي أن العذاب مسبب عن الإهلاك، فأجاب بأن الكلام فيه حذف. قوله: ﴿**بَيَاتاً**﴾ يحتمل أنه حال، والتقدير جاءها بأسنا حال كونه بياتاً أي في البيات بمعنى الليل، أو ظرف وهو المتبادر من عبارة المفسر.

قوله: ﴿**أَوْ هُمْ قَائِلُونَ**﴾ أو للتنويع، والجملة حالية معطوفة على ما قبلها، والواو مقدرة وإنما حذفت لدفع الثقل باجتماع حرفي عطف في الصورة، وقائلون من قال يقيل، كباع يبيع، فألفه منقلبة عن ياء، بخلاف قال من القول، فهي منقلبة عن واو. قوله: (**والقيلولة استراحة نصف النهار**) هذا قول ثان في تفسيرها فتحصل أن القيلولة فيها قولان: النوم وقت الظهر، أو الاستراحة في وسط النهار، وإن لم يكن معها نوم. قوله: (**أي مرة جاءها ليلاً**) الخ هذا تفسير مراد للآية، وقوله: (**جاءها**) أي جاء بعضها ليلاً

كَانَ دَعْوَىٰهُمْ ﴾ قولهم ﴿ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ ﴿٥﴾ ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ أي الأمم عن إجابتهم الرسل وعملهم فيما بلغهم ﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿٦﴾ عن الإبلاغ ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ﴾ لنخبرنهم عن علم بما فعلوه ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ ﴿٧﴾ عن إبلاغ الرسل والأمم الخالية فيما عملوا ﴿ وَٱلْوَزْنُ ﴾ للأعمال أو لصحائفها بميزان له لسان وكفتان كما ورد في حديث، كائن ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم السؤال المذكور وهو يوم القيامة ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ العدل صفة لوزن ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بالحسنات ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿٨﴾ الفائزون ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بالسيئات

كقوم لوط، وقوله: **(ومرة نهاراً)** أي كقوم شعيب. قوله: **﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾** أي استغاثتهم وتضرعهم، أو المراد قولهم على سبيل التحسر والتندم. قوله: **﴿إِذ جَاءَهُمْ﴾** ظرف لقوله: **﴿دَعْوَاهُمْ﴾**. قوله: **﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾** أي إلا قولهم: **﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾** والمعنى أنهم لم يقدروا على دفع العذاب عنهم، وإنما ذلك تحسر وندامة طمعاً في الخلاص.

قوله: **﴿فَلَنَسْأَلَنَّ﴾** اللام موطئه لقسم محذوف، والتقدير والله لنسألن، وهذا إشارة لعذابهم في الآخرة، إثر بيان عذابهم في الدنيا، والمقصود من سؤال الأمم زيادة الأمم الافتضاح لهم، ومن سؤال الرسل: رفع قدرهم، وزيادة شرفهم، وتبكيت الأمم حيث كذبوهم. قوله: **﴿بِعِلْمٍ﴾** متعلق بمحذوف حال من فاعل نقصن، والتقدير فلنقصن عليهم حال كوننا مصحوبين بعلم، وهذا حيث سكتت الرسل عن الجواب، ﴿وقالوا لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت علام الغيوب﴾. قوله: **﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾** توكيد لما قبله. قوله: **(فيما عملوا)** في بمعنى عن، أي عملوا. قوله: **﴿وَالْوَزْنُ﴾** مبتدأ، وقوله: **﴿يَوْمَئِذٍ﴾** خبره، و **﴿الْحَقُّ﴾** نعته، وهذا هو إعراب المفسر، ويصح أن يكون **﴿الْحَقُّ﴾** خبر المبتدأ، و **﴿يَوْمَئِذٍ﴾** ظرف منصوب على الظرفية، وهذا الوزن بعد أخذ الصحف والحساب، ثم بعد الوزن يكون المرور على الصراط، وهو مختلف باختلاف أحوال العباد. قوله: **(للأعمال أو لصحائفها)** هذا إشارة لقولين: فعلى الأول تصور الأعمال الصالحة بصورة نيرة حسنة وتوضع في كفة الحسنات، وتصور الأعمال السيئة بصورة مظلمة قبيحة وتوضع في كفة السيئات، وبقي قول ثالث: وهو أن الوزن للذوات لما في الحديث: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة». قوله: **(وكفتان)** بكسر الكاف وفتحها في المثنى والمفرد والجمع، كفف بالكسر لا غير.

قوله: **﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾** الخ، اعلم أن الناس في القيامة ثلاث فرق: متقون لا كبائر لهم، ومخلطون، وكفار، فأما المتقون فإن حسناتهم توضع في الكفة النيرة، وصغائرهم إن كانت لهم في الكفة الأخرى، فلا يجعل الله لتلك الصغائر وزناً، وتكفر صغائرهم باجتنابهم الكبائر، ويؤمر بهم إلى الجنة، وينعم كل على حسب أعماله. وأما الكفار فإنهم يوضع كفرهم في الكفة المظلمة، ولا توجد لهم حسنة توضع في الكفة الأخرى فتبقى فارغة، فيأمر الله بهم إلى النار، وهذان الصنفان هما المذكوران في القرآن صراحة في آيات الوزن. وأما الذين خلطوا، فقد ثبت في السنة أن حسناتهم توضع في الكفة النيرة، وسيئاتهم في الكفة المظلمة، فإن كانت الحسنات أثقل ولو بأقل قليل أو ساوت أدخلوا الجنة، وإن كانت

﴿فَأُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم﴾ بتصييرها إلى النار ﴿بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ﴾ ﴿٩﴾ يجحدون ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ﴾ يا بني آدم ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ﴾ بالياء أسباباً تعيشون بها جمع معيشة ﴿قَلِيلٗا مَّا﴾ لتأكيد القلة ﴿تَشۡكُرُونَ﴾ ﴿١٠﴾ على ذلك ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾ أي أباكم آدم ﴿ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ﴾ أي صورناه أو أنتم في ظهره ﴿ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ سجود تحية بالإنحناء

السيئات أثقل ولو بأقل قليل أدخلوا النار إلا أن يعفو الله، هذا إن كانت كبائرهم فيما بينهم وبين الله. وأما إن كانت عليهم تبعات، وكانت لهم حسنات كثيرة، فإنه يؤخذ من حسناتهم فيرد على المظلوم، وإن لم يكن لهم حسنات أخذ من سيئات المظلوم، فيحمل على الظالم من أوزار من ظلمه، ثم يعذب إلا أن يرضي الله عنه خصماءه. قوله: **(بالحسنات)** أي بسبب ثقلها في الميزان، ورجحانها على السيئات. قوله: **(بالسيئات)** أي بسبب رجحانها على الحسنات. قوله: **﴿بِمَا كَانُوا﴾** متعلق بخسروا، وما مصدرية، و**﴿بِآيَاتِنَا﴾** متعلق بيظلمون قدم عليه للفاصلة، وقوله: **(يجحدون)** أشار بذلك إلى أنه ضمن الظلم معنى الجحد فعداه بالباء.

قوله: **﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ﴾** الخ لما بين سبحانه وتعالى عاقبة من استمر على الكفر، ومن استمر على الإيمان، ذكر ما أفاض عليهم من النعم الموجبة للشكر. قوله: **﴿مَعَايِشَ﴾ (بالياء)** أي باتفاق السبعة، لأن الياء أصلية إذ هي جمع معيشة، وأصلها معيشة بسكون العين وكسر الياء أو ضمها، نقلت كسرة الياء إلى الساكن قبلها، أو قلبت ضمة الياء كسرة ثم نقلت إلى ما قبلها، وحيث كانت الياء في المفرد أصلية فإنها تبقى في الجمع، وقرىء شذوذاً بالهمزة تخريجاً على زيادة الياء وأصالة الميم، وأما إن كانت الياء في المفرد زائدة، فإنها تكون في الجمع همزة، كصحائف وصحيفة. قال ابن مالك:

والمد زيد ثالثاً في الواحد همزاً يرى في مثل كالقلائد

قوله: **(أسباباً تعيشون بها)** أي تحيون فيها كالمأكل والمشرب وما به تكون الحياة. قوله: **(لتأكيد القلة)** أي زائدة لتأكيد القلة، والمعنى أن الشاكر قليل، قال تعالى: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾. قوله: **﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾** الخ تذكير لنعمة عظيمة على آدم، سارية إلى ذريته موجبة لشكرها. قوله: **(أي أباكم آدم)** أي حين كان طيباً غير مصور. قوله: **(أي صورناه)** أي حين كان بشراً بتخطيطه وشق حواسه، وإنما جعل المفسر الكلام على حذف مضاف لأجل أن يصح الترتيب بثم، وإنما ينسب الخلق والتصوير للخاطبين إعطاء لمقام الامتنان حقه، وتأكيداً لوجوب الشكر عليهم بالرمز، إلى أن لهم حظاً من خلق أبيهم وتصويره، لأنهما من الأمور السارية في الذرية جميعاً. قوله: **(أو أنتم في ظهره)** هكذا في نسخة بأو، وفي أخرى بالواو، فعلى الأول يكون جواباً ثانياً. والحاصل أن الناس اختلفوا في **﴿ثُمَّ﴾** في هذين الموضعين، فمنهم من لم يلتزم فيها ترتيباً، وجعلها بمنزلة الواو، وأبقى الآية على ظاهرها، ومنهم من قال هي للترتيب الزماني، وجعل الكلام على حذف مضاف في الخلق والتصوير. قوله: **(سجود تحية بالانحناء)** أشار بذلك إلى أن المراد السجود اللغوي وهو الانحناء، كسجود إخوة يوسف وأبويه له، وقد كان تحية للملوك في الأمم السابقة، وعليه فلا إشكال، وقال بعضهم: إن السجود شرعي بوضع الجبهة على الأرض لله وآدم قبلة كالكعبة، ويحتمل أن السجود على ظاهره لآدم، وقولهم إن السجود لغير الله كفر محله

﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ أبا الجن كان بين الملائكة ﴿لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ١١﴾ ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا﴾ زائدة ﴿تَسۡجُدَ إِذۡ﴾ حين ﴿أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ١٢﴾ ﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا﴾ أي من الجنة وقيل من السماوات ﴿فَمَا يَكُونُ﴾ ينبغي ﴿لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ﴾ منها ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ١٣﴾ الذليلين ﴿قَالَ أَنظِرۡنِيٓ﴾ أخرني ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ

إن كان من هوى النفس لا بأمر الله، ونظير ذلك تعظيمنا مشاعر الحج فتأمل.

قوله: ﴿**فَسَجَدُوا**﴾ أي قبل دخول الجنة، وأول من سجد: جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون، واختلف في مدة السجود، فقيل مائة سنة، وقيل خمسمائة سنة، وقيل غير ذلك. قوله: (**أبا الجن**) هذا أحد قولين، والثاني هو أبو الشياطين، فرقة من الجن لم يؤمن منهم أحد. قوله: (**كان بين الملائكة**) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع، وأنه ليس من الملائكة، قال في الكشاف: لما اتصف بصفات الملائكة جمع معهم في الآية واحتيج إلى استثنائه، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إلا إبليس كان من الجن﴾ وقال بعضهم إنه من الملائكة، فالاستثناء متصل وقوله تعالى كان من الجن أي في الفعل، والمعول عليه الأول.

قوله: ﴿**مَا مَنَعَكَ**﴾ ما استفهامية للتوبيخ في محل رفع بالابتداء، والجملة بعدها خبر، و ﴿**أَنْ**﴾ في محل نصب أو جر، لأنها على حذف حرف الجر و ﴿**إِذْ**﴾ منصوب بتسجد، والتقدير أي شيء منعك من السجود حين أمرتك. قوله: (**زائدة**) أي لتأكيد معنى النفي في **منعك**، فهو كما في ص بحذفها وهو الأصل، لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً. قوله: ﴿**خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ**﴾ هذه الجملة لا محل لها من الإعراب، لأنها كالتفسير والبيان لما قبلها من دعوى الخيرية.

فائدة: قال هنا: ﴿**مَا مَنَعَكَ**﴾، وفي سورة الحجر قال: ﴿يا إبليس مالك أن لا تكون مع الساجدين﴾ وفي سورة صٓ ﴿ما **منعك** أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ الآية، اختلاف العبارات عند الحكاية، دل على أن اللعين قد أدرج في معصية واحدة ثلاثة معاص: مخالفة الأمر، ومفارقة الجماعة، والاستكبار مع تحقير آدم، وشبهة الخيرية أن النار جسم لطيف نوراني، والطين جسم كثيف ظلماني، وما كان لطيفاً نورانياً، خير مما كان كثيفاً ظلمانياً، ولما كان ما احتج به على ربه باطلاً، لكون الطين فيه منافع كثيرة وفوائد جمة، ويتوقف عليه نظام العالم لاحتياجه اليه، ولما ينشأ عنه من النبات والماء اللذين هما غذاء العالم السفلي، والنار منافعها قليلة، ولا يتوقف عليها نظام العالم، لوجود كثير منه غير محتاج لها، ولا لما يسوى بها، رد عليه المولى بأشنع رد، وأجابه بجواب السائل المتعنت المتكبر بقوله: ﴿**فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا**﴾ الآية.

قوله: ﴿**قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا**﴾ الفاء لترتيب الأمر على ما ظهر من مخالفة اللعين. قوله: (**أي من الجنة**) أي وعليه فبقي في السماوات خارج الجنة. قوله: (**وقيل من السموات**) أي فلم يبق له استقرار في العالم العلوي أصلاً. قوله: ﴿**أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا**﴾ أي ولا في غيرها، ففي الكلام اكتفاء، لأن الكبر مذموم مطلقاً. قوله: (**الذليلين**) تفسير للصاغرين من الصغار، وهو بالفتح الذل والضيم. قوله: ﴿**قَالَ أَنْظِرْنِي**﴾ لما كره اللعين إذاقة الموت، طلب البقاء والخلود إلى يوم البعث، ومن المعلوم أن لا موت بعد، فقصد استمرار

يُبْعَثُونَ ﴾ ﴿١٤﴾ أي الناس ﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾ ﴿١٥﴾ وفي آية أخرى ﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾ أي وقت النفخة الأولى ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي ﴾ أي باغوائك لي والباء للقسم وجوابه ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ ﴾ أي لبني آدم ﴿ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ ﴿١٦﴾ أي على الطريق الموصل إليك ﴿ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ﴾ أي من كل جهة فأمنعهم عن سلوكه قال ابن عباس ولا يستطيع أن يأتي من فوقهم لئلا يحول بين العبد وبين رحمة الله تعالى ﴿ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ ﴿١٧﴾ مؤمنين ﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا ﴾ بالهمزة معيباً أو ممقوتاً ﴿ مَّدْحُورًا ﴾ مبعداً عن الرحمة ﴿ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ ﴾ من الناس واللام للابتداء أو موطئة للقسم وهو ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿١٨﴾ أي منك بذريتك ومن الناس وفيه تغليب الحاضر على الغائب وفي الجملة معنى

الحياة في الدنيا والآخرة، فأجابه الله لا على مراده، بل أمهله إلى النفخة الأولى، ولا نجاه له من الموت ولا من العذاب. قوله: (**أي وقت النفخة الأولى**) أي لا وقت النفخة الثانية التي طلبها اللعين.

قوله: ﴿**قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي**﴾ الخ غرضه بهذا أخذ ثأره منهم، لأنه لما طرد ومقت بسببهم، أحب أن ينتقم منهم أخذاً بالثأر. قوله: (**والباء للقسم**) أي وما مصدرية، وما بعدها مسبوك بها، يشير له قول المفسر بإغوائك لي، ويصح أن تكون للسببية. قوله: (**أي على الطريق الخ**) أشار بـه إلى أن صراط منصوب على نزع الخافض. قوله: ﴿**مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ**﴾ أي من الجهات التي يعتاد الهجوم منها، وهي الجهات الأربع، ولذلك لم يذكر الفوق والتحت، وأما الفوق فلكونه لما يمكنه أن يحول بين العبد ورحمة ربه، كما قال ابن عباس، وأما التحت فلكبره لا يرضى أن يأتي من ذلك، ويكثر إتيانه من أمام وخلف، ويضعف في اليمين واليسار لحفظ الملائكة، وذكر بعضهم حكمة أخرى لعدم مجيئه من تحت، لكون الآتي من تحت إنما يريد الازعاج، وهو يريد التأليف للغاوية، والأول أقرب، وإنما عدى الفعل في الأولين بمن الابتدائية، لأن شأن التوجه منها بخلاف الأخيرين، فالآتي منهما كالمنحرف لليسار. قوله: ﴿**وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**﴾ يحتمل أنه من الوجدان بمعنى اللقاء فيتعدى لواحد، وشاكرين حال، ويحتمل أنه بمعنى العلم فيتعدى لاثنين.

قوله: ﴿**قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤوماً**﴾ تأكيد لما تقدم، ومذؤوم بالهمزة من ذأمه يذأمه ذأماً إذا عابه ومقته، أي أخرج ممقوتاً معاباً عليك. قوله: (**مبعداً عن الرحمة**) أي لأن الدحر الطرد والإبعاد، يقال دحره يدحره دحراً ودحوراً، ومنه قوله تعالى:﴿ويقذفون من كل جانب دحوراً﴾وهما حالان من فاعل أخرج. قوله: (**واللام للابتداء**) أي داخلة على المبتدأ، فمن اسم موصوف مبتدأ، و ﴿**تَبِعَكَ**﴾ صلته، و ﴿**مِنْهُمْ**﴾ متعلق بتبعك، وقوله: ﴿**لَأَمْلَأَنَّ**﴾ جواب قسم محذوف بعد قوله: ﴿**مِنْهُمْ**﴾ والقسم وجوابه في محل رفع خبر المبتدأ. قوله: (**أو موطئة للقسم**) والتقدير والله لمن تبعك، ومن اسم شرط مبتدأ، ولأملأن جواب القسم المدلول عليه بلام التوطئة، وجواب الشرط محذوف لسد جواب القسم مسده. قوله: (**وفيه تغليب الحاضر**) أي وهو إبليس، وقوله: (**على الغائب**) أي وهو الناس. قوله: (**وفي الجملة**) أي وهي: ﴿**لَأَمْلَأَنَّ**﴾ وقوله: (**معنى جزاء من**) أي على كونها شرطية، وتقديره أعذبه.

جزاء من الشرطية أي من تبعك أعذبه ﴿ وَ ﴾ قال ﴿ يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ ﴾ تأكيد للضمير في اسكن ليعطف عليه ﴿ وَزَوْجُكَ ﴾ حواء بالمد ﴿ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ بالأكل منها وهي الحنطة ﴿ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ ﴿١٩﴾ ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ ﴾ إبليس ﴿ لِيُبْدِىَ ﴾ يظهر

قوله: ﴿وَيَا آدَمُ﴾ تقدير المفسر قال يفيد أنه معطوف على: ﴿اخْرُجْ﴾ مسلط عليه عامله، عطف قصة على قصة، ويصح عطفه على قوله: ﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا﴾ فيكون مسلطاً عليه، قلنا وربما كان هذا أقرب من حيث المناسبة، والأول أقرب من حيث قرب المعطوف من المعطوف عليه، وهذا القول يحتمل أنه واقع من الله مباشرة أو على لسان ملك. قوله: (تأكيد للضمير في اسكن) أي وليس هو الفاعل، لأن فاعل فعل الأمر واجب الاستتار، وقوله: (ليعطف عليه) ﴿وَزَوْجُكَ﴾ جواب عما يقال لم أتى بالضمير المنفصل. قوله: (حواء) سميت بذلك لأنها خلقت من حي وهو آدم، وذلك أن آدم لما أسكن الجنة، مشى فيها مستوحشاً، فلما نام خلقت من ضلعه القصير من شقه الأيسر، ليسكن إليها ويأنس بها، فلما استيقظ ورآها مال إليها، فقالت له الملائكة: يا آدم حتى تؤدي مهرها، فقال: وما مهرها؟ فقالوا: ثلاث صلوات أو عشرون صلاة على النبي ﷺ. إن قلت: إن شرط المهر أن يكون متمولاً، وهذا ليس بمتمول. أجيب: بأن هذا الشرط في شرع محمد، ولم يكن في شرع آدم، وأيضاً الآمر هو الله وهو يحكم لا معقب لحكمه، وأيضاً من خصائص رسول الله ﷺ أن يزوج بلا مهر أصلاً، فلما كان هو الواسطة في ذلك، عد كأنه هو العاقد لهما، وإنما كان خصوص الصلاة على النبي ﷺ إشارة إلى أنه ﷺ هو الواسطة العظمى في كل نعمة وصلت لكل أحد، حتى أبيه آدم، وأمر الله آدم بالسكون في الجنة، قيل قبل دخول الجنة، فتوجيه الخطاب لحواء باعتبار تعلق علم بها، فإنها لم تكن خلقت إذ ذاك، وقيل بعد الدخول وهو المعتمد، وعليه فيكون المراد من الأمر بالسكون الاستمرار.

قوله: ﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ أي في أي مكان، وفي الكلام حذف بعد من، والأصل فكلا من ثمارها حيث شئتما، وترك رغداً من هذا اكتفاء يذكره في البقرة، وأتى بالفاء هنا، وفي البقرة بالواو وتفننا وإشارة إلى أن كلاً من الحرفين بمعنى الآخر، وقيل إن الواو تفيد الجمع المطلق، والفاء تفيد الجمع على سبيل التعقيب، فالمفهوم من الفاء نوع داخل تحت المفهوم من الواو فلا منافاة، وما ذكره شيخ الإسلام من الجواب بعيد، كما تقدم لنا في البقرة فانظره. بقي شيء آخر وهو أنه وجه الخطاب أولاً لآدم، وثانياً لهما، وحكمة ذلك أن حواء في السكنى تابعة لآدم، فوجه الخطاب في السكنى لآدم، وأما في الأكل من حيث شاءا، والنهي عن قربان الشجرة فقد اشتركا فيه، فلذا وجه الخطاب لهما معاً.

قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾ يقال قربت الأمر أقربه من باب تعب، وفي لغة من باب قتل، قرباناً بالكسر فعلته أو دانيته، وحينئذ يكون النهي عن القربان، أبلغ من النهي عن الأكل بالفعل. قوله: (وهي الحنطة) وقيل الكرم، وقيل التين، وقيل البلح، وقيل الأترج، والمشهور ما قاله المفسر. قوله: ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي لأنفسهما. قوله: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ الوسوسة: الحديث الخفي الذي يلقيه الشيطان في قلب الانسان على سبيل التكرار. إن قلت: إن الأنبياء معصومون من وسوسة الشيطان، وظاهر الآية يقتضي أن الشيطان وسوس لآدم. أجيب: بأنه لم يباشر آدم بالوسوسة، وإنما باشر حواء، وهي باشرت آدم بذلك، قال محمد بن قيس: ناداه ربه يا آدم لم أكلت منها وقد نهيتك؟ قال: أطعمتني

﴿ لَهُمَا مَا وُورِيَ ﴾ فوعل من المواراة ﴿ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا ﴾ كراهة ﴿ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ ﴾ وقرىء بكسر اللام ﴿ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ ﴿٢٠﴾ أي وذلك لازم عن الأكل منها كما في آية أخرى (هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) ﴿ وَقَاسَمَهُمَا ﴾ أي أقسم لهما بالله ﴿ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ ﴿٢١﴾ في ذلك ﴿ فَدَلَّاهُمَا ﴾ حطهما عن منزلتهما ﴿ بِغُرُورٍ ﴾ منه

حواء، قال لحواء: لم أطعمتيه؟ قالت: أمرتني الحية، قال للحية: لم أمرتيها؟ قالت: أمرني إبليس، قال الله: أما أنت يا حواء فلأدمينك كل شهر كما أدميت الشجرة، وأما أنت يا حية فأقطع رجليك فتمشين على وجهك وليشدخن رأسك كل من لقيك، وأما أنت يا إبليس فملعون. إن قلت: كيف وسوس لهما وهو خارج الجنة؟ أجيب: بأن وسوسته وإن كانت خارج الجنة، إلا أنها وصلت لهما بقوة جعلها الله له على ذلك، أو أنه تحيل على دخول الجنة بدخوله في جوف الحية ووسوس لهما، وقوله: ﴿**الشَّيْطَانُ**﴾ من شاط بمعنى احترق، أو من شطن بمعنى بعد، قوله: (**إبليس**) أي من أبلس إبلاساً بمعنى يائس، لأنه آيس من رحمة الله، وقد تقدم في البقرة جملة أسمائه فانظرها.

قوله: ﴿**لِيُبْدِيَ لَهُمَا**﴾ هذا من جملة أغراضه في الوسوسة، فتكون اللام للتعليل، ويحتمل أنها للعاقبة، وأن غرضه في الوسوسة خصوص غضب الله عليهما وطردهما من الجنة. قوله: ﴿**مَا وُورِيَ عَنْهُمَا**﴾ أي غطى وستر عنهما، واختلف في ذلك اللباس، فقيل غطاء على الجسد من جنس الأظفار فنزع عنهما وبقيت الأظفار في اليدين والرجلين، تذكرة وزينة وانتفاعاً، ولذلك قالوا إن النظر للأظفار في حال الضحك يقطعه، وقيل كان نوراً، وقيل كان من ثياب الجنة. قوله: (**فوعل**) أشار بذلك إلى أن الواو الثانية زائدة، وحينئذ فلا يجب قلب الأولى همزة، وإنما يجب لو كانت الثانية أصلية. قوله: ﴿**مِنْ سُوْآتِهِمَا**﴾ عورتهما سميت بذلك لأن كشفها يسيء صاحبها.

قوله: ﴿**وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا**﴾ معطوف على وسوس بيان له. قوله: ﴿**أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ**﴾ بفتح اللام أي لم ينهكما عن الأكل منها إلا كراهة أن تكونا من الملائكة، أو تكونا من الخالدين في الجنة فالمعنى الذي أدعاه لهما، أن الأكل منها سبب لأن يكونا من الملائكة وسبب للخلود فيها. قوله: (**كراهة**) أفاد المفسر أن الاستثناء مفرغ وهو مفعول من أجله، قدره البصريون: ﴿**إِلَّا**﴾ (**كراهة**) ﴿**أَن تَكُونَا**﴾ الخ، وقدره الكوفيون أن لا تكونا، وتقدير البصريين أولى، لأن إضمار الاسم أحسن من اضمار الحرف. قوله: (**وقرىء بكسر اللام**) أي شذوذاً، ويؤيده قوله تعالى في موضع آخر ﴿هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ فالملك بالضم يناسب الملك بالكسر. قوله: (**أي وذلك**) أي أحد الأمرين. وقوله: (**لازم**) أي ناشيء (**عن الأكل منها**)، وقضية هذه الآية على قراءة الكسر، عدم اجتماع الأمرين، وقضية الآية الأخرى وهي ﴿هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ اجتماعهما، وأجيب بأن أو بمعنى الواو، وحكمة ترغيبهما في الملكية، أن الملائكة خصوا بالقرب من العرش، ولهم المنزلة عند الله.

قوله: ﴿**وَقَاسَمَهُمَا**﴾ معطوف على ﴿**فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ**﴾ وإنما أقسم لهما لأجل تأكيد إضلاله، فهو أول من حلف كاذباً، بل هو أول من عصى الله مطلقاً. قوله: (**أي أقسم لهما بالله**) أي وقبلا منه القسم، فالمفاعلة باعتبار ذلك، وإلا فالواقع أنها ليست على بابها، لأن الحالف هو فقط. قوله: (**في ذلك**)

﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾ أي أكلا منها ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ أي ظهر لكل منهما قبله وقبل الآخر ودبره وسمى كل منهما سوأة لأن انكشافه يسوء صاحبه ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾ أخذا يلزقان ﴿عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ ليستترا به ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ﴿٢٢﴾ بين العداوة والاستفهام للتقرير ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ بمعصيتنا ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟﴾ أي آدم وحواء بما اشتملتما عليه من ذريتكما

أي ما ذكر من كونهما يلحقان بالملائكة ويكونان من الخالدين. قوله: ﴿فَدَلَّاهُما﴾ التدلي النزول من أعلى لأسفل. قوله: (حطهما عن منزلتهما) أي الحسنة، لأن غروره تسبب عنه نزولهما من الجنة إلى الأرض لا المعنوية، بل رتبتهما عند الله لم تنقص بل ازدادت. قوله: ﴿بِغُرُورٍ﴾ الباء سببية، والغرور تصوير الباطل بصورة الحق.

قوله: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾ من الذواق وهو تناول الشيء ليعرف طعمه، وفيه إشارة إلى أنهما لم يتناولا منها كثيراً، لأن شأن من ذاق الشيء أن يقتصر على ما قل منه. قوله: ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُما﴾ أي سقط عنهما لباسهما فبدت الخ. قوله: (ودبره) أي الآخر، وأما دبر نفسه فلا يظهر له، إلا إن التفت له وتعاناه. قوله: (يسوء صاحبه) أي يوقعه في السوء. قوله: ﴿وَطَفِقَا﴾ من باب طرب، أي شرعا وأخذا. قوله: ﴿يَخْصِفَانِ﴾ من خصف النعل خرزه والمراد يلزقان بعضه على بعض لأجل الستر. قوله: ﴿عَلَيْهِما﴾ أي القبل والدبر. قوله: ﴿مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ قيل ورق التين وقيل ورق الموز.

قوله: ﴿نَادَاهُما رَبُّهُما﴾ يحتمل على لسان ملك أو مباشرة. قوله: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُما﴾ إما تفسير للنداء فلا محل له من الاعراب، أو مقول لقول محذوف، والتقدير قائلاً: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا﴾ الخ، قوله: ﴿وَأَقُلْ لَكُما﴾ أي كما في آية طه: ﴿فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك﴾ الآية. قوله: (بين العداوة) لكما حيث امتنع من السجود له، ورضي بالطرد والبعد. قوله: (استفهام للتقرير) أي وهو حمل المخاطب على الإقرار، والمعنى أقر بذلك على حد: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾.

قوله: ﴿قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ هذا إخبار من الله عن آدم وحواء باعترافهما وندمهما على ما وقع منهما، وإنما عاتبهما الله على ذلك، وإن كان ليس بمعصية حقيقة، لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين، وليس ذلك بقادح في عصمة آدم، لأن المستحيل على الأنبياء تعمد المخالفة، وأما الخطأ في الاجتهاد والنسيان الرحماني فهو جائز عليهم، ونظير ذلك ما وقع في قصة ذي اليدين، حيث سلم رسول الله من ركعتين، فقال له ذي اليدين: أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله؟ فقال: كل ذلك لم يكن، فقال: بل بعض ذلك قد كان الحديث، وقال رسول الله ﷺ: «لم أنس ولكن أنسي لأسن» وحكمة الأكل من الشجرة ما ترتب على ذلك من وجود الخلق وعمارة الدنيا، فأنساه الله لأجل حصول تلك الحكمة البالغة، فمن نسب التعمد والتجرؤ لآدم فقد كفر، كما أن من نفى عنه اسم العصيان فقد كفر لمصادمة آية: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ فالمخلص من ذلك أن يقال إن معصيته ليست كالمعاصي، وتقدم تحقيق هذا المقام في سورة البقرة فانظره.

قوله: ﴿وَإِنْ لَم تَغْفِرْ لَنَا﴾ شرط حذف جوابه اكتفاء بجواب القسم. قوله: (بما اشتملتما عليه

﴿بَعْضُكُمْ﴾ بعض الذرية ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ من ظلم بعضهم بعضاً ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ مكان استقرار ﴿وَمَتَاعٌ﴾ تمتع ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ ﴿٢٤﴾ تنقضي فيه آجالكم ﴿قَالَ فِيهَا﴾ أي الأرض ﴿تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ بالبعث بالبناء للفاعل والمفعول ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ أي خلقناه لكم ﴿يُوَارِي﴾ يستر ﴿سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا﴾ هو ما يتجمل به من الثياب ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ﴾ العمل الصالح والسمت الحسن بالنصب عطف على لباساً والرفع مبتدأ خبره جملة ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ دلائل قدرته ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ فيؤمنون فيه التفات

من ذريتكما) أي فهذا هو وجه الجمع في الآية، وقيل إن الجمع باعتبار آدم وحواء والحية وإبليس. ويكون قوله: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ باق على ظاهره لأن إبليس والحية عدو لآدم وحواء. قوله: (مكان استقرار) أي وهو المكان الذي يعيش فيه الإنسان، والمكان الذي يدفن فيه. قوله: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾ أصله تحييون كترضيون، تحركت الياء الثانية وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، ثم حذفت لالتقاء الساكنين. قوله: (بالبناء للفاعل الخ) أي في ﴿تُخْرَجُونَ﴾ وأما ﴿تَحْيَوْنَ﴾ و ﴿تَمُوتُونَ﴾ فللفاعل لا غير.

قوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ لما قدم قصة آدم وحواء وما أنعم به عليهما، وفتنة الشيطان لهما خاطب أولاد آدم عموماً بتذكير نعمه عليهم وحذرهم من اتباع الشيطان لأنه عدو لأبيهم، والعداوة للآباء متصلة للأبناء. قوله: ﴿قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً﴾ أي أنزلنا أسبابه من السماء وهو المطر، فينشأ عنه النبات الذي يكون منه اللباس كالقطن والكتان، وتعيش به الحيوانات التي يكون منها الصوف والشعر والوبر والحرير. قوله: ﴿سَوْآتِكُمْ﴾ أي عوراتكم، أي فهو نعمة. قوله: ﴿وَرِيشاً﴾ معطوف على ﴿لِبَاساً﴾ وعبر عنه بالريش، لأن الريش زينة الطائر، كما أن اللباس زينة الآدميين، والمعنى أن الله تعالى منَّ على بني آدم بلباسين: لباساً يواري سوآتهم، ولباساً ريشاً أي زينة، ويصح أن يكون معطوفاً على: ﴿يُوَارِي﴾ فيكون وصف اللباس بشيئين: كونه يواري سوآتكم، وكونه زينة لكم، ويؤخذ من الآية أن لبس لباس الزينة غير مذموم، والمراد الزينة التي لم تخالف الشرع وهذا إن صح القصد بأن لم يقصد الفخر ولا العجب بها، كما أن التقشف في اللباس غير مذموم إن كان خالياً من الأغراض الفاسدة، بأن لم يقصد به دعوى الولاية أو إظهار الفقر لأجل أن يتصدق عليه، وبالجملة فالمدار على حسن القصد تجمل بالثياب أو تخشن فيها، وفي هذا المعنى قال بعضهم:

ليس التصوف لبس الصوف والخلق ... بل التصوف حسن الصمت والخلق
فالبس من اللبس ما تختار أنت وقم ... جنح الظلام وأجر الدمع في الغسق
قرب لابس الديباج مشغله ... حب الذي خلق الإنسان من علق
وكم فتى لابس للخيش تحسبه ... تاج وذلك عند العارفين شقي
فإن ذلك لم يحجبه ملبسه ... وذا مع اللبس مأسور فلم يفق

قوله: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ أي الناشىء عنها أو الناشئة عنه. قوله: (العمل الصالح) أي المنجي من العذاب، لأن الإنسان يكسى من عمله يوم القيامة. قوله: (خبره جملة) ﴿ذلِكَ خَيْرٌ﴾ أي فاسم الإشارة مبتدأ ثان، وخير خبره، والجملة من المبتدأ الثاني، وخبره خبر الأول، واسم الإشارة عائد على قوله:

عن الخطاب ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ﴾ يضلكم ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ أي لا تتبعوه فتفتنوا ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم ﴾ بفتنته ﴿ مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ ﴾ حال ﴿ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ ﴾ أي الشيطان ﴿ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ ﴾ جنوده ﴿ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ ﴾ للطافة أجسادهم أو عدم ألوانهم ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ

﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ وإنما كان خيراً لأنه يستر من فضائح الآخرة، وفي الحديث: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» فإذا كان كذلك، فينبغي للإنسان أن يشتغل بتحسين ظاهره بالأعمال الصالحة، وباطنه بالإخلاص، فإنه محل نظر الله منه، ولذلك قال العارف البكري: إلهي زين ظاهري بامتثال ما أمرتني به ونهيتني عنه، وزين سري بالأسرار وعن الأغيار فصنه. قوله: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ اسم الإشارة عائد على اللباس المنزل بأقسامه. قوله: **(فيه التفات عن الخطاب)** أي وكان مقتضى الظاهر لعلكم تذكرون، ونكتته دفع الثقل في الكلام.

قوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ لما ذكرهم نعمة اللباس، نبههم على أن الشيطان حسود وعدو لهم، كما أنه عدو لأبيهم. قوله: ﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ هو نهي له صورة، وفي الحقيقة نهي لبني آدم عن الاصغاء لفتنته واتباعه، فليس المراد النهي عن تسلطه، إذ لا قدرة لمخلوق على منع ذلك، لأنه قضاء مبرم، بل المراد النهي عن الميل اليه، وإلى ذلك أشار المفسر بقوله: **(أي لا تتبعوه فتفتنوا)**. قوله: ﴿كما أَخْرَجَ﴾ الكاف بمعنى مثل صفة لمصدر محذوف، وما مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر، والتقدير فتنة مثل فتنة إخراج أبويكم، والجامع بينهما زوال النعم في كل. قوله: ﴿أَبَوَيْكُمْ﴾ أي آدم وحواء. قوله: **(بفتنته)** الباء سببية. قوله: **(حال)** أي من ﴿أَبَوَيْكُمْ﴾ أو من ضمير ﴿أَخْرَجَ﴾ وكل صحيح، فإن الجملة مشتملة على ضمير الأبوين وعلى ضمير الشيطان، وإسناد النزع اليه باعتبار كونه سبباً فيه، والنزع أخذ الشيء بسرعة وقوة، ومنه قوله تعالى: ﴿تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل متقعر﴾، وفيه إشارة إلى أن من اتبع الشيطان، تزول نعمه بسرعة وقوة. وأتى بالمضارع حكاية للحال الماضية استحضاراً للصورة العجيبة.

قوله: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ﴾ تعليل للتحرز من الشيطان اللازم للنهي، كأنه قيل: فاحذروه لأنه يراكم الخ. قوله: ﴿وَقَبِيلُهُ﴾ معطوف على الضمير المتصل في ﴿يَرَاكُمْ﴾ واتى بالضمير المنفصل، وإن كان قد حصل الفصل بالكاف زيادة في الفصاحة، والقبيل اسم لما اجتمع من شتات الخلق، ولذلك فسره بالجنود، والقبيلة الجماعة من أب واحد. قوله: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ ﴿مِنْ﴾ ابتدائية، و ﴿حَيْثُ﴾ ظرف مكان، التقدير إنه يراكم رؤية مبتدأة من مكان لا ترونهم فيه. قوله: **(للطافة أجسادهم)** فأجسامهم كالهواء، نعلمه ونتحققه ولا نراه للطافته وعدم تلونه، هذا وجه عدم رؤيتنا لهم. وأما وجه رؤيتهم لنا فكثافة أجسادنا وتلوننا، وأما رؤية بعضهم لبعض فحاصلة لقوة في أبصارهم. وهذا حيث كانوا بصورتهم الأصلية، وأما إذا تصوروا بغيرها فتراهم، لأن الله جعل لهم قدرة على التشكيل بالصورة الجميلة أو الخسيسة، وتحكم عليهم الصورة كما في الأحاديث الصحيحة. فالآية ليست على عمومها والفرق بينهم وبين الملائكة، أن الملائكة لا يتشكلون إلا في الصور الجميلة ولا تحكم عليهم بخلاف الجن وقد ورد أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وجعلت صدر بني آدم مساكن لهم، إلا من عصمه الله، كما قال تعالى: ﴿والذي يوسوس في صدور الناس﴾ فهم يرون بني آدم، وبنو آدم لا يرونهم. قال

﴿ أَوْلِيَآءَ ﴾ أعواناً وقرناء ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً ﴾ كالشرك وطوافهم بالبيت عراة قائلين لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنهوا عنها ﴿ قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَآءَنَا ﴾ فاقتدينا بهم ﴿ وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ﴾ أيضاً ﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٢٨﴾ أنه قاله استفهام إنكار ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴾ العدل ﴿ وَأَقِيمُوا ﴾ معطوف على معنى بالقسط أي قال أقسطوا وأقيموا أو قبله فاقبلوا مقدراً ﴿ وُجُوهَكُمْ ﴾ لله ﴿ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ أي أخلصوا له سجودكم ﴿ وَادْعُوهُ ﴾ اعبدوه ﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ من الشرك ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ ﴾ خلقكم ولم تكونوا شيئاً ﴿ تَعُودُونَ ﴾ ﴿٢٩﴾ أي يعيدكم أحياء يوم القيامة ﴿ فَرِيقًا ﴾ منكم ﴿ هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَٰلَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ أي غيره ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿ يَٰ

مجاهد: قال إبليس جعل لنا أربع نرى ولا نرى، ونخرج من تحت الثرى، ويعود شيخنا شاباً. وقال مالك ابن دينار: إن عدواً يراك ولا تراه لشديد المجاهدة، إلا من عصمه الله.

قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ أي صيرناهم أعواناً لغير المؤمنين ومكناهم من إغوائهم. فتحرزوا منهم. قوله: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ هذه الآية نزلت في كفار مكة، كانوا يطوفون عراة رجالهم بالنهار، ونساؤهم بالليل، فكان أحدهم إذا قدم حاجاً أو معتمراً يقول: لا ينبغي أن أطوف في ثوب قد عصيت فيه ربي، فيقول من يعيرني إزاراً. فإن وجد وإلا طاف عرياناً، وإذا فرض وطاف في ثياب نفسه، ألقاها إذا قضى طوافه وحرمها على نفسه. قوله: ﴿قَالُوا وَجَدْنَا﴾ الخ أي محتجين بهذين الأمرين: تقليد الآباء، والافتراء على الله. قوله: ﴿قُلْ إِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ أي رد لمقالتهم الثانية، وترك الأولى لوضوح فسادها.

قوله: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي لأنكم لم تسمعوه مشافهة، ولم تأخذوه عن الأنبياء الذين هم وسائط بين الله وخلقه. قوله: (استفهام إنكاري) أي وتوبيخ وفيه معنى النهي. قوله: (معطوف على معنى بالقسط) دفع بذلك ما يقال إن قوله: ﴿أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ خبر. وقوله: ﴿وَأَقِيمُوا﴾ إنشاء ولا يصح عطف الانشاء على الخبر. فأجاب بجوابين: الأول أن أقيموا معطوف على المعنى، والتقدير قال أقسطوا وأقيموا. الثاني أن الكلام فيه حذف، والتقدير قل أمر ربي بالقسط فاقبلوا وأقيموا. قوله: (أي أخلصوا له سجودكم) أي صلاتكم، ففيه تسمية الكل باسم أشرف أجزائه، لأن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد.

قوله: ﴿وَادْعُوهُ﴾ عطف عام. قوله: ﴿كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ كلام مستأنف مسوق للرد على منكري البعث أي يعيدكم أحياء بالأرواح والأجساد بعينها. قوله: ﴿فَرِيقاً هَدَى﴾ فريقاً معمول لهدى، وفريقاً الثاني معمول لمقدر من قبيل الاشتغال موافق في المعنى، والتقدير وأضل فريقاً حق عليهم الضلالة، أي ثبت في الأزل ضلالهم. قوله: ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا﴾ علة لقوله: ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ قوله: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ أي يظنون أنهم على هدى، والحال أنه ليسوا كذلك.

بَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ ﴾ أي ما يستر عورتكم ﴿ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ عند الصلاة والطواف ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ ﴾ ما شئتم ﴿ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ ﴿٣١﴾ ﴿ قُلۡ ﴾ إنكاراً عليهم ﴿ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ ﴾ من اللباس ﴿ وَٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ المستلذات ﴿ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ بالاستحقاق وإن شاركهم فيها غيرهم ﴿خَالِصَةٗ﴾ خاصة بهم بالرفع والنصب حال

قوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ الخ سبب نزولها كما قال ابن عباس: أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة، الرجال بالنهار والنساء بالليل، يقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها، وكانوا لا يأكلون في أيام حجهم إلا قوتاً، ولا يأكلون لحماً ولا دسماً، يعظمون بذلك حجهم، فهم المسلمون أن يفعلوا كفعلهم. قوله: (ما يستر عورتكم) راعى في هذا المحل سبب النزول، وأصل الواجب وعموم اللفظ يفيد أن المطلوب في الصلاة والطواف ومشاهد الخير جميل الثياب كما هو المندوب شرعاً تأمل. قوله: ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ المسجد في الأصل موضع السجود، ثم أطلق وأريد منه نفس الصلاة والطواف، من باب تسمية الحال باسم المحل، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالذي ينبغي للأمة التجمل بالثياب عند حضور مشاهد الخير مع القدرة.

قوله: ﴿وَكُلُوا وَآشْرَبُوا﴾ أي من الحلال فإنه رأس التقوى. قوله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ أي بأن تحرموا الحلال كما كانوا يفعلون من امتناعهم من اللحم والدسم، أو تحلوا الحرام أو تتجاوزوا الحد في الأكل والشرب، كالتعمق في ذلك أو الإكثار المضر، لما في الحديث: «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه» لأن ما زاد على ثلث البطن لا يعود على الشخص إلا بالضرر، لما في الحديث: «أصل كل داء البردة وهي إدخال الطعام على الطعام» فالمناسب أن لا يأكل حتى يجوع، وأن يقوم ونفسه تشتهي، فإن ملك النفس عن الإسراف في المباح، أكبر دليل على ملكها عن الحرام. قوله: ﴿إِنَّه لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ أي يعاقبهم على ذلك ولا يرضى فعلهم. قوله: (إنكاراً عليهم) أي وتوبيخاً لهم، وحيث كان إنكارياً فلا جواب له.

قوله: ﴿الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ أي التي خلقها لهم من النبات، كالقطن والكتان. ومن الحيوان كالحرير والصوف. ومن المعادن، كالدروع، وكلها جائزة للرجال والنساء، ما عدا الحرير الخالص للرجال فإنه يحرم عليهم إجماعاً، وأما ما اختلط بالحرير وغيره ففي خلاف بين العلماء بالكراهة والحرمة والجواز، والمعتمد عدم الحرمة. قوله: ﴿قُلْ هِيَ﴾ أي الزينة من الثياب والطيبات من الرزق. قوله: (بالاستحقاق) أي الأصلي، وأما مشاركة غيرهم لهم فهو بطريق التبع، وهذا جواب عما يقال: إن المشاهد أن الكافر يستمتع بالزينة والمستلذات أكثر من المسلم، فكيف يقال إنها: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فأجاب بما ذكر، ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلاً﴾ الآية، ولذا لا يعاقبون عليها، لأن الله خلقها لهم بطريق الأصالة ليستعينوا بها على طاعاته، ولذا إذا عدمت المؤمنون في آخر الزمان تقوم القيامة، إذ لم يبق مستحق للنعم. قوله: (خاصة بهم) أي لا يشاركهم فيها غيرهم. قوله: (بالرفع) أي خبر ثان. قوله: (والنصب حال) أي من الضمير في الخبر في المحذوف، والتقدير هي كائنة: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا﴾ حال كونها خالصة لهم يوم القيامة، وإنما كانت خالصة للمؤمنين يوم القيامة، لأن

﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ نبينها مثل ذلك التفصيل ﴿لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ يتدبرون فإنهم المتنفعون بها ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ الكبائر كالزنا ﴿مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ﴾ أي جهرها وسرها ﴿وَٱلۡإِثۡمَ﴾ المعصية ﴿وَٱلۡبَغۡيَ﴾ على الناس ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ هو الظلم ﴿وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ﴾ بإشراكه ﴿سُلۡطَٰنٗا﴾ حجة ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ من تحريم ما لم يحرم وغيره ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞ﴾ مدة ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ﴾ عنه ﴿سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ ﴿٣٤﴾ عليه ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما المزيدة ﴿يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ الشرك ﴿وَأَصۡلَحَ﴾ عمله ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ

رحمة الله تنفرد بالمؤمنين ،وغضبه ينفرد بالكافرين ، قال تعالى : ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾ . قوله : ﴿**كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ**﴾ أي نبينها ونوضحها في غير هذا الموضع ، مثل ذلك التفصيل والتوضيح في هذا الموضع . قوله : ﴿**لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ أي إنه مستحق للعبادة . قوله : (**فإنهم المتفعون بها**) أي وغيرهم لا يعبأ به ولا يخاطب . قوله : (**كالزنا**) أي والقتل وسلب الأموال وسائر أنواع الفسق بالجارحة . قوله : (**أي جهرها وسرها**) المراد بالجهر المعاصي الظاهرية ، كالقتل وشرب الخمر ، وسر المعاصي الباطنية القلبية ، كالعجب والكبر والرياء . قوله : ﴿**وَالإِثْمَ**﴾ عطف عام على خاص ، وما بعده عطف خاص على عام لمزيد الاعتناء بشأنه . قوله : (**هو الظلم**) أي للناس ، إما بالقتل ، أو سلب الأموال ، أو التكلم في أعراضهم أو غير ذلك ، وقوله : ﴿**بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾ إيضاح لمعنى : ﴿**الْبَغْيَ**﴾ فهو صفة كاشفة . قوله : ﴿**مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً**﴾ ما نكرة بمعنى شيء ، أي شيئاً سواه تعالى . قوله : (**حجة**) أي دليلاً ، لأن دليل الوحدانية لله أبطل الشرك لغيره . قوله : (**وغيره**) أي كتحليل الحرام ، ويدخل في ذلك المفتي بالكذب . قوله : ﴿**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ**﴾ أي لكل فرد من أفراد الأمة . قوله : (**مدة**) أي وقت معين . قوله : ﴿**سَاعَةً**﴾ أي شيئاً قليلاً من الزمن ، فالمراد بالساعة الساعة الزمانية ، وقوله : ﴿**لا يَسْتَأْخِرُونَ**﴾ جواب إذا ، وقوله : ﴿**وَلا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾ مستأنف أو معطوف على الجملة الشرطية ، ولا يصح عطفه على قوله : ﴿**لا يَسْتَأْخِرُونَ**﴾ لأن المعطوف على الجواب جواب ، وجواب إذا يشترط أن يكون مستقبلاً ، والاستقدام بالنسبة لمجيء الأجل ماض ، فلا يصح ترتبه على الشرط .

قوله : ﴿**يَا بَنِي آدَمَ**﴾ هذا خطاب عام لكل من لآدم عليه ولادة من أول الزمان لآخره ، ولكن المقصود من كان في زمنه ﷺ ، وفي هذه الآية دليل على عموم رسالته ، لأن الله خاطب من أجله عموم بني آدم . قوله : (**في ما المزيدة**) أي للتأكيد . قوله : ﴿**يَأْتِيَنَّكُمْ**﴾ فعل الشرط مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم ، وجملة : ﴿**فَمَنِ اتَّقَى**﴾ إلى ﴿**خَالِدُونَ**﴾ جواب الشرط ، والرابط محذوف تقديره فمن اتقى منكم ، ومن يحتمل أن تكون شرطية ، واتقى فعل الشرط ، وجملة : ﴿**فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ**﴾ جوابه ، ويحتمل أنها موصولة ، واتقى صلتها ، وجملة : ﴿**فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ**﴾ خبرها ، وقرن بالفاء لما في المبتدأ من معنى العموم . قوله : ﴿**مِنْكُمْ**﴾ أي من جنسكم يا بني آدم ، وإنما كان من جنسهم ، لأنه أقطع لعذرهم وحجتهم . قوله : ﴿**يَقُصُّونَ**﴾ أي يقرؤون ويتلون . قوله : ﴿**آيَاتِي**﴾ أي القرآنية وغيرها . قوله : ﴿**فَمَنِ اتَّقَى**﴾ (**الشرك**) أشار بذلك إلى أن المراد بالتقوى هنا التقوى العامة ، وهي اتقاء الشرك

يحزنون ﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا ﴾ تكبروا ﴿ عَنْهَا ﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿ فَمَنْ ﴾ أي لا أحد ﴿ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿ أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾ القرآن ﴿ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ ﴾ يصيبهم ﴿ نَصِيبُهُمْ ﴾ حظهم ﴿ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ مما كتب لهم في اللوح المحفوظ من الرزق والأجل وغير ذلك ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا ﴾ أي الملائكة ﴿ يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا ﴾ لهم تبكيتاً ﴿ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ ﴾ تعبدون ﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا ﴾ غابوا ﴿ عَنَّا ﴾ فلم نرهم ﴿ وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ ﴾ عند الموت ﴿ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿ قَالَ ﴾ تعالى لهم يوم القيامة ﴿ ادْخُلُوا فِي ﴾ جملة ﴿ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ

بالإيمان لقرينة. قوله: ﴿وَأَصْلَحَ﴾ وأعلى منها تقوى الخواص، وهي ترك المعاصي، وأعلى منها ترك الأغيار، وهي كل مشغل عن الله، ولهذه المرتبة أشار العارف بقوله:

ولو خطرت لي في سواك إرادة ... على خاطري يوماً حكمت بردتي

قوله: ﴿وَأَصْلَحَ﴾ (عمله) أي بأن ترك المعاصي أو كل مشغل عن الله فهو صادق بتقوى الخواص وخواص الخواص. قوله: (في الآخرة) أي وأما في الدنيا فلا يفارقهم الخوف ولا الحزن، لتذكرهم الموت وأحوال الآخرة، ولو جاءتهم البشرى من الله، فالحزن دأب الصالحين في الدنيا لزيادة درجاتهم. قوله: (فلم يؤمنوا بها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، أي (تكبروا) عن الإيمان بها. قوله: (أي لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: (بنسبة الشريك) الباء سببية، والمعنى لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذباً، بسبب نسبة الشريك لله، ككفار مكة حيث أشركوا مع الله الأصنام، والنصارى واليهود حيث نسبوا له الولد. قوله: ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ وإن لم ينسب الشريك له، لأنه لا يلزم من التكذيب بالآيات نسبة الشريك له، وأما نسبة الشريك فيلزم معها التكذيب بالآيات.

قوله: ﴿أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ﴾ أي في الدنيا. قوله: ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ من ابتدائية متعلقة بمحذوف حال من نصيبهم، وقوله: (مما كتب لهم) بيان للنصيب. قوله: (من الرزق) أي على حسبه من سعة وضيق، وكونه من حلال أو حرام، وقوله: (والأجل) أي من قصر أو من طول، وقوله: (وغير ذلك) أي كالعمل، وكما أن ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ، مكتوب في صحف الملائكة وهو في بطن أمه، فتحصل أن ما قسم له في الحياة الدنيا لا يغيره كفر ولا إسلام. قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ﴾ حتى إما ابتدائية أو جارة. قوله: (الملائكة) قيل إنهم عزرائيل وأعوانه، لقبض أرواحهم، وقيل إنهم ملائكة العذاب، وتقدم أنهم سبع موكلون بأخذ روح الكافر بعد قبضها للعذاب. قوله: (تبكيتاً) أي توبيخاً وتقريعاً. قوله: ﴿مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي الآلهة التي كنتم تعبدونها في الدنيا فتمنعكم الآن من العذاب. قوله: (فلم نرهم) أي مع شدة احتياجنا إليهم في هذا الوقت. قوله: ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ كلام مستأنف إخبار من الله بإقرارهم على أنفسهم بالكفر، ولا تعارض بين هذا وبين قوله: ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ لأن مواقف القيامة مختلفة.

قوله: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ﴾ أي لهؤلاء الذين افتروا على الله الكذب وكذبوا بآياته. قوله: ﴿فِي أُمَمٍ﴾ في بمعنى مع، أي ادخلوا مصاحبين لأمم، وهو حال من فاعل ادخلوا، وتسمى حالاً منتظرة،

﴿ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ﴾ متعلق بادخلوا ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ النار ﴿لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ التي قبلها لضلالها بها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟﴾ تلاحقوا ﴿فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ﴾ وهم الاتباع ﴿لِأُولَىٰهُمْ﴾ أي لأجلهم وهم المتبوعون ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ مضعفاً ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ﴾ تعالى ﴿لِكُلٍّ﴾ منكم ومنهم ﴿ضِعْفٌ﴾ عذاب مضعف ﴿وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ بالياء والتاء ـ ما لكل فريق ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ لأنكم لم تكفروا بسببنا فنحن وأنتم سواء، قال تعالى لهم ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ تكبروا ﴿عَنْهَا﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ إذا عرج بأرواحهم إليها بعد الموت فيهبط بها إلى سجين بخلاف المؤمن فتفتح له ويصعد بروحه إلى السماء السابعة كما ورد

لأنهم عند الدخول لم يكونوا مصاحبين للأمم، وقوله: ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ صفة أولى لأمم، وقوله: ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ صفة ثانية، وقوله: ﴿مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ صفة ثالثة، وقوله: ﴿فِي النَّارِ﴾ في للظرفية فاندفع ما يقال يلزم عليه تعلق حرفي جر متحدي اللفظ، والمعنى بعامل واحد. قوله: ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ أي سبقت ومضت. قوله: ﴿فِي النَّارِ﴾ المراد بها دار العقاب بجميع طباقها.

قوله: ﴿لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ أي في الدين. قوله: (التي قبلها) أي في التلبس بذلك الدين، فالنصارى تلعن النصارى، واليهود تلعن اليهود، والمجوس تلعن المجوس، وهكذا كل من اقتدى بغيره في دين باطل. قوله: ﴿ادَّارَكُوا﴾ أصله تداركوا، قلبت التاء دالاً وأدغمت في الدال، وأتى بهمزة الوصل توصلاً للنطق بالساكن. قوله: ﴿أُخْرَاهُمْ﴾ أي المتأخرون عنهم في الزمن، فأخرى تأنيث آخر مقابل أول، لا تأنيث آخر الذي بمعنى غير. قوله: (وهم الأتباع) أي كانوا في زمنهم أو تأخروا بعدهم. قوله: (أي لأجلهم) أشار بذلك إلى أن اللام في: ﴿لِأُولَاهُمْ﴾ للتعليل وليست للتبليغ، لأن الخطاب مع الله لا معهم. قوله: (وهم المتبوعون) أي الرؤساء. قوله: ﴿ضِعْفاً﴾ ضعف الشيء في الأصل أقل ما يتحقق فيه مثل ذلك الشيء، والمراد هنا الزيادة إلى غير نهاية بدليل قول المفسر مضعفاً.

قوله: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ أما المتقدمون فلضلالهم وإضلالهم، وأما المتأخرون فلكفرهم وتقليدهم. قوله: (بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى التاء يكون خطاباً للأخرى، أو للأحياء الذين في الدنيا، وعلى الياء يكون إخباراً عن المتقدمين والمتأخرين. قوله: (ما لكل فريق) أشار بذلك إلى أن مفعول: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ محذوف. قوله: ﴿لِأُخْرَاهُمْ﴾ اللام هنا للتبليغ، لأن الخطاب معهم. قوله: (لأنكم لم تكفروا بسببنا) أي بل كفرتم اختياراً، لا انا حملناكم على الكفر وأكرهناكم عليه، لأنه لا يمكن الجبر على الكفر لتعلقه بالقلب. قوله: (قال تعالى لهم) هذه إحدى طريقتين، والأخرى أنه من كلام الرؤساء للأتباع. قوله: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي بسبب كسبكم من الكفر والمخالفة.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي وماتوا على ذلك. قوله: (فلم يؤمنوا بها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، والتقدير تكبروا عن الإيمان بها. قوله: ﴿لَا تُفَتَّحُ﴾ بالبناء للمفعول إما بالتاء أو الياء مع التخفيف أو التشديد وكلها سبعية. قوله: (إذا عرج بأرواحهم) ومثلها دعاؤهم وأعمالهم. قوله: (إلى سجين) وهو واد في جهنم أسفل الأرض السابعة، تسجن به أرواح الكفار، وقيل: هو كتاب

في حديث ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ﴾ يدخل ﴿ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ ثقب الإبرة وهو غير ممكن فكذا دخولهم ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ الجزاء ﴿ نَجْزِي ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ ﴿٤٠﴾ بالكفر ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ ﴾ فراش ﴿ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ أغطية من النار جمع غاشية وتنوينه عوض من الياء المحذوفة ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ﴿٤١﴾ ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ مبتدأ وقوله ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا

جامع لأعمال الشياطين والكفرة، وأما عليون فقيل: هو كتاب جامع لأعمال الخير من الملائكة ومؤمني الثقلين، وقيل: هو مكان في الجنة في السماء السابعة تحت العرش. قوله: **(ويصعد بروحه إلى السماء السابعة)** أي وترى مقعدها في الجنة وترجع مسرورة، فعند ذلك يرى البشر والنور على جسمها. قوله: **(كما ورد في الحديث)** أي وهو كما قال رسول الله ﷺ في قبض روح الكافر، ويخرج معها ريح كأنتن جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي يسمى بها في الدنيا، فيستفتحون فلا يفتح لهم، ثم قرأ رسول الله ﷺ لا: **﴿تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّماء﴾**.

قوله: **﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾** أي بعد الموت. قوله: **﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ﴾** الولوج الدخول بشدة، والجمل: الذكر من الإبل، وخص بذلك لأنه أعظم جسم عند العرب، فجسم الجمل من أعظم الأجسام، وثقب الإبرة من أضيق المنافذ، وهو تعليق جائز على مستحيل، والمعلق على المستحيل مستحيل، فاستفيد من ذلك أن دخول الكفار الجنة مستحيل. قوله: **﴿فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾** السم مثلث السين، لكن القراء السبعة على الفتح، وقرىء شذوذاً بالضم والكسر وجمعه سهام، وأما ما يقتل فهو مثلث أيضاً، إلا أن جمعه سموم، والخياط هو الآلة التي يخاط بها، ويقال لها مخيط أيضاً. قوله: **﴿وَكَذَٰلِكَ﴾** **(الجزاء)** أي المتقدم، وهو عدم فتح أبواب السماء لهم، وعدم دخول الجنة. قوله: **﴿نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾** أي كما جزينا هؤلاء، نجزي كل من اتصف بالإجرام من مبدأ الزمان إلى منتهاه.

قوله: **﴿لَهُمْ﴾** أي للذين كذبوا واستكبروا. قوله: **﴿مِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾** الجار والمجرور خبر مقدم، وغواش مبتدأ مؤخر مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين، منع من ظهورها الثقل، والمعنى أن النار محيطة بهم من كل جانب، وقد ورد أن سقف النار من نحاس، وأرضها من رصاص، وحيطانها من كبريت، ووقودها الناس والحجارة. قوله: **(وتنوينه عوض من الياء المحذوفة)** هذا بناء على الصحيح من أن الإعلال مقدم على منع الصرف، فأصله غواش بالتنوين، استثقلت الضمة على الياء فحذفت، فاجتمع ساكنان الياء والتنوين فحذفت لالتقائهما، ثم لوحظ أن الكلمة ممنوعة من الصرف، فحذف تنوين الصرف فخيف من رجوع الياء، فأتى بالتنوين عوضاً عنها، وأما تصريفها على أن منع الصرف مقدم على الإعلال، فأصلها غواشي بترك التنوين، استثقلت الضمة على الياء فحذفت ثم أتى بالتنوين عوضاً عن الحركة التي هي الكلمة فالتقى ساكنان الياء والتنوين حذفت لالتقائهما. قوله: **﴿وَكَذَٰلِكَ﴾** أي مثل الجزاء المتقدم. قوله: **﴿نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾** عبر عنهم أولاً بالمجرمين، وهنا بالظالمين، إشارة إلى أنهم اتصفوا بالأمرين معاً.

قوله: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾** لما ذكر وكيد الكافرين، أتبعه بذكر وعد المؤمنين على حكم عادته سبحانه

إِلَّا وُسْعَهَآ﴾ طاقتها من العمل اعتراض بينه وبين خبره وهو ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ حقد كان بينهم في الدنيا ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ﴾ تحت قصورهم ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُوا۟﴾ عند الاستقرار في منازلهم ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ العمل الذي هذا جزاؤه ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ حذف جواب لولا لدلالة ما قبله عليه ﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓا۟ أَن﴾ مخففة أي إنه أو مفسرة في المواضع الخمسة ﴿تِلْكُمُ

في كتابه، والاسم موصول مبتدأ، و﴿آمَنُوا﴾ صلته ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ معطوف عليه، وقوله: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾ اعتراض بين المبتدأ والخبر وهو قوله: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ وهذا ما مشى عليه المفسر تبعاً لأكثر علماء المعاني، وقال بعضهم: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾ خبر، والرابط محذوف، أي لا نكلف منهم. قوله: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي ما يسعها من الأعمال، وما يسهل عليها ودخل في طوقها وقدرتها، وكل هذا تفضل منه سبحانه وتعالى. قوله: (اعتراض) وحكمته تبكيت الكفار وتنبيههم على أن الجنة مع عظم قدرها، يتوصل إليها بالعمل السهل من غير كلفة ولا مشقة. إن قلت ورد أن الجنة حفت بالمكاره، فكيف تقولون إن الجنة يتوصل إليها بالعمل السهل؟ أجيب بأن المراد بالمكاره مخالفة شهوات النفس، وهي في طاقة العبد، فالمراد بالعمل السهل ما كان في طاقة العبد كان فعلاً أو تركاً.

قوله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ أي خلقناكم في الجنة مطهرين منه، لا أنهم دخلوا الجنة به ثم نزع، وحكمه نزع الغل من صدور أهل الجنة، أن كل أحد منهم أعطي فوق أمانيه أضعافاً مضاعفة. قوله: (حقد كان بينهم في الدنيا) الحقد هو ضيق الصدر من الغير، وهو رأس الحسد، وهو معصية قلبية تجب التوبة منه، ومجاهدة النفس لتخلص منه، ومن هنا افترق كبار الصالحين من صغارهم. واعلم أن الناس ثلاثة أقسام: قسم خلصت قلوبهم من الأمراض الباطنية، فهم في الدنيا كأهل الجنة في الجنة، يحبون للناس ما يحبونه لأنفسهم، وهم الأنبياء ومن كان على قدمهم، وقسم لم تخلص قلوبهم، غير أنهم لم يرضوا لأنفسهم بذلك، ويلومون أنفسهم على ما في قلوبهم، وهؤلاء المجاهدون لأنفسهم، ولا يؤاخذون بذلك حينئذ، وقسم لم تخلص قلوبهم، وهم راضون لأنفسهم بذلك، وهؤلاء فساق يجب عليهم مجاهدة نفوسهم في تخليصهم من تلك الآفات. قوله: (تحت قصورهم) أي بجانب جدارها، وليس المراد أنها تجري من تحت الجدار.

قوله: ﴿الَّذِي هَدَانَا﴾ أي أرشدنا ووفقنا. قوله: (العمل الذي هذا جزاؤه) كذا في نسخة، وفي نسخة أخرى لعمل هذا جزاؤه، وفي أخرى لهذا العمل هذا جزاؤه. قوله: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ﴾ بالواو ودونها قراءتان سبعيتان، والجملة إما مستأنفة أو حالية على كل. قوله: (لدلالة ما قبله عليه) أي وهو قوله: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ﴾ والتقدير ولولا هداية الله لنا موجودة ما اهتدينا.

قوله: ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ هذا إقسام من أهل الجنة شكراً لنعم الله وتحدثا بها، والمعنى أن ما أخبرونا به في الدنيا من الثواب حق وصدق لمشاهدتنا له عياناً. قوله: ﴿وَنُودُوا﴾ يحتمل أن المنادي هو الله ويحتمل أنه الملائكة. قوله: (مخففة) أي واسمها ضمير الشأن، وخبرها الجملة بعدها. قوله: (أو مفسرة) أي لأنه تقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه، وهو قوله: ﴿وَنُودُوا﴾. قوله: (في

ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ ﴾ تقريراً وتبكيتاً ﴿ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا ﴾ من الثواب ﴿ حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ ﴾ كم ﴿ رَبُّكُمْ ﴾ من العذاب ﴿ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ ﴾ نادى مناد ﴿ بَيْنَهُمْ ﴾ بين الفريقين أسمعهم ﴿ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ ﴾ الناس ﴿ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ دينه ﴿ وَيَبْغُونَهَا ﴾ أي يطلبون السبيل ﴿ عِوَجًا ﴾ معوجة ﴿ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿ وَبَيْنَهُمَا ﴾ أي أصحاب الجنة والنار ﴿ حِجَابٌ ﴾ حاجز قيل هو سور الأعراف ﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ ﴾ وهو سور الجنة ﴿ رِجَالٌ ﴾ استوت حسناتهم وسيئاتهم كما في الحديث ﴿ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا ﴾ من أهل الجنة والنار ﴿ بِسِيمَىٰهُمْ ﴾ بعلامتهم

المواضع الخمسة) أي من هنا إلى قوله: ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَاءِ﴾. قوله: ﴿تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ﴾ اسم الإشارة مبتدأ، والجنة خبر، وقوله: ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾ حال من الجنة، أو الجنة نعت لاسم الإشارة وأورثتموها خبره، وأتى باسم الإشارة البعيدة إشارة لعظم رتبتها ومكانتها على حد ذلك الكتاب.

قوله: ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾ أي من الكفار، لأن الله خلق في الجنة منازل للكفار بتقدير إيمانهم، فمن لم يؤمن منهم جعل منزلة لأهل الجنة فكل واحد من أهل الجنة يأخذ منازل تسعمائة وتسعة وتسعين من أهل النار تضم لمنزله، فيجتمع له ألف منزل، فلما كان الغالب منها ميراثاً أطلق على جميعها اسم الميراث، وحكمة إطلاق اسم الارث عليها، أن الكفار سماهم الله أمواتاً بقوله: ﴿أموات غير أحياء﴾ المؤمنين أحياء، ومن المعلوم أن الحي يرث الميت.

قوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الباء سببية، وما مصدرية، أي بسبب عملكم. إن قلت ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «لن يدخل الجنة أحد بعمله، قيل ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته». أجيب بأن الآية محمولة على العمل المصحوب بالفضل، والحديث محمول على العمل المجرد عنه. قوله: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَابَ ٱلنَّارِ﴾ إن قلت: إذا كانت الجنة في السماء والنار في الأرض، فكيف يسمعون النداء؟ أجيب: بأن القيامة خارقة للعادة، فلا مانع من وصول النداء لهم، وهذا النداء من كل فرد من أفرد أهل الجنة، لكل فرد من أفراد أهل النار، لأن مقابلة الجمع بالجمع تقتضي القسمة على الآحاد. قوله: ﴿مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ تسميته وعداً مشاكلة، وإلا فالاخبار بالشر إيعاد لا وعد، وقدر المفسر الكاف إشارة إلى أن مفعول وعد محذوف، وقوله: **(من العقاب)** بيان لما. قوله: **(نادى مناد)** قيل هو إسرافيل، وقيل غيره من الملائكة. قوله: **(أسمعهم)** تفسير لقوله: ﴿بَيْنَهُمْ﴾.

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ نعت للظالمين. قوله: **(معوجة)** أي مائلة عن الحق، والمعنى أنهم يغيرون دين الله وطريقته التي شرع لعباده. قوله: **(حاجز)** أي يمنع وصول كل منهما للآخر. قوله: **(استوت حسناتهم وسيئاتهم)** هذا قول من ثلاثة عشر قولاً، وقيل: أولاد المشركين الذين ماتوا صغاراً، وقيل: أناس خرجوا للغزو في سبيل الله من غير إذن آبائهم ثم قتلوا، وقيل: ناس بروا آباءهم دون أمهاتهم وبالعكس، وقيل إنهم عدول القيامة يشهدون على الناس بأعمالهم وهم في كل أمة. قوله: **(كما في الحديث)** أي وهو أن الله يحاسب الناس يوم القيامة، فمن كانت حسناته أكثر بواحدة دخل الجنة، ومن

وهي بياض الوجوه للمؤمنين وسوادها للكافرين لرؤيتهم لهم إذ موضعهم عال ﴿ وَنَادَوْا۟ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ قال تعالى ﴿ لَمْ يَدْخُلُوهَا ﴾ أي أصحاب الأعراف الجنة ﴿ وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ ﴿٤٦﴾ في دخولها قال الحسن لم يطمعهم إلا لكرامة يريدها بهم، وروى الحاكم عن حذيفة قال بينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربك فقال قوموا ادخلوا الجنة فقد غفرت لكم ﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَـٰرُهُمْ ﴾ أي أصحاب الأعراف ﴿ تِلْقَآءَ ﴾ جهة ﴿ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا ﴾ في النار ﴿ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا ﴾ من أصحاب النار ﴿ يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ ﴾ من النار ﴿ جَمْعُكُمْ ﴾ المال أو كثرتكم ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ ﴿٤٨﴾ أي واستكباركم عن الإيمان ويقولون لهم مشيرين إلى ضعفاء المسلمين ﴿ أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا

كانت سيئاته أكثر بواحدة دخل النار، ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف، فوقفوا على الأعراف، فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوهم: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ سلام عليكم، وإذا نظروا إلى أهل النار قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ﴾ فهناك يقول الله تعالى: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ فكأن الطمع دخولاً.

قوله: ﴿وَنَادُوا﴾ أي أصحاب الأعراف. قوله: **(قال تعالى)** أشار بذلك إلى أن الوقف على قوله: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ وقوله: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ كلام مستأنف جواب عن سؤال مقدر، كأن قائلاً قال: وما صنع بأهل الأعراف؟ فأجيب بأنهم لم يدخلوها. قوله: **(إذ طلع عليهم ربك)** أي أزال عنهم الحجب حتى رأوه وسمعوا كلامه. قوله: **(فقال قوموا ادخلوا الجنة)** أي فينطلق بهم إلى نهر الحياة، حافتاه قصب الذهب مكلل باللؤلؤ، ترابه المسك فيلقوا فيه، فتصلح ألوانهم وتبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها، يسمون مساكين أهل الجنة.

قوله: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ﴾ عبر بالصرف دون النظر، إشارة إلى أن نظرهم إلى أهل النار غير مقصود، لأن رؤية العذاب وأهله تسيء للناظرين، بخلاف النظر للنعيم وأهله، ففيه مسرة للناظرين، فلذا لم يعبر في جانبه بالصرف بل قيل: ﴿وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾. قوله: ﴿تِلْقَاءَ﴾ بالمد والقصر قراءتان سبعيتان، وهي ظرف مكان بمعنى جهة، ويستعمل مصدراً كالتبيان، ولم يجيء من المصادر على التفعال بالكسر غير التلقاء والتبيان والزلزال، وبعضهم ألحق التكرار بذلك. قوله: **(في النار)** أي لا ابتداء مع العصاة، ولا دواماً مع الكفار. قوله: ﴿رِجَالًا﴾ أي كانوا عظماء في الدنيا، كأبي جهل، والوليد ابن المغيرة، وعقبة بن أبي معيط، وأضرابهم. قوله: ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾ أي علامتهم، وتقدم أنها سواد الوجه للكفار.

قوله: ﴿مَا أَغْنَى عَنْكُمْ﴾ يحتمل أن ما استفهامية، أي: أي شيء أغنى عنكم جمعكم، ويحتمل أنها نافية، أي لم يغن عنكم جمعكم ولا استكباركم شيئاً من عذاب الله. قوله: **(المال)** أشار بذلك إلى أن جمع مصدر مضاف لفاعله، ومفعوله محذوف قدره بقوله المال، وقوله: **(أو كثرتكم)** إشارة لتفسير ثان لجمعكم، فيكون معناه جماعتكم. قوله: **(أي واستكباركم)** سبك المصدر بما بعد كان جرياً على قول من

يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ قد قيل لهم ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾ وقرىء أدخلوا بالبناء للمفعول ودخلوا فجملة النفي حال أي مقولاً لهم ذلك ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ من الطعام ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا﴾ منعهما ﴿عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ﴾

يقول إن كان تجردت عن معنى الحديث وصارت لمجرد الربط، ولو مشى على مقابلة المشهور لقال وكونكم مستكبرين، وإنما حمل المفسر على ذلك الاختصار. قوله: **(مشيرين)** أي أهل الأعراف. قوله: **(إلى ضعفاء المسلمين)** أي الذين كانوا يعذبون في الدنيا، وكان المشركون يسخرون بهم، كصبيب وبلال وسلمان وخباب ونحوهم.

قوله: **﴿أَهَٰؤُلَاءِ﴾** استفهام تقرير وتوبيخ. قوله: **﴿أَقْسَمْتُمْ﴾** أي باللات والعزى، وقوله: **﴿لَا يَنَالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ﴾** هذا هو المقسم عليه، ويؤخذ من الآية أن أهل الأعراف ناظرون لأهل الجنة وأهل النار، وأن أهل النار ناظرون لأهل الأعراف وأهل الجنة، وهذا لمزيد الحسرة لهم، فهم يعذبون بالنار والتبكيت من أهل الأعراف. قوله: **(قد قيل لهم)** قدره إشارة إلى أن قوله: **﴿ٱدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾** مقول لذلك القول المحذوف ليصح جعلها خبراً ثانياً، لأن الجملة الطلبية لا يصح وقوعها خبراً إلا إذا أولت بخبر. قوله: **(وقرىء ادخلوا الخ)** هاتان شاذتان على عادته، حيث يعبر عن الشاذ بقرىء، وعن السبعي بوفي قراءة، وعلى هاتين القراءتين فلا يحتاج لتقدير القول، لأن الجملة خبرية. قوله: **(جملة النفي)** أي جنسها الصادق بالجملتين وهما: **﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾**. قوله: **(حال)** أي معمول لحال محذوفة، ففي كلامه تسمح، وهذا على القراءتين الشاذتين، وأما على القراءة السبعية فلا يحتاج لذلك.

قوله: **﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾** قاله ابن عباس رضي الله عنهما: لما صار أصحاب الأعراف إلى الجنة، طمع أهل النار في الفرج عنهم فقالوا: يا رب إن لنا قرابات من أهل الجنة، فائذن لنا حتى نراهم ونكلمهم، فيأذن لهم، فينظرون إلى قراباتهم في الجنة وما هم فيه من النعيم فيعرفونهم، وينظر أهل الجنة إلى قراباتهم من أهل النار فلم يعرفوهم لسواد وجوههم، فينادي أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم، فينادي الرجل أباه وأخاه فيقول: قد احترقت أفض علي من الماء، فيقال لهم: أجيبوهم، فيقولون: إن الله حرمهما على الكافرين. قوله: **(من الطعام)** أي الشامل للمشروب والمأكول، وحينئذ فيضمن: **﴿أَفِيضُوا﴾** معنى ألقوا، نظير علفتها تبناً وماء بارداً، و**﴿أَوْ﴾** بمعنى الواو بدليل قوله: **﴿حَرَّمَهُمَا﴾** وإلا لو بقيت على بابها من التخيير لأعيد الضمير مفرداً. قوله: **(منعهما)** أي فالتعبير بالتحريم مجاز لانقطاع التكليف بالموت، ويعلم من هذا أنه لا يتأثر أهل الجنة بعذاب أهل النار لتقطع الأسباب بينهم، ونزع الرحمة من قلوب أهل الجنة لأهل النار لاستحقاقهم ما هم فيه من العذاب.

قوله: **﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾** هذا وصف للكافرين. قوله: **﴿لَهْواً وَلَعِباً﴾** اللهو صرف الهم بما لا يحسن أن يصرف به، واللعب طلب الفرح بما لا يحسن أن يطلب به. قوله: **﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾** أي شغلتهم بالطمع في طول العمر وحسن العيش. قوله: **﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ﴾** ليس من كلام أهل الجنة، وإنما هو قول الرب جل جلاله، فالفاء واقعة في جواب شرط مقدر تقديره: فإذا كان حال الكافرين فاليوم

نتركهم في النار ﴿كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ بتركهم العمل له ﴿وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾ أي وكما جحدوا ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم﴾ أي أهل مكة ﴿بِكِتَابٍ﴾ قرآن ﴿فَصَّلْنَاهُ﴾ بيناه بالأخبار والوعد والوعيد ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ حال أي عالمين بما فصل فيه ﴿هُدًى﴾ حال من الهاء ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ به ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ ما ينظرون ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ عاقبة ما فيه ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ هو يوم القيامة ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾ تركوا الإيمان به ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ﴾ هل ﴿نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ نوحد الله ونترك الشرك فيقال لهم لا قال تعالى ﴿قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ أي صاروا إلى الهلاك ﴿وَضَلَّ﴾ ذهب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ من دعوى الشريك ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من

نتساهم. قوله: **(نتركهم في النار)** أشار بذلك إلى أن النسيان مستعمل في لازمه وهو الترك، لأن حقيقته مستحيلة على الله، فالمعنى نعاملهم معاملة الناسي من عدم الاعتناء بهم وتركهم في النار.

قوله: ﴿**كَمَا نَسُوا**﴾ الكاف تعليلية، وما مصدرية، أي لأجل نسيانهم. قوله: **(بتركهم العمل له)** أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف تقديره كما نسوا العمل للقاء يومهم هذا. قوله: **(أي وكما جحدوا)** أشار بذلك إلى أن ما معطوف على الأولى مسلط عليه كاف التعليل، والمعنى نتركهم في النار لتركهم العمل ولجحدهم آياتنا. قوله: ﴿**فَصَّلْنَاهُ**﴾ القراءة السبعية بالصاد، وقرىء شذوذاً بالضاد المعجمة، أي فضلناه على غيره من الكتب السماوية: ﴿قوله بالأخبار والوعد﴾ أي وكذا بقية الأنواع التسعة التي جمعها بعضهم في قوله:

حلال حرام محكم متشابه بشير نذير قصة عظة مثل

قوله: **(حال)** أي من الفاعل، ويصح كونه حالاً من المفعول، والمعنى فصلناه حال كونه مشتملاً على علم. قوله: **(حال من الهاء)** أي أو من كتاب، وجاز ذلك لتخصيصه بالوصف. قوله: ﴿**هَلْ يَنْظُرونَ**﴾ أي أهل مكة. قوله: **(عاقبة ما فيه)** أي فهذا هو المراد بتأويله بمعنى ما يؤول إليه وعيد القرآن لهم. قوله: ﴿**الَّذِينَ نَسُوهُ**﴾ أي التأويل. قوله: ﴿**قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ**﴾ أي تبين صدقهم فيما جاؤوا به واعترفوا بذلك لمعاينة العذاب. قوله: ﴿**فَيَشْفَعُوا**﴾ منصوب بأن مضمرة في جواب الاستفهام، فهو عطف اسم مؤول على اسم صريح. قوله: ﴿**أَوْ**﴾ (هل) ﴿**نُرَدُّ**﴾ أشار بذلك أن جملة ﴿**نُرَدُّ**﴾ معطوفة على التي قبلها، والاستفهام مسلط عليها. قوله: ﴿**فَنَعْمَلَ**﴾ منصوب بأن مضمرة، جواب الاستفهام الثاني، والمعنى نطلب أحد أمرين: إما الشفاعة لنا فيما سبق منا، أو نرجع إلى الدنيا ونحسن العمل فيها. قوله: **(من دعوى الشريك)** أي من دعوى نفع الشريك، لأنهم كانوا يدعون أن الأصنام تنفعهم.

قوله: ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ**﴾ أي لا غيره. قوله: ﴿**فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ**﴾ أي وأولها الأحد، وآخرها الجمعة، كما ورد أنه ابتدأ الخلق في يوم الأحد، وأنه خلق الأرض في يومين: الأحد والاثنين، والسماوات في يومين: الخميس والجمعة، وأنه خلق الجبال والوحوش والأشجار والزرع في: الثلاثاء والأربعاء، وروى مسلم والحاكم عن ابن عباس إن الله خلق الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال وما فيهن من منافع

أيام الدنيا أي في قدرها لأنه لم يكن ثم شمس ولو شاء خلقهن في لمحة والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ هو في اللغة سرير الملك استواء يليق به ﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ﴾ مخففاً ومشدداً أي يغطي كلاً منهما بالآخر ﴿يَطْلُبُهُۥ﴾ يطلب كل منهما الآخر طلباً ﴿حَثِيثًا﴾ سريعاً ﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ ﴾ بالنصب عطفاً على السماوات والرفع مبتدأ خبره ﴿ مُسَخَّرَٰتٍۭ ﴾

يوم الثلاثاء، وخلق يوم الأربعاء الصخر والماء والطين والعمران والخراب، وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقين منه، فخلق الله في أول ساعة من هذه الثلاث ساعات الآجال، وفي الثانية ألقى الله الألفة على كل شيء مما ينتفع به الناس، وخلق في الثالثة آدم وأسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود له، وأخرجه منها في آخر ساعة، واستشكل ذلك بأنه لم يكن ثم شمس، والجواب بأن المراد في قدرها لا يجدي نفعاً إلا أن يقال: إن ذلك التقدير في علم الله، بحيث لو كانت الأيام موجودة لكانت كذلك، ثم اعلم أن ما هنا من الأحاديث موافق لما يأتي في سورة فصلت، من أن خلق الأرض مقدم على السماء، ولا تنافي بينه وبين ما يأتي في سورة النازعات في قوله تعالى: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ المقتضى تقديم السماء على الأرض، لأن الدحي غير الخلق، فإن الأرض خلقت أولاً كرة، ثم بعد خلق السماء بسطت الأرض. قوله: **(أي في قدرها)** جواب عن سؤال مقدر أفاده المفسر بقوله: **(لأنه لم يكن ثم شمس)**. قوله: **(التثبت)** أي التمهل في الأمور وعدم العجلة. قوله: **(هو في اللغة سرير الملك)** أي وتسميته عرشاً، إنما هو بالنسبة لما عدا الراكب عليه لعلوه عليهم، وأما المراد به هنا فهو الجسم النوراني المرتفع على كل الأجسام المحيط بكلها. قوله: **(استواء يليق به)** هذه طريقة السلف الذين يفوضون علم المتشابه لله تعالى، وهذا نظير ما وقع لمالك بن أنس أنه سأله رجل عن قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ فقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، أخرجوا عني هذا المبتدع، وأما طريقة الخلف فيؤولون الاستواء بالاستيلاء بمعنى الملك والتصرف، فالاستواء يطلق حقيقة على الركوب، وهو مستحيل على الله وعلى الاستيلاء والتصرف وهو المراد، قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

وقد أشار صاحب الجوهرة للطريقتين بقوله:

وكل نص أوهم التشبيها ... أوله أو فوض ورم تنزيها

قوله: **(مخففاً ومشدداً)** أي فهما قراءتان سبعيتان، وعليهما فالليل فاعل والنهار مفعول لفظاً ومعنى، ووجب تقديم ما هو فاعل معنى لئلا يلتبس، نحو أعطيت زيداً عمراً. قوله: **(أي يغطي كلاً منهما بالآخر)** يشير إلى أن في الآية حذفاً تقديره ويغشى النهار الليل، ويؤيده آية: ﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾. قوله: ﴿**يَطْلُبُهُ حَثِيثاً**﴾ أي ليس بينهما فاصل، والحث والحض بمعنى واحد، وهو الطلب بسرعة، وحثيثاً نعت مصدر محذوف، أي طلباً حثيثاً. قوله: **(بالنصب عطفاً على السماوات)** أي ونصب: ﴿**مُسَخَّرَاتٌ**﴾ على الحال من: ﴿**الشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ**﴾. قوله: **(والرفع)** أي فهما قراءتان سبعيتان.

مذللات ﴿بِأَمْرِهِۦٓ﴾ بقدرته ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ جميعاً ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ كله ﴿تَبَارَكَ﴾ تعاظم ﴿ٱللَّهُ رَبُّ﴾ مالك ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ حال تذللاً ﴿وَخُفْيَةً﴾ سراً ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ ﴿٥٥﴾ في الدعاء بالتشدق ورفع الصوت ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالشرك والمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ ببعث الرسل ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا﴾ من عقابه ﴿وَطَمَعًا﴾ في رحمته ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٥٦﴾ المطيعين وتذكير قريب المخبر به عن رحمة لاضافتها إلى الله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى

قوله: (مذللات) أي مسيرات، فحيث سيرها سارت، وفي هذا رد على الفلاسفة القائلين بتأثير الكواكب في العالم السفلي، فهي أسباب عادية توجد الأشياء عندها لا بها.

قوله: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ ألا للاستفتاح يؤتى بها مبدأ الكلام البليغ الذي يقصد به الرد على المنكر، والمراد بالخلق الإيجاد، وبالأمر التصرف، فهو منفرد بالإيجاد والتصرف فلا شريك له فيهما، وتصرف الحادث إنما هو بتصريف الله له، وليس لمخلوق استقلال بتصريف أبداً، وإنما العبيد مظاهر التصريف، فمن أكرمه أجرى جلب الخير ودفع الضر على يديه، كمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، ومن أهانه أجرى الشرور على يده.

قوله: ﴿تَبَارَكَ﴾ فعل ماض جامد لا يتصرف، ومعناه تمجد وتنزه عن صفات الحدوث. قوله: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ﴾ أمر لجميع العباد بالتوجه في الدعاء لله سبحانه وتعالى، أي فحيث علمتم أن الله هو المتصرف في خلقه إيجاداً وإعداماً وإعطاءاً ومنعاً، فوجهوا إليه قلوبكم واسألوه بألسنتكم، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى للدعاء أربعة شروط: التضرع والخفية والخوف والطمع. قوله: (حال) أي من الفاعل في: ﴿ادْعُوا﴾ أي ادعوا حال كونكم متضرعين متذللين، لأن الدعاء إذا كان مع التذلل كان للإجابة أقرب. قوله: (سراً) أي باسماع نفسه، لأن الله تعبدنا بالدعاء كما تعبدنا بالقراءة، فلا يكفي مرور الدعاء على قلبه. واعلم أن الإنسان إذا كان وحده، فالسر أفضل له إن كان ينشط في ذلك إلا فالجهر أفضل له كالجماعة. قوله: (بالتشدق) هو كثرة الكلام من غير حضور في القلب فهو راجع لقوله: ﴿تَضَرُّعاً﴾ وقوله: (ورفع الصوت) هو راجع لقوله: ﴿وَخُفْيَةً﴾. قوله: ﴿خَوْفاً﴾ الخوف غم يحصل من أمر مكروه يقع في المستقبل.

قوله: ﴿وَطَمَعاً﴾ الطمع توقع أمر محبوب يحصل في المستقبل، ومنه رجاء الإجابة، ففي الحديث: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة» وفي الحديث أيضاً: «ما من عبد يرفع يديه ويقول يا رب إلا ويستحي الله أن يردهما صفرين» فاستفيد من هذا أنه ينبغي للداعي الخوف والرجاء، فيجعلهما كجناحي الطائر، إن مال أحدهما سقط. قوله: (المطيعين) أي ولو بالتوبة، فالمطلوب تقديم التوبة على الدعاء ليقع الدعاء من قلب طاهر، فيكون أقرب للإجابة. قوله: (وتذكير قريب) جواب عما يقال إن: ﴿قَرِيبٌ﴾ في الأصل وصف في المعنى لرحمة وهي مؤنثة، فكان حقه التأنيث. فأجاب بأنه اكتسب التذكير من المضاف إليه، وهو لفظ الجلالة، أو يقال: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ﴾ مجازي التأنيث فيوصف بالمذكر، أو يقال إن معنى الرحمة الثواب وهو مذكر فوصفه بالمذكر من حيث المعنى.

﴿يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ أي متفرقة قدام المطر وفي قراءة بسكون الشين تخفيفاً وفي أخرى بسكونها وفتح النون مصدراً وفي أخرى بسكونها وضم الموحدة بدل النون أي مبشراً ومفرد الأولى نشور كرسول والأخيرة بشير ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ﴾ حملت الرياح ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ بالمطر ﴿سُقْنَٰهُ﴾ أي السحاب وفيه التفات عن الغيبة ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ لا نبات به أي لإحيائها ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ﴾ بالبلد ﴿ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ بالماء ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ﴾ الإخراج ﴿نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ من قبورهم بالإحياء ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ فتؤمنون ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ العذب التراب ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ﴾ حسناً ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ هذا مثل للمؤمن يسمع الموعظة فينتفع بها ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾ ترابه ﴿لَا

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ﴾ معطوف على قوله: ﴿إن ربكم الله﴾ الآية، والرياح جمع ريح، وهي أربعة: الصبا والدبور والجنوب والشمال، فالصبا تثير السحاب وهي من مطلع الشمس، والشمال تجمعه وهي من تحت القطب، والجنوب تدره وهي من جهة القبلة، والدبور تفرقه وهي من مغرب الشمس، وفي رواية الرياح ثمانية، أربعة عذاب: العاصف والقاصف والصرصر والعقيم، وأربعة رحمة: الناشرات والمرسلات والنازعات والمبشرات. قوله: (متفرقة) هذا التفسير لم يوافقه عليه أحد، بل بعض المفسرين قال: إن معنى نشراً منتشرة متسعة أو ناشرة للسحاب. قوله: (قدام المطر) في الكلام استعارة مكنية، حيث شبهت الرحمة بمعنى المطر بسلطان يقدم وله مبشرات، وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه، وهو قوله: ﴿بَيْنَ يَدَيْ﴾ فإثباته تخييل. قوله: (تخفيفاً) أي بحذف ضمة الشين، وهي سبعية أيضاً كاللتين بعدها. قوله: (بسكونها وفتح النون) أي وإفراد الريح. قوله: (نشراً) أي إما بمعنى اسم الفاعل أو اسم المفعول، أي ناشرة للسحاب أو منشورة. قوله: (ومفرد الأولى) أي ضم الشين ومثلها سكونها، فمفرد الاثنين واحد.

قوله: ﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ﴾ غاية لإرسال الرياح. قوله: ﴿سَحَاباً﴾ هو ثمر شجرة في الجنة. قوله: (بالمطر) متعلق بثقالاً والباء للسببية. قوله: (عن الغيبة) أي إلى التكلم، إذ كان مقتضى الظاهر فساقه. قوله: (لا نبات فيه) أي فموت الأرض كناية عن عدم النبات بها. قوله: (بالبلد) أشار بذلك إلى أن الضمير في: (به) عائد على البلد، والباء بمعنى في، وقوله: (بالماء) يشير إلى أن الضمير عائد على الماء، والباء سببية، ويصح عوده على البلد، وتكون الباء بمعنى في. قوله: ﴿كَذٰلِكَ﴾ (الإخراج) أي فالتشبيه مطلق الإخراج من العدم، فمن كان قادراً على إخراج الثمار من الأرض، سيما أرض الجبال التي شأنها عدم إنبات شيء من الثمار، قادر على إحياء الموتى من قبورهم فهو رد على منكري البعث.

قوله: ﴿وَالْبَلَدُ﴾ أي الأرض. قوله: (حسناً) أخذه من قوله: ﴿لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً﴾. قوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ أي بإرادته ولم يذكر ذلك في المقابل وإن كان بإذنه أيضاً تعليماً لعباده الأدب، حيث أسند لنفسه الخير دون الشر وإن كان منه أيضاً لما ورد: إن الله جميل يحب الجمال، ولقوله تعالى: ﴿بيدك الخير﴾ ولم يقل وبيدك الشر، فلا يجوز أن يقال سبحان من خلق القرد، ولا سبحان من دبب الشوك. قوله: (هذا مثل للمؤمن) أي ولعمله، فمثل المؤمن كمثل الأرض الطيبة، ومثل المواعظ والقرآن كمثل الماء، فكما أن

﴿يَخْرُجُ﴾ نباته ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾ عسراً بمشقة وهذا مثل للكافر ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما بينا ما ذكر ﴿نُصَرِّفُ﴾ نبين ﴿الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ الله فيؤمنون ﴿لَقَدْ﴾ جواب قسم محذوف ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ بالجر صفة لإله والرفع بدل من محله ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عبدتم غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٥٩﴾ هو يوم القيامة ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾ الأشراف ﴿مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٦٠﴾ بين ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ هي أعم من الضلال فنفيها أبلغ من نفيه ﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦١﴾ ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ بالتخفيف والتشديد

الماء إذا نزل على الأرض الطيبة أنبتت طيباً، كذلك المواعظ والقرآن إذا نزلت على قلب المؤمن أنبتت الطاعات والصفات الحميدة. قوله: ﴿إلَّا نَكِداً﴾ أي إلا نباتاً نكد عديم النفع، ونصب نكداً على الحال، أو نعت مصدر محذوف، أي إلا خروجاً نكداً وهو من باب تعب.

قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً﴾ المقصود من ذكر تلك القصص تسلية النبي ﷺ وتركت الواو هنا، وذكرت في سورة هود والمؤمنون، لعدم تقدم ما يعطف عليه هنا بخلاف ما يأتي، ونوح اسمه عبد الغفار ابن ملك بفتح الميم وسكونها ابن متوشلخ بن أخنوخ، وهو إدريس، بعث على رأس أربعين سنة على الصحيح، وقيل على رأس خمسين، وقيل مائتين وخمسين، وقيل مائة سنة، ومكث في قومه تسعمائة وخمسين، وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين، فجملة عمره ألف ومائتان وأربعون، بناء على الصحيح من أنه بعث على رأس الأربعين، وكان نجاراً، وصنع السفينة في عامين، ولقب بنوح لكثرة نوحه على نفسه، حيث دعا على قومه فهلكوا، وقيل لمراجعته ربه في شأن ولده كنعان، وقيل لأنه مر على كلب مجذوم فقال له: اخسأ يا قبيح، فأوحى الله إليه أعبتني أم عبت الكلب. وقدم قصة نوح لأن قومه أول من كفر واستحق العذاب. قوله: (جواب قسم محذوف) إنما أتى بالقسم هنا للرد على المنكرين ومما يجب التأكيد فيه. قوله: ﴿إِلَى قَوْمِهِ﴾ القوم في الأصل: قبيلة الرجل وأقاربه الذين اجتمعوا معه في جد واحد، ويطلق القوم مجازاً على من عاشرهم الرجل وسكن عندهم، وإن لم يكونوا أقارب له. قوله: ﴿اَعْبُدُوا اللهَ﴾ أي وحدوه. قوله: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ﴾ استئناف مسوق لبيان وجه إفراده بالعبادة. قوله: (صفة لإله) أي مراعاة للفظه. قوله: (بدل من محله) أي لأن محله رفع بالابتداء ومن زائدة.

قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ﴾ علة ثانية للأمر بالعبادة، والمعنى اعبدوا الله لأنه ليس لكم إله غيره، ولأني أتحقق نزول عذاب الآخرة بكم إن خالفتم ذلك، إما عاجلاً في الدنيا أو آجلاً في الآخرة. قوله: ﴿قَالَ الْمَلأُ﴾ بالهمز والقصر، سموا بذلك لأنهم يملأون المجالس بأجسامهم، والقلوب بهيبتهم، والعيون بأبهتهم. قوله: ﴿مِنْ قَوْمِهِ﴾ لم يقل الذين كفروا مثل ما قيل في قوم هود، لأن ذلك كان في مبدأ رسالته ولم يكن ثم مؤمن، هكذا قيل، والأحسن أن يقال حذفه منه لعلمه مما يأتي في الآية الأخرى. قوله: ﴿في ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أي حيث عدل عن عبادة آلهتهم المجمعين عليها المذكورين في سورة نوح في قوله تعالى: ﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم﴾ الآية. قوله: (هي أعم من الضلال) أي لأن الضلال هو الخروج عن الحق من كل وجه، والضلالة هي الخروج عن الحق ولو بوجه. قوله: (فنفيها أبلغ) أي لأنها نكرة في سياق النفي فتعم.

﴿ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ ﴾ أريد الخبر ﴿ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿ أَ ﴾ كذبتم ﴿ وَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ ﴾ موعظة ﴿ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ ﴾ لسان ﴿ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ﴾ العذاب إن لم تؤمنوا ﴿ وَلِتَتَّقُوا۟ ﴾ الله ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ﴿٦٣﴾ بها ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ ﴾ من الغرق ﴿ فِى ٱلْفُلْكِ ﴾ السفينة ﴿ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ بالطوفان ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾ ﴿٦٤﴾ عن الحق ﴿ وَ ﴾ أرسلنا ﴿ إِلَىٰ عَادٍ ﴾ الأولى ﴿ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ وحدوه ﴿ مَا لَكُم مِّنْ

قوله: ﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ﴾ قد وقع الاستدراك أحسن موقع، لكونه بين ضدين: نفي الضلالة المتوهم ثبوتها، وثبوت الرسالة المتوهم نفيها. قوله: (**بالتخفيف والتشديد**) أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿رِسَالَاتِ رَبِّي﴾ الجمع باعتبار تعدد الأزمنة، والمراد بالرسالات المرسل بها التي هي الأحكام. قوله: ﴿وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾ النصح يتعدى بنفسه باللام، وهو إرادة الخير للغير كما يريده لنفسه. قوله: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي من الأحكام التي تأتيه عن الله أو من العذاب الذي يحل بهم إن لم يؤمنوا. قوله: (**كذبتم**) أشار بذلك إلى أن الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف. قوله: (**موعظة**) أي تخوفكم من عذاب الله إن لم تؤمنوا. قوله: ﴿لِيُنْذِرَكُمْ﴾ علة للمجيء، وقوله: ﴿وَلِتَتَّقُوا﴾ مرتب على الإنذار، وقوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ مرتب على التقوى، فهذا الترتيب في أحسن البلاغة، وعبر في جانب الرحمة بالترجي، إشارة إلى أن الرحمة أمرها عزيز لا تنال بالعمل، بل بفضل الله. قوله: (**العذاب**) قدره إشارة إلى أن مفعول ينذر محذوف. قوله: ﴿وَلِتَتَّقُوا﴾ (**الله**) قدره إشارة إلى أن مفعول تتقوا محذوف أيضاً.

قوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي استمروا على تكذيبه. قوله: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ قيل كانوا أربعين رجلاً وأربعين امرأة، وقيل تسعة: أولاده الثلاثة: سام وهو أبو العرب، وحام وهو أبو السودان، ويافث وهو أبو الترك، وستة من غيرهم. قوله: ﴿فِي ٱلْفُلْكِ﴾ يطلق على المفرد والجمع والمذكر والمؤنث. ووزن المفرد قفل والجمع أسد. قوله: (**السفينة**) وكان طولها ثلثمائة ذراع، وسمكها ثلاثين ذراعاً وعرضها خمسين، وطبقاتها ثلاث: السفلى للوحوش والدواب، والوسطى للانس، والعليا للطيور. وركبها في عاشر رجب، واسترت على الجودي في عاشر المحرم. قوله: ﴿بِآيَاتِنَا﴾ أي الدالة على التوحيد، وهي معزات نوح. قوله: ﴿عَمِينَ﴾ أصله عميين حذفت الياء الأولى تخفيفاً، وهو جمع عم يقال لأعمى البصيرة، وأما عميان فجمع أعمى يقال لأعمى البصر.

قوله: ﴿وَإِلَى عَادٍ﴾ جرت عادة الله في كتابه، أنه إذا كان للمرسل اليهم اسم ذكرهم به، وإلا عبر بقوله قومه، وقدر المفسر: (**أرسلنا**) إشارة إلى أن: ﴿أَخَاهُمْ﴾ معطوف على نوحاً، والعال فيه: (**أرسلنا**) المتقدم، والجار والمجرور معطوف على قوله إلى قومه، فتكون الواو عاطفة عطف قصة على قصة، وهكذا يقال في باقي القصص. قوله: (**الأولى**) يحترز به عن عاد الثانية فإنها قوم صالح. قوله: ﴿أَخَاهُمْ هُوداً﴾ سمى أخاهم لأنه من جنسهم واجتمع معهم في جد، لأن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، فسميت القبيلة باسم جدهم، وهود بن عبدالله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوض بن إرم بن سام بن نوح، وقيل ابن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح، فعلى الأول قد اجتمع معهم في عاد، وعلى الثاني لا،

إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ﴿٦٥﴾ تخافونه فتؤمنون ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ جهالة ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ ﴿٦٦﴾ في رسالتك ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ ﴿٦٨﴾ مأمون على الرسالة ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ ﴾ لسان ﴿ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ ﴾ في الأرض ﴿ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ﴾ قوة وطولاً وكان طويلهم مائة ذراع وقصيرهم ستين ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ نعمه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٦٩﴾ تفوزون ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا

وإنما اجتمع معهم في سام، وكان بين هود ونوح ثمانمائة سنة، وبين القبيلتين مائة سنة، وعاش أربعمائة وأربع وستين سنة، وعاد يجوز صرفه باعتبار كونه اسماً للحي، ومنعه باعتبار كونه اسماً للقبيلة، وهذا من حيث العربية، وأما في القرآن فلم يقرأ بمنع الصرف.

قوله: ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ**﴾ أتى في قصة نوح بالفاء لأنه كان مسارعاً في دعوتهم إلى الله غير متوان كما حكى في سورة نوح، قال تعالى: ﴿قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً﴾ بخلاف هود. قوله: ﴿**مَا لَكُمْ مِنْ إله غَيْرُهُ**﴾ أي لأنه الخالق للعالم المتصرف فيه. قوله: ﴿**أَفَلَا تَتَّقُونَ**﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أتركتم التفكر في مصنوعات الله أفلا تتقون. قوله: ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ صفة للملأ كاشفة، لأن هذه المقالة لا تقع من مؤمن، ولذا تركت من قصة نوح لعلمها مما هنا. قوله: ﴿**إِنَّا لَنَرَاكَ**﴾ رأى هنا علمية، فمفعولها الأول الكاف، والثاني متعلق بالجار والمجرور. قوله: ﴿**فِي سَفَاهَةٍ**﴾ الحكمة في تعبير قوم هود بالسفاهة، وقوم نوح بالضلال، أن نوحاً لما خوف قومه بالطوفان، وجعل يصنع الفلك، نسبوه للضلال، حيث أتعب نفسه في عمل سفينة في أرض لا ماء بها ولا طين، وهود لما نهاهم عن عبادة الأصنام صموداً وصمداً وهبا ونسب من يعبدها للسفه، خاطبوه بمثل ما خاطبهم به.

قوله: ﴿**وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ**﴾ تقدم أن مثل هذا الاستدراك وقع أحسن موقع، لكنه وقع بين ضدين. قوله: ﴿**أُبَلِّغُكُمْ**﴾ بالتخفيف والتشديد قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿**وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ**﴾ الحكمة في تعبير هود بالجملة الاسمية، ونوح بالجملة الفعلية، أن هوداً كان نصوحاً مع التراخي، ومعلوم أن ذلك يدل عليه بالجملة الاسمية، ونوح كان مكرراً للنصح، وذلك يدل عليه بالجملة الفعلية، لأن الفعل للتجدد. قوله: (**مأمون على الرسالة**) أي فلا أزيد ولا أنقص.

قوله: ﴿**أَوَعَجِبْتُمْ**﴾ الهمزة داخلة على محذوف تقديره أكذبتموني وعجبتم. قوله: ﴿**ذِكْرٌ**﴾ أي موعظة تخوفكم من عذاب الله. قوله: ﴿**إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ**﴾ إذ ظرف مفعول لاذكروا، أي اذكروا وقت جعلكم، والمقصود ذكر النعمة لا ذكر وقتها. قوله: ﴿**بَسْطَةً**﴾ بالسين والصاد قراءتان سبعيتان ومعناهما واحد. قوله: (**قوة وطولاً**) أي ومالاً. قوله: (**مائة ذراع الخ**) الذي قاله المحلي في سورة الفجر، إن طويلهم كان أربعمائة ذراع بذراع نفسه، وفي رواية خمسمائة ذراع، وقصيرهم ثلاثمائة ذراع، وكان رأس الواحد منهم قدر القبة العظيمة، وكانت عينه بعد موته تفرخ فيها الضباع. قوله: ﴿**آلَاءَ اللهِ**﴾ جمع إلى بكسر الهمزة وضمها، كحمل وقفل، أو بكسر ففتح كضلع، أو بفتحتين كقفا. قوله: (**تفوزون**) أي

لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ﴾ نترك ﴿مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ به من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ﴿٧٠﴾ في قولك ﴿قَالَ قَدۡ وَقَعَ﴾ وجب ﴿عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٌ﴾ عذاب ﴿وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ﴾ أي سميتم بها ﴿أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم﴾ أصناماً تعبدونها ﴿مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ أي بعبادتها ﴿مِن سُلۡطَٰنٖ﴾ حجة وبرهان ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ العذاب ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾ ﴿٧١﴾ ذلكم بتكذيبكم لي فأرسلت عليهم الريح العقيم ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ﴾ أي هوداً ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ من المؤمنين ﴿بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَقَطَعۡنَا دَابِرَ﴾ القوم ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ﴾ أي استأصلناهم ﴿وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ ﴿٧٢﴾ عطف على كذبوا ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ ثَمُودَ﴾ بترك الصرف مراداً به القبيلة ﴿أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ﴾ معجزة ﴿مِّن

برضا الله وزيادة النعم، لأن شكر النعم مما يديمها ويزيدها.

قوله: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا﴾ أي جواباً بالنصحة لهم. قوله: (وجب) أي حق وثبت، والتعبير بالماضي إشارة إلى أنه واقع لا محالة. قوله: ﴿وَغَضَبٌ﴾ عطف سبب على مسبب. قوله: ﴿فِي أَسْمَاءٍ﴾ أي مسميات. قوله: (أصناماً) قدره إشارة إلى مفعول سميتموها الثاني. قوله: **(فأرسلت عليهم الريح العقيم)** وكانت باردة ذات صوت شديد لا مطر فيها، وكانت وقت مجيئها في عجز الشتاء وابتدأتهم صبيحة الأربعاء لثمان بقين من شوال، وسخرت عليهم سبع ليال وثمانية أيام، فأهلكت رجالهم ونساءهم وأولادهم وأموالهم، بأن رفعت ذلك في الجو فمزقته، وفي رواية بعث الله عز وجل الريح العقيم، فلما دنت منهم نظروا إلى الإبل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والأرض، فلما رأوها بادروا إلى البيوت فدخلوها وأغلقوا الأبواب، فجاءت الريح فقلعت أبوابهم ودخلت عليهم فأهلكتهم فيها، ثم أخرجتهم من البيوت، فلما أهلكتهم أرسل الله عليهم طيراً أسود فنقلتهم إلى البحر فألقتهم فيه، وقيل إن الله تعالى أمر الريح فأمالت عليهم الرمال، فكانوا تحت الرمال سبع ليال وثمانية أيام يسمع لهم أنين تحت الرمل. ثم أمر الريح فكشفت عنهم الرمل ثم احتملتهم فرمت بهم في البحر. قوله: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أي وكانوا شرذمة قليلة يكتمون إيمانهم، وسبب نجاتهم أنهم دخلوا في حظيرة فصار يدخل عليهم من الريح ما يلتذون به، ثم بعد ذلك أتوا مكة مع هود، فعبدوا الله فيها حتى ماتوا. قوله: **(أي استأصلناهم)** أي لم نبق منهم أحداً. قوله: **(عطف على كذبوا)** أي وفائدته وإن علم منه الإشارة إلى أن الله علم عدم إيمانهم، وأنهم لو بقوا ما آمنوا، أي فلا تحزن عليهم أيها السامع.

قوله: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ﴾ تقدم أنه معطوف على قوله: ﴿لقد أرسلنا نوحاً﴾ عطف قصة على قصة، وثمود قبيلة سموا باسم جدهم ثمود بن عابر بن سام بن نوح. قوله: **(بترك الصرف)** أي للعلمية والتأنيث. ولو أريد به الحي لصرف.

قوله: ﴿أَخَاهُمْ﴾ أي في النسب لأنه ابن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود المتقدم، وكان بين صالح وهود مائة سنة، وعاش صالح مائتين وثمانين سنة. قوله: ﴿صَالِحاً﴾ بدل من أخاهم أو عطف بيان عليه. ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ علة لقوله: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾. وقوله: ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ﴾

رَبِّكُمْ ﴾ على صدقي ﴿ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ﴾ حال عاملها معنى الإشارة وكانوا سألوه أن يخرجها لهم من صخرة عينوها ﴿ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ ﴾ بعقر أو ضرب ﴿ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ ﴾ في الأرض ﴿ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ ﴾ أسكنكم ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا ﴾ تسكنونها في الصيف ﴿ وَتَنْحِتُونَ ﴾ من ﴿ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ﴾ تسكنونها في الشتاء ونصبه على الحال المقدرة ﴿ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ ﴾ تكبروا عن الإيمان به ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ

علة لمحذوف، والتقدير امتثلوا ما أمرتكم به، لأنه قد جاءتكم بينة على صدقي. قوله: ﴿هَٰذِهِ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾ كلام مستأنف بيان للمعجزة، والإضافة للتشريف واسم الإشارة مبتدأ و ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ خبر ومضاف اليه ﴿وَلَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من: ﴿آيَةً﴾ لأنه نعت نكرة تقدم عليها أو خبر ثان و ﴿آيَةً﴾ حال والعامل فيها محذوف تقديره أشير، وقد أشار له المفسر بقوله: **(حال عاملها معنى الإشارة)** وهذا القول وقع من صالح بعد نصحهم، كما قال تعالى في سورة هود: ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ الآيات. قوله: **(من صخرة عينوها)** وكان يقال لها الكاتبة، وكانت منفردة في ناحية الجبل، فقالوا أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة تكون على شكل البخت، وتكون عشراء جوفاء وبراء، أي ذات جوف واسع ووبر وصوف، فدعا الله فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها، فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء كما وصفوا، لا يعلم ما بين جنبيها إلا الله تعالى، فعند خروجها ولدت ولداً مثلها في العظم، فمكثت الناقة مع ولدها ترعى وتشرب إلى أن عقروها.

قوله: ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ﴾ مرتب على كونها آية من آيات الله. قوله: ﴿تَأْكُلْ فِي أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ أي وتشرب. قوله: ﴿فَيَأْخُذَكُمْ﴾ بالنصب في جواب النهي، والتعقيب ظاهر، لأنهم لم يلبثوا إلا ثلاثة أيام، رأوا فيها أمارات العذاب، كما يأتي في سورة هود. قوله: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي مؤلم. قوله: ﴿وَٱذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾ تذكير لهم بنعم الله التي أنعمها عليهم. قوله: **(في الأرض)** قدره المفسر إشارة إلى أن في الآية الحذف من الأول لدلالة الثاني عليه.

قوله: ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي أرض الحجر بكسر الحاء، مكان بين الحجاز والشام. قوله: ﴿تَتَّخِذُونَ﴾ أي تعملون وتصنعون، واتخذ يصح أن يكون متعدياً لواحد، فمن سهولها متعلق باتخذ، أو لاثنين فمن سهولها متعلق بمحذوف مفعول ثان. قوله: ﴿مِنْ سُهُولِهَا﴾ جمع سهل وهو المكان المتسع الذي لا جبل به، ومن بمعنى في، أي تصنعون في الأرض السهلة القصور، ويصح أن تكون من للابتداء، أي تتخذون من السهول، أي الأراضي اللينة القصور، أي طوبها وطينها، والأقرب الأول، وسميت القصور بذلك لقصر أيدي الفقراء عن تحصيلها.

قوله: ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتاً﴾ يصح أن يكون المعنى على إسقاط الخالص أي من: ﴿الْجِبَالِ﴾ و ﴿بُيُوتاً﴾ مفعول ﴿تَنْحِتُونَ﴾، ويصح أن يكون ﴿الْجِبَالَ﴾ مفعولاً به، و ﴿بُيُوتاً﴾ حال مقدرة كما قال المفسر، لأن الجبال لا تصير بيوتاً إلا بعد نحتها، وهو إن كان جامداً، إلا أنه مؤول بالمشتق أي مساكن. قوله: ﴿مُفْسِدِينَ﴾ حال مؤكدة لعاملها، لأن العثو هو الفساد. قوله: **(تكبروا)** أشار بذلك إلى أن السين

لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ أي من قومه بدل مما قبله بإعادة الجار ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ إليكم ﴿قَالُوٓا۟﴾ نعم ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾ وكانت الناقة لها يوم في الماء ولهم يوم فملوا ذلك ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ﴾ عقرها قدار بأمرهم بأن قتلها بالسيف ﴿وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ به من العذاب على قتلها ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾﴾ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة من الأرض والصيحة

زائدة. قوله: (عن الإيمان به) أي بصالح. قوله: (بدل مما قبله بإعادة الجار) أي بدل كل من كل، إن كان الضمير في: ﴿مِنْهُمْ﴾ عائداً على القوم، ويكون جميع المستضعفين آمنوا وبدل بعض من كل، إن كان الضمير عائداً على المستضعفين، ويكون بعض المستضعفين آمنوا، والله أعلم بحقيقة الحال. قوله: ﴿أَتَعْلَمُونَ﴾ مفعول قول المستكبرين. قوله: ﴿قَالُوا﴾ (نعم) قدره المفسر إشارة إلى أن هذا حق الجواب، وإنما عدلوا عنه مسارعة إلى تحقيق الحق وإظهار إيمانهم، وتنبيهاً على أن رسالته واضحة لا تخفى، فلا ينبغي السؤال عنها فهذا الجواب تبكيت لهم.

قوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ إظهار في محل الإضمار تبكيتاً لهم. قوله: ﴿إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ﴾ لم يقولوا إنا بما أرسل به، إظهاراً لمخالفتهم إياهم تعنتاً وعناداً. قوله: (وكانت الناقة لها يوم في الماء) أي فإذا كان يومها وضعت رأسها في البئر، فما ترفعه حتى تشرب جميع ما فيها ثم تتبجبج، فيحلبون ما شاؤوا حتى يملأوا أوانيهم فيشربون ويدخرون.

قوله: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ أي في يوم الأربعاء، فقال لهم صالح: تصبحون غداً وجوهكم مصفرة ثم تصبحون في يوم الجمعة وجوهكم محمرة، ثم تصبحون يوم السبت وجوهكم مسودة. فأصبحوا يوم الخميس قد اصفرت وجوههم، فأيقنوا العذاب، ثم احمرت في يوم الجمعة فازداد خوفهم، ثم اسودت يوم السبت فتجهزوا للهلاك، فأصبحوا يوم الأحد وقت الضحى، فكفنوا أنفسهم تحنطوا كما يفعل بالميت وألقوا بأنفسهم إلى الأرض، فلما اشتد الضحى، أتتهم صيحة عظيمة من السماء فيها صوت كل صاعقة، وصوت في ذلك الوقت كل شيء له صوت مما في الأرض، ثم تزلزلت بهم الأرض حتى هلكوا جميعاً، وأما ولد الناقة فقيل إنه فر هارباً، فانفتحت له الصخرة التي خرجت منها أمة فدخلها وانطبقت عليه، قال بعض المفسرين: إنه الدابة التي تخرج قرب القيامة، وقيل إنهم أدركوه وذبحوه. قوله: (عقرها قدار) أي ابن سالف، وكان رجلاً أحمر أزرق العينين قصيراً، وكان ابن زانية، ولم يكن لسالف، وهو أشقى الأولين كما ورد في الحديث. قوله: (بأن قتلها بالسيف) أي فالمراد بالعقر النحر، ففيه إطلاق السبب على المسبب، لأن العقر ضرب قوائم البعير أو الناقة لتقع فتنحر.

قوله: ﴿وَقَالُوا يَا صَالِحُ﴾ أي على سبيل التهكم والاستهزاء. قوله: ﴿بِمَا تَعِدُنَا﴾ (به) قدره إشارة إلى أن العائد محذوف، وكان الأولى أن يقدر ضمير نصب، بأن يقول تعدناه لئلا يلزم حذف العائد المجرور بالحرف من غير اتحاد متعلقهما. قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ أي بعد مضي ثلاثة أيام، والتعقيب

من السماء ﴿ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ ﴿٧٨﴾ باركين على الركب ميتين ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ أعرض صالح ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿لُوطًا﴾ ويبدل منه ﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ ﴾ أي أدبار الرجال ﴿ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿٨٠﴾ الإنس والجن ﴿إِنَّكُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال الألف بينهما على الوجهين ﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ ﴿٨١﴾ متجاوزون

ظاهر، لأن الثلاثة أيام مقدمات الهلاك. قوله: (**والصيحة من السماء**) أشار بذلك إلى أن في الآية اكتفاء، لأن عذابهم كان بهما معاً. قوله: ﴿**فِي دَارِهِمْ**﴾ أي أرضهم، فالمراد بهم الجنس.

قوله: ﴿**فَتَوَلَّى عَنْهُمْ**﴾ أي بعد أن هلكوا وماتوا توبيخاً، كما خاطب النبي ﷺ الكفار من قتلى بدر حين ألقوا في القليب، فقال عمر: يا رسول الله كيف تكلم أقواماً قد جيفوا؟ فقال ﷺ: ما أنت بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يجيبون، وقيل: خاطبهم قبل موتهم وقت ظهور العلامات فيهم، عليه: يكون في الآية تقديم وتأخير تقديره: فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي، ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين، فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين. قوله: ﴿**وَ**﴾ (**اذكر**) خطاب لسيدنا محمد ﷺ، وقدره ولم يقدر أرسلنا، مع أنه يكون موافقاً لما قبله وما بعده، لأنه يوهم أن وقت الارسال قال لقومه ما ذكر، مع أنه ليس كذلك، بل أمرهم أولاً بالتوحيد، ثم بين لهم فروع شريعته، ولوط بن هاران أخي إبراهيم الخليل عليهما السلام، وكان إبراهيم ولوط ببابل بالعراق، فهاجر إلى الشام فنزل إبراهيم بأرض فلسطين، ونزل لوط بالأردن وهي قرية بالشام، فأرسله الله إلى أهل سذوم، بالذال المعجمة على وزن رسول، وهي بلد بحمص.

قوله: ﴿**أَتَأْتُونَ ٱلْفَاحِشَةَ**﴾ استفهام توبيخ وتقريع لأنها من أعظم الفواحش، ولذا كان حدها عند أبي حنيفة الرمي من شاهق جبل، وعند مالك الرجم مطلقاً فاعلاً أو مفعولاً أحصنا أو لم يحصنا. قوله: ﴿**مَا سَبَقَكُمْ**﴾ الخ تأكيد للإنكار عليهم، لأن مباشرة القبح قبيحة، واختراعه أقبح. قوله: (**الإنس والجن**) أي وجميع البهائم، بل هذه الفعلة لم توجد في أمة إلا في قوم لوط وفساق هذه الأمة المحمدية. وكان قوم لوط يتباهوان بالضراط في المجالس أيضاً، كما قال تعالى: ﴿وتأتون في ناديكم المنكر﴾ وهو فاحشة عظيمة أيضاً. قوله: (**بتحقيق الهمزتين**) حاصل ما أفاده المفسر، أن القراءات أربع: تحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية من غير إدخال ألف بين الهمزتين أو بإدخالها، ولكن الحق أن إدخال الألف بين الهمزتين المحققتين غير سبعية، وإنما هي لهشام، وبقي قراءة سبعية أيضاً وهي بهمزة واحدة على الخبر المستأنف بيان لتلك الفاحشة، وهي لنافع وحفص عن عاصم، فتحصل أن القراءات خمس، أربع سبعية وواحدة غير سبعية.

قوله: ﴿**شَهْوَةً**﴾ أي لأجل الشهوة. قوله: ﴿**مِنْ دُونِ ٱلنِّسَاءِ**﴾ إما حال من: ﴿**ٱلرِّجَالَ**﴾ أو من الواو في تأتون، وحكمه التوبيخ على هذا الفعل القبيح، أن الله تعالى خلق الإنسان، وركب فيه شهوة النكاح لبقاء النسل وعمران الدنيا، وجعل النساء محلاً للشهوة والنسل، فإذا تركهن الإنسان، فقد عدل

الحلال إلى الحرام ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم﴾ أي لوطاً وأتباعه ﴿مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ من أدبار الرجال ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ ﴿٨٣﴾ الباقين في العذاب ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ﴾ هو حجارة السجيل فأهلكتهم ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿٨٤﴾ ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾ معجزة ﴿مِّن رَّبِّكُمْۖ﴾ على صدقي ﴿فَأَوْفُواْ﴾ أتموا ﴿ٱلْكَيْلَ

ما أحل له وتجاوز الحد، لوضعه الشيء في غير محله، لأن الأدبار ليست محلاً للولادة التي هي المقصودة بالذات.

قوله: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ القراءة على نصب جواب خبراً لكان، واسمها أن وما دخلت عليه، وقرأ الحسن بالرفع اسم كان، وأن وما دخلت عليه خبرها، وما مشى عليه الجماعة أفصح عربية، لأن الأعراف وقع اسماً، والواو هنا للتعقيب لحلولها محل الفاء في النمل والعنكبوت، لأن جوابهم لم يتأخر عن نصيحته والحصر نسبي، والمراد أنه لم يقع منهم جواب عن نصح وموعظة، فلا ينافي أنهم زادوا في الجواب من الكلام القبيح. قوله: ﴿مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ أي سذوم. قوله: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ قالوا ذلك استهزاء.

قوله: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ أي ابنته، لأنه لم ينج من العذاب إلا وهو وابنتاه لإيمانها به، فخرج لوط من أرضه، وطوى الله له الأرض في وقته حتى نجا ووصل إلى إبراهيم، وسيأتي تمام القصة في سورة هود، وإنما ذكرت هنا اختصاراً. قوله: (**الباقين في العذاب**) أي لأن الغبر من باب قعد، يستعمل بمعنى البقاء في الزمان المستقبل، وبمعنى المكث في الزمان الماضي، والمراد الأول. قوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا﴾ يقال غالباً في الرحمة مطر، وفي العذاب أمطر، وعلى كل هو متعد ينصب المفعول. قوله: (**هو حجارة السجيل**) أي وكانت معجونة بالكبريت والنار، وهلكوا أيضاً بالخسف، قال تعالى: ﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها﴾، ورد أن جبريل رفع مدائنهم إلى السماء، وكانت خمسة، وأسقطها مقلوبة إلى الأرض، وأمطر عليهم الحجارة متتابعة في النزول عليها اسم كل من يرمي بها، وقيل إن الحجارة لمن كان مسافراً منهم، والخسف لمن كان في المدائن.

قوله: ﴿فَانْظُرْ﴾ لكل سامع يتأتى منه النظر والتأمل، ليحصل الاعتبار بما وقع لهؤلاء القوم. قوله: ﴿وإِلَى مَدْيَنَ﴾ معطوف على قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً﴾ عطف قصة على قصة، ولذا قدر المفسر أرسلنا ومدين اسم قبيلة شعيب، واسم لقريته أيضاً، بينها وبين مصر ثمانية مراحل، سميت باسم أبيهم مدين ابن إبراهيم الخليل عليه السلام، وشعيب بن ميكائيل بن بشجر بن مدين بن إبراهيم الخليل، فشعيب أخوهم في النسب، وليس من أنبياء بني إسرائيل، وقوله: ﴿شُعَيْباً﴾ بدل من أخاهم، أو عطف بيان عليه، وأرسل شعيب أيضاً إلى أصحاب الأيكة، وهي شجر ملتف بعضه ببعض بالقرب من مدين، قال تعالى: ﴿كذب أصحاب الأيكة المرسلين﴾. قوله: (**معجزة**) لم تذكر تلك المعجزة في القرآن، وقيل المراد بها نفسه، بمعني أن أوصافه لا يمكن معارضتها، وقيل المراد بها. قوله: ﴿فَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ الخ، بمعنى ما يترتب عليها من العز للمطيع، والذل والعقاب للمخالف.

﴿وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟﴾ تنقصوا ﴿ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا﴾ ببعث الرسل ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ المذكور ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ مريدي الإيمان فبادروا اليه ﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ﴾ طريق ﴿تُوعِدُونَ﴾ تخوفون الناس بأخذ ثيابهم أو المكس منهم ﴿وَتَصُدُّونَ﴾ تصرفون ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دينه ﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ بتوعدكم إياه بالقتل ﴿وَتَبْغُونَهَا﴾ تطلبون الطريق ﴿عِوَجًا﴾ معوجة ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾ قبلكم بتكذيبهم رسلهم أي آخر أمرهم من الهلاك ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟﴾ به ﴿فَٱصْبِرُوا۟﴾ انتظروا ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا﴾ وبينكم بإنجاء المحق وإهلاك المبطل ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ أعدلهم ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾

قوله: ﴿**فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ**﴾ أي وكانت عادتهم نقص الكيل والميزان. قوله: ﴿**وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ**﴾ هذا لازم لقوله: ﴿**فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ**﴾ لأن الشخص إذا لم يوف الكيل والميزان لغيره فقد نقصه من الثمن، وكذلك إذا استوفى الكيل والميزان لنفسه، فقد نقص الغير من الثمن. قوله: ﴿**بَعْدَ إِصْلَاحِهَا**﴾ ورد أنه قبل بعث شعيب لهم، كانوا يفعلون المعاصي، ويستحلون المحارم، ويسفكون الدماء، فلما بعث شعيب أصلح الله به الأرض، وهكذا كل نبي بعث إلى قومه. قوله: (**مريدي الإيمان**) جواب عما يقال إنهم لم يكونوا مؤمنين إذ ذاك. قوله: (**فبادروا اليه**) جواب الشرط، وما قبله دليل الجواب. قوله: ﴿**بِكُلِّ صِرَاطٍ**﴾ أي محسوس بدليل ما بعده. قوله: (**تخوفون الناس**) قدره إشارة إلى أن مفعول: ﴿**تُوعِدُونَ**﴾ محذوف. قوله: (**بأخذ ثيابهم**) ورد أنهم كانوا يجلسون على الطريق، ويقولون لمن يريد شعيباً: إنه كذاب ارجع لا يفتنك عن دينك، فإن آمنت به قتلناك.

قوله: ﴿**مَنْ آمَنَ**﴾ هذا مفعول: ﴿**تَصُدُّونَ**﴾. قوله: (**تطلبون الطريق**) أي المعبر عنه بالسبيل، وهو الطريق المعنوي الذي هو الدين، والمعنى تعدلوا عن الصراط المستقيم إلى الاعوجاج.

قوله: ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ**﴾ ﴿**إِذْ**﴾ ظرف معمول لقوله: ﴿**وَاذْكُرُوا**﴾ أي اذكروا وقت كونكم قليلاً إلخ، والمراد اذكروا تلك النعمة العظيمة. قوله: ﴿**قَلِيلًا**﴾ أي في العدة والعدد والضعف، وقوله: ﴿**فَكَثَّرَكُمْ**﴾ أي فزاد عددكم وقوتكم، فكانوا أغنياء أقوياء ذوي عدد كثير بوجود شعيب بينهم، ولذا لما فر موسى هارباً من فرعون، نزل عند شعيب فطمأنه وأمن روعه، قال تعالى حكاية عن شعيب: ﴿قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾. قوله: ﴿**عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**﴾ أي وأقربهم إليكم قوم لوط، فانظروا ما نزل بهم. قوله: ﴿**وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا**﴾ في الكلام الحذف من الثاني لدلالة الأول عليه، والتقدير وطائفة منكم لم يؤمنوا بالذي أرسلت به.

قوله: ﴿**فَاصْبِرُوا**﴾ يجوز أن يكون الضمير للمؤمنين من قومه، وأن يكون للكافرين منهم، وأن يكون للفريقين وهذا هو الظاهر، فأمر المؤمنين بالصبر ليحصل لهم الظفر والغلبة، والكافرين بالصبر لسوء عاقبة أمرهم، وهو نظير قوله تعالى: ﴿فتربصوا إنا معكم متربصون﴾. قوله: (**وبينكم**) لا حاجة له، لأن الضمير عائد على شعيب وعليهم، والمعنى حتى يقضي الله بين الفريقين المؤمنين والكفار. قوله: ﴿**وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ**﴾ التعبير باسم التفضيل، باعتبار أنه الحاكم حقيقة، وغيره حاكم مجازاً، ومن كان له

عن الإيمان ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾ ترجعن ﴿فِى مِلَّتِنَا﴾ ديننا وغلبوا في الخطاب الجمع على الواحد لأن شعيباً لم يكن في ملتهم قط وعلى نحوه أجاب ﴿قَالَ أَ﴾ نعود فيها ﴿وَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾ لها استفهام إنكار ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ﴾ ينبغي ﴿لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ ذلك فيخذلنا ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ أي وسع علمه كل شيء ومنه حالي وحالكم ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ﴾ احكم ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ الحاكمين ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ أي قال بعضهم لبعض ﴿لَئِنِ﴾ لام قسم ﴿ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾﴾ باركين

الحكم بالأصالة والحقيقة، خير ممن كان له الحكم مجازاً.

قوله: ﴿قَالَ الْمَلأُ﴾ أي جواباً لما قاله لهم. قوله: ﴿يَا شُعَيْبُ﴾ إنما وسطوا اسمه بين المعطوف والمعطوف عليه، زيادة في القباحة والشناعة منهم. قوله: **(وغلبوا في الخطاب الجمع على الواحد الخ)** جواب عما يقال: إن شعيباً لم يسبق له الدخول في ملتهم، وإنما حمل المفسر على هذا الجواب تفسيره العود بالرجوع، وقال بعضهم إن عاد تأتي بمعنى صار، وعلى هذا فلا إشكال ولا جواب. قوله: **(وعلى نحوه)** أي التغليب. قوله: ﴿أَ﴾ **(نعود فيها)** أشار بذلك إلى أن الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف.

قوله: ﴿وَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ الهمزة لإنكار الوقوع، وكلمة: ﴿لَوْ﴾ في مثل هذا المقام، ليست لبيان انتفاء شيء في الزمن الماضي لانتفاء غيره فيه، بل هي لمجرد الربط والمبالغة في انتفاء العود، والمعنى لا تطمعوا في عودنا مختارين ولا مكرهين فتأمل. قوله: ﴿إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ﴾ شرط حذف جوابه لدلالة قوله قد افترينا عليه. قوله: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا﴾ أي لا يصح ولا يليق لنا أن نعود فيها في حال من الأحوال، إلا في حال مشيئة الله لنا. قوله: ﴿إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ يصح أن يكون متصلاً، والمستثنى منه عموم الأحوال أو منقطعاً، وهذا الاستثناء محض رجوع إلى الله وتفويض الأمر إليه، وقد جازاهم الله بأن كفاهم شر أعدائهم، وأخذهم أخذ عزيز مقتدر. قوله: **(أي وسع علمه)** أشار بذلك إلى أن: ﴿عِلْماً﴾ تمييز محول عن الفاعل. قوله: ﴿وَبَيْنَ قَوْمِنَا﴾ أي الكفار، وإنما أعرض عن مكالمتهم ورجع لله متضرعاً لما ظهره له من شدة عنادهم وتعنتهم في كفرهم.

قوله: ﴿وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الخ إنما قال بعضهم لبعض هذه المقالة، خوفاً على بعضهم من الميل لشعيب، حيث توعدوه بما تقدم، فلم يبال بهم. قوله: ﴿إِنَّكُمْ إِذاً لَخَاسِرُونَ﴾ أي في الدنيا بفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف، وجملة: ﴿إِنَّكُمْ إِذاً لَخَاسِرُونَ﴾ جواب القسم، وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه. قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ ذكر هنا وفي العنكبوت الرجفة، وذكر في سورة هود: ﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة﴾ أي صيحة جبريل عليهم من السماء، وجمع بينهما بأن الرجفة في المبدأ، والصيحة في الاثناء فتأمل، وأما أهل الأيكة فأهلكوا بالظلة، كما سيأتي في سورة الشعراء.

على الركب ميتين ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا﴾ مبتدأ خبره ﴿كَأَن﴾ مخففة واسمها محذوف أي كأنهم ﴿لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ﴾ يقيموا ﴿فِيهَاۚ﴾ في ديارهم ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ التأكيد بإعادة الموصول وغيره للرد عليهم في قولهم السابق ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ أعرض ﴿عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ﴾ فلم تؤمنوا ﴿فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ﴾ أحزن ﴿عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ استفهام بمعنى النفي ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ﴾ فكذبوه ﴿إِلَّآ أَخَذۡنَآ﴾ عاقبنا ﴿أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ﴾ شدة الفقر ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ المرض ﴿لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾﴾ يتذللون فيؤمنون ﴿ثُمَّ بَدَّلۡنَا﴾ أعطيناهم ﴿مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ﴾ العذاب ﴿ٱلۡحَسَنَةَ﴾ الغنى والصحة ﴿حَتَّىٰ عَفَواْ﴾ كثروا ﴿وَّقَالُواْ﴾ كفراً للنعمة ﴿قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ كما مسنا وهذه عادة الدهر وليست بعقوبة من الله فكونوا على ما أنتم عليه قال تعالى ﴿فَأَخَذۡنَٰهُم﴾ بالعذاب ﴿بَغۡتَةٗ﴾ فجأة ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩٥﴾﴾ بوقت مجيئه قبله ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ﴾ المكذبين ﴿ءَامَنُواْ﴾ بالله ورسلهم ﴿وَٱتَّقَوۡاْ﴾ الكفر والمعاصي ﴿لَفَتَحۡنَا﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بالمطر ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾ بالنبات ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُواْ﴾

قوله: ﴿**كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا**﴾ أي كأنهم لم يلبثوا في ديارهم أصلاً لأنهم استؤصلوا بالمرة. قوله: **(وغيره)** أي وهو ضمير الفصل.

قوله: ﴿**وَقَالَ يَا قَوْمِ**﴾ ما تقدم من كون القول بعد هلاكهم أو قبله في قصة صالح يجري هنا. قوله: ﴿**فَكَيْفَ آسَى**﴾ أصله أأسى بهمزتين، قلبت الثانية ألفاً. قوله: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ**﴾ جملة مستأنفة قصد بها التعميم بعد ذكر بعض الأمم بالخصوص، وإنما خص ما تقدم بالذكر لمزيد تعنتهم وكفرهم. قوله: **(فكذبوه)** قدره إشارة إلى أن الكلام فيه حذف لأن قوله: ﴿**إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا**﴾ لا يترتب على الإرسال، وإنما يترتب على التكذيب. قوله: ﴿**لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ**﴾ أصله يتضرعون قلبت التاء ضاداً وأدغمت في الضاد، وإنما قرىء بالفك في الأنعام لأجل مناسبة الماضي في قوله تضرعوا بخلاف ما هنا، فجيء به على الأصل.

قوله: ﴿**ثُمَّ بَدَّلْنَا**﴾ أي استدراجاً لهم. قوله: **(العذاب)** أي الفقر والمرض. قوله: **(الغنى والصحة)** لف ونشر مرتب. قوله: **(كفراً للنعمة)** أي تكذيباً لأنبيائهم. قوله: **(وهذه عادة الدهر)** هذا من جملة مقولهم. قوله: **(فكونوا على ما أنتم عليه)** هذا من جملة قول بعضهم لبعض. قوله: ﴿**فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً**﴾ مرتب على قوله: ﴿**وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا**﴾ الخ. قوله: ﴿**وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾ أي لعدم تقدم أسبابه لهم، وهذه الآية بمعنى آية الأنعام، قال تعالى: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾ الآية.

قوله: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى**﴾ جمع قرية، والمراد جميع القرى المتقدم ذكرهم وغيرهم. قوله: **(ورسلهم)** أي أهل القرى، وفي نسخة ورسله أي الله. قوله: ﴿**وَاتَّقَوْا**﴾ عطف على: ﴿**آمَنُوا**﴾ عطف عام على خاص، لأن التقوى امتثال المأمورات، ومن جملتها الإيمان. قوله: **(بالتخفيف والتشديد)** أي فيها قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿**بَرَكَاتٍ**﴾ جمع بركة، وهي زيادة الخير في الشيء. قوله: ﴿**وَلَكِنْ كَذَّبُوا**﴾

الرسل ﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾ عاقبناهم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ المكذبون ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيَٰتًا﴾ ليلاً ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴾ ﴿٩٧﴾ غافلون عنه ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى﴾ نهاراً ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ ﴿٩٨﴾ ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ استدراجه إياهم بالنعمة وأخذهم بغتة ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ ﴿٩٩﴾ ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ يتبين ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ﴾ بالسكنى ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾ هلاك ﴿أَهْلِهَآ أَن﴾ مخففة واسمها محذوف فاعل أي أنه ﴿لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم﴾ بالعذاب ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ كما أصبنا من قبلهم والهمزة في المواضع الأربعة للتوبيخ والفاء والواو الداخلة عليها للعطف وفي قراءة بسكون الواو في الموضع الأول عطفاً بأو ﴿وَ﴾ نحن ﴿نَطْبَعُ﴾ نختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ ﴿١٠٠﴾ الموعظة سماع تدبر ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ التي مر ذكرها ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنْ أَنۢبَآئِهَا﴾ أخبار أهلها ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات الظاهرات ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾ عند مجيئهم ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟﴾ كفروا به ﴿مِن قَبْلُ﴾ قبل مجيئهم بل استمروا على الكفر ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الطبع ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ﴿١٠١﴾ ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم﴾ أي الناس ﴿مِّنْ عَهْدٍ﴾ أي وفاء بعهدهم يوم أخذ الميثاق ﴿وَإِن﴾ مخففة

أي لم يؤمنوا ولم يتقوا. قوله: **﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** أي بسبب كسبهم من الكفر والمعاصي.

قوله: **﴿أَفَأَمِنَ﴾** الهمزة مقدمة من تأخير والفاء عاطفة على قوله: **﴿فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾** وما بينهما اعتراض، وهذه طريقة الجمهور، وعند الزمخشري أن الهمزة داخلة على محذوف، وما بعدها معطوف على ذلك المحذوف، ولكنه في هذا الموضع وافق الجمهور في كشافه. قوله: **﴿بَيَاتاً﴾** حال من **﴿بَأْسُنَا﴾** وجملة **﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾** حال من ضمير **﴿يَأْتِيَهُمْ﴾**. قوله: **﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾** أي يشتغلون بما لا يعنيهم. قوله: **﴿مَكْرَ اللهِ﴾** المكر في الأصل الخديعة والحيلة، وذلك مستحيل على الله، وحينئذ فالمراد بالمكر أن يفعل بهم فعل الماكر، بأن يستدرجهم بالنعم أولاً ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

قوله: **﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ﴾** أي وهم كل قوم جاؤوا بعد هلاك من قبلهم، كعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين والأمة المحمدية، فإن كل فرقة من هؤلاء تبين لها الإصابة بذنوبهم، حيث شاء الله ذلك. قوله: **(فاعل)** أي المصدر المأخوذ منها ومن جواب لو هو الفاعل، والتقدير أو لم يتبين بالعذاب لو شئنا الإصابة. قوله: **﴿لَوْ نَشَاءُ﴾** أي إصابتهم، فمفعول نشاء محذوف. قوله: **(في المواضع الأربعة)** أي وأولها **﴿أو أمن أهل القرى﴾** وآخرها **﴿أَوْ لَمْ يَهْدِ﴾** فإنان بالفاء واثنان بالواو. قوله: **(الداخلة)** أي الهمزة، وقوله: **(عليها)** أي الفاء والواو. قوله: **(في الموضع الأول)** أي من موضعي الواو، وقوله: **﴿وَنَطْبَعُ﴾** قدر المفسر: **(نحن)** إشارة إلى أنه مستأنف منقطع عما قبله.

قوله: **﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ﴾** اسم الإشارة مبتدأ، و **﴿الْقُرَى﴾** بدل أو عطف بيان و **﴿نَقُصُّ﴾** خبره. قوله: **(التي مر ذكرها)** أي وهي قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب. قوله: **﴿مِنْ أَنْبَائِهَا﴾** أي بعض أخبارها وما وقع لها. قوله: **﴿لِيُؤْمِنُوا﴾** اللازم زائدة لتوكيد النفي. قوله: **(عند مجيئهم)** أي الرسل. قوله: **(قبل مجيئهم)** أي بالمعجزات بعد إرسالهم للخلق. قوله: **(أي للناس)** أشار

﴿وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ﴾ ﴿١٠٢﴾ ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم﴾ أي الرسل المذكورين ﴿مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ التسع ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ قومه ﴿فَظَلَمُواْ﴾ كفروا ﴿بِهَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ ﴿١٠٣﴾ بالكفر من إهلاكهم ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ﴿١٠٤﴾ إليك فكذبه فقال أنا ﴿حَقِيقٌ﴾ جدير ﴿عَلَىٰٓ أَن﴾ أي بأن ﴿لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ وفي قراءة بتشديد الياء فحقيق مبتدأ خبره أن وما بعده ﴿قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ﴾ إلى الشام ﴿بَنِيٓ

بذلك إلى أن هذه الجملة غير مرتبطة بما قبلها، ويصح أن الضمير عائد على الأمم، فيكون بينهما ارتباط.

قوله: ﴿وَأَنْ وَجَدْنَا﴾ أي علمنا، فأكثر مفعول أول، وفاسقين مفعول ثان، واللام فارقة، والمراد: ليظهر متعلقي علمنا للخلق على حد لنعلم أي الحزبين أحصى. قوله: ﴿لَفَاسِقِينَ﴾ أي خارجين عن طاعتنا بترك الوفاء بالعهد. قوله: **(أي الرسل المذكورين)** أي وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب. قوله: ﴿مُوسَى﴾ وعاش مائة وعشرين سنة، وبينه وبين يوسف أربعمائة سنة، وبين موسى وإبراهيم سبعمائة سنة. قوله: **(التسع)** أي وهي: والعصا واليد البيضاء والسنون المجدبة والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس، وكلها مذكورة في هذه السورة إلا الطمس ففي سورة يونس، قال تعالى: ﴿ربنا اطمس على أموالهم﴾. قوله: ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ هذا لقبه، واسمه الوليد بن مصعب بن الريان، ففرعون في الأصل علم شخص، ثم صار لقباً لكل من ملك مصر في الجاهلية، وعاش من العمر ستمائة وعشرين سنة، ومدة ملكه أربعمائة سنة، لم ير مكروهاً قط، وكنيته أبو مرة، وقيل أبو العباس، وهو فرعون الثاني، وفرعون الأول أخوه، واسمه قابوس بن مصعب ملك العمالقة، وفرعون إبراهيم النمرود، وفرعون هذه الأمة أبو جهل.

قوله: ﴿فَظَلَمُوا﴾ ضمن ظلموا معنى كفروا فعداه بالباء ويصح أن تكون الباء سببية، والمفعول محذوف تقديره ظلموا أنفسهم بسببها، أي بسبب تكذيبهم بها. قوله: ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ كيف اسم استفهام خبر كان مقدم عليها وعاقبة اسمها وإنما قدم لأن الاستفهام له الصدارة. قوله: ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ تفصيل لما أجمل أولاً، لأن التفصيل بعد الإجمال أوقع في النفس، وهذا القول وما بعده، إنما وقع بعد كلام طويل، حكاه الله في سورة الشعراء بقوله تعالى: ﴿فائتينا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين﴾ الآيات، وقوله تعالى: ﴿قال فرعون وما رب العالمين﴾ الآيات، وفي طه أيضاً. قوله: **(فكذبه)** قدره إشارة إلى أن جملة: ﴿حَقِيقٌ﴾ مرتبة على محذوف.

قوله: ﴿حَقِيقٌ﴾ خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله: **(أنا)**. قوله: **(أي بأن)** أشار بذلك إلى أن: ﴿عَلَى﴾ بمعنى الباء. قوله: ﴿إِلَّا الْحَقَّ﴾ مقول القول، وهو مفرد في معنى الجملة، ويصح أن يكون صفة لمصدر محذوف مفعول مطلق تقديره إلا القول الحق. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: **(مبتدأ)** أي وسوغ الابتداء به العمل في الجار والمجرور، فإن على متعلق بحقيق. قوله: ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ﴾ **(إلى الشام)** أي وسبب سكناهم بمصر مع أن أصلهم من الشام، أن الأسباط أولاد يعقوب جاؤوا مصر لأخيهم يوسف، فمكثوا وتناسلوا في مصر، فلما ظهر فرعون استعبدهم واستعملهم في الأعمال الشاقة،

إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ ﴿١٠٥﴾ وكان استعبدهم ﴿ قَالَ ﴾ فرعون له ﴿ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ ﴾ على دعواك ﴿ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ ﴿١٠٦﴾ فيها ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ ﴿١٠٧﴾ حية عظيمة ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ ﴾ أخرجها من جيبه ﴿ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ ﴾ ذات شعاع ﴿ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ ﴿١٠٨﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ ﴿١٠٩﴾ فائق في علم السحر وفي الشعراء أنه من قول فرعون نفسه فكأنهم قالوه معه على سبيل التشاور ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ ﴿١١٠﴾ ﴿ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾ أخر أمرهما ﴿ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾ ﴿١١١﴾ جامعين ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ ﴾ وفي قراءة سحار ﴿ عَلِيمٍ ﴾ ﴿١١٢﴾ يفضل موسى في علم السحر فجمعوا ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال

فأحب موسى أن يخلصهم من ذلك الأسر. قوله: **(استعبدهم)** أي جعلهم عبيداً بسبب استخدامه إياهم.

قوله: **﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾** شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه. قوله: **﴿ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾** الثعبان ذكر الحيات، وصفت هنا بكونها ثعباناً، وفي آية أخرى: ﴿كأنها جان﴾، والجان الحية الصغيرة، ووجه الجمع أنها كانت في العظم كالثعبان العظيم، وفي خفة الحركة كالحية الصغيرة. ورد أنه لما ألقى العصا، صارت حية عظيمة صفراء شقراء، فاتحة فمها، بين لحييها ثمانون ذراعاً، وارتفعت من الأرض، قدر ميل، وقامت على ذنبها واضعة لحيها الأسفل في الأرض، والأعلى على سور القصر، وتوجهت نحو فرعون لتأخذه، فوثب هارباً وأحدث، أي تغوط في ثيابه بحضرة قومه في ذلك اليوم أربعمائة مرة، واستمر معه هذا المرض، وهو الإسهال إلى أن غرق، مع كونه لا يتغوط إلا في كل أربعين يوماً مرة، وقيل إنها أدخلت قبة القصر بين أنيابها، وحملت على الناس فانهزموا، ومات منهم خمسة وعشرون ألفاً، ودخل فرعون البيت وصاح: يا موسى أنشدك بالذي أرسلك أن تأخذها، وأنا أؤمن بربك وأرسل معك بني إسرائيل، فأمسكها بيده فعادت كما كانت.

قوله: **﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾** أي اليمنى. قوله: **(ذات شعاع)** أي نور يغلب على ضوء الشمس. قوله: **(من الأدمة)** أي السمرة. قوله: **(وفي الشعراء أنه)** أي هذا القول. قوله: **(فكأنهم قالوه معه)** هذا بيان لوجه الجمع بين ما هنا وبين ما يأتي في الشعراء. قوله: **﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾** يصح أن يكون من كلام فرعون ويكون معناه تشيرون، ويصح أن يكون من كلام الملأ له، والجمع للتعظيم على عادة خطاب الملوك، والأول أقرب. قوله: **﴿أَرْجِهْ﴾** فيه ست قراءات سبعية، ثلاثة مع الهمز، وهي كسر الهاء من غير إشباع وضمها مع الإشباع وعدمه، وثلاث من غير همز، وهي إسكان الهاء وكسرها بإشباع وبدونه.

قوله: **﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ﴾** أي مدائن صعيد مصر، وكان رؤساء السحرة بأقصى صعيد مصر. قوله: **(وفي قراءة سحار)** أي بالامالة وتركها فتكون القراءات ثلاثاً وكلها سبعية. قوله: **(فجمعوا)** أي وكانوا اثنين وسبعين، وقيل اثنى عشر ألفاً، وقيل خمسة عشر ألفاً، وقيل سبعين ألفاً، وقيل ثمانين ألفاً، وقيل بضعاً وثمانين ألفاً. قوله: **(بتحقيق الهمزتين الخ)** كلامه يفيد أن هنا قراءتين فقط مع أنها أربع،

ألف بينهما على الوجهين ﴿ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾ ﴿١١٣﴾ ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ ﴿١١٤﴾ ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ ﴾ عصاك ﴿ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴾ ﴿١١٥﴾ ما معنا ﴿ قَالَ أَلْقُوا۟ ﴾ أمر للإذن بتقديم إلقائهم توصلاً به إلى إظهار الحق ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ ﴾ حبالهم وعصيهم ﴿ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ ﴾ صرفوها عن حقيقة إدراكها ﴿ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ ﴾ خوفوهم حيث خيلوها حيات تسعى ﴿ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ ﴿١١٦﴾ ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ ﴾ بحذف إحدى التاءين في الأصل تبتلع ﴿ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ ﴿١١٧﴾ يقلبون بتمويههم ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ ﴾ ثبت وظهر ﴿ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١١٨﴾ من السحر ﴿ فَغُلِبُوا۟ ﴾ أي فرعون وقومه ﴿ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟

فكان عليه أن يقول: وإدخال ألف بينهما وتركه، وبقيت خامسة: وهي إن بهمزة واحدة. قوله: ﴿قَالَ نَعَمْ﴾ أي لكم الأجر. قوله: ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ أي في المنزلة عندي، بحيث تكونون أول من يدخل عندي وآخر من يخرج.

قوله: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى﴾ الخ، إما أن يكون ذلك تأدباً من السحرة مع موسى، وقد جوزوا عليه بالإيمان والنجاة من النار، وإما أن يكون ذلك على عادة أهل الصنائع أو عدم مبالاة بموسى، لاعتمادهم على غلبتهم. قوله: ﴿إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ﴾ الخ، أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول لمحذوف تقديره اختر إما لقاءك. قوله: (أمر للإذن) جواب عما يقال كيف أمرهم بالسحر وأقرهم عليه؟ فأجاب بأن ذلك للتوصل إلى إظهار الحق. قوله: (عن حقيقة إدراكها) أي عن إدراك حقيقتها.

قوله: ﴿بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ أي عند السحر، وفي باب السحر، وإن كان حقيراً في نفسه، وذلك أنهم ألقوا حبالاً غلاظاً وأخشاباً طوالاً، وطلوا تلك الحبال بالزئبق، وجعلوا داخل تلك الأخشاب الزئبق أيضاً. فلما أثر فيها حر الشمس تحركت والتوى بعضها على بعض، حتى تخيل للناس أنها حيات، وكانت سعة الأرض ميلاً في ميل، وكانت الواقعة في اسكندرية، فلما ألقى موسى عصاه، بلغ ذنبها وراء البحر، ثم فتحت فاهاً ثمانين ذراعاً، فكانت تبتلع حبالهم وعصيهم واحداً واحداً، حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا ذلك المجتمع، ففزعوا ووقع الزحام، فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً، ثم أخذها موسى فصارت في يده عصاً كما كانت، فلما رأى السحرة ذلك، عرفوا أنه أمر من السماء وليس بسحر، فخروا لله ساجدين، وقالوا: لو كان ما صنع موسى سحراً لبقيت حبالنا وعصينا، وكانت حمل ثلثمائة بعير، فعدمت بقدرة الله تعالى.

قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى﴾ أي بعد أن ألقى السحرة حبالهم وعصيهم، أوحى الله إلى موسى على لسان جبريل حيث قال له كما في سورة طه: ﴿قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى﴾ الآية. قوله: ﴿تَلْقَفُ﴾ أي تأخذ وتبتلع بسرعة. قوله: (في الأصل) أي وأصلها تتلقف، حذفت إحدى التاءين تخفيفاً، وهذه قراءة الجمهور، وفي قراءة بإدغام التاء في التاء، وفي قراءة تلقف من لقف كعلم، فتكون القراءات ثلاثاً وكلها سبعية. قوله: ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ أي يكذبون، فالإفك الكذب. قوله: (بتمويههم) أي تزيينهم الباطل بصورة الحق.

قوله: ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي ظهر بطلانه. قوله: ﴿هُنَالِكَ﴾ أي في ذلك المكان وهو

صاغر ﴿١١٩﴾ صاروا ذليلين ﴿وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يتأتى بالسحر ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً ﴿بِهِۦ﴾ بموسى ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ﴾ أنا ﴿لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي صنعتموه ﴿لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ ما ينالكم مني ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ أي يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا﴾ بعد موتنا بأي وجه كان ﴿مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ راجعون في الآخرة ﴿وَمَا تَنقِمُ﴾ تنكر ﴿مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ عند فعل ما توعده بنا لئلا نرجع كفاراً ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ له ﴿أَتَذَرُ﴾ تترك

اسكندرية. قوله: ﴿انْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾ أي فرعون وقومه غير السحرة، فإنه لم يصبهم صغار، بل أصابهم العز الأبدي بإيمانهم بالله وحده. قوله: ﴿سَاجِدِينَ﴾ حال من السحرة، وقوله: ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ في موضع الحال من الضمير في ساجدين، والتقدير قائلين في حال سجودهم: ﴿آمَنَّا﴾ الخ.

قوله: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ بدل من رب العالمين، أو عطف بيان، أو نعت جيء به، لدفع إيهام فرعون الناس أنه رب العالمين، حيث قال للسحرة: إياي تعنون، فدفعوا ذلك بقولهم: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾. قوله: (بتحقيق الهمزتين) أي همزة الاستفهام والهمزة الزائدة في الفعل، وقوله: (وإبدال الثانية) أي في الفعل وإن كانت ثالثة فهي فاء الكلمة، وفي قراءة سبعية أيضاً بحذف همزة الاستفهام، وفي قراءة بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، وإبدال الثالثة ألفاً، وفي قراءة بقلب الأولى واواً في الوصل، وتسهيل الثانية، وقلب الثالثة ألفاً، فالقراءات أربعة وكلها سبعية.

قوله: ﴿قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ أصله أأذن، أبدلت الثانية ألفاً على القاعدة المشهورة، والمعنى أحصل منكم الإيمان قبل حصول الإذن مني؟ لا يليق منكم ذلك، والفعل مضارع منصوب بأن. قوله: ﴿إِنَّ هٰذَا لَمَكْرٌ﴾ أي حيلة وخديعة. قوله: ﴿مَكَرْتُمُوهُ﴾ أي تواطأتم عليه قبل مجيئكم إلينا، وقصد بذلك اللعين، تثبيت القبط بهاتين الشبهتين اللتين ألقاهما عليهم وهما قوله: ﴿إِنَّ هٰذَا لَمَكْرٌ﴾، وقوله: ﴿لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾. قوله: (ما ينالكم مني) قدره إشارة إلى أن مفعول: ﴿تَعْلَمُونَ﴾ محذوف. قوله: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيكُمْ﴾ هذا بيان لوعيده الذي توعدهم به، وهل فعل ما توعدهم به أو لا؟ خلاف، بل قال بعضهم إنه لم يفعل بدليل قوله تعالى: ﴿أنتما ومن اتبعكما الغالبون﴾، قوله: ﴿مِنْ خِلَافٍ﴾ الجار والمجرور في محل نصب على الحال أي مختلفة. قوله: (بأي وجه كان) أي سواء كان بقتلك أو لا، وفي آية طه: ﴿وإنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾.

قوله: ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا﴾ أي تكره منا فقوله: ﴿إِلَّا أَنْ آمَنَّا﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول به لتنقم، والمعنى وما تكره منا إلا إيماننا، ويصح أن يكون المعنى: وما تعذبنا بشيء من الأشياء إلا لأجل إيماننا، فيكون مفعولاً لأجله. قوله: ﴿لَمَّا جَاءَتْنَا﴾ أي حين أتتنا من عنده. قوله: (عند فعل ما توعده بنا) أي ما توعدنا به وهو القطع من خلاف والتصليب، ففي العبارة قلب. قوله: (نرجع كفاراً) علة لقوله: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً﴾. قوله: ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ أي ثابتين على الدين الحق غير مغيرين

﴿ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ بالدعاء إلى مخالفتك ﴿ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾ وكان صنع لهم أصناماً صغاراً يعبدونها وقال أنا ربكم وربها ولذا قال أنا ربكم الأعلى ﴿ قَالَ سَنُقَتِّلُ ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ المولودين ﴿ وَنَسْتَحْيِۦ ﴾ نستبقي ﴿ نِسَآءَهُمْ ﴾ كفعلنا بهم من قبل ﴿ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ ﴿١٢٧﴾ قادرون ففعلوا بهم ذلك فشكا بنو إسرائيل ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ ﴾ على أذاهم ﴿ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا ﴾ يعطيها ﴿ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ ﴾ المحمودة ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿١٢٨﴾ الله ﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٢٩﴾ فيها ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ ﴾ بالقحط ﴿ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ ﴿١٣٠﴾ يتعظون فيؤمنون ﴿ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ ﴾ الخصب والغنى ﴿ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ ﴾ أي نستحقها ولم يشكروا عليها ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ

ولا مبدلين.

قوله: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ﴾ أي المصرون على الكفر، فإنه حين آمنت به السحرة، آمن من بني إسرائيل ستمائة ألف. قوله: ﴿وَيَذَرَكَ﴾ معطوف على: ﴿لِيُفْسِدُوا﴾ والمعنى أتترك موسى وقومه ليفسدوا في الأرض وليتركك وآلهتك، والاستفهام إنكاري، والمعنى لا يليق ذلك. قوله: ﴿وَآلِهَتَكَ﴾ بالجمع في قراءة الجمهور، لأنه جعل آلهة يعبدها قومه، وجعل نفسه هو الإله الأعلى، قال تعالى: ﴿فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى﴾ وقرىء شذوذاً وآلهتك بتاء التأنيث، لأنه كان يعبد الشمس. قوله: (أصناماً صغاراً) أي على صورة الكواكب. قوله: (بالتشديد والتخفيف) أي فيها قراءتان سبعيتان. قوله: (المولودين) أي الصغار. قوله: ﴿وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ أي للخدمة. قوله: (من قبل) أي قبل مولد موسى.

قوله: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ أي تسلية لهم. قوله: ﴿ٱسْتَعِينُوا بِاللهِ﴾ أي اطلبوا الإعانة منه سبحانه. قوله: ﴿يُورِثُهَا﴾ الجملة حالية من لفظ الجلالة، وقوله: ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ مفعول ثان، والمفعول الأول الهاء. قوله: ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الله) قدره إشارة إلى أن مفعول المتقين محذوف. قوله: ﴿قَالُوا أُوذِينَا﴾ أي بالقتل للأولاد واستبقاء النساء للخدمة. قوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا﴾ أي بالرسالة، وكان فرعون يستعملهم في الأعمال الشاقة نصف النهار، فلما بعث موسى وجرى بينهم ما جرى، استعملهم جميع النهار، وأعاد القتل فيهم. قوله: ﴿كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (فيها) أي من الإصلاح والإفساد.

قوله: ﴿وَلَقَدْ﴾ اللام موطئة لقسم محذوف تقديره والله لقد أخذنا أي ابتلينا، وهذا شروع في تفصيل مبادي هلاك فرعون وقومه لتكذيبهم بالآيات البينات. قوله: ﴿بِالسِّنِينَ﴾ جمع سنة، ومن المعلوم أنه يجري مثل جمع المذكر السالم في إعرابه بالواو رفعاً، وبالياء نصباً وجراً، وتحذف نونه للإضافة، ففي الحديث: «اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف» ويقل إعرابه كحين. قوله: (بالقحط) أي احتباس المطر. قوله: ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ أي إتلافها بالآفات.

قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ﴾ أشار بذلك إلى أنهم باقون في غيهم وضلالهم، لم يتعظوا ولم

سَيِّئَةٌ﴾ جدب وبلاء ﴿يَطَّيَّرُواْ﴾ يتشاءموا ﴿بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ من المؤمنين ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ﴾ شؤمهم ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ يأتيهم به ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٣١) أن ما يصيبهم من عنده ﴿وَقَالُواْ﴾ لموسى ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (١٣٢) فدعا عليهم ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ وهو ماء دخل بيوتهم ووصل إلى حلوق الجالسين سبعة أيام

ينزجروا عما هم عليه. قوله: (أي نستحقها) أي بحولنا وقوتنا. قوله: ﴿يَطَّيَّرُوا﴾ أصله يتطيروا، أدغمت التاء في الطاء، والتطير في الأصل: أن يفرق الشيء بين القوم ويطير لكل واحد ما يخصه، فيشمل النصيب الحسن السيىء، ثم غلب على الحظ، والنصيب السيىء والحكمة في التعبير في جانب الحسنة بإذا المفيدة للتحقيق، وتعريفها في جانب السيئة بأن المفيدة للشك، وتنكيرها الإشارة إلى أن رحمة الله تغلب غضبه، وأنها صادرة منه سبحانه وتعالى، وإن لم يتأهل لها العبد، بخلاف السيئة فصدورها منه نادر ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون.

قوله: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ﴾ ألا أداة استفتاح يؤتى بها اعتناء بما بعدها للرد عليهم. قوله: (شؤمهم) أي عذابهم الذي تشاءموا به. قوله: ﴿عِنْدَ ٱللَّهِ﴾ أي لا عند موسى، فليس له مدخل في إيجاد ذلك. قوله: (يأتيهم به) أي جزاء لأعمالهم السيئة. قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يفيد أن الأقل يعلم أن فرعون كاذب وموسى صادق، وإنما كفرهم محض عناد. قوله: ﴿قَالُوا﴾ أي فرعون وقومه. قوله: ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ﴾ الخ. مهما اسم شرط جازم، وتأت فعل الشرط مجزوم بحذف الياء والكسرة دليل عليها، ونا مفعول و ﴿مِنْ آيَةٍ﴾ بيان لمهما، وبه متعلق بتأت، وضميرها راجع لمهما، و ﴿لِتَسْحَرَنَا﴾ متعلق بتأتنا و ﴿بِهَا﴾ متعلق ﴿بِتَسْحَرَنَا﴾، وقوله: ﴿فَمَا﴾ الفاء واقعة في جواب الشرط، وما نافية و ﴿نَحْنُ﴾ مبتدأ و ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾ خبر مرفوع بواو مقدرة، منع من ظهورها اشتغال المحل بالفاء التي جلبها حرف الجر الزائد، والجملة في محل جزم جواب الشرط. قوله: (فدعا عليهم) قال سعيد بن جبير: لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوباً، أبى هو وقومه إلا الإقامة على الكفر والتمادي على الشر، فتابع الله عليهم الآيات، فأخذهم الله أولاً بالسنين وهو القحط ونقص الثمرات، وأراهم قبل ذلك من المعجزات اليد والعصا فلم يؤمنوا، فدعا عليهم موسى وقال: يا رب إن عبدك فرعون علا في الأرض وبغى وعتا، وإن قومه قد نقضوا العهد، فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نقمة، ولقومي عظة، ولمن بعدهم آية وعبرة، ففعل الله بهم ما سيذكر.

قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ أي ماء من السماء، والحال أن بيوت القبط مشتبكة ببيوت بني إسرائيل، فامتلأت بيوت القبط، حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم، ومن جلس منهم غرق، ولم يدخل من ذلك الماء في بيوت بني إسرائيل شيء، وركب ذلك الماء على أرضهم فلم يقدروا على الحرث، ودام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت، فاستغاثوا بموسى، فأزال الله عنهم المطر، وأرسل الريح فجفف الأرض، وخرج من النبات ما لم ير مثله قط، فقالوا هذا الذي جزعنا منه خير لنا لكنا لم نشعر، فلا والله لا نؤمن بك ولا نرسل معك بني إسرائيل، فأقاموا شهراً في عافية. قوله: (إلى حلوق الجالسين) في كلام غيره إلى حلوق القائمين، ومن جلس غرق كما علمت.

﴿وَٱلۡجَرَادَ﴾ فأكل زرعهم وثمارهم كذلك ﴿وَٱلۡقُمَّلَ﴾ السوس أو هو نوع من القراد فتتبع ما تركه الجراد ﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾ فملأت بيوتهم وطعامهم ﴿وَٱلدَّمَ﴾ في مياههم ﴿ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ﴾ مبينات ﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ عن الإيمان بها ﴿وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ١٣٣﴾ ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ﴾ العذاب ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ﴾ من كشف العذاب عنا إن آمنا ﴿لَئِن﴾ لام قسم ﴿كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٣٤﴾ ﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا﴾ بدعاء موسى

قوله: ﴿**وَالْجَرَادَ**﴾ أي واستمر من السبت إلى السبت، يأكل زروعهم وثمارهم وأوراق أشجارهم، وابتلي الجراد بالجوع فكانت لا تشبع ولم تصب بني إسرائيل، فعظم الأمر عليهم، فضجوا من ذلك وقالوا: يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك، لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك، ولنرسلن معك بني إسرائيل، فأشار موسى بعصاه نحو المشرق والمغرب، فرجعت الجراد من حيث جاءت، فأقاموا شهراً في عافية، ثم رجعوا إلى أعمالهم الخبيثة. قوله: ﴿**وَالْقُمَّلَ**﴾ مشى المفسر على أنه السوس أو نوع من القراد، وقيل إنه القمل المعروف بدليل قراءة الحسن، والقمل بفتح القاف وسكون الميم، وقيل هو البراغيث، فأكل ما أبقاه الجراد، وكان يدخل بين ثوب أحدهم وجلده فيمصه، وكان أحدهم يأكل الطعام فيمتلىء قملاً، فاستمر ذلك سبعة أيام من السبت إلى السبت، فضجوا واستغاثوا فرفع عنهم، ثم أقاموا شهراً في عافية، ثم رجعوا لأخبث ما كانوا عليه.

قوله: ﴿**وَالضَّفَادِعَ**﴾ جمع ضفدع كدرهم وزبرج. قوله: (**فملأت بيوتهم وطعامهم**) أي وكان الواحد منهم يجلس في الضفادع إلى رقبته ويهم أن يتكلم فيثب الضفدع في فيه، وكان يملأ قدورهم ويطفىء نيرانهم، وكان أحدهم يضطجع فيركبه الضفدع فيكون عليه ركاماً حتى لا يستطيع أن ينقلب إلى شقه الآخر، وورد أن الضفادع كانت برية، فلما أرسلها الله سمعت وأطاعت، فجعلت تلقي نفسها في القدور وهي تغلي، وفي التنانير وهي تفور، فأثابها الله بحسن طاعتها برد الماء، فصارت من حينها تسكن الماء، ثم ضجوا وشكوا لموسى وقالوا ارحمنا هذه المرة، فما بقى إلا أن نتوب ولا نعود بعد ما أقامت عليهم سبعة أيام، من السبت إلى السبت، فدعا الله موسى فكشف الله عنهم ذلك، واستمروا شهراً في عافية ثم عادوا.

قوله: ﴿**وَالدَّمَ**﴾ أي وكان أحمر خالصاً، فصارت مياههم كلها دماً، فما يستقون من بئر ولا نهر إلا وجدوه دماً، فأجهدهم العطش جداً، حتى أن القبطية تأتي للمرأة من بني إسرائيل فتقول لها اسقيني من مائك، فتصب لها من قربتها فيعود في الإناء دماً، حتى كانت القبطية تقول للاسرائيلية اجعليه في فيك ثم مجيه في فيّ، فتأخذه في فيها ماء، وإذا مجته فيها صار دماً، واعترى فرعون العطش، حتى إنه ليضطر إلى مضغ الأحجار الرطبة، فإذا مضغها صار دماً، فمكثوا على ذلك سبعة أيام، من السبت إلى السبت، فشكوا لموسى فكشف عنهم.

قوله: ﴿**آيَاتٍ**﴾ حال من الخمسة المذكورة. قوله: ﴿**مُفَصَّلَاتٍ**﴾ أي مفرقات، فكانت كل واحدة تمكث سبعة أيام، وبين كل واحدة وأخرى شهراً. قوله: ﴿**وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ هٰذَا**﴾ موزع على الخمسة، فكانوا كلما ضجوا قالوا هذه المقالة. قوله: (**من كشف العذاب**) بيان لما. قوله: ﴿**فَلَمَّا كَشَفْنَا**﴾

﴿ عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾ ﴿١٣٥﴾ ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ البحر الملح ﴿ بِأَنَّهُمْ ﴾ بسبب أنهم ﴿ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ ﴿١٣٦﴾ لا يتدبرونها ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ ﴾ بالاستعباد وهم بنو إسرائيل ﴿ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ بالماء والشجر صفة للأرض وهي الشام ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ وهي قوله ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض الخ ﴿ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾ على أذى عدوهم ﴿ وَدَمَّرْنَا ﴾ أهلكنا ﴿ مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ ﴾ من العمارة ﴿ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾ ﴿١٣٧﴾ بكسر الراء وضمها يرفعون من البنيان ﴿ وَجَٰوَزْنَا ﴾ عبرنا ﴿ بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ ﴾ فمروا ﴿ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ ﴾ بضم الكاف وكسرها ﴿ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ﴾ يقيمون على عبادتها ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا ﴾ صنماً نعبده ﴿ كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ

أي في كل واحدة من الخمس. قوله: ﴿إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ﴾ أي وهو وقت إغراقهم. قوله: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ أي أردنا الانتقام منهم، لأن الانتقام هو الإغراق، فلا يحسن دخول الفاء بينهما.

قوله: ﴿مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾ أي نواحيها وجميع جهاتها. قوله: (صفة للأرض) فيه أنه يلزم عليه الفصل بين الصفة والموصوف بالمعطوف وهو أجنبي، والأولى أن يكون صفة للمشارق والمغارب. قوله: (وهو الشام) الحامل له على هذا التفسير قوله تعالى: ﴿التي باركنا فيها﴾ وهذا الوصف لا يعين هذا المعنى، بل يمكن تفسير الأرض بأرض مصر كما هو السياق، وقد بارك الله فيها بالنيل وغيره، ويؤيده قوله تعالى: ﴿كم تركوا من جنات وعيون﴾ إلى أن قال: ﴿كذلك وأورثناها قوماً آخرين﴾ وكذلك آية الشعراء، وقد اختار ما قلناه جملة من المفسرين، وقال بعضهم: المراد بمشارق الأرض الشام، ومغاربها مصر، فإنهم ورثوا العمالقة في الشام، وورثوا الفراعنة في مصر. قوله: ﴿كَلِمَتُ﴾ ترسم هذه بالتاء المجرورة لا غير وما عداها في القرآن بالهاء على الأصل. قوله: ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ أي بسبب صبرهم.

قوله: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾ أي أهلكنا وخربنا الذي كان يصنعه فرعون وقومه. قوله: ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ هذا آخر قصة فرعون وقومه. قوله: (بكسر الراء وضمها) قراءتان سبعيتان. قوله: (من البنيان) أي كصرح هامان وغيره من جميع ما أسسوه بأرض مصر. قوله: ﴿وَجَاوَزْنَا﴾ شروع في قصة بني إسرائيل، وما وقع من كفر النعمة والقبائح، والمقصود من ذلك تسلية النبي ﷺ وتخويف أمته من أن يفعلوا مثل فعلهم. قوله: (عبرنا) العبر هو الانتقال من جانب لآخر، لانتقالهم من الجانب الشرقي للغربي. قوله: (بضم الكاف وكسرها) أي من بابي نصر وضرب، وهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾ قيل هي حجارة على صور البقر، وقيل بقر حقيقة، وكان هؤلاء القوم العاكفون من الكنعانيين الذين أمر موسى بقتالهم بعد ذلك. قوله: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى﴾ القائل بعضهم لا جميعهم. قوله: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً﴾ قيل إنهم مرتدون بهذه المقالة لقصدهم بذلك عبادة الصنم حقيقة، وقيل ليسوا مرتدين، بل هم جاهلون جهلاً مركباً، لاعتقادهم أن عبادة الصنم بقصد التقرب إلى الله

﴿تَجْهَلُونَ﴾ ﴿١٣٨﴾ حيث قابلتم نعمة الله عليكم بما قلتموه ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ﴾ هالك ﴿مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٣٩﴾ ﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا﴾ معبوداً وأصله أبغي لكم ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٤٠﴾ في زمانكم بما ذكره في قوله ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ أَنجَيْنَاكُم﴾ وفي قراءة أنجاكم ﴿مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ يكلفونكم ويذيقونكم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أشده وهم ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ﴾ يستبقون ﴿نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم﴾ الانجاء أو العذاب ﴿بَلَاءٌ﴾ إنعام أو ابتلاء ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٤١﴾ أفلا تتعظون فتنتهون عما قلتم ﴿وَوَاعَدْنَا﴾ بألف ودونها ﴿مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ نكلمه عند انتهائها بأن يصومها وهي ذو القعدة فصامها فلما تمت أنكر

تعالى لا تضرهم في الدين، وعلى كل فهذه المقالة في شرعنا ردة، والجار والمجرور مفعول ثان، والهاء مفعول أول، وقوله: ﴿كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ صفة لإلهاً، وما اسم موصول، ولهم صلتها، وآلهة بدل الضمير المستتر في لهم، والتقدير اجعل إلهاً لنا كالذي استقر لهم الذي هو آلهة. قوله: ﴿إِنَّ هٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ﴾ جملة مستأنفة قصد بها توبيخهم وزجرهم. قوله: ﴿مَا هُمْ فِيهِ﴾ أي من الدين الباطل، وهو عبادة الأصنام.

قوله: ﴿قَالَ أَغَيْرَ اللهِ﴾ الاستفهام للانكار والتوبيخ. قوله: ﴿أَبْغِيكُمْ﴾ أي أطلب واقصد لكم. قوله: (وأصله أبغي لكم) أي فحذف الجار فاتصل الضمير. قوله: ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ﴾ الجملة حالية من لفظ الجلالة. قوله: (في زمانكم) أي بإنجائكم وإغراق عدوكم، وإنزال المن والسلوى عليكم، وليس تفضيلهم على جميع العالمين، فإن أمة محمد ﷺ أفضل من جميع الأمم. قوله: ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ﴾ هذا من كلام موسى، فإسناد الإنجاء إليه مجاز، لكونه على يده وسبباً فيه حيث ضرب بعصاه البحر فانفلق. قوله: (وفي قراءة أنجاكم) أي وهي ظاهرة، فإن الفاعل ضمير عائد على الله، وهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ من السوم وهو الآذاقة.

قوله: ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ قدر المفسر (هم) إشارة إلى أن يقتلون بيان ليسومونكم. قوله: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ أي لخدمتهم. قوله: (الانجاء أو العذاب) أشار بذلك إلى اسم الإشارة يصح عوده على الإنجاء ومعنى كونه بلاء أنه يختبرهم هل يشكرون فيؤجروا، أو يكفرون فيعاقبوا، وعوده على العذاب ظاهر، فالابتلاء كما يكون في الشر، يكون في الخير، قال تعالى: ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾ فالشكر على النعمة موجب لزيادتها كما أن الصبر على البلايا، موجب لرضا الله، قال تعالى: ﴿وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون﴾. قوله: (بألف ودونها) أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى الألف من المواعدة، وهي مفاعلة من الجانبين، فمن الله الأمر، ومن العبد القبول، وعلى حذف الألف، فالوعد من الله لا غير وهو ظاهر.

قوله: ﴿ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ إنما عبر بالليالي دون الأيام، مع أن الصيام في الأيام، لأن موسى كان صائماً تلك المدة ليلاً ونهاراً مواصلاً وحرمة الوصال على غير الأنبياء، فعبر بالليالي لدفع توهم اقتصاره على صوم النهار فقط، قال المفسرون إن موسى عليه الصلاة والسلام وعد بني إسرائيل إذا أهلك الله تعالى عدوهم

خلوف فمه فاستاك فأمره الله بعشرة أخرى ليكلمه بخلوف فمه كما قال تعالى ﴿وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ﴾ من ذي الحجة ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ﴾ وقت وعده بكلامه إياه ﴿أَرۡبَعِينَ﴾ حال ﴿لَيۡلَةٗۚ﴾ تمييز ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ﴾ عند ذهابه إلى الجبل للمناجاة ﴿ٱخۡلُفۡنِي﴾ كن خليفتي ﴿فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ﴾ أمرهم ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢﴾ بموافقتهم على المعاصي ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ أي للوقت الذي وعدناه بالكلام فيه ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ بلا واسطة كلاماً سمعه من كل جهة ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ﴾ نفسك ﴿أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ أي لا تقدر على رؤيتي والتعبير به دون لن أرى يفيد

فرعون، أن يأتيهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون، فلما أهلك الله فرعون، سأل موسى ربه أن ينزل عليه الكتاب الذي وعد به بني إسرائيل، فأمره أن يصوم ثلاثين يوماً فصامها، فلما تمت أنكر خلوف فمه، فاستاك بعود خرنوب، وقيل أكل من ورق الشجر، فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك، فأمره الله أن يصوم عشر ذي الحجة، فكان فتنة بني إسرائيل في تلك العشر قوله: **(أنكر خلوف فمه)** أي كره رائحة فمه من أثر الصوم، وهو بضم الخاء واللام معنا والرائحة. قوله: **﴿وَأَتْمَمْنَاهَا﴾** أي المواعدة المأخوذة من قوله: **﴿وَوَاعَدْنَا﴾**. قوله: **﴿أَرْبَعِينَ﴾** **(حال)** أي من ميقات.

قوله: **﴿وَقَالَ مُوسَى﴾** الواو لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً، لأن تلك الوصية كانت قبل ذهابه وصيامه. قوله: **﴿وَأَصْلِحْ﴾** **(أمرهم)** أي أمر بني إسرائيل ولا تغفل عنهم. قوله: **﴿لَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾** قال أهل التفسير: لما جاء موسى لميقات ربه، تطهر طهر ثيابه وصام، ثم أتى طور سيناء، فأنزل الله ظلة غشيت الجبل على أربع فراسخ من كل ناحية، وطرد عنه الشيطان وهو أم الأرض، ونحى عنه المكلفين، وكشط له السماء، فرأى الملائكة قياماً في الهواء، ورأى العرش بارزاً، وأدناه ربه حتى سمع صريف الأقلام على الألواح وكلمه وكان جبريل معه، فلم يسمع ذلك الكلام، فاستحلى موسى كلام ربه، فاشتاق إلى رؤيته، فقال: **﴿رَبِّ أَرِنِي﴾** الخ. قوله: **(أي للوقت)** أي وكان يوم الخميس يوم عرفة، فكلمه الله فيه وأعطاه التوراة صبيحة يوم الجمعة يوم النحر. قوله: **﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾** أي أزال الحجاب عنه، حتى سمع كلامه بجميع أجزائه من جميع جهاته، لا أن الله أنشأ له الكلام، لأن الله سبحانه وتعالى دائماً متكلم يستحيل عليه السكوت والآفة، ولم يصل لنا معنى ما فهمه موسى من تلك المكالمة.

قوله: **﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي﴾** لما سمع الكلام هام واشتاق إلى رؤية الذات، فسأل الله أن يزيل عنه حجاب البصر، كما أزال الله عنه حجاب السمع، إذ لا فرق بين الحاستين، فقد سأل جائزاً لأن كل من جاز سماع كلامه جازت رؤية ذاته. قوله: **(نفسك)** قدره إشارة إلى أن مفعول أرني محذوف. قوله: **﴿أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾** جواب الشرط، ولا يقال إن الشرط قد اتحد مع الجواب، لأن المعنى هيئني لرؤيتك ومكني منها، فإن تفعل بي ذلك أنظر إليك. قوله: **﴿لَنْ تَرَانِي﴾** أي لا طاقة لك على رؤيتي في الدنيا، وهذا لا يقتضي أنها مستحيلة عقلاً، وإلا لما علقت على جائز وهو استقرار الجبل.

إمكان رؤيته تعالى ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾ الذي هو أقوى منك ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ﴾ ثبت ﴿مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ أي تثبت لرؤيتي وإلا فلا طاقة لك ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ﴾ أي ظهر من نوره قدر نصف أنمله الخنصر كما في حديث صححه الحاكم ﴿لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ بالقصر والمد أي مدكوكاً مستوياً بالأرض ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ مغشياً عليه لهول ما رأى ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيهاً لك ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ من سؤال ما لم أومر به ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٤٣﴾ في زماني ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ﴾ اخترتك ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أهل زمانك ﴿بِرِسَٰلَٰتِى﴾ بالجمع والإفراد ﴿وَبِكَلَٰمِى﴾ أي تكليمي إياك ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾ من الفضل ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ ﴿١٤٤﴾ لأنعمي ﴿وَكَتَبْنَا

قوله: ﴿وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ هذا من تنزلات الحق لموسى، وتسلية له على ما فاته من الرؤية، وهذا الجبل كان أعظم الجبال واسمه زبير. قوله: **(الذي هو أقوى منك)** أي فحجبه عن الرؤية رحمة به، لعدم طاقة الجبل على ذلك فضلاً عن موسى. قوله: **(أي ظهر من نوره)** أي نور جلال عرشه، وفي رواية أمر الله الملائكة السماوات السبع بحمل عرشه، فلما بدا نور عرشه، انصدع الجبل من عظمة الرب سبحانه وتعالى. قوله: **(نصف أنملة الخنصر)** وفي رواية منخر الثور، وفي رواية قدر سم الخياط، وفي رواية قدر الدرهم. قوله: **(بالقصر والمد)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(مستويا بالأرض)** أي بعد أن كان علياً مرتفعاً، وقيل تفرق ستة أجبل، فوقع ثلاثة بالمدينة وهي أحد وورقان ورضوى، وثلاثة بمكة: ثبير وثور وحراء.

قوله: ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً﴾ أي سقط مغشياً عليه ذاهباً عن حواسه، ولذا لا يصعق عند النفحة. قوله: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾ أي برد حواسه. قوله: **(من سؤال ما لم أومر به)** أي وليس المراد طلب الرؤية معصية، وإنما هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين. قوله: **(في زماني)** دفع بذلك ما يقال: إن قبله من المؤمنين كثيراً من الأنبياء والأمم، وفي القصة أن موسى عليه السلام، كان بعدما رجع من المكالمة، لا يستطيع أحد أن ينظر إليه لما غشي وجهه من النور، ولم يزل على وجهه برقع حتى مات، وقالت له زوجته أنا لم أرك منذ كلمك ربك، فكشف لها عن وجهه، فأخذها مثل شعاع الشمس، فوضعت يدها على وجهها وخرجت ساجدة، وقالت: ادع الله أن يجعلني زوجتك في الجنة، قال ذلك لك إن لم تتزوجي بعدي، فإن المرأة لآخر أزواجها، وورد أيضاً أنه مكث زمناً طويلاً كلما سمع كلام الناس تقايأ.

قوله: ﴿قَالَ يَا مُوسَى﴾ هذا تسلية على ما قاله من الرؤية. قوله: **(أهل زمانك)** دفع بذلك ما يقال: إن من جملة الناس سيدنا محمد ﷺ وإبراهيم الخليل، فيقتضي أنه مختار عليهما، فأجاب: بأن المراد بالناس أهل زمانه أنبياء أو غيرهم، ولذلك كانت أنبياء بني إسرائيل يتعبدون بالتوراة. قوله: **(بالجمع)** أي باعتبار تعدد الأحكام الموحى بها. قوله: **(والأفراد)** أي مراداً بها المعنى المصدري أي إرسالي، وهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿وَبِكَلَامِي﴾ اسم مصدر بمعنى التكليم، أي تكليمي إياك مباشرة بلا واسطة، ويصح أن يراد بالكلام التوراة، كما يقال للقرآن كلام الله، يقال للتوراة أيضاً كلام الله، لأنها أفضل كتاب أنزل من السماء بعد القرآن. قوله: **(لأنعمي)** جمع نعمة ويجمع أيضاً على نعم.

لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ ﴾ أي ألواح التوراة وكانت من سدر الجنة أو زبرجد أو زمرد سبعة أو عشرة ﴿ مِن كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا ﴾ تبييناً ﴿ لِّكُلِّ شَيۡءٖ ﴾ بدل من الجار والمجرور قبله ﴿ فَخُذۡهَا ﴾ قبله قلنا مقدراً ﴿ بِقُوَّةٖ ﴾ بجد واجتهاد ﴿ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ ﴿١٤٥﴾ فرعون وأتباعه وهي مصر لتعتبروا بهم ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ﴾ دلائل قدرتي من

قوله: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ﴾ أي وكان طول اللوح منها اثني عشر ذراعاً، وقيل عشرة على طول موسى، والكاتب لها هو الله بلا واسطة. قوله: (من سدر الجنة) أي خشبها المسمى بالسدر، والشاقق لها هو الله بلا واسطة. قوله: (أو زمرد) وقيل من ياقوتة حمراء. قوله: (سبعة أو عشرة) وقيل تسعة، وقيل اثنان، ويكون المراد بالجمع ما فوق الواحدة، قال الربيع بن أنس: نزلت التوراة وهي وقر سبعين بعيراً، يقرأ الجزء منها في سنة، ولم يحفظها إلا أربعة: موسى ويوشع بن نون وعزير وعيسى عليهم السلام، وقال الحسن: هذه الآية في التوراة بألف آية. قوله: (بدل) أي قوله: ﴿مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً﴾ بدل من محل قوله: ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وهو النصب، وقوله: ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ متعلق بتفصيلاً. قوله: (قبله قلنا مقدراً) أشار بذلك إلى أن هذا المحذوف معطوف على ﴿كَتَبْنَا﴾. قوله: (بجد واجتهاد) أي لا بتراخ وكسل، فإن العلم لا يأتي إلا للمجد المشتاق، كان كسبياً أو وهبياً فلا بد لمتعاطي العلم من الكد والتعب ومخالفة النفس، قال بعضهم:

بقدر الكد تكسب المعالي ... ومن طلب العلا سهر الليالي
تروم العز ثم تنام ليلا ... يغوص البحر من طلب اللآلي

وقال بعض العارفين:

فجد بالروح والدنيا خليلي ... كذا الأوطان كي تدرك سناه

وهذا الخطاب لموسى، والمراد غيره، لأنه هو آخذ بقوة واجتهاد. قوله: ﴿بِأَحْسَنِهَا﴾ أي بالأحوط منها، لأن فيها عزائم ورخصاً، وفاضلاً ومفضولاً، وجائزاً ومندوباً، فأمر قومك يأخذوا بأحوطها، بأن يتبعوا العزائم، ويتركوا الرخص، وذلك كالقود والعفو الانتصار والصبر، فالأخذ بالعفو أحسن من القود، والصبر أحسن من الانتصار، أو يقال إن اسم التفضيل ليس على بابه أي بحسنها، والإضافة بيانية، والمعنى يعملون بجميع ما فيها.

قوله: ﴿سَأُوْرِيكُمْ﴾ الخطاب لموسى ومن تبعه، فالكاف مفعول أول، و﴿دَارَ﴾ مفعول ثان، والمعنى أملككم إياها، بديل قراءة من قرأ سأورثكم بالثاء المثلثة. قوله: (وهي مصر) هذا هو الأقرب، وقيل المراد بدار الفاسقين، ديار عاد، وثمود، وقوم لوط، وقوم نوح. قوله: (ليعتبروا بهم) أي ففي الآية إشارة إلى أنهم إن خالفوا فعل بهم كما فعل بفرعون وقومه، وهكذا كل ظالم فاجر، ولو من المسلمين، إذ بغى واعتدى وتكبر وتجبر، يمهل مدة ثم تصير دياره بلاقع، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ويؤيده قوله تعالى: ﴿فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين﴾.

قوله: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ﴾ أي أقسي قلوبهم وأطمسها عن فهم آياتي، فلا يتفكرون ولا

المصنوعات وغيرها ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ بأن أخذلهم فلا يتفكرون فيها ﴿ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ﴾ طريق ﴿ ٱلرُّشْدِ ﴾ الهدى الذي جاء من عند الله ﴿ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ يسلكوه ﴿ وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ ﴾ الضلال ﴿ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ ﴾ الصرف ﴿ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ ﴿١٤٦﴾ تقدم مثله ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ ﴾ البعث وغيره ﴿ حَبِطَتْ ﴾ بطلت ﴿ أَعْمَٰلُهُمْ ﴾ ما عملوه في الدنيا من خير كصلة رحم وصدقة فلا ثواب لهم لعدم شرطه ﴿ هَلْ ﴾ ما ﴿ يُجْزَوْنَ إِلَّا ﴾ جزاء ﴿ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٤٧﴾ من التكذيب والمعاصي ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ أي بعد ذهابه إلى المناجاة ﴿ مِنْ حُلِيِّهِمْ ﴾ الذي استعاروه من قوم فرعون بعلة عرس فبقي عندهم ﴿ عِجْلًا ﴾ صاغه لهم منه السامري ﴿ جَسَدًا ﴾

يتدبرون. قوله: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ حال من ﴿ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾ أي حال كونهم متلبسين بالدين الغير الحق. قوله: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ أي لوجود الطبع على قلوبهم، وفي الآية إشارة إلى أن المتكبر المعترض، لا يستفيد نوراً ولا خيراً من الذي اعترض وتكبر عليه. قوله: ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا﴾ أي بسبب تكذيبهم. قوله: (تقدم مثله) أي في قوله: ﴿فأغرقناهم في اليم﴾، ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾. قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ مبتدأ، وجملة: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ خبره. قوله: (لعدم شرطه) أي الثواب وهو الإيمان، فالإيمان شرط في الثواب لأنه مقدار من الجزاء، يعطى للمؤمنين في مقابلة أعمالهم الحسنة، فأعمال الكفار الحسنة، لا تتوقف على نية يجازون عليها في الدنيا، أو يخفف عنهم من العذاب غير الكفر، لكنه لا يقال له ثواب، كذا قرر الأشياخ. قوله: ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ﴾ استفهام إنكاري بمعنى النفي، ولذا أشار له المفسر بقوله: (ما).

قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى﴾ عطف قصة على قصة، والواو لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً، لأن عبادتهم العجل كانت زمن المكالمة في مدة العشرة الأيام الزائدة فوق الثلاثين. قوله: ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ جمع حلي بفتح فسكون، وأصله حلوى، اجتمعت الواو والياء وسبقت أحدهما بالسكون، قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء، وقلبت ضمة اللام كسرة لتصح الياء. قوله: (الذي استعاروه من قوم فرعون) أي قبل غرقهم. قوله: (فبقي عندهم) أي ملكاً لبني إسرائيل، كما ملكوا غيرهم من أموالهم وديارهم، ولذا أضافه الله لهم، وأما قول المفسر: (استعاروه) فهو باعتبار ما كان.

قوله: ﴿عِجْلاً﴾ وهذا العجل قد حرقه موسى عليه السلام ونسفه في البحر، كما قصه الله تعالى في سورة طه. قوله: (صاغه لهم منه السامري) واسمه موسى، كان ابن زنا، وضعته أمه في جبل، فأرسل الله إليه جبريل فصار يرضعه من أصبعه، فكان يعرفه إذا نزل إلى الأرض، فلما نزل جبريل يوم غرق فرعون، وكان راكباً فرساً، فكان كل شيء وطئته بحافرها يخضر ويثمر، ففطن موسى السامري لذلك، وعلم أن هذا التراب له أثر، فأخذ شيئاً منه وادخره، فلما توجه موسى للمناجاة صنع لهم العجل ووضع التراب في فيه فصار له خوار، فقال: هذا إلهكم وإله موسى، فنسي كما في سورة طه، وكان موسى السامري منافقاً، وانظر إلى من رباه جبريل حيث كان منافقاً، وإلى من رباه فرعون حيث كان مرسلاً،

بدل لحماً ودماً ﴿ لَّهُۥ خُوَارٌۚ ﴾ أي صوت يسمع انقلب كذلك بوضع التراب الذي أخذه من حافر فرس جبريل في فمه فإن أثره الحياة فيما يوضع فيه ومفعول اتخذ الثاني محذوف أي إلهاً ﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًاۘ ﴾ فكيف يتخذ إلهاً ﴿ ٱتَّخَذُوهُ ﴾ إلهاً ﴿ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾ ﴿١٤٨﴾ باتخاذه ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي ندموا على عبادته ﴿ وَرَأَوْاْ ﴾ علموا ﴿ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ ﴾ بها وذلك بعد رجوع موسى ﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا ﴾ بالياء والتاء فيهما ﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ ﴿١٤٩﴾ ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ ﴾ من جهتهم ﴿ أَسِفًا ﴾ شديد الحزن ﴿ قَالَ ﴾ لهم ﴿ بِئْسَمَا ﴾ أي بئس خلافة ﴿ خَلَفْتُمُونِى ﴾ ها ﴿ مِنۢ بَعْدِىٓۖ ﴾ خلافتكم هذه حيث أشركتم ﴿ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْۖ

فإن هذا دليل على أن السعادة والشقلوة بيد الله، فقد قال بعضهم:

إذا المرء لم يخلق سعيداً من الأزل ... فقد خاب من ربى وخاب المؤمل

فموسى الذي رباه جبريل كافر ... وموسى الذي رباه فرعون مرسل

قوله: (بدل) أي من ﴿عِجْلاً﴾ أو عطف بيان. (لحماً ودماً) تفسيراً لجسداً. قوله: ﴿لَهُ خُوارٌ﴾ هذه قراءة العامة، وقرىء شذوذاً له جؤار بجيم فهمزة، وهو الصوت الشديد. قوله: (فإن أثره الحياة) أي بتأثير الله له. قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ استفهام توبيخ وتقريع. قوله: ﴿اتَّخَذُوهُ﴾ كرره لمزيد التشنيع عليهم. قوله: ﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ أي أنفسهم أشد الظلم، حيث عبدوا غير الله. قوله: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ فعل مبني للمجهول، والجار والمجرور نائب فاعل، وقرىء شذوذاً بالبناء للفاعل، فالفاعل ضمير يعود على الندم، وقرىء شذوذاً أيضاً، أسقط بضم الهمزة، والضمير عائد على الندم، والأصل على القراءة السبعية، سقطت أفواههم على أيديهم، ففي بمعنى على، وذلك من شدة الندم، فإن العادة أن الإنسان إذا ندم على شيء عض بفمه على يده، فسقوط الفم على اليد لازم للندم، فأطلق اللازم، وأريد الملزوم على سبيل الكناية، ولم تعرف هذه الكناية في لغة العرب إلا في القرآن.

قوله: ﴿وَرَأَوْا﴾ الجملة حالية. قوله: (وذلك) أي الندم. قوله: (بعد رجوع موسى) أي وإنما قدم ليتصل ما قالوه بما فعلوه. قوله: ﴿لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾ الخ فيها قراءتان سبعيتان بالياء والتاء، فعلى قراءة الياء يكون ربنا مرفوعاً على الفاعلية، وعلى قراءة التاء يكون منصوباً على النداء. قوله: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى﴾ أي من المناجاة. قوله: ﴿غَضْبَانَ﴾ أي لما فعلوه من عبادة العجل، وقد أخبره بذلك المولى حيث قال له كما في طه: ﴿فإنا قد فتنا قومك من بعدك﴾ الآية. قوله: ﴿أَسِفاً﴾ حال وكذا ﴿غَضْبَانَ﴾ فتكون حالاً متداخلة.

قوله: ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي﴾ بفعل ماض لإنشاء الذم، وما تمييز وقيل فاعل، وجملة ﴿خَلَفْتُمُونِي﴾ صفة لما، والمخصوص بالذم محذوف قدره المفسر بقوله خلافتكم هذه، والمعنى: بئس خلافة خلفتمونيها خلافتكم هذه. قوله: ﴿مِنْ بَعْدِي﴾ متعلق بخلفتموني. قوله: ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ أي تركتموه غير تام على تضمين عجل معنى سبق، أو المعنى: أعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الأربعين، وقدرتم

﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ ألواح التوراة غضباً لربه فتكسرت ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ أي بشعره بيمينه ولحيته بشماله ﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ غضباً ﴿قَالَ﴾ يا ﴿ٱبْنَ أُمَّ﴾ بكسر الميم وفتحها أراد أمي وذكرها أعطف لقلبه ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا۟﴾ قاربوا ﴿يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ﴾ تفرح ﴿بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ بإهانتك إياي ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ بعبادة العجل في المؤاخذة ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي﴾ ما صنعت بأخي ﴿وَلِأَخِي﴾ أشركه في الدعاء إرضاء له ودفعاً للشماتة فيه ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ﴾ إلهاً ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ﴾ عذاب ﴿مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ﴾ فعذبوا بالأمر بقتل أنفسهم وضربت عليهم الذلة إلى يوم القيامة ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ على الله بالإشراك وغيره ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟﴾ رجعوا عنها ﴿مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟﴾ بالله ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ أي التوبة ﴿لَغَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾﴾ ﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾ سكن ﴿عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ﴾ التي ألقاها ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾ أي ما نسخ فيها أي

موتي وغيرتم بعدي، كما غيرت الأمم بعد أنبيائهم. قوله: ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ أي وكان حاملاً لها. قوله: (فتكسرت) هذا أحد الأقوال، وقيل إنه تكسر البعض وبقي البعض، وقيل المراد بإلقائها وضعها ليتفرغ لمكالمة أخيه، فلما فرغ أخذها بعينها ولم يذهب منها بشيء، كما حققه زاده على البيضاوي. قوله: (أي بشعره بيمينه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف.

قوله: ﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ حال من فاعل ﴿أَخَذَ﴾. قوله: (بكسر الميم وفتحها) أي فهما قراءتان سبعيتان، فأما قراءة الفتح، فعند البصريين مبني على الفتح لتركبه تركيب خمسة عشر، وعند الكوفيين ﴿ٱبْنَ﴾ منادى منصوب بفتحة ظاهرة، وهو مضاف لأم، مجرور بكسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المنقلبة ألفاً المحذوفة للتخفيف، وبقيت الفتحة لتدل عليها، وأما على قراءة الكسر، فعند البصريين هو منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة تخفيفاً فهو كسر بناء، وعند الكوفيين كسرة إعراب، وحذفت الياء اكتفاء بالكسرة. قوله: (وذكرها أعطف) جواب عما يقال إن هارون شقيق موسى، فلم اقتصر في خطابه على الأم، وكان هارون كثير الحلم محبباً في بني إسرائيل، وهو أكبر من موسى بثلاث سنين. قوله: ﴿وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِي﴾ أي بذلت وسعي في نصيحتهم، حتى قهروني وقاربوا قتلي. قوله: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ الشماتة فرح العدو بما ينال الشخص من المكروه.

قوله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي﴾ أي لما تبين له عذر أخيه، جمعه في الدعاء استعطافاً وإرضاء له. قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ﴾ أي وكانوا ستمائة ألف وثمانية آلاف، وبقي اثنا عشر ألفاً لم يعبدوه، لأن جملة من عبر البحر مع موسى ستمائة ألف وعشرون ألفاً. (قوله إلهاً) قدره إشارة إلى أن مفعول اتخذوا محذوف. قوله: ﴿سَيَنَالُهُمْ﴾ الاستقبال بالنسبة لخطاب موسى به، وأما بالنسبة لنزوله على نبينا فهو ماض. قوله: (رجعوا عنها) أي عن السيئات التي منها عبادة العجل.

قوله: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ أي بمراجعة هارون له، حيث ألان له الكلام واعتذر له، وفي الكلام استعارة بالكناية، حيث شبه الغضب بأمير قام على موسى، فأمره بالقاء الألواح والأخذ

كتب ﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ ﴿١٥٤﴾ يخافون وأدخل اللام على المفعول لتقدمه ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ﴾ أي من قومه ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ ممن لم يعبد العجل بأمره تعالى ﴿لِّمِيقَاتِنَا﴾ أي للوقت الذي وعدناه بإتيانهم فيه ليعتذروا من عبادة أصحابهم العجل فخرج بهم ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة قال ابن عباس لأنهم لم يزايلوا قومهم حين عبدوا العجل قال وهم غير

برأس أخيه، وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو السكوت، فإثباته تخييل، وفي السكوت استعارة تبعية، حيث شبه السكون بالسكوت، واستعير اسم المشبه به للمشبه، واشتق من السكوت سكت بمعنى سكن، على طريق الاستعاره التصريحية التبعية، وما وقع من موسى عليه السلام من الغضب ليس ناشئاً عن سوء خلق وعدم حلم، وإنما هو غضب لانتهاك حرمات الله ولا ينافي الحلم، قال بعضهم:

إذا قيل حلم قل فللحلم موضع وحلم الفتى في غير موضعه جهل

وما قيل إن موسى لما كان قليل الحلم، أمره الله بالإلانة الكلام لفرعون حيث قال له: ﴿فقولا له قولاً ليناً﴾، ومحمد عليه السلام لما كان كامل الحلم، أمره الله بالإغلاظ على الكفار حيث قال: ﴿واغلظ عليهم﴾ فهو باطل لا أصل له، وإنما الذي يقال إن كلاً كامل في الحلم، وكلاً إما مأمور بالإنة أو لا، فإذا تقرر الدين وثبت وأمروا بالجهاد، أمروا بالاغلاظ، هذا هو الحق، ومن نفى عن أحد منهم الحلم فقد كفر. قوله: ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾ أي كتابتها وتسميتها نسخة، باعتبار كتابتها من اللوح المحفوظ، وهذا على ما قاله، زاده من أن الألواح لم تتكسر، وأما على ما قاله ابن عباس من أنها تكسرت، فصام موسى أربعين يوماً فردت عليه في لوحين، فمعنى قوله: ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾ أي ما نسخ من الألواح التي كسرت في ألواح أخر، فتسميتها نسخة ظاهر لأن نسخ الشيء نقله. قوله: ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ أي وأما لغيرهم فليس فيه هدى ورحمة، وإنما هو وبال وخسران، فهي نظير القرآن مع المؤمن والمنافق، قال تعالى: ﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرضٌ فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾. قوله: (وأدخل اللازم على المفعول لتقدمه) أي فضعف عن العمل فقوي باللام، والمعنى الذين هم يخافون ربهم، أي يخافون عقابه. قوله: (أي من قومه) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿مِنْ قَوْمِهِ﴾ مفعول ثان مقدم منصوب بنزع الخافض، والمفعول الأول قوله: ﴿سَبْعِينَ﴾. قوله: ﴿سَبْعِينَ رَجُلاً﴾ أي من شيوخهم، روي أنه لم يجد إلا ستين شيخاً، فأوحى الله إليه أن يختار من الشباب عشرة فاختارهم فأصبحوا شيوخاً، فأمرهم موسى عليه السلام أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم، ثم خرج بهم إلى الميقات هو طور سينا، فلما دنا موسى من الجبل، وقع عليه عامود من الغمام حتى أحاط بالجبل ودخل موسى فيه، وقال للقوم: ادنوا، فدنوا حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجداً، وسمعوا الله وهو يكلم موسى، يأمره وينهاه، فلما انكشف الغمام أقبلوا على موسى وقالوا: ﴿لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة﴾، وهي المرادة بالرجفة هنا وماتوا يوماً وليلة، وسبب أخذ الصاعقة لهم سؤالهم الرؤية، وهذا قول غير ابن عباس، وقال ابن عباس: إن السبعين الذين سألوا الرؤية، غير السبعين الذين ذهبوا للشفاعة، فالأولى: أخذتهم الصاعقة بسبب سؤالهم الرؤية، والثانية: أخذتهم الرجفة بسبب معاشرتهم لمن عبدوا العجل وسكوتهم

الذين سألوا الرؤية وأخذتهم الصاعقة ﴿ قَالَ ﴾ موسى ﴿ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ ﴾ أي قبل خروجي بهم ليعاين بنو إسرائيل ذلك ولا يتهموني ﴿ وَإِيَّىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾ استفهام استعطاف أي لا تعذبنا بذنب غيرنا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿ هِىَ ﴾ أي الفتنة التي وقعت فيها السفهاء ﴿ إِلَّا فِتْنَتُكَ ﴾ ابتلاؤك ﴿ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ ﴾ إضلاله ﴿وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ﴾ هدايته ﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا ﴾ متولي أمورنا ﴿ فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴾ ﴿١٥٥﴾ ﴿ وَٱكْتُبْ ﴾ أوجب ﴿ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾ حسنة ﴿إِنَّا هُدْنَآ ﴾ تبنا ﴿ إِلَيْكَ قَالَ ﴾ تعالى ﴿ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ﴾ تعذيبه ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ ﴾ عمت ﴿ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ في الدنيا ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا﴾ في الآخرة ﴿ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿١٥٦﴾ ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ﴾ محمداً ﷺ

عليه، وإلى هذا القول يشير المفسر بقوله: **(قال وهم غير الذين سألوا الرؤية)** الخ. قوله: **(ولم يزايلوا)** أي لم يفارقوا قومهم. قوله: **(وهم غير الذين سألوا الرؤية)** أي لأنهم لم يكونوا في ذلك الميعاد، بل كانوا مع موسى حين أخذ التوراة، فلما سمعوا كلام الله لموسى أقبلوا عليه وقالوا: أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة.

قوله: **﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ﴾** مفعول المشيئة محذوف تقديره إهلاكهم. قوله: **(استفهام استعطاف)** أي طلب العفو والرحمة من الله. قوله: **(ابتلاؤك)** أي اختبارك ليتبين المطيع من العاصي. قوله: **﴿وَأَنْتَ خَيْرُ ٱلْغَافِرِينَ﴾** اسم التفضيل ليس على بابه أو على بابه باعتبار أن الغفر ينسب لغيره تعالى لكونه سبباً، وهو الغافر الحقيقي.

قوله: **﴿وَٱكْتُبْ﴾** أي حقق وأثبت، وهذا من جملة دعاء موسى، فأوله: **﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا﴾** وآخره: **﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾**، وحينئذ فلا ينبغي جعل قوله: **﴿وَٱكْتُبْ لَنَا﴾** أول الربع. قوله: **﴿فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾** أي ما تحمد عاقبته، كالعافية والإيمان والمعرفة، وقوله: **﴿وَفِي ٱلآخِرَةِ﴾ (حسنة)** أي وهي الجنة، وما احتوت عليه من اللقاء والمشاهدة. قوله: **﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾** استئناف مسوق لتعليل الدعاء، أي لأننا **﴿هُدْنَا إِلَيْكَ﴾** أي رجعنا، من هاد يهود، إذا رجع، ولذلك سميت اليهود بذلك، وكان اسم مدح قبل نسخ شريعتهم، وبعد ذلك صار ذماً. قوله: **﴿قَالَ عَذَابِي﴾** جواب من الله لموسى. قوله: **﴿أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾** أي في الدنيا، كقتل الذين عبدوا العجل أنفسهم، وفي الآخرة بالنار لمن كفر.

قوله: **﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾** ورد أنه لما نزلت هذه الآية، فرح إبليس وقال: قد دخلت في رحمة الله، فلما نزل **﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾** الخ أيس من ذلك، وفرحت اليهود وقالوا: نحن من المتقين الذين يؤتون الزكاة المؤمنين، فأخرجهم الله منها وأثبتها لهذه الأمة بقوله: **﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ﴾** الخ. قوله: **(في الدنيا)** أي فما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص إلا وهو متقلب في الرحمة. قوله: **﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾** أي أثبتها. قوله: **﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾** أي يمتثلون الأوامر ويجتنبون النواهي. قوله: **﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾** خصها بالذكر لمشتقها على النفوس، من حيث إن المال محبوب.

قوله: **﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ﴾** أي بالإيمان به بعد بعثته، والعمل بشريعته، ورد أن الله قال

﴿ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾ باسمه وصفته ﴿يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ مما حرم في شرعهم ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ من الميتة ونحوها ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ﴾ ثقلهم ﴿وَٱلۡأَغۡلَٰلَ﴾ الشدائد ﴿ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ كقتل النفس في التوبة وقطع أثر النجاسة ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ﴾ منهم ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ وقروه ﴿وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ أي القرآن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ ﴿١٥٧﴾ ﴿قُلۡ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ

لموسى: أجعل لك الأرض مسجداً وطهوراً تصلون حيث أدركتكم الصلاة، وأجعلكم تقرؤون التوراة عن ظهر قلب، يحفظها الرجل والمرأة، والحر والعبد، والصغير والكبير، فقال موسى ذلك لقومه فقالوا: لا نريد أن نصلي إلا في الكنائس، ولا نستطيع أن نقرأ التوراة عن ظهر قلب، ولا نقرؤها إلا نظراً، قال: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ إلى قوله: ﴿هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾ فجعل هذه الأمور لهذه الأمة.

قوله: ﴿الْأُمِّيَّ﴾ أي الذي لا يقرأ ولا يكتب، نسب إما للأم لأنه باق على حالته التي ولد عليها، أو لأم القرى وهي مكة لكونه ولد بها. قوله: (باسمه وصفته) أي من كونه محمداً ولد بمكة، وهاجر إلى المدينة، يقبل الهدية، ويرد الصدقة، وهكذا من أوصافه وأخلاقه العظيمة، قال الخميس في تاريخه: إن محمداً مذكور في التوراة باللغة السريانية بلفظ المنحمنا، بضم الميم وسكون النون وفتح الحاء وكسر الميم الثانية وبعدها نون مشددة بعدها ألف، ومعناه محمد، وذكر الحسن عن كعب الأحبار، أن اسم النبي ﷺ عند أهل الجنة عبد الكريم، وعند أهل النار عبد الجبار، وعند أهل العرش عبد المجيد، وعند سائر الملائكة عبد الحميد، وعند الأنبياء عبد الوهاب، وعند الشياطين عبد القاهر، وعند الجن عبد الرحيم، وفي الجبال عبد الخالق، وفي البر عبد القادر، وفي البحر عبد المهيمن، وعند الهوام عبد الغياث، وعند الوحوش عبد الرزاق، وفي التوراة موذموذ، وفي الإنجيل طاب طاب، وفي الصحف عاقب، وفي الزبور فاروق، وعند الله طه ومحمد ﷺ اهـ بحروفه قوله: ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ الخ هذا وما بعده إلى ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾ من جملة أوصافه المكتوبة في التوراة والإنجيل. قوله: (مما حرم في شرعهم) أي وهي لحوم الإبل وشحم الغنم والمعز والبقر. قوله: (من الميتة ونحوها) أي كالدم ولحم الخنزير. قوله: (كقتل النفس) أي وتعيين القصاص في القتل، وتحريم أخذ الدية، وترك العمل يوم السبت، وكون صلاتهم لا تجوز إلا في الكنائس، ونحو ذلك من الأمور الشاقة التي كلفوا بها، وتسميتها أغلالاً، لأن التحريم يمنع من الفعل، كما أن الأغلال تمنع منه. قوله: (وقروه) أي عظموه. قوله: ﴿وَنَصَرُوهُ﴾ أي أيدوه. قوله: ﴿الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾ أي مقارناً لزمانه ومصحوباً به. قوله: (أي القرآن) تفسير للنور، سمي القرآن بذلك، لأنه ظاهر في نفسه مظهر لغيره، يهدي من الضلال المعنوي، كما أن النور يهدي من الضلال الحسي. قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي الموصوفون بهذه الصفات، فائزون ظافرون بالنجاة من الأهوال، دنياً وأخرى.

قوله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أتى بهذه الآية دفعاً لما يتوهم أن الفوز مخصوص بمن تبعه من أهل الكتابين، فأفاد هنا أن الفوز ليس قاصراً عليهم، بل كل من تبعه حصل له الفوز، كان من أهل الكتابين

﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ القرآن ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٥٨) ترشدون ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (١٥٩) في الحكم ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ﴾ فرقنا بني إسرائيل ﴿اثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾ حال ﴿أَسْبَاطًا﴾ بدل منه أي قبائل ﴿أُمَمًا﴾ بدل مما قبله ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ﴾ في التيه ﴿أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ فضربه ﴿فَانبَجَسَتْ﴾ انفجرت ﴿مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بعدد الأسباط ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ سبط منهم ﴿مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾ في التيه من حر الشمس ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾ هما

أو لا، و ﴿النَّاس﴾ اسم جنس واحده إنسان. قوله: ﴿جَمِيعاً﴾ حال من ضمير ﴿إِلَيْكُمْ﴾.

قوله: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ﴾ يصح رفع ﴿الَّذِي﴾ ونصبه على أنه نعت مقطوع، وجره على أنه نعت متصل، وقوله: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، وقوله: ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ بيان للصلة. وقوله: ﴿يحيي ويميت﴾ بيان لقوله: ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾، فكل واحدة من هذه الجمل، كالدليل لما قبلها، ولا محل لكل من الإعراب، لأن الصلة لا محل لها فكذا مبنيها. قوله: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ﴾ تفريع على ما تقدم، أي فحيث علمتم أن محمداً مرسل لجميع الناس، وأن الله له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت، وجب عليكم الإيمان بالله ورسوله، وفيه التفات من التكلم للغيبة، ونكتته التوطئة للاتصاف بقوله: ﴿النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ﴾ الخ. قوله: ﴿الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ أي لأنه مرسل لنفسه. قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي تفلحون، والترجي في القرآن بمنزلة التحقيق، فهو بمعنى قوله فيما سبق. قوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. قوله: (ترشدون) من باب تعب ونصر.

قوله: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ﴾ استئناف مسوق لدفع توهم أن قوم موسى لم يحصل لهم هدى، بل استمروا على ضلالهم، فدفع ذلك بأن بعضهم آمن بالنبي ﷺ وهم شرذمة قليلة، كعبد الله بن سلام وأضرابه. قوله: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ﴾ الهاء مفعوله، و ﴿اثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾ حال، و ﴿أَسْبَاطاً﴾ بدل كما قال المفسر، وتمييز العدد محذوف تقديره فرقة، ويصح أن قطع بمعنى صير، فالهاء مفعول أول، و ﴿اثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾ مفعول ثان، و ﴿أَسْبَاطاً﴾ بدل، وسبب تفرقهم كذلك، أن أولاد يعقوب كانوا كذلك. فكل سبط ينتمي لواحد منهم، والأسباط جمع سبط، وهو ولد الوالد، مرادف للحفيد، هكذا في كتب اللغة، وتفرقة بعض العلماء بين السبط والحفيد، بأن السبط ولد البنت، والحفيد ولد الولد اصطلاح. قوله: (أي قبائل) أي كالقبائل في التفرق والتعدد. قوله: (بدل مما قبله) أي فهو بدل من البدل.

قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى﴾ أي حيث أمر بقتال الجبارين هو ومن معه من بني إسرائيل، ونقب عليهم اثني عشر نقيباً، وأرسلهم يأتون له بأخبار الجبارين، فاطلعوا على أوصاف مهمولة لهم، فرجعوا وأخبروا موسى عليه السلام، فأمرهم بالكتم عن قومهم، فخانوا إلا اثنين منم، يوشع وكالب فجبنوا، فحرم الله عليهم دخول القرية أربعين سنة يتيهون في الأرض، فلما طالت عليهم المدة في التيه عطشوا، فطلبوا منه السقيا، فدعا الله موسى، فأمره بضرب الحجر بعصاه، وهذا الحجر هو الذي فر بثوبه حين اتهموه بالإدرة خفيف مربع كرأس الرجل. قوله: (فانبجست) أي انفجرت. قوله: ﴿مَشْرَبَهُمْ﴾ أي عينهم الخاصة بهم. قوله: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾ أي السحاب، يسير بسيرهم، ويضيء لهم بالليل

الترنجبين والطير السماني بتخفيف الميم والقصر وقلنا لهم ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ ﴿١٦٠﴾ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس ﴿وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا﴾ أمرنا ﴿حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾ أي باب القرية ﴿سُجَّدًا﴾ سجود انحناء ﴿نَّغْفِرْ﴾ بالنون والتاء مبنياً للمفعول ﴿لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٦١﴾ بالطاعة ثواباً ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ فقالوا حبة في شعرة ودخلوا يزحفون على أستاههم ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا﴾ عذاباً ﴿مِّنَ السَّمَآءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ ﴿١٦٢﴾ ﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾ يا محمد توبيخاً ﴿عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ مجاورة لبحر القلزم وهي أيلة ما وقع بأهلها

يسيرون بضوئه. قوله: (**الترنجبين**) هو شيء حلو، كان ينزل عليهم مثل الثلج، من الفجر إلى طلوع الشمس، فيأخذ كل إنسان صاعاً. قوله: (**والطير السماني**) أي فكانت ريح الجنوب تسوقه إليهم، فيأخذ كل منهم ما يكفيه. قوله: ﴿**مَا رَزَقْنَاكُمْ**﴾ وهو المن والسلوى. قوله: ﴿**وَمَا ظَلَمُونَا**﴾ أي لم يصل لنا منهم ظلم بفعلهم ذلك، فإن ذلك مستحيل.

قوله: ﴿**وَ**﴾ (**اذكر**) خطاب للنبي ﷺ. قوله: ﴿**وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ**﴾ أي بعد خروجهم من التيه قوله: (**بيت المقدس**) وقيل أريحاء، وقد ذكر القولين في البقرة، فعلى الأول يكون القائل الله على لسان موسى وهم في التيه، وعلى الثاني يكون على لسان يوشع، وهو المعتمد كما تقدم في البقرة. قوله: ﴿**وَقُولُوا حِطَّةٌ**﴾ قدر المفسر (**أمرنا**) إشارة إلى أن حطة خبر لمحذوف، ومعنى: أمرنا حطة أي طلبنا حطة الذنوب ومغفرتها. قوله: (**سجود انحناء**) أي فالمراد السجود اللغوي، بأن يكونوا على هيئة الراكعين. قوله: (**بالنون والتاء**) أي فهما قراءتان سبعيتان، ولكن على النون يقرأ: خطايا وخطيئات، وعلى التاء يقرأ: خطيئاتكم وخطيئتكم بالجمع والإفراد، فالقراءات أربع. قوله: ﴿**قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ**﴾ أي ما أمروا به. قوله: (**فقالوا حبة الخ**) يحتمل أنه مجرد هذيان قصدوا به إغاظة موسى، ويحتمل أن يكون له معنى صحيح، كأنهم قالوا مطلوبنا حبة، يعني قمح في زكائب من شعر، وقد تقدم بسطه في البقرة. قوله: (**على أستاههم**) جمع ستة وهو الدبر. قوله: (**عذاباً**) أي وهو الطاعون، ومات منهم في وقت واحد سبعون الفاً. قوله: ﴿**بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ**﴾ أي بسبب ظلمهم، وقد غايرت هذه القصة ما في البقرة من عشرة أوجه قد تقدمت مفصلة، فراجعه إن شئت.

قوله: ﴿**وَاسْأَلْهُمْ**﴾ أي اليهود الذين في المدينة، وسبب نزولها أن رسول الله ﷺ كان يوبخ اليهود على كفرهم، ويقول لهم أنتم قد تبعتم أصولكم في الكفر بأنبيائهم، فكانوا يقولون إن أصولنا لم تقع منهم مخالفة لربهم، ولا كفر بأنبيائهم، وكانوا يعرفون ما وقع لهذه القرية ويخفونه، ويعتقدون أنه لا علم لأحد غيرهم به، فنزلت الآية، فقصها رسول الله عليهم فبهتوا. إن قلت: إن السورة مكية، وهذا خطاب لأهل المدينة، فالجواب أنها مكية ما عدا تلك الأيات الثمانية التي أولها: ﴿**وَاسْأَلْهُمْ**﴾ الخ فإنها مدنية كما تقدم. قوله: (**توبيخاً**) أي تقريعاً وتبكيتاً. قوله: ﴿**عَنِ الْقَرْيَةِ**﴾ أي أهلها. وقوله: (**مجاورة لبحر القلزم**) أي عند العقبة بجانب القلعة.

﴿ إِذۡ يَعۡدُونَ ﴾ يعتدون ﴿ فِي ٱلسَّبۡتِ ﴾ بصيد السمك المأمورين بتركه فيه ﴿ إِذۡ ﴾ ظرف ليعدون ﴿ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا ﴾ ظاهرة على الماء ﴿ وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ ﴾ لا يعظمون السبت أي سائر الأيام ﴿ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ ﴾ ابتلاء من الله ﴿ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴾ ﴿١٦٣﴾ ولما صادوا السمك افترقت القرية أثلاثاً ثلث صادوا معهم وثلث نهوهم وثلث أمسكوا عن الصيد والنهي ﴿ وَإِذۡ ﴾ عطف على إذ قبله ﴿ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ ﴾ لم تصد ولم تنه لمن نهى ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ ﴾ موعظتنا ﴿ مَعۡذِرَةً ﴾ نعتذر بها ﴿ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ ﴾ لئلا ننسب إلى تقصير في ترك النهي ﴿ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾ ﴿١٦٤﴾ الصيد ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ ﴾ تركوا ﴿ مَا ذُكِّرُواْ ﴾ ما وعظوا ﴿ بِهِۦٓ ﴾

قوله: ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ أي يتعدون الحدود، وكانوا في زمن داود عليه السلام، وسبب نهيهم عن الصوم يوم السبت، أن الله أمرهم على لسان داود، أن يتخذوا يوم الجمعة عيداً ينقطعون فيه لعبادة الله، فكرهوا ذلك واختاروا السبت، ومعناه في اللغة القطع، فهو إشارة إلى أنهم منقطعون عن كل خير، فلما شددوا امتحنهم الله بأن حرم عليهم صيد السمك يوم السبت، وأحله لهم باقي الاسبوع، فكانوا يوم السبت يجدون السمك متراكماً، وباقي الجمعة لم يجدوا منه شيئاً، ثم إن إبليس علمهم أن يصنعوا جداول البحر يوم السبت، فإذا جاء العصر وملئت الجداول بالسمك سدوا عليه وأخذوه يوم الأحد فافترقت القرية ثلاث فرق، وكانوا سبعين الفاً، ففرقة اصطادوا، وفرقة نهتهم وضربوا بينهم وبينهم سوراً، وفرقة لم تصد ولم تنه، فبعد أيام قلائل، مسخ من اصطاد قردة وخنازير، مكثوا ثلاثة أيام وماتوا، وأنجى الله الفرقة الناهية، والفرقة الثالثة وقع فيها خلاف بالإنجاء والإهلاك؛ والصحيح نجاتهم. قوله: ﴿حِيتَانُهُمْ﴾ جمع حوت، وأصل حيتان حوتان، وقعت الواو ساكنة بعد كسرة قلبت ياء. قوله: ﴿شُرَّعاً﴾ حال من فاعل ﴿تَأْتِيهِمْ﴾، أي قريبة من الساحل.

قوله: ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾ أي لا يكون يوم سبت، والمعنى تأتيهم حيتانهم يوم السبت ظاهرة وغير يوم السبت لا تأتيهم، ولما كانت العبارة موهمة، قال المفسر أي سائر الأيام، أي باقيها. قوله: (ابتلاء من الله) علة لقوله: ﴿تَأْتِيهِمْ﴾ وقوله: ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾. قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي الابتلاء المتقدم. قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ أي يتجاوزون الحد. قوله: (ثلث صادوا معهم) المناسب حذف قوله معهم. قوله: (عطف على إذ قبله) أي وهو: ﴿إذيعدون﴾. قوله: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً﴾ إنما قصدوا بذلك اللوم على الناهين، حيث وعظوهم فلم يقبلوا منهم. قوله: ﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً﴾ أو مانعة خلو تجوز الجمع، والمعنى مهلكهم في الدنيا، ومعذبهم في الآخرة.

قوله: ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً﴾ قدر المفسر موعظتنا، إشارة إلى أن ﴿مَعْذِرَةً﴾ خبر لمحذوف، وفي قراءة النصب على المفعول من أجله، أي وعظناهم لأجل المعذرة. قوله: (لئلا ننسب إلى تقصير) أشار بذلك إلى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب عليهم، ولذا ورد أنه مجمع عليه في جميع الشرائع. قوله: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ إشارة إلى أنهم ظانون إفادة الموعظة، وهو عطف على المعنى، إذ التقدير موعظتنا للاعتذار: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾. قوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ في الكلام حذف دل عليه قوله:

فلم يرجعوا ﴿ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ بالاعتداء ﴿ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ ﴾ شديد ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ ﴿١٦٥﴾ ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا۟ ﴾ تكبروا ﴿ عَن ﴾ ترك ﴿ مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴾ ﴿١٦٦﴾ صاغرين فكانوها وهذا تفصيل لما قبله قال ابن عباس ما أدري ما فعل بالفرقة الساكتة وقال عكرمة لم تهلك لأنها كرهت ما فعلوه وقالت لم تعظون الخ. وروى الحاكم عن ابن عباس أنه رجع إليه وأعجبه ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ ﴾ أعلم ﴿رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ ﴾ أي اليهود ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ بالذل وأخذ الجزية فبعث عليهم سليمان وبعده بختنصر فقتلهم وسباهم وضرب عليهم الجزية فكانوا يؤدونها إلى المجوس إلى أن بعث نبينا ﷺ فضربها عليهم ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ﴾ لمن عصاه ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ﴾ لأهل طاعته ﴿رَّحِيمٌ ﴾ ﴿١٦٧﴾ بهم ﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمْ ﴾ فرقناهم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ﴾ فرقاً ﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ ﴾ ناس ﴿دُونَ ذَٰلِكَ ﴾

﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ﴾ الخ، والتقدير فلما ذكر من تذكر ونسي من نسي أنجينا الخ. قوله: ﴿بَئِيسٍ﴾ فعيل من بؤس إذا اشتد، وقرىء بيئس على وزن ضيغم، وبئس بكسر الباء وسكون الهمزة أو قلبها ياء، وبيس بفتح الباء وتشديد الياء مكسورة، وبيس بفتح الباء وسكون الياء، وبائس على وزن فاعل، هكذا في البيضاوي، وليست كلها سبعية.

قوله: ﴿كُونُوا﴾ أمر تكوين لا قول، فهو كناية عن سرعة التصيير، إذ لا يكلف الشخص إلا بما يقدر عليه، وكونهم قردة ليس في طاقتهم. قوله: (فكانوها) أي: ﴿قِرَدَةً﴾ وقيل: إن شبابهم مسخوا قردة، وشيوخهم خنازير، وقيل: إن الذين مسخوا خنازير، هم أصحاب المائدة. قوله: (وهذا) أي قوله: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾ تفصيل لما قبله، وهو قوله: ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ الخ. قوله: (لأنها كرهت ما فعلوه) أي فهي داخلة تحت قوله: ﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾ فهي وإن لم تنه صريحاً لكنها نهت ضمناً. قوله: (إنه رجع إليه) أي إلى قول عكرمة.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ إذ ظرف لمحذوف تقديره ذكر وقت إذ تأذن. قوله: (أعلم) مفعوله محذوف، والتقدير أعلم ربك أسلافهم. قوله: ﴿لَيَبْعَثَنَّ﴾ أي ليسلطن عليهم. قوله: ﴿مَنْ يَسُومُهُمْ﴾ أي يذيقهم. قوله: (بختنصر) علم مركب تركيباً مزجياً كبعلبك، فإعرابه على الجزء الثاني، والأول ملازم للفتح، وهو غير منصرف للعلمية، والتركيب المزجي. وبخت معناه في الأصل ابن، ونصر اسم صنم، سمي بذلك لأنه وجد وهو صغير مطروحاً عند ذلك الصنم. قوله: (وسباهم) أي سبى نساءهم وصغارهم. قوله: (وضرب عليهم الجزية) أي عن من لم يقاتل منهم. قوله: (فضربها عليهم) أي لا تزال كذلك إلى نزول عيسى، فلا يقبل منهم إلا الإسلام. قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ أي إذا تعلقت إرادته به، وإلا فهو واسع الحلم. قوله: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ﴾ أي بني إسرائيل الكائنين قبل زمن النبي ﷺ. قوله: ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذٰلِكَ﴾ قدر المفسر (ناس) إشارة إلى أن ﴿دُونَ﴾ نعت لمنعوت محذوف، وهو كثير إذا كان التفصيل بمن، كقولهم: منا ظعن ومنا أقام، أي منا فريق ظعن، ومنا فريق أقام.

الكفار والفاسقون ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ﴾ بالنعم ﴿وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ بالنقم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿١٦٨﴾ عن فسقهم ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة عن آبائهم ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ أي حطام هذا الشيء الدنيء أي الدنيا من حلال وحرام ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ ما فعلناه ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾ الجملة حال أي يرجون المغفرة وهم عائدون إلى ما فعلوه مصرون عليه وليس في التوراة وعد المغفرة مع الإصرار ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ﴾ استفهام تقرير ﴿عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الإضافة بمعنى في ﴿أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟﴾ عطف على يؤخذ قرؤوا ﴿مَا فِيهِ﴾ فلم كذبوا عليه بنسبة المغفرة إليه مع الإصرار ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الحرام ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٦٩﴾ بالياء والتاء أنها خير فيؤثرونها على الدنيا ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿بِٱلْكِتَٰبِ﴾ منهم ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ ﴿١٧٠﴾ الجملة خبر الذين وفيه وضع الظاهر موضع المضمر أي أجرهم ﴿وَ﴾

قوله: ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ أي اختبرناهم بالعطايا: كالنعم والعافية، والبلايا: كالنقم والأسقام والشدائد، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عما هم عليه من الكفر والمعاصي إلى طاعة ربهم، فلم يرجعوا. قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ بسكون اللام للشر، وبفتحها للخير، يقال خلف سوء، وخلف صالح، وهذه صفة من كان في زمن النبي ﷺ إثر بيان صفات أسلافهم. قوله: (التوراة) أشار بذلك إلى أن أل في الكتاب للعهد. قوله: (عن آبائهم) أي أسلافهم سواء كانوا صلحاء أو لا. قوله: ﴿عَرَضَ هٰذَا ٱلْأَدْنَى﴾ سمي عرضاً لتعرضه للزوال، ففي الكلام استعارة تصريحية، حيث شبه متاع الدنيا بالعرض الذي لا يقوم بنفسه بجامع الزوال في كل، واستعير اسم المشبه به للمشبه.

قوله: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي زيادة على طمعهم في الدنيا. قوله: ﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ أي لأنا أبناء الله وأحباؤه، وشأن الحبيب أن لا يعذب حبيبه. قوله: (مصرون عليه) أي لم يقلعوا عنه، فقد طمعوا في المغفرة مع فقد شروطها، إذ من أكبر شروطها الندم والإقلاع. قوله: ﴿مِيثَاقُ ٱلْكِتَابِ﴾ أي التوراة، والمعنى أخذ عليهم الميثاق في التوراة، أنهم لا يكذبون على الله، ولا يقولون إلا الحق. قوله: ﴿إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ صفة لموصوف محذوف مفعول مطلق لقوله: ﴿أَنْ لَا يَقُولُوا﴾، والتقدير أن لا يقولوا على الله إلا القول الحق. قوله: (فلم كذبوا عليه) أي الله.

قوله: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أتركوا التدبر والتفكر فلا يعقلون. قوله: (بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى الياء يكون إخباراً عنهم، وعلى التاء يكون خطاباً لهم. قوله: (بالتشديد) أي يمسكون غيرهم بالكتاب، ويدلونه على طريق الهدى. قوله: (والتخفيف) أي يمسكون: ﴿بِالْكِتَابِ﴾، بمعنى يهتدون في أنفسهم. قوله: (منهم) أي من بني إسرائيل. قوله: ﴿وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ﴾ خصها بالذكر لأنها أعظم أركان الدين بعد التوحيد. قوله: (وفيه وضع الظاهرة موضع المضمر) أشار بذلك إلى أن الرابط هو لفظ ﴿ٱلْمُصْلِحِينَ﴾، لقيامه

اذكر ﴿ إِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ ﴾ رفعناه من أصله ﴿ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ ﴾ أيقنوا ﴿ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ﴾ ساقط عليهم بوعد الله إياهم بوقوعه إن لم يقبلوا أحكام التوراة وكانوا أبوها لثقلها فقبلوا وقلنا لهم ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ بجد واجتهاد ﴿ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ ﴾ بالعمل به ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ﴿١٧١﴾ ﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿ إِذْ ﴾ حين ﴿ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ﴾ بدل اشتمال مما قبله بإعادة الجار ﴿ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ بأن أخرج بعضهم من صلب آدم نسلاً بعد نسل كنحو ما يتوالدون كالذر بنعمان يوم

مقام الضمير على حد قول الشاعر: سعاد التي أضناك حب سعاداً، ونكتة ذلك الإشـارة إلى شرفهم والاِعتناء بهم.

قوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا﴾ إذ ظرف معمول لمحذوف، قدره المفسر بقوله اذكر، والمقصود من ذلك الرد على اليهود والتقبيح عليهم، حيث قالوا: إن بني إسرائيل لم تصدر عنهم مخالفة الله. قوله: ﴿ٱلْجَبَلَ﴾ قيل هو الطور، وقيل هو جبل من جبال فلسطين، وقيل من جبال بيت المقدس، وفي آية النساء التصريح بالطور، وسبب رفع الجبل فوقهم، أن موسى لما جاءهم بالتوراة وقرأها عليهم، فلما سمعوا ما فيها من التغليظ، أبوا أن يقبلوا ذلك، فأمر الله الجبل فانقلع من أصله حتى قام على رؤوسهم مقدار عسكرهم، وكان فرسخاً في فرسخ وكان ارتفاعه على قدر قامتهم محاذياً لرؤوسهم كالسقيفة، فلما نظروا إلى الجبل فوق رؤوسهم خروا سجداً، فسجد كل واحد على خده وحاجبه الأيسر وجعل ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل خوف أن يسقط عليه، ولذلك لا تسجد اليهود إلا على شق وجوههم الأيسر.

قوله: ﴿فَوْقَهُمْ﴾ الاحتجاج بذلك مع إشهادهم على أنفسهم بالتوحيد والتذكير بـه على لسـان صاحب المعجزة قائم مقام ذكره في النفوس، إما حال منتظرة أو ظرف لنتقنا. قوله: ﴿كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ حال من الجبل. قوله: ﴿وَظَنُّوا﴾ الجملة حالية من الجبل، والتقدير ورفعناه فوقهم، والحال أنه مظنون وقوعه عليهم، ومعنى الظن اليقين كما قال المفسر. قوله: (وقلنا) قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿خُذُوا﴾ معمول لمحذوف، وهو معطوف على ﴿نَتَقْنَا﴾.

قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي تتصفون بالتقوى، وهي امتثال المأمورات، واجتناب المنهيـات، أو تجعلون بينكم وبين النار وقاية تحفظكم منها.

قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ عطف على قوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا﴾ عطف قصة على قصة، وقدر المفسر اذكر إشارة إلى أن إذ ظرف معمول لمحذوف، والحكمة في تخصيص بني إسرائيل بهذه القصة، الزيادة في إقامة الحجة عليهم، حيث أعلمهم الله بأن أعلم نبيه بمبدأ العالم، فضلاً عن وقائعهم. قوله: (بدل اشتمال) أي من قوله: ﴿بَنِي آدَمَ﴾ والأوضح أنه بدل بعض من كل، لأن الظهور بعض بني آدم كضربت زيداً يده. قوله: (بأن أخرج بعضهم من صلب بعض) أي فأخرج أولاد آدم لصلبه من ظهره، ثم أخرج من ظهر أولاده لصلبه أولادهم، وهكذا على حسب الظهور الجسماني إلى يوم القيامة، وميز المسلم من الكافر، بأن جعل ذر المسلم أبيض، وذر الكافر أسود. روي أنهم لما اجتمعوا قال لهم: اعلموا أنه لا إله غيري، وأنا ربكم لا رب لكم غيري، فلا تشركوا بي شيئاً، فإني سأنتقم ممن أشرك بي ولم يؤمن، وإني مرسل إليكم

عرفة نصب لهم دلائل على ربوبيته وركب فيهم عقلاً ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ قال ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ أنت ربنا ﴿شَهِدْنَآ﴾ بذلك والإشهاد لـ ﴿أَن﴾ لا ﴿ تَقُولُواْ ﴾ بالياء والتاء في الموضعين أي الكفار ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا ﴾ التوحيد ﴿ غَٰفِلِينَ ﴾ ﴿١٧٢﴾ لا نعرفه ﴿ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ ﴾ أي قبلنا ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ فاقتدينا بهم ﴿أَفَتُهْلِكُنَا﴾ تعذبنا ﴿بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ ﴿١٧٣﴾ من آبائنا بتأسيس الشرك، المعنى لا يمكنهم الاحتجاج بذلك مع إشهادهم على أنفسهم بالتوحيد والتذكير به على لسان صاحب المعجزة قائم مقام ذكره في النفوس ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ ﴾ نبينها مثل ما بينا الميثاق ليتدبروها ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ﴿١٧٤﴾ عن كفرهم

رسلاً يذكرونكم عهدي وميثاقي، ومنزل عليكم كتاباً، فتكلموا جميعاً وقالوا: شهدنا أنك ربنا لا رب لنا غيرك، فأخذ بذلك مواثيقهم، ثم كتب الله آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم، فنظر إليهم آدم عليه السلام، فرأى الغني والفقير، وحسن الصورة ودون ذلك، فقال: رب هلا سويت بينهم؟ فقال: إني أحب أن أشكر، فلما قررهم بتوحيده، وأشهد بعضهم على بعض، أعادهم إلى صلبه، فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من أخذ منه الميثاق. قوله: **(كالذر)** قيل هو صغار النمل، وقيل هو الهباء الذي يطير في الشمس، وقيل غير ذلك. قوله: **(بنعمان)** مكان بجنب عرفة. قوله: **(وركب فيهم عقلاً)** أي وسمعاً وروحاً.

قوله: **﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾** أي قررهم، فإن الشهادة على النفس معناها الإقرار. قوله: **﴿بَلَى﴾** هي جواب للنفي، ولكنها تفيد إثباته، كان مجرداً أو مقروناً بالاستفهام التقريري كما هنا، ولذا قال عباس: لو قالوا نعم لكفروا، لأن نعم لتقرير ما قبلها مثبتاً أو منفياً، فكأنهم أقروا بأنه ليس بربهم، وإلى ذلك أشار العارف الأجهوري رضي الله عنه بقوله:

بل جواب النفي لكنه يصير إثباتاً كذا قرروا
نعم لتقرير الذي قبلها إثباتاً أو نفياً كذا حرروا

قوله: **﴿شَهِدْنَا﴾** يحتمل أن يكون من كلام الملائكة الذين استشهدهم الله على ذلك، فيكون الوقف على قول: **﴿بَلَى﴾**، ويحتمل أن يكون من كلام الذرية، ويكون المعنى أقررنا بذلك، وحينئذ فلا يصح الوقف على **﴿بَلَى﴾**. قوله: **(في الموضعين)** أي قوله: **﴿أَنْ يَقُولُوا﴾**، **﴿أَوْ يَقُولُوا﴾** والمناسب تأخير قوله: **(في الموضعين)** فعلى الياء يكون إخباراً عنهم، وعلى التاء يكون خطاباً لهم. قوله: **(فاقتدينا بهم)** أي فهم مؤاخذون بذلك ونحن معذورون. قوله: **(المعنى لا يمكنهم)** أي معنى الجملتين. قوله: **(مع إشهادهم على أنفسهم)** أي إقرارهم عليها. قوله: **(على لسان صاحب المعجزة)** أي وهم المرسلون وهو جواب عما يقال إن هذا العهد لا يذكره أحد اليوم.

قوله: **﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** عطف على قدره المفسر.

ـ فائدة حسنة ـ ذكر القطب الشعراني في رسالة سماها القواعد الكشفية في الصفات الإلهية: قد ذكر العلماء في قوله تعالى ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم﴾ الآية: اثني عشر سؤالاً، ونحن نوردها عليك مع الجواب عنها بما فتح الله به، الأول: أين موضع أخذ الله تعالى هذا العهد؟ والجواب:

أن الله أخذ ذلك عليهم ببطن نعمان، وهو واد بجنب عرفة، قاله ابن عباس وغيره، وقال بعضهم: أخذه بسرنديب من أرض الهند، وهو الموضع الذي هبط آدم فيه من الجنة، وقال الكلبي: كان أخذ العهد بين مكة والطائف، وقال الإمام علي بن أبي طالب: كان أخذ العهد في الجنة، وكل هذه الأمور محتملة، ولا يضرنا الجهل بالمكان بعد صحة الإعتقاد بأخذ العهد. الثاني: كيف استخرجهم من ظهره؟ والجواب: ورد في الصحيح أنه تعالى مسح ظهر آدم، وأخرج ذريته منه كلهم كهيئة الذر، ثم اختلف الناس، هل شق ظهره واستخرجهم منه؟ أو استخرجهم من بعض ثقوب رأسه، وكلا الوجهين بعيد، والأقرب كما قيل، أنه استخرجهم من مسام شعر ظهره، إذ تحت كل شعرة ثقبة دقيقة يقال لها سم، مثل سم الخياط في النفوذ لا في السعة، فتخرج الذرة الضعيفة منها، كما يخرج الصئبان من العرق السائل، وهذا غير بعيد في العقل، فيجب اعتقاد إخراجها من ظهر آدم كما شاء الله، ولا يجوز اعتقاد أنه تعالى مسح ظهر آدم على وجه المماسة، إذ لا اتصال بين الحادث والقديم. الثالث: كيف أجابوه تعالى: بلى، هل كانوا أحياء عقلاء، أم أجابوه بلسان الحال؟ والجواب أنهم أجابوه بالنطق وهم أحياء عقلاء، إذ لا يستحيل في العقل، أن الله يعطيهم الحياة والعقل والنطق مع صغرهم، فإن بحار قدرته تعالى واسعة، وغاية وسعنا في كل مسألة أن تثبت الجواز، ونكل علم كيفيتها إلى الله تعالى. الرابع: فإذا قال الجميع بلى، فلم قبل قوماً ورد آخرين؟ والجواب كما قال الحكيم الترمذي: أن الله تعالى تجلى للكفار بالهيبة فقالوا: بل: مخافة، فلم يكن ينفعهم إيمانهم، فكان إيمانهم كإيمان المنافقين، وتجلى للمؤمنين بالرحمة، فقالوا: بلى، مطيعين مختارين، فنفعهم إيمانهم. الخامس: إذا سبق لنا عهد وميثاق مثل هذا، فلأي شيء لا نذكره اليوم؟ والجواب: أنا لم نتذكر هذا العهد، لأن تلك البنية قد انقضت وتغيرت أحوالها، بمرور الزمان عليها في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات، ثم استحال تصويرها في الأطوار الواردة عليها، من العلقة والمضغة واللحم والعظم، وهذا كله مما يوجب النسيان، وكان علي كرم الله وجهه يقول: إني لأذكر العهد الذي عهد إلي ربي. وكان سهل التستري يقول: إني لأعرف تلامذتي من ذلك اليوم، ولم أزل أربيهم في الأصلاب حتى وصلوا إلي. السادس: هل كانت تلك الذرات مصورة بصورة الإنسان أم لا؟ والجواب: لم يبلغنا في ذلك دليل، إلا أن الأقرب للعقول، عدم الاحتياج إلى كونها بصورة الإنسان، إذ السمع والنطق لا يفتقران إلى الصورة، بل يقتضيان محلاً حياً لا غير. السابع: متى تعلقت الأرواح بالذوات التي هي الذرية، هل قبل خروجها من ظهره، أم بعد خروجها منه؟ والجواب: قال بعضهم إن الظاهر أنه تعالى استخرجهم أحياء، لأنه سماهم ذرية، والذرية هم الأحياء لقوله تعالى: ﴿وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون﴾. فيحتمل أن الله تعالى أدخل فيهم الأرواح وهم في ظلمات ظهر أبيهم، ثم أدخلها مرة أخرى وهم في ظلمات بطون أمهاتهم، ثم أدخلها مرة ثالثة وهم في ظلمات بطون الأرض، هكذا جرت سنة الله فسمى ذلك خلقاً. الثامن: ما الحكمة في أخذ الميثاق منهم؟ والجواب: أن الحكمة في ذلك، إقامة الحجة على من لم يوف بذلك. التاسع: هل أعادهم إلى ظهر آدم أحياء، أم استرد أرواحهم ثم أعادهم إليه أمواتاً؟ والجواب أن الظاهر أنه لما ردهم إلى ظهره، قبض أرواحهم، قياساً على ما يفعله بهم إذا ردهم إلى الأرض بعد الموت، فإنه يقبض أرواحهم ويعيدهم فيها. العاشر: أين رجعت الأرواح بعد

﴿وَٱتۡلُ﴾ يا محمد ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ أي اليهود ﴿نَبَأَ﴾ خبر ﴿ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ خرج بكفره

رد الذرات إلى ظهره؟ والجواب: أن هذه مسألة غامضة، لا يتطرق إليها النظر العقلي عندي بأكثر من أن يقال: رجعت لما كانت عليه قبل حلولها في الذوات، فمن رأى في ذلك شيئاً فليلحقه بهذا الموضع. الحادي عشر: قوله: ﴿وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم﴾، والناس يقولون: إن الذرية أخذت من ظهر آدم؟ والجواب: أنه تعالى أخرج من ظهر آدم بنيه لصلبه ثم أخرج بني بنيه من ظهور بنيه، فاستغنى عن ذكر إخراج بني آدم من آدم بقوله من بني آدم، إذ من المعلوم أن بني بنيه لا يخرجون إلا من بنيه، ومثال ذلك: من أودع جوهرة في صدفة، ثم أودع الصدفة في خرقة، ثم أودع الخرقة مع الجوهرة في حقه، ثم أودع الحقة في درج، ثم أودع الدرج في صندوق، فأخرج منه تلك الأشياء بعضها من بعض، ثم أخرج الجميع من الصندوق، فهذا لا تناقض فيه. الثاني عشر: في أي مكان أودع كتاب العهد والميثاق؟ والجواب: قد جاء في الحديث، أنه مودع في باطن الحجر الأسود، وأن للحجر الأسود عينين وفماً ولساناً، فإن قال قائل: هذا غير متصور في العقل، فالجواب: أن كل ما عسر على العقل تصوره يكفينا فيه الإيمان به، ورد معناه إلى الله تعالى اهـ ملخصاً.

قوله: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ﴾ عطف على (واسألهم) عطف قصة على قصة. قوله: ﴿آيَاتِنَا﴾ أي وهي علوم الكتب القديمة، ومعرفة الاسم الأعظم، فكان يدعو به حيث شاء فيحصل بعينه، وكان يرى العرش وهو جالس مكانه، وكان في مجلس اثنا عشر ألف محبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه، وحاصل قصته على ما ذكره ابن عباس وغيره، أن موسى عليه السلام، لما قصد قتال الجبارين، ونزل أرض الكنعانيين من أرض الشام، أتى بلعم إليه وكان عنده الاسم الاعظم، فقالوا: إن موسى رجل حديد ومعه جند كثير، وإنه جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويخليها لبني إسرائيل، وأنت رجل مجاب الدعوة، فاخرج فادع الله أن يردهم عنا، فقال: ويلكم نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون، فكيف أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما لا تعلمون، وإني إن فعلت ذهبت دنياي وآخرتي، فراجعوه وألحوا عليه، فقال: حتى أؤامر ربي، وكان لا يدعو حتى ينظر ما يؤمر به في المنام، فآمر ربه في الدعاء عليهم، فقيل له في المنام: لا تدع عليهم، فقال لقومه: إني قد آمرت ربي، وإني نهيت أن أدعو عليهم، فأهدوا إليه هدية فقبلها، وراجعوه فقال: حتى أؤامر ربي، فآمر فلم يؤمر بشيء، فقال: قد آمرت ربي فلم يأمرني بشيء، فقالوا له: ولو كره ربك أن تدعو لنهاك كما نهاك في المرة الأولى، فلم يزالوا يتضرعون إليه حتى فتنوه فافتتن، فركب أتانا له متوجهاً إلى جبل يطلعه على عسكر بني إسرائيل يقال له حسبان، فلما سار على أتانه غير بعيد ربضت، فنزل عنها وضربها، فقامت فركبها، فلم تسر به كثيراً حتى ربضت فضربها، وهكذا مراراً، فأذن الله تعالى لها في الكلام فأنطقها له، فكلمته حجة عليه فقالت: ويحك يا بلعم أين تذهب؟ أما ترى الملائكة أمامي تردني عن وجهي، ويحك تذهب إلى نبي الله والمؤمنين فتدعوا عليهم، فلم ينزجر، فخلى الله سبيل الأتان، فانطلقت حتى أشرف على جبل حسبان، فجعل يدعو عليهم، فلم يدع بشر إلا صرف الله به لسانه إلى قومه، ولا يدعو بخير لقومه إلا صرف الله به لسانه إلى بني إسرائيل، فقال له قومه: يا بلعم أتدري ما تصنع؟ إنما تدعو لهم وتدعو علينا، فقال: هذا ما لا أملكه، هذا شيء قد غلب الله عليه، فاندلع لسانه فوقع على صدره، فقال لهم: الآن قد ذهب مني الدنيا والآخرة، ولم يبق إلا المكر والخديعة،

كما تخرج الحية من جلدها وهو بلعم بن باعوراء من علماء بني إسرائيل سئل أن يدعو على موسى وأهدي إليه شيء فدعا فانقلب عليه واندلع لسانه على صدره ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ فأدركه فصار قرينه ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝١٧٥﴾ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ﴾ إلى منازل العلماء ﴿بِهَا﴾ بأن نوفقه للعمل ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ﴾ سكن ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أي الدنيا ومال إليها ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ في دعائه إليها فوضعناه ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ صفته ﴿كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾ بالطرد والزجر ﴿يَلْهَثْ﴾ يدلع لسانه ﴿أَوْ﴾ إن ﴿تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ وليس غيره من الحيوان كذلك وجملتا الشرط حال أي لاهثاً ذليلاً بكل حال والقصد التشبيه في الوضع والخسة بقرينة الفاء المشعرة بترتب ما بعدها على ما قبلها من الميل إلى الدنيا واتباع الهوى وبقرينة قوله ﴿ذَّٰلِكَ﴾ المثل ﴿مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ﴾ على اليهود ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝١٧٦﴾ يتدبرون فيها فيؤمنون ﴿سَآءَ﴾ بئس ﴿مَثَلًا ٱلْقَوْمُ﴾ أي مثل القوم ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ۝١٧٧﴾ بالتكذيب ﴿مَن يَهْدِ

فسأمكر لكم واحتال، احملوا النساء وزينوهن وأعطوهن السلع، ثم أرسلوهن إلى عسكر بني إسرائيل يبعنها فيه، ومروهن أن لا تمنع امرأة نفسها من رجل راودها، فإنه إن زنى رجل بواحدة كفيتموهم، ففعلوا، فلما دخل النساء العسكر، مرت امرأة من الكنعانيين على رجل من عظماء بني إسرائيل، وكان رأس سبط شمعون بن يعقوب، فقام إلى المرأة وأخذ بيدها حين أعجبه جمالها، ثم أقبل بها حتى وقف على موسى وقال: إني أظنك أن تقول هذا حرام عليك، قال: أجل هي حرام عليك لا تقربها، قال: فوالله لا نطيعك، ثم دخل بها قبته فوقع عليها فأرسل الله عليهم الطاعون في الوقت، فهلك منهم سبعون ألفاً في ساعة من النهار. قوله: **(من علماء بني إسرائيل)** أي بل قيل بنبوته والحق خلافه. لأن الأنبياء معصومون من كل ما يغضب الله تعالى. قوله: **(وأهدي إليه شيء)** أي في نظير الدعاء عليهم، وتسمى تلك الهدية رشوة، وهي محرمة في شرعنا، والذي ألجأه المنصب. قوله: **(واندلع لسانه)** أي تدلى. قوله: **﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾** هذا مبالغة في ذمه، حيث كان عالماً عظيماً، ثم صار الشيطان من أتباعه. قوله: **﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ﴾** مفعول المشيئة محذوف تقديره رفعته. قوله: **﴿بِهَا﴾** أي بسبب تلك الآيات. قوله: **(ولكنه أخلد)** أي مال واطمأن. قوله: **﴿كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾** أي الذي هو أخس الحيوانات. قوله: **﴿إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾** أي تشدد عليه وتجهده يلهث أي يخرج لسانه. قوله: **﴿أَوْ تَتْرُكْهُ﴾** أي من غير تشدد عليه. قوله: **(وليس غيره من الحيوانات كذلك)** أي بل غيره يلهث في حال التعب فقط. قوله: **(ما بعدها)** أي وهو الانسلاخ، وقوله: **(من الميل الخ)** بيان لما قبلها.

قوله: **﴿ذلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ﴾** أي اليهود الذين أوتوا التوراة، وفيها صفات النبي ﷺ وأخلاقه وشمائله، فغيروا وبدلوا. قوله: **﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ﴾** أي الذي أوحي إليك، ليعلموا أنك علمته من الوحي فيؤمنون. قوله: **(على اليهود)** لا مفهوم له، بل المراد اقصص القصص على أمتك ليتعظوا بذلك. قوله: **﴿سَاءَ مَثَلاً ٱلْقَوْمُ﴾** ساء فعل ماض لإنشاء الذم، و **﴿مَثَلاً﴾** تمييز **﴿ٱلْقَوْمُ﴾** فاعل على حذف مضاف تقديره مثل القوم، والخصوص بالذم محذوف تقديره مثلهم.

ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ ﴿١٧٨﴾ ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ خلقنا ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ الحق ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ دلائل قدرة الله بصر اعتبار ﴿وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ الآيات والمواعظ سماع تدبر واتعاظ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ في عدم الفقه والبصر والاستماع ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ من الأنعام لأنها تطلب منافعها وتهرب من مضارها وهؤلاء يقدمون على النار معاندة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ ﴿١٧٩﴾ ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ التسعة والتسعون الوارد بها الحديث والحسنى مؤنث الأحسن ﴿فَٱدْعُوهُ﴾ سموه ﴿بِهَا وَذَرُوا۟﴾ اتركوا ﴿ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ من ألحد ولحد يميلون عن الحق ﴿فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ حيث اشتقوا منها أسماء لآلهتهم

قوله: ﴿مَنْ يَهْدِي ٱللَّهُ﴾ هذا رجوع للحقيقة وتسلية له ﷺ. قوله: ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِي﴾ بإثبات الياء وصلاً ووقفاً باتفاق القراء هنا. قوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً﴾ أي بحكم القبضة الإلهية حين قبض قبضة، وقال: هذه للجنة ولا أبالي، وقبض قبضة وقال: هذه للنار ولا أبالي، وقوله: ﴿كَثِيراً﴾ يؤخذ منه أن أهل النار أكثر من أهل الجنة، وهو كذلك، لما تقدم من أن من كل ألف واحداً للجنة، والباقي للنار. قوله: (الحق) قدره هو، ونظيره في: ﴿يُبْصِرُونَ﴾ و ﴿يَسْمَعُونَ﴾ إشارة إلى أن مفعول كل محذوف. قوله: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ إضراب انتقالي، ونكتة الاضراب أن الأنعام لا تدري العواقب، والعقلاء تعرفها، فقدومهم على المضار مع علمهم بعواقبها، أضل من قدوم الأنعام على مضارها. قوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْغَافِلُونَ﴾ أي قلباً وسمعاً وبصراً، وهذه علامة أهل النار المخلدين فيها.

قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ ذكرت في أربعة مواضع من القرآن: هنا، وفي آخر الإسراء، وفي أول طه، وفي آخر الحشر. قوله: (الوارد بها الحديث) أي وقد ورد بطرق مختلفة منها قوله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة غير واحد، إنه وتر يحب الوتر وما من عبد يدعو بها إلا وجبت له الجنة»، ومنها: «إن لله تسعة وتسعين اسماً، من أحصاها دخل الجنة»، ومنها: «إن الله عز وجل تسعة وتسعين اسماً، مائة غير واحد، إن الله وتر يحب الوتر، من حفظها دخل الجنة»، ومنها: «إن لله مائة اسم غير اسم، من دعا بها استجاب الله له» وكلها مذكورة في الجامع الصغير عن علي وعن أبي هريرة. والأسماء جمع اسم، وهو اللفظ الدال على المسمى، إما على الذات فقط، أو على الذات والصفات، والأخبار بأنها تسع وتسعون ليس حصراً، وإنما ذلك إخبار عن دخول الجنة بإحصائها أو استجابة الدعاء بها، وإلا فأسماء الله كثيرة، قال بعضهم: إن لله ألف اسم، وقال بعضهم: إن أسماءه على عدد أنبيائه، فكل نبي يستمد من اسم، ونبينا يستمد من الجميع. قوله: (والحسنى مؤنث الأحسن) أي ككبرى وصغرى، مؤنث الأكبر والأصغر، وإنما كانت حسنى، لأن الدال يشرف بشرف مدلوله. قوله: (سموه) ﴿بِهَا﴾ أي وقت دعائكم وندائكم وأذكاركم.

قوله: ﴿وَذَرُوا﴾ أمر للمكلفين. قوله: (من ألحد ولحد) أي رباعياً وثلاثياً، وهما قراءتان سبعيتان. قوله: (يميلون عن الحق) تفسير لكل من القراءتين، ومنه لحد الميت لأنه يمال بحفره إلى جنب القبر، بخلاف الضريح، فإنه الحفر في الوسط. قوله: (حيث اشتقوا) أي اقتطعوا، وهذا الإلحاد كفر، ويطلق الإلحاد على التسمية بما لم يرد، وهو بهذا المعنى حرام، لأن أسماءه توقيفية، فيجوز أن يقال يا جواد، ولا

كاللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان ﴿سَيُجْزَوْنَ﴾ في الآخرة جزاء ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٨٠﴾ وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ ﴿١٨١﴾ هم أمة محمد ﷺ كما في الحديث ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآن من أهل مكة ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ نأخذهم قليلاً قليلاً ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٨٢﴾ ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ أمهلهم ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ ﴿١٨٣﴾ شديد لا يطاق ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ فيعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِهِم﴾ محمد ﷺ ﴿مِنْ جِنَّةٍ﴾ جنون ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿١٨٤﴾ بين الإنذار ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ﴾ ملك ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ﴾ في ﴿مَا

يجوز أن يقال يا سخي، ويقال يا عالم دون عاقل، وحكيم دون طبيب، وهكذا. قوله: (جزاء) ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، وقدر ليصح الكلام، إذ لا معنى لكونهم يجزون الذي كانوا يعملونه من الإلحاد، بل المراد جزاؤه. قوله: (وهذا قبل الأمر بالقتال) اسم الإشارة راجع لقوله: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ فهذه الآية منسوخة بآية القتال.

قوله: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا﴾ الجار والمجرور خبر مقدم، و ﴿أُمَّةٌ﴾ مبتدأ مؤخر. قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ الباء للملابسة أي يهدون الناس ويرشدونهم ملتبسين بالحق. قوله: ﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ أي بالحق يجعلون الأمور متعادلة مستوية، لا إفراط فيها ولا تفريط. قوله: (كما في الحديث) أي وهو قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق إلى أن يأتي أمر الله» وعن معاوية وهو يخطب: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك»، وهذه الطائفة لا تختص بزمان دون زمان، ولا مكان دون مكان، بل هم في كل مكان وفي كل زمان، فالإسلام دائماً يعلون ولا يعلى عليه، وإن كثر الفساق وأهل الشر، فلا عبرة بهم، ولا صولة لهم، وفي هذا بشارة لهذه الأمة المحمدية، بأن الإسلام في علو وشرف، وأهله كذلك إلى قرب يوم القيامة، حتى تموت حملة القرآن والعلماء، وينزع القرآن من المصاحف، وتأتي الريح اللينة فيموت كل من كان فيه مثقال ذرة من الإيمان، ولا يكون هذا الأمر، إلا بعد وفاة عيسى عليه السلام.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ مبتدأ خبره الجملة الاستقبالية بعده. قوله: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ الاستدراج هو الاستصعاد درجة فدرجة، أو الاستنزال درجة بعد درجة. قوله: (نأخذهم قليلاً قليلاً) أي نمدهم بالعطايا شيئاً فشيئاً، وهم مقيمون على المعاصي، حتى ينتهي بهم الأمر إلى الهلاك، فهم يظنون أنهم في نعم، وهم في نقم، ولذا قيل: إذا رأيت الله أنعم على عبده وهو مقيم على معصيته، فاعلم أنه مستدرج له. قوله: ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ الكيد في الأصل المكر والخديعة، وذلك مستحيل على الله، بل المراد الاستدراج وكان شديداً، لأن ظاهره إحسان وباطنه خذلان.

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أعموا ولم يتفكروا. قوله: ﴿مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ سبب نزولها ما روي أنه ﷺ صعد على الصفا فدعاهم فخذاً فخذاً، يا بني فلان، يحذرهم بأس الله، فقال بعضهم: إن صاحبكم لمجنون بات يهوت إلى الصباح، ومعنى يهوت يصوت، وإنما نسبوه إلى الجنون لمخالفته لهم في الأقوال والأفعال، فإنه كان موحداً مقبلاً على الله بكليته، معرضاً عن الدنيا وشهواتها، وهم ليسوا كذلك. قوله: (ملك) ﴿السَّمَاوَاتِ

﴿خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ بيان لما فيستدلوا به على قدرة صانعه ووحدانيته ﴿وَ﴾ في ﴿أَنْ﴾ أي أنه ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ﴾ قرب ﴿أَجَلُهُمْ﴾ فيموتوا كفاراً فيصيروا إلى النار فيبادروا إلى الإيمان ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ﴾ أي القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٨٥﴾ ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ﴾ بالياء والنون مع الرفع استئنافاً والجزم عطفاً على محل ما بعد الفاء ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿١٨٦﴾ يترددون تحيراً ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ أي أهل مكة ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ القيامة ﴿أَيَّانَ﴾ متى ﴿مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ﴾ لهم

﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ إنما فسر الملكوت بالملك، لأن الملكوت ما غاب عنا، كالملائكة والعرش والكرسي، والمأمور بالنظر فيه عالم الملك وهو ما ظهر لنا. قوله: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ﴾ قدر المفسر في إشارة إلى أنه معطوف على: ﴿مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾. قوله: ﴿وَأَنْ عَسَىٰ﴾ قدر المفسر في إشارة إلى أن الجملة في محل جر عطفاً على ما قبلها، و﴿أَنْ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، وجملة: ﴿عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ خبرها.

قوله: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ﴾ الخ متعلق بيؤمنون، وهو استفهام تعجبي، والمعنى إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن الذي هو أعظم المعجزات، فبأي آية ومعجزة يؤمنون بها. قوله: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ تذييل لما قبله، خارج مخرج المثل. قوله: (بالياء والنون) أي مع الرفع، وبالياء لا غير مع الجزم، فالقراءات ثلاث وكلها سبعية، فعلى النون يكون التفاتاً من الغيبة للتكلم، لأن الاسم الظاهر من قبيل الغيبة. قوله: (على محل ما بعد الفاء) أي وهو الجزم، لأن جملة: ﴿فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ جواب الشرط في محل جزم.

قوله: ﴿يَسْئَلُونَكَ﴾ الضمير عائد على أهل مكة كما قال المفسر، لأن السورة مكية إلا ما تقدم من الثمان آيات، وهذا استئناف مسوق لبيان تعنتهم في كفرهم، لأنه ﷺ كان يخوفهم من الساعة وأهوالها. قوله: (القيامة) سميت ساعة إما لسرعة مجيئها، قال تعالى: ﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب﴾ أو لسرعة حسابها، لأن الخلق جميعاً يحاسبون في قدر نصف يوم من نهار، أو لأنها ساعة عند الله لخفتها، وإن كانت في نفسها طويلة، لأن الأزمان عنده مستوية، ولها أسماء كثيرة، منها القيامة لقيام الناس لرب العالمين فيها، والقارعة لأنها تقرع القلوب بأهوالها، والحاقة لأنها ثابتة، والخافضة والرافعة لأنها تخفض أقواماً وترفع آخرين، والطامة لأنه لا يمكن ردها، والصامة لأنها تصم الآذان، والزلزلة لتزلزل الأرض والقلوب، ويوم الفرقة لتفرقهم في الجنة والنار، واليوم الموعود لأن الله وعد فيه أقواماً بالجنة، وأوعد أقواماً بالنار، ويوم العرض لعرض الناس على ربهم، ويوم المفر لقول الإنسان يومئذ أين المفر، واليوم العسير لشدة الحساب فيه، وزحمة الناس بعضهم على بعض، حتى يكون على القدم ألف قدم، وفي رواية سبعون ألف قدم على قدم، وتدنو الشمس من الرؤوس حتى يكون بينها وبين الرؤوس قدر المرود، إلى غير ذلك من أسمائها.

قوله: ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ في الكلام استعارة بالكناية، حيث شبه الساعة بسفينة في البحر، وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو الإرساء فذكره تخييل، وهذه الجملة من المبتدأ والخبر، بدل من الجار والمجرور قبله، والمعنى يسألونك عن وقت مجيء الساعة وهو في محل نصب، لأن الجار والمجرور

﴿ إِنَّمَا عِلْمُهَا ﴾ متى تكون ﴿ عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا ﴾ يظهرها ﴿ لِوَقْتِهَآ ﴾ اللام بمعنى في ﴿ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ ﴾ عظمت ﴿ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ على أهلها لهولها ﴿ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾ فجأة ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ ﴾ مبالغ في السؤال ﴿ عَنْهَا ﴾ حتى علمتها ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ تأكيد ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿١٨٧﴾ أن علمها عنده تعالى ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا ﴾ أجلبه ﴿ وَلَا ضَرًّا ﴾ أدفعه ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ﴾ ما غاب عني ﴿ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ﴾ من فقر وغيره لاحترازي عنه باجتناب المضار ﴿ إِنْ ﴾ ما ﴿ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ بالنار للكافرين

في محل نصب معمول ليسألونك. قوله: (متى تكون) أشار بذلك إلى أن الكلام فيه حذف مضاف، والتقدير إنما علم وقتها عند الله. قوله: (على أهلها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، و ﴿في﴾ بمعنى على، ويصح أن تبقى الآية على ظاهرها لأنه لا يطيقها شيء من السماوات لطيها، ولا الأرض لتبدلها، فهي شاقة مفزعة لكل ما سوى الله.

قوله: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ أي على حين غفلة، والحكمة في اخفائها ليتأهب لها كل أحد، كما أخفيت ساعة الإجابة يوم الجمعة ليعتنى باليوم كله، وليلة القدر في سائر الليالي، ليعتنى بجميع الليالي، والرجل الصالح في جميع الخلق ليعتقد الجميع، والصلاة الوسطى في جميع الصلوات للمحافظة على الجميع. قوله: ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ عن بمعنى الباء، والمعنى كأنك عالم بها ومتيقن لها. قوله: (تأكيد) أي لما قبله لبيان أنها من الأمر المكتوم الذي استأثر الله بعلمه، فلم يطلع عليه أحد إلا من ارتضاه من الرسل، والذي يجب الإيمان به، أن رسول الله لم ينتقل من الدنيا حتى أعلمه الله بجميع المغيبات التي تحصل في الدنيا والآخرة، فهو يعلمها كما هي عين يقين، لما ورد: «رفعت لي الدنيا فأنا أنظر فيها كما أنظر إلى كفي هذه»، وورد أنه اطلع على الجنة وما فيها، والنار وما فيها، وغير ذلك مما تواترت به الأخبار، ولكن أمر بكتمان البعض. قوله: ﴿لِنَفْسِي﴾ معمول لا أملك. قوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ ٱللَّهُ﴾ أي تمليكه لي فأنا أملكه.

قوله: ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ الخ إن قلت: إن هذا يشكل مع ما تقدم لنا، أنه اطلع على جميع مغيبات الدنيا والآخرة، والجواب: أنه قال ذلك تواضعاً أو أن علمه بالمغيب كلا، علم من حيث إنه لا قدرة له على تغيير ما قدر الله وقوعه، فيكون المعنى حينئذ، لو كان لي علم حقيقي بأن أقدر على ما أريد وقوعه لاستكثرت الخ، إن قلت: إن دعاءه مستجاب لا يرد. أجيب: بأنه لا يشاء إلا ما يشاؤه الله، فلو اطلع على أن هذا الشيء مثلاً لا يكون كذا لا يوفق للدعاء له، إذ لا يشفع ولا يدعو إلا بما فيه إذن من الله، واطلاع منه على أنه يحصل ما دعا به، وهو سر قوله تعالى: ﴿ومن ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾، وفي ذلك المعنى قال العارف:

وخصك بالهدى في كل أمر فلست تشاء إلا ما يشاء

وللخواص من أمته حظ من هذا المقام، ولذا قال العارف أبو الحسن الشاذلي: إذا أراد الله أمراً، أمسك ألسنة أوليائه عن الدعاء ستراً عليهم، لئلا يدعوا فلا يستجاب لهم فيفتضحوا. قوله: (للكافرين)

﴿وَبَشِيرٌ﴾ بالجنة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٨٨﴾ ﴿هُوَ﴾ أي الله ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ أي آدم ﴿وَجَعَلَ﴾ خلق ﴿مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ ويألفها ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ جامعها ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ هو النطفة ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ ذهبت وجاءت لخفته ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾ بكبر الولد في بطنها وأشفقا أن يكون بهيمة ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا﴾ ولداً ﴿صَٰلِحًا﴾ سوياً ﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ ﴿١٨٩﴾ لك عليه ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ ولداً ﴿صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ وفي قراءة بكسر الشين والتنوين أي شريكاً ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ بتسميته عبد الحرث ولا ينبغي أن يكون عبداً إلا لله وليس بإشراك في العبودية لعصمة آدم، وروى سمرة عن النبي ﷺ قال لما ولدت حواء طاف بها إبليس

أشار بذلك إلى أن في الآية اكتفاء. قوله: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصوا بذلك لأنهم المنتفعون بذلك. قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ الخطاب لأهل مكة المعارضين المعاندين. قوله: ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ أي لأنه المالك المتصرف، وهذا أعظم دليل على انفراده بالوحدانية. قوله: (أي آدم) أي وهو مخلوق من الماء والطين، والماء والطين موجودان من عدم، فآل الأمر إلى أن آدم وأولاده موجودان من عدم.

قوله: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أي من الضلع الأيسر، فنبتت منه كما تنبت النخلة من النواة. قوله: (حواء) تقدم أنها سميت حواء لأنها خلقت من حي وهي آدم. قوله: ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ هذا هو حكمه كون حواء من آدم، فالحكمة في كونها منه، كونه يسكن إليها ويألفها لأنها جزء منه. قوله: (ويألفها) عطف تفسير. قوله: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾ التغشي كناية عن الجماع، وعبر به تعليماً لعباده الأدب. قوله: (هو النطفة) إن قلت: إن الجنة لا حمل فيها ولا ولادة. أجيب: بأن ذلك بعد هبوطهما إلى الأرض، وأما جماعه لها في الجنة فبغير نطفة ولا حمل منها ولا ولادة.

قوله: ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ أي ترددت بذلك الحمل لعدم المشقة الحاصلة منه. قوله: ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ﴾ أي صارت ذات ثقل أو دخلت في الثقل، كأصبح إذا دخل في الصباح. قوله: (وأشفقا) أي خافا، ورد أنه لما جاءها إبليس وقال لها: ما هذا الذي في بطنك؟ فقالت: لا أدري، فقال لها: يحتمل أن يكون كلباً أو حماراً أو غير ذلك، ويحتمل أن يخرج من عينك أو فمك أو تشق بطنك لإخراجه فخوفها بهذا كله، فعرضت الأمر على آدم، فدعوا ربهما إلى آخر الدعاء المذكور. قوله: ﴿لَئِنْ﴾ اللام موطئة لقسم محذوف تقديره والله. قوله: (ولدا قدره) إشارة إلى أن صالحاً صفة لموصوف محذوف مفعول ثان: لآتيتنا، لأنه بمعنى أعطيتنا. قوله: ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ أي نزيد في الشكر لأن الشكر يزيد ويعظم بزيادة النعم.

قوله: ﴿شُرَكَاءَ﴾ جمع شريك، والمراد بالجمع المفرد، بدليل القراءة الثانية. قوله: (أي شريكاً) تفسير لكل من القراءتين. قوله: (بتسميته عبد الحرث) أي والحرث كان اسماً لإبليس، فقصد اللعين بذلك انتسابه له وأنه عبده. قوله: (وليس بإشراك في العبودية) المناسب أو يقول في العبادة أو في المعبودية، وإنما هو إشراك في التسمية، وهو ليس بكفر بل تعمده حرام، لعدم تعظيمه شرعاً، وأما النسبة للمعظم شرعاً، كعبد النبي، وعبد الرسول، فقيل بالكراهة. والحاصل أن النسبة للمعظم شرعاً لا حرمة فيها، ولغيره حرام إن لم يعتقد المعبودية، وإلا كان كفراً في الجميع. قوله: (وروى سمرة) الحكمة في ذكر

وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحرث فإنه يعيش فسمته فعاش فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره، رواه الحاكم وقال صحيح، والترمذي وقال حسن غريب ﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ﴿١٩٠﴾ أي أهل مكة به من الأصنام والجملة مسببة عطف على خلقكم وما بينهما اعتراض ﴿ أَيُشْرِكُونَ ﴾ به في العبادة ﴿ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ ﴿١٩١﴾ ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ ﴾ أي لعابديهم ﴿ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ ﴿١٩٢﴾ بمنعها ممن أراد بهم سوءاً من كسر أو غيره والاستفهام للتوبيخ ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ ﴾ أي الأصنام ﴿ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ ﴾ إليه ﴿ أَمْ أَنتُمْ صَـٰمِتُونَ ﴾ ﴿١٩٣﴾ عن دعائهم ولا يتبعوه لعدم سماعهم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ ﴾ تعبدون ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ ﴾ مملوكة ﴿ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ ﴾ دعاءكم ﴿ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ ﴿١٩٤﴾ في أنها آلهة ثم بين غاية عجزهم وفضل عابديهم عليهم فقال ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ ﴾ بل أ ﴿ لَهُمْ أَيْدٍ ﴾ جمع يد ﴿ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ ﴾ بل أ ﴿ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ ﴾ بل أ ﴿ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ استفهام إنكاري أي ليس لهم شيء من ذلك مما

هذه الرواية، أن هذا المقام زلت فيه اقدام العلماء، فمنهم من أصاب، ومنهم من أخطأ، فذكر هذه الرواية ليتضح المقام ويظهر الغث من السمين. قوله: (**كان لا يعيش لها ولد**) وذلك أنها ولدت قبل ذلك، عبد الله وعبيد الله وعبيد الرحمن فأصابهم الموت، وكان يلح عليها كل مرة، فألح عليها في الأخير، فسمته عبد الحرث كما أفادته رواية المفسر. قوله: (**والجملة**) أي قوله: ﴿**فَتَعَالَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾. قوله: (**مسببة**) عطف على قوله: (**خلقكم**) أي وليس لها تعلق بقصة آدم وحواء أصلاً، ويؤيد ذلك الجمع بعد التثنية، ولو كان راجعاً لها لثنى الضمير وقال يشركان. وفي قوله: ﴿**يُشْرِكُونَ**﴾ التفات من الخطاب إلى الغيبة.

قوله: ﴿**أَيُشْرِكُونَ**﴾ شروع في توبيخ أهل مكة على الاشراك. قوله: ﴿**وَإِنْ تَدْعُوهُمْ**﴾ هذا بيان لعجز الأصنام عما هو أدنى من النصر المنفي عنها، والخطاب للمشركين بطريق الالتفات اعتناء بمزيد التوبيخ، وقوله: ﴿**إِلَى ٱلْهُدَى**﴾ أي لكم، أي إن تدعوهم إلى أن يهدوكم لا يتبعوكم إلى مرادكم، ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله. قوله: (**بالتخفيف والتشديد**) أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿**سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ**﴾ استئناف مقرر لمضمون ما قبله، أي سواء عليكم في عدم الإفادة دعاؤكم لهم وسكوتكم عنه، فإنه لا يتغير حالكم في الحالين، كما لا يتغير حالهم عن حكم الجمادية. قوله: (**مملوكة**) دفع بذلك ما يقال إن الأصنام جمادات لا تعقل، فكيف توصف بأنها مثلكم؟ وأجيب: بأن المراد بكونهم أمثالكم، أنهم مملوكون مقهورون، لا يملكون ضراً ولا نفعاً، فالتشبيه من هذه الحقيقة لا بد من كل وجه. قوله: (**وفضل عابديهم**) إما بتشديد الضاد عطف على (**بين**) وبسكون الضاد عطف على (**غاية**) ومعنى فضلهم زيادتهم عليهم بهذه المنافع المذكورة. قوله: ﴿**أَمْ لَهُمْ**﴾ أشار المفسر إلى أن ﴿**أَمْ**﴾ منقطعة تفسر ببل، والهمزة والاضراب انتقالي من توبيخ لتوبيخ آخر. قوله: ﴿**يَبْطِشُونَ**﴾ من باب ضرب، وبها قرأ السبعة، وقرىء شذوذاً من باب قتل، والبطش هو الأخذ بعنف. قوله: (**استفهام إنكاري**) أي في

هو لكم فكيف تعبدونهم وأنتم أتم حالاً منهم ﴿قُلِ﴾ يا محمد ﴿ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ﴾ إلى هلاكي ﴿ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ ﴿١٩٥﴾ تمهلون فإني لا أبالي بكم ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾ متولي أموري ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ﴿١٩٦﴾ بحفظه ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ ﴿١٩٧﴾ فكيف أبالي بهم ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾ أي الأصنام ﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُواْ وَتَرَىٰهُمْ﴾ أي الأصنام يا محمد ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أي يقاتلونك كالناظر ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ ﴿١٩٨﴾ ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ أي اليسر من أخلاق الناس ولا تبحث عنها ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ المعروف ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ ﴿١٩٩﴾ فلا تقابلهم بسفههم ﴿وَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما المزيدة ﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ أي إن يصرفك عما أمرت به صارف

المواضع الأربعة، أي ليس لهم شيء من المنافع المذكورة.

قوله: ﴿قُلْ ٱدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ أي واستعينوا بهم في عداوتي. قوله: ﴿كِيدُونِ﴾ قرىء بإثبات الياء وصلاً، وحذفها وقفاً، وبإثباتها في الحالين، وكلها سبعية، وفي القرآن: ﴿كِيدُونِ﴾ في ثلاثة مواضع، هنا وفي هود بإثبات الياء عند السبع في الحالين، وفي المرسلات بحذفها عند السبع في الحالين. قوله: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ﴾ العامة على تشديد الولي مضافاً لياء المتكلم المفتوحة، وفي بعض الطرق بياء واحدة مشددة مفتوحة. قوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم.

قوله: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ أي أيها المشركون، أي تدعوا أصنامكم إلى أن يهدوكم لا يسمعوا دعاءكم، فضلاً عن المساعدة والإمداد، وهذا أبلغ من نفي الاتباع، وقوله: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ الخ، بيان لعجزهم عن الأبصار بعد بيان عجزهم عن السمع، وبه يتم التعليل ورأى بصرية. قوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ هذا أمر من الله لنبيه ﷺ بمكارم الأخلاق، وحسن معاملة الكفار إثر بيان زجرهم وإفحامهم بالخطاب، ورد لما نزلت هذه الآية، سأل النبي ﷺ جبريل عن معناها، فقال حتى أسأل ربي، فذهب ثم رجع فقال: يا محمد، ربك يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك. قال جعفر الصادق: ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية. قوله: **(أي اليسر من أخلاق الناس)** أي ما سهل منها. قوله: **(ولا تبحث عنها)** أي لا تفتش عن الأخلاق، بل اقبل ما ظهر، ودع ما بطن لله.

قوله: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ أي ما عرف جنسه في الشرع. قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ إن كان المراد بالجاهلين الكفار، وبالإعراض عدم مقاتلتهم، فالآية منسوخة بآية القتال، وإن كان المراد بالجاهلين، ضعفاء الإسلام وأجلاف العرب، وبالإعراض عدم تعنيفهم والاغلاظ عليهم، فالآية محكمة، وكلام المفسر يشهد للثاني، ومن معنى ذلك قوله تعالى: ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ وهو الذي لا عتاب بعده، وفي هذه الآية تعليم مكارم الأخلاق للعباد، فليس هذا الأمر من خصوصياته ﷺ.

قوله: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ﴾ سبب نزولها أنه ﷺ لما أمر بأخذ العفو، والأمر بالعرف، والإعراض عن الجاهلين، قال: وكيف بالغضب؟ فنزلت هذه الآية. والنزغ هو النخس، وهو في الأصل حث السائق

﴿ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ جواب الشرط وجواب الأمر محذوف يدفعه عنك ﴿ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ ﴾ للقول ﴿ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٢٠٠﴾ بالفعل ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ ﴾ أصابهم ﴿ طَٰٓئِفٌ ﴾ وفي قراءة طائف أي شيء ألم بهم ﴿ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ ﴾ عقاب الله وثوابه ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ ﴿٢٠١﴾ المحق من غيره فيرجعون ﴿ وَإِخْوَٰنُهُمْ ﴾ أي إخوان الشياطين من الكفار ﴿ يَمُدُّونَهُمْ ﴾ أي الشياطين ﴿ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ ﴾ هم ﴿ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ ﴿٢٠٢﴾ يكفون عنه بالتبصر كما تبصر المتقون ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم ﴾ أي أهل مكة ﴿ بِـَٔايَةٍ ﴾ مما اقترحوا ﴿ قَالُوا۟ لَوْلَا ﴾ هلا ﴿ ٱجْتَبَيْتَهَا ﴾ أنشأتها من قبل نفسك ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ﴾ وليس لي أن آتي من عند نفسي بشيء ﴿ هَٰذَا ﴾ القرآن ﴿ بَصَآئِرُ ﴾ حجج ﴿ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٢٠٣﴾ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴾ عن الكلام ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ﴿٢٠٤﴾ نزلت في ترك الكلام في الخطبة وعبر عنها بالقرآن لاشتمالها عليه

للدابة على السير، والمراد منه الوسوسة، فشبهت الوسوسة بالنزغ بمعنى الحث على السير، واستعير اسم المشبه به للمشبه، واشتق من النزغ ينزغنك بمعنى يوسوس لك، والخطاب للنبي والمراد غيره، لأن الشيطان لا تسلط له عليه. قوله: **﴿فَاسْتَعْذِ بِاللهِ﴾** أي أطلب الاستعاذة بالله بأن تقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. قوله: **(جواب الشرط)** أي وقرن بالفاء لأنه جملة طلبية. قوله: **﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** أي فيجيبك لما طلبت.

قوله: **﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾** أي الذين اتصفوا بامتثال الأوامر واجتناب النواهي. قوله: **(أي شيء ألم بهم)** تفسير للقراءتين، أي خاطر قليل من الشيطان، فإذا وسوس الشيطان لهم بفعل المعاصي، أو ترك الطاعات، تذكروا عقاب الله وثوابه، فرجعوا لما أمر الله به ونهى عنه. قوله: **(عقاب الله)** أي في متابعة الشيطان، وقوله: **(وثوابه)** أي في مخالفته. قوله: **﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾** مبتدأ، وجملة: **﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾** خبر. قوله: **(أي إخوان الشياطين من الكفار)** أي والفساق، أشار بذلك إلى أن المراد بالإخوان الكفار والفساق، والضمير عائد على الشياطين.

قوله: **﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾** الواو عائدة على الشياطين، والهاء عائدة على الكفار والفساق، فقد عاد ضمير الخبر على غير المبتدأ في المعنى. قوله: **﴿ثُمَّ﴾** **(هم)** أي الإخوان. قوله: **﴿لَا يُقْصِرُونَ﴾** أي لا يبعدون عن الغي. قوله: **(بالتبصر)** أي التأمل والتفكر، والمعنى أن الشياطين يمدون الكفار والفساق في الغي، حتى لا يكفون عنه ولا يتركونه، فجعل الله في هذه الآية للمتقين علامة، ولغيرهم علامة. قوله: **﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ﴾** رجوع لخطاب كفار مكة. قوله: **(مما اقترحوا)** أي طلبوا. قوله: **﴿لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾** أشار المفسر إلى أن لولا تحضيضية حيث قال هلا. قوله: **(أنشأتها)** أي اخترعتها واختلقتها. قوله: **(وليس لي أن آتي من عند نفسي بشيء)** أي لا يمكنني ذلك.

قوله: **﴿بَصَائِرُ﴾** أي سبب فيها، فسمى السبب وهو القرآن باسم المسبب وهو الحجج. قوله: **﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** خصوا بذلك لأنهم المنتفعون به. قوله: **﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾** أي للقرآن. قوله: **(نزلت في ترك الكلام في الخطبة)** أي وهو واجب عند مالك والشافعي في القديم، ومذهب الشافعي في الجديد،

وقيل في قراءة القرآن مطلقاً ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾ أي سراً ﴿تَضَرُّعًا﴾ تذللاً ﴿وَخِيفَةً﴾ خوفاً منه ﴿وَ﴾ فوق السر ﴿دُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ أي قصداً بينهما ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ أوائل النهار وأواخره ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٢٠٥﴾ عن ذكر الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ أي الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يتكبرون له ﴿عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾ ينزهونه عما لا يليق به ﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۝٢٠٦﴾ أي يخصونه بالخضوع والعبادة فكونوا مثلهم.

الانصات سنة، والكلام مكروه. قوله: (وقيل في قراءة القرآن مطلقاً) أي فيحرم الكلام في مجلس القرآن للتخليط على القارىء، بل يجب الإنصات والاستماع، فإن أمن التخليط فلا حرمة، وما ذكره المفسر قولان من أربع، وثالثها نزلت في تحريم الكلام في الصلاة، لأنهم كانوا يتكلمون في الصلاة، رابعها أنها أنزلت في ترك الجهر بالقراءة خلف الإمام.

قوله: ﴿وَٱذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ أي بأي نوع من أنواع الذكر، كالتسبيح والتهليل والدعاء والقرآن وغير ذلك. وقوله: (سراً) أي إن لم يلزم عليه الكسل وإلا جهراً. قوله: ﴿تَضَرُّعاً وَخِيفَةً﴾ مفعولان لأجله أو حالان، أي متضرعين خائفين. قوله: ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ﴾ معطوف على قوله: ﴿فِي نَفْسِكَ﴾. قوله: ﴿بِٱلْغُدُوِّ﴾ جمع غدوة، وهي من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، قوله: ﴿وَٱلآصَالِ﴾ جمع أصيل، وهو من العصر إلى الغروب، وإنما خص هذين الوقتين بالذكر، لأن الإنسان يقوم من النوم عند الغداة، فطلب أن يكون أول صحيفته ذكر الله، وأما وقت الآصال فلأن الإنسان يستقبل النوم وهو أخو الموت، فينبغي له أن يشغله بالذكر، خيفة أن يموت في نومه فيبعث على ما مات عليه، وقيل إن الأعمال تصعد في هذين الوقتين، وقيل لكراهة النفل في هذين الوقتين، فطلب بالذكر فيهما لئلا يضيع على الإنسان وقته. قوله: ﴿وَلاَ تَكُنْ مِنَ ٱلْغَافِلِينَ﴾ خطاب للنبي والمراد غيره.

قوله: ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ العندية مكانة لا مكان، أو المراد عند عرش ربك، وهذا كالدليل لما قبله، أي فإذا كان دوام الذكر دأب من لم يجعل لهم على أعمالهم جنة ولا نار، فلتكونوا كذلك بالأولى. قوله: (ينزهونه) أي يعتقدون تنزيهه. قوله: (أي يخصونه) أخذ هذا الحصر من تقديم المعمول. قوله: (بالخضوع) تفسير للسجود، أي فالمراد بالسجود مطلق العبادة، لا خصوص السجود المعروف، وإنما خص السجود، لأن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، وهذه أول سجدات القرآن المأمور بها عند التلاوة، والله أعلم.

تمَّ الجزء الأول من كتاب حاشية الصاوي على تفسير الجلالين

ويليه الجزء الثاني وأوله سورة الأنفال

* * *

الفهـرس

تفسير سورة البقرة

تفسير سورة آل عمران

تفسير سورة النساء

تفسير سورة المائدة

تفسير سورة الأنعام

تفسير سورة الأعراف